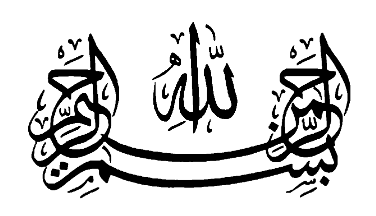


الوهابية المتطرفة

موسوعة نقدية







المجلد
الثالث

سرشناسه: فرمانیان، مهدی، ۱۳۵۲ -، گردآورنده
عنوان و پدیدآور: الوهابية المتطرفة: موسوعة نقدية/ تالیف جمعٌ من المولفین؛ باهتمام مهدی فرمانیان: بطلب من المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية»
مشخصات نشر: قم: دارالإعلام لمدرسة اهل البیت (ع)، ۱۳۹۳-
مشخصات ظاهری: ج.
شابک (ج.۳): 978-600-7667-00-2 (V.3)
شابک (دوره): 978-600-94845-8-4 (V.SET)
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت: عربی
یادداشت: فهرست‌نویسی بر اساس جلد سوم: ۱۳۹۳
یادداشت: این مجموعه ۵ جلدی است و شامل چندین کتاب در نقد وهابیت افراطی است که توسط علمای اهل سنت تألیف شده است.
یادداشت: کتابنامه
موضوع: وهابیه - عقاید - نقد و تفسیر
موضوع: سلفیه - عقاید - نقد و تفسیر
موضوع: تکفیر - نقد و تفسیر
موضوع: وهابیه - عقاید - نظر اهل سنت
موضوع: سلفیه - عقاید - نظر اهل سنت
شناسه افزوده: کنگره جهانی جریان های افراطی و تکفیری از دیدگاه علمای اسلام (نخستین: ۱۳۹۳: قم)
رده بندی کنگره: ۱۳۹۳ ۹و۴ف/ BP۲۳۸/۵
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۶۴
شماره کتابشناسی: ۹۳۲۹۷۴۱۶

المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية»

قم، شارع الشهداء، ناصية زقاق ۲۲، رقم البناية ۶۱۸
هاتف: ۰۲۵-۳۷۸٤۲۱٤۱
البريد الالكتروني: info@makhateraltakfir.com
الموقع الالكتروني: www.makhateraltakfir.com

الوهابية المتطرفة: موسوعة نقدية ـ المجلد الثالث

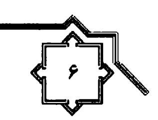
بطلب من: المؤتمر العالمي "آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية"
باهتمام: الدكتور مهدي فرمانيان
الناشر: دارالإعلام لمدرسة اهل البيت عليهم السلام
الإخراج الفني: سالم فيض الله
تصميع الغلاف: محمد مهدی اسعدی
المشرف على الطباعة: سيد محمد موسوی
الطبعة: الأولى، ۱۴۳۵هـ
الكمية: ۵۰۰ نسخة
طبع و تجليد: سليمان‌زاده
سعر الدورة: ۱۵۰/۰۰۰ تومان
ردمك الدورة: ۹۷۸-۶۰۰-۹۴۸۴۵-۸-۴



قم، شارع الشهيد فاطمي، زقاق۲، الفرع الأول، رقم البناية ۳۱
هاتف: ۰۲۵ـ ۳۷۷۴۰۷۲۹
البريد الألكتروني: info@darolelam.ir
عنوان الموقع: darolelam.ir

الفهرس

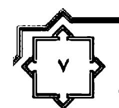
رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة



التنديد بمن عدد التوحيد

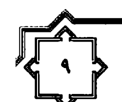
من فضائح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب

بهجة الناظر في التوسل بالنبي الطاهر

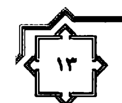


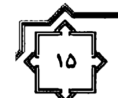
الإغاثة بأدلة الاستغاثة

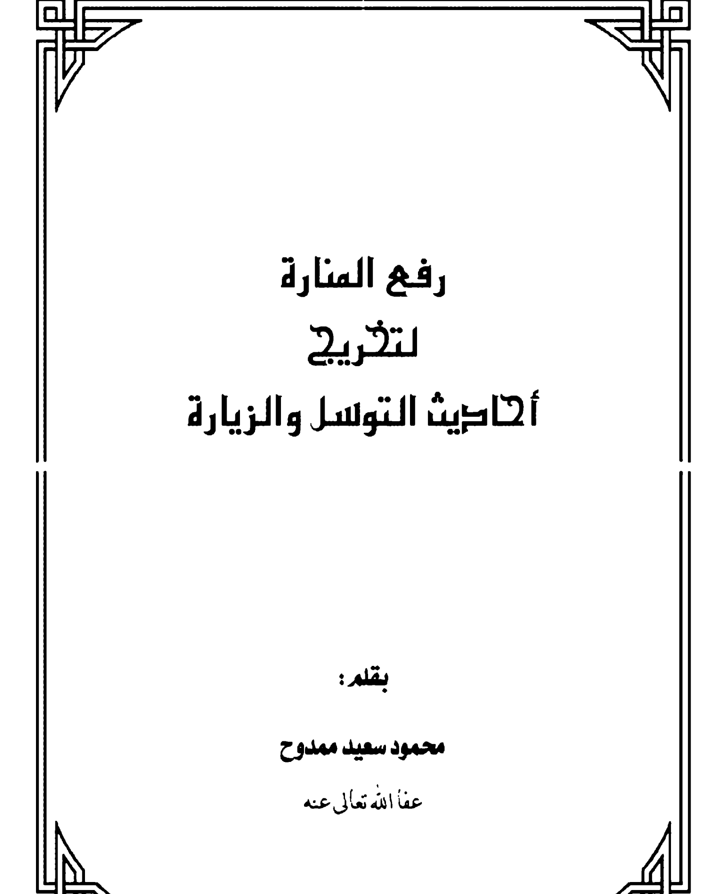
براءة الاشعريين من عقائد المخالفين






١٣





رفع المنارة
لتخريج
أحاديث التوسل والزيارة

بقلم:

محمود سعيد ممدوح

عفا الله تعالى عنه

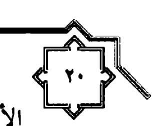


محمود سعيد ممدوح

يُعتبر الدكتور محمود سعيد ممدوح أحد الأساتذة المعروفين في مصر حيث ألّف العديد من الكُتب في نَقد الفرقة الوهابية، منها (رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسّل و الزيارة) و (التّعريف بأوهام من قسّم السّنن إلى صحيح و ضعيف) ـ ستّ مجلدات، و (كشف الستور عمّا أشكل من أحكام القبور) و (وصول التهاني بإثبات سنيّة السبحة و الردّ على الألباني).

هذا، و قد بيّن الدكتور محمود سعيد ممدوح في كتابه القيّم (رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسّل و الزيارة) أنّ الاختلاف حول مسألة التوسّل يُعدّ اختلافاً في فروع الدين و ليس في أصوله حيث قال في مقدّمة ذلك الكتاب: «والغرض من هذا المصنّف بعد بيان الصواب في نظري في الأحاديث، هو أنّ الخلاف في مسألة التوسّل هو خلاف في الفروع، و مثله لا يصحّ أن يشنّع به أخ على أخيه أو يُعيبه به».

ويتضمّن الكتاب المذكور خمسة فصول، تناول مؤلّفه في الفصل الأوّل و عنوانه (في الكلام على التوسّل) مواضيع شتّى منها أنواع التوسل، التوسل من وجهة نظر الشوكاني، التوسل من وجهة نظر الآلوسي، (صاحب جلاء العينيْن) و التوسّل ليس من مباحث الاعتقاد، و في كلامه حول كون (التوسّل ليس من مباحث الاعتقاد) يقول المؤلّف: «أمّا سَلك بحث التوسّل في العقائد و جعله وسيلة من وسائل الشّرك فبدعة قد حلّت بالمسلمين و مسلكاً قد زرع العداوة بينهم و نفخ في بوق الخلاف بين الأخ و أخيه و الأب و ابنه».



وفي الفصل الثاني من الكتاب في مبحث (في الكلام على الزيارة: كلام الأئمّة الفقهاء في استحباب أو وجوب زيارة القبر الشريف) استشهد المؤلّف بالعديد من الأدلّة القرآنية و الروائية و الإجماع، و قد أشار إلى أحد الأدلّة القرآنية في إثبات استحباب الزيارة و هو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[1] و فسّرها على ضوء البحث المذكور.

أمّا الفصل الثالث من الكتاب المذكور فقد ضمّ بعض الأحاديث الدالّة على استحباب التوسّل فذكر فيه عشر روايات و منها أنّ رسول الله ﷺ كان يدعو ربّه صباحاً و مساءً بالدّعاء التالي: «اللّهمّ... وأسألُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ بِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَكَ وَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْبَلَنِي فِي هَذِهِ الْغَدَاةِ أَوْ فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ وَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِقُدْرَتِكَ».

وفي الفصل الرابع من نفس الكتاب جاء فيه تخريج أحاديث الصحابة في التوسل بالرسول الأعظم ﷺ و ذكر روايتين عن عائشة حول الاستسقاء في المدينة و التوسّل بالنبيّ ﷺ في عهد عمر للاستسقاء.

وأفرد المؤلّف الفصل الخامس لتخريج أحاديث الزيارة حيث أشار فيه إلى عشرة أحاديث و منها حديث ثواب زيارة النبيّ ﷺ و قوله: «مَن زارَ قَبري وَجَبَت لَهُ شَفاعَتي» و قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُعْرَضْ إِلَى الْحِسَابِ وَ مَاتَ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَ حُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ».

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

---

[1] . سورة النساء، الآية ٦٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

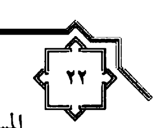
الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب، واهب العطاء، اختص من شاء بما شاء، فهو السميع العليم الحكيم الكريم المبدئ المعيد الوهاب.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بالكمالات، السراج المنير والبشير النذير، الفارق بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي، من تبعه نجا ومن خالفه هلك، والايمان به وسيلة كل مسلم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ صلى الله وسلّم وبارك عليه وزاده فضلا وشرفا لديه، وعلى اله الاطهار وصحابته الابرار ومن تبعه بإحسان.

وبعد.. فإن مسألتي التوسل والزيارة من المسائل التى شغلت الناس كثيرا، وصنفت فيهما ـ خاصة مسالة التوسل ـ مصنفات متعددة وحصل أخذ ورد وجدل، وزايد وتاجر بهما سماسرة الاختلاف بين المسلمين.

ومما زاد الطين بلّة أن سبكهما المتشددون في مسائل الاعتقاد..!!

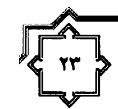
وقد حصل بسببهما الخوض في أعراض كثير من أئمة الدين، وتطاول في أعراض جماهير المسلمين. ومن أحاط علما بما ذكرت علم كم صحب ذلك من النهى الشديد والتخويف والتهديد، وقد تلاحقت أقلام في ذلك كان من اخرها رسالة باسم (الاخطاء الاساسية في توحيد الالوهية الواقعة في فتح الباري). شنع فيها صاحبها على الحافظ ابن حجر لتجويزه التوسل وقوله باستحباب الزيارة، وهذا غاية في الغلو والتعصب والجهل.



فيا للعار والشنار قاضي قضاة المسلمين وشيخ المحدثين وامامهم ومفخرة المسلمين أحمد بن حجر العسقلاني ﵀ تصنف ـ بدون حياء ـ رسالة تحوى هذا المعنى الذى لا يدل إلا على مبلغ انحراف مصنفها المسكين ومن ذله عليها على جماعة المسلمين. وهى لا تدل إلا على مبلغ إنحراف هذا المتشدد وأمثاله حيث وقعوا في الاكابر وبالغوا وشنعوا، ولكن أهل الفضل لا يكترثون بمصنف تالف فغايته أنه صرير باب أو طنين ذباب، ولا يضر البحر العظيم أمثاله ما يضر البحر أمسى زاخرا أن رمى فيه غلام بحجر ولو كتبت مثل هذه الرسالة في عصر انتشار العلم والعناية باهله لكان للقضاء وللعلماء موقف اخر من هذا المتطاول وأمثاله. وأهل الحق يعلمون فساد مقالات المتشددين، وأن الحق لم يخالفهم ـ في المسالتين ـ مرة. وأن هذا الاختلاف من إدبار الدين وليس من إقباله. فيا قومنا الله الله في إسلامكم لا تفسدوه لهوى شيطان مريد أو جاهل مغرض مسكين.

* * *

وقد استعنت بالله تعالى على تحقيق الحق في الاحاديث الواردة في التوسل والزيارة، وأردت أن أسلك فيه سبيل الانصاف، وبعدت فيه عن المحاباة والتعصب والاعتساف وتقيدت بقواعد الحديث الشريف. والغرض من هذا المصنف بعد بيان الحق في الاحاديث، هو أن الخلاف في مسالة التوسل هو خلاف في الفروع ومثله لا يصح أن يشنع أخ به على اخيه أو يعيبه به، وأن من قال به ـ وهو التوسل بالانبياء والاولياء ـ متمسك بأدلة ثابتة ثبوت الجبال الرواسى وردها لا يجئ إلا من متعنّت أو مكابر، فإن لم تقنع فاسكت وسلّم ولا تشنّع فالخلاف في الفروع لا يحتمل هذا الافراط، سلك الله بنا سواء السبيل. وأما المقصود في مسالة الزيارة فهو إثبات إطباق فقهاء الامة على أستحباب أو وجوب زيارة المصطفى ﷺ بشد رحل أو بدونه، وأن من قال بتحريم الزيارة

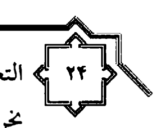


المستوجبة لشد الرحل قد ابتدع وخالف النصوص الصريحة وإطباق فقهاء مذهبه فضلا عن المذاهب الأخرى. فأولى باولي النهى ترك الشاذ من القول والتسليم بالمعروف المشهور الذى أطبقت الامة على العمل به والله المستعان. أما من تعود أن يقول: عنزة ولو طارت، أو يا داخل مصر مثلك كثير، فهو مكابر أو متعنّت فلا كلام لنا معه، فقد خالف صريح الدليل وخالف أعيان الائمة وسرج الأمة. وقد سمّيت هذا المصنف (رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة).

أسال الله تعالى أن يتقبله بقبول حسن ويجعله في صحيفة حسناتي. وقد عقدت مقدمتين لهذا المصنف الاولى في الكلام على التوسل والثانية في الكلام على الزيارة، ومهدت لهما بكلمة عن الصارم المنكى وشفاء السقام.

* * *

شاع بين كثير من الناس أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة بل موضوعة وهو خطا بلا ريب، ومصادمة لقواعد الحديث بلا مين ويكفى اللبيب قول الذهبي الحافظ الناقد عن أحاديث الزيارة: طرقه كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض لأنّ ما في روايتها متهم بالكذب، نقله عنه السخاوى، وأقره في المقاصد الحسنة (ص٤١٢). ومنشأ هذا الخطا هو الاعتماد على كتاب (الصارم المنكى في الرد على السبكى) للحافظ أبى عبيد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى ﷺ. وكنت أرى الاحالة على هذا الكتاب من كثير من الكتّاب سواء من المشتغلين بالحديث أو غيرهم فاكتفي بالسكوت رغبة في اغتنام فرصة لتحقيق صحة هذه المقولة. وبعد النظر في (الصارم المنكى) وتحقيق أحاديث الزيارة، رأيت الهول في هذا الكتاب، فتراه يتعنّت أشدّ التعنّت في رد الاحاديث عند كلامه على الرجال، ويطول الكلام جدا على الرجال ناقلا ما يراه يؤيد رأيه وهو الجرح، ولا يذكر من



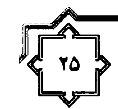
التعديل إلا ما يوافقه كما فعل مع عبد الله بن عمر العمرى وتطويله للكلام يخرجه عن المقصود إلى اللغو والحشو مع التكرار الممل (انظر مثلا ص٢٢٦، ٤٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٣١٥، ٢٩٠، ١٣٠، ١٥٤، ١٦٨، ١٣٢، ٣١... إخ) [1].

وهو يذكر أبحاثا خارجة عن المقصود كالبحث المتعلق بالمرسل وطرق الحديث الذى فيه حفص بن سليمان القارى. ويطيل الكتاب جدا بذكر فتوى في الزيارة لابن تيمية عقب كل حديث في الزيارة، ولو اختصر الكتاب بحذف كل خارج عن المقصود لجاء في جزء صغير. أما تهجّمه على التقى السبكى فحدث ولا حرج وخذ مثلا (ص٢٠، ٦٢، ٩٥)، وعند المحاققة تجد الحق مع السبكى ففى (ص٢٠) اختلف في نقل عن أبى محمد الجوينى، والصواب فيه مع السبكى كما يعلم من شفاء السقام (ص١٢٢ ـ ١٢٣) ونصرة الامام السبكى للسمنودي (ص٤). وأحيانا يأتي بتعليلات للاحاديث خارجة على قواعد الحديث، كقوله عند محاولة تضعيف بعض الاحاديث: لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ولا رواه الامام أحمد في مسنده، وغير خفى أن هذا التعليل فيه نظر فالعبرة بالاسناد ولو كان الحديث في جزء غير مشهور وانظر ص٢٢٥ وما بعدها في هذا الكتاب. وقد أكثر في كتابه من الدعاوى على السبكي من غير برهان. بيد أن الخطأ في الفروع له وزنه عند أهل العلم، أما الخطأ في الاصول فمما لا يجترئ عليه إلا من بعد عن الحق، فمن شقاشق.

ابن عبد الهادى قوله: (وقد اختلف المثبتون للنزول هل يلزم منه خلو العرش منه أم لا؟) (ص٣٠٤). وهذا الباطل لا تجده في نصوص الكتاب والسنة وما فاه به أحد من أئمة السلف ولا يبحثه إلا من لا يفرق بين الخالق والمخلوق، تعالى الله عما يأفكون ليس كمثله شئ وهو السميع البصير. ومن

---

١ . والاحالة على طبعة الرياض التى حققها الشيخ اسماعيل الانصاري.



الافات المردية انتصار الانسان لشيخه ولو في خطأ بيّن في الاصول. ولشيخنا المحدث السيد عبد العزيز الغماری حفظه الله تعالى كلمة جامعة في بيان حال الصارم المنكى ذكرها في كتابه (التهانى في التعقيب على موضوعات الصغانى) فقال: (وابن عبد الهادى، سلك في ذلك الكتاب مسلك الافراط الخارج عن قواعد أهل الحديث، فيجب الحذر منه زيادة على سوء الادب في التعبير مع التقى السبكى الحافظ الفاقه وإتيانه في حقه بما لا يليق بأهل العلم سلوكه، يضاف إلى ذلك ما أتى به من القول الفاسد والرأي الباطل والخروج عن سبيل السلف في ذلك، وإن زعم أنه ينصر عقيدتهم ويكفيك من ذلك أنه ذكر الخلاف في مسالة النزول هل يخلو العرش من الرحمن عند نزوله في ثلث الليل أو لا؟ وهذا مما لا ينبغى أن يذكره في كتاب إلا مشبّه بليد لا يفقه ولا يدري ما يخرجه من رأسه، وأين وجد عن السلف هذا التشبيه حتى يبنى عليه الخلاف في خلو العرش أو عدم خلوه) اه (ص٤٩). ومع ذلك فلا نبخس ابن عبد الهادى، والحق أقول ففى الكتاب فوائد ونكات وقواعد هامة دلّت على موهبة وتمكّن في الفن ولكنها ضاعت في أثناء جداله العنيف وانتصاره لشيخه في مقولة خاسرة، بعكس كتابه المفيد (التنقيح) فإنه مشى فيه على طريق المحدثين بدون مواربة أو هوى، ولذلك تجده يخالف بعض ما يكتبه في صارمه كما تجد ذلك عند الكلام على عبد الله بن عمر العمرى الذى استدل به في التنقيح (١ / ١٢٢)، بينما أقام الدنيا ولم يقعدها على العمرى المذكور في الصارم غفر الله لنا وله، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وإذا كان هذا حال الصارم المنكى، فإن كتاب (شفاء السقام في زيارة خير الانام) الذى دبجته يراعة الامام التقى على بن عبد الكافي السبكى الشافعي رحمه الله المتوفى سنة ٧٥٦ الذى قال فيه الحافظ الذهبي: ليفن المنبر الاموى لما علاه الحاكم البحر التقى شيوخ العصر أحفظهم جميعا وأخطبهم وأقضاهم على أنفس كتاب صنف في هذا الباب جمع فيه مؤلفه بين النقل والعقل وزاد أبواب في غاية



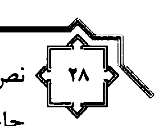
الاهمية كالتوسل وحياة الانبياء والشفاعة وغير ذلك، وعظم الجناب النبوى الشريف صلى الله وسلم وبارك عليه، وكان عفّ اللسان قوى الحجة ناصع البرهان، وإذا كان قد أورد ما ليس بصحيح من أحاديث الزيارة فيغتفر في بحر حسناته، وقد أوردها في مقام الاستشهاد، وقد حقق الاقوال في مسالة الزيارة وغيرها من مباحث الكتاب تحقيقا ما عليه مزيد، يجزم الواقف عليه بان ابن عبد الهادى قد ظلمه في صارمه، اسال الله لى ولهما الرحمة فيعفو عمن أساء ويقبل ممن أحسن فلكل محمل حسن وتحسين الظن بعلماء المسلمين واجب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والحمد لله رب العالمين. محمود سعيد ممدوح غفر الله تعالى له

المقدمة الاولى في الكلام على التوسل

التوسل في اللغة: قال الجوهرى في الصحاح مادة (وسل) (٥ / ١٨٤١): (الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع: الوسيلة والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل) اهـ. وقال الامام القرطبى في تفسيره (ص٢١٥٦، طبعة الشعب): (قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾. الوسيلة: هي القربة عن أبى وائل والحسن ومجاهد وقتادة وعطاء والسدى وابن زيد وعبد الله بن كثير وهى فعيلة من توسلت إليه أي تقربت. قال عنترة: إن الرجال لهم إليك وسيلة أن ياخذوك تكحلى وتخضبى والجمع الوسائل قال: إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافى بيننا والوسائل ويقال: منه سلت أسأل، أي طلبت، وهما يتساولان، أي يطلب كل واحد من صاحبه، فالاصل الطلب، والوسيلة القربة التى ينبغى أن يطلب بها.) اه. وكون الوسيلة هي القربة لا خلاف بين

المفسرين في ذلك كما صرح به ابن كثير في تفسيره (٣ / ٩٧) وقال: (الوسيلة هي ما يتوصل بها إلى تحصيل المطلوب) أهـ. فقول بعضهم: إن التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربه، خطا محض فالتوسل ليس من هذا الباب قطعا، فالمتوسل لم يدع إلا الله وحده فالله وحده هو المعطى والمانع والنافع والضار ولكنه اتخذ قربة رجاء قبول دعاءه، والقربة في الدعاء مشروعة بالاتفاق. وترد الوسيلة بمعنى المنزلة كما في الحديث الصحيح المشهور: «**سلوا الله لى الوسيلة...**» الحديث، والبحث هنا يدور مع المعنى الاول فقط، وهى كونها (القربة). والتوسل على نوعين: أحدهما ما اتفق عليه وترك الخوض فيه صواب لانه تكرار وتحصيل حاصل. ثانيهما: ما اختلف فيه وهو السؤال بالنبي أو بالولي أو بالحق أو بالجاه أو بالحرمة أو بالذات وما في معنى ذلك. وهذا النوع لم يرى المتبصر في أقوال السلف من قال بحرمته أو أنه بدعة ضلالة أو شدد فيه وجعله من موضوعات العقائد كما نرى الآن. لم يقع هذا إلا في القرن السابع وما بعده، وقد نقل عن السلف توسل من هذا القبيل. قال ابن تيمية في (التوسل والوسيلة) (ص٩٨): هذا الدعاء (أي الذى فيه توسل بالنبي ﷺ)، ونحوه قد روى أنه دعا به السلف ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزى التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء. اهـ، ونحوه في (ص١٥٥) من الكتاب المذكور.

وقال في (ص٦٥): (والسؤال به (أي بالمخلوق) فهذا يجوزه طائفة من الناس، ونقل في ذلك اثار عن بعض السلف وهو موجود في دعاء كثير من الناس.) اهـ وذكر أثرا فيه التوسل بالنبي ﷺ لفظه: «**اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ﷺ تسليما يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك وربى يرحمنى مما بى**». قال ابن تيمية: فهذا الدعاء ونحوه روى أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزى التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء. اهـ. وهذا هو

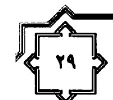


نص عبارة أحمد بن حنبل فقال في منسك المروزى بعد كلام ما نصّه: وسل الله حاجتك متوسلا إليه بنبيه ﷺ تقض من الله عزّ وجل. اه هكذا ذكره ابن تيمية في الرد على الاخنائى ص١٦٨ والتوسل به ﷺ معتمد في المذاهب ومرغّب فيه نصّ على ذلك الائمة الاعلام، وكتب التفسير والحديث والخصائص ودلائل النبوة والفقه طافحة بادلة ذلك بدون تحريم وهى بكثرة.

* * *

وقد أكثر ابن تيمية من بحث النوع الثاني من التوسل في مصنفاته قائلا بمنعه وقلده وردد صدى كلامه اخرون. ويحسن ذكر كلام ابن تيمية مع بيان ما فيه، واقتصارى على كلامه فقط هو الاولى، لان من تشبث بكلامه لا يزيد عن كونه متشبعا من موائده دائراً في فلكه والله المستعان.

كان ابن تيمية يرى منع التوسل بالانبياء والملائكة والصالحين، وقال: التوسل حقيقته هو التوسل بالدعاء ـ دعاء الحى فقط ـ وذكر ذلك في مواضع من كتابه (التوسل والوسيلة) (ص١٦٩). وقال ابن تيمية (ص٦٥) وهو الاعتراض الاول: (السؤال به (أي بالمخلوق) فهذا يجوزه طائفة من الناس، لكن ما روى عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الاعمى لا حجة لهم فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي أن يقول: «**اللهم شفّعه فيّ**»، ولهذا ردّ الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ، وكان ذلك مما يعد من ايات النبي ﷺ، ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله). اه قلت: قوله: (كله ضعيف بل موضوع وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة إلا...)، سيأتي إن شاء الله تعالى الرد على هذا الكلام في تخريج الاحاديث،



ففيها الصحيح والحسن والضعيف عند أئمة هذا الشان ووفق قواعد الفن. أما قوله: (إلا حديث الاعمى لا حجة لهم فيه) فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته وهو طلب عن النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي ﷺ أن يقول: «**اللهم شفّعه فيّ**»، ولهذا ردّ الله عليه بصره لما دعا النبي ﷺ وكان ذلك مما يعد من آيات النبي ﷺ . اهـ.

قلت: فنظر ابن تيمية إلى أن التوسل من الاعمى كان بدعاء النبي ﷺ. وكلامه فيه نظر ظاهر، لان الناظر في حديث توسل الاعمى يجد فيه الآتى:

١ ـ جاء الاعمى للنبى ﷺ فقال له: ادع الله أن يعافينى، فالاعمى طلب الدعاء.

٢ ـ فاجابه النبي ﷺ قائلا: (إن شئت أخرت ذلك وهو خير، وان شئت دعوت). فخيره رسول الله ﷺ وبين له أن الصبر أفضل.

٣ ـ ولكن لشدة حاجة الأعمى التمس الدعاء من النبي ﷺ.

٤ ـ عند ذلك أمره النبي ﷺ أن يتوضا فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين.

٥ ـ وزاد على ذلك هذا الدعاء: «**اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى في حاجتى فتقضى لى**». فدعا النبي ﷺ بهذا الدعاء كما طلب الاعمى في أول الحديث، ودعا الاعمى بهذا الدعاء كما علمه النبي ﷺ.

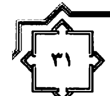
٦ ـ فعلمه النبي ﷺ دعاء هو توسل به ﷺ، وهو نص في التوسل به ﷺ لا يحتمل أي تأويل، وكيف يحتمل غير التوسل به ﷺ وفيه (أتوجه إليك بنبيك)، (إنى توجهت بك). ومن رأى غير ذلك فقد استعجم عليه الحديث. وابتهج الألبانى في توسله بكلام ابن تيمية فردده قائلا (ص٧٢): وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء ـ كما هو ظاهر ـ وليس فيها ذكر شيء مما



يزعمون. اهـ. قلت: هذه مصادرة للنص وتعمية على القارئ كيف لا يكون كذلك والنبي ﷺ علّم الرجل دعاء فيه السؤال بالنبي ﷺ. نعم.. الحادثة تدور حول الدعاء، ولكن السؤال هنا ما هو الدعاء الذى دعا به النبي ﷺ؟، وما هو الدعاء الذى علمه للرجل الأعمى؟ لا يستطيع أي منصف إلا الاجابة بأن هذا الدعاء هو الذي فيه نص بالتوسل به ﷺ. فالاعمى جاء يطلب مطلق الدعاء بردّ بصره. وعلّمه ﷺ وأمره بالتوسل به ليتحقق المطلوب.

٧ ـ ثم قال ﷺ: «**اللهم شفّعه فيّ وشفّعني في نفسي**»، أي تقبل شفاعته أي دعاءه في وتقبل دعائي في نفسي. وهنا سؤال: أي دعاء هنا الذى يطلب قبوله؟ لاشك أن الاجابة عليه ترد بداهة في ذهن أي شخص إنه الدعاء المذكور فيه التوسل به ﷺ، وهذا لا يحتاج لإعمال فكر أو إطالة نظر وتأمل وهو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. ويمكن أن يقال: إن سؤال قبول الشفاعة هو توسل بدعائه ﷺ مع التوسل بذاته، وهذا منتهى ما يفهم من النص والله أعلم.

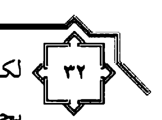
٨ ـ فسبب ردّ بصر الاعمى هو توسله بالنبي ﷺ وهذا ما فهمه الائمة الحفاظ الذين أخرجوا الحديث في مصنفاتهم فذكروا الحديث على أنه من الادعية التى تقال عند الحاجات. فقال البيهقى في (دلائل النبوة) (٦ / ١٦٦) باب: ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر في ذلك من آثار النبوة. ا هـ. ولا يخفى أن تعليمه للضرير هو الدعاء الذى فيه التوسل بالذوات وعبارة البيهقى واضحة جداً. والبيهقي حافظ فقيه. وهكذا ذكره النسائي، وابن السنى في عمل اليوم والليلة، والترمذي في الدعوات، والطبراني في الدعاء، والحاكم في المستدرك، والمنذري في الترغيب والترهيب، والهيثمي في مجمع الزوائد في صلاة الحاجة ودعائها، والنووي في الاذكار على أنه من الاذكار التى تقال عند عروض الحاجات، وابن الجزرى في العدة في باب صلاة الضر والحاجة



(ص١٦١). وقال القاضي الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص١٦٢): وفي هذا الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عزّ وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطي المانع ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ا هـ. واستقصاء الحفاظ الذين فهموا أن الحديث على عمومه واستعمال الدعاء الوارد فيه الذي فيه التوسل به ﷺ يطول.

٩ ـ إن عثمان بن حنيف رضي الله عنه وهو راوي الحديث فهم من الحديث العموم، فقد وجه رجلا يريد أن يدخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى التوجه بالدعاء المذكور في الحديث الذى فيه التوسل بالنبي ﷺ اسناده صحيح سيأتي إن شاء الله تعالى. وفهم الصحابي الجليل عثمان بن حنيف رضي الله عنه هو ما لا يستقيم فهم الحديث إلا به.

١٠ ـ إن رواية ابن أبي خيثمة للحديث من طريق حماد بن سلمة الحافظ الثقة فيها (فان كانت حاجة فافعل مثل ذلك)، وهي زيادة ثقة حافظ، فهي صحيحة مقبولة كما هو معلوم ومقرر في علوم الحديث. وهذه الرواية تدل على العموم وطلب العمل بالحديث في الحياة وبعد الممات إلى قيام الساعة. ثم قال ابن تيمية رحمه الله: ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله. اهـ. وقال ابن تيمية في موضع اخر: وكذلك لو كان أعمى توسل به ﷺ ولم يدع له الرسول ﷺ بمنزلة ذلك الاعمى لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى، فعدولهم عن هذا إلى هذا دليل على أن المشروع ما سألوه دون ما تركوه. ا هـ. قلت: الجواب عليه سهل ميسور، وكنت أود ألا أورد هذا الايراد، لكننى رأيت جماعة أخذوا هذا الايراد ونسبوه لانفسهم وكان الصواب ألا يذكر لفساده أو يذكر مع نسبته لقائله، ومن الذين نسبوه لانفسهم الالباني فانه قال في توسله (ص٧٦): لو كان السر في شفاء الاعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ وقدره وحقه كما يفهم عامة المتأخرين

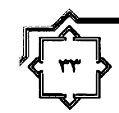


لكان المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ﷺ بل ويضمون إليه أحيانا جاه جميع الانبياء المرسلين وكل الاولياء والشهداء والصالحين وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة والانس والجن أجمعين، ولم نعلم ولا نظن أحدا قد علم حصول مثل هذا خلال هذه القرون الطويلة بعد وفاته ﷺ إلى اليوم. اهـ. وذكر نحو هذا الايراد صاحب (التوصل إلى حقيقة التوسل) (ص٢٤٣)، وكذا المتعالم صاحب (هذه مفاهيمنا) (ص٣٧). والجواب على هذا الايراد بالآتي:

١ ـ إجابة الدعاء ليست من شروط صحة الدعاء، وقد قال الله تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾، ونحن نرى بعض المسلمين يدعون فلا يستجاب لهم، وهذا الايراد ياتي على الدعاء كله، فانظر إلى هذا الايراد أين ذهب بصاحبه؟

٢ ـ هذا الايراد يرد عليه احتمال أقوى منه وحاصله أن عدم توسل عميان الصحابة وغيرهم احتمال فقط لا يؤيده دليل، وهم إما توسلوا فاستجيب لهم، أو ـ تركوا رغبة في الاجر، أو توسلوا وادخر ذلك أجرا لهم، أو تعجلوا فما أستجيب لهم.

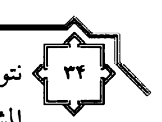
وقد صح أن رسول الله ﷺ قال: «**يستجاب لاحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يستجب لي**». رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وكم من داع متوسلا لله بأسمائه وصفاته ولم يستجب له ويلزم هؤلاء إشكال وهو أننا نرى من يدعو ويتوسل بأسماء الله وصفاته أو بعمله الصالح أو بدعاء رجل صالح ولم نر إجابة الدعاء. هذا من تمام الحجة عليهم ونقض إيرادهم فلا تلازم بين الدعاء والاجابة، فلا تلازم بين الدعاء والاجابة والله أعلم بالصواب. على أن قول الالباني: لا نعلم ولا نظن أحدا.. إلخ. تهافت وشهادة على نفي لا ينخدع بها إلا مسلوب العقل.



تذنيب مفيد لكل لبيب

بعد أن تبين لك دلالـة الحـديث الواضـحة عـلى التوسـل بـالنبي ﷺ وأن المخالف متسنم بيتا من بيوت العنكبـوت تجـد أن مـن هـؤلاء المخـالفين مـن لم يستطع تحت قوة الدليل إلا الاعتراف بجواز هـذا التوسـل وأنـه لا غبـار عليـه فشكك في شبهاته وأسقط كلامه إنه الالباني الذى قال في توسله (ص٧٧): (على أننى أقول: لو صح أن الاعمى إنما توسل بذاته ﷺ فيكون حكما خاصا به ﷺ لا يشاركه فيه غيره مـن الانبيـاء والـصالحين، وإلحـاقهم بـه مما لا يقبلـه النظـر الصحيح، لانه ﷺ سيدهم وأفضلهم جميعا، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم ككثير مما يصح به الخبر، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسـات، فمن رأى أن توسل الاعمى كان بذاته ﷺ فعليه أن يقف عنده ولا يزيـد عليـه كما نقل عن الامام أحمد والشيخ العز بن عبد الـسلام، هـذا هـو الـذى يقتـضيه البحث العلمي مع الانصاف والله الموفق للصواب). ا هـ فقل لى بربك لمـاذا كـان كل هذا المراء من أساسه وترك الدليل إلى التقليد؟ بيد أن عبارتـه فيهـا هنـات لا تخفى فقصره بالتوسل بالنبي ﷺ فقـط لا دليـل عليـه، وهـو تخـصيص بـدون مخصص فالخصوصية لا تثبت إلا بدليل، وإذا كان الامام أحمد رحمه الله يجوز التوسل بالنبي ﷺ فلم ينقل عنه المنع من التوسل بغيره ومن نقل عنـه ذلـك يكـون قـد إفتأت عليه والحنابلة وهـم أعـرف بإمـامهم لم يـذهبوا إلى القـصر الـذى ادعـاه الالباني فيقول ابن مفلح الحنبلي في الفروع (١ / ٥٩٥): (ويجوز التوسل بصالح وقيل يستحب قال أحمد في منسكه الذى كتبه للمروزى إنه يتوسـل بـالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره). اهـ.

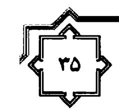
الاعتراض الثاني: ثم قال ابن تيمية: ودعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والانصار وقوله: (اللهـم إنـا كنـا إذا أجـدبنا



نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعا لم يعدل عمر والمهاجرون والانصار عن السؤال بالرسول ﷺ إلى السؤال بالعباس. أهـ (ص٦٦)، وقال في موضع اخر: وكذلك ثبت في الصحيح عن ابن عمر وأنس وغيرهما أنهم كانوا إذا أجدبوا إنما يتوسلون بدعاء النبي ﷺ واستسقائه، لم ينقل عن أحد منهم أنه كان في حياته ﷺ سأل الله تعالى بمخلوق، لا به ولا بغيره، لا في الاستسقاء ولا غيره، وحديث الاعمى سنتكلم عليه إن شاء الله تعالى، فلو كان السؤال به معروفا عند الصحابة لقالوا لعمر: إن السؤال والتوسل به أولى من السؤال والتوسل بالعباس، فلم نعدل عن الامر المشروع الذى كنا نفعله في حياته وهو التوسل بافضل الخلق إلى أن نتوسل ببعض أقاربه، وفى ذلك ترك السنة المشروعة وعدول عن الافضل وسؤال الله تعالى بأضعف السببين مع القدرة على أعلاهما، ونحن مضطرون غاية الاضطرار في عام الرمادة الذى يضرب به المثل في الجدب، والذى فعله عمر فعل مثله معاوية بحضرة من معه من الصحابة والتابعين، فتوسلوا بيزيد بن الاسود الجرشى كما توسل عمر بالعباس. ا هـ (ص٦٧).

قلت وبالله التوفيق: الناظر في كلام ابن تيمية يجده ينفى التوسل بالذوات مطلقا لان الصحابة رضي الله عنهم تركوا التوسل به ﷺ بعد وفاته لانه مقصور على الدعاء فقط، ودعاؤه بعد انتقاله غير ممكن، ولو كان توسلهم بذاته ممكنا لما تركوه مع قيام المقتضى. والجواب على هذا الايراد يظهر في النقاط التالية:

١ ـ إن غايته ترك للتوسل به ﷺ مع قيام المقتضي وهو شدة الحاجة، والترك بمفرده لا يدل على التحريم أو الكراهية، وإنما يفيد الترك أن المتروك جائز تركه فقط أما التحريم أو الكراهية، فهذا يحتاج لدليل اخر يفيد الحظر



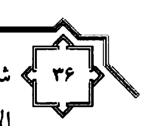
وينبغي ألا ينسب لساكت قول، فتدبر. وقد حرر مسألة الترك تحريرا ما عليه مزيد شيخنا العلامة المحقق سيدى عبد الله بن الصديق ﵀ ونور مرقده في رسالته المطبوعة باسم (حسن التفهم والدرك لمسألة الترك).

٢ ـ لو كان الترك يدل على التحريم فإن الصحابة قد تركوا التوسل المتفق على جلالته وفضله وهو التوسل باسماء الله وصفاته وهم مضطرون غاية الاضطرار لحال الشدة والقحط. كما يعلم من استسقاء عمر ﵁.

٣ ـ إن قول عمر بن الخطاب ﵁ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا لا يخرج عن كونه توسلا بالنبي ﷺ، فقد قال العباس في دعائه: «**وقد توجه القوم بى إليك لمكاني من نبيك**»، ولذلك قال عمر بن الخطاب (بعم نبيك)، ولم يقل بالعباس، وكان الاحرى بعمر في شدة الضيق أن يتوسل بمن هو أفضل من العباس من الصحابة وهم متوافرون ولكن عمر ﵁ قال: (واتخذوه وسيلة إلى الله)، فلم يعدل عن التوسل بالنبي ﷺ، فتوسل عمر بالعباس ﵄ فيه إرضاء للنبى ﷺ في الاقتداء به في إكرام عمه واتخاذه وسيلة لقربه ثم مع هذا رجاء دعائه لصلاحه.

قال الحافظ في الفتح (٢ / ٤٧): ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع باهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه. ا هـ.

أما قول الالباني في توسله (ص٦٨): لو صحت هذه الرواية، فهى إنما تدل على السبب الذى من أجله توسل عمر بالعباس دون غيره من الصحابة الحاضرين حينذاك، وأما أن تدل على جواز الرغبة عن التوسل بذاته ﷺ ـ لو كان جائزا عندهم ـ إلى التوسل بالعباس أي بذاته فكلا، ثم كلا، لاننا نعلم بالبداهة والضرورة ـ كما قال بعضهم ـ أنه لو أصاب جماعة من الناس قحط



شديد، وأرادوا أن يتوسلوا باحدهم لما أمكن أن يعدلوا عمن دعاؤه أقرب إلى الاجابة وإلى رحمة الله سبحانه وتعالى، ولو أن إنسانا أصيب بمكروه فادح وكان أمامه نبي واخر غير نبي وأراد أن يطلب الدعاء من أحدهما لما طلبه إلا من النبي ولو طلبه من غير النبي وترك النبي لعد من الاثمين الجاهلين، فكيف يظن بعمر ومن معه من الصحابة أن يعدلوا عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بغيره؟. اهـ.

قلت: هذه الرواية ـ واتخذوه وسيلة إلى الله ـ مقبولة الاسناد، وتفصيل الكلام عليها سيأتي إن شاء الله تعالى.

قوله: فهي إنما تدل على السبب الذى من أجله توسل بالعباس دون غيره من الصحابة. اهـ.

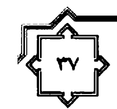
قلت: هذا تسليم منه بالمطلوب، فكان يكفيه الوقوف عند ذلك ولكن... أما التوسل بالأدنى مع وجود الاعلى، والفاضل مع وجود المفضول فله نظائر كثيرة بين الصحابة معلومة في أماكنها.

قوله: ولو طلبه من غير النبي ﷺ وترك النبي لعُدّ من الآثمين الجاهلين.

قلت: هذا تهويل وتشويش وإيهام باطل ولم يقل أحد بمقولته هذه التى لا دليل عليها وغاية الامر أنه ترك، والترك يدل على جوازه فقط وتركهم (إن سلم ذلك) له احتمالات كثيرة، ولا ينبغى أن ينسب لساكت قول، والبناء على المجهول أفول.

٤ ـ قول ابن تيمية: وقوله: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته. اهـ.

قلت: قوله هذا يخالف فهم الصحابة ، وهم أعرف وأفهم من غيرهم، كيف لا وهم قد حضروا التوسل بالعباس وهم عرب لم تدخلهم



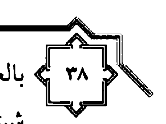
عجمة، فالفرق بين فهمهم وفهم مخالفهم كالفرق بين الابيض والاسود، فالقول قولهم والصواب حليفهم ولا يرضى العاقل بغير فهمهم لو أراد الانصاف. وممن فهم أن التوسل بالعباس هو توسل به لا بدعائه حسان بن ثابت حيث قال: سأل الاءنام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس عم النبي وصنو والده الذى ورث النبي بذاك دون الناس أحيى الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد الياس وصحابي آخر هو عباس بن عتبة بن أبى لهب فقال: بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبته عمر توجه بالعباس في الجدب راغبا إليه فما رام حتى أتى المطر ومنا رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر فالابيات السابقة تصرح بأن التوسل كان بالعباس، ومن يحاول أن يصرف اللفظ هنا عن ظاهره يكون قد كذب على صاحبي الابيات رضي الله عنهما واتبع هواه.

٥ ـ وعليه فإن قول بعضهم: إن الكلام ليس على ظاهره ولابد من تقدير مضاف محذوف في قول عمر (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا)، أي بدعاء عم نبينا، قولهم هذا فيه صرف للنص عن ظاهره ولا دليل معهم إلا شبه متخيلة، فالواجب والحالة هذه إبقاء النص على ظاهره ذلك أن الحذف يكون على خلاف الاصل والواجب العمل بالاصل وتجد المخالف يقول: أراد عمر بدعاء عم نبيك وهذا خطأ لأنّ الإرادة محلها القلب فتعيين الارادة على خلاف الظاهر باطل، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلّ من أن يلبس على الناس دينهم فيكون ظاهر كلامه مخالفا لما يريده.

٦ ـ بقي بيان أن الاسترسال السابق هو في دفع شبه فقط وإلا فالصحابة رضي الله عنهم توسلوا بالنبي ﷺ ثبت ذلك عن ابن عمر وبلال بن الحارث المزني [1] وعائشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وتقدمت الابيات المصرحة بالتوسل

---

١ . وركب المعلق على فتح الباري الصعب فقال تعليقا على أثر بلال بن الحارث المزني (٢ / ٤٩٥).



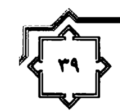
بالعباس ﷺ. ثم لا يخفى على اللبيب أن المتوسل لم يطلب من الميت أو الحي شيئا، وإنما طلب من الله عزوجل فقط متوسلا أي متقربا إلى الله تعالى بكرامة هذا الميت أو الحي أو عمله الصالح أو نحو ذلك، فهل في هذا ونحوه عبادة للميت أو تأليه له، نعوذ بالله من المجازفة والهجوم على أعراض المسلمين.

هذا الاثر ـ على فرض صحته كما قال الشارح ـ ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته، لان السائل مجهول، ولان عمل الصحابة ﷺ على خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يات أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك، وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة (بلال بن الحارث) ففي صحة ذلك نظر، ولم يذكر الشارح سند سيف في ذلك، وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه، لان عمل كبار الصحابة يخالفه، وهم أعلم بالرسول ﷺ وشريعته من غيرهم، والله أعلم. اهـ.

قلت: قوله (لان السائل مجهول) هو معنى كلام الالباني في توسله (ص١٢٢) حيث قال: هب أن القصة صحيحة، فلا حجة فيها لان مدارها على رجل لم يسم، وتسميته بلالا في رواية سيف لا يساوى شيئا لان سيفا متفق على ضعفه. اهـ.

وقد أجبت بتوفيق الله تعالى عن هذا فقلت: الجائي إلى القبر الشريف سواء كان صحابيا أو تابعيا فالحجة في إقرار عمر بن الخطاب ﷺ في عمله، حيث لم ينهه عما فعل، بل بكى عمر وقال: يا رب ما الو إلا ما عجزت عنه. والله أعلم.

قوله: (ولان عمل الصحابة ﷺ على خلافه).



قلت: قد تقدم أن حكمه حكم الترك، واقرار عمر لهذا الجاني فيه لفت نظر للقارئ الكريم إلى ان فعل الصحابة ليس على خلافه ومثله أثر عائشة رضي الله عنها في فتح الكوى وهما نص في الباب.

الاعتراض الثالث: قال البخاري في صحيحه (الفتح ٢ / ٤٩٤): حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا أبو قتيبة قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه، قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل قوله: (ولان ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك).

قلت: أخطات وما أصبت فبعد تسليمك بصحة الاثر أترى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقر الرجل على الشرك ـ في رأيك ـ حاشاه من هذا؟ ثم للناظر أن يتعجب ويسال: هل نتعلم من الصحابة رضي الله عنهم ديننا؟ أم ننظر في أعمالهم ونحكم عليها وفق ما نراه من قواعد غير مسلمة؟ وهكذا تكون الفوضى في التعليقات. وسبيل أهل العلم هجر ما يخالف الاثار الصحيحة وعمل الصحابة رضي الله عنهم. والمجيء إلى القبر الشريف ومخاطبة الرسول ﷺ ليس، بشرك واعتراف ابن تيمية بهذه الواقعة وغيرها انظره في اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٧٣) ولا بد. فهل ابن تيمية يقر الشرك أم أن المعلق لم يعط البحث حقه أم ماذا؟ نعوذ بالله من التخبط والتناقض ومرض البدعة والشرك.

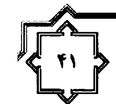
قوله: وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه، لان عمل كبار الصحابة يخالفه وهم أعلم بشريعته ﷺ من غيرهم). الحجة في قول عمر وإقراره رضي الله عنه، ثم إن عمل كبار الصحابة ليس بحجة مع مخالفة صغارهم لهم كما هو مقرر في علم الاصول. والكلام هنا يحتمل أكثر من ذلك ولولا خشية الاطالة لوفيت الكيل صاعا بصاع والله المستعان. وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه (ربما ذكرت



قول الشاعر وأنا انظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل وهو قول أبى طالب. والشاهد فيه قوله: (يستسقى الغمام بوجهه). فتمثل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقول أبى طالب وتذكره له مع النظر للنبى ﷺ يدل على توسله بالنبي ﷺ في الاستسقاء، وهو نص لا يحتمل غيره. وقد أجاب الشيخ بشير السهسوانى على هذا النص الصريح إجابة مندفعة فقال (ص٣٧٣): فإن قلت: لفظ (يستسقى الغمام بوجهه) يدل على أن التوسل بالذوات الفاضلة جائز قلت: المكروه من التوسل هو أن يقال أسألك بحق فلان أو بحرمة فلان، وأما إحضار الصالحين في مقام الاستسقاء أو طلب الدعاء منهم فهو ليس من المكروه في شئ بل هو ثابت بالسنة الصحيحة. اهـ.

وقال في موضع آخر (ص٢٧٤): وإذا كان حضور الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والضعفاء سببا للنصر والفتح فما ظنك بحضور سيد ولد ادم ﷺ. ا هـ ثم قال في (ص٢٧٥): فالمراد بوجهه في قول أبى طالب: (يستسقى بوجهه) ببركة حضور ذاته أو بدعائه. ا هـ.

قلت وبالله التوفيق: صرف السهسوانى هذا التوسل إلى التبرك بالذات أو الدعاء فيه نظر، أما الدعاء فظاهر أو كون المراد بيستسقى بوجهه ببركة حضوره فيمكن أن يكون كذلك إن كان التبرك والتوسل عنده مترادفان وهو الصواب. وهو ما صرح به البدر العينى فقال في عمدة القارى (٧ / ٣٠): معنى قول أبى طالب هذا في الحقيقة توسل إلى الله عزوجل بنبيه لانه حضر استسقاء عبد المطلب والنبى ﷺ معه، فيكون استسقاء الناس الغمام في ذلك الوقت ببركة وجهه الكريم. ا هـ. وإن لم يكن فلفظة (يستسقى الغمام بوجهه) هو عين التوسل، ولابد من حمل النص على ظاهره ولا يصرف إلا بدليل ولا صارف هنا. والله أعلم.

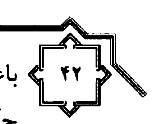


وللعلامة محمد بن على الشوكاني كلمة في جواز التوسل بالانبياء وغيرهم من الصالحين رد فيها على من منعه وفند إيراداته، فقال ﷺ في كتابه (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) ما نصه:

أما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى باحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه. ولعله يشير إلى الحديث الذى أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى النبي ﷺ فذكر الحديث، قال وللناس في معنى هذا قولان: أحدهما أن التوسل هو الذى ذكره عمر بن الخطاب لما قال كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا هو في صحيح البخاري وغيره، فقد ذكر عمر رضي الله عنه إنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته وتوسلهم هو استسقائهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبى ﷺ كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم.

والقول الثاني: إن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته وفى حضرته ومغيبه، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه. وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لامرين: الاول: ما عرّفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، والثانى: إن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل باعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون فاضلا إلا باعماله[1]، فإذا قال القائل: اللهم إنى أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو

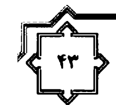
١ . فرجع الامر إلى تصويب القول بالتوسل وأن المانع يمنع أمرا لا وجود له في الحقيقة.



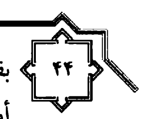
باعتبار ما قام به من العلم. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله، فارتفعت الصخرة. فلو كان التوسل بالاعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما زعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام[١]، ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الاجابة لهم ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالانبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾، ونحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾، ونحو قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه، فإن قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا

---

١ . العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى لم يتشدد البتة ولكن عذر الشوكاني أنه نقل كلام العز بن عبد السلام بواسطة، كما وضحه شيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى. ونور مرقده في الرد المحكم المتين (ص٥٥) فانه قال: هذا غلط في النقل عن ابن عبد السلام لان فتواه في الاقسام على الله بخلقه لا في سؤاله بجاه فلان، ونحن ننقل كلامه في ذلك ليتضح المراد فقد جاء في الفتاوى الموصلية مانصه: أما مسألة الدعاء فقد جاء في بعض الاحاديث أن رسول الله ﷺ علم بعض الناس الدعاء فقال في أوله: «**قل اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة**» وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصوراً على رسول الله ﷺ لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله بغيره من الانبياء والملائكة والاولياء لانهم ليسوا في درجته وأن يكون هذا مما خص به نبينا على علو درجته ومرتبته. اه ثم قال السيد عبد الله بن الصديق رحمه تعالى ونور ضريحه: هذا كلام عز الدين بحروفه نقلناه من الفتاوى الموصلية وهكذا نقله أصحاب الخصائص كالحافظ السيوطي والقسطلاني وغيرهما مستدلين به على أن الاقسام على الله تعالى بالنبي ﷺ من خصوصياته وهذا غير ما نحن فيه، وهو سؤال الله بجاه فلان من غير إقسام عليه، وبين المسالتين بون كبير كما لا يخفى، فاشتبه الحال على ابن تيمية ودخلت عليه مسالة في أخرى والكمال لله تعالى. انتهى كلام شيخنا رحمه الله ونور قبره. وانظر الرد المحكم المتين (ص٥٤، ٥٥)، وحاشية (ص٢٢٢) منه.



إلى الله زلفى مصرح بانهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، وكذلك قوله: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً﴾ فإنه نهى عن أن يدعو مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، وكذلك قوله: (والذين يدعون من دونه) الاية. فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم. والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه. فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الادلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾، فإن هذه الآية الشريفة ليست فيها دلالة إلا أنه تعالى هو المنفرد بالامر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الامر شيء، والمتوسل بنبى من الانبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين. ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبى فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ﴿قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً﴾، فإن هاتين الايتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء، وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الانبياء أو الاولياء أو العلماء وقد جعل الله لرسول الله ﷺ المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسالوه ذلك ويطلبوه منه، وقال له: سل تعط واشفع تشفع، وقيد ذلك في كتابه العزيز بان الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتض، وهكذا الاستدلال على منع التوسل

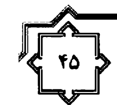


بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئا، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا، فإن هذا ليس فيها إلا التصريح بانه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لاحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله، فإن ذلك هو طلب الامر ممن له الامر والنهى، وانما أراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبه ما يكون سببا للاجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين. انتهى كلام الشوكاني رحمه الله.

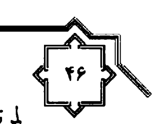
وقال الآلوسي: أنا لا أرى بأسا في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ عند الله تعالى حيا وميتا، ويراد بالجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل إليك بجاه نبيك ﷺ أن تقضى لى حاجتى، إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتى، ولا فرق بين هذا وقولك: إلهي أتوسل إليك برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضا إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا. انتهى من جلاء العينين (ص٥٧٢).

التوسل ليس من مباحث الاعتقاد

التوسل من موضوعات الفروع، لان حقيقته اتخاذ وسيلة، أي قربة إلى الله تعالى. قال الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾. والتوسل على أنواع وأمره يدور بين الجواز والندب والحرمة، وما كان أمره كذلك فهو من الاحكام الشرعية التى موضوعها علم الفقه، وإقحام موضوعات الفقه في التوحيد والعقائد خطأ يجب مجانبته حتى ينزل كل بحث



منزلته. وهذا الامام أبو حنيفة يقول: ويكره أن يقول الرجل في دعائه: اسألك بمعقد العز من عرشك. اهـ (الجامع الصغير للامام محمد ص٣٩٥ مع النافع الكبير). فعبر الامام أبو حنيفة ﷺ بقوله: (يكره)، فدار الامر بين الكراهة التنزيهية أو التحريمية، كما قرره أصحابه في كتاب (الكراهية) أو الحظر والاباحة من مصنفاتهم الفقهية. والسادة الفقهاء يذكرون التوسل في باب الاستسقاء، وعند زيارة قبر النبي ﷺ. أما سلك بحث التوسل في العقائد وجعله وسيلة من وسائل الشرك فبدعة قد حلت بالمسلمين ومسلكا قد زرع العداوة بينهم ونفخ في بوق الخلاف بين الاخ وأخيه والاب وابنه. ومن قلب النظر في عشرات الكتب والرسائل التى يصنفها بعض المعاصرين التى تتحدث عن (منهج أهل السنة والجماعة)، و (وأصول أهل السنة)، و (عقيدة الفرقة الناجية)، و (العقيدة الصحيحة)، و (مجمل أصول أهل السنة والجماعة). وخصائص....، ومميزات......، لرأى الهول والجهل معا ووقف على أنواع من التشدد كادت أن تأتى على الاخضر واليابس. وينبغى على العقلاء كشف أوضار وأخطار هؤلاء الجهلة ومن على شاكلتهم من المتاجرين بالخلاف بين المسلمين. وإن المرء لا يعجب ممن يأخذ بأحد الرأيين، ولكنه لا ينقضى عجبه ممن يتبع أحد هذين الرأيين، ثم يجعل ما اتبعه هو الحق الذى يجب المصير إليه ويجعل من اختيار الآخرين للرأى الآخر برهان كونهم مبتدعة يجب مفارقتهم ويجب... ويجب...، فقل لى بربك أي عالم من علماء الامة يقر هذا المسلك المتخلف العجيب، ولطالما اتهم كثير من عباد الله الصالحين بالابتداع وغيره، وعند المحاققة تجد الحق معهم والجهل مع غيرهم، فإلى الله المشتكى مما ال إليه أمر المسلمين. والنصيحة لاخواني المتشددين في هذا الباب توجب علي أن أذكر بعض النصوص التى تؤيد الحق الذى ذكرته وعنيت بان تكون للمانعين من التوسل:



١ ـ قال الشيخ حسين بن غنام الاحسائي[١] في (روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام): (العاشرة) قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين، وقول أحمد يتوسل بالنبي ﷺ خاصة مع قولهم أنه لا يستغاث بمخلوق، فالفرق ظاهر جداً وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعضهم يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ، و (وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه لما[٢]، هذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد. ا هـ. انتهى من كتاب (السهسوانى) (ص١٨٣).

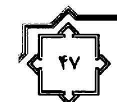
٢ ـ قال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق النجدي: مسألة التوسل بالنبي ﷺ وهو أن يقول القائل: اللهم إنى أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ، فهي مسالة مشهورة والكلام فيها معروف عند أهل العلم، فطائفة من العلماء منعوا من ذلك سواء توسل بالنبي ﷺ أو بغيره، وطائفة جوزوا ذلك بالنبي ﷺ لا بغيره[٣]، واستدل هؤلاء بما روى الترمذي والنسائي أن النبي ﷺ علّم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «**اللهم إنى اسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا رسول الله إنى أتوسل بك إلى ربى في حاجتى ليقضيها، اللهم فشفعه في**»، فاستدلوا بهذا الحديث على جواز التوسل به ﷺ في حياته وبعد مماته، وقالوا: ليس في التوسل به ﷺ دعاء للمخلوق والاستغاثة به، وإنما هو دعاء ولكن فيه بجاهه ﷺ، قالوا: وهذه مثل قوله فيما رواه ابن ماجه في دعاء الخارج

---

١ . من أصحاب محمد بن عبد الوهاب، وكتابه المذكور مطبوع. انظر: روضة الناظرين: ١ / ٧٨

٢ . قوله: (وأكثر العلماء) ربما يعنى الشيخ (علماء مخصوصين عنده)، والصواب أن جماهير علماء الامة على جوازه، والشيخ مالكى وأهل مذهبه متفقون على جواز التوسل بالنبي ﷺ ولا يحفظ عن أحد من المالكية قول بكراهية التوسل بالنبي ﷺ كما حققه شيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري قدس الله سره في الرد المحكم المتين (ص٨٩ ـ ٩١)

٣ . لم يذكر الشيخ من جوز التوسل بالنبي ﷺ وبغيره من الانبياء والاولياء. فتدبر.



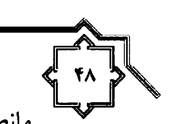
إلى الصلاة: «**اللهم إني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج إشراً ولا بطراً خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». هذا حاصل ما استدل به المجوزون للتوسل به ﷺ. وأما المانعون من ذلك فيقولون: إن صح الحديث فليس فيه دليل على جواز التوسل به ﷺ بعد مماته، وإنما فيه جواز ذلك في حياته بحضوره، قالوا: والدليل على صحة ما قلناه أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس رضي الله عنه، فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل بعم نبيك فاسقنا فيسقون. ولو كان التوسل به ﷺ بعد مماته مشروعة لما عدل عمر عن النبي ﷺ إلى العباس، هذا ما ذكره العلماء في هذه المسألة[1]. ونحن وإن قلنا بالمنع من التوسل به ﷺ بهذا اللفظ أو نحوه لما نعتقده من أصحية المنع، فنحن مع ذلك لا نشدد في ذلك على من فعله مستدلا بالحديث فضلا عن أن نكفره. اهـ (ص٣٣ـ ٣٤).

٣ ـ وسئل محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء (لا بأس بالتوسل بالصالحين) وقول أحمد: يتوسل بالنبي ﷺ خاصة مع قولهم: (إنه لا يستغاث بمخلوق) فأجاب بكلام منه قوله: فهذه المسألة من مسائل الفقه وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور[2]: إنه مكروه، فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد.. الخ انظر فتاوى ابن عبد الوهاب (٣ / ٦٨).

---

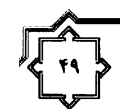
١ . قد تقدم أن غاية استدلاله هو استدلال بالترك، وأجيب بأن الترك يدل على جواز ترك المتروك فقط، على أن الصحابة توسلوا بالنبي ﷺ بعد انتقاله كما في اثار عن بلال بن الحارث وابن عمر وعائشة والتوسل بالعباس توسل بذاته وبدعائه كما تقدم.

٢ . بل العكس هو الصحيح فالجمهور على الجواز أو الندب وفي الفروع لابن مفلح الحنبلي (١ / ٥٩٥) ما نصه: (ويجوز التوسل بصالح وقيل يستحب، قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي: (إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره). اهـ (*)



٤ ـ وقال القنوجى في باب آداب الدعاء من كتاب (نزل الابـرار) (ص٣٧) مانصه: ومنها التوسل إلى الله سبحانه بالانبياء، ويدل عليه ما أخرجـه الترمـذي من حديث عثمان بن حنيف ـ وذكر حـديث توسـل الـضرير ـ ثـم قـال: ومنهـا التوسل بالصالحين ويدل له ما ثبت في الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعبـاس عم رسول الله ﷺ ثم قال: ومسألة التوسل بالانبياء والصالحين مما اختلف فيـه أهل العلم اختلافا شديدا بلغت النوبة إلى أن كفر بعضهم بعضا أو بدع وضلل. والامر أيسر من ذلك وأهون مما هنالك، وقد قضى الوطر منهـا صـاحب كتـاب (الـدين الخـالص)، والعلامـة الـشوكاني في (الـدر الـنضيد في إخـلاص كلمـة التوحيد)، وحاصلها: جواز التوسل بهم على ما ورد من الهيئـات وعـلى القـصر على ما في الروايات، ولا يقاس عليه ولا يزاد عليه شيء، ولا نشك أن من لا يرى التوسل إخلاصا لله ليس عليه إثم ولا وزر، ومن توسل فما أساء، بل جاء بما هو جائز في الجملة، وكذلك ثبت التوسل بالاعمال الصالحة كما سبقت الاشارة إليـه فيما تقدم، وبالجملة ليست المسالة مستحقة لمثل تلك الزلازل والقلاقـل، ولكـن مفاسد الجهل والتعصب ومساوئ التقليد والتعسف لا تحصى. اهـ.

ولا بأس أن ألفت نظر القارئ الكريم لنوع من رسائل التهويـل والتـضليل والتعدى على المسلمين ـ وما أكثرها ـ من هذه الرسائل رسالة باسم (وقفات مع كتاب للدعاة فقط) يعيب المؤلف فيها على صاحب كتاب (للدعاة فقط) مـسائل منها قول الامام حسن البنا رحمه الله: (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله تعـالى بأحـد من خلقـه خـلاف فرعـى في كيفيـة الـدعاء، ولـيس مـن مـسائل العقيـدة). اهـ (ص٢٥). وهـذا حـق لا مريـة فيـه، ومنكـره منكـر للمحـسوس ومكـابر في الضروريات، ولان صاحب الرسالة المذكورة وقف عـلى بعـض الرسـائل التـى ترشح بالتهويل والتضليل وتعميق الخلاف بين المسلمين جرى المسكين في فلـك



هذه الرسائل فأبرق لمن يفتيه وفق مراده، فافاده بعضهم[١] بقوله المضحك المبكي: التوسل في الدعاء بذوات الصالحين أو حقهم أو جاههم يعتبر أمرا مبتدعا ووسيلة من وسائل الشرك والخلاف فيه يعتبر خلافا في مسائل العقيدة لا في مسائل الفروع، لان الدعاء فيه أعظم أنواع العبادة ولا يجوز فيه إلا ما ورد في الكتاب والسنة.... إلخ (ص٣١ ـ ٣٢).

قلت: لا يخفى أن الاحاديث والآثار الصحيحة والحسنة ترد قوله، ولو استحضر هذا المجيب حديثا واحدا منها، وليكن حديث توسل الاعمى بالنبي ﷺ واستعمال عثمان بن حنيف له وزيادة حماد بن سلمة الصحيحة وكان مع استحضاره منصفا وترك تقليد غيره لاعرض عما تفوه به، فإن أبى ترك التقليد فاولى به تقليد إمامه في توسله بالنبي ﷺ وجماعة من السلف كما نقله ابن تيمية في التوسل والوسيلة ص٦٥، ٩٨ فإذا كان أحمد وجماعة من السلف لا يعرفون الشرك ووسائله وعرفه هذا المستدرك عليهم فليكن ما عرفه هو سب السلف وأئمة الدين ورميهم بالعظائم لاغير. نعم الدعاء من أعظم أنواع العبادة، كلمة حق أريد بها باطل، لكن المتوسل لا يدعو إلا الله جل وعز، ولكنه اتباعا لقول بقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ توسل في دعائه. وهذه الوسيلة مختلف في بعض أنواعها منها ما يجوز، ومنها ما لا يجوز فالامر فيه خلاف وهو ضعيف، ومحل هذا الخلاف موضوع علم الفقه، أما علم العقيدة أو التوحيد فيتكلم في الالهيات والنبويات والسمعيات، فلا معنى لادخال بحث التوسل في العقيدة وبون كبير بين العلمين. ومن جملة ما استدل به في جوابه قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. وهذا استدلال عجيب لانه استدل بخارج عن النزاع أجنبي عنه وتقدم

١ . هو صالح الفوزان.



جواب مسكت لامثال هؤلاء عن العلامة الشوكاني، والآية الاولى فيها طلب دعاء الله تعالى، والثانية فيها حث على الدعاء مع الاخلاص، أما التوسل فهو اتخاذ قربة لله رغبة في إجابة الدعاء، وهذه القربة على أنواع كما هو معلوم فلا تنافي باي وجه مع الايتين، بل التوسل يوافقهما من حيث أنه يدعو الله تعالى ولا يدعو غيره. ثم رأيت المجيب يقول في رسالة له مطبوعة باسم (تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهبا) عن التوسل: إنها لمسالة خطيرة تمس العقيدة وتجر إلى الشرك، فكيف تكون هينة. ا هـ.

قلت: هون على نفسك يا شيخ، فإذا كان التوسل يجر إلى الشرك فقل لى بربك هؤلاء الاءئمة الذين توسلوا بالنبي ﷺ أحمد وغيره من السلف ومن بعدهم هل علمت أنهم انجروا إلى الشرك حاشاهم من ذلك وهم أئمة الدين. وكلامك يعنى أن التوسل يستلزم بالضرورة الانجرار للشرك وهو لازم باطل لا ينكره إلا مكابر. وهذا الرجل[١] الذى يتشدد هنا التشدد الممقوت ـ ويخالف

١ . هو صالح الفوزان، ودعوى البدعة والشرك عنده سهلة جدا، حتى أنني رأيت منسكا له عد فيه الدعاء عند القبر الشريف من الاخطاء العظيمه لانه (وإن كان الداعي لا يدعو إلا الله) بدعة ووسيلة إلى الشرك. كذا في منسكه (ص٥٢) وغير خفى أن الدعاء عند القبر الشريف تضافرت النقول عليه عن السلف والخلف وابن تيمية ذكر ذلك عن جماعات في رده على الاخنائى (ص٣٧ ـ ٣٨) فانظره. ثم رأيت أن اتحف القارئ الكريم بهذه الفائدة من معجم الشيوخ للحافظ الذهبي الذى قال في (١ / ٧٣ ـ ٧٤) مانصه: (عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: (أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ قلت: كره ذلك لانه راه إساءة أدب. وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي وتقبيله فلم ير بذلك إساءة أدب. وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوى وتقبيله فلم ير بذلك باسا، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد. فإن قيل: فهلا فعل ذلك الصحابة قيل: لانهم عاينوه وتملوا به وقبلوا يده وكادوا يقتتلون على وضوئه واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الاكبر، وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه. ونحن فلما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الاوفر ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل. ألا ترى كيف فعل ثابت البناني، كان يقبل يد أنس بن مالك ويضعها على وجهه

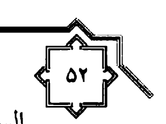
←



مذهبه ـ في أمر فرعى، تجده في مكان اخر يتساهل في محض الاعتقاد تساهلا مذموما فتجده يقول في رسالته المذكورة تعقيبا على من نقل الاجماع على بقاء النار فقال: وتعقيبنا عليه من وجهين: الوجه الاول: أنه لم يحصل إجماع على تخطئة القول بفناء النار وعده من البدع كما زعم. فالمسالة خلافية، وإن كان الجمهور لا يرون القول بذلك، لكنه لم يتم إجماع على إنكاره، وإنما هو من المسائل الخلافية التى لا يبدع فيها. الوجه الثاني: أن الذين قالوا بفنائها استدلوا بادلة من القران والسنة، وبقطع النظر عن صحة استدلالهم بها أو عدم صحته، فإن هذا القول لا يعتبر من البدع ما دام أن أصحابه يستدلون له، لان البدع ما ليس لها دليل أصلا، وغاية ما يقال إنه قول خطا أو رأى غير صواب ولا يقال بدعة، وليس قصدي الدفاع عن هذا القول، ولكن قصدي بيان أنه ليس بدعة ولا ينطبق عليه ضابط البدعة، وهو من المسائل الخلافية. ا هـ (ص٣٩ ـ ٤٠).

قلت: وغير خفى على اللبيب والبليد أن كلامه نهاية في البطلان والتعصب، وأن القول بفناء النار هو قول المبتدعة من جهمية المعتزلة، وأن من يعتد به في الاجماع من الائمة فارق هذا القول وخالفه، وقد قال الطحاوي: (والجنة والنار مخلوقتان أبدا لا تفنيان ولا تبيدان). ا هـ (ص٤٧٦ مع الشرح).

ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ. وهذه الامور لا يحركها من المسلم إلا فرط حبه للنبى ﷺ، إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنة وحورها، بل خلق من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر اكثر من حب أنفسهم. (*)حكى لنا جندار أنه كان بجبل البقاع فسمع رجلا سب أبا بكر فسل سيفه وضرب عنقه، ولو كان سمعه يسبه أو يسب أباه لما استباح دمه. ألا ترى الصحابة في فرط حبهم للنبى ﷺ قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: لا، فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتوقير لا سجود عبادة كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف. وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتجليل لا يكفر به أصلا بل يكون عاصيا فليعرف أن هذا منهى عنه، وكذلك الصلاة إلى القبر). انتهى كلام الذهبي. (*)

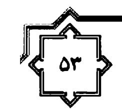


وبسط الرد على هذه البدعة في كتاب (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) للتقى السبكى، و (رفع الاستار لابطال أدلة القائلين بفناء النار) للامير الصنعانى وقد طبعا. وصفوة القول: أنه تشدد فيما هو سهل، وتساهل في أمر الاعتقاد، وما أرى ذلك إلا بسبب اتباع الهوى والانتصار للاشخاص لا غير، وهذا هو الغلو الذى قاموا وقعدوا ولفوا وداروا حوله ووقعوا في أئمة الدين بسببه، فلله الأمر من قبل ومن بعد نعوذ بالله من الهوى والمناكدة، وان كل متمسك بالحق خلا قلبه من شوائب العصبيات والأهواء ليبرأ إلى الله تعالى من التلاعب بالدين.

***

وإذا كان صاحب رسالة (وقفات مع كتاب للدعاة فقط) قد اعتمد على غيره، فإن أبا بكر الجزائري قد اعتمد على نفسه، فزاد الطين بلة وكفر قسطا وافراً من المسلمين فقال ما نصه: إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم والتوسل بجاههم لم يكن في دين الله تعالى قربة ولا عملا صالحا فيتوسل به أبدا، وإنما كان شركا في عبادة الله محرما يخرج فاعله من الدين ويوجب له الخلود في جهنم. انتهى بحروفه من كتابه (عقيدة المؤمن) (ص١٤٤).

والصحيح أن المؤمن لا يعتقد ذلك في إخوانه المؤمنين الذين يعتقدون ألا مؤثر إلا الله عزوجل، وغاية عملهم أنهم علموا منزلة النبي ﷺ عند ربه فتوسلوا به واتبعوا الادلة الصحيحة، وقد تأسوا في ذلك بالصحابة ﭫ. وقد أخطأ أبو بكر الجزائري فكفر عباد الله الصالحين، وهذا التكفير الجزاف لا ارتباط له بكتاب أو سنة ولا بما عليه السواد الاعظم، ولم يقل ذو عقل ودين بمقولته الفاسدة إلا من كان على رأى الخوارج نسأل الله العافية. وللاسف قد طبع كتابه مرات، وليتامل القارى المنصف كم من المسلمين فتنوا بهذا الباطل والله المستعان. ولابد أن يفرق المنصف بين وقوع الفعل في حدود ما أباحه

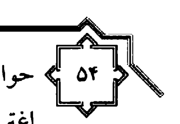


الشارع ووقوعه إذا خرج عن المحدود وإن كان جائزا في نفسه، فلا يعنى وقوع بعض الالفاظ المتوهمة من العوام ضرورة منع الاصل الذى أباحه السرع. فتدبر.

* * *

وإذا كان أبو بكر الجزائري قد تفوه بالتكفير، فهناك آخر هو محمد صالح العثيمين الذى أصر على اعتبار التوسل من مباحث الاعتقاد واستدل على مقولته بما لم يصرح به مسلم فقال: (وبالنسبة للتوسل فهو داخل في العقيدة لان المتوسل يعتقد أن لهذه الوسيلة تأثيرا في حصول مطلوبه ودفع مكروهه، فهو في الحقيقة من مسائل العقيدة، لان الانسان لا يتوسل بشئ إلا وهو يعتقد أن له تأثيرا فيما يريد) اه من فتاوى ابن عثيمين (٣ / ١٠٠) كما نقله عنه جامع (فتاوى مهمه لعموم الامه).

قلت: اثبت العرش ثم انقش، فمن الذى أطلعك على ما في صدور المتوسلين حتى تصرح بهذه المقولة الشنيعة. إن ماقاله مناف للاعتقاد تماما فكل مسلم يعتقد اعتقادا جازما أن الله جل وعز هو النافع وهو الضار وأن المؤثر الحقيقي هو الله وأنه وحده مسبب الاسباب فلا فاعل إلا الله ولا خالق سواه واليه يرجع الامر كله. وغاية ما في المتوسل أن يقول: اللهم إنى أسالك أو أتوسل إليك بنبيك ﷺ مثلا. فالمتوسل سأل الله تعالى ولم يسال سواه، ولم ينسب إلى المتوسل به تأثيرا أو فعلا أو خلقا وانما أثبت له القربة والمنزلة عند الله تعالى، وتلك المنزلة ثابتة له في الدنيا والآخرة وإليه نذهب يوم القيامة طلبا للشفاعة. ومن اعتقد أن إخوانه المسلمين يعتقدون أن المتوسل به له تأثير فيكون قد كفرهم، ونصب نفسه مقام العارف بما في الصدور، وهذه فتاوى يضحك بها هؤلاء على البسطاء ليوضحوا لهم أن المتوسلين من جلدة أخرى وكلام العثيمين ينسحب إلى التوسل كله، والحق يقال: إنه كلام لا علاقة له بالعلم، وكم من



حوادث وفتن تتبع هذه الفتاوى، وكم من جاهل كفر أبويه أو أهل خطته بسبب اغتراره بمثل هذه الفتاوى، ولو تمهل المفتي وفكر قليلا لادرك سخف مقولته. والعجب أنه أطلق وما قيد، فهل للعمل الصالح المتوسل به تأثيرا بذاته. ومحال أن الصحابة اعتقدوا هذا الاعتقاد في النبي ﷺ والعباس ويزيد عندما توسلوا بهم، ومحال أن يعتقد السلف ومنهم الامام أحمد الذين توسلوا بالنبي ﷺ (كما صرح به ابن تيمية في التوسل والوسيلة ص٩٨) هذا الاعتقاد الفاسد.

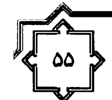
والحنابلة يجوزون أو يستحبون التوسل بالنبي ﷺ كما صرح إمامهم ابن قدامة بذلك في المغنى، فهل يراهم يعتقدون مثل هذا الاعتقاد؟!! إن من الافات المردية التسرع في رمى العباد بالعظائم، والحاصل أن ماقاله العثيمين لا يصلح دليلا على ما ادعى بل هو مما يدوم ضرره لأنّ آثاره نراها دارجة تفرق بين المسلمين نسال الله لنا جميعا الهداية والتوفيق، ولو حسن الشيخ الظن بإخوانه المسلمين لكان له موقف آخر. وليكن هذا اخر الكلام على مبحث التوسل، والحمد لله أولا واخرا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه.

المقدمة الثانية: في الكلام على الزيارة

كلام الأئمة الفقهاء في استحباب أو وجوب زيارة القبر الشريف

قال الإمام ـ المجمع على علمه وفضله ـ أبو زكريا النووي رحمه الله:

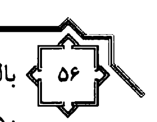
(واعلم أن زيارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعى، فإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة استحب لهم استحبابا متأكدا أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ وينوى الزائر من الزيارة التقرب وشد الرحل إليه والصلاة فيه) اهـ (المجموع: ٨/ ٢٠٤).



وقال أيضا في الايضاح في مناسك الحج: إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعى، وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**». ا هـ (ص٢١٤). وعلق الفقيه ابن حجر الهيثمى على الحديث، فقال في حاشية الإيضاح: الحديث يشمل زيارته ﷺ حيا وميتا، ويشمل الذكر والانثى الآتى من قرب أو بعد، فيستدل به على فضيلة شد الرحال لذلك وندب السفر للزيارة إذ للوسائل حكم المقاصد. اهـ (ص٢١٤ حاشية الايضاح). وقال الامام المحقق الكمال ابن الهمام الحنفي في شرح فتح القدير: المقصد الثالث في زيارة قبر النبي ﷺ قال: مشايخنا رحمهم الله تعالى من أفضل المندوبات، وفى مناسك الفارس وشرح المختار: إنها قريبة من الوجوب لمن له سعة، ثم قال بعد كلام ما نصه: والاولى فيما يقع عند العبد الضعيف تجريد النية لزيارة قبر النبي ﷺ ثم إذا حصل له إذا قدم زيارة المسجد أو يستفتح فضل الله سبحانه في مرة أخرى ينويهما فيها، لان في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله. ا هـ (٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

وعلق عليه العلامة الكشميري فقال: وهو الحق عندي، فإن آلاف الألوف من السلف كانوا يشدون رحالهم لزيارة النبي ﷺ ويزعمونها من أعظم القربات وتجريد نياتهم إنها كانت للمسجد دون الروضة المباركة باطل بل كانوا ينوون زيارة قبر النبي ﷺ قطعا. ا هـ (فيض الباري: ٢ / ٤٣٣).

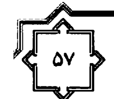
قلت: كلامه رحمه الله صواب وجيد وكيف لا يكون كذلك وقد تركوا ثواب مائة ألف صلاة في مكة المكرمة وبذلوا النفس والنفيس وسافروا أترى لماذا؟ لماذا تركوا بلدا قال فيها رسول الله ﷺ: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله. هل تركوا ذلك من أجل زيارة المسجد كما يقولون؟ كلا ولو استظهروا



بالثقلين لخالفوهم ولقالوا: إنما شدوا الرحال لزيارة الحبيب المصطفى ﷺ. وفى رد المحتار إلى الدر المختار: (قوله مندوبة): أي بإجماع المسلمين كما في اللباب، قوله: (بل قيل واجبة) ذكره في شرح اللباب، وقال كما بينته في (الدرة النبوية في الزيارة المصطفوية) وذكره أيضا الخير الرملي في حاشية المنح عن ابن حجر قال وانتصر له، نعم عبارة اللباب والفتح وشرح المختار إنها قريبة من الوجوب لمن له سعة، وقد ذكر في الفتح ما ورد في فضل الزيارة وذكر كيفيتها وادابها وأطال في ذلك وكذا في شرح المختار واللباب. ا هـ. قوله: (ويبدأ... إلخ). قال في شرح اللباب: وقد روى الحسن عن أبى حنيفة أنه إذا كان الحج فرضا، فالاحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يثنى بالزيارة وإن بدأ بالزيارة جاز. ا هـ (رد المحتار إلى الدر المختار: ٢ / ٢٥٧).

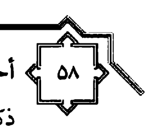
وقال على القارى: وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر، ولعل الثاني أقرب الصواب لأنّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا، لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب. ا هـ (٢ / ٥١٤ من شرح الشفا بهامش نسيم الرياض).

وقال القاضى عياض في الشفا (٢ / ٧٤): فصل في حكم زيارة قبره ﷺ وفضيلة من زاره وسلم عليه، وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها. اهـ. وقال في موضع آخر (٢ / ٧٥) نقلا عن ابن عبد البر: الزيارة مباحة بين الناس، وواجب شد المطى إلى قبره ﷺ قال عياض: يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض. ا هـ وقال العلامة الدردير في الشرح: وندب زيارة النبي ﷺ وهى من أعظم القربات. ا هـ)٢ / ٣٨١).



وقال محقق مذهب الحنابلة أبو محمد بن قدامة المقدسي: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر فال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**». وفى رواية: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**». رواه باللفظ الاول سعيد ثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر، وقال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد ابن قسيط عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يسلم على عند قبري إلا رد الله على روحي حتى أردّ عليه السلام**». وإذا حج الذى لم يحج قط يعنى من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة لانى أخاف أن يحدث به حدث فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره، ويروى عن العتبى قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء إعرابى فقال: السلام عليك يا رسول سمعت الله يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربى ثم أنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكم نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم ثم انصرف الاعرابى فحملتني عينى فنمت فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي ألحق الاعرابي فبشره إن الله غفر له. اهـ (المغنى: ٣/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩).

وقال أبو الفرج ابن قدامة الحنبلي في الشرح الكبير: مسألة: (فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما). تستحب زيارة قبر النبي ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**»، وفى رواية: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» رواه باللفظ الاول سعيد، وقال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد بن قسيط عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من

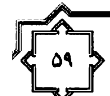


أحد يسلم على عند قبري إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام». اهـ. ثم ذكر قصة العتبى التى تقدمت (الشرح الكبير: ٣ / ٤٩٤).

وقال الشيخ منصور البهوتى في كشاف القناع: فصل: وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة النبي ﷺ، وقبر صاحبيه أبى بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**». وفى رواية «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» رواه باللفظ الاول سعيد. تنبيه: قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شد الرحال إليها لان زيارته للحاج بعد حجة لا تمكن بدون شد الرحل، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته ﷺ (٢ / ٥١٤ ـ ٥١٥)، وذكر قصة العتبى التى تقدم ذكرها.

وفى متن المقنع: إذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ وزيارة قبر صاحبيه رضي الله عنهما (٢ / ٢٥٨ مع المبدع). وكذا في المبدع شرح المقنع لابن مفلح، وقرر عليه وزاد بذكر قصة العتبى (٢ / ٢٥٨ ـ ٢٦٠). وقال أبو الحسن المرداوى في الانصاف (٤ / ٥٣): (قوله فإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه). هذا المذهب وعليه الاصحاب قاطبة متقدمهم ومتأخرهم). اهـ وفى زاد المستقنع مختصر المقنع: (ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ، وقبر صاحبيه رضي الله عنهما). اط (الروض المربع ص١٥٢).

هذا حاصل ما للسادة فقهاء المذاهب الاربعة في مسألة الزيارة، وقد علمت مما سبق إتفاقهم على طلب الزيارة وجوبا وندبا، وتسابقوا في ذكر تأكيدها وجريان عمل المسلمين على ذلك. وفيما ذكر كفاية لمن كان من أهل العناية، وسلم لاولى الفقه وعرف قدره ووقف عنده. أما من رغب في معرفة الدليل فإنهم استدلوا على مطلوبهم بالكتاب والسنة والاجماع: أولا ـ الدليل من



الكتاب: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾. وهذه الاية تشمل حالتي الحياة وبعد الانتقال، ومن أراد تخصيصها بحال الحياة، فما أصاب لان الفعل في سياق الشرط يفيد العموم وأعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشرط كما في إرشاد الفحول (ص١٢٢).

وقال شيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري ﷺ: فهذه الاية عامة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل وهو مفقود هنا، فإن قيل من أين أتى العموم حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل؟ قلنا من وقوع الفعل في سياق الشرط والقاعدة المقررة في الاصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاما لان الفعل في معنى النكرة لتضمنه مصدرا منكرا والنكرة الواقعة في سياق النفى أو الشرط تكون للعموم وضعا. انتهى من الرد المحكم المتين (ص٤٤).

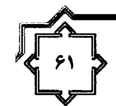
فالآية الشريفة طالبة للمجئ إليه ﷺ في جميع الحالات لوقوع (جاؤك) فيها في حيز الشرط الذى يدل على العموم. وقد فهم المفسرون من الآية العموم، ولذلك تراهم يذكرون معها حكاية العتبى الذى جاء للقبر الشريف، فقال ابن كثير في تفسيره (٢ / ٣٠٦): وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو النصر الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبى قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربى ثم أنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع واسم نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم ثم انصرف الاعرابي فغلبتني عينى فرأيت

النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبى ألحق الاعرابي فبشّره أن الله قد غفر لـه. اهـ[1].
وهى حكاية غير صحيحة الاسناد، لكن محل ذكرها هو بيان أن العلماء ذكروها استئناسا لبيان أن الآية تفيد العموم. وحديث عرض الاعمال يؤيد الاستدلال بهذه الاية وهو قوله ﷺ: «**حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم وتعرض عليّ أعمالكم، فما وجدت خيرا حمدت الله وما وجدت غير ذلك استغفرت لكم**». وهو حديث صحيح سيأتي إن شاء الله تعالى. ومع عموم الاية الذى لا يرتاب فيه مرتاب أغرب ابن عبد الهادى فقال: ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجئ إليه في حياته ليستغفر لهم. اهـ (ص٤٢٥ من الصارم المنكى).

قلت: عجبت ولا ينقضي عجبى من ابن عبد الهادى ﵀، فهو يشهد شهادة نفى على السلف والخلف، فلم يكفه السلف بل تعدى إلى الخلف، ونظرة إلى كتب التفاسير والفقه والمناسك التى بين أيدينا تجدهم يذكرون هذه الاية عند

---

١. وقد ذكر قصة العتبى الامام المجمع على فضله وعلمه يحيى بن شرف النووي الشافعي ﵀ في كتابه «الاذكار»، ولكن خلع «المحقق» ربقة الامانة فحذف قصة العتبى في الطبعة التى حققها لحساب دار الهدى بالرياض سنة ١٤٠٩. ولم يكتف بهذا التحريف فله نظائر أخرى منها: قال الامام النووي في الاذكار: «فصل» في زيارة قبر رسول الله ﷺ وأذكارها: اعلم انه ينبغى لكل من حج أن يتوجه إلى زيارة رسول الله ﷺ سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن فإنّ زيارته ﷺ من أهم القربات وأربح المساعى وافضل الطلبات.... إلخ. هذه عبارة الامام النووي، ولكن المحقق حرّف عبارة النووي، وهذا نص تحريفه (ص٢٩٥): «فصل في زيارة مسجد رسول الله ﷺ: اعلم أنه يستحب من أراد زيارة مسجد رسول الله ﷺ أن يكثر من الصلاة عليه ﷺ... إلخ. فليتق الله هؤلاء المتلاعبون وانظر إلى نصرة الباطل بالباطل، فالرجل أيد الباطل وكذب على النووي وعلى مذهب الشافعي وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»، وقد نبه على هذه الفرية وأمثالها أخونا العلامة السيد حسن بن على السقاف باعلوى أيده الله تعالى في كتابه «الاغاثة» (ص١٦ ـ ١٨).



الكلام على الزيارة، ولو استحضر ابن عبد الهادى رحمه الله كتب مذهبه واستدلال فقهاء الحنابلة بالآية لما صرح بقوله المذكور، ولكن حبك للشئ يعمى ويصم. وما زال الحجاج على مدى قرون عديدة يأتون للزيارة قبل أو بعد المناسك متشرفين بالوقوف بين يدى المصطفى ﷺ يسلمون عليه فيرد عليهم السلام ويدعون ويستغفرون، وهذا يكفى لرد دعواه. ثم الواجب على المسلم أن يعمل بالدليل الذى صح ولا ينظر هل عمل به أم لا؟ وتوقفه عن العمل بسبب هذه الشائبة فيه افتئات على الشرع، وتوقف في العمل بالدليل لعارض متوهم، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. ولم يتقرر بعد توقف العمل بالدليل إلا بعد حصر من عمل به ولم يعمل، لا تجد هذا إلا في مخيلة من يدفع بالصدر فقط. والحاصل أن التخصيص لا يكون إلا بحجة، ولا حجة هنا في عرف الشرع، وأجاد العلامة أبو بكر المراغى فقال رحمه الله في عموم هذه الاية: وينبغى لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾. لان تعظيمه ﷺ لا ينقطع بموته ولا يقال: إن استغفار الرسول ﷺ إنما هو في حال حياته، وليست الزيارة كذلك لما أجاب به بعض العلماء المحققين أن الاية دلت على تعليق وجدان الله توابا رحيما بثلاثة أمور: المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول لهم. وقد حصل استغفار الرسول ﷺ لجميع المؤمنين لانه ﷺ قد استغفر للجميع. قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ آية ١٩ سورة محمد ﷺ. فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته، وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي، وأوجبها الظاهرية،



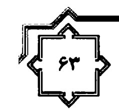
فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق. اهـ (ص١٠٢ ـ ٢٠٣).
وأصل الكلام في «شفاء السقام في زيارة خير الانام» للتقي السبكي.

* * *

وقد اعترض محمد بن صالح العثيمين على الاستدلال بالآية المذكورة فقال في فتاويه (١ / ٨٩) مانصه: (إذ) هذه ظرف لما مضى وليست ظرفا للمستقبل لم يقل الله: ولو أنهم إذا ظلموا بل قال: ﴿إِذ ظَلَمُوا﴾ فالاية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر لانه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كا قال الرسول ﷺ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له، فلا يمكن للانسان بعد موته أن يستغفر لاحد بل ولا يستغفر لنفسه أيضا لان العمل انقطع. انتهى. قلت: هذا إقدام جرئ من العثيمين نسأل الله العافية. وإليك تفنيده بالآتي: أما قصره (إذ) على الزمن الماضي فقط ففيه نظر لان (إذ) كما تستعمل في الماضي فتستعمل أيضا في المستقبل، ولها معان أخرى ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب (١ / ٨٠ ـ ٨٣).

وقد نص على أن (إذ) تستعمل للمستقبل: الازهرى فقال في تهذيب اللغة (١٥ / ٤٧): العرب تضع (إذ) للمستقبل و (إذا) للماضي قال الله عزوجل (ولو ترى (إذ) فزعوا) (سبأ: ١٥١).

قلت: ومن استعمال إذ للمستقبل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ (الانعام اية ٢٧). ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (الانعام: ٣٠). ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (الانعام: ٩٣). ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (السجدة: ١٢). قوله: واستغفار الرسول ﷺ متعذر لانه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث اهـ.



قلت: استغفار سيدنا رسول الله ﷺ غير متعذر لأمور: الاول: قد صح أن النبي ﷺ قال: «**الانبياء أحياء في قبورهم يصلون**» أخرجه البيهقي في حياة الانبياء (ص١٥). وأبو يعلى في مسنده (٦ / ١٤٧)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢ / ٤٤) وابن عدى في الكامل (٢ / ٧٣٩).

وقال الهيثمى في المجمع (٨ / ٢١١): ورجال أبى يعلى ثقات. اهـ والحديث له طرق.

وقال رسول الله ﷺ: «**مررت على موسى وهو قائم يصلي في قبره**» أخرجه مسلم (٤ / ١٨٤٥) وأحمد (٣ / ١٢٠) والبغوى في شرح السنة (١٣ / ٣٥١) وغيرهم. وقال ابن القيم في نونيته عند الكلام على حياة الرسل بعد مماتهم (النونية مع شرح ابن عيسى ٢ / ١٦٠).

والرسل أكمل حالة منه[١] بلا شك وهذا ظاهر التبيان فلذاك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا بالعقل والبرهان وبان عقد نكاحه لم ينفسخ فنساؤه في عصمة وصيان ولأجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الازمان أفليس في هذا دليل أنه حى لمن كانت له أذنان الثاني: ثبت أن النبي ﷺ قد صلى إماما بالانبياء عليهم السلام في الاسراء وهذا متواتر، وكانوا قد ماتوا جميعا، وراجعه موسى عليه السلام في الصلوات ورأى غيره في السموات. فمن كان هذا حاله فكيف يتعذر عليه الاستغفار؟ والصلاة دعاء واستغفار وتضرع. الثالث: قد صح أن النبي ﷺ قال: «**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم**». وهو حديث صحيح وقال عنه الحافظ العراقى في طرح التثريب (٣ / ٢٩٧): إسناده جيد.

---

١ . أي الشهيد.



وقال الهيثمي (المجمع ٩ / ٢٤): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وصححه السيوطي في الخصائص (٢ / ٢٨١).

وكلام العراقى والهيثمي بالنسبة لاسناد البزار فقط، وإلا فالحديث صحيح كما قال الحافظ السيوطي وغيره وسيأتى الكلام على الحديث بتوسع إن شاء الله تعالى. الرابع: استغفار الرسول ﷺ حاصل لجميع المؤمنين سواء من أدرك حياته أو من لم يدركها قال الله تعالى ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وهذه منة من الله تعالى، وخصوصية من خصوصيات سيدنا رسول الله ﷺ. وقد علم مما سبق أن الامور الثلاثة المذكورة في الاية وهي: ١ ـ المجئ إليه ﷺ. ٢ ـ والاستغفار. ٣ ـ واستغفار الرسول ﷺ للمؤمنين هذه الثلاثة حاصلة في حياته وبعد انتقاله. ولا يقال: إن الآية وردت في أقوام معينين لا يقال ذلك لانه كما هو معروف «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب». ولذلك فهم المفسرون وغيرهم من الآية العموم واستحبوا لمن جاء إلى القبر الشريف أن يقرأ هذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ ويستغفر الله تعالى.

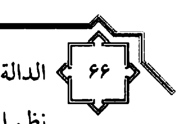
وهذه التفاسير بين أيدينا والمناسك التى صنفها علماء المذاهب كذلك وكلها تظهر صدق دعوى الاستدلال بالآية. ولماذا نذهب بعيدا فهذا العلامة أبو محمد ابن قدامة الحنبلى صاحب المغنى، الذى يقول فيه ابن تيمية: مادخل الشام بعد الاوزاعي أفقه من ابن قدامة. يذكر هذه الآية في المغنى (٣ / ٥٩٠) في صفة زيارة المصطفى ﷺ قد تقدم نحو ذلك في (ص٤٨).

فقد قال في صفة الزيارة مانصه: ثم تأتى القبر فتولى ظهرك وتستقبل وسطه وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبى الله وخيرته من خلقه... إلى أن قال بعد الثناء والصلاة على النبي ﷺ: اللهم إنك



قلت وقولك الحق ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبي مستشفعا بك إلى ربى فأسألك يا رب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أول الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الاخرين والاولين، برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم يدعو لوالديه ولاخوانه وللمسلمين أجمعين. انتهى باختصار. بقى الكلام على قول العثيمين: لانه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث. الخ قلت: سيدنا رسول الله ﷺ له من الكمالات والخصوصيات ما لم يصح لاحد وهذا قرره ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) وهو أحسن كتبه، وهو ﷺ في ترق وارتفاع إلى يوم الدين، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ومقرر في كتب الخصائص ودلائل النبوة والشفا وشروحه. فقد قال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**». أخرجه مسلم وغيره.

فجميع الاعمال الصالحة التى تصدر عن الامة المحمدية راجعة لدعوة رسول الله ﷺ فثوابها راجع إليه وهو ينتفع به قطعا من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئا. وفى هذا الصواب قال ابن تيمية في الفتاوى (١ / ١٩١): ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شئ**». ومحمد ﷺ هو الداعي إلى ما تفعله أمته من الخيرات، فما يفعلونه له فيه من الاجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شئ. انتهى كلام ابن تيمية. والحاصل أن ابن عثيمين زل فيما قال. نعوذ بالله من الكلام في كتاب الله بغير علم والتعدى على مقام سيدنا رسول الله ﷺ. ثانيا ـ الدليل من السنة، وهو ينقسم إلى قسمين: الاول: الاحاديث

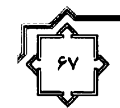


الدالة على مطلق الامر بزيارة القبور ولها ألفاظ متعددة بلغت حد التواتر كما في نظم المتناثر (ص٨٠ ـ ٨١)، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة (ص٩٧).

ومن أشهر ألفاظه قوله ﷺ: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الاخرة**». ومن ألفاظه «**فمن أراد أن يزور القبور فليزر ولا تقولوا هجرا**» أخرجه بهذا اللفظ النسائي في سننه (٤ / ٧٣) والفعل في سياق الشرط يفيد العموم ولا تجد مخصصا للحديث. وقبر سيدنا رسول الله ﷺ. سيد القبور مطلقا وأولاها بالزيارة.

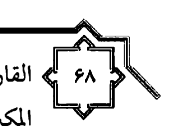
وهنا إشكال حاصله أنه قد حصل الاتفاق على جواز السفر لطلب العلم وصلة الارحام وزيارة الاخوة في الله والتجارة، فما الذى خص أحاديث زيارة القبور وجعل جوازها مقرونا بعدم السفر؟! لا شك أن من قيد الاحاديث التي فيها مطلق زيارة القبور يكون قد أبعد، فتدبر. إيقاظ لفظ «الزيارة» يلزم منه الانتقال من مكان لاخر، فالشارع يحض على الانتقال من مكان لآخر من أجل زيارة القبور. فإن قيل قد قال ابن تيمية في الرد على الاخنائى (ص٧٧).

قوله «**فزوروا القبور**» فالامر بمطلق الزيارة أو استحبابها أو اباحتها لا يستلزم السفر إلى ذلك لا استحبابه ولا اباحته اهـ. قلت: الحديث عام لا يخصصه شيء، وقد تقرر: أن الامر إذا ثبت ثبتت لوازمه. وعليه فإذا تعلقت الزيارة بانتقال سفر فلا يوجد ما يمنع من هذا السفر. ثم المرجع عند الاختلاف هو الشرع قال الله تعالى: **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** (النساء ٥٩). وقد سمى الشارع السفر زيارة، وهو نص لا يحتمل التأويل. فقد أخرج مسلم في صحيحه (٤ / ١٩٨٨) «**أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في تلك القرية قال: هل لك عليه**



من نعمة تربُّها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عزّ وجل. فقال: إني رسول الله إليك، بإن الله أحبك كما أحببته». فالشارع قد سمى السفر وهو الانتقال من قرية لاخرى زيارة وعليه فلفظ الزيارة يحتمل السفر وعدمه. وعليه فقصر لفظ الزيارة على أحد نوعيها وهو الزيارة التى بدون سفر تحكم في النص ومخالفة لاصول الشرع والله أعلم. فائدة: قال الحافظ أبو زرعة العراقى في طرح التثريب (٦ / ٤٣): وكان والدى (أي الحافظ الكبير ولى الله العراقى) ﷺ يحكى أنه كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحيم بن رجب الحنبلى في التوجه إلى بلد الخليل عليه السلام، فلما دنا من البلد قال: نويت الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحل لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية قال: فقلت: نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام ثم قلت له: أما أنت فقد خالفت النبي ﷺ لأنه قال: «**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» وقد شددت الرحل إلى مسجد رابع، وأما أنا فاتبعت النبي ﷺ لانه قال «**زوروا القبور**» أفقال: إلاّ قبور الأنبياء؟ قال: فبهت اهـ. والعراقي الكبير كان حافظا فقيها أصوليا فرحمة الله على الجميع. ولاشك أن من قيد الاحاديث التى فيها مطلق زيارة القبور يكون قد أبعد. فتدبر. الثاني: الاحاديث الدالة على زيارة قبره ﷺ بخصوصه، ومنها ما هو حسن بل صححه أو حسنه بعض الأئمة كابن السكن والسبكي والسيوطي وإلى الحسن تكاد تصرح عبارة الذهبي، ومن أحسنها ما روى من طريق موسى بن هلال العبدى عن عبد الله بن عمر العمرى وعبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**». والصواب: إثبات رواية العبدى للحديث عن العمرى المكبر والمصغر، والمكبر وإن كان فيه كلام لكنه حسن الحديث.

وقال ابن معين في حديثه عن نافع: صالح ثقة. ومما يجب أن نلفت نظر

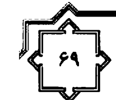


القارئ الكريم إليه إلى أن ابن عبد الهادى الذى حشد نصوص الجرح في العمرى المكبر قد حسن حديث العمرى هذا في تنقيح التحقيق (١ / ١٢٢)، والحجة في قول يحيى ابن معين إمام الجرح والتعديل وغيره من الائمة الذين قبلوا حديث العمرى. وموسى بن هلال العبدى روى عنه أئمة حفاظ وهو من شيوخ أحمد، وقد قال عنه الذهبي في الميزان (٤ / ٢٢٦): صالح الحديث، وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به. ومن أحاديث الزيارة ما هو صالح للاحتجاج على طريقة أبى داود السجستاني في سننه كما ستجده في مكانه إن شاء الله تعالى. وصفوة القول إن أحاديث زيارة القبر الشريف تصلح لاقامة صلب الدعوى ومن الجرأة الحكم عليها بالوضع كما زعم بعضهم. ثالثا ـ الاجماع: فقد نقله جماعة منهم القاضي عياض، فقال في الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (٢ / ٧٤): زيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها. ا هـ.

وقال الشوكاني في نيل الاوطار (٥ / ١١٠): واحتج أيضا من قال بالمشروعية بأنه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج في جميع الازمان على تباين الديار واختلاف المذاهب الوصول إلى المدينة المشرفة لقصد زيارته ويعدون ذلك من أفضل الاعمال فكان إجماعا. ا هـ.

وقال أبو الحسنات اللكنوى في «إبراز الغى الواقع في شفاء العى»: وأما نفس زيارة القبر النبوى فلم يذهب أحد من الأئمة وعلماء الملة إلى عصر ابن تيمية إلى عدم شرعيته بل اتفقوا على أنها من أفضل العبادات وأرفع الطاعات، واختلفوا في ندبها ووجوبها، فقال كثير منهم بأنها مندوبة، وقال بعض المالكية والظاهرية: إنها واجبة، وقال أكثر الحنفية: إنها قريب من الواجب، وقريب الواجب عندهم في حكم الواجب، وأول من خرق الاجماع فيه وأتى بشئ لم يسبق إليه عالم قبله هو ابن تيمية. ا هـ.

وقد أتى المعارض هنا بتمحلات وليس عنده ما يشفى ومن جملة تمحلاته أنه

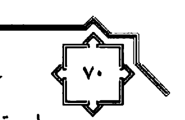


يعترف بالاجماع المذكور ولكنه حرف الكلم عن مواضعه وقال: مقصودهم زيارة القبر الشريف بدون شد الرحل أو زيارة المسجد إن اقترن بشد الرحل، وهذا التمحل باطل ويبطله النصوص المتقدمة عن السادة الفقهاء ﷺ، ثم من ذا الذى يتحمل مشقة السفر والتعرض للمخاطر حتى يحصل أجر ألف صلاة في حين أنه يتمكن من تحصيل أجر مائة ألف في مكة المكرمة فما هذه النفس التى تتحمل هذه التضحية بالثواب العظيم والمشقة الجسيمة؟!

لاشك أنها ما شدت الرحل وما سمحت بهذه التفدية العظيمة إلا لزيارة تلك البقعة المقدسة التى ثوى فيها حبيب رب العالمين امام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين ﷺ وبارك عليه، وزاده فضلا وشرفا لديه. ولا يظن ظان أننا ننكر فضل المسجد النبوى كلا وإنما مع وجود فضيلة المسجد النبوى فهى تقل عن فضيلة المسجد الحرام كما جاء النص بذلك، فلو كان شد الرحل لتحصيل الاجر فقط لكان المسجد الحرام أولى وأولى، وانظر رحمنى الله وإياك هل تشد الرحال لزيارة المسجد الاقصى كما تشد للمسجد النبوى، فذلك أدل دليل وأقوى برهان على أن الذى يحث العزائم والركائب هو زيارة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وليتنبه القارئ أنه لم يقل أحد من فقهاء الامة بنية شد الرحل لزيارة مسجده ﷺ فقط قبل ابن تيمية.

والحاصل أن الاجماع القولى والعملي على مشروعية شد الرحل لزيارة القبر الشريف قد ثبت ثبوت الجبال الرواسى والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وثم ألفاظ وردت عن الامام مالك رحمه الله لا تقدح في هذا الاجماع أجاب أصحابه عليها كما هو معلوم في محله، ومثله ما يروى عن أبى محمد الجوينى في مسألة النذر، فإنه لا تعلق له بزيارة القبر الشريف كما حققه التقى السبكى في شفاء السقام (ص١٢١ ـ ١٢٣).

* * *



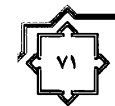
حديث (لا تشد الرحال... الحديث) لا يدل على منع الزيارة غير خفى أن ابن تيمية انفرد في القرن السابع بمنع إنشاء السفر لزيارة النبي ﷺ، وقد اكثر تلميذه ابن عبد الهادى من نقل فتاوى شيخه ابن تيمية المصرحة بتحريم شدّ الرحل لمجرد الزيارة، وأعقب فتيا ابن تيمية مناظرات ومصنفات وفتن. وأكثر العلماء[1] من رد مقالته.

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح لـه) (٥ / ٦٦) بعد الاشارة لهذه الفتنة: (والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شدّ الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ، ثم قال الحافظ: وهى من أبشع[2] المسائل المنقولة عن ابن تيمية) ا هـ.

قلت: إذا كان كلام الشيخ فيه بشاعة شدد بسببها العلماء النكير عليه، فالابشع منه قولك، ولو صحت.. إلخ، فلازم كلامك تحريم السفر لطلب العلم وصلة الرحم وزيارة أخ في الله وللتجارة.. إلخ، لان الاحاديث التى وردت في مثل هذه الانواع عامة مطلقة وأحاديث النهى عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة يخصها ويقيدها حسب عبارتك وهذا لم يقل به أحد من الامة، ولا يعقل وكان أولى بالكاتب أن يتقيد بمذهبه الحنبلى بل مذاهب الائمة قاطبة، ولا يخفى على القارئ اللبيب أن الحديث المذكور في شد الرحال لا يفيد العموم ودونك

١ . ومحاولة تصوير الرادين على ابن تيمية انهم من علماء السوء تهافت وبعد عن البحث وركوب لمقام الافساد الذى يرده الواقع، ولابد من المبالغة في رد أمثال هذه الوساس.

٢ . قال بعضهم معلقا على عبارة الحافظ المذكورة أعلاه (الفتح: ٣ / ٦٦): وهذا اللازم لا باس به، وقد التزمه الشيخ وليس في ذلك بشاعة بحمد الله عند من عرف السنة مواردها ومصادرها والاحاديث المروية في فضل زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة بل موضوعة، كما حقق ذلك أبو العباس في منسكه وغيره، ولو صحت لم يكن فيها حجة على جواز شد الرحال إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام من دون قصد المسجد، بل تكون عامة مطلقة. وأحاديث النهى عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة يخصها ويقيدها. ا هـ.



فهم الصحابة له مثل عمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص وابى هريرة وسياتى إن شاء الله تعالى والله المستعان.

وقال الحافظ أبو زرعة العراقى في بعض أجوبته المسماه (الاجوبة المرضية عن الاسئلة المكية)، وهو بصدد الكلام على المسائل التى انفرد ابن تيمية بها: (وما أبشع مسألتي ابن تيمية[١] في الطلاق والزيارة، وقد رد عليه فيهما معا الشيخ تقى الدين السبكى وأفرد ذلك بالتصنيف فاجاد وأحسن) اهـ.

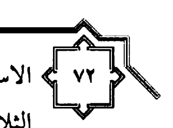
وقال أيضا في طرح التثريب (٦ / ٤٣): وللشيخ تقى الدين بن تيمية هنا كلام بشع عجيب يتضمن منع شد الرحل للزيارة، وأنه ليس من القرب، بل بضد ذلك، وردّ عليه الشيخ تقى الدين السبكى في شفاء السقام فشفى صدور قوم مؤمنين اهـ وذكر الحافظ العلائي المسائل التى انفرد بها ابن تيمية فقال: ومنها.. أن إنشاء السفر لزيارة نبينا ﷺ معصية لا تقصر فيها الصلاة، وبالغ في ذلك ولم يقل به أحد من المسلمين قبله اه. انظر تكملة الرد على النونية ص١٤٣ وبهذه المقولة فتح في الامة باب فتنة، وقضى الله ولا رادّ لقضائه.

وعمدة ابن تيمية على هذا المنع حديث **«لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقص ومسجدي هذا»**. والجواب على هذا من وجوه:

الوجه الاول: هذا الاستثناء المذكور في الحديث استثناء مفرغ ولابد من تقدير المستثنى منه، وهو إما أن يحمل على عمومه فيقدر له أعم العام لان

---

١ . وكأن ابن تيمية يمنع من الزيارة مطلقا كما يفهم من كلامه فقال في الرد على الاخنائى (ص١٠٢): والمسافر إليه إنما يسافر إلى المسجد، وإذا سمى هذا زيارة لقبره فهو اسم لا مسمى له إنما هو اتيان إلى مسجده اه وقلده ابن عبد الهادى فقال: ولان زيارة قبره ﷺ لا يتمكن منها أحد كما يتمكن من الزيارة المعروفة عند قبر غيره. اه قلت: مشيا على اشتراط مشاهدة القبر في الزيارة وهو أمر لم يصرح به أحد من المسلمين، على أنه قد استفاض لفظ القبر الشريف مع الزيارة والسلام والدعاء وطلب الاستسقاء والله المستعان.



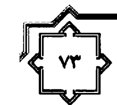
الاستثناء معيار العموم، فيكون التقدير لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة، وهذا باطل بداهة لانه يستلزم تعطيل السفر مطلقا إلا للمساجد الثلاثة.

ولكن لابد أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، قال ابن النجار الحنبلي في (شرح الكوكب المنير) (٣ / ٢٨٦): ولا يصح الاستثناء أيضا من غير الجنس نحو جاء القوم إلا حمارا، لان الحمار لم يدخل في القوم، وكذا: له عندي مائة درهم إلا دينارا ونحوه، وهذا هو الصحيح من الروايتين عن الامام أحمد رضي الله عنه واختيار اكثر من أصحابنا وغيرهم. اهـ واختاره الامام الغزالي في المنخول (ص١٥٩).

ومن قال بجواز الاستثناء من غير الجنس قال: إنه مجاز. وعليه فلا يصح أن يقال: قام القوم إلا حمارا مع إرادة الحقيقة. فإن أراد المجاز صح هنا بان يجعل الحمار كناية عن البليد. كذا في المدخل لابن بدران (ص١١٧)، وفيه أيضا قول الخرقي في مختصره: ومن أقر بشيء واستثنى من غير جنسه كان استثناؤه باطلا. اهـ.

واستظهر أبو إسحاق الشيرازي كون الاستثناء من غير الجنس من باب المجاز، كذا في نزهة المشتاق شرح لمع أبي إسحاق (ص٢٣٠ ــ ٢٣١) لشيخ مشايخنا الشيخ يحيى أمان المكي رحمه الله.

وصفوة القول أن كون المستثنى لابد أن يكون من جنس المستثنى منه هو مذهب الحنابلة، وأن من جوزه جعله من باب المجاز، فرجع خلافهم إلى وفاق. وعلى ما سبق تقريره ينبغي أن يقدر مستثنى منه يوافق المستثنى (المساجد) المذكور في الحديث. فيكون نظم الحديث كالاتي: لا تشد الرحال إلى (مسجد) إلا إلى ثلاثة (مساجد). ورواية شهر بن حوشب في تعيين المستثنى منه مشهورة، وقد أخرجها أحمد في المسند (٣ / ٦٤، ٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٤٨٩).



وقال الحافظ في الفتح (٣/ ٦٥): وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف. اهـ. وذكره الذهبي فيمن يحلم فيه وهو موثق (ص١٠٠)، فهو ممن يحسن حديثه عند الذهبي أيضا فهذان حافظان جبلان في الحفظ ومعرفة الرجال ذهبا إلى تحسين حديث شهر بن حوشب فلا تنظر بعد لتشغيب الألباني وقد رددت عليه بما سيأتي في مكانه إن شاء الله تعالى، وقد تتابع على تقدير المستثنى بالمساجد شراح الحديث. قال الكرماني في شرحه على البخاري (٧/ ١٢): عند قوله: (إلا إلى ثلاثة مساجد)، والاستثناء مفرغ، فإن قلت: فتقدير الكلام لا تشد الرحال إلى موضع أو مكان، فيلزم أن لا يجوز السفر إلى مكان غير المستثنى حتى لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل عليه السلام، ونحوه لان المستثنى منه في المفرغ لابد أن يقدر أعم العام. قلت: المراد بأعم العام ما يناسب المستثنى نوعا ووصفا كما إذا قلت: ما رأيت إلا زيدا كان تقديره: ما رأيت رجلا أو أحدا إلا زيدا، لا ما رأيت شيئا أو حيوانا إلا زيدا، فهاهنا تقديره: لا تشد إلى مسجد إلا إلى ثلاثة. وقد وقع في هذه المسالة في عصرنا مناظرات كثيرة في البلاد الشامية، وصنف فيها رسائل من الطرفين لسنا الان لبيانها. ا هـ.

وقال العلامة البدر العينى الحنفي (٦ / ٢٧٦): وشد الرحل كناية عن السفر لانه لازم للسفر، والاستثناء مفرغ، فتقدير الكلام: لا تشد الرحال إلى موضع أو مكان، فان قيل: فعلى هذا يلزم أن لا يجوز السفر إلى ما كان غير المستثنى حتى لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل صلوات الله تعالى وسلامه عليه ونحوه، لان المستثنى منه في المفرغ لابد أن يقدر أعم العام. وأجيب بان المراد بأعم العام ما يناسب المستثنى نوعا ووصفا كما إذا قلت: ما رأيت إلا زيدا كان تقديره: ما رأيت رجلا أو أحدا إلا زيدا، لا ما رأيت شيئا أو حيوانا إلا زيدا، فها هنا تقديره لا تشد إلى مسجد إلا إلى ثلاثة. ا هـ.

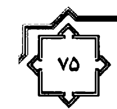


وفي فتح الباري (٣ / ٦٦): قال بعض المحققين: قوله: «**إلا إلى ثلاثة مساجد**» المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر عاما فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا إلى الثلاثة أو أخص من ذلك، لا سبيل إلى الاول لافضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها فتعين الثاني، والاولى أن يقدر ما هو اكثر مناسبة وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين والله أعلم.ا هـ.

إيقاظ كون المستثنى منه (مسجد) هو ما وافق فيه ابن تيمية فقال (الفتاوى ٢٧ / ١٢): (والتقدير في أحد أمرين: إما أن يقال: (لا تشد الرحال) إلى مسجد (إلا إلى المساجد الثلاثة). فيكون نهيا عنها باللفظ). اهـ

ويا ليته اقتصر على ذلك ولكنه قال: (فيكون نهيا عنها باللفظ، ونهيا عن سائر البقاع التي يعتقد فضيلتها بالتنبيه والفحوى وطريق الاولى..... ثم قال: فإذا كان السفر إلى البقاع الفاضلة قد نهى عنه فالسفر إلى المفضولة أولى وأ حرى). اهـ

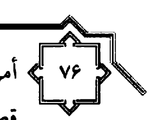
قلت: العكس هو الصواب تماما، فإن هذه المساجد اختصت بزيادة فضل، واستحب السفر لها، فبدلالة النص وطريق الاولى فإن السفر لهذه البقعة الشريفة أولى من السفر للمساجد الثلاثة، لان البقعة التى ضمت جسده الشريف أفضل من المساجد الثلاثة. قال الامام مالك: (إن البقعة التى فيها جسد النبي ﷺ أفضل من كل شئ حتى الكرسي والعرش ثم الكعبة ثم المسجد النبوى ثم المسجد الحرام ثم مكة). وقد حكى القاضى عياض الاجماع على أنها أفضل بقاع الارض كما في الشفا، وحكاه قبله أبو الوليد الباجى وغيره وبعده القرافى وغيره من المالكية ويطلب تفصيل ذلك من معارف السنن (٣ / ٣٢٣).



وعليه فقول ابن تيمية أعلاه: (فإذا كان السفر إلى البقاع الفاضلة قد نهى عنه فالسفر إلى المفضولة أولى وأحرى)، اهـ ينبغي أن يزاد عليه: والسفر إلى المكان الافضل (وهو القبر النبوى الشريف) أولى وأحرى أيضا بدلالة النص والله الموفق والهادي للصواب.

الوجه الثاني: قال التقى السبكى في شفاء السقام (ص١١٨): اعلم أن هذا الاسثناء مفرغ تقديره لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة، أو لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة ولابد من أحد هذين التقديرين ليكون المستثنى مندرجا تحت المستثنى منه والتقدير الاول أولى لأنه جنس قريب. ا هـ.

وعلى اعتبار عموم الحديث أي لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة. أي العموم الذى يذهب إليه ابن تيمية. قال السبكى ما ملخصه (ص١١٩ ـ ١٢١): السفر فيه أمران باعث عليه كطلب العلم وزيارة الوالدين وما أشبه ذلك، وهو مشروع بالاتفاق، الثاني: المكان الذى هو نهاية السفر كالسفر إلى مكة أو المدينة أو بيت المقدس ويشمله الحديث والمسافر لزيارة النبي ﷺ لم يدخل في الحديث لانه لم يسافر لتعظيم البقعه، وإنما سافر لزيارة من فيها فإنه لم يدخل في الحديث قطعا، وإنما يدخل في النوع الاول المشروع. فالنهى عن السفر مشروط بامرين: أحدهما: أن يكون غايته غير المساجد الثلاثة. والثانى: أن تكون علته تعظيم البقعة. والسفر لزيارة النبي ﷺ غايته أحد المساجد الثلاثة وعلته تعظيم ساكن البقعة لا البقعة، فكيف يقال بالنهي عنه؟ بل أقول إن للسفر المطلوب سببين أحدهما: ما يكون غايته أحد المساجد الثلاثة، والثانى: ما يكون لعبادة وإن كان إلى غيرها. والسفر لزيارة المصطفى ﷺ اجتمع فيه الامران، فهو في الدرجة العليا من الطلب ودونه ما وجد فيه أحد

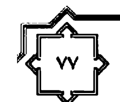


أمرين، وان كان السفر الذى غايته أحد الاماكن الثلاثة لابد في كونه قربة من قصد صالح، وأما السفر لمكان غير الاماكن الثلاثة لتعظيم ذلك المكان، فهو الذى ورد فيه الحديث، ولهذا جاء عن بعض التابعين أنه قال: قلت لابن عمر إنى أريد أن آتى الطور. قال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ، ومسجد الاقصى. ودع الطور فلا تأته. ا هـ.

والحاصل أن الحديث إن حمل على عمومه وفق مراد ابن تيمية فهو لا يرد على الزيارة مطلقا لان المسافر للزيارة مسافر لساكن البقعة كالعالم والقريب وهذا جائز إجماعا، أما الحديث فوارد في الاماكن فقط فتدبر تستفد. ولله در التقى السبكى. إيقاظ تقرير التقي السبكى يصرح بأن الحديث خاص بالنهي عن السفر للاماكن فقط. وهو يتفق مع ما صرح به ابن تيمية فقد قال (الفتاوى ٢٧ / ٢١): (قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة، بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله فإنه هو المقصود حيث كان). اهـ.

قلت: وعليه فالحديث خاص بالنهي عن السفر إلى الامكنة. إذا علم ذلك فزيارة النبي ﷺ لا تدخل في الحديث البتة لانها زيارة وسفر لساكن البقعة وليس للبقعة. فتدبر وبعد فلعل اللبيب يدرك أن الاستدلال بحديث (لاتشد الرحال) ـ بعد ذلك ـ على منع السفر للزيارة هو استدلال باجنبى.

الوجه الثالث: إن النهى هنا ليس على وجه واحد، وهو التحريم لكنهم اختلفوا على أي وجه هو؟ قال ابن بطال: هذا الحديث إنما هو عند العلماء فيمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد غير المساجد الثلاثة. ا هـ وقال الامام أبو سليمان الخطابى في معالم السنن: هذا (أي حديث لا تشد الرحال....)



في النذر، ينذر الانسان أن يصلى في بعض المساجد فإن شاء وفى به، وان شاء صلى في غيره إلا أن يكون نذر الصلاة في واحد من هذه المساجد، فإن الوفاء يلزمه بما نذره فيها، وإنما خص هذه المساجد بذلك لانها مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وقد أمرنا بالاقتداء بهم. اهـ (معالم السنن ٢ / ٤٤٣).

ومن المقرر أن النذر لا يجب إلا في طاعة[١]، فمعنى الحديث يجب الوفاء لمن نذر إتيان أحد المساجد الثلاثة للصلاة فيها، فمن نذر إتيان غير هذه المساجد لا يجب عليه الوفاء بالنذر.

قال الامام النووي: لا خلاف في ذلك إلا ما روى عن الليث أنه قال: يجب الوفاء به، وعن الحنابلة رواية يلزمه كفارة يمين ولا ينعقد نذره، وعن المالكية رواية إذا تعلقت به عبادة تختص به كرباط لزمه وإلا فلا وذكر عن محمد بن مسلمة المالكى في مسجد قباء لان النبي ﷺ كان ياتيه كل سبت. اهـ المجموع (٨ / ٣٧٧).

قال ابن بطال: وأما من أراد الصلاة في مساجد الصالحين والتبرك بها متطوعا بذلك فمباح إن قصدها بإعمال المطيّ وغيره ولا يتوجه إليه الذى في هذا الحديث. اهـ. وقال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: والصحيح عند أصحابنا وهو الذى اختاره إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره. قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة والله أعلم (٩ / ١٠٦).

---

١ . وزيارة النبي ﷺ طاعة لذلك يلزم الوفاء بالنذر لمن نذر إتيان القبر الشريف. قال القاضى ابن كج الشافعي: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزم الوفاء بذلك وجها واحدا. اهـ (المجموع: ٨ / ٣٧٦). وابن كج (بفتح الكاف): هو يوسف بن أحمد الدينورى. قال ابن قاضى شهبة (١ / ١٩٦): أحد الائمة المشهورين، وحفاظ المذهب المصنفين، وأصحاب الوجوه المتقنين، كان يضرب به المثل في حفظ المذهب. اهـ.



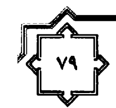
وقال الشيخ الامام أبو محمد ابن قدامة المقدسي الحنبلي: فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد، فقال ابن عقيل: لا يباح له الترخص لانه منهى عن السفر إليها. قال النبي ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد**» متفق عليه، والصحيح إباحته وجواز القصر فيه، لان النبي ﷺ كان يأتي قباء راكبا وماشيا وكان يزور القبور وقال: «**زوروها**[١] **تذكركم الاخرة**»، وأما قوله عليه السلام: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»، فيحمل على نفى التفضيل لا على التحريم وليست الفضيلة شرطا في إباحة القصر، فلا يضر انتفاؤها. (المغنى ٢ / ١٠٣ ـ ١٠٤).

ومثله لابي الفرج ابن قدامة في الشرح الكبير (٢ / ٩٣). وقال إمام الحرمين: والظاهر أنه ليس فيه تحريم ولا كراهة، وبه قال الشيخ أبو على: ومقصود الحديث تخصيص القربة بقصد المساجد الثلاثة. ا ه (الروضة: ٣ / ٣٢٤)، (المجموع: ٨ / ٣٧٥).

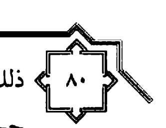
وصفوة ما سبق أن الصلاة في هذه المساجد تختص بطاعة زائدة على ما سواها من المساجد، وما كان الامر كذلك فلا يصح الوفاء بالنذر إلا إليها. أما غيرها من المساجد فيستوى ثواب الصلاة فيها، والسفر إليها سفر مباح يجوز قصر الصلاة فيه، فإن قيل: هلا كشفت لنا ما يؤيد ما ذكرته قلت: وبالله استعنت: يؤيد من ذهب أن الحديث خاص بالنذر الاتى: ١ ـ ما صح بإسناد رجاله رجال مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق**»، وسياتى تخريجه إن شاء الله تعالى، والحديث يصرح بانه يجوز ركوب الرواحل إلى غيرهما من المساجد والبقاع. ٢ ـ فهم

---

١ . والزيارة تقتضي الانتقال مطلقا فيحمل لفظ الزيارة على انتقال بسفر وبدون سفر، فاستدلال ابن قدامة استدلال فقيه عارف، وقد حاول ابن تيمية تعقب ابن قدامة فقصر لفظ الزيارة على أنه انتقال بدون سفر وفي كلام ابن تيمية نظر، والصواب مع ابن قدامة.



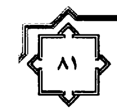
الصحابة، فقد روى عمر بن شبه في (تاريخ المدينة) (١ / ٤٢) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا صخر بن جويرية عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت: سمعت أبي يقول: لأن أصلّي في مسجد قباء ركعتين أحب إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الابل. قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح (الفتح: ٣ / ٦٩). وروى ابن أبي شيبة نحوه في المصنف (٢ / ٣٧٣)، وروى عبد الرزاق في المصنف (٥ / ١٣٣) عن الثوري عن يعقوب بن مجمع بن جارية عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه قال: **«لو كان مسجد قباء في أفق من الافاق ضربنا إليه أكباد المطي»**. إسناده حسن فإن يعقوب بن مجمع وثقه ابن حبان وروى عنه إمام كالثوري وقال الحافظ الذهبي في الكاشف (٢ / ٣٩٥): وثق، ومجمع بن جارية صحابي، ولهذا الاثر طريق آخر أخرجه عمر بن شبه في أخبار المدينة (١ / ٤٩) فيه أسامة بن زيد بن أسلم وهو وإن ضعف من قبل حفظه فهو يصلح في المتابعات والشواهد. وعمر رضي الله عنه من رواة حديث **«لا تشد الرحال»**، فلو علم أن النهى في الحديث للتحريم لما قال مقولته في مسجد قباء فتدبر يا أخي تستفد. وروى أحمد في المسند (٦ / ٣٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٢ / ٣١٠) من حديث مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي بصرة الغفاري قال: لقيت أبا هريرة وهو يسير إلى مسجد الطور ليصلي فيه قال: فقلت له: لو أدركتك قبل أن ترتحل ما ارتحلت قال: فقال ولم؟ قال: فقلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الاقصى، ومسجدي»**. فابو هريرة لقى أبا بصرة رضي الله عنهما، وكان أبو هريرة يسير إلى مسجد الطور، ولما أعلمه أبو بصرة بنص الحديث لم يرجع أبو هريرة، ولو كان أبو هريرة قد فهم من الحديث التحريم لرجع ولكنه لم يفعل بل ولم يخرج أصلا لانه من رواة هذا الحديث، فدل فعله



ذلك على أن النهى الذى في الحديث لا يفيد التحريم عند أبى هريرة ﷺ فأي حجة وأي برهان وأي دليل يطلب بعد فهم أكابر الصحابة ﷺ للحديث؟. ومما سبق يعلم أنه ليس من مدلول حديث «**لا تشد الرحال...**» الحديث: نهى عن شد الرحال لزيارة القبر النبوى الشريف والله أعلم. فلا تنظر بعد لمن يردد صدى كلام لا يفقهه، وإنما هو مؤيد فقط لرأى غيره بدون تأمل أو من يلخص ويتعصب!! وبعد.. فهذا أوان الشروع في المقصود بالذات من هذا المصنف وهو تخريج أحاديث التوسل والزيارة أسأل الله الاعانة والتوفيق.

تخريج أحاديث التوسل

١ ـ قال إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه (الفتح: ٢ / ٤٩٤): حدثنا عمرو بن على، قال: حدثنا أبو قتيبة، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه (ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقى، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل وهو قول أبى طالب. ا هـ. قلت: طريق عمر بن حمزة العمرى وصلها بسند صحيح أحمد (٢ / ٩٣)، وابن ماجه (١ / ٤٠٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ١٤٢)، وفى السنن الكبرى (٣ / ٨٨). كلهم من طريق أبى عقيل عبد الله بن عقيل وهو ثقة. وأخرج البيهقى من غير وجه في دلائل النبوة (٦ / ١٤٠ ـ ١٤٢) عن سعيد بن خثيم الهلالي، عن مسلم الملائى عن أنس بن مالك جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبى يصيح وأنشده:



أتينــاك والعــذراء يــدمى لبانهــا وقد شغلت أم الصبى عـن الطفـل
وألقــي بكفيــه الـصبى اسـتكانة من الجوع ضعفا مـا يمـر ولا يخلى
ولا شـئ ممـا يأكـل النـاس عنـدنا سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
ولــيس لنــا إلا إليــك فرارنــا وأيـن فـرار النـاس إلا إلى الرسـل

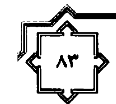
فقام رسول الله ﷺ حتى صعد المنبر ثم رفع يديه إلى السماء فقـال: «**اللهـم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا غدقا، طبقا عاجلا غير رائث، نافعا غير ضار تملا بـه الضرع وتنبت به الزرع وتحيى به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون**»، فوالله مـا رد يديه إلى نحره حتى ألقت السماء بإبراقها وجاء أهل البطانة يعجون يا رسـول الغرق الغرق، فرفع يديه إلى السماء، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل، فـضحك رسـول الله ﷺ حتـى بدت نواجذه ثم قال: «**لله در أبى طالب لو كان حيا قرتا عيناه من ينشدنا قوله**»؟ فقام على بن أبى طالب ﷺ فقال: يا رسول الله كانك أردت: وأبيض يـستقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل يلوذ به الهلاك من ال هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل كذبتم وبيت الله نبزي محمدا ولما نقاتل دونه ونناضل ونـسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل ومـسلم الملائـى ضـعيف، وقـال الحافظ في الفتح (٢ / ٤٩٥): وإسناد حديث أنس، وإن كان فيـه ضـعف لكنـه يصلح للمتابعة. ا هـ. وقال ابن هشام في السيرة (١ / ٢٨١): وحدثني مـن أثـق به فذكره.

٢ ـ قال البخاري في صحيحه (الفتح: ٢ / ٤٩٤): حدثنا الحسن بن محمـد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري، قال: حدثنى أبى عبد الله بن المثنى عـن ثمامة بن عبد الله ابن أنس عن أنس أن عمر بن الخطـاب ﷺ كـان إذا قحطـوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا،



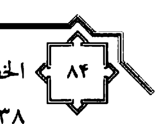
وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا). قال فيسقون. أسنده البغوي في شرح السنة (٣/ ٤٠٩) هكذا من طريق البخاري. ورواه عن أنس أيضا ابن خزيمة (رقم ١٤٢١)، وابن حبان (٧/ ١١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٤٧)، وفى السنن الكبرى (٣/ ٣٥٢)، وابن سعد في الطبقات. قال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٩٧): ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع باهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه. ا هـ. وليس فيه ترك التوسل به ﷺ لعموم الادلة، ولان غاية ما فيه هو جواز ترك التوسل به، وفرق بين الجواز وغيره. على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد بالتوسل بالعباس رضي الله عنه الاقتداء بالنبي ﷺ في تبجيل وإكرام العباس، وقد كان في الصحابة من هم أفضل من العباس. وقد أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٣٤) من طريق داود بن عطاء المدنى، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر أنه قال:

استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم هذا عم نبيك العباس نتوجه إليك به فاسقنا، فما برحوا حتى سقاهم الله، قال: فخطب عمر في الناس فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه ويفخمه ويبر قسمه فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم. وهكذا رواه الزبير بن بكار في الانساب كما في الفتح (٢/ ٤٩٧)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الزبير بن بكار به (٨/ ٩٣١). قلت: فيه داود بن عطاء المدنى ضعيف، وقد ضعفه به الذهبي في تلخيص المستدرك، أما الحاكم فلم يتكلم عليه. قال الحافظ في الفتح بعد سياقه لطريق داود بن عطاء الضعيف ما نصه: وأخرجه البلاذرى من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، فقال عن أبيه بدل ابن

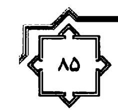


عمر: فيحتمل أن يكون لزيد فيه شيخان. ا هـ واحتمال الحافظ وجه قوى وله نظائر، والعجب أن الالباني لم يذكر هذا الاحتمال القوى في توسله! ولك وجه اخر وهو أن هشام بن سعد من رجال مسلم فالقول قوله. وأغرب الالباني - غفر الله لنا وله - فاشتغل في توسله (ص٦٧ - ٦٨) بتضعيف داود بن عطاء المدنى ولما رأى متابعة هشام بن سعد قال: إن في السند اضطرابا. ا هـ. قلت: هذا قول مدفوع ينبغى ألا يلتفت إليه، ولا أرى دعامة له إلا الهوى الذى أداه لمخالفة قواعد الحديث. فإن من المعروف أن الحكم بالاضطراب على السند لا يكون إلا إذا تساوت الروايات وامتنع الجمع والترجيح، عند ذلك يحكم بالاضطراب وهو هنا ممتنع جدا، فإن هشام بن سعد من رجال مسلم، وقد رأيت الالباني يحسن حديثه مرات، وداود بن عطاء ضعيف، فكيف يغض الالباني طرفه عن هذا الحق الابلج. هب أنهما متساويان، فالجمع واجب كما صرح به الحافظ وتقدم عنه ﷺ. فثبت ولله الحمد لماذا توسل عمر بالعباس من قول عمر نفسه وهو زيادة في التوسل بالنبي ﷺ، وفيه أيضا أن التوسل كان بالعباس وليس بدعائه بدليل قول عمر: (واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم).

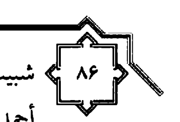
٣ - قال الامام الحافظ أبو عيسى الترمذي في جامعه (تحفة: ١٠ / ٣٢ - ٣٣): حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا شعبة عن أبى جعفر، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف: (أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافينى، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى في حاجتى هذه لتقضى لى، اللهم فشفعه في). هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبى جعفر وهو غير



الخطمى. ورواه من هذا الوجه ابن خزيمة في صحيحه، وأحمد في المسند (٤ / ١٣٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤١٧)، وابن ماجه في السنن (١ / ٤٤١)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦ / ٢١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٩ / ١٩)، وفى الدعاء أيضا (٢ / ١٢٨٩)، والحاكم في المستدرك (١ / ٣١٣، ٥١٩) وصححه وسلمه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ١٦٦)، وفى الدعوات الكبير، وتابع حماد بن سلمة شعبة في روايته عن أبى جعفر. أخرج هذه المتابعة: النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤١٧)، وأحمد في المسند (٤ / ١٣٨)، والبخاري في تاريخه (٩ / ٢٠٩). وقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة على أن شيخ أبى جعفر هو عمارة بن خزيمة بن ثابت. بينما خالفهما هشام الدستوائى وروح بن القاسم. قال النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤١٨): خالفهما هشام الدستوائى وروح بن القاسم، فقالا عن أبى جعفر عمير بن يزيد بن خماشة عن أبى أمامة بن سهل عن عثمان بن حنيف. ا هـ. قلت: حديث هشام الدستوائى أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤١٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦ / ٢١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ١٦٨). وأما حديث روح بن القاسم فأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٦ / ٢١٠)، وابن السنى في عمل اليوم والليلة (ص٢٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١ / ١٧)، وفى الصغير وصححه (١ / ١٨٣) وفى الدعاء (٢ / ١٢٨٨)، والحاكم في المستدرك (١ / ٥٢٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ١٦٧ ــ ١٦٨). قلت: هذا إسناد صحيح، وقد صححه غير واحد من الحفاظ وقد تقدم منهم الترمذي والطبراني وابن خزيمة والحاكم والذهبي. وأبو جعفر: هو الخطمى عمير بن يزيد بن عمير بن خماشة المدنى، كما نص على ذلك النسائي في عمل اليوم والليلة، وقد وقع التصريح بالخطمى عند أحمد، وبالمديني عند أحمد أيضا وابن ماجه والحاكم

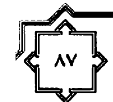


والبيهقي، وبالخطمي المدنى عند الطبراني وابن السنى، فلا تلتفت لتشغيب الشيخ بشير السهسوانى رحمه الله في صيانة الانسان (ص١٢٥ ــ ١٢٧)، فانه مما لا فائدة فيه. وقد جاءت زيادة موقوفة عن المرفوع، قال الطبراني في المعجم الصغير (١ / ١٨٤): حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المقرى المصرى التميمي، حدثنا أصبغ بن الفرج، حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكى، عن روح بن القاسم، عن أبى جعفر الخطمى المدنى، عن أبى أمامة ابن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: (أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقى عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك (ربى) جل وعز فيقضى لى حاجتى، وتذكر حاجتك. ورح إلى حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فادخله على عثمان بن عفان فاجلسه معه على الطنفسة وقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: (أفتصبر؟)، فقال: يا رسول الله إنه لى قائد وقد شق على، فقال له النبي ﷺ: أيت الميضاة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات. قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط). لم يروه عن روح بن القاسم إلا



شبيب بن سعيد. أبو سعيد المكى وهو ثقة، وهو الذى يحدث عنه أحمد (ابن أحمد) بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الابلى. وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبى جعفر الخطمى واسمه عمير ابن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة، والحديث صحيح. ا هـ. وأخرجه من هذا الوجه الطبراني في الكبير (٩ / ١٧)، وفى الدعاء (٢ / ١٢٨٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦ / ١٦٧ ـ ١٦٨). قلت: لا كلام بعد تصحيح الطبراني للحديث مرفوعا وموقوفا. فإن قيل: قد صحح الطبراني الحديث المرفوع لكنه لم يصحح القصة الموقوفة. أجيب: بان الطبراني قد وثق (شبيب بن سعيد الحبطى)، وهو راوي الموقوف، وتوثيق حديث الرجل هو تصحيح لحديثه، فالامر سهل ولا يحتاج لبيان، ويؤيد هذا ويوضحه أن الهيثمى في مجمع الزوائد (٢ / ١٧٩) لم يتكلم على الحديث كما عهد عنه ولكنه اقتصر على نقل تصحيح الطبراني فقط. فتدبر أيها المستبصر. ومع ذلك سعى الساعون لتضعيف هذه الزيادة الموقوفة جهد الطاقة فأتوا بعلل مزعومة هي: ١ ـ شيخ الطبراني طاهر بن عيسى مجهول. ٢ ـ شبيب بن سعيد الحبطى انفرد بالقصة وهو ضعيف الحفظ. ٣ ـ الاختلاف عليه فيها. ٤ ـ مخالفته للثقات الذين لم يذكروا القصة في الحديث. والثلاثة الاخيرة ذكرها الالباني في توسله (ص٨٨)، والناظر فيها لا يراها أكثر من دفعة صدر من متعنت، وسيرى أن السعي لتضعيف الاحاديث الصحيحة بهذه الحجج الواهية سعى لاقامة باطل بدعائم هي أوهى من بيوت العنكبوت، ولو فتح هذا المهيع الخطير لانسد باب الاثار والله المستعان. وإليك نقض هذه العلل المتوهمة:

أما عن الاولى: وهى كون شيخ الطبراني طاهر بن عيسى المصرى من المجهولين فخذ الاتى: ١ ـ من علل الحديث بجهالة شيخ الطبراني أبعد جدا عن معرفة الحديث وغاير قواعده، فإن القصة الموقوفة تفرد بها شبيب، ثم رواها عن



شبيب ثلاثة، ورواه عن الثلاثة المذكورين ثلاثة اخرون وعنهم اخرون، فلم يتفرد أحد برواية القصة إلا شبيب، فلا مدخل لشيخ الطبراني هنا فتأمل. ٢ ـ قد صحح الطبراني الحديث وهو يعنى توثيق رجال إسناده ومنه شيخه وهو أعلم به من غيره. فلا تغتر بعد بكلام صاحب النهج السديد عن شيخ الطبراني (ص٩٣).

أما عن العلة الثانية: وهى ضعف حفظ المتفرد بها وهو شبيب ابن سعيد الحبطى، هكذا زعم الالباني في توسله (ص٨٨)، ولم أجد من سبقه إلى هذه الدعوى. فشبيب بن سعيد الحبطى قد وثقه على بن المدينى ومحمد بن يحمص الذهلى والدارقطني والطبراني وابن حبان والحاكم. وقال أبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: لا باس به. وهذا غاية ما يطلب من التوثيق في الراوى ليصحح حديثه ويحتج به في الصحيحين. فإن قيل ماذا تقول في قول ابن عدى في الكامل (٤ / ١٣٤٧): كان شبيب إذا روى عنه ابنه أحمد بن شبيب نسخة يونس عن الزهري إذ هي أحاديث مستقيمة، ليس هو شبيب بن سعيد الذى يحدث عنه ابن وهب بالمناكير التى يرويها عنه، ولعل شبيبا بمصر في تجارته إليها كتب عنه من حفظه فيغلط ويهم وأرجو ألا يتعمد شبيب هذا الكذب. ا هـ. قلت وبالله استعنت: في هذا الكلام ثلاثة أمور: الاول: ما رواه أحمد بن شبيب عن أبيه نسخة يونس عن الزهري فهي أحاديث مستقيمة. الثاني: ما رواه عبد الله بن وهب عن شبيب بمصر، فيه غلط ووهم. الثالث: حديثه في غير النوعين السابقين، وهو صحيح لانه قيد وهم شبيب بكونه من رواية ابن وهب بمصر. وصحة النوع الثالث هو ما يقتضيه النظر الصحيح، وفى الذهاب لغير هذا المذهب فيه إهدار لتوثيق تسعة من الحفاظ لشبيب بن سعيد الحبطى، فهو ثقة طرأ عليه طارئ أثناء تجارته بمصر شانه شان كثير من الرواة الثقات. فإن قيل قد قال على بن المدينى: ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر، وكتابه كتاب صحيح، قد كتبتها عن ابنه أحمد بن



شبيب. ا هـ. قلت: كلام ابن المديني يدل على أن الرجل ثقة وكتابه صحيح، وقد فهم من لا يفهم[1] إلا السب والشتم ـ سامحه الله ـ أن هذا القول من ابن المديني يثبت أن روايته من غير كتابه لا تصح. قلت: الرجل وثقه ابن المديني، فهو يعني أنه ضابط حفظا وكتابة، ثم نص على أحد أفراد العموم، وهو صحة كتابه، فلم يشترط ولم يصرح ولم يشر إلى شئ عن حفظه، وكلامه لا مفهوم له، وكنت أود أن يبين من أين أتى بهذا الفهم الذى لا يحسد عليه، والتفاته إلى السب والشتم صرفه عن الفهم.

تنبيه: من غرائب التشويش والحذف في العبارات أن الالباني ـ غفر الله لنا وله ـ حاول أن يستدل بعبارة على بن المديني على ضعف حفظ شبيب بن سعيد، فقال في توسله (ص٨٦): قال ابن المديني: كان يختلف في تجارة إلى مصر... إلخ، وحذف الالباني أهم كلمة من كلام ابن المديني التى صدر بها عبارته وهى قوله: (ثقة) كان يختلف... إلخ، فحذف الالباني كلمة (ثقة) من كلام ابن المديني، وهكذا تكون الامانة العلمية فالله المستعان.

وقد أبعد الالباني فسلك مسلكا غريبا لم يسبق إليه، فأهمل كلام الائمة الحفاظ الذين وثقوا شبيبا، فنقله من طائفة الثقات الذين يقبل حديثهم إلا غرائب وقعت في رحلاتهم إلى طائفة الضعفاء الذين لا يقبل حديثهم إلا بشروط، فشرط شرطين لقبول حديث شبيب بن سعيد الحبطى، فقال في توسله (ص٨٧):

الاول: أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه.

والثاني: أن يكون من رواية شبيب عن يونس. ا هـ.

---

١ . هو صاحب كشف المتوارى (ص٤٠).



قلت: الذى أوقع الالباني في هذا القول الغريب هو عدم رجوعه للاصول[١]، فقد نقل عبارة ابن عدى في شبيب من الميزان (٢ / ٢٦٢)، واعتمد عليه دون الرجوع للاصول، والذى نقله الالباني عن ابن عدى هو ما نصه: كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا حدث من حفظه وأرجو أنه لا يتعمد، فإذا حدث عنه ابنه أحمد باحاديث يونس فكأنه شبيب اخر يعنى يجود. ففرق بين (كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا حدث من حفظه) كما في الميزان. وبين عبارة الكامل (٤ / ١٣٤٧): (لعل شبيبا بمصر في تجارته إليها كتب عنه ابن وهب من حفظه فيغلط ويهم). فالاولى تعنى أن الغلط والوهم كانا ديدنه وصفة لازمة له وهى عبارة فيها نظر. والثانية التى في الكامل: تعنى أن الغلط والوهم طارئ عليه وهو ما حدث عنه ابن وهب بمصر، فالاولى تعنى ضعفه، والثانية لا تعنى ذلك، والامر واضح. وقد صرح النقاد بوجوب حكاية الجرح والتعديل وعدم التصرف في عبارة المعدل أو المجرح، وقد اهتبل الالباني تصرف الذهبي في عبارة ابن عدى ولم يرجع للاصل فحدث ما تراه.

والحاصل أن حديث شبيب بن سعيد صحيح من غير رواية عبد الله ابن وهب إذا أخذنا كلام ابن عدى في الاعتبار فإن كلامه فيه نظر.

ولذلك فقد قال الذهبي في الميزان (١ / ٢٩٥) ثقة له غرائب. وقال في الديوان (ص١٤١): ثقة يأتي بغرائب. وفى الكاشف (٢ / ٤): صدوق.

* * *

---

١ . وقد تتبعت شيئا كثيرا من كلامه على الرجال فوجدته لا يرجع للاصول ويكتفى بالكتاب الواحد في الكلام على الرجال، وقد نبهت على ذلك في (وصول التهانى بأثبات سنية السبحة والرد على الالباني)، وفى مقدمة (النقد الصحيح لما اعترض عليه من أحاديث المصابيح) للحافظ العلائى رحمه الله.



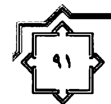
فإن قيل قد ذكره الحافظ ابن رجب ﷺ في شرح علل الترمذي (ص٤١٨) ضمن قوم ثقات لهم كتاب صحيح وفى حفظهم بعض شيء. فجوابه أن هذا الايراد لا يعني ضعف حديثهم إذا حدثوا من حفظهم، إنما يعنى أن حديثهم من الكتاب صحيح وأدون منه حديثهم من حفظهم لانهم قوم ثقات قد وثقهم عدد من الائمة بدليل قوله: (وفى حفظهم بعض شيء)، فهذه العبارة لا تفيد أن الغلط كان غير منفك عنهم فهم ضعفاء الحفظ، بل العكس هو الصواب. وقد ذكر ابن رجب في هذا النوع طائفة من أعيان الثقات كعبد العزيز ابن محمد الداروردى، وهمام البصري، وعبد الرزاق الصنعانى، وأبو داود الطيالسي، وإبراهيم بن سعد الزهري وغيرهم والعمل على قبول حديثهم حدثوا من كتاب أو من حفظهم. على أن العبارات التى قيلت فيهم هي أشد من التى قيلت في شبيب بن سعيد الحبطى رغم الاتفاق عليهم.

فصل

بقى الكلام على أمرين: أولهما: قال الحافظ في التقريب (ص٢٦٣) في ترجمة شبيب: لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب. ا هـ.

وما قاله الحافظ[١] يعنى صحة القصة المذكورة، وهذا أيضا لم يرتضه الالباني فعقب عليه بقوله في توسله (ص٨٧): وليس كذلك بل هذا مقيد بان يكون من روايته هو عن يونس..، ويؤيده أن الحافظ نفسه أشار لهذا القيد، فإنه أورد شبيبا هذا في (من طعن فيه من رجال البخاري) من مقدمة فتح الباري (ص١٣٣)، ثم دفع الطعن عنه بعد أن ذكر من وثقه وقول ابن عدى فيه بقوله: (قلت: أخرج البخاري من رواية ابنه عنه عن يونس أحاديث، ولم يخرج من روايته عن غير

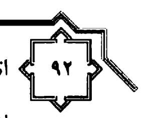
١ . وفيه تشدد لقصره القبول على رواية ابنه أحمد فقط، فتدبر.



يونس، ولا من رواية ابن وهب عنه شيئا)، فقد أشار ﷺ بهذا الكلام إلى أن الطعن قائم في شبيب إذا كانت روايته عن غير يونس، ولو من رواية ابنه أحمد عنه. اهـ.

قلت: الذى أشار له الحافظ هو أن البخاري أخرج له أصح حديثه، ذلك أن البخاري عندما أراد أن يخرج حديث الزهري في جامعه الصحيح أراده من طريق الطبقة الاولى من أصحاب الزهري كما فصله الحازمى في شروط الائمة، ولما كان يونس من هذه الطبقة، وكان شبيب عنده نسخة يونس بن يزيد عن الزهري وسمعها منه أحمد بن شبيب فأصبحت النسخة من هذا الطريق غاية في الصحة فاخرجها البخاري في صحيحه. فاحمد عن أبيه عن يونس عن الزهري من شرط البخاري، فعدم إخراج البخاري لحديث شبيب من غير هذا الطريق لا تعنى ضعف الغير مخرج في الصحيح، بل تعنى أنه ليس على شرط البخاري فقط لان البخاري لم يستوعب الصحيح وما ادعاه، ولا يلزم من كونه على غير شرطه أنه لا يصلح للاحتجاج به عند البخاري نفسه بل قد يكون صالحا للاحتجاج به عنده وليس هو على شرط صحيحه الذى هو أعلى شروط الصحة، كما صرح بذلك الحافظ في الفتح (٢ / ٢٠٥)، وكثيرا ما يختم الحافظ الترجمة في مقدمة الفتح في بيان كيفية رواية البخاري لحديث الراوى المتكلم فيه، ذلك أن حديث الرجل إذا جاء على خلاف ما ذكره الحافظ يكون فيه تفصيل هذا ما يجب التمسك به، والاذعان إليه لئلا نكون قد أعرضنا وأهدرنا توثيق تسعة من أئمة الحفاظ لشبيب.

ولم أر من سبق الالباني في رد حديث شبيب مع اشتراط هذين الشرطين. ولم يزد ابن تيمية في كتابه (قاعدة في التوسل) (ص١٠٢) عن قوله: (شبيب هذا صدوق روى له البخاري). وهو كلام جيد يرد على الالباني ومن شايعه، لكنه

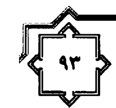


اتبع سبيلا اخر لتعليل هذا الحديث وهو: الامر الثاني: وحاصله أن هذا الحديث يرويه شبيب عن روح بن القاسم، وقد ذكر ابن عدى حديثين في كامله أنكرهما على شبيب من رواية شبيب عن روح بن القاسم، وإن كان شبيب قد غلط في ذينك الحديثين أمكن أن يكون غلط عليه في هذا الحديث. انظر قاعدة في التوسل له (ص١٠٤ ـ ١٠٥). قلت وبالله التوفيق:

١ ـ هذان الحديثان من رواية ابن وهب عن شبيب عن روح بن القاسم، وقد تقدم أن شبيبا حدث أثناء تجارته بمصر ابن وهب ببعض ما أنكر عليه، وقد أورد هذين الحديثين ابن عدي في كامله ليستدل بهما على صحة دعواه، فلا مدخل هنا لما يرويه شبيب عن روح بن القاسم، فالكلام على من حدثه شبيب (وهو ابن وهب)، لا من حدث عنه شبيب سواء كان روحا أو غيره.

٢ ـ لا يسلم لابن عدى استشهاده بهذين الحديثين على صحة دعواه وهاك الحديثين: الحديث الاول: ما رواه شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن أبى عقيل عن سابق بن ناجية عن أبى سلام قال: مر بنا رجل فقالوا: إن هذا قد خدم النبي ﷺ قال: فقمت إليه، فقلت: حدثنى شيئا سمعته من رسول الله ﷺ لم يتداوله الرجال بينك قال: سمعته يقول: «**من قال حين يصبح وحين يمسى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة**».

وحاصل ما في هذا الحديث أن بعضهم عن أبى عقيل عن سابق بن ناجية عن أبى سلام عن خادم رسول الله ﷺ به مرفوعا. وهم شعبة وهشيم وروح بن القاسم، فأبو سلام هنا روى عمن رفعه، وخالفهم مسعر فجعله عن أبى عقيل عن سابق عن أبى سلام به مرفوعا، فأبو سلام هنا هو الذى رفعه، والصواب قول شعبة والجماعة وهو ما صححه الحفاظ: المزى والعلائي في



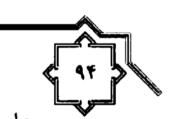
جامع التحصيل (ص٣٨٥)، وابن حجر في الاصابة (٤ / ٩٣)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤ / ١٥٠).

ومن هنا يظهر خطا ابن عدى ﷺ ومن اعتمد عليه في إيراد هذا الحديث على أنه مما أنكر على شبيب وخطأ ابن عدى من وجهين: الاول: الاختلاف من طبقة شيوخ شبيب فلا مدخل لشبيب فيه. الثاني: أن شبيب بن سعيد سلك المسلك الصواب فيه كما ترى والله أعلم.

وأما الحديث الثاني: فهو ما رواه شبيب عن روح بن القاسم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخلت المسجد...**» الحديث. ورواه عبد العزيز الداروردى، واسماعيل بن إبراهيم بن علية، وقيس بن الربيع، وليث بن أبي سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة عن فاطمة الكبرى ﵉. وإذا كان شبيب قد انفرد عن روح وروى الحديث معضلا، فالقول قول الجماعة، ولكن الخطب هنا سهل، وهو ما يحدث لكثير من كبار الحفاظ، ولا يعنى هذا ضعف شبيب في روح بن القاسم لانه جوّد الحديث السابق ووافق الجماعة.

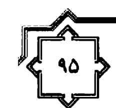
٣ ـ شبيب بن سعيد بصرى كروح بن القاسم البصري، ورواية شبيب عن بلدية لها مزية وقوة، وأبو جعفر الخطمى مدنى بصرى كذلك، ومما يزيدها قوة أن حدث بها بصريين مثله هما ابنيه أحمد وإسماعيل.

والحاصل مما سبق: إن شبيب بن سعيد ثقة إلا ما حدث عنه ابن وهب، وليس كله من المنكرات بل تعرف وتنكر، فإذا توبع ابن وهب كما هنا وجب عليك أن تعرف وتقبل، والله أعلم بالصواب. وبذلك تعلم أن إطلاق الضعف على شبيب من الالباني في توسله (ص١١٨) فضلا عن كونه تهافتا فهو أمر مردود ولم يسبق إليه. أما عن الامر الثاني الذى ضعف به الالباني الحديث فهو قوله: والاختلاف عليه فيها. اهـ.



قلت: أعاد الضمير إلى شبيب. ولكنه جعل الاختلاف في توسله (ص٨٧) على أحمد بن شبيب فقال: ثم ظهر لى علة أخرى وهى الاختلاف على أحمد فيها. فبان من هذا اضطرابه، فالامر سهل والخطب غير جليل والامثلة على تحديث الراوى للحديث على وجهين كثيرة، فإذا رجع الحديث لشبيب بن سعيد فقد روى القصة عنه ثلاثة، اثنان في بلدته البصرة وقت الراحة والبعد عن السفر والمشقة وهما أحمد واسماعيل ابنا شبيب كما في دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٦٧ ـ ١٦٨).

أما الثالث فهو عبد الله بن وهب، فقد روى عنه القصة وقت السفر، وكان السفر خاصا بالتجارة حيث تبلبل البال وتشتت الافكار، ولكنه حدث على الجادة ولم يتلعثم ولم يخطئ، فجاء حديثه في قطعة العذاب موافقا لحديثه في بلدته، والراوي إذا حدث في بلده كان أتقن لما يحدث به في حال سفره كما هو معروف ونص عليه الحافظ في الفتح (١٠ / ٤٤٤)، وإذا كان شبيب في هذا الحديث قد أجاد في السفر والحضر، فان هذا غاية ما يطلب في الرجل كما لا يخفى على أولى العناية والانصاف، واذ قد انتهى الامر إلى أن شبيبا قد جوّد الحديث بهذه الصورة فلا مدخل بعد صحة هذه القصة لمن ياتي من الرواه عن شبيب ويروى الحديث تارة بذكر القصة وتارة أخرى لا يذكرها. ولكن الهوى والتعصب يدفعان إلى الافتراء، وهو ما تراه هنا بادعاء الالباني اختلافا على أحمد بن شبيب، وجواب هذا الاختلاف الذى ارتاه الالباني فقط: أن أحمد بن شبيب كان يحدث الحديث بطوله وفيه قصة مجئ الرجل لعثمان بن عفان رضي الله عنه حدث بذلك الحافظ الثقة المتقن يعقوب بن سفيان الفسوى كما في دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٦٨).



وكان أحمد أحيانا أخرى لا ينشط فيقتصر على أصل الحديث فقط أخرج ذلك ابن السنى والحاكم، فكان ماذا بعد ذلك؟ والرجل (أي أحمد) ثقة، اللهم إلا التعنت والتعصب.

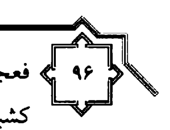
على أنّ بعضهم[١] قال: روى الحديث دون ذكر القصة عن ابن السنى: ١ ـ العباس بن فرج الرياشى. ٢ ـ والحسين بن يحمص الثوري. ورواه الحاكم وعنه البيهقى من طريق: ٣ ـ محمد بن على بن زيد الصائغ. ثلاثتهم عن أحمد بن شبيب ولم يذكروا القصة. ولم يرو القصة عن أحمد إلا يعقوب بن سفيان الفسوى، فهو على ثقته لا يقابل بمن هو ممثر منه عدداً من الثقات. أ هـ.

قلت: إن صح هذا الكلام فرحمة الله على العلم والعقل والبرهان، وخذ الاتى:

١ ـ هؤلاء الثلاثة الذين قال عنهم ثقات إذا أضيف إليهم مثلهم لم يرجحوا على الامام الحافظ العلم يعقوب بن سفيان الفسوى، فهو ثقة وفوق الثقة، وقد قال أبو زرعة الدمشقي: قدم علينا رجلان من نبلاء الناس أحدهما وأرجلهما «يعقوب بن سفيان «يعجز أهل العراق أن يروا مثله رجلا». ومن المعروف أن الشيوخ إذا خالفهم حافظ يرجح قول الحافظ على الشيوخ، فالقول قول الحافظ وإن اجتمع الشيوخ عليه، ويعقوب الفسوى إمام حافظ وفوق الحافظ.

٢ ـ العباس بن فرج روى الوجهين فقد أسند القصة عن إسماعيل ابن شبيب عن أبيه أخرجها البيهقى في دلائل النبوة (١٦٨ / ٦) فوافق الحجة العلم يعقوب بن سفيان الفسوى. فبقى اثنان من الثلاثة، فهل ما زال يصر المعترض على مخالفتها للفسوى؟ اللهم غفرانك. والاثنان الباقيان أحدهما: الحسين بن يحيى الثوري لم أجده بعد بحث! فما أسرع انهيار صرح التعصب! ثم إن تعجب

١ . هو صاحب كشف المتوارى (ص٤٤).

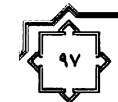


فعجب من محاولة تقديم رواية عون الضيف لانه لم يرو القصة على من رواها كشبيب وابنه أحمد وعبد الله بن وهب ولمجقوب بن سفيان الفسوى وغيرهم من الثقات!.

٣ـ رواية الحديث على أي من الوجهين لا تعلّ الاخرى فكلاهما صحيح، وهذا مقرر ومعروف، ذلك أن الاختلاف الذى يوجد الشك والريبة في الرواية هو الاضطراب الذى لا يمكن توجيهه أما هنا فلا اختلاف ولا اضطراب ونسال الله السلامة والصون من التخبط والتعصب. أما الامر الاخير الذى ضعّف به الالباني الحديث فهو قوله في توسله (ص٨٨): «ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث». قلت: هذا تمحل غريب. فانت ترى أن الزيادة هي أن يروى جماعة حديثا واحداً باسناد واحد ومتن واحد، فيزيد بعض الرواة فيه زيادة لم يذكرها بقية الرواة. كذا لابن رجب في شرح علل الترمذي (ص٣١٠).

وقال الحافظ في نكته على ابن الصلاح (٢ / ٦٩٢): وانما الزيادة التى يتوقف أهل الحديث في قبولها من غير الحافظ حيث يقع في الحديث الذى يتحد مخرجه كمالك عن نافع عن ابن عمر ﷺ إذا روى الحديث جماعة من الحفاظ الاثبات العارفين بحديث ذلك الشيخ وانفرد دونهم بعض رواته بزيادة، فإنها لو كانت محفوظة لما غفل الجمهور من رواته عنها. ١٠ هـ. إذا علمت هذا فإن شبيبا لم يخالف أحداً من الثقات في ذكره القصة الموقوفة وبيان ذلك في الوجهين الاتيين:

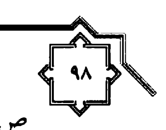
الاول: غاية ما في الامر أن مخرج الحديث غير واحد فمرجعه إلى شيخين لابي جعفر الخطمى، فلشعبة وحماد طريق، ولروح وهشام طريق اخر، وإذا لم يتحد المخرج فدعوى المخالفة غير صحيحه. فإن قيل قد اتحد المخرج بين روح بن القاسم وهشام الدستوائى، وقد جاءت القصة الموقوفة من طريق روح بن



القاسم. أجيب بان شبيب بن سعيد روى عن روح بن القاسم أمراً موقوفا عن صحابي بعد سنوات عديدة من رواية الحديث المرفوع. فهذا مرفوع وذاك موقوف فاين هي المخالفة الواقعة في المتن؟ لا تجدها إلا في التوهم. وقد صرح المحدثون الذين صنفوا في قواعد الحديث بقبول زيادة الراوى إذا تعدد المجلس ولم يتحد، فكيف وبين المرفوع والموقوف بون شاسع من السنين، فاين المجلس الذى اتحد هنا؟! هب أن المخرج واحد فهو لا يضر أيضا لما قد سبق بيانه. وغير واحد من أئمة الحديث قال بوجوب قبول زيادة الثقة ما لم تكن منافية منهم: الخطيب البغدادي.

الثاني: قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله: إذا كان في الحديث قصة دل على أن راويه حفظه. ا هـ. نقله عنه الحافظ في مقدمة الفتح (ص٦٣). وهذا يدل على شفوف نظر الامام أحمد فتدبر. فالحق الذى لا مرية فيه أن شبيبا ثقة يصحح حديثه كما فعل الائمة، فإن تعنت غاية التعنت، فالرجل ليس باقل ممن يحسن حديثه الائمة، ولو وهم هذا الوهم وخالف هذه المخالفة فنقل قصة وقعت في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه لسقط إلى درجة الضفاء والمتروكين الذين لا يحتج بهم أو الوضاعين الذين لا ينظر في حديثهم ولا يظن أحد بشبيب أن يفعل ذلك أو يقاربه ولم يختلط أو يصل وهمه إلى هذه الدرجة الدنيا إن صح وهم عنه وما أراه يصح. والاختلاف لا يضر إذا أمكن الجمع أو الترجيح بين الروايات على قواعد المحدثين، هذا إذا وجد الخلاف وتصور حدوثه، أما هنا فلا خلاف إلا في مخيلة من يدفع بالصدر والله المستعان. وحاصل ما تقدم أن هذه الزيادة الموقوفة التى فيها قصة مجيء الرجل إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه صحيحة، ولذا فقد صححها الحفاظ أمثال الطبراني والحاكم والهيثمي، والحمد لله رب العالمين.

* * *

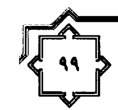


قـال ابـن أبـي خيثمـة في تاريخـه (كـما في قاعـدة في التوسـل لابـن تيميـة ص١٠٦):

حدثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا حماد بن سلمة، ثنا أبو جعفر الخطمى عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلا أعمى أتى النبي ﷺ فقال: إنى أصبت في بصرى فادع الله لى، قال: لا اذهب فتوضـأ وصـل ركعتـين، ثـم قـل: اللهم إنى اسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى استشفع بـك على ربى في رد بصرى، اللهم فشفعني في نفسي وشـفع نبيـي في رد بـصرى، وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك».

قلت: هذا سند غاية في الصحة، وحماد بن سلمة ثقة حافظ علم، ومع ذلـك فقد أعل بوجود زيادة في المتن وهى: وان كانت حاجة فافعل مثل ذلـك، بتفـرد حماد بن سلمة بها، وهى زيادة تفرد بها عن شعبة فتكون شاذة.

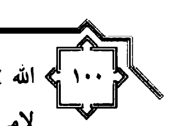
والجواب عن هذا: إن زيادة الثقة مقبولة ما لم تقع منافية أو فيها نوع مخالفـة لرواية الاوثق، وقوله: وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك لا تنافى أصل الحـديث أو تخالفه بل توافقه تماما، لان الاصل العموم واسـتعمال الحـديث في أي وقـت. وكون حماد غلط ظنٌّ مجرّد لا حجة فيه، وغاية ما في الامر أنها زيادة ثقة ليس فيها نوع منافاة فهى مقبولة بلا ريب، ونقول تبكيتا للمتـشددين: وان لم تـصح هـذه الزيادة فالاولى جعل زيادة الثقات من باب الحديث الشاذ وبالله التوفيـق. وهـذا الامام الحافظ أبو حاتم ابن حبان يقول على زيادة تفـرد بهـا حمـاد بـن سـلمة في الثقات (١ / ٨) ما نصه: هذه اللفظة... تفرد بها حماد بن سلمة وهو ثقة مامون، وزيادة الالفاظ عندنا مقبولة عن الثقات إذ جائز أن يحضر جماعة شيخا في سـماع شئ ثم يخفى على أحدهم بعض الشئ ويحفظه من هو مثله أو دونـه في الاتقـان أ هـ. وهو كلام رصين ينبغى تعقله، ثم لا ينبغى أيضا هنا أن يخلى المقام مـن بيـان



أن الالباني الذى يسارع برد هذه الزيادة بدعوى مخالفة حماد ابن سلمة لراو واحد فقط هو شعبة، تجده يقبل مخالفة حماد بن سلمة لجماعة في موضع اخر فيقول في صحيحته (٢٠٣ / ١) ما نصه: وخالف الجماعة (ا) حماد بن سلمة... فيحتمل أن يكون قد حفظ ما لم يحفظه الجماعة أ هـ. نعوذ بالله من الهوى. وعليه فزيادة رواية حماد بن سلمة ثابتة حتى عند من صنف لانكارها وهو الألباني والحمد لله رب العالمين.

٤ ـ قال الطبراني في المعجم الكبير (٢٤ / ٣٥٢) حديث رقم ٨٧ ١: حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة، ثنا روح بن صلاح، ثنا سفيان الثوري، عن عاصم الاحول، عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب دخل عليها رسول الله جل وعز، فجلس عند رأسها فقال: قوله: «خالف الجماعة» خطا، بل تابعه الفزارى الامام الثقة في عشرة النساء (ص٩٠)، ثم ذكر أن حماداً يتأيّد برواية ذكرها عن على بن زيد وهذا أيضا خطا، فعلى بن زيد كأنّه أخطأ فرواه بوجهين: وجه كرواية حماد، وآخر مخالف له في المسند (٦ / ١٨٢).

وليس المقصود التنبيه على هذه الاخطاء، ولكن المقصود ذكر عبارة الالباني، وأن زيادة حماد بن سلمة أولى بالقبول في حديث الاعمى. «**رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينى وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الاخرة**»، ثم أمر أن تغسل ثلاثا، فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور سكبه رسول ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الانصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول



الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: **«الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين»**، وكبّر عليها أربعا وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق ﷺ، ورواه من هذا الوجه الطبراني في الاوسط (١ / ١٥٢)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٣ / ١٢١)، وابن الجوزى في العلل المتناهية (١ / ٢٦٨). وهو حديث حسن. قال الهيثمى في مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ. قلت: شيخ الطبراني أحمد بن حماد بن زغبة ثقة من شيوخ النسائي ولم يخرج له في الصحيح.

أما روح بن صلاح فقد اختلف فيه فوثقه قوم وضعفه اخرون فمثله يحتاج لاعمال النظر لبيان حاله. فقال عنه الحاكم في سؤالات السجزى: ثقة مأمون. وذكره ابن حبان في الثقات (٨ / ٢٤٤). وروى عنه يعقوب بن سفيان الفسوى في المعرفة والتاريخ (٣ / ٤٠٦) فهو ثقة عنده، قال الفسوى (التهذيب: ١١ / ٣٧٨): كتبت عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات. ا هـ. أما من جرحه فلم يذكر سبب جرحه ولم يفسره، ففى المؤتلف والمختلف للدارقطني (٣ / ١٧٣٣) قال: روح بن صلاح بن سيابه يروى عن ابن لهيعة وعن الثوري وغيرهما كان ضيفا في الحديث سكن مصر. ا هـ. ومثله لابن ماكولا في الاكمال (٥ / ١٥) وابن عدى في الكامل (٣ / ١٠٠٥).

وهذا جرح مبهم غير مفسر فيرد في مقابل التعديل المذكور قبله كما هو مقرر. مثاله قول الحافظ في مقدمة الفتح (ص٤٣٧) في ترجمة (محمد ابن بشار بن بندار) ضعفه عمرو بن على الفلاس، ولم يذكر سبب ذلك، فما عرجوا على تجريحه. اهـ.



وادعى الالباني[١] أن الجرح مفسر في روح بن صلاح بقول ابن يونس: رويت عنه مناكير، وبقول ابن عدى في الكامل: في بعض حديثه نكرة.

قلت: كلام الالباني فيه نظر يظهر في الوجهين الاتيين: الاول: عبارتي ابن يونس وابن عدى لا تدلان على الجرح، قال ابن دقيق العيد في (شرح الالمام) كما في (نصب الراية) (١ / ١٧٩)، (وفتح المغيث) (١ / ٣٤٧): قولهم روى مناكير لا تقتضي بمجرده ترك روايته حتى تكثر المناكير في روايته وينتهي أن يقال فيه منكر الحديث، لان منكر الحديث وصف في الرجل يستحق به الترك لحديثه. ا هـ. الثاني: قولهم: (روى المناكير)، أو (رويت عنه مناكير) ليست أيضا من الجرح في شئ، فقد تكون تلك المنكرات من شيوخه أو من الرواة عنه وهو روى شيئا تحمله فقط. قال الحاكم للدارقطني (السؤالات ص٢١٧ ـ ٢١٨): سليمان ابن شرحبيل، قال: ثقة، قلت: أليس عنده مناكير، قال: يحدث بها عن قوم ضعفاء. اهـ. فما كل من روى المناكير ضعيف عندهم. وعندما ترجم ابن عدى لروح بن صلاح في كامله (٣ / ١٠٠٥ ـ ١٠٠٦) روى عنه حديثين الافة والحمل فيهما من الراوى عن (روح بن صلاح)، وعادة ابن عدى في كامله ـ كما يقول الحافظ في مقدمة الفتح (ص٤٢٩): أن يخرج الاحاديث التى أنكرت على الثقة أو على غير الثقة فلو وجد ابن عدى شيئا أنكر على روح بن صلاح لاتى به في ترجمته ولكنه خرج ما حدث به وكان منكرا، ولكن الحمل فيه على غيره فتدبر.

فائدة: أراد الالباني تضعيف الحديث المذكور، فاعتبر قول ابن يونس في روح بن صلاح: (رويت عنه مناكير) من الجرح المفسر الذى يضعف به الراوى، بينما تناقض فاعتبر قولهم في راو اخر (له مناكير) ليس بجرح مطلقا، وذلك في ثنايا رده على الشيخ البولى (ص٦٦ ـ ٦٧)، واكثر من هذا أنه اعتبر (منكر الحديث) جرح مردود، لأنه غير مفسر كذا في صحيحته (١ / ٧٦٩).

---

١ . ضيفته (١ / ٣٢ ـ ٣٣).



وأنت ترى الفارق بين القولين، ولكنك ترى فارقا بين صنيعي الالباني، فعندما يريد أن ينتصر لما يراه صوابا يبتعد عن قواعد الحديث ويسير حسبما يرى، فالله المستعان.

فصل

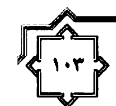
قال الالباني في رد توثيق ابن حبان وتلميذه الحاكم لروح بن صلاح ما نصه (ضيفته: ١ / ٣٢): إن ابن حبان متساهل في التوثيق، فإنه كثيرا ما يوثق المجهولين... ومثله في التساهل الحاكم كما لا يخفى على المتضلع بعلم التراجم والرجال فقولهما عند التعارض لا يقام له وزن حتى ولو كان الجرح مبهما لم يذكر له سبب. اهـ.

قلت: هذا كلام من لم يفهم ـ رغم اشتغاله ـ توثيق ابن حبان، ولم يمعن النظر في ثقاته، فسارع برد توثيقه والاولى التفصيل.

فتوثيق ابن حبان على قسمين نص عليهما في مقدمة ثقاته (١ / ٣١): فالاول: من اختلف فيه علماء الجرح والتعديل، فإذا صحّ عنده أنه ثقة أدخله في ثقاته والا فأودعه كتابه الاخر. الثاني: من لم يعرف بجرح ولا تعديل، وكان كل من شيخه والراوي عنه ثقة، ولم يأت بحديث منكر، فهو ثقة عنده، ولم ينفرد ابن حبان بذلك المذهب، لكن هذا النوع من الرواة عند الجمهور يكون مجهول الحال[1]. وأما نسبة التساهل إليه فبالنظر للنوع الثاني فقط، فإهدار توثيق ابن حبان مطلقا خطأ، ولا تصح نسبة التساهل إليه مطلقا، إنما هو في نوع معين من الرواة فقط وهو الثاني، أما النوع الاول فتوثيقه لا يقل عن توثيق غيره من

---

١ . وإذا كان الرجل ليس من المجهولين فتوثيق ابن حبان لروح بن صلاح مقبول شأنه شأن غيره من النقاد.



الائمة. إذا علم ذلك، فإن رد توثيق ابن حبان لروح بن صلاح بدعوى تساهله فيه نظر ظاهر. فروح بن صلاح روى عنه يعقوب بن سفيان الحافظ، ومحمد بن إبراهيم البوشنجي الفقيه الحافظ، وأحمد بن حماد بن زغبة صاحب النسائي الثقة، وأحمد بن رشدين وابنه عبد الرحمن، وعيسى بن صالح المؤذن، وفيه جرح وتعديل وبعضهم سبق ابن حبان في الكلام عليه كابن يونس.

أما عن توثيق الحاكم فرده أيضا بدعوى التساهل خطأ بيّن، فما زال العلماء ينقلون توثيق الحاكم معتمدين له، وكتب الرجال طافحة بذلك وهي بين أيدينا.

وكان الحاكم إمام أهل زمانه في الحديث، وكانت له المعرفة التامة في الجرح والتعديل والعلل وكل فنون الحديث، وكان يراجع مشايخه في الكلام على الرجال وكان الدارقطني ـ وهو من مشايخه ـ يقدمه على ابن منده. وقال الحافظ أبو حازم العبدوى: وسمعت مشيختنا يقولون: كان الشيخ أبو بكر بن إسحاق وأبو الوليد النيسابوري يرجعان إلى أبى عبد الله الحاكم في السؤال عن الجرح والتعديل وعلل الحديث وصحيحه وسقيمه. قال (أي الحافظ العبدوى): وأقمت عند الشيخ أبى عبد الله العصمى قريبا من ثلاث سنين، ولم أر في جملة مشايخنا أتقى منه ولا أكثر تنقيرا، فكان إذا أشكل عليه شئ أمرني أن أكتب إلى الحاكم أبى عبد الله، وإذا ورد جوابه حكم به وقطع بقوله، وانتخب على المشايخ خمسين سنة. اهـ كذا في طبقات الشافعية (٤ / ١٥٨).

نعم.. ذكر الذهبي في جزء (ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل) (ص١٧٢) الحاكم على أنه من المتساهلين كالترمذي قلت: تساهل الحاكم خاص بالمستدرك[١]، فإنه ﷺ أدركته المنية قبل أن ينقحه كله كما هو معلوم في مكانه، وتوثيقه لروح بن صلاح هو خارج المستدرك في سؤالات السجزى. ومما

---

١ . وهذا ما ذكر في التنكيل (١ / ٤٥٩)، والالباني قام على طبعه وخاصم فيه فهو مطالب بما فيه.



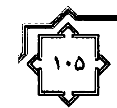
قوى دعوى تساهله أنه صحّح أحاديث في فضل علي ﷺ شنّع عليه بسببها وعند المحاققة القول فيها قوله والحق فيها معه. أما كلامه في غير المستدرك فكغيره من الائمة النقاد، بل تراه يظهر التشدد أحيانا، فكذب ابن قتيبة كما في الميزان (٢ / ٥٠٣)، وفى ترجمة محمد بن الفرح الازرق (٤ / ٤).

قال الذهبي: تكلم فيه الحاكم لمجرد صحبته الحسين الكرابيسى، وهذا تعنت زائد. ا هـ. وكم عاب الحاكم على الشيخين البخاري ومسلم إخراجهما لحديث رجال يحلم فيهم. هب إن الحاكم متساهل كما يقولون، فإنه قال عن روح بن صلاح: (ثقة مأمون)، فالرجل عنده في أعلى درجات القبول والتوثيق، فليس من العدل الذى أمرنا الله أن نقوم به أن نسقط هذا القول بالكلية بل نقول هو: (ثقة)، وإذا تشددنا غاية التشدد فالرجل (صدوق) ولابد. فإذا ضم هذا التوثيق لتوثيق ابن حبان، وإذا كنت في أعلى درجات التعنت فلا يمكنك أن تنفك إلا عن توثيق الرجل، ويقوى توثيقي ابن حبان والحاكم توثيق ضمنى من يعقوب بن سفيان الفسوى لانه من مشايخه، فالرجل حديثه لا يقل عن الحسن والله تعالى أعلم بالصواب.

أما قول الالباني[1]: فقولهما عند التعارض لا يقام له وزن حتى لو كان الجرح مبهمالم يذكر له سبب. ا هـ. ففيه إهدار لتوثيق هذين الامامين بالكلية، وهو قول فيه نظر ولا يساوى سماعه لانه مخالف للواقع وفيه جرأة لا تحمد. ثم زاد الطين بلة فقال: حتى لو كان الجرح مبهما لم يذكر له سبب. قلت: زدت نكدا، وهذا

---

١ . ونقل كلامه وأضافه لنفسه الشيخ حماد بن محمد الانصاري في كتابه (ص٤٤): ومما كنت أحب له ألا يكتبه قوله عن روح بن صلاح (ص٤٥) ما نصه: فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيفه. ا هـ. فلا أدرى هل يعقوب بن سفيان الفسوي والحاكم وشيخه ابن حبان من طلبة الحديث أو أئمته أو من حملة الدكتوراه؟ فلماذا هذه التعمية؟ ولماذا هذا التهويل؟



مثال للكلام الساقط الذى نجل كل مشتغل بالحديث أن يهذى بمثله ونستحى له فالله المستعان. وحاصل ما تقدم أن روح بن صلاح (صدوق) والحديث حسن الاسناد والله أعلم.

٥ ـ حديث: **«حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم»**. قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده (كشف الاستار: ١ / ٣٩٧): حدثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: **«حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم»**. قال الحافظ العراقى في (طرح التثريب) (٣ / ٢٩٧) إسناده جيد.

وقال الهيثمى في (مجمع الزوائد) (٩ / ٢٤): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وصححه السيوطي في الخصائص (٢ / ٢٨١)، وفى تخريج الشفا وهو كما قال. ولشيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله ونور مرقده في هذا الحديث جزء مفيد مطبوع اسمه (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الاعمال). ورجال السند ثقات، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد ثقة أيضا احتج به مسلم، وسيأتى تفصيل الكلام عنه إن شاء الله تعالى. وللحديث طرق أخرى غير ما رواه ابن مسعود فجاء عن أنس وبكر بن عبد الله المزني مرسلا وهو غاية في الصحة ومحمد بن على ابن الحسين معضلا. أما مرسل بكر بن عبد الله المزني فله عنه طريقان صحيحان وثالث ضعيف، أما الصحيحان فاخرجهما القاضي اسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٣٨. ٣٩)، وقد قال ابن عبد الهادي في الصارم بعد ذكره أحد



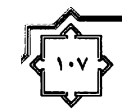
الاسنادين (ص٢١٧): هذا إسناد صحيح إلى بكر المزني[١]، وبكر من ثقات التابعين وأئمتهم ا هـ. والثالث الضعيف ما رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده: حدثنا الحسن بن قتيبة، ثنا جسر بن فرقد عن بكر بن عبد الله المزني به مرفوعا. وانظر المطالب العالية (٤ / ٢٣).

قلت: الحسن بن قتيبة وشيخه ضعيفان. وأما حديث أنس بن مالك ﷺ، فقال أبو طاهر المخلص في فوائده (من الاكتفاء ص١٧): حدثنا يحيى بن محمد ابن صاعد، ثنا يحيى بن خذام بالبصرة، ثنا محمد بن عبد الله بن زياد أبو سلمة الانصاري، ثنا مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«حياتي خير لكم ثلاث مرات ووفاتي خير لكم ثلاث مرات فسكت القوم، فقال عمر بن الخطاب ﷺ بابي أنت وأمي كيف يكون هذا؟ قلت: حياتي خير لكم ثلاث مرات، ثم قلت: موتي خير لكم ثلاث مرات. قال: حياتي خير لكم ينزل عليّ الوحي من السماء فأخبركم بما يحل لكم وما يحرم عليكم، وموتي خير لكم ثلاث مرات تعرض عليّ أعمالكم كل خميس، فما كان من حسن حمدت الله عليه وما كان من ذنب استوهبت لكم ذنوبكم»** قلت: أبو سلمة الانصاري كذبه ابن طاهر وتركه غيره. وله طريق اخر عن أنس أسقط منه، رواه ابن عدي (٣ / ٩٤٥)، والحارث ابن أبي أسامة (كما في المغني: ٤ / ١٤٨) فيه خراش بن عبد الله.

وأما حديث محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر ﷺ فقال الحافظ السيد أحمد بن الصديق ﷺ في الاكتفاء في تخريج أحاديث الشفا (ص١٨): رواه أبو جعفر الطوسي في أماليه من طريق إبراهيم بن إسحاق النهاوندي الاحمري، حدثني محمد بن عبد الحميد وعبد الله بن الصلت عن حنان بن سدير عن أبيه

---

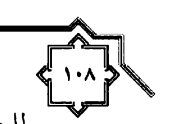
١ . فهذا المرسل بمفرده حجة عن كثير من الائمة كابي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم.



قال إبراهيم: حدثني عبد الله بن حماد عن سدير عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه: «**إن مقامي بين أظهركم خير لكم، وإن مفارقتي إياكم خير لكم**»، فقام إليه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله أما مقامك بين أظهرنا فهو خير لنا، فكيف تكون مفارقتك إيانا خيرا لنا، فقال: (أما مقامي بين أظهركم خير لكم فلإنّ الله عز وجل يقول: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾، يعني: تعذيبهم بالسيف، وأما مفارقتي إياكم، فهو خير لكم لأنّ أعمالكم تعرض عليّ كل اثنين وخميس فما كان من حسن حمدت الله تعالى وما كان من سيئة استغفرت لكم، وهذا غير صحيح بل ملفق مركب محرف، أخرجه إبراهيم الاحمري المذكور في مصنفاته وهو ضعيف، كما ذكره الطوسى في فهرسته فقال: كان ضعيفا في حديثه متهما في دينه، وهكذا قال من قبله النجاشي وغيره. انتهى من كتاب الاكتفا في تخريج أحاديث الشفا للسيد أحمد بن الصديق الغماري ؒ.

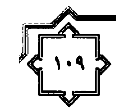
والحاصل أن الحديث صحيح بلا ريب. فإذا وقفت على قول الحافظ العراقى في تخريج الاحياء (٤ / ١٤٨) إذ يقول: أخرجه البزار من حديث عبد الله بن مسعود، ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن أبى رواد، وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي، فقد ضعّفه كثيرون، ورواه الحارث بن أبى أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف اهـ. فلا تتهيّب مخالفته لامور:

الاول: إن صاحبه وقائله ـ الحافظ العراقى ـ قد جوّد إسناد البزار في طرح التثريب (٣ / ٢٩٧)، وكلامه في طرح التثريب مقدم على كلامه في تخريج أحاديث الاحياء، فالاول آخر كتبه، والثانى كتبه وهو دون العشرين، قال تقى الدين ابن فهد في لحظ الالحاظ (ص٢٢٨): ولع (أي الحافظ العراقى) بتخريج أحاديث الاحياء وله من العمر قريب من العشرين سنة. ا هـ.



الثاني: إن كلام الحافظ العراقي يقتضي تحسينه للحديث لانه ذكر طريقين للحديث، فإن سلم ضعفهما، فالحديث حسن بهما كما هو مقرر. الثالث: إن الحديث حسن عند العراقي لزاما، وبيانه أنه تكلم على طريقين للحديث هما: طريق ابن مسعود، وطريق أنس. ولم يتكلم على مرسل بكر بن عبد الله المزني وهو مرسل غاية في الصحة ولو وقف عليه لما ترك الكلام عليه. فبالنظر إلى ما ذكره العراقي وما فاته يقوى الحديث ويحكم بقبوله والله أعلم.

وكعادة الالباني في مثل هذه الاحاديث سعى لتضعيف هذا الحديث فاتبع سبيلا لم يسبق إليه، وتلاعب تلاعبا يعاب عليه. أما تضعيفه للحديث فاتبع فيه سبيلا لم يسبق إليه كما صرح هو بذلك في ضعيفته (٢ / ٤٠٥)، فإنه أضاف للحديث حديثا اخر رواه جمع من الثقات وجعل حديث «**حياتي خير لكم...**» زيادة على الحديث الاول انفرد بها عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد فحكم على الحديث الثاني بالشذوذ لمخالفة عبد الحميد للثقات الذين رووا الحديث الأول..!! ذلك أن الحافظ البزار قال في مسنده: حدثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام**». قال: وقال رسول الله ﷺ: «**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم...**» الحديث. فالحديث الاول رواه عن سفيان جمع من الثقات. والحديث الثاني انفرد به عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، فلما جعلهما الالباني حديثا واحدا حكم على الثاني بالشذوذ، ولم يعده حديثا مستقلا بل زيادة، وهذا خطأ بيّن!. ذلك أن المدقق لابد أن يعلم أن هذين حديثين بسند واحد أخرجهما البزار كما ترى سعيا للاختصار وعدم تكرار الاسناد، وهو ما يكثر حدوثه في كتب الحديث حيث



يذكرون سندا واحدا لعدة متون، وهو ظاهر لا يحتاج لشرح وبيان، وقد أصاب الحافظ السيوطي فجعل في جامعيه الصغير والكبير الحديث الاول في مكان، والحديث الثاني في مكان اخر وهذا من شفوف نظره وثاقب فهمه والله أعلم.

ولكى تروق للالباني دعوته صرح بأن عبد المجيد بن عبد العزيز ابن أبى رواد متكلم فيه من قبل حفظه، وهو وإن وثّقه بعضهم لكن ضعّفه آخرون وبيّن بعضهم السبب (كذا) في ضعيفته (٢ / ٤٠٤)، فكلامه يرشح بضعف الرجل.

ولان الرجل ثقة ومن رجال الصحيح فقد رأيت أن هذا مقام الذبّ عنه وبيان ثقته. فقد وثّقه ابن معين وأحمد وأبو داود والنسائي وابن شاهين والخليلي. ورجل يوثقه هؤلاء، ويكثر مسلم من الاحتجاج به في صحيحه يكون قد جاوز القنطرة، ويكون ما جاء فيه من الجرح مردودا عند التأمل والنظر الصحيح الموافق لقواعد الحديث.

فمن تكلم فيه فلأسباب:

١ ـ بسبب مذهبه، فإنه كان مرجئا وهذا لا يضر في الرواية كما هو مقرر في محله، وقد قال الحافظ الذهبي في الميزان بعد ذكر عبد المجيد ابن عبد العزيز في جماعة من الثقات المرجئين ما نصه: الارجاء مذهب لعدة من جلة العلماء لا ينبغى التحامل عليه به. اهـ.

٢ ـ كونه أخطأ في أحاديث، فإنه روى حديث الاعمال بالنيات من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى به مرفوعا، هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦ / ٣٤٢) والقضاعي في مسند الشهاب (فتح الوهاب ١ / ١٦)، وأبو يعلى الخليلى في الارشاد (١ / ٢٣٣).

والمحفوظ هو عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمى عن علقمة عن عمر به مرفوعا هكذا أخرجه الجماعة، ولذا عد هذا الحديث مما



أخطأ فيه عبد المجيد فكان ماذا؟ فمن ذا الذى ما غلط في أحاديث. فإذا وقفت على ترجمة ابن عدى لعبد المجيد بن أبى رواد في الكامل (٥ / ١٩٨٢)، فتذكر قول الذهبي في الموقظة (ص٧٨):

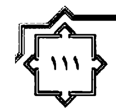
وليس من حدّ الثقة أنه لا يغلط ولا يخطئ فمن الذى يسلم من ذلك؟ غير المعصوم الذى لا يقر على خطأ؟ وقد نبه الذهبي على هذا المعنى عدة مرات في ميزان الاعتدال. والحاصل أن وجود بعض الوهم في حديث عبد المجيد بن أبى رواد لا يخرجه عن حد الثقة لا سيما وأنه كان حافظا مكثرا وكثيرا ما يقع من المكثرين مثل ذلك. وقد وصفه الذهبي بالحفظ والصدق، فقال في النبلاء (٩ / ٤٣٤): العالم القدوة الحافظ الصادق. ا هـ.

٣ ـ من تكلم فيه بجرح غير مفسر كقول أبى حاتم الرازي ـ وتشدده معروف ومشهور ـ «لا يحتج به، يعتبر به»[١]، وكقول ابن سعد: «كان كثير الحديث مرجئا ضعيفا»، وكقول أبى أحمد الحاكم: لا ليس بالمتين عندهم،، وكقول أبى عبد الله الحاكم: «هو ممن سكتوا عنه». فهذا فضلا عن كونه من الجرح الخفيف الذى لم يسلم منه إلا الطبقة الاولى من الثقات، فهو من الجرح الغير مفسر الذى ينبغى رده في مقابل توثيق ابن معين وأحمد وأبى داود والنسائي وغيرهم.

٤ ـ من تكلم فيه بجرح فيه مبالغة وتشدد مردود، وهو ابن حبان حيث قال في المجروحين (٢ / ١٦١): منكر الحديث جدا، يقلب الاخبار، ويروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك. ا هـ. وقد نبّه الحافظ في التقريب (ص٣٦١) على

---

١ . ولا أدرى كيف جعل الالباني هذا القول بعد أن نسبه على سبيل الوهم ـ للنسائي ـ من الجرح المفسر؟



إفراط ابن حبان بمقولة الترك[١]. وكيف يكون الرجل مستحقا للترك ويغيب ذلك عمن حدث عنه ووثّقه كأحمد وابن معين، وابن حبان يبالغ جدا في الجرح حتى قال عنه الذهبي في الميزان (١ / ٢٧٤): ابن حبان ربما قصب الثقة حتى كأنه لا يدرى ما يخرج من رأسه. ا هـ. وكأن مستند ابن حبان في المبالغة في جرحه لعبد المجيد بن أبي رواد ما رواه في المجروحين (٢ / ١٦١) من طريق عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: «القدرية كفر والشيعة هلكة والحرورية بدعة، وما نعلم الحق إلا في المرجئة».

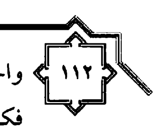
قال الدارقطني في «الافراد»: تفرد به عبد المجيد، وزاد الحافظ في التهذيب (٦ / ٣٨٣): وبقية رجاله ثقات. ا هـ.

قلت: ما قاله الدارقطني والحافظ حق لا مرية فيه، ولا يعنى هذا اتهام عبد المجيد، فالصواب وهو أيضا الحق الذى لا مرية فيه اتهام من دلسه ابن جريج، فإنه كان مدلسا سئ التدليس. قال الدارقطني: تجنب تدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح ا هـ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: بعض هذه الاحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريح لا يبالي من أين يأخذها. اهـ هكذا في الميزان (٢/ ٦٥٩). وبذا تعلم ما في جرح ابن حبان من النظر، وتعصب الجناية في هذا الإسناد فيمن دلسه ابن جريج، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

١ . وإن تعجب فعجب من الالباني، فالحافظ نبه في التقريب (ص٣٦١) على إفراط ابن حبان فقال: صدوق يخطئ وكان مرجئا، أفرط ابن حبان فقال: متروك. اهـ. فاقتصر الالباني في (ضعيفته: ٢ / ٤٠٤) على قول الحافظ: «صدوق يخطئ»، ولم يذكر تعقب الحافظ على ابن حبان، وما فعل هذا إلا ليوهم القراء أن الرجل متروك وكلام ابن حبان مقبول غير متعقب، نعوذ بالله تعالى من اتباع الهوى وشره.



والحاصل أن الرجل كما قال معاصروه أحمد وابن معين: ثقة، ومن تكلم فيه فكلامه مردود لا ينتبه إليه.

من أجل هذا اعتمده مسلم في صحيحه وأخرج له في أصوله، ولهذا قال الحافظ الذهبي في «من تكلم فيه وهو موثق» (ص١٢٤): ثقة مرجئ داعية، غمزه ابن حبان. اهـ.

فكلام الذهبي يصرح بتوثيق الرجل، وأن بدعته وكلام ابن حبان لا يؤثران في ثقته، وإن كان لهما تأثير لما صرح بتوثيقه فتنبه، والله أعلم بالصواب.

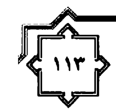
فصل

أما كونه (أي الألباني) تلاعب تلاعباً يعاب عليه فبيانه من وجهين:

الأول: قال في ضعيفته (٢/ ٤٠٥): فلعل هذا الحديث الذي رواه عبد المجيد موصولاً عن ابن مسعود أصله هذا المرسل عن بكر، أخطأ فيه عبد المجيد فوصله عن ابن مسعود ملحقاً إياه بحديثه الأول. اهـ.

قلت: هذا ظن، والظن ليس بكذب فقط، ولكنه أكذب الحديث، ويلزم من هذا الظن الفاسد رد المسند ـ الذي فيه راوٍ تكلم فيه ـ للمرسل الذي جاء من وجه أقوى، فلا يصح بذلك مرسل إلا بشق الأنفس، وفيه إهدار لشطر من السنة، ولم أجد من سبق الألباني لهذه الخرافة.

الثاني: فإنه قد تقرر أن الحديث المرسل يتقوى بأمور، منها إذا ورد هذا المرسل من طريق آخر موصول ضعيف تقوى المرسل به، وصار من باب الحسن لغيره، وبه تقوم الحجة ويلزم العمل به، وإذا كان الموصول الذي فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد من قسم الضعيف كما ارتآه الألباني دفعاً بالصدرفن المرسل الصحيح إذا ضم إليه صار من قسم الحسن المقبول الذي يجب العمل به اتفاقاً.



ولم أجد مبرراً عند الألباني يبعده عن اتباع القواعد الحديثية هنا إلا التعنت، واتباع الهوى في رد مثل هذه الأحاديث.

وأزيد هنا بخصوص هذا الحديث رده على نفسه واتباعه لما تقرر من قبول المرسل بالشروط المبسوطة في محلها قوله في رده على الشيخ إسماعيل الانصاري[١] ما نصه:

المرسل الصحيح إسناده حجة وحده عند جمهور الفقهاء، قال الحافظ ابن كثير: (والاحتجاج به مذهب مالك وأبى حنيفة وأصحابهما وهو يحكى عن أحمد في رواية).

وأما مذهب الشافعي فشرطه في الاحتجاج به معروف، وهو أن يجيء من وجه آخر ولو مرسلا... فهذا الحديث المرسل صحيح حجة عند المذاهب الاربعة وغيرهم من أئمة أصول الحديث والفقه، وبذلك يظهر لكل منصف أن القول بسقوط الاستدلال بهذا الحديث لمجرد وروده مرسلا[٢] هو الساقط. ا هـ.

قلت: بل يظهر لكل منصف أن هوى الرجل أوقعه في التناقض والرد على نفسه والكيل بمكيالين...!

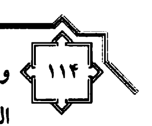
الحديث السادس

حديث: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً

---

١ . كتاب الشيباني: ١ / ١٣٤ ـ ١٣٥.

٢ . ثم حديث عرض الاعمال أولى بالقبول من هذا المرسل الذى تقوى بموصول، فالموصول في الرد على الانصاري فيه ليث بن أبى سليم حاله معروف في الضعف، وموصولنا فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد وقد تقدم توثيقه وأنه من رجال مسلم فيكون قد جاوز القنطرة. والله أعلم.



ولا سمع وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك».

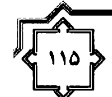
قال ابن ماجه في سننه (١ / ٢٥٦): حدثنا محمد بن سعيد بن يزيد بن إبراهيم التستري، ثنا الفضل بن الموفق أبو الجهم، ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك».**

ورواه أحمد في المسند (٣/ ٢١) عن يزيد بن هارون، وابن خزيمة في التوحيد (١٧، ١٨) عن ابن فضيل بن غزوان وأبي خالد الأحمر. والطبراني في الدعاء (٢/ ٩٩٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٤٠) كلاهما عن عبد الله بن صالح العجلي.

والبغوي في حديث علي بن الجعد (ص٢٦٢ نسختي) عن يحيى بن أبي كبير، ويزيد بن هارون، وأحمد بن منيع كما جاء في (مصباح الزجاجة) (١/ ٩٩) عن يزيد بن هارون.

والبيهقي في (الدعوات الكبير) (ص٤٧) عن يحيى بن أبي كبير. كلهم عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري ﷺ به مرفوعاً.

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠ / ٢١١ ـ ٢١٢) عن وكيع وأبو نعيم الفضل بن دكين كما في «أمالى الاذكار» (١ / ٢٧٣). كلاهما عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد موقوفا عليه، وهذا وجه مرجوح كما سيأتي بيانه إن شاء الله.



وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» (ص٤٧١ ـ ٤٧٢)، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذرى كما في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٧٣).

والحافظ العراقى في «تخريج أحاديث الاحياء» (١ / ٢٩١).

والحافظ ابن حجر العسقلاني في «أمالى الاذكار» (١ / ٢٧٢).

وقال الحافظ البوصيرى في «مصباح الزجاجة» (١ / ٩٩): لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده. اهـ.

فهؤلاء خمسة من الحفاظ ﷺ صححوا أو حسنوا الحديث وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والاذعان إليه وسنبين للقارئ صواب مسلك الحفاظ المذكورين ومن تبعهم إن شاء الله تعالى لكن لابد من ذكر ما أعل به الحديث ثم الجواب عليه بعون الله تعالى.

فقد أعل الحديث بثلاث علل:

الأولى والثانية: بالكلام في فضيل بن مرزوق، وعطية العوفي.

والثالثة: ترجيح الوقف على الرفع... كما زعموا.

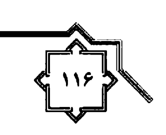
فصل

أما عن فضيل بن مرزوق فهو من رجال مسلم في صحيحه، ووثقه جماعة من الأئمة منهم:

العجلي في ثقاته (ص٣٨٤) فقال: جائز الحديث، ثقة.

ووثقه السفيانان: ابن عيينة، والثوري.

وقال ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٤٥): ولفضيل أحاديث حسان، وأرجو أنه لا بأس به.



وقال أحمد بن حنبل كما في الجرح (٧/ ٧٥): لا أعلم إلا خيراً.

وقال الحافظ الكبير الهيثم بن جميل: كان من أئمة الهدى زهداً وفضلاً. اهـ.

وهذا الثناء لا تجده إلا في الأفراد من الرجال.

ووثقه ابن شاهين بإدخاله في الثقات (ص١٨٥).

وكذا ابن حبان فذكره في (٧/ ٣١٦) من الثقات.

ومع هؤلاء فقد وثقه من اتفق الناس على قبول توثيقه أعني الإمام مسلماً ﵀، فأدخله في صحيحه، واحتج به.

أما إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين فقد نقل عنه خمسة من أصحابه توثيقه لفضيل بن مرزوق فقال عثمان بن سعيد الدارمي عنه: لا بأس به.

وقال عباس الدوري عنه: ثقة.

وقال عبد الخالق بن منصور عنه: صالح الحديث.

وقال ابن محرز عنه: صويلح.

أما أحمد بن زهير بن أبي خيثمة فمرة قال: ثقة، ومرة قال: ضعيف.

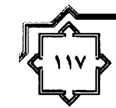
والتوثيق حقيق بالقبول لأنه موافق للروايات الأخرى عن ابن معين في الجملة لاسيما وهو موافق للآخرين.

فهؤلاء هم أئمة الجرح والتعديل قد عدلوه وقبلوا حديثه، واحتج به مسلم في صحيحه فكلامهم هو المقبول.

فصل

واما من جرحه فقسمان:

الاول: قال الحاكم في «سؤالات مسعود السجزى» له: فضيل ابن مرزوق ليس من شرط الصحيح فعيب على مسلم بإخراجه في الصحيح. اهـ.



قلت: هذا في نظر الحاكم وليس في نظر مسلم بن الحجاج، وقول مسلم مقدم على قول الحاكم في هذا الفن.

ثم إن كلام الحاكم لا يدل على الجرح في شيء، وكم عاب الحاكم على الشيخين إخراجهما لحديث بعض الناس في صحيحهما، فلم يلتفت إلى قوله كما تجد ذلك مبسوطاً في كتب المصطلح والرجال، على أن الحاكم صحح لفضيل بن مرزوق في المستدرك.

تنبيه:

قال الذهبي في «سير النبلاء» (٧/ ٣٤٢): إنما يروى له مسلم في المتابعات. اهـ.

وتبعه المعلمي في تعليقاته على موضوعات الشوكاني (ص٣٥٣) تقليداً لا تنقيداً.

والثاني: قال أبو حاتم الرازي (٧/ ٧٥ الجرح): صدوق صالح الحديث يهم كثيراً يكتب حديثه، قال ابن أبي حاتم: يحتج به؟ قال: لا. اهـ.

قلت: لا يخفى تشدد أبي حاتم الرازي في الجرح حتى قال عنه الحافظ الذهبي ـ وهو من أهل الاستقراء التام في الرجال كما قال عنه الحافظ بن حجر ـ في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨١): «يعجبني كثيراً كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل يبين عليه الورع والمخبرة: بخلاف رفيقه أبي حاتم فإنه جراح.» اهـ.

وقال الذهبي في السير أيضاً (١٣/ ٢٦٠): إذا وثّق أبو حاتم رجلاً فتمسك بقوله فإنه لا يوثّق إلا رجلاً صحيح الحديث، وإذا لين رجلاً أو قال: لا يحتج به فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثّقه أحد فلا تبن على تجريح أبي حاتم فإنه متعنت في الرجال قد قال في طائفة من رجال الصحاح: ليس بحجة، ليس بقوي أو نحو ذلك. اهـ.



بل قال ابن تيمية في رسائله في الزيارة (ص٨٨): وأما قول أبي حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به فأبو حاتم يقول مثل هذا في كثير من رجال الصحيحين وذلك أن شرطه في التعديل صعب، والحجة في اصطلاحه ليس هو الحجة في اصطلاح جمهور أهل العلم. اهـ.

وقال ابن الهادي في «التنقيح»:

«وقول أبي حاتم: لا يحتج به، غير قادح أيضاً، فإنه لم يذكر السبب، وقد تكررت هذه اللفظة منه في رجال كثيرين من أصحاب الصحيح الثقات الأثبات من غير بيان السبب كخالد الحذاء وغيره والله أعلم».

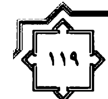
انتهى من نصب الراية (٢/ ٤٣٩).

فإذا علم تشدّد أبي حاتم في الجرح وهذا جواب عام، فلقائل أن يقول: قد بين أبو حاتم سبب جرحه لفضل بن مرزوق وهو قوله: (يهم كثيراً) وابن حبان عندما ذكره في الثقات (٧/ ٣١٦) أخذ كلمة أبي حاتم وقال: كان ممن يخطئ.

فمحله الجواب الخاص وهو إن سلمنا لابي حاتم قوله فإن الوهم الذى يقع في حديث الراوى الموثق لا يخرجه عن حد الثقة إلا إذا كثر الوهم في حديثه وغلب عليه، أما إذا كان الوهم قليلا فلا يخرجه عن حد الثقة الذى يصحح حديثه، ولكن لا يكون حديثه من الطبقة العليا من الحديث الصحيح بل من الطبقة الثانية لأنه كما هو مقرر فإن الحديث الصحيح ينقسم لأقسام ويعرف له درجات ومنهم من يدرج الحسن فيه كابن حبان وابن خزيمة وغيرهما.

فإن قيل هذا يسلم لك إن كان قليل الوهم، وقد وصفه أبو حاتم الرازي بكثرة الوهم.

قلت: هذا من دلائل تعنته، وتشدده، وأوضح دليل على ذلك أن الأئمة الذين وثقوه وهم سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ويحيى بن معين، وأحمد بن



حنبل، والهيثم بن جميل، ومسلم بن الحجاج، وابن عدي، وابن شاهين، لم يذكروا شيئاً عن أوهامه القليلة بل أوهامه الكثيرة.

فدل ذلك على وجود جهتين:

الأولى سبعة من الحفاظ يقولون بتوثيق الرجل ولم يذكروا شيئا عن أوهامه.

والثانية: حافظ خالفهم هو أبو حاتم الرازي يقول بوهمه الكثير.

فإعمالاً لجميع الأقوال في الرجل، ولما عرف من تعنت أبي حاتم الرازي فلك أن تقول: إن الرجل ثقة، في حديثه بعض الوهم، فهو حسن الحديث إن شاء الله تعالى أو صحيح ولكن ليس في الدرجة العليا من الصحة.

أما قول النسائي «ضعيف» فإنه من الجرح المبهم غير المفسر فيرد في مقابل التعديل الذي ورد في حق فضيل بن مرزوق عن عدد من الأئمة الحفاظ الذين تقدم ذكرهم.

مثال الجرح المبهم المردود قول الحافظ في مقدمة الفتح (ص٤٣٧) في ترجمة محمد بن بشار البصري: ضعفه عمرو بن على الفلاس ولم يذكر سبب ذلك فما عرجوا على جرحه. اهـ.

على أن النسائي أخرج لفضيل بن مرزوق في سننه وهو المعروف بتشدده وتعنته في الرجال، فتدبّر.

وأما ابن حبان فإنه حامل راية التشدد والتعنت في الرجال فكم من ثقة أودعه كتابه «المجروحين» حاكما عليه بالترك وعلى مروياته بالنكارة، وقد أتى بها لم يسبق إليه في الرجل فقال: «منكر الحديث جدا» وهو قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعتمد عليه، بل ابن حبان نفسه خالف مقولته هذه فقال عقبها: «كان ممن يخطئ على الثقات ويروى عن عطية الموضوعات وعن الثقات الاشياء المستقيمة فاشتبه أمره». اهـ.



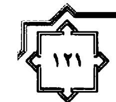
قلت: هذا الكلام لا يفيد إلاّ أن الرجل ثقة لا غير، شأنه في الرواية كشأن سائر الثقات، فالثقة إذا روى عن ثقة فحديثه مستقيم، وإن روى عن غير ثقة فحديثه غير ذلك فلا مدخل للثقة فيمن روى عنه، وإذا كان الرجل يؤدي ما سمعه تماما فهو من رسم الثقة، ثم قال ابن حبان: «والذى عندي أن كل ما يروى عن عطية من المناكير يلزق ذلك كله بعطية ويبرأ فضيل منها».

قلت: إذا برئ الرجل من غلط غيره فلا بد من إخراجه من المجروحين وإدخاله في الثقات وهذا ما لم يستطع أن ينفك منه ابن حبان فأدخله في ثقاته (٧ / ٣١٦)، وهذا هو الاولى والصواب من قوليه لأنه الموافق لاقوال الجماعة وفيهم السفيانان وابن عيينة وابن معين وأحمد، وأتبع ابن حبان توثيقه بقوله: «كان ممن يخطئ» ولم يأت بما يدل على خطئه لا في الثقات ولا في المجروحين كما سترى إن شاء الله تعالى.

ثم قال ابن حبان: «وفيما وافق الثقات من الروايات عن الاثبات يكون محتجا به، وفيما انفرد على الثقات ما لم يتابع عليه يتنكب عنها في الاحتجاج به». اهـ.

قلت: حاصل هذا أن حديثه لا يقبل إلا بمتابع.

وهو معارض بقوله: «هو يروى عن الثقات الاشياء المستقيمة» فإن من يروى الاحاديث المستقيمة عن الثقات ويكون هذا شأنه وديدنه وطريقته لا يحتاج للتوقف في أمره وأخذ ما وافق والتنكب عما انفرد به، فإن من يتنكب عن حديثه إذا انفرد به هو الذى يغلط عن الثقات، وإذا كان الرجل يأتي بالوجه الصحيح عن الثقات فمقتضى ذلك قبول حديثه لا التوقف فيما انفرد به والتنكب عنه، وهذا التوقف والتنكب من دلائل تشدد وتعنت ابن حبان في الجرح رحمه الله.



ثم كأنّ ابن حبان يستدل على مقولته فقال: روى الفضيل بن مرزوق عن أبي سحاق عن زيد بن يثيع عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «**إن تؤمّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً**».

قلت: لا شيء على فضيل بن مرزوق في هذا الحديث، فالرجل لم ينفرد به من هذا الوجه، بل تابعه إسرائيل ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي فيما أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٠٩) وعبد الله بن أحمد في السنة، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٥١) وتابعه أيضاً إبراهيم بن هراسة و سفيان الثوري في الحلية (١/ ٦٤).

ومنه يعلم أن كلام ابن حبان في فضيل بن مرزوق غير مقبول، والحديث الذى تسرّع وأتى به لا يساعده في دعواه بل يفيد إتقان الرجل وأنه لم ينفرد به بل وافقه غيره، فتأمل. والحاصل إن فضيل ابن مرزوق إن لم يكن حديثه في أعلى درجات الصحة فإنه لا يقل عن درجة الحسن.

وكون الرجل حسن الحديث هو معنى قول ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (١ / ٢١٠): هو ثقة وسط. اهـ.

وهو ما صرح به الذهبي في (سير أعلام النبلاء) (٧ / ٣٤٢) فقال:

ما ذكره في الضعفاء البخاري ولا العقيلي ولا الدلابي وحديثه (أي فضيل بن مرزوق) في عداد الحسن. اهـ.

وأدخله الذهبي في كتابه (من تكلم فيه وهو موثق) (ص١٥١) وهو يعني أن حديثه لا يقل عن رتبة الحسن، بل أطلق الذهبي القول بتوثيقه في الكاشف (٢ / ٣٣٢) وليس هذا ببعيد عن رجل يوثقه الائمة ويحتج به مسلم في صحيحه.

تتمة مهمة:

ضعّف الألباني هذا الحديث بأمور منها تصريحه، بضعف فضيل بن مرزوق، وقد دافع عن ذلك وتشدد فيه في ضعيفته (١/ ٣٢٣)، **ثم تناقض كعادته، وحسن حديثه في صحيحته (٣/ ١٢٨) فتأمل.**

فصـل

أما عن العلة الثانية وهي الكلام في عطية بن سعد العوفي:

فمن تكلم في عطية فعلى قسمين:

الأول: قسم أبهم الجرح، ولم يفسره.

الثاني: قسم آخر ذكر سبب جرحه، وهؤلاء كلامهم في عطية العوفي يرجع إلى ثلاثة أسباب، هي:

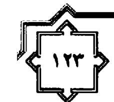
١ ـ تدليسه.

٢ ـ وتشيعه.

٣ ـ وروايته شيئا أنكر عليه.

أما الجرح المبهم فينبغي رده وعدم الالتفات إليه ولو بلغ مبلغاً كبيراً، لأنه تقرر في قواعد علوم الحديث أن الراوي الذي جاء فيه جرح وتعديل وهذا الجرح مبهم غير مفسر ينبغي رده وعدم العمل به وترك الالتفات إليه وبالتالي الأخذ بالتعديل الذي جاء في الراوي هو الصحيح، وقد استقر العمل عند المحدثين على هذا.

وأما من جرحه بسبب تدليسه، وهم الأكثرون، فاعتمادهم في ذلك على رواية تفرد بها تالف، متهم بالكذب، هو محمد بن السائب الكلبي لا ينبغي الاعتماد عليه، وقد توارد كثرة على ذلك تقليداً لا تنقيداً.



ومن تكلموا فيه بسبب تشيعه فجرحهم في الحقيقة مردود لأن الجرح بالبدعة لا يلتفت إليه بعد بيان صدق الراوي وعدالته خاصة إذا لم يكن داعياً لبدعته أو المروي يؤيد بدعته، ولم يثبت أن عطية العوفي كان داعياً للتشيع، والحديث المروي هنا الذي نحن بصدده لا علاقة له بالتشيع، وعليه فكلام من تكلم في عطية العوفي بسبب تشيعه لا ينظر إليه، خاصة إذا كان هذا المتكلم فيه متهم بالنصب وهو ضد التشيع.

وأما الكلام فيه بسبب روايته شيئاً أنكر عليه فلم أجد له فيما وقفت عليه من كتب الرجال شيئاً من ذلك إلا حديثاً واحداً فقط ذكره ابن عدي، والقول فيه قول عطية، والصواب هو حديثه كما سيأتي إن شاء الله تعالى، حتى وإن غلط عطية العوفي في الحديث الذي ذكره له ابن عدي فهذا لا يفيد تضعيفه وإسقاط حديثه، فليس معنى كون الراوي مقبول الحديث ان تكون مروياته كلها صواباً هذا بعيد جداً عن الواقع، لأن الإنسان عامد للنسيان وتغلب عليه الطبيعة البشرية، ولذا لا تجد إماماً مهما علا قدره وقوي حفظه لا يهم في حديثه، ولكن إذا كان صوابه أكثر من خطئه كان مقبولاً وإلا فلا.

والحاصل أن ثبوت بعض الأخطاء في حديث عطية العوفي لا يضره في جنب ما روى، خاصة أنه كان مكثراً والله تعالى أعلم بالصواب.

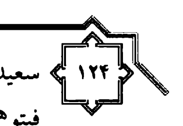
وهذا الكلام المجمل ينبغي بيانه في الفصول التالية:

فصـــل

جرح الأكثرون عطية العوفي بسبب روايتهم تدليسه تدليس الشيوخ.

قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٧٦):

سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات أبو سعيد جعل يجالس الكلبي ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله كذا فيحفظه وكناه أبا



سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له من حدثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري وإنما أراد الكلبي. اهـ.

وقد اعتمد من اتهم عطية العوفي بتدليس الشيوخ على الآتي:

قال عبد الله بن أحمد، سمعت أبي ذكر عطية العوفي فقال: هو ضعيف الحديث، بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول: قال أبو سعيد: قال أبي: وكان هشيم يضعف حديث عطية.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبي، ثنا أبو أحمد الزبيري، سمعت الثوري قال: سمعت الكلبي قال: كناني عطية بأبي سعيد.

وسمعت أبي يقول: كان سفيان الثوري يضعف حديث عطية العوفي. اهـ.

كذا في العلل ومعرفة الرجال (١/ ١٢٢)، والجرح والتعديل (٦/ ٣٨٣) وضعفاء العقيلي (٣/ ٣٥٩)، والكامل لابن عدي (٥/ ٢٠٠٧).

وفي المجروحين لابن حبان (٢/ ١٧٧): سمعت مكحولاً يقول: سمعت جعفر ابن أبان يقول: ابن نصير يقول قال لي أبو خالد الأحمر قال لي الكلبي: قال لي عطية كنيتك بأبي سعيد قال: فأنا أقول حدثنا أبو سعيد. اهـ.

فأنت أيها القارئ المنصف إذا نظرت بعين الناقد المتجرد تجد أن أحمد قد ضعف عطية العوفي ثم ذكر مستنده في تضعيفه وهي حكاية الكلبي وهي سبب كلام هشيم في عطية.

وحكى أحمد تضعيف الثوري لعطية بعد أن أسند البلاغ من طريق الثوري، فحكاية الكلبي هي أصل مستند الثوري أيضاً في تضعيفه عطية العوفي.

وقد أدخله ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٧٦) اعتماداً على كلام الكلبي ولم يذكر شيئاً آخر يتكئ عليه إلا هذه الحكاية، ولم تفته المبالغة في الجرح كعادته رحمه الله.



وهذا الذي اعتمدوا عليه فيه نظر ولا يصح سنده، لأن مداره على محمد بن السائب الكلبي وحاله معروف فهو تالف متهم بالكذب، فالسند الذي يكون فيه ذلك الرجل لا ينظر إليه ولا يعتمد عليه في شيء، ومع ذلك فقد سارت الركبان بمقولته التالفة وتوارد البعض على حكايتها، والكمال لله تعالى والمعصوم هو رسوله ﷺ.

وإن تعجبت من اعتماد البعض على هذه الرواية الساقطة في رمي

عطية العوفي بتدليس الشيوخ فاعجب أكثر لتوارد الكثير على هذا الجرح المردود، فصار هؤلاء خلف المعتمدين على هذه الرواية الساقطة تقليداً لا غير.

ومع كون قولهم جاء عارياً عن الدليل فإنهم لم يذكروا ما يؤيد دعواهم ويقيم صلب مستندهم ولو وجدوا شيئاً لذكروه خاصة المتأخرين منهم، ولما لم نجد ذلك علم أن من تأخر قلد المتقدم وحصل التوارد على الخطأ، وهذا له نظائر كثيرة في كتب الرجال، فالحمد لله على توفيقه.

ولم أجد من تنبه لهذا الخطأ من أهل الحديث إلا اثنين.

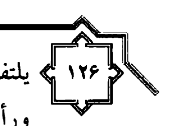
أولهما: الحافظ البارع أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي حيث قال في شرح علل الترمذي (ص٤٧١) بعد نقله أصل الحكاية عن العلل للإمام أحمد ما نصه:

ولكن الكلبي لا يعتمد على ما يرويه. اهـ.

ثانيهما: الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري، فقال في الهداية في تخريج أحاديث البداية (٦/ ١٧٢) في أثناء كلام له عن عطية العوفي:

وإنما نقلوا عنه التدليس في حكاية ما أراها تصح مع الكلبي. اهـ.

وقد تقعقع الألباني كعادته فشنع في توسله (ص٩٤ ـ ٩٨) على عطية العوفي بسبب هذه الرواية التالفة وشنع على من حسن الحديث، وهو كلام لا



يلتفت إليه، ولا يشتغل برده لما علمت من حال هذه الرواية التي هي عمدة ورأس مال من اتهمه بالتدليس، والله المستعان.

فصل

قال صاحب الكشف والتبيين (ص٥٠) تعقيباً على كلام ابن رجب الحنبلي:

أما أن الكلبي لا يعتمد على ما يرويه فهذا صحيح لكن... ليس له شأن هنا إذ إنّ العلماء الذين ذكروه بهذا النوع من التدليس القبيح لم يعتمدوا فقط على قول الكلبي عن عطية وتكنيته له وإنما اعتمدوا ذلك بناء على سبرهم مروياته وتنقيدهم لروايته. اهـ.

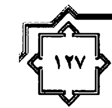
قلت: هذا كلام متناقض فإنه يسلم بعدم الاعتماد على الكلبي، ثم ينفي أن له شأناً هنا ثم يثبت عكس ذلك فيصرح بأن العلماء الذين ذكروا عطية بالتدليس لم يعتمدوا على قول الكلبي فقط ولكن على سبرهم مروياته أيضاً فهذا يعني أنهم يعتمدون على قول الكلبي وغيره فهو ينفي أمراً ثم يثبته ويتناقض كعادة شيخه، **هذه واحدة.**

والثانية: من ذكر تدليس الشيوخ عن عطية العوفي، وتكنيته للكلبي بأبي سعيد اعتمد فقط على رواية الكلبي فهذه كتب الرجال بين أيدينا لم تذكر إلا الرواية التي فيها الكلبي المتهم بالكذب فقط، ولم تشر لأي شيء آخر من مرويات عطية العوفي، فكيف يقول هذا عن الكلبي: ليس له شأن هنا؟!

الثالثة: إن هذه دعوى لا دليل عليها ولا مستند لها، وكل ما كان

حاله كذلك فهو مردود لا ينظر إليه لأن الله عز وجل يقول: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

فمن لم يأت ببرهان على دعواه فكلامه فيه نظر.



الرابعة: قوله: وإنما اعتمدوا ذلك بناء على سبرهم مروياته وتنقيدهم لرواياته. اهـ.

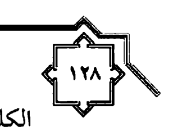
قلت: لما لم يصرح أحد بمقولته دل ذلك على أنه اعتمد على ظن مرجوح، والظن لا يغني من الحق شيئاً، ومن الأدلة على كونه ظناً أنه لو كان معه شيء يؤيد دعواه لأبرزه ليؤيد قوله وينصر رأيه، فلما لم يفعل دل أن هذا من باب أكذب الحديث والله أعلم.

ولك أن تقول: إن كلامهم في تدليس عطية العوفى لو كان معتمدا على سبر مروياته لابرزوا ذلك وبينوه وتداولوه في كتب الرجال والتخاريج، وكأنك لا تجد مثالا واحدا يسعف صاحب الدعوى، فلما لم تصح الدعوى رجع ذلك إلى رواية الكلبى فقط.

الخامسة: تدليس الشيوخ لا يعرف إلا بنص، فكون عطية العوفي كنى الكلبي بأبي سعيد حتى لا يتميز عن أبي سعيد الخدري هذا أمر يحتاج إلى توقيف ولا عبرة إلا به، فسبر المرويات لا يفيد شيئاً في ذلك ما لم يكن معه نص في حكاية التكنية.

السادسة: هذه إحالة على مجهول ومحاولة إثبات التدليس القبيح دفعا بالصدر لا غير ولو صحت هذه الطريقة فرحمة الله عزوجل على الحجة والبرهان والدليل فمثله كمثل رجل اعتمد على حديث مكذوب في إثبات أمر ما، فلما حاجه غيره وبين له كذب ما اعتمد عليه وافق هذا الرجل من حاجه ولكنه يريد أن يثبت الامر الذى في ذهنه فقال لمن حاجه: أسلّم لك بكذب ما اعتمدت عليه لكن هناك أدلة أخرى وسكت، ولو علمها لابرزها.!!!

وبهذه الطريقة يمكن إثبات كل باطلٍ ومنكرٍ والاعتماد على الموضوعات، والله المستعان.



السابعة: قد تقرر أنه لا ينسب لساكت قول وقد سكتوا عما سوى رواية الكلبي، فمن نسب للحفاظ غير حكاية الكلبي يكون قد نسب للساكت قولاً، وقوّل الناس ما لا يقولوه، والله المستعان.

تنبيه:

قال الألباني في توسله (ص٩٥) بعد ذكر تكنية عطية للكلبي وهي تالفة كما تقدم (وهذا وحده عندي يسقط عدالة عطية هذا) اهـ.

قلت: هذا خطأ لأمرين:

الأول: قال الحافظ السيوطي في تدريب الراوي (١/ ٢٣١):

من أقسام التدليس.. إعطاء شخص اسم آخر مشهور تشبيهاً، ذكره ابن السبكي في جمع الجوامع قال: كقولنا أخبرنا أبو عبد الله الحافظ

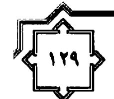
يعني الذهبي تشبيهاً بالبيهقي حيث يقول ذلك يعني به الحاكم.. وليس ذلك بجرح قطعاً لأن ذلك من المعاريض لا من الكذب، قال الآمدي في الإحكام، وابن دقيق العيد في الاقتراح. اهـ.

الثاني: ما ذكر من تكنية عطية العوفي للكلبي، فعل نحوه جماعة من الأعيان العدول.

قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٥٣): محمد بن السائب الكلبي، كنيته أبو النضر، من أهل الكوفة، وهو الذي يروي عنه الثوري، ومحمد ابن إسحاق ويقولان: حدثنا أبو النضر حتى لا يعرف. اهـ.

قلت: ومن شيوخهما سالم بن أبي أمية المكنى بأبي النضر، وهو تابعي ثقة احتج به الجماعة كما في التهذيب (٣/ ٤٣١).

وكان هشيم بن بشير الواسطي الحافظ الثقة ـ وهو من المتكلمين في عطية العوفي ـ يفعل ذلك.



قال يحيى بن معين: لم يلق أبا إسحاق السبيعي، وإنما كان يروي عن أبي إسحاق الكوفي، وهو عبد الله بن ميسرة وكنيته أبو عبد الجليل فكناه هشيم كنية أخرى. اهـ. من التهذيب (١١/ ٦٣).

قلت: عبد الله بن ميسرة ضعيف.

وقال ابن أبي خيثمة، عن ابن معين: كان مروان يغير الأسماء يعمي الناس كان يحدثنا عن الحكم بن أبي خالد، وإنما هو حكم بن ظهير. اهـ.

قلت: ومروان هو ابن معاوية الفزاري الثقة الحافظ وفي التقريب (٦٥٧٥): ثقة حافظ، وكان يدلس أسماء الشيوخ، والحكم الذي يدلسه متروك متهم، وابن معين مع ذلك يقول عن مروان: ثقة.

فهؤلاء أربعة من كبار أعيان الحفاظ يدلسون تدليس الشيوخ عن الضعفاء وأنت أيها المنصف تقول بعدالتهم ولا تستطيع أن تنفك عن هذا القول.

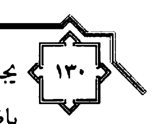
فإذا تكلمت بعد ذلك في عطية العوفي وقلت بسقوط عدالته فقد تخبطت تخبطا معيبا وبعدت عن حد الانصاف وألزمت نفسك بعظيم يصعب دفعه. نسأل الله تعالى السلامة والصون.

فصل

أما من تكلموا فيه لتشيعه كالجوزجاني فإنه قال في (أحوال الرجال ص٥٦): مائل. والجوزجاني كان معروفا بالنصب مشهورا به ـ وكتابه ماثل بين أيدينا ـ حتى قال عنه الحافظ في مقدمة اللسان (١ / ١٦):

الحاذق إذا تأمل ثلب أبى إسحاق الجوزجانى لاهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع. اه.

على أن قول الجوزجاني هذا مع سخافته، وسقوطه، هو في حقيقته توثيق لعطية العوفي، لأنه لما لم يجد شيئاً في حديث العوفي، وكان الرجل كوفياً شيعياً، لم



يجد ما يذكره به إلا تشيعه فقال: (مائل)، ولو وجد الجوزجاني شيئاً لسارع بإظهاره لشدة عدواته لأهل الكوفة.

والنواصب مجروحون بقوله ﷺ لعلي عليه السلام: **«لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»**. ففض يديك من جرح النواصب تسلم، وهم أولى بالجرح قطعاً.

تنبيه:

نقل العقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٥٩) عن سالم المرادي أنه قال: كان عطية العوفي رجلاً متشيعاً.

وأورد الذهبي في الميزان (٣/ ٧٩) قول المرادي.

وهي كلمة لا تفيد جرحاً البتة.

فالمرادي هو ابن عبد الواحد الكوفي، ليس هو من الحفاظ، ولا من النقاد الذين يقف المرء عند قولهم في الجرح والتعديل، وهو أيضاً شيعي كعطية العوفي، بل عطية العوفي من مشايخه فهو بعيد جداً عن نقد عطية العوفي.

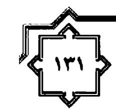
وقد أوردت هذا التنبيه تعقيباً على الشيخ حماد الأنصاري حيث عد سالماً المرادي من النقاد المضعفين لعطية العوفي في رسالته «تحفة القاري في الرد على الغماري» (ص٦٤).

وكلامه خطأ من وجهين:

الأول: أن (سالماً المرادى) ليس من النقاد، بل هو يحكي أمراً في عطية فقط.

الثاني: أن كلامه ليس من الجرح في شيء، فكيف يعده الشيخ حماد الأنصاري من المجروحين لعطية العوفي، وكأن الشيخ حماداً الأنصاري يريد أن يحشد المجروحين لعطية بدون تأمل.

وكذا قول الساجي في عطية العوفي كما في التهذيب (٧/ ٢٢٦) ليس بحجة وكان يقدم علياً على الكل. اهـ.



فإن الساجي كان بصرياً، والبصريون كثر فيهم النصب، قال الحافظ في اللسان (٤/ ٤٣٩): النصب معروف في كثير من أهل البصرة. اهـ.

وهم يفرطون فيمن يتشيع لأنهم عثمانيون، وخاصة فيما كان بين أظهرهم كذا في التهذيب (٧/ ٤١٣).

والساجي ﷺ كان شديداً متصلباً، فجرحه للكوفيين ينبغي التدقيق فيه، فإنه قد يجرح الرجل بسبب مذهبه كما حدث لعطية العوفي هنا فإنه قال عنه: ليس بحجة، ثم أبان عن سبب قوله فقال: وكان يقدم علياً على الكل.

وإذا كان الرجل شيعياً يقدم علياً على الكل، فلا بد أن يجرح عند المخالف لقوله ولا يكون حجة عنده.

على أن الجرح بالتشيع وغيره مردود لا يلتفت إليه، فالعبرة بصدق الراوي لا بمذهبه، فكم من الرواة الشيعة والنواصب والخوارج وغيرهم قد أخرج حديثهم في الصحيحين وقد استقر الأمر على ذلك[١]. ومما زاد في جرحهم لعطية أنه كان محباً لعلي بن أبي طالب عليه السلام[٢] بحيث عرض النواصب عليه سبه فأبى، وكان هذا ينبغي أن يحسب له، ولكن للنواصب شدةً وصولةً.

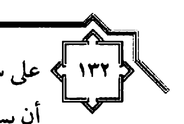
قال ابن سعد في الطبقات (٦ / ٣٠٤):

خرج عطية مع ابن الأشعث، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم أن يعرضه

---

١ . انظر للكلام على قبول رواية المبتدع كتاب (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) للحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري ﷺ، ففيه فوائد ومناقشات قد لا توجد في غيره.

٢ . السلام على آل البيت دأب كثير من المتقدمين خاصة المحدثين وقد قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ وآل سيدنا رسول الله ﷺ أولى بالسلام عليهم، وقد ذكرت في جزء (بشارة المؤمن بتصحيح حديث اتقوا فراسة المؤمن) بعض النقول في ذلك، وهي غيض من فيض، فلا تلتفت لتشغيب النواصب ومن تأثر بهم.



على سب علي فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط واحلق لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسب، فأمضى حكم الحجاج فيه. اهـ.

فانظر إلى جلد الرجل وحبه لعلي كرم الله وجهه، وقد صح أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ: «**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**».

فصل

أما من تكلم فيه بسبب روايته شيئاً أنكر عليه، فلم أجد من صرح بذلك عند ترجمته لعطية العوفي إلا أن ابن عدي أورد حديثاً واحداً في ترجمته من الكامل (٥/ ٢٢٠٧) الذي جاء بدليل يؤيد دعواه التي أشار إليها ولم يصرح بها.

قال ابن عدي: حدثنا أبو العلاء محمد بن أحمد الكوفي بمصر، ثنا محمد بن الصباح الدولابي، ثنا إبراهيم بن سليمان بن رزين وهو أبو إسماعيل المؤدب، ثنا عطية العوفي في سنة عشر ومائة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل عليين ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري بالأفق، وأن أبا بكر وعمر منهم، وأنعما**».

قلت: حديث أبي سعيد الخدري أصله في الصحيحين (الفتح: ٦/ ٢٣٠)، ومسلم (٤/ ٢١٧٧) ولفظه:

«**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «**بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**».

وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٩٣، ٥٠، ٢٧)، وفي فضائل الصحابة (١/ ٤٩)، وأبو داود (٤/ ٤٨)، والترمذي (تحفة ١٠/ ١٤١ ـ ١٤٢)، وابن



ماجه (١/ ٣٧)، والحميدي (٢/ ٣٣٣)، وعبد بن حميد في المنتخب (ص١٧٠)، وأبو يعلي الموصلي (٢/ ٤٠٠، ٣٦٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦١٦)، وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي في جزء الفضائل (ص٢٠٠)، وانظر علي بن الجعد (ص٢٥٩ وما بعدها) كلهم من طريق عطية، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بما رواه ابن عدي.

وكأن ابن عدى أنكر على عطية العوفى هذه (وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما) فإن أصل الحديث في الصحيحين كما تقدم.

قلت: هذه الزيادة ثابتة ولم ينفرد بها عطية العوفى، فقد أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٦)، وفى فضائل الصحابة (١ / ٦٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٤٦١) من طريق مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد الخدرى به مرفوعا.

مجالد فيه كلام لكن تابعه غير واحد من الثقات، وأبو الوداك تابعي ثقة.

وبعد ثبوت الزيادة المذكورة تبين لك أن جرح عطية العوفي من هذا الباب دعوى تحتاج لدليل.

ثم حديث آخر ففي المطبوع باسم (التاريخ الصغير) للبخاري (ص١٢٤) ما نصه:

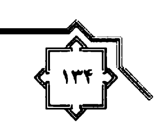
قال أحمد في حديث عبد الملك عن عطية عن أبي سعيد قال النبي ﷺ **«تركت فيكم الثقلين»**، أحاديث الكوفيين هذه مناكير. اهـ.

قلت: النكارة لها معان:

أحدها: مرادفة الشاذ.

ثانيها: مخالفة الضعيف لمن هو أوثق منه.

ثالثها: تفرد الضعيف الذي لا يحتمل تفرده ولا يوجد من يتابعه أو يشهد له.



رابعها: كون المتن غريباً ومخالفاً للأصول مع ركاكة الألفاظ.

خامسها: مطلق التفرد ولو بوجه من الوجوه.

أما عن **الأول**: وهو مرادفته للشاذ، فلم يخالف عطية العوفي أحداً لا في متن ولا في إسناد. وعن **الثاني**: فمثله.

وعن **الثالث**: فالحديث ليس فرداً فلا ينطبق عليه.

وعن **الرابع**: فإنه منتف تماماً هنا فلا تعارض بينه وبين غيره بل هو مفيد للعلم.

فلم يبق إلا الوجه **الخامس**: وهو مطلق التفرد من جهة عطية عن أبي سعيد الخدري وهذا الوجه يجب أن يحمل عليه قول الإمام أحمد بن حنبل ﵀.

فصل

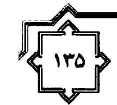
قول أبي زرعة: كوفي لين، وقول أبي حاتم الرازي: ضعيف يكتب حديثه.

هذا من الجرح المبهم غير المفسر، فهو يرد كما تقرر في قواعد الحديث، وكما استقر العمل على ذلك، والأخذ في مقابل ذلك بالتعديل الوارد في عطية العوفي.

ولكن يجب ألا يخلى المقام من أمرين:

أولهما: أن الجرح المذكور أعلاه ليس من الجرح الشديد الذي ينزل بمفرده عند خلو الراوي من التعديل إلى درجة التالف الذي لا يعتبر بحديثه، بل هو جرح خفيف لم يخل منه عدد من الرواة صحح لهم الحفاظ وخرج حديثهم في الصحيح.

ثانيهما: إن هذا الجرح غير المفسر في حقيقته يرجع إلى الأمرين اللذين ظلم بسببهما، وهما التشيع والتدليس.



وقد قال الحافظ في نتائج الأفكار (١/ ٢٧١): ضعف عطية إنما جاء من قبل التشيع ومن قبل التدليس. اهـ. وقد تقدم الكلام على التشيع والتدليس المنقولين عن عطية العوفي. بقي أن تعلم أن أبا حاتم الرازي قد جاء عنه توثيق لعطية العوفي كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فصل

أما عن قول ابن عدي في الكامل (٥/ ٢٠٠٧): (وهو مع ضعفه يكتب حديثه).

فإن ابن عدي اعتمد في ترجمة عطية العوفي على أمور هي:

١ ـ رواية ابن أبي مريم عن يحيى بن معين قال عن عطية العوفي: ضعيف إلا أنه يكتب حديثه.

٢ ـ تضعيف أحمد والثوري وهشيم بسبب حكاية الكلبي تدليس عطية له.

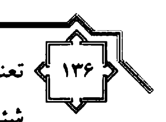
٣ ـ قول الجوزجاني: مائل.

٤ ـ الحديث الذي ذكره له وقد تقدم الكلام عليه.

وظاهر أن ابن عدي لم يقنع بشيء من هذه الأمور الثلاثة الأخيرة

وارتضى قول يحيى بن معين في رواية ابن أبي مريم عنه حيث قال: ضعيف إلا أنه يكتب حديثه، فتبع يحيى بن معين في مقولته، بل ونقل عبارته فختم الترجمة بقوله: مع ضعفه يكتب حديثه.

وكون ابن عدي لم يقنع بالأمور الثلاثة هو الصواب، فإن تضعيف أحمد، والثوري، وهشيم راجع لحكاية التدليس التي لا تصح لانفراد محمد بن السائب الكلبي بها وحاله معروف في الضعف، وقول الجوزجاني قد فرغنا منه، والحديث المذكور لا يعد قدحاً في الرجل، ون تضعيفه بسبب هذا الحديث يعتبر



تعنت مرفوض، فلم يبق إلا اعتماده كلام يحيى بن معين فهو تابع أو قل مقلد إن شئت.

وإذا علم ذلك فإن هذه الرواية في عطية العوفي التي اعتمد عليها ابن عدي وهي رواية ابن أبي مريم مرجوحة أمام الروايات الأخرى عن ابن معين التي وثقت عطية العوفي.

وإذا كان ما اعتمد عليه ابن عدي مرجوحاً، فقوله كذلك فتدبر، والله أعلم بالصواب.

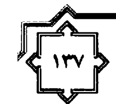
فصل

وبعد أن تبين لك حقيقة الجرح الذى جاء في عطية العوفى وأنه لا يضر الرجل ولا يوهن أمره لانه عند المحاقفة جرح لا يلتفت إليه ولا يعمل به، وجب بيان صدق الرجل وعدالته وعمل الائمة بحديثه واحتجاجهم به في الاحكام وتخريجهم له على الابواب.

فالرجل قد وثقه وعدله وقبل حديثه جماعة والصواب معهم، فمن هؤلاء ابن سعد حيث قال في (الطبقات الكبرى) (٦ / ٣٠٤): وكان ثقة إن شاء الله وله أحاديث صالحة ومن الناس من لا يحتج به. اهـ.

وقد حاول صاحب (الكشف والتبيين) رد هذا التوثيق، فقال في رسالته المذكورة (ص٣٩) ما نصه:

ومثل هذا التوثيق لا يعارض تضافر الائمة على تضعيفه كما سبق تفصيله وبخاصة أن ابن سعد مادته من الواقدي في الغالب، والواقدى ليس بمعتمد كما قال الحافظ ابن حجر في هدى السارى (ص٤١٧)، وانظر (ص٤٤٣، ٤٤٧) منه. اهـ.



قلت: لو قبل كل جرح صدر عن إمام أو غيره لانسد باب الرواية تماماً، فلا تجد راوياً قد خلا من الجرح إلا النادر، ولكن الحاذق هو الذي يعرف ما ينبغي أن يعد جرحاً حقيقياً فيقبله وإلا فلا، والذين جرحوا عطية جرحهم راجع إلى التدليس أو التشيع أو إنكار بعض ما روى، وقد علمت أن الأولى لا تعتمد إلا على محمد بن السائب الكلبي التالف المتهم بالكذب، والتشيع لا يعد جرحاً، وما أنكر عليه تقدم أن الصواب مع عطية والقول قوله.

أما عن اعتماد ابن سعد على الواقدي غالباً فهو ما صرح به الحافظ، لكن هذا ليس على إطلاقه، فإذا رأيت ابن سعد ترجم للرجل ترجمة

عارف بأحواله وبحديثه وبكلام الناس فيه فلا مدخل عند ذلك للواقدي، **هذه واحدة.**

والثانية: إن كلام ابن سعد هو كلام مدني في عراقي وقد كان بينهما ما كان، وهو ما علل به الحافظ في مقدمة الفتح (ص٤٤٣) سبب عدم قبول كلام ابن سعد فقال:

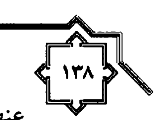
ابن سعد يقلد الواقدي، والواقدي على طريقة أهل المدينة في الانحراف على أهل العراق فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى. اهـ.

وعليه فإذا وجدت لابن سعد جرحاً في عراقي فلا بد من الحذر والتأني في قبوله، أما إذا وثق ابن سعد عراقياً كوفياً فلا بد من العض عليه بالنواجذ فإن شهادة الخصم هي من أقوى الشهادات.

ثم قول ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله تعالى وله أحاديث صالحة ومن الناس من لا يحتج به. اهـ. يفيد أشياء:

١ ـ توثيقه لعطية العوفي

٢ ـ إن عطية العوفي له أحاديث صالحة مقبولة.



٣ ـ إن مما يؤكد توثيقه وسبره لحاله أنـه رأى بعـضهم لم يحـتج بـه فـأعرض عنهم ورجح توثيقه مما يبين لك أنه لم يقنـع بقـولهم ـ وهـو المتحامـل عـلى أهـل الكوفة ـ ولم يقف عنده لما ظهر له من أنه ليس جرحاً في الحقيقة، ولو كان جرحاً لرد حديثه وصرح بعدم توثيقه.

والحاصل أن توثيق ابن سعد لعطية العوفي مقبول ولا بد، والله أعلم.

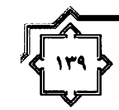
فصـل

أما إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين، فقـد وثقـه ونقـل عنـه ذلـك عـدة مرات، ففي سؤالات الدوري (٢/ ٤٠٧): قل ليحيـى: كيـف حـديث عطيـة؟ قال: صالح[١].

---

١ . قال صاحب الكشف والتبيين (ص٣٨) عن قول ابن معين في عطية العوفي ما نصه:
واما قوله في تاريخ الدوري (صالح) فهذا تمريض منه للقول فيه كما صرح بمثله الحافظ في الهدي (ص٤١٧). اهـ.
قلت: قائل هذه العبارة هو ابن حبان، وليس الحافظ، وهـذا ظـاهر لمـن نظـر في هـدي الساري (٤١٧) في ترجمة عبد الرحمن بن سليمان المعروف بابن الغسيل، وأصرح من هذا أنـك تجـد هـذا النص في المجروحين لابن حبان (٢/ ٥٧) **هذه واحدة.**
والثانية: تقرر في قواعد الحديث أن الناقد إذا سئل عن حال حديث الرجل فقـال: صـالح، هـذا يعتبر من باب التعديل، فيكون الرجل موثقاً بهذا القول لأنه صالح الحديث، لكن هـذا لا يعنـي أنه في المرتبة العليا من التوثيق فمثله يحسن حديثه.
فإذا قلت: إنها عبارة تمريض فيمكن قبول هذا على أنه ليس مـن الجـرح ولكنـه تمـريض بالنـسبة للدرجة العليا من التوثيق، فإنك قد مرضت هذا بالنسبة للآخر فهو كلام نسبي، أما إذا اعتـبرت أن هذا من الجرح فهذا فهم سقيم لا يحسد عليه صاحبه.
والثالثة: فهم إمام من الأئمة الحذاق وهو الحافظ ابن القطان السجلماسي الفهم الصحيح لكلمـة ابن معين فقال: (كما في نب الراية: ٤/ ٦٨): عطية العوفي مضعف، وقال ابن معين فيه: صـالح. فالحديث به حسن. اهـ.

←



وفيه أيضا سألت يحيى عن عطية وعن أبي نضرة فقال: أبو نضرة أحب إلي. اهـ.

وهذا النص توثيق منه لعطية، لأن أبا نضرة ثقة عند يحيى بن معين كما في (التهذيب) فهو في حقيقته مقارنة بين ثقتين.

وقال ابن أبي خيثمة: قيل لابن معين: عطية مثل أبي الوداك؟ قال: لا، قيل: فمثل أبي هارون قال: أبو الوداك ثقة ما له ولأبي هارون. اهـ.

كذا في التهذيب (٢ / ٦٠).

فانظر إلى ارتضاء ابن معين لمقارنته بأبي الوداك الثقة، فهو توثيق منه لعطية العوفي.

ونظائره كثيرة جداً في كتب الجرح والتعديل في المقارنة بين الثقات، فيحيى بن معين يحب عطية العوفي، وأبو نضرة أحب إليه، فتدبر.

وقال يحيى بن معين في رواية أبي خالد الدقاق (ص٢٧):

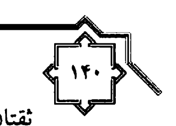
عطية العوفي ليس به بأس. اهـ.

قلت: هذا توثيق من إمام الجرح والتعديل لعطية العوفي، وقد صرح يحيى بن معين أن من قال فيه: لا بأس به فهو ثقة، وهذه حكاية عن نفسه ونص من عنده ولا اجتهاد مع وجود النص.

وتجد هذا النص عن ابن معين في كتب شتى منها ثقات ابن شاهين (ص٢٧٠)، ومقدمة ابن الصلاح، وفي مقدمة اللسان (١ / ١٣).

فانظر إلى تحسينه لحديث عطية العوفي اعتماداً على قول ابن معين: صالح.

وهذا حافظ آخر من المتأخرين هو الهيثمي إذا اعتمد توثيق ابن معين في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٤)، كما حسن لعطية العوفي في المجمع في موضع آخر انظره في (١٠/ ٣٧١).



وقال ابن الجنيد عن ابن معين: هو وعمرو بن أبي قيس لا بأس بهما قلت: ثقتان، قال: ثقتان. اهـ. كذا في التهذيب (٦ / ٢٠٧) وهو ظاهر في ترادف اللفظين. فهو اصطلاح خاص بيحيى بن معين ولا مشاحة فيه.

فصل

قال صاحب (الكشف والتبيين) (ص٣٨):

قال ابن معين: «ليس به بأس»، أو «لا بأس به» لا يفهم منه ـ مجرداً التوثيق أو التجريح إذ غالب من قال فيهم مثل ذلك هم ثقات، لكن الأمر ليس على إطلاقه، فقد وردت عنه قوله: (لا بأس به)، أو ليس به بأس، في أناس ضعفاء.

وانظر أمثلة على ذلك في ميزان الاعتدال (١ / ٣٤١، ٤٣٥)، والجرح والتعديل (٣ / ١١)، وتهذيب التهذيب (١ / ٩٣). اهـ.

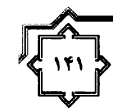
قلت: هذا الكلام فيه نظر من وجوه:

الاول: إن ابن معين قد صرح كما تقدم بأن «لا بأس به» عنده معناه أن الرجل ثقة، فلا ينبغي بعد ذلك تقويله ما لم يقله.

الثاني: إذا قال ابن معين في الرجل «لا بأس به» وكان ضعيفا عند غيره فهذا لا يعني إهدار توثيق ابن معين.

فكم انفرد ابن معين بتوثيق رجال ضعفهم غيره، وهذا ليس شأن يحيى بن معين فقط، ولكنه شأن سائر أئمة الجرح والتعديل تجد في ترجمة الراوي المضعف توثيقا لأحدهم وانفراداً منهم بهذا التوثيق.

وإذا كان تصريح الناقد بالتوثيق لا يعني معناه، فمعنى ذلك أن علم الجرح والتعديل قد سقط كلية وأصبحت نصوصه جوفاء لا تنطبق على أفرادها، وأن الألفاظ لا تعتبر قوالب للمعاني!!.



الثالث: قوله: «قد ورد عنه قوله لا بأس به أو ليس به بأس في أناس ضعفاء».

قلت: ضعفاء عند غيره ولكنهم ثقات عنده فكان ماذا؟، ولآخر أن يعارضه بقوله: ورد عنه قوله ثقة في أناس ضعفاء وهذا كثير، فكان ماذا أيضا؟ فكل ناقد مجتهد له نظره وقوله.

الرابع: ثم ذكر أربعة أمثلة لتأييد مقولته المردودة، فهاك الكلام عليها:

المثال الاول: بكار. بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سيرين السيرينى (الميزان ١ / ٣٤) قال عنه يحيى بن معين: كتبت عنه، ليس به بأس، وضعّفه غيره.

قلت: وهذا المثال لا يفيد الدعوى شيئاً ولا يفيد تضعيف ابن معين للرجل، كيف وهو يقول كتبت عنه، فهو من شيوخه، وكونه ضعيفاً عند غيره لا يلزم من أن يكون ضعيفاً عنده أو ضعيفا في نفس الامر فاللازم باطل، والرجل أدرى بشيوخه.

المثال الثاني: الحارث بن عبد الله الأعور الشيعي الكوفي وهذا المثال يهدم الدعوى من أساسها، فقد قال عنه يحيى بن معين في رواية الدوري: ليس به بأس.

وقال عثمان الدارمي: سألت يحيى بن معين عن الحارث الاعور فقال: ثقة.

فانظر إلى توافق هذا الامام وإتقانه، وقد نقل هذا التوثيق عن ابن معين غير واحد منهم ابن شاهين في الجزء المطبوع بنهاية تاريخ جرجان (ص٦٥٥ ــ ٦٥٦).

فإن قيل: قال عثمان بن سعيد الدارمي بعد حكايته عن ابن معين ما نصه: ليس يتابع يحيى على هذا. اهـ.



قلت: هذا مبلغ علم الدارمي، فقد وثقه أحمد بن صالح المصرى وقال ابن معين: ما زال المحدثون يقبلون حديثه، وهذا من يحيى بن معين الامام في هذا الشأن زيادة لقبول حديث الحارث وثقته كما قال ابن شاهين (ص٦٥٥ ـ ٦٥٦).

المثال الثالث: لم أجد راوياً يقول عنه ابن معين: «لا بأس به» في الموضع المشار إليه (الجرح والتعديل ٣ / ١١).

المثال الرابع: أبان بن إسحاق الأسدي الكوفي، هذا المثال أيضاً من أكبر الأدلة على وهن كلامه، فإن أبان بن إسحاق فيه أربع أقوال في التهذيب: قول ابن معين ليس به بأس، وتوثيق العجلي، وابن حبان، وقول الأزدي متروك الحديث.

فالرجل ليس بضعيف فهو خارج عن موضوع الدعوى.

وقد اعتمد الحافظ قول ابن معين على أنه توثيق للرجل فقال في التقريب: ثقة تكلم فيه الازدي بلا حجة. ا هـ.

وقد قال الحافظ العراقى في ألفية الحديث:

وابن معين قال: من أقول لا بأس به فثقة............

والحاصل أن كلام صاحب «الكشف والتبيين» أبان عن محاولته رد توثيق ابن معين دفعا بالصدر فيلوى عنق النص، ثم هو يستخف بالقراء ويضحك عليهم بإيراد أمثلة لا طائل تحتها، بل لك أن تقول: إنها عليه لا له، والله تعالى أعلم بالصواب.

وبعد أن تبين لك أن يحيى بن معين قد وثق عطية العوفى، فإنك قد تقف على أقوال ليحيى بن معين ظاهرها قد يشير إلى غير ذلك كرواية موسى بن أبى الجارود، فهى وجادة منقطعة.



ورواية ابن أبي مريم وهو مصرى وأصحاب يحيى بن معين البغداديين ولا سيما عباس الدوري اكثر ملازمة والتصاقا بيحيى بن معين فرواياتهم مقدمة على رواية غيرهم والله أعلم.

بقى الكلام على ما جاء في المطبوع باسم «التاريخ الصغير» للبخاري (ص١٣٣) عن على بن المدينى عن يحيى بن معين: عطية، وهارون العبدى وبشر بن حرب عندي سواء.

فمعناه ـ والله أعلم ـ أنهم سواء في الطبقة والمذهب، فهم من شيعة التابعين، ويشتركون في الرواية عن أبى سعيد الخدرى ﷺ، وكيف يسوى يحيى بن معين بين أبى هارون العبدى وعطية العوفى وقد قال عن أولهما: غير ثقة وكان يكذب، بينما وثق الثاني ورفع شأنه.

وقد تلقف الشيخ بشير السهسوانى في «صيانة الانسان» (ص١٠٠) هذه الكلمة عن يحيى بن معين فنسب لعطية العوفى الالفاظ الشديدة جدا التى قيلت في أبى هارون العبدى ثم تناقض فقال:

المختار عندي قول أبى حاتم: «ضعيف يكتب حديثه» فأنه أعدل الاقوال وأصوبها. ا هـ.

وما درى السهسوانى ﷺ أن لابي حاتم الرازي قولا آخر يفيد توثيق عطية العوفى سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ومنهم ابن شاهين:

وقد أدخل عطية العوفى في الثقات (ص١٧٢) فهو من موثقيه فإن قيل: قد ذكره أيضا في الضعفاء فقال: ضعّفه أحمد ويحيى.

قلت: التوثيق هو الراجح لما قد علمت مما سبق من اعتماد أحمد على رواية محمد بن السائب الكلبى، وهى رواية تالفة لا يعتمد عليها في جرح عطية العوفى، وأن يحيى بن معين من موثقيه كما تقدم. **ومنهم أبو بكر البزار**:



فإنه قال كما في «التهذيب» (٧/ ٢٢٦): كان يعده في التشيع، «روى عنه جلة الناس». اهـ وهذه صيغة تعديل تعادل قولهم صالح الحديث، مقارب الحديث، ونحو ذلك كما يعلم من قواعد الحديث.

ورغم وضوح هذا القول من البزار وكونه موجودا في كتاب متداول مشهور كالتهذيب، فلم أجد أحدا ممن سعى في تضعيف هذا الحديث تعرض لذكر قول أبى بكر البزار المفيد تعديل عطية العوفى، فالحمد لله تعالى على توفيقه.

ومنهم أبو حاتم الرازي:

فقد قال ابن أبى حاتم: سئل أبى عن نضرة وعطية، فقال: أبو نضرة أحب إلى.

وهذا في حقيقته مقارنة بين ثقتين فإن أبا نضرة المنذر بن مالك العبدى ثقة.

ومنهم يحيى بن سعيد القطان:

فقد قال عن جبر بن نوف أبى الوداك كما في «التهذيب» (٢/ ٦٠) هو أحب إلى من عطية. اهـ

قلت: هذه أيضا مقارنة بين ثقتين.

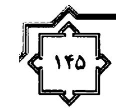
ومنهم ابن خزيمة:

فإنه أخرج الحديث في صحيحه:

قال البوصيرى في «مصباح الزجاجة» (١/ ٩٨): رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده. ا هـ

قلت: فمقتضى تصحيح الحديث توثيق رجاله ومنهم عطية العوفى.

وهذا لم يرق لصاحب «الكشف والتبيين» (ص٦٥،٦٤) فوجه سهامه لصحيح ابن خزيمة، فنقل عن الحافظ بن حجر في النكت كلاماً (١/ ٢٧٠)، (١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) حاصله في الآتي:



١ ـ أن ابن خزيمة كان لا يفرق بين الصحيح والحسن، فليس كل ما عنده صحيحاً، بل فيه الحسن المدرج في الصحيح.

٢ ـ قال الحافظ: حكم الأحاديث التي في كتاب ابن خزيمة... صلاحية الاحتجاج بها لكونها دائرة بين الصحيح والحسن مالم يظهر في بعضها علة قادحة. اهـ.

قلت: يؤخذ من كلام الحافظ أن أحاديث ابن خزيمة على قسمين:

١ ـ صحيح أو حسن.

٢ ـ ما ظهر فيه علة قادحة وهو قليل جدا. ولكن هذا في نظر غيره وليس في نظر إمام الائمة ابن خزيمة الذى سمى كتابه «المسند الصحيح المتصل بنقل العدل عن العدل من غير قطع في المسند ولا جرح في النقلة».

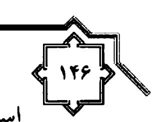
وإذا كانت الأنظار تتفاوت في الحكم على الرجال، فالمقصود هو إثبات أن تصحيح ابن خزيمة لهذا الحديث هو توثيق لرجاله، ومنهم عطية العوفي فهو ثقة عند ابن خزيمة، والله أعلم.

ومنهم الأمام أبو عيسى الترمذي:

فإنه حسن له عدة أحاديث من أفراده، بل حسن له عدة أحاديث انفرد بها فضيل بن مرزوق عن عطية الكوفي ـ كما في الحديث الذي نحن بصدد الكلام عليه ـ انظرها في «تحفة الأشراف».

ومقتضى ذلك التحسين أن يكون صدوقاً عند الترمذي كما صرح بذلك الحافظ في (تعجيل المنفعة) (ص١٥٣).

وعليه: فعطية العوفي «صدوق» عند الترمذي، وهو شرط الحسن لذاته والتشغيب هنا برمي الترمذي بالتساهل خطأ جسيم، لأن الترمذي لم ينفرد بتعديل عطية العوفي فقد مر تعديله عن ابن سعد، وابن معين، والبزار، وأبي حاتم الرازي، وابن شاهين، ويحيى بن سعيد القطان.



ثم الترمذي إمام حافظ ثقة كان يقول له إمام أهل الصناعة محمد بن إسماعيل البخاري: استفدنا منك أكثر مما استفدت منا.

وقول الترمذي معتمد عندهم في الجرح والتعديل وحكمه على الأحاديث كذلك، وإن ظهر شئ انفرد به في قوله وحكمه، فهو كغيره من الائمة ولا يخدش ذلك في الاخذ بقوله وحكمه فليس هو بمعصوم. وكم حسن الترمذي أحاديث في الصحيحين، فهل يعد متشددا من هذه الجهة؟

وقد تلقف هذا أو ذاك كلمة ابن دحية الكلبى[١] في الكلام على جامع الترمذي وبنى عليها أحكاما وأوهاما أو نظر في جامع الترمذي نظرة متأخر متبع لقواعد سقيمة متروكة فاستخلص منها تساهل الترمذي بسقيم فهمه.

والكلام يحتاج لبسط ليس هذا محله لكن ينبغى ألا يخلى المقام من المثال الذى ذكره صاحب «الكشف والتبيين» (ص٤٥) ليستدل به على تساهل الترمذي فقال:

ومن أقرب ما يذكر حديث سمرة **«صلى بنا رسول الله ﷺ في كسوف لا نسمع له صوتا»**، فقد رواه الترمذي وصححه ونقل الحافظ ابن حجر تصحيحه في «التلخيص الحبير»، لكن تعقبه بإعلال ابن حزم له بجهالة ثعلبة بن عباد وأن ابن المدينى قال فيه مجهول. ا هـ.

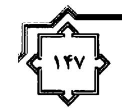
قلت: هذا الكاتب إما أنه لا يفهم أو يضحك على القراء، وأحلاهما مر.

فالصواب مع الترمذي والقول فيه قوله وهاك الآتي:

ثعلبة بن عباد لم ينفرد الترمذي بتصحيح حديثه، بل وافقه على ذلك الحاكم في المستدرك (١ / ٣٣٠)، وابن حبان. والحديث أخرجه النسائي (٣/ ١٤٠)،

---

١ . ابن دحية الكلبي الأندلسي رغم كونه حافظاً متفنناً إلا أنه كما قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٢١): كان معروفاً على كثرة علمه، وفضائله بالمجازفة، والدعاوي العريضة. اهـ. وترجمته تحوى غرائب.



وأبو داود (١ / ٧٠٠)، وابن ماجه (١ / ٤٠٢)، وأحمد في المسند (٥ / ٦١)، والطحاوى في شرح معاني الاثار (١ / ٣٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٣٥) كلهم من طريق ثعلبة.

فمقتضى تصحيح الترمذي والحاكم وابن حبان للحديث أن رجاله ثقات عندهم. وقد ذكر ابن حبان ثعلبة بن عباد في ثقاته (٤ / ٩٨)، فالرجل ثقة ولا بد. وقوي حاله إخراج حديثه في السنن المذكورة.

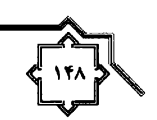
فإن قيل قد جهله ابن المدينى وابن القطان قلت: من علم حجة على من لم يعلم.

وقد أجاب الحافظ ابن الملقن في (البدر المنير) (٣/ ٢١٣/ ١) عن دعوى الجهالة فقال: وتصحيح الأئمة الماضين لحديثه يرفع الجهالة عنه. اهـ.

وقد شنع الامام تقى الدين بن دقيق العيد على من يرد تصحيح الترمذي بدعوى الحكم بجهالة أحد الرواة، فقال ﷺ (نصب الراية: ١ / ١٤٩) ما نصه:

ومن العجب كون ابن القطان لم يكتف بتصحيح الترمذي في معرفة حال عمرو بن بجدان مع تفرده بالحديث وهو قد نقل كلامه: هذا حديث حسن صحيح، وأي فرق بين أن يقول: هو ثقة، أو يصحح له حديثا انفرد به؟ وإن كان توقف عن ذلك لكونه لم يرو عنه إلا أبو قلابة، فليس هذا بمقتضى مذهبه، فإنه لا يلتفت إلى كثرة الرواة في نفي جهالة الحالة، فكذلك لا يوجب جهالة الحال بانفراد راو واحد عنه بعد وجود ما يقتضى تعديله وهو تصحيح الترمذي. ا هـ.

وقال الحافظ الذهبي في «الموقظة» (ص٨١): ومن الثقات من لم يخرج لهم في الصحيحين خلق منهم من صحح لهم الترمذي وابن خزيمة ثم من روى لهم النسائي وابن حبان. ا هـ.



فانظر إلى توثيقه لمن صحح لهم الترمذي، ومن روى له النسائي وابن حبان.

فلا بد إن أردت أن تسلك سبيل أهل الحديث وتتبع قواعدهم، وتقف عند كلام أئمتهم أن تقول بقولهم وتحذو حذوهم، فلا تنفك في توثيق ثعلبة بن عباد اتباعا لتصحيح الترمذي له، فضلا عن تصحيح الحاكم وابن حبان وإخراج النسائي لحديثه.

فلله درّ الترمذي الامام الحافظ العلم، وبذا يكون الانتقاد قد انقلب على صاحبه المنتقد بدون روية، والمنازل بدون آلة، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

وإن وفق الله عز وجل ففي النية إشباع هذا البحث في جزء خاص به يسر الله ربي على ذلك وأعان.

فصل

وخلاصة ما تقدم أن عطية العوفى قد عدله[1] يحيى بن سعيد القطان وابن سعد وابن معين والترمذي والبزار وابن شاهين وتبعهم بعض من تأخر عنهم فقال ابن القطان (كما في نصب الراية ٤ / ٦٨): وعطية العوفى مضعف، وقال ابن معين فيه: صالح، فالحديث حسن. اهـ.

والحاصل أن من تكلم فيه فلأجل ما رمي به من التدليس ـ وهو لم يصح البتة ـ أو التشيع، أو روايته شيئاً تكلم فيه، وقد تبين لك أن هذه الأمور الثلاثة

---

١ . فمن الخطا البين والظلم لهذا الرجل قول ابن الجوزى في الموضوعات: ضعفه الكل، وقول الذهبي في الديوان: مجمع على ضعفه، وقوله في مختصر المستدرك (٤ / ٢٢٢): واه، وقول البوصيرى في «مصباح الزجاجة»: متفق على ضعفه، وهذه أقوال مخالفة للواقع فلا يلتفت إليها فليس الرجل بواه أو أجمعوا على ضعفه، وكتب الرجال إن لم ينظر الناظر فيها بعين الناقد البصير الصيرفى زل وضل، والله المستعان.



التي تكلم فيها بسببها ليست قادحة.

فالصواب قبول حديثه واعتباره من الحسن لذاته.

وقد قال شيخ الفن وطبيب علله الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالى[١] الاذكار (١ / ٢٧١) ضعف عطية إنما جاء من قبل التشيع ومن قبل التدليس وهو في نفسه صدوق. اهـ.

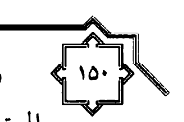
وإذا تبين لك أن دعوى التدليس ليست بصحيحة والتشيع لا دخل له في روايته، فالرجل صدوق.

وقد أصر الحافظ على كون عطية العوفى صدوقا، فعندما سرد أسامي المدلسين في النكت على ابن الصلاح (٢ / ٦٤٤) قسم المدلسين لقسمين أحدهما: من وصف بالتدليس مع صدقه، وثانيهما: من ضعف بأمر آخر غير التدليس، ثم ذكر عطية العوفى في القسم الاول (٢ / ٦٤٦)، وهم من وصفوا بالتدليس مع صدقهم فهو صدوق عنده.

فإذا وجدت بعد هذا البيان تضعيفا لعطية العوفى، فاعلم أنه مخالف للصواب.

---

١ . ولما كان كلام الحافظ قاطعا وساداً لباب الكلام في عطية العوفى لم يرق ذلك لصاحب الكشف والتبيين (ص٤٢) فبدلا من الاعتراف بقصوره والتسليم للحافظ ﷺ أغمض عن هذا وأخذ يغمز أمالى الحافظ على الاذكار، وذلك كسعيهم دائما لنقد الكتب عند المخالفة، فإذا أرادوا رد تصحيح أو تحسين لحافظ اتهموه بالتساهل وبأن كتابه فيه كذا وكذا، وإذا وقفوا على حديث صحيح لا يوافق شذوذهم تراهم يقولون: لم يخرجه أحمد وليس في الصحيحين ولا الموطأ ولا تجده في السنن الاربعة بل هو في الكتب التى تروى الضعاف كالدارقطني والبزار... إلخ وهو كلام ساقط بنفسه لا يحتاج لاسقاط. وها نحن نراهم اليوم يتكلمون ويغمزون أمالى الاذكار وهى جرأة قبيحة من منازل بغير آلة وتطاول على كتاب حاز القدح المعلى في بابه يحق أن يفاخر به كبار الحفاظ المتقدمين ولكن... من جهل شيئا عاداه والله المستعان.



وبعد فيمكن لك أن تسمى ما كتبته في الانتصار لعطية العوفى بـ «القول المستوفي في الانتصار لعطية العوفي» والله تعالى أعلم.

فصل

فقد قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٨٤): سألت أبي عن حديث رواه عبد الله بن صالح بن مسلم، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**إذا خرج الرجل من بيته فقال: اللهم بحق السائلين عليك وبحق ممشاي**» وذكر الحديث، رواه أبو نعيم، عن فضيل، عن عطية، عن أبي سعيد موقوفاً قال أبي: موقوف أشبه. اهـ.

أيّده الذهبي في «الميزان».

قلت: لا تتسرع بإعلان الموافقة تقليداً كما فعل جماعة منهم: بشير السهسوانى في صيانة الانسان، والالباني في ضعيفته (١ / ٣٧)، وحماد الانصاري في «المفهوم الصحيح للتوسل»، وغيرهم.

فإن الحديث قد اختلف فيه عن فضيل بن مرزوق فروى مرفوعا وموقوفا.

فممّن رواه مرفوعاً:

١ ـ يحيى بن أبى بكير، أخرجه البغوي في حديث على بن الجعد (ص٢٦٢)، والبيهقي في الدعوات الكبير (ص٤٧).

٢ ـ محمد بن فضيل بن غزوان، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٧).

٣ ـ سليمان بن حيان أبو خالد الاحمر، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص١٨).

٤ ـ عبد الله بن صالح العجلى، أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢ / ٩٩٠)، وابن السنى (ص٤٠).



٥ ـ الفضل بن الموفق، أخرجه ابن ماجه (١ / ٢٥٦).

٦ ـ يزيد بن هارون، فقد روى أحمد في مسنده (٣ / ٢١)، والبغوى في حديث على بن الجعد (ص٢٦٢ نسختي)، وأحمد ابن منيع كما في مصباح الزجاجة (١ / ٩٩) من طريق يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفى، عن أبى سعيد الخدرى فقلت لفضيل: رفعه؟ أحسب قد رفعه ثم ذكر الحديث مرفوعا.

قلت: هذا ظن راجح تقوى «بقد» وهو حرف تحقيق هنا دخل على الماضي فقربه من الحال، وعليه فرواية يزيد بن هارون من قسم المرفوع ولا بد وهو صنيع من تكلم على الحديث ممن تأخر من الحفاظ.

ورواه عن فضيل بن مرزوق موقوفا اثنان:

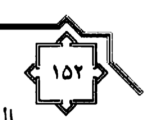
١ ـ أبو نعيم الفضل بن دكين، أخرجه في كتاب «الصلاة»، كما في «أمالى الاذكار» (١ / ٢٧٣).

٢ ـ وكيع بن الجراح، أخرجه ابن أبى شيبة في المصنف (١٠ / ٢١١ ـ ٢١٢). وللمحدثين في ذلك مسلكان كلاهما يقوي الرفع:

فأولهما: إن الرفع زيادة ثقة وهى مقبولة، إذ إنّ الحكم لمن أتى بالزيادة وهو مذهب الخطيب البغدادي وجماعة من أئمة الفقه والحديث والاصول.

وثانيهما: الترجيح باعتبار القرائن وهو ما يقوي الحكم بالرفع أيضا، فإن من رفع الحديث أكثر عددا (وهم ستة)، ممن وقفه (وهم اثنان فقط).

نعم الفضل بن دكين ووكيع إمامان ثقتان، لكن في مقابلهما يزيد ابن هارون ويحيى بن أبى بكير وهما كذلك ومعهما ابن غزوان ثقة احتج به الجماعة، وكذا سليمان بن حيان احتج به الجماعة، والعجلي ثقة من رجال البخاري، فهؤلاء القول قولهم وهو الرفع، والله تعالى أعلم.



فلا تتهيب بعد مخالفة القائل بالوقف والمرجح له، فإن قواعد الحديث التي إليها المرجع في هذا الشأن ترجح الرفع، وكم من حديث مرفوع حكم عليه أبو حاتم الرازي بالوقف، وكم من موصول حكم بإرساله، وكم من صحيح حكم بضعفه، والمرجع عند الخلاف هو الاحتكام لقواعد الحديث والله أعلم.

ومن التلاعب البغيض نصب صاحب «الكشف والتبيين» (ص٢٣) للخلاف بين وكيع الجراح وفضيل بن غزوان من جهة أنهما وقفا الحديث، وبين عبد الله بن صالح العجلي والفضل بن الموفق من جهة أنهما رفعا الحديث.

وهذا خطأ ومغالطة واضحة لامور:

الاول: لا دخل لفضيل بن غزوان هنا.

الثاني: أخرج يحيى بن أبي بكير عند الترجيح وجعله في حاشية الكتاب، فلم يضمه لزميليه في الرفع وهو عين التلاعب.

الثالث: لم يستوعب أسماء من رفعوا الحديث وهم ستة.

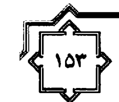
فلا أدرى لماذا يسارع هؤلاء بالتصنيف؟ للدعاوى الفارغة، أم للتجارة البائره؟!! والله المستعان.

تنبيه:

أغرب الالباني فادعى في ضعيفته (١ / ٣٧) اضطرابا من عطية أو ابن مرزوق لانه جاء مرفوعا وموقوفا وهذا خطأ لان الاضطراب يكون عند تساوى الوجوه وحيث لا تساوى وأمكن الترجيح كما سبق فلا اضطراب، ولم أجد من سبقه إلى هذه الدعوى عند الكلام على هذا الحديث، والله أعلم.

فصل

وللحديث شاهد لا يفرح به.



قال أبو بكر ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٣٩ ــ ٤٠): حدثنا ابن منيع، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا على بن ثابت الجريرى عن الوازع بن نافع العقيلى، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله، عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال:

«بسم الله آمنت بالله، توكلت على الله لا حول ولا قو إلا بالله، اللهم بحق السائلين عليك، وبحق مخرجي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك، واتقاء سخطك أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة».

الوازع شديد الضعف، لذلك قال الحافظ في (نتائج الافكار) (١ / ٢٧١): هذا حديث واهٍ جداً أخرجه الدارقطني في الافراد من هذا الوجه وقال: تفرد الوازع به. ا هـ.

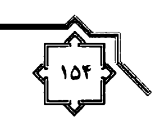
تنبيه:

قال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري ﷺ في مقالاته (ص٣٩٤) عند الكلام على هذا الحديث: ولم ينفرد عطية عن الخدرى بل تابعه أبو الصديق عنه في رواية عبد الحكم بن ذكوان وهو ثقة عند ابن حبان وإن أعله به أبو الفرج في علله. اهـ.

فتعقبه الالباني في ضعيفته (١ / ٣٧) بقوله:

لقد عاد الشيخ (أي الكوثري) إلى الاعتداد بتوثيق ابن حبان مع اعترافه بشذوذه في ذلك كما سبق النقل عنه، هذا مع قول ابن معين في ابن ذكوان هذا: لا أعرفه، فإذا لم يعرفه إمام الجرح والتعديل فأنى لابن حبان أن يعرفه؟

فتبين أن لا قيمة لهذا المتابع لجهالة الراوى عنه، فإعلال أبى الفرج للحديث به حق لا غبار عليه عند من ينصف. اهـ.



قلت: هذا الكلام مسلسل بالاوهام.

فأولاً: هذه ليست متابعة البتة. وعبد الحكم هو ابن عبد الله القسملى، وليس ابن ذكوان فقد قال ابن الجوزى في «العلل المتناهية» (١ / ٤١٠):

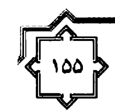
أنبأنا على بن عبيد الله قال: أنبانا على بن أحمد البندار، قال: نا الحسن بن عثمان بن بكران قال: نا عبد الله بن عبد الرحمن العسكري، قال: نا عبد الملك بن محمد، قال: نا سهل بن سعيد ابن أبى تمام بن رافع، قال: نا عبد الحكم القسملى عن أبى الصديق عن أبى سعيد عن النبي ﷺ قال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة». ا هـ.

وأخرجه من حديث عبد الحكم بن عبد الله القسملى به أبو يعلى في مسنده (٢ / ٣٦١). وقال الهيثمى في مجمع الزوائد (٢ / ٣٠) رواه أبو يعلى وفيه عبد الحكم بن عبد الله وهو ضعيف. ا هـ. والرجل ذكره ابن حبان في المجروحين (٢ / ١٤٣) وقال: لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب. وضعفه غيره.

ثانياً: على أن الالباني الذى ترجح عنده عبد الحكم هو ابن ذكوان ينبغى أن يلزم بتحسين الحديث وبيانه: إنّ عبد الحكم بن ذكوان وثقه ابن حبان، وروى عنه أهل البصرة ومعهم ثلاثة من الحفاظ الثقات هم: أبو داود الطيالسي، ومروان بن معاوية الفزارى، وأبو عمر حفص بن عمر الحوضى أو الحرضى.

وقال ابن أبى حاتم في (الجرح والتعديل) (٦ / ٣٦) في ترجمته: سألته عنه فقال: بصرى، قلت: هو أحب إليك أم عبد الحكم القسملى صاحب أنس؟ قال: هذا أستر. اهـ.

وحسن حديثه الحافظ البوصيرى في زوائد ابن ماجه (٤ / ١٧٥). فالرجل إن لم يحسن حديثه لذاته فهو حسن لغيره ولا بد، على رأى أشد الناس تعنتا والالباني ملزم بهذا والله أعلم.



ثالثاً: قوله: إذا لم يعرفه إمام الجرح والتعديل فأنى لابن حبان أن يعرفه.

قلت: قد عرفه، قبل ابن حبان حافظ كبير هو أبو حاتم الرازي، ومن علم حجة على من لم يعلم، ولم يقل أحد بمقولة الالباني هذه حتى ولا المبتدئ في هذا الفن.

رابعاً: قوله: لا قيمة لهذا المتابع لجهالة الراوى عنه.

قلت: هذا خطأ ومجازفة، فبون كبير بين قولهم لا أعرفه والحكم على الراوى بالجهالة. قال الحافظ في «اللسان» (١ / ٤٣٢) في ترجمة إسماعيل الصفار:

(من عادة الائمة أن يعبروا في مثل هذا بقولهم: لا نعرفه أو لا نعرف حاله، أما الحكم عليه بالجهالة بغير زائد لا يقع إلا من مطلع عليه أو مجازف). اهـ.

وفى هذا القدر كفاية، ونسأل الله تعالى السلامة والصون.

وحاصل ما تقدم أن ما علل به حديث «**اللهم إني أسالك بحق السائلين..**» غير منتهض، وأنه لا يقوى أمام قواعد الحديث لاثبات علة واحدة بهذا الحديث.

وعليه فلك أن تقول: إن من حسن الحديث من الحفاظ كالدمياطي والمقدسي والعراقي والعسقلاني وقبلهم إمام الائمة ابن خزيمة الذى صححه القول قولهم والصواب حليفهم وقواعد الحديث مؤيدة لهم والله عزوجل أعلم بالصواب.

الحديث السابع

«**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم**».

قال الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٢٦٧):



حدثنا إبراهيم بن نائلة الاصبهاني، ثنا الحسن بن عمر بن شقيق، ثنا معروف بن حسان السمرقندى عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن عبد الله بن بريدة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا على، فإن لله في الارض حاضرا سيحبسه عليكم**».

ورواه من هذا الوجه أبو يعلى في مسنده (٩ / ١٧٧)، وابن السنى في عمل اليوم والليلة (ص١٦٢) قال الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٢) بعد أن عزاه لابي يعلى والطبراني: فيه معروف بن حسان وهو ضعيف. ا هـ.

وكذا قال الحافظ البوصيرى في مختصر إتحاف السادة المهرة (حاشية المطالب العالية ٣ / ٢٣٩).

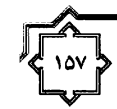
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار (شرح ابن علان ٥ / ١٥٠) بعد أن عزاه لابن السنى والطبراني: وفى السند إنقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود. اهـ.

ومع ذلك فللحديث طرق تقويه وترفعه من الضعف إلى الحسن المقبول المعمول به.

الاول: ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ١١٧) من طريق عبد الرحمن بن شريك قال: حدثنى أبى عن عبد الله بن عيسى عن زيد بن على عن عتبة بن غزوان عن نبى الله ﷺ قال: لا إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد أحدكم عونا، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني أغيثوني، فان لله عبادا لا نراهم «**وقد جرب ذلك**».

قلت: في سنده ضعف وانقطاع.

قال الحافظ الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٢): رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن يزيد بن على لم يدرك عتبة. ا هـ.



واقتصر الحافظ على إعلاله بالانقطاع فقط فقال في تخريج الاذكار: أخرجه الطبراني بسند منقطع عن عتبة بن غزوان مرفوعا. ا هـ.

الثاني: ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠ / ٤٢٤، ٤٢٥). حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نفرت دابة أحدكم أو بعيره بفلاة من الأرض لا يرى بها أحدا فليقل: أعينوني عباد الله، فإنه سيعان**».

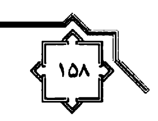
قلت: هذا مرسل، ولولا عنعنة محمد بن إسحاق لكان حسن الاسناد، وأعله الالباني في ضيفته (٢ / ١٠٩) بالاعضال وهو خطأ لان أبان بن صالح من صغار التابعين والله أعلم. **الثالث**: ما أخرجه البزار في مسنده (كشف الاستار: ٤ / ٣٣ - ٣٤).

حدثنا موسى بن إسحاق، ثنا منجاب بن الحارث، ثنا حاتم بن إسماعيل عن أسامة بن زيد عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله**».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٢): رواه البزار ورجاله ثقات اهـ.

قال الحافظ في تخريج الاذكار (شرح ابن علان ٥ / ١٥١) حسن الاسناد غريب جدا، واقتصار الحافظ على تحسينه سببه وجود أسامة ابن زيد الليثي في إسناده فقد اختلف فيه. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أيضاً - لكنه موقوف - من طريق جعفر بن عون ثنا أسامة بن زيد عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس به.

وأعل الألباني في ضعيفته (٢/ ١١٢) الطريق المرفوعة عن ابن عباس بهذه الموقوفة فقال: جعفر بن عون أوثق من حاتم بن إسماعيل... ولذلك فالحديث عندي معلول بالمخالفة، والأرجح أنه موقوف. اهـ.



قلت: هذا خطأ من وجهين:

أولهما: تقرر في علم الحديث أنه إذا تعارض الرفع والوقف فالحكم فيه للرفع.

قال الامام النووي في مقدمة شرح مسلم (١ / ٣٢):

إذا رواه بعض الثقات الضابطين متصلاً وبعضهم مرسلاً أو بعضهم موقوفاً وبعضهم مرفوعاً أو وصله هو أو رفعه في وقت وأرسله أو وقفه في وقت، فالصحيح الذي قاله المحققون من المحدثين وقاله الفقهاء وأصحاب الأصول وصححه الخطيب البغدادي: أن الحكم لمن وصله أو رفعه، سواء كان المخالف له مثله أو أكثر وأحفظ لأنه زيادة ثقة وهي مقبولة. اهـ.

وقد صرح بذلك ابن عبد الهادى في التنقيح (١ / ٣٥٠) طبعة مصر.

ثانيهما: إن حاتم بن إسماعيل لم ينفرد برفع الحديث بل وافقه على الرفع محمد ابن إسحاق كما تقدم بالإضافة إلى شاهد عبد الله بن مسعود المذكور أولاً.

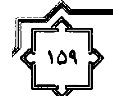
والصواب هنا أن يقال: إن أبان بن صالح كان يرفعه أحياناً، وأحياناً أخرى لا ينشط لرفعه ونظائره كثيرة جداً. والله أعلم.

وعليه فإعلال الألباني للطريق المرفوعة بالموقوفة تمحل لا معنى له، وعلة لا تساوي سماعها يريد بها دفع الحديث والتخلص منه بأي وسيلة كانت ولو بمخالفة قواعد الحديث، فاللهم غفرانك.

ومما سبق بيانه يعلم أن الحديث جيد مقبول ولا بد خاصة وأن الشاهد الثالث حسن الإسناد لذاته، والله أعلم.

فائدة

إذا ورد حديث بسند ضعيف يصير من قسم المقبول الذي هو أعم من الصحيح والحسن إذا تلقته الأمة بالقبول، أما إذا عمل به بعض الأئمة ـ كحديثنا



هذا ـ ففي عملهم تقوية له. قال الحافظ البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٢) بعد أن روى حديث صلاة التسبيح ما نصه: وكان عبد الله بن المبارك يفعلها وتداولها الصالحون بعضهم عن بعض وفيه تقوية للحديث المرفوع. اهـ.

ونحوه لشيخه الحاكم في المستدرك (١ / ٣٢٠).

والحديث عمل به الأئمة وجربوه:

١ ـ ففي المسائل، وشعب الإيمان للبيهقي: **قال عبد الله بن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول:** حججت خمس حجج منها ثنتين راكباً، وثلاثة ماشياً، أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشياً فجعلت أقول: يا عباد الله دلونا على الطريق، فلم أزل أقل ذلك حتى وقعت على الطريق، أو كما قال أبي. اهـ.

٢ ـ وبعد أن أخرج أبو القاسم الطبراني الحديث في معجمه الكبير (١٧ / ١١٧) قال: وقد جرب ذلك.

٣ ـ قال الامام النووي في الاذكار (ص٣٣١) بعد أن ذكر الحديث ما نصه: حكى لى بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه أنفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله، فحبسها الله عليهم في الحال، وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سوى هذا الكلام. ا هـ.

والحاصل أن للناقد مسلكين في تقوية هذا الحديث.

أحدهما: تقويته بالشواهد فيصير حسنا، ولا ريب في ذلك.

ثانيهما: تقويته بعمل الامة به.

وأحد المسلكين أقوى من الآخر والله أعلم.

الحديث الثامن

«ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال: هل فيكم أحد صحب محمداً فتستنصرون به فتنصروا؟ ثم يقال: هل فيكم من صحب محمداً فيقال: لا. فمن صحب أصحابه؟ فيقال لا. فيقال: من رأى من صحب أصحابه؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه».

قال أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤/ ١٣٢):

حدثنا عقبة، حدثنا يونس، حدثنا سليمان الاعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال:

«ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال: هل فيكم أحد صحب محمدا تستنصرون به فتنصروا؟ ثم يقال: هل فيكم من صحب محمدا فيقال: لا. فمن صحب أصحابه؟ فيقال: لا. فيقال: من رأى من صحب أصحابه؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لاتوه».

إسناده صحيح.

والاعمش وإن كان مدلسا فهو معدود في المرتبة الثانية منهم، وحديثهم مقبول صرحوا بالسماع أو لم يصرحوا.

ورواه أبو يعلى في مسنده (٤ / ٢٠٠) بلفظ مقارب:

حدثنا ابن نمير، حدثنا محاضر، عن الاعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يبعث بعث فيقال لهم: هل فيكم أحد صحب محمدا؟ فيقال: نعم. فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم. ثم يبعث بعث فيقال: هل فيكم من رأى أصحاب محمد؟ فيلتمس فلا يوجد حتى لو كان من وراء البحر لاتيتموه. ثم يبقى قوم يقرؤن القرآن لا يدرون ما هو».**

وهو سند صحيح أيضا.



وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٨):

رواه أبو يعلى من طريقين ورجالهما رجال الصحيح. ا هـ.

وهذا الحديث الصحيح فيه استحباب التوسل بذوات الصالحين.

الحديث التاسع

«كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين».

قال الطبراني في معجمه الكبير (١ / ٢٩٢):

حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه، ثنا أبى، ثنا عيسى بن يونس حدثنى أبى عن أبيه، عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، قال:

«كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين».

ثم قال: وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا عبيد الله بن عمر القواريرى ثنا يحيى بن سعيد عن أبى إسحاق عن أمية بن خالد قال:

«كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين».

ثم رواه من طريق قيس بن الربيع عن أبى إسحاق عن المهلب بن أبى صفرة عن أمية بن خالد مرفوعا نحوه.

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٢): رواه الطبراني ورجال الرواية الاولى رجال الصحيح. ا هـ.

قلت: أمية بن عبد الله بن خالد تابعي ولم يخرج له في الصحيح لكنه ثقة، ولولا عنعنة أبى إسحاق السبيعى ـ فإنه مذكور في المرتبة الثالثة من المدلسين (ص٤٢) ـ لكان الحديث مرسلا صحيح الاسناد والله أعلم.

الحديث العاشر

«لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».

قال الإمام أحمد في مسنده: (٥/ ٤٢٢):

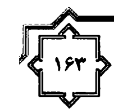
ثنا كل عبد الملك بن عمرو، ثنا كثير بن زيد، عن داود بن أبي صالح قال:

أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال: أتدرى ما تصنع؟ فاقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال: نعم جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله»**. وأخرجه من هذا الوجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٥١٥) وقال: صحيح الاسناد وسلمه الذهبي. عبد الملك بن عمرو هو القيسي أبو عامر العقدى ثقة احتج به الجماعة وكثير بن زيد حسن الحديث. وداود بن أبى صالح قال عنه الذهبي في الميزان (٢ / ٩): «لا يعرف» وسكت عنه ابن أبى حاتم الرازي (الجرح ٣/ ٤١٦).

وذكره الحافظ ابن حجر تمييزا وقال في التقريب: «مقبول».

فإذا تشددت وأعرضت عن تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي له لأن التصحيح هو توثيق للراوي فهذا الاسناد فيه ضعف يسير يزول بالمتابعة، وداود بن أبي صالح قد تابعه المطلب بن عبد الله بن حنطب فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٨٩) والأوسط (١/ ١٩٩)، وأبو الحسين يحيى بن الحسن في أخبار المدينة (كما في شفاء السقام ص١٥٢).

والمطلب بن عبد الله بن حنطب صدوق ويدلس ومثله يصلح للمتابعة صرح بالسماع أو لم يصرح أدرك أبا أيوب أو لم يدركه. فغاية هذا الاسناد أنه فيه انقطاع يسير يزول بالمتابعة المتقدمة. وبهذه المتابعة يثبت الحديث ويصير من قسم الحسن لغيره والله أعلم.



تنبيه:

أما الالباني فكان ولابد أن يضعف الحديث، فماذا فعل في تضعيفه؟!

اقتصر على رواية أحمد والحاكم التى فيها داود بن أبى صالح وضعف الحديث به، وهذا قصور وقد علمت وجود متابع لداود بن أبى صالح. ثم أخطأ على الحافظ العلم نور الدين الهيثمى فقال الالباني: وذهل عن هذه العلة (أي داود بن أبى صالح) الحافظ الهيثمى فقال في المجمع (٥ / ٢٤٥):

رواه أحمد والطبراني في الكبير والاوسط وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وغيره، وضعفه النسائي وغيره. اهـ.

وخطأ الالباني أنه اعتبر الجودة ذهولا، ذلك أن الحافظ الهيثمى عندما نظر لاسنادي أحمد والطبراني وجد متابعا لداود بن أبى صالح وهو المطلب بن عبد الله بن حنطب فلم يجد ما يستحق الكلام عليه إلا كثير بن زيد فبين أنه مختلف فيه، ومثله يحسن حديثه.

فحصر الهيثمى الكلام على كثير بن زيد هو الصواب.

ومنشأ خطأ الالباني هو عدم وقوفه على المتابعة وهو قصور بلا شك.

وبيان هذا القصور أنه عندما علم تخريج الطبراني للحديث كان ينبغى المسارعة والبحث عن إسناد الطبراني والنظر فيه وهذا هو مسلك المحدثين الناقدين، أما الاقتصار على طريق واحد للحديث ثم تضعيف الالباني له مع وجود طريق آخر فهو خطأ بلا ريب. ولعمل الالباني هذا نظائر في كتبه. **والحديث فيه التجاء أحد الصحابة إلى القبر الشريف.**

* * *

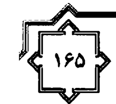
١١ ـ حديث: «**اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأنصر من ابتغى وأروف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، أنت الملك لا شريك**

لك، والفرد لا تهلك، كل شئ هالك إلا وجهك، لن تطاع إلا بإذنك ولم تعص إلا بعلمك، تطاع فتشكر، وتعص فتغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حلت دون الثغور وأخذت بالنواصي، وكتبت الاثار، ونسخت الاجال، القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرمت، والدين ما شرعت، والامر ما قضيت، والخلق خلقك، والعبد عبدك، وأنت الله الرؤوف الرحيم، أسألك بنور وجهك الذى أشرقت له السماوات والارض، بكل حق هو لك، وبحق السائلين عليك أن تقبلني في هذه الغداة أو في هذه العشية، وأن تجيرني من النار بقدرتك».

قال الطبراني في المعجم الكبير (٨ / ٢٦٤):

حدثنا أحمد بن على بن الأبار البغدادي، ثنا العباس بن الوليد النرسى، ثنا هشام بن هشام الكوفى ثنا فضال بن جبير، عن أبى أمامة الباهلى، قال كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وأمسى دعا بهذه الدعوات: «اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأنصر من ابتغى وأروف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، أنت الملك لا شريك لك، والفرد لا تهلك، كل شئ هالك إلا وجهك، لن تطاع إلا بإذنك ولم تعص إلا بعلمك، تطاع فتشكر، وتعصى فتغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حلت دون الثغور وأخذت بالنواصي، وكتبت الاثار، ونسخت الاجال، القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرمت، والدين ما شرعت، والامر ما قضيت، والخلق خلقك، والعبد عبدك، وأنت الله الرؤوف الرحيم، أسالك بنور وجهك الذى أشرقت له السماوات والارض، بكل حق هو لك، وبحق السائلين عليك أن تقبلني في هذه الغداة أو في هذه العشية، وأن تجيرني من النار بقدرتك».

قلت: فيه فضال بن جبير.



قال ابن عدى في الكامل (٦ / ٢٠٤٧): لفضال بن جبير عن أبى أمامة قدر عشرة أحاديث كلها غير محفوظة. اهـ.

وقال ابن حبان في المجروحين (٢ / ٢٠٤): يروى عن أبى أمامة ما ليس من حديثه، لا يحل الاحتجاج به بحال. اهـ.

ولذلك قال الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠ / ١١٧):

رواه الطبراني، وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه. اهـ.

قلت: ولولا قوة فضال بن جبير في الضعف لجاز الاستشهاد به لحديث **«اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك...»** الحديث.

الحديث الثاني عشر

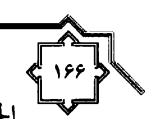
«إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني، وليصل علي».

قال الطبراني في معجمه الصغير (٢/ ١٢٠):

حدثنا نصر بن عبد الملك السنجارى بمدينة سنجار سنة ٢٧٨ ثمان وسبعين ومائتين، حدثنا معمر بن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع صاحب النبي ﷺ، حدثنا أبى محمد عن أبيه عبيد الله عن أبيه أبى رافع قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني، وليصل على» لا يروى عن أبى رافع إلا بهذا الاسناد، تفرد به معمر بن محمد.

قلت: لم يتفرد به معمر بن محمد كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، وقد أخرجه من هذا الوجه البزار في مسنده (كشف الاستار ٤ / ٣٢)، والبيهقي في الدعوات، وأبو يعلى، وابن عدى في الكامل (٦ / ٢٤٤٣)، والعقيلي في الضعفاء (١ / ٢٦٤).



وقال العقيلي (٤ / ١٠٤): ليس له أصل، ولذا أورده من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٣ / ٧٦)، وذكره ابن طاهر المقدسي في تذكرة الموضوعات (ص٣٢). ومعمر بن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع وأبوه ضعيفان.

فمعمر كذب، وقال البخاري: منكر الحديث. ومحمد بن عبيد الله بن أبى رافع قال عنه البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث جدا، ذاهب. وقال الدارقطني: متروك. ومع ذلك ذكره ابن حبان في الثقات!

واقتصر الحافظ على تضعيفه في التقريب.

ومعمر بن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع لم يتفرد به كما قال الطبراني، بل له طرق أخرى لكن مدارها على أبيه محمد بن عبيد الله ابن أبى رافع وقد علمت قوته في الضعف.

أخرجها ابن خزيمة في صحيحه، والخرائطي في «مكارم الاخلاق» (ص٨٠)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (ص٦٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١ / ٣٢١ ـ ٣٢٢)، وابن عدى في «الكامل» (٦ / ٢١٢٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٢٥٠) وقال الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٨): إسناد الطبراني في الكبير حسن. اهـ.

وهذا منه غريب لما قد تبين من ضعف المتفرد به، بل قوته في الضعف.

وأغرب منه إخراج ابن خزيمة له في صحيحه، وقد انتقده الحفاظ على ذلك، فقال السخاوى في (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع) (ص٢٢٥):

وقد أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وذلك عجيب لان إسناده غريب وفى ثبوته نظر.

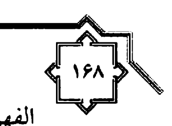
وقال نحوه ابن كثير في تفسيره (٦ / ٤٦٧)، وقلد المناوى في فيض القدير (١ / ٣٩٩) ابن خزيمة والهيثمي فبعد عن الصواب، والله تعالى أعلم.

الحديث الثالث عشر

«لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

قال الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥):

حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله ابن مسلم الفهرى، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».** هذا حديث صحيح الاسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. اهـ.



ورواه الآجري في الشريعة (ص٤٢٧) من هذا الوجه مع زيادة رجل بين الفهري وشيخه لكنه موقوف.

وأخرجه عن الحاكم البيهقي في «دلائل النبوة» (٥ / ٤٨٩) وقال: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف.

ولكن الذهبي في «تلخيص المستدرك» (٢ / ٦١٥) كان حكمه أشد فقال:

موضوع، وعبد الرحمن واهٍ، رواه عبد الله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة عنه.

لكنه قال في ترجمة عبد الله بن مسلم من الميزان (٢ / ٥٠٤):

روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم خبرا باطلا فيه: يا آدم لولا محمد ما خلقتك، رواه البيهقي في «دلائل النبوة»، وأقره الحافظ في اللسان (٣ / ٣٦٠)، لكن لم ينفرد عبد الله بن مسلمة به فقد توبع.

قال الطبراني في المعجم الصغير (٢ / ٨٢):

حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصدفى المصرى، حدثنا أحمد بن سعيد المدنى الفهرى، حدثنا عبد الله بن اسماعيل المدنى عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما أذنب آدم ﵇ الذنب الذى أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لى، فأوحى الله إليه وما محمد ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله عز وجل إليه يا آدم إنه اخر النبيين من ذريتك، وإنّ أمّته آخر الأمم من ذريتك ولولاه يا آدم ما خلقتك»**.



قال الطبراني: لا يروى عن عمر إلا بهذا الاسناد، تفرد به أحمد ابن سعيد.

قلت: والامر ليس كما قال فأحمد بن سعيد توبع كما تقدم عند الحاكم، لكن هذا السند فيه من لم أجد تراجمهم.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨ / ١٥٣):

رواه الطبراني في الاوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم. اهـ.

والحاصل أن الحديث تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من الوجه المتقدم وهو ضعيف كما قال البيهقي: ضعفه الكل، إلا ابن عدى فإنه رغم روايته لمنكرات له في الكامل قال (٤ / ١٥٨٥): له أحاديث حسان... وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه. اهـ.

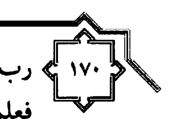
وشدد بعضهم فيه، وبسبب تساهل الحاكم في تصحيح هذا الحديث قال الحافظ في النكت على ابن الصلاح (١ / ٣١٨):

ومن عجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال ـ بعد روايته:

هذا صحيح الاسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن مع أنه قال في كتابه الذى جمعه في الضعفاء: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

وقال في آخر هذا الكتاب: فهؤلاء الذين ذكرتهم قد ظهر عندي جرحهم لان الجرح لا أستحله تقليدا. اهـ.

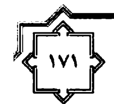
وله شاهد موقوف ولكنه ضعيف. أخرجه الاجرى في الشريعة (ص٤٢٢ ـ ٤٢٥): أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد التاجر قال: حدثنا أبو مروان العثماني قال: حدثنى ابن عثمان بن خالد، عن عبد الرحس بن أبى الزناد عن أبيه قال: «**من الكلمات التى تاب الله عز وجل بها على آدم** عليه السلام **أنه قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد عليك، قال الله عزوجل: يا آدم وما يدريك بمحمد؟ قال: يا**



رب رفعت رأسي فرأيت مكتوبا على عرشك لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أكرم خلق الله عليك».

قلت: أبو مروان العثماني فيه كلام، وأبوه عثمان بن خالد متروك ومع ذلك فهو معضل وموقوف. وله شاهد آخر مرسل موقوف ولكن ألفاظه فيها نكارة.

فقد أخرج ابن المنذر في تفسيره (كما في الدر المنثور: ١ / ٦٠) عن محمد الباقر بن على بن الحسين عليهم السلام قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه واشتد ندمه فجاء جبريل فقال: يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذى يتوب الله عليك منه، قال: بلى يا جبريل، قال: فقم في مقامك الذى تناجى فيه ربك فمجد وامدح فليس شيء أحب لله من المدح، قال: فأقول ماذا يا جبريل؟ قال: فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ثم تبوء بخطيئتك فتقول سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت رب إنى ظلمت نفسي وعملت السوء فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم إنى اسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لى خطيئتي، قال: ففعل آدم، فقال الله: يا آدم من علمك هذا، فقال: يا رب إنك لما نفخت في الروح فقمت بشرا سويا أسمع وأبصر وأعقل وأنظر رأيت على ساق عرشك مكتوبا بسم ألله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله، فلما لم أر على أثر اسمك اسم ملك مقرب، ولا نبى مرسل غير اسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك، قال: صدقت وقد تبت عليك وغفرت لك خطيئتك، قال: فحمد آدم ربه وشكره وانصرف بأعظم سرور لم ينصرف به عبد من عند ربه، وكان لباس آدم النور، قال الله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ثياب النور، قال: فجاءته الملائكة أفواجا تهنئه يقولون: لتهنك توبة الله يا أبا محمد».



لم أقف على إسناده إلى محمد الباقر عليه السلام، وهو رغم كونه إماما جليل القدر من أئمة التابعين وثقاتهم، إلا أن في متنه نكارة بينة، وهو أجل من أن تنسب إليه هذه النكارة، ولكنها من الرواة عنه، والله أعلم.

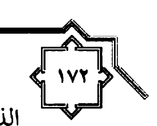
الحديث الرابع عشر

«من أراد يؤتيه الله حفظ القرآن وحفظ العلم فيكتب هذا الدعاء في إناء نظيف بعسل، ثم يغسله بماء مطر، يأخذه قبل أن يقع إلى الأرض، ثم يشربه على الريق ثلاثة أيام، فإنه يحفظ بإذن الله: اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك، أسألك بحق محمد رسولك ونبيك، وإبراهيم خليلك وصيفك، وموسى كليمك ونجيك، وعيسى كلمتك وروحك...» الحديث بطوله.

قال الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢ / ٢٦١):

أنا محمد بن الحسين بن محمد المتوه، نا عثمان بن أحمد الدقاق، نا محمد بن خلف بن عبد السلام، نا موسى بن إبراهيم المروزي، نا وكيع، عن عبيدة، عن شقيق، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: **«من أراد يؤتيه الله حفظ القرآن وحفظ العلم فيكتب هذا الدعاء في إناء نظيف بعسل، ثم يغسله بماء مطر، يأخذه قبل أن يقع إلى الأرض، ثم يشربه على الريق ثلاثة أيام، فإنه يحفظ بإذن الله: اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك، أسألك بحق محمد رسولك ونبيك، وإبراهيم خليلك وصفيك، وموسى كليمك ونجيك، وعيسى كلمتك وروحك...»** الحديث بطوله.

قلت: هذا موضوع، والمتهم به موسى بن إبراهيم أبو عمران المروزي. كذبه يحيى بن معين، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقد عدّ الحافظ الذهبي في الميزان (٤ / ١٩٩) هذا الحديث من بلايا موسى ابن إبراهيم.



وقد سرقه منه عمر بن صبح الخراساني الكذاب وركب له إسنادا آخر وهـو الذى أخرجه ابن الجوزى في الموضوعات (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

ورواه أبو الشيخ في الثواب (كما في اللالئ: ٢ / ٣٥٧) من طريق الحسن بن عرفه، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة عـن أبيـه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال:

إنى أتعلم القران فينفلت منى، فقال النبي ﷺ: «**قـل: اللهـم إنـى أسـالك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى روحك...** » الحديث.

وفى التوسل والوسيلة (ص٨٩): ورواه أبو موسى المدينى من حديث زيـد بن الحباب عن عبد الملك ابن هارون بن عنترة، وقال: هذا حديث حسن مع أنـه ليس بالمتصل، قال أبو موسى: ورواه محرز بن هشام عن عبد الملك عن أبيه عـن جده عن الصديق رضي الله عنه، وعبد الملك ليس بـذاك القـوى وكـان بـالرى، وأبـوه وجده ثقتان. اهـ.

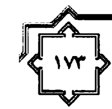
قلت: هذا مثل أسانيد الحديث على وهائه. فهـارون بـن عنـترة وثقـه أحمـد وابن معين والعجلي وابن سعد. وأبوه هو عنترة بن عبد الرحمن تابعي ثقة وزعم بعضهم أن له صحبة فإسناده متصل، لكن آفته عبد الملك بن هـارون بـن عنـترة هالك، قال عنه يحيى بن معين: كذاب، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث.

والحاصل أن الحديث موضوع. وهو ممـن أصـاب ابـن الجـوزى بـذكره في الموضوعات. والله أعلم.

تخريجات الآثار

الأثر الأول:

«قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائـشة فقالـت: انظـروا إلى قـبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال:



ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق».

قال الحافظ الدارمي في سننه (١ / ٤٣ ـ ٤٤): باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته:

حدثنا أبو النعمان، ثنا سعيد بن زيد، ثنا عمرو بن مالك النكرى، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: «**قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا، فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق**».

قلت: هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى.

أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسى الملقب بعارم، ثقة مشهور، وإن كان قد اختلط بآخره فحديثه مقبول هنا لامرين:

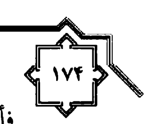
الاول: قال الحافظ ابن الصلاح في مقدمته (ص٤٦٢): عارم محمد بن الفضل اختلط بأخرةٍ، فما رواه عنه البخاري ومحمد بن يحيى الذهلى وغيرهما من الحفاظ ينبغى أن يكون مأخوذا عنه قبل اختلاطه. ا هـ.

وعقب عليه الحافظ العراقى في التقييد والايضاح (ص٤٦٢)، فقال:

وكذلك ينبغى أن يكون من حدث عنه من شيوخ البخاري ومسلم. ا هـ.

قلت: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي من شيوخ مسلم والبخاري فيكون الدارمي ممن حدثوا عن محمد بن الفضل السدوسى قبل اختلاطه ولا بد.

الثاني: قال الذهبي في الميزان في ترجمة عارم (٤ / ٨)، وقال الدارقطني: تغير بأخرة، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة.



قلت أي الذهبي: «فهذا قول حافظ العصر الذى لم يأت بعد النسائي مثلـه، فأين هذا القول من قول ابن حبان الخساف المتهور في عارم فقال: اختلط في آخر عمره وتغير حتى كان لا يدرى ما يحدث به، فوقـع في حديثـه المنـاكير الكثـيرة، فيجب التنكب عن حديثه فيما رواه المتأخرون، فإذا لم يعلم هذا تـرك الكـل، ولا يحتج بشيء منها. قلت: ولم يقدر ابن حبان أن يسوق له حـديثا منكـرا، فـأين مـا زعم»، انتهى كلام الذهبي.

وأقر العراقى في «التقييد والايضاح» (ص٤٦١) الذهبي في دفعه لجرح ابـن حبان.

وصرح الذهبي في الكاشف (٣ / ٧٩) بأنه تغير قبل موته فما حدث. ا هـ.

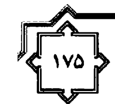
وكلام الحافظ الذهبي جيد دل على براعة والواقع يؤيده، فإذا كـان الرجـل قد اختلط، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ـ كما صرح بذلك الـدارقطني أمير المؤمنين في الحديث ـ فيكون قد أمسك عن التحديث، وبعد؛ فمن يتخلـف عن مثل عارم الثقة فلا تلتفت إليه، وقد:

خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة وثريد

والله أعلم.

واذ قد تبين لك أن مـا رواه الـدارمي عـن أبـى الـنعمان محمـد بـن الفـضل السدوسى مقبول لا مراء فيه.

فإن تعجب فعجـب مـن صـنيع الالبـاني الـذى نقـل في كتابـه «التوسـل» (ص١٢٨)، ذكر ابن الصلاح لابي النعمان في المختلطين، ثم لم ينقل من كلام ابن الصلاح ما يدحض شبهته وهى قول ابن الصلاح ـ وقـد تقـدم ذكـره ـ مـا رواه البخاري ومحمد بن يحيى الذهلى وغيرهما من الحفاظ ينبغى أن يكون مأخوذا عنه قبل اختلاطه. ا هـ.



والدارمي من كبار الحفاظ وهو من شيوخ البخاري والذهلي. واكثر من هذا أنه ـ أي الالباني ـ قال في حاشية كتابه المذكور (ص١٢٩):

وتغافل عن هذه العلة ـ أي اختلاط أبي النعمان ـ الشيخ الغماري في «المصباح» (ص٤٣). اهـ.

والصواب رد كلام الالباني عليه.

وما أحسن قول القائل:

وكم عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وأما سعيد بن زيد فتكلم فيه، لكن وثقه ابن معين وابن سعد والعجلي وسليمان بن حرب وغيرهم.

وقد احتج به مسلم في صحيحه.

وقد كفانا الحافظ الذهبي مؤنة تفصيل القول في قبول حديثه بإيراده إياه في جزء «من تكلم فيه وهو موثق» (ص٨٥)، وحديثهم لا ينزل عن درجة الحسن عنده، كما صرح بذلك في مقدمة الجزء المذكور (ص٢٧).

فلا تلتفت أيها المنصف بعد ذلك لمن يشغب عليك ويضعف الرجال المخرج لهم في الصحيح.

وأما عمرو بن مالك النكري، فقد وثقه ابن حبان (الثقات ٧ / ٢٢٨)، ولا يقول قائل إنه من المجاهيل الذين يدخلهم كتابه الثقات، فالرجل روى عنه جماعة من الثقات، وعندما ترجمه ابن حبان في ثقاته قال ما نصه:

عمرو بن مالك النكري كنيته أبو مالك، من أهل البصرة، يروي عن أبي الجوزاء، روى عنه حماد بن زيد وجعفر بن سليمان وابنه يحيى بن عمرو، ويعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، مات سنة تسع وعشرين ومائة. اهـ.



وأكثر من هذا أن ابن حبان ترجم لعمرو بن مالك النكرى في مشاهير علماء الامصار (ص١٥٥) ضمن طبقة اتباع التابعين في البصرة وقال: وقعت المناكير في حديثه من رواية ابنه عنه، وهو في نفسه صدوق اللهجة. اهـ.

فأنت ترى أن ابن حبان عرف اسم الراوى وكنيته وبلده وشهرته بالعلم وعرف الرواة عنه، وأنه قد سبر روايته بدليل قوله يعتبر حديثه... إلخ، وقوله وقعت المناكير... إلخ.

فقبول توثيق ابن حبان حق لا مرية فيه وهو الذى اعتمده الحافظ، فقال في التقريب (ص٤٢٦): صدوق له أوهام. اهـ.

لكن الصواب من قول الحافظ قوله «صدوق» فقط، وبيان هذا الصواب أنه وقع في «التهذيب» (٨ / ٩٦) زيادة على كلام ابن حبان لم أجدها في الثقات هي «يخطئ ويغرب»، وهى سبق قلم بنى عليها الحافظ قوله: «له أوهام».

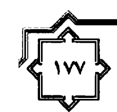
فإذا رفعت هذه الزيادة التى لا أصل لها من كلام ابن حبان، رفع كلام الحافظ المعتمد عليها، وكان الصواب من قول الحافظ في عمرو ابن مالك هو «صدوق» فقط والله أعلم.

فإن قيل: فما بالنا، نراك قد أعرضت عن كلام أحمد في عمرو ابن مالك النكرى، فقد نقل عبد الله بن أحمد عن أبيه في مسائله (ص٨٩): أنه كانه ضعفه. اهـ.

قلت: كأن ظن لا تقوم به حجة.

ونحوه قال الحافظ في ترجمة الحسن بن موسى الاشيب في مقدمة الفتح (ص٣٩٧):

روى عبد الله بن على بن المدينى عن أبيه قال: كان ببغداد (أي الحسن بن موسى)، وكأنه ضعفه.



قلت (أي الحافظ): هذا ظن لا تقوم به حجة. ا هـ.

أضف إلى كونه ظنا مرجوحا أنه جرح غير مفسر حكمه الرد في مقابل التعديل كما تقرر في علم الحديث.

فتوثيق عمرو بن مالك بعد ذلك البيان لا مرية فيه.

وهو ما صرح به الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣ / ٢٨٦)، وفى «المغنى» (٢ / ٤٨٩). تنبيه:

وإذ قد تبين لك ثقة عمرو بن مالك النكرى فلك أن تعجب من قول الالباني في ضعيفته (١ / ١٣١) تعقيبا على الحافظين المنذرى والهيثمي إذ حسنا لعمرو بن مالك النكرى؛ قال الالباني: وفيما قالاه نظر، فإن عمرا هذا لم يوثقه غير ابن حبان، وهو متساهل في التوثيق حتى إنه ليوثق المجهولين عند الائمة النقاد.... اهـ.

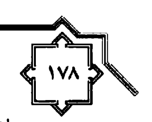
قلت: تقدم قبول توثيق ابن حبان له، ومحل العجب من الالباني، حيث قال في تعليقه على فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٨٨):

عمرو بن مالك النكرى وهو ثقة كما قال الذهبي.

ثم عاد ووثقه مرة أخرى في صحيحته (٥ / ٦٠٨)...!! ومحل العجب أنه يصحح ويضعف وفق غرضه وهواه، ولهذا يكثر التناقض منه ويترك القواعد، نعوذ بالله تعالى من الهوى والمناكدة.

تنبيه آخر:

خلط ابن عدى في كامله (٥ / ١٧٧٩) بين عمرو بن مالك النكرى، وعمرو بن مالك الراسبى فقال: منكر الحديث عن الثقات، ويسرق الحديث، ثم ختم الترجمة بقوله: ولعمرو غير ما ذكرت أحاديث مناكير بعضها سرقها من قوم ثقات. اهـ.



إلا أنه قال في صدر الترجمة: عمرو بن مالك النكرى، والصواب أنه عمرو بن مالك الراسبى لا النكرى، وقد نبه على وهم ابن عدى الحافظ في «التهذيب» (٨ / ٩٥)، وفرق بينهما الذهبي في «الميزان» (٣ / ٢٨٦)، وفى «المغنى» (٢ / ٤٨٩).

واغتر بخلط ابن عدى جماعة منهم:

ابن الجوزى في «الضفاء» (٢ / ٢٣١)، وفى «الموضوعات» (٢ / ١٤٥)، وابن تيمية في «التوسل» وغيره. وكان من أثر ذلك أن حكما على هذا الاثر بالوضع وهو خطأ بلا ريب منشأه تقليد ابن عدي.

وأبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله البصري: ثقة احتج به الجماعة، وقد تكلم في سماعه من أم المؤمنين عائشة ﵄.

والصواب إثبات سماعه منها للآتي:

الاول: أن حديث أبى الجوزاء عن عائشة ﵄ أخرجه مسلم في صحيحه وكفى بهذا حجة.

الثاني: قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٢ / ١٧): قال لنا مسدد عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك النكرى عن أبى الجوزاء قال: أقمت مع ابن عباس وعائشة اثنتى عشرة سنة ليس من القرآن آية إلا سألتهم عنها.

وفى رواية أخرجها ابن سعد (٧ / ٢٢٤): أخبرنا عارم بن الفضل قال: حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء قال: جاورت ابن عباس في داره اثنتى عشرة سنة ما في القرآن آية إلا وقد سألته عنها.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣ / ٧٩) بزيادة:

وكان رسولي يختلف إلى أم المؤمنين غدوة وعشية فما سمعت من أحد من العلماء ولا سمعت أن الله تعالى يقول لذنب: إنى لا أغفره إلا الشرك به.



قال الحافظ في «التهذيب» (١ / ٣٨٤):

لكن لا مانع من جواز كونه توجه إليها بعد ذلك فشافهها على مذهب مسلم في إمكان اللقاء. اه.

فإذا كان أبو الجوزاء قد أدرك السيدة عائشة ﵂ بيقين، ولم يكن أبو الجوزاء مدلسا فروايته عنها محمولة على السماع كما هو مذهب الامام مسلم بل الجمهور، واستقر العمل على ذلك والله أعلم.

وقد صحح أبو نعيم الاصبهاني في ترجمة أبي الجوزاء في «الحلية» عدة أحاديث له عن عائشة. وفى الجمع بين الصحيحين لابن القيسراني (١ / ٤٦): سمع عائشة. ا هـ.

فحاصل ما تقدم: إن هذا إسناد حسن أو صحيح رجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النكرى وهو ثقة. والله تعالى أعلم بالصواب.

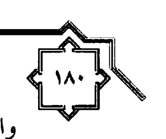
الأثر الثاني:

«أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه».

قال ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢ / ٣١ ـ ٣٢):

حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن مالك الدار، قال: وكان خازن عمر على الطعام، قال:

«أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لامتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنكم مستقيون وقل له: عليك الكيس عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا ألو إلا ما عجزت عنه».



وأخرجه من هذا الوجه ابـن أبـى خيثمـة كـما في «الاصـابة» (٣/ ٤٨٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٤٧)، والخليلي في «الارشاد» (١ / ٣١٣ ــ ٣١٤)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢ / ٤٦٤).

وقال الحافظ في «الفتح» (٤٩٥ / ٢): وقد روى سيف في الفتوح أن الـذى رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة. ا هـ.

قلت: إسناده صحيح، وقد صححه الحافظان ابـن كثـير في «البدايـة» (٧ / ١٠١)، وابن حجر في «الفتح» (٢ / ٤٩٥) وقال ابن كثـير في جـامع المسانيد ـ مسند عمر (١ / ٢٢٣): إسناده جيد قوى. اهـ.

وأقر ابن تيمية بثبوته في اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٧٣).

وقد سعى بعضهم لتضعيف هذا بأمور مخالفـة لقواعـد الحـديث رأيـت أن أسوقها ثم أبين مجانبتها للصواب وهى:

١ ـ الاعمش مدلس ولم يصرح بالسماع.

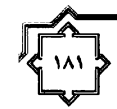
٢ ـ مالك الدار مجهول.

٣ ـ مظنة انقطاع بين أبى صالح ومالك الدار.

٤ ـ إن صحت الرواية فلا حجة فيها لان مدارها على رجل لم يسم وتسميته بلالا في رواية سيف لا يساوى شيئا، لان سيفا متفق على ضعفه.

٥ ـ تفرد مالك المجهول ـ في ظنهم ـ رغم عظم الحادثة وشـدة وقعهـا عـلى الناس إذ هم في كرب، إنّ سبباً يفك هذه الازمة مما تتداعى الهمم على نقله، فـإذا لم ينقلوه دل على أن الامر لم يكن كما رواه مالك، فلعله ظنه ظنا.

أما عن الاولى وهى تدليس الاعمش: فإن الاعمش وإن كـان مدلـسا إلا أن حديثه هنا مقبول صرح بالسماع أو لم يصرح لامرين:



الاول: وهو أن الاعمش مذكور في المرتبة الثانية من المدلسين، وهم من احتمل الائمة حديثهم وأخرجوا لهم في الصحيح لامامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا، فالاعمش حديثه مقبول صرح بالسماع أو لم يصرح.

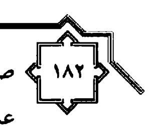
والثاني: وهو وان لم نقبل من حديثه إلا ما صرح فيه بالسماع كاهل المرتبة الثالثة وما بعدها من المدلسين فحديثه هنا مقبول لانه يروى عن أبى صالح وهو ذكوان السمان.

قال الذهبي في «الميزان» (٢ / ٢٢٤): متى قال (أي الاعمش) «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم وابن أبى وائل وأبى صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال. أهـ.

وأما عن الثانية: وهى ظنهم جهالة مالك الدار الثقة المخضرم، فقد أبعد الألبانى وغاير قواعد الحديث وقال في «التوسل» (١٢٠ ـ ١٢١): مالك الدار غير معروف العدالة والضبط واستدل على ذلك بأن ابن أبى حاتم لم يذكر راويا عنه غير أبى صالح ففيه إشعار بأنه مجهول ويؤيده أن ابن أبى حاتم نفسه ـ مع سعة حفظه واطلاعه ـ لم يحك فيه توثيقا فبقى على الجهالة، ثم أيد كلامه بأن الحافظ المنذرى أورد قصة من رواية مالك الدار عن عمر ثم قال: ومالك الدار لا أعرفه، وكذا قال الهيثمى في «مجمع الزوائد». ا هـ. انتهى باختصار اقتضاه المقام.

ثم صرح الالباني بجهالته (ص١٢١). قلت وبالله التوفيق: مالك الدار ثقه وفوق الثقة متفق عليه أثنى عليه جمع من التابعين ولنا في بيان ذلك مسالك:

المسلك الاول: مالك الدار هو مالك بن عياض مولى عمر بن الخطاب، ذكره الحافظ في المخضرمين في «الاصابة» (٣ / ٤٨٤). وقال: له إدراك وسمع من أبى بكر الصديق، وروى عن الشيخين ومعاذ وأبى عبيدة، روى عنه أبو



صالح السمان وابناه عون[1] وعبد الله ابنا مالك، ثم ذكر بعد كلام في الرواة عنه عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع الثقة.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة (٥ / ٦)، وقال: وكان معروفا.

وقال أبو عبيدة كما في «الاصابة» (٣ / ٤٨٤): ولاه عمر وكله عياله، فلما قدم عثمان ولاه القسم. اهـ.

وفيها أيضا قال اسماعيل القاضى عن على بن المدينى: كان مالك الدار خازنا لعمر. ا هـ. وأجاد الحافظ أبو يعلى الخليلى فقال في الارشاد (١ / ٣١٣): مالك الدار مولى عمر بن الخطاب ﷺ تابعي قديم متفق عليه أثنى عليه التابعون. ا ه.

ووثقه ابن حبان في «الثقات» (٥ / ٣٨٤). فأي ثناء يطلب بعد هذا في الرجل حتى يصحح حديثه؟، وأى حجة تطلب في توثيق الرجل بعد ذلك؟ فتوثيق جمعٍ له وخاصة إذا كانوا معاصرين ومن التابعين الذين هم خير القرون بعد القرن الاول لا تجده إلا في أفذاذ الثقات.

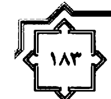
فالرجل متفق على الاحتجاج به بلا مرية كما هو ظاهر كلام الخليلى.

ولفرط دينه وأمانته استعمله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ.

المسلك الثاني: إن تشددت غاية التشدد وأعرضت عن توثيق ابن حبان، ولم تقف على كلام الخليلى الذى هو قاطع للنزاع، فغاية ما في الرجل أنه عدل الظاهر برواية أربعة ثقات عنه، بله اعتماد أئمة الصحابة له. فلا يخرج عن كونه ـ في أدنى الاحوال ومع كامل التشدد ـ من مستورى التابعين وقد قبل الائمة حديثهم.

---

١ . حديثه عنه في المعجم الكبير للطبراني (٢ / ٣٣)، والحلية، والزهد لابن المبارك.



قال ابن الصلاح في مقدمته (ص١٤٥): ويشبه أن يكون العمل على هذا الرأى (وهو قبول رواية المستور) في كثير من كتب الحديث المشهورة في غير واحد من الرواة الذين تقادم العهد وتعذرت الخبرة الباطنة بهم. والله أعلم.

ومن أكبر الادلة على قبول رواية المستور هو تصحيح الشيخين البخاري ومسلم لحديثهم.

قال الذهبي في «الميزان» (١ / ٥٥٦) في ترجمة حفص بن بغيل: «ففى الصحيحين من هذا النمط خلق كثير مستورون ما ضعفهم أحد ولا هم بمجاهيل». اهـ.

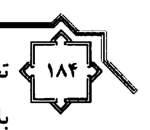
وقال الذهبي في «الميزان» أيضا (٣ / ٤٢٦) في ترجمة مالك بن الخير الزيادي:

وفى رواة الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم والجمهور على أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ولم يأت بما ينكر عليه أن حديثه صحيح». اهـ.

قلت: مالك بن الخير من تابعي التابعين، وحفص بن بغيل من صغارهم فأين هم ثم أين هم من مالك الدار المخضرم المعترف بدينه وأمانته من عمر وعثمان رضي الله عنهما؟ وعليه فإذا صحح الائمة لامثال من تقدم فمالك بن عياض حديثه أصح منهم ولا بد.

بل وأكثر من هذا قول الذهبي في «الميزان» (٢ / ٤٠) في ترجمة الربيع بن زياد الهمداني ما رأيت لاحد فيه تضعيفا، وهو جائز الحديث. اهـ.

وقال في ترجمة زياد بن مليك من «الميزان» أيضا (٢ / ٩٣) شيخ مستور ما وثق ولا ضعف فهو جائز الحديث. اهـ. وزياد يروى عمن تأخروا كثيرا عن مالك الدار أمثال الاعمش وطبقته. والمتقدمون من الرواة أمثال مالك الدار



تعذرت الخبرة الباطنة بهم على النقاد، ولما كانت الاخبار تبنى على حسن الظن بالراوي قبل الأئمة حديثه وحديث أمثاله، وقد صرح بنحو هذا السخاوى في شرح الالفية (١ / ٢٩٩).

وهذا أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن الدارقطني يقول (كما في فتح المغيث ١ / ٢٩٨): «من روى عنه ثقتان فقد ارتفعت جهالته وثبتت عدالته». اهـ.

فإذا علمت ما سبق عن الائمة في قبول حديث مالك بن عياض وأمثاله، فلا تنظر بعد ذلك لقول غيرهم إلا مع قولك: إنه قول بعيد عن الصحة بعيد عن التحقيق والله أعلم بالصواب.

المسلك الثالث: مالك الدار مخضرم له إدراك.

ومن له إدراك يذكره بعضهم في الصحابة، قال الحافظ في التهذيب في ترجمة إبراهيم بن أبي موسى الاشعري (١ / ١٣٥): «ذكره جماعة في الصحابة على عادتهم في من له إدراك». اهـ.

وقال في ترجمة الاسود بن مسعود العنبري (١ / ٣٤٢): «ذكره البارودى وجماعة ممن ألف في الصحابة لادراكه». اهـ.

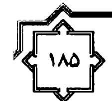
وقال الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة (١ / ١٠٣) في ترجمة الأكدر بن حمام:

أورده الحافظ ابن حجر رحمه الله في الاصابة في قسم المخضرمين وهم من أدرك النبي ﷺ ولم يسلم إلا بعد وفاته وهم صحابة في قول ابن عبد البر وطائفة. اهـ.

ولذا ذكره السيوطي في «در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة».

قلت: وقال آخرون ليس بصحابى.

وإذا كان من له إدراك ممن اختلفوا في صحبته فأثبتها بعضهم ونفاها آخرون، فلك أن تقول من له إدراك مختلف في صحبته. إذا علم ذلك، فقد قال



الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١ / ٧٤) عند الكلام على حديث «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» قال عند الكلام على أسماء بنت سعيد بن زيد بن عمرو ما نصه: وأما حالها فقد ذكرت في الصحابة، وإن لم يثبت لها صحبة فمثلها لا يسأل عن حالها. اهـ.

فجعل الحافظ ـ ولله دره ـ بقوله فمثلها أي من اختلف في صحبته من الثقات الذين لا يسأل عن حالهم.

فحاصل ما سبق يمكن أن تقول:

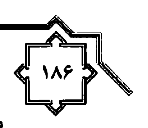
مالك الدار له إدراك، وكل من له إدراك اختلفوا في صحبته، ومن اختلفوا في صحبته فهو ثقة لا يسأل عن حاله، فالنتيجة مما تقدم، مالك الدار ثقة لا يسأل عن حاله والله أعلم.

المسلك الرابع: والألباني الذي يرد رواية مالك بن عياض الشهير بالدار وهو المعتمد من أئمة الصحابة ﷺ بدعوى جهالته، يقبل رواية من هم أقل شأنا منه، والامثلة عندي كثيرة وهي توضح تناقض مسلكه وتناديه بأعلى صوت وتلزمه بأقوى برهان هكذا صنعت في المذكورين وهم أقل من مالك الدار فأنت ملزم بقبول حديث مالك الدار والله المستعان.

وأتحف القارئ بعشرة أمثلة توضح ما ذكرت:

١ ـ مهاجر بن أبي مسلم جود حديثه في صحيحته (٢ / ٤٨٧) برواية جمع من الثقات عنه وتوثيق ابن حبان له. قلت: وفى «التقريب» (ص٥٤٨): «مقبول». اهـ.

٢ ـ يحيى بن العريان الهروي حسن له في صحيحته (١ / ٤٩)، وحجته أن الخطيب البغدادي عندما ترجمه في التاريخ (١٤ / ١٦١) ذكر أنه كان محدثا!!



قلت: لا زلت أتعجب من مسلكه، فليس التحديث من عبارات التعديل، ولا يلزم من كون الرجل محدثا أو حافظا أن يصحح حديثه أو يحسن وهذا واضح لا يحتاج لبيان.

٣ ـ موسى بن عبد الله بن إسحاق بن طلحة القرشى صحح له في صحيحته (١ / ٢٩٥) وفى «التقريب» (ص٥٥٢): «مقبول». اهـ

٤ ـ مالك بن الخير الزيادي صحح حديثه برواية جمع من الثقات وتوثيق ابن حبان له (صحيحته: ٢ / ٥١٢).

٥ ـ عون بن محمد بن الحنفية حسن له (صحيحته: ٢ / ٢٧٤) وهو كسابقه.

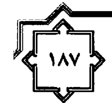
٦ ـ عبد الله بن يسار الاعرج المكى مولى ابن عمر جود حديثه في صحيحته (٢ / ٢٩٠)، وهو كسابقه أيضا، وفى التقريب (ص٣٣٠): «مقبول». اهـ

٧ ـ محمد بن الاشعث جوّد حديثه في صحيحته (٢ / ٣١٣) بتوثيق ابن حبان، ورواية جمع عنه وكونه تابعيا كبيرا، وفى التقريب: «مقبول». اهـ (ص٤٦٩).

٨ ـ أبو سعيد الغفاري جوّد له في صحيحته (٢ / ٢٩٨)، وقال بعد ارتفاع الجهالة العينية عنه ما نصه: ثم هو تابعي كبير فمثله يحسن حديثه جماعة من الحفاظ، فلا جرم جوّد إسناده الحافظ العراقى وهو الذى انشرح له صدري واطمأنت إليه نفسي. اهـ.

قلت: فيا هذا ما الفارق بين الغفاري ومالك الدار؟

٩ ـ بشر بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز حسن له في صحيحته (٢ / ٣٩٢) بسكوت ابن أبى حاتم ورواية بعض الثقات عنه واحتمال كونه في ثقات ابن حبان.!



قلت: جعله ابن حبان في تبع الاتباع (٨ / ١٣٨) فطبقته نازلة جدا بالنسبة لمالك الدار الثقة المخضرم المعتمد من كبار الصحابة، ولكن حبك للشئ يعمى ويصم، نعوذ بالله من اتباع الهوى.

١٠ ـ صالح بن حوات حسن له في صحيحته (٢ / ٤٣٦) برواية جمع من الثقات عنه وتوثيق ابن حبان له. قلت: في «التقريب» (ص٢٧١): «مقبول من أهل الثامنة». اهـ. فأين هو من أهل الثانية؟

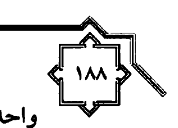
* * *

بقى الكلام على أخطاء وقعت في عبارات الالباني رأيت أن السكوت عنها ليس بجيد وهاك بيانها: قوله: «مالك الدار غير معروف العدالة والضبط» اهـ.

قلت: المقصود هنا بالعدالة عدالة الظاهر وهو عدل، بلا شك برواية أربعة عنه، وزد على ذلك اعتماد أئمة الصحابة عليه في الامور التى تحتاج لكامل العدالة والمروءة.

وأما قوله: وقد أورده ابن أبى حاتم في «الجرح والتعديل» (٤ / ١ / ٢١٣)، ولم يذكر راويا عنه غير أبى صالح هذا. ففيه إشعار بأنه مجهول، ويؤيده أن ابن أبى حاتم نفسه مع سعة حفظه واطلاعه لم يحك فيه توثيقا فبقى على الجهالة». ا هـ.

فأقول: هذا تقصير في البحث لا ينبغى لمن يتصف به أن يتكلم في الرجال، ويحكم على الاحاديث فاعتماد الالباني على كتاب الرازي فقط أوقعه فيما تراه من قصور شديد والا فالرجل ترجمه ابن حبان في الثقات، وابن كثير في «البداية» (٧ / ١٠٠ ـ ١٠١)، والذهبي في تاريخ الاسلام (٣ / ٦٩)، والحافظ في «الاصابة» (٣ / ٤٨٤)، والخليلي في «الارشاد» (١ / ٣١٣)، والسخاوى في التحفة اللطيفة (٣ / ٤٤٥)، وله ذكر في تهذيب التهذيب (٨ / ٢١٧)، (٧ / ٢٢٦).



ومنهم تعلم عدالة مالك الدار، ورواية جمع غير أبى صالح السمان عنه، هذه واحدة.

أما الثانية: فإنّ سكوت ابن أبى حاتم عن الرجل لا يشعر بجهالته كما صرح بذلك الالباني، هنا، وأكثر من هذا قول الشيخ حماد بن محمد الانصاري[1]: «كل من سكت عنه ابن أبى حاتم في "الجرح والتعديل" فهو مجهول». ا هـ.

فجعلها الشيخ حماد قضية كلية ولله الامر.

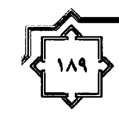
قلت: سكت ابن أبى حاتم عن الراوى لانه لم يجد فيه جرحا ولا تعديلا فقال في ختام كلامه على مباحث الجرح والتعديل (١ / ٣٧): «على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من "الجرح والتعديل" كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روى عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم، فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى». ا هـ.

فعدم وجود الجرح والتعديل لا يعنى جهالتهم لان الجهالة جرح، فلم يصرح بذلك، ولم يشر إليه بل والواقع يخالف ذلك قطعا، فكم من الرواة الذين سكت عنهم ابن أبى حاتم وجد فيهم الجرح والتعديل غيره من الائمة، وكتب الرجال طافحة بالامثلة.

وأكثر من هذا أن أبا حاتم الذى يعتمد قوله ابن أبى حاتم في الجرح والتعديل قد عبر بعبارة مجهول في كثير من الصحابة، وصرح بذلك الحافظ في التهذيب (٣ / ٣٥٧). ثم وجه الالباني (توسله ص١٢٠) تصحيح الحافظ ابن حجر لهذا السند بكلام متهافت لا يشتغل به ولا برده لانه عبث لا فائدة فيه والله المستعان.

---

١ . في مجموعة مقالات له نشرت في مجلة (الجامعة الاسلامية) باسم «المفهوم الصحيح للتوسل، أو تحفة القارى في الرد على الغماري»، وفيما يراه القارئ من تحقيق لاحاديث التوسل في هذا الكتاب نسف لتحفته، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.



فصل

فإن قلت: سلمنا لك أن «مالك الدار» مخضرم وثقة، وقد استعمله كبار الصحابة، فما لنا نرى اثنين من الحفاظ وهما المنذرى والهيثمي قد قالا في مالك الدار «لا أعرفه».

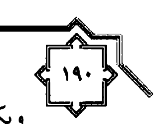
قلت: لم يعرفاه، ولكن قد عرفه غيرهما فكان ماذا؟!

من عرف حجة على من لم يعرف، ولم يقولوا: من لم يعرف حجة على من عرف.

وهنا نكتة لا تخلو من فائدة وهى أن الحافظين المنذرى والهيثمي نفيا المعرفة فقط ولم يحكما بالجهالة مما يدل على معرفتهما التامة بالفن. بينما جازف الالباني فادعى جهالة الرجل، وبون شاسع بين اللفظين. قال الحافظ في «اللسان» في ترجمة إسماعيل بن محمد الصفار (١ / ٤٣٢): «لم يعرفه ابن حزم فقال في "المحلى": إنه مجهول... ومن عادة الائمة أن يعبروا في مثل هذا بقولهم لا نعرفه أو لا نعرف حاله، وأما الحكم عليه بالجهالة بغير زائد لا يقع إلا من مطلع عليه أو مجازف». اهـ.

فليتأمل المطلع الفارق بين الصنيعين، صنيع أهل الفن وصنيع غيرهم. وكم للالباني من عدول عن «عدم المعرفة» إلى «الحكم بالجهالة»، وهو خطأ شائع في كتبه وقد نبهت عليه في مقدمة النقد الصحيح لما اعترض عليه من أحاديث المصابيح للحافظ صلاح الدين العلائى والله المستعان.

وأما عن العلة الثالثة وهى مظنة الانقطاع بين أبى صالح ذكوان السمان ومالك الدار. هذه العلة المتوهمة ذكرها صاحب كتاب «هذه مفاهيمنا» (ص٦٢، ٦٣).



وهذا الذى ظنه صاحب الكتاب المذكور ظن باطل لا يغنى من الحق شيئا، ويكفى في بطلانه أن تعرف أن أبا صالح ذكوان السمان مدنى كمالك الدار وجل روايته عن الصحابة، ولم يكن مدلسا، والمعاصرة تكفى للحكم على السند بالاتصال كما هو مقرر.

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم.

وأما عن العلة الرابعة: وهى قولهم: إن صحت الرواية فلا حجة فيها لان مدارها على رجل لم يسم وتسمية بلالا في رواية سيف لا يساوى شيئا لان سيفا متفق على ضعفه.

قلت: نعم سيف شديد الضعف لكن الجائى إلى القبر الشريف سواء كان صحابيا أو تابعيا لا يضر الجهل به لان الحجة في إقرار سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في عمله حيث لم ينهه عما فعل، بل أقره وبكى عمر وقال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه. والله أعلم.

وأما عن العلة الخامسة وهى عظم الحادثة وتفرد مالك الدار بنقلها.

«وهو مجهول عندهم» دل على أن الامر لم يكن كما رواه مالك فلعله ظنه ظنا. أورد هذا الاعتراض أيضا صاحب كتاب «هذه مفاهيمنا» (ص٦٢).

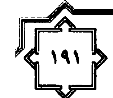
قلت: تقرر في علم الاصول أن الخبر يقطع بكذبه إذا توفرت فيه ثلاثة شروط:

الاول: إذا انفرد به واحد.

الثاني: أن يكون مما تجتمع الدواعى للناس على نقله.

الثالث: أن يشاركه خلق كثير في حضور ما يدعيه المنفرد.

والشرطان الاخيران لا يتوافران في خبر مالك الدار، فإن خبره لم تتوفر الدواعى للناس على نقله فتدبر. وتقدم أن مالك الدار معروف متفق عليه كما قال أبو يعلى الخليلي.



نعوذ بالله من رد الاثار الصحيحة بمثل هذه التوهمات واتباع سبل أهل البدع والاهواء. وكم من حديث عدّ من الأصول ومع ذلك تفرد به رواته كحديث «إنما الاعمال بالنيات»، فهو فرد ويدخل في ربع العلم، كما قال عدد من الائمة.

وحاصل ما ذكر أن هذا الاثر صحيح ومن طعن فيه فما أصاب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تخريج أحاديث الزيارة

الحديث الأول:

«من زار قبري وجبت له شفاعتي».

أخرجه الدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨)، والدولابى في الكنى والاسماء (٢ / ٦٤)، والبيهقي في «شعب الايمان» (٣ / ٤٩٠)، والخطيب في «تلخيص المتشابه في الرسم» (١ / ٥٨١)، وابن الدبيثى في «الذيل على التاريخ» (٢ / ١٧٠)، وابن النجار في «تاريخ المدينة» (ص١٤٢)، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠)، وابن عدى في الكامل (٦ / ٢٣٥٠)، والسبكي في «شفاء السقام» (ص٢ ـ ١٤).

جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعا.

وهذا الاسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما.

وقد صححه عبد الحق الاشبيلى، وصححه أو حسنه السبكى في «شفاء السقام»، والسيوطي في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا»، وآخرون ممن تأخروا عنه.



وقد أعل هذا الحديث بعلل لا يصح منها شئ لكن لا بد من ذكرها ثم الجواب عليها بدون تكلف إن شاء الله تعالى. فأعل الحديث بالاتى:

١ ـ موسى بن هلال مجهول واضطرب في هذا الحديث.

٢ ـ أن موسى بن هلال يرويه عن عبد الله بن عمر العمرى ولا تصح روايته عن عبيد الله بن عمر الثقة الحافظ.

٣ ـ أن عبد الله بن عمر العمرى ضعيف.

وهذه العلل لا تصح وهى غير ناهضة للحكم على الحديث بالضعف للاتى:

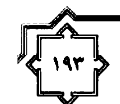
١ ـ موسى بن هلال حسن الحديث، وقد قال عنه ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به، وقال الذهبي: صالح الحديث، وروى عنه عدد من الائمة الحفاظ من أجلهم أحمد بن حنبل، هب أن موسى ابن هلال ضعيف فهو لم ينفرد به بل تابعه غيره عليه، فزال بذلك أي تعلق للمتشددين في موسى بن هلال.

ودعوى الاضطراب لا تصح إلا مع تعذر الجمع بين الروايات، وقد أمكن الجمع من جهتين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٢ ـ وقد ثبت الحديث من طرق متعددة عن موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر الثقة الحافظ فلا مجال في الطعن في ثبوت روايته للحديث عن عبيد الله بن عمر.

٣ ـ إن سلم أن موسى بن هلال لا يرويه إلا عن عبد الله بن عمر العمرى، فالعمري حسن الحديث، كما قال غير واحد من الائمة، وهذا ابن عبد الهادى الذى أقام الدنيا ولم يقعدها وحشد الاقوال في تضعيف عبد الله بن عمر العمرى قد استدل بحديثه في تنقيح التحقيق (١ / ١٢٢).

هذا ما أردت أن ألفت نظر القارئ إليه على سبيل الاجمال، وهاك تفصيل ما أجملت على طريقة اللف والنشر المرتب والله المستعان.



أما عن الامر الاول: فموسى بن هلال العبدى حسن الحديث. فقد قال عنه أبو حاتم الرازي في «الجرح» (٨ / ١٦٦) «مجهول»، وقال العقيلى (٤ / ١٧٠): ولا يصح حديثه ولا يتابع عليه. وقال الدارقطني في سؤالات البرقانى: مجهول. هذا حاصل ما قيل في الرجل الرمى بالجهالة والتفرد. أما عن الجهالة[1] فهى مردودة بمعرفة غيره له، فقد روى عنه عدد كبير من الرواة وفيهم أئمة حفاظ منهم الامام أحمد بن حنبل وعده ابن الجوزى في مناقب الامام أحمد (ص٤٩) من شيوخه. وروى عنه غير أحمد بن حنبل جماعة منهم أحمد بن الخليل، ومحمد بن إسماعيل الاحمسي، وأبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسى، وعبيد بن محمد الوراق، والفضل بن سهل، وجعفر ابن محمد البزورى، ومحمد بن زنجويه العسيرى، وعلف بن معبد ابن نوح، والعباس بن الفضل، وهارون بن سفيان، ومحمد بن جابر المحاربي، وأحمد بن أبى غرزة، وأبو محمد عبد الملك بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الرزاق. وإذا كانت جهالة الظاهر ترتفع برواية اثنين أو واحد كما هو مقرر في موضعه، فما بالك بمن روى عنه خمسة عشر رجلا. وكان الرجل مشهورا فاعتمده يعقوب بن سفيان الفسوى في معرفة وفيات بعض البصريين (انظر المعرفة والتاريخ: ١ / ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨).

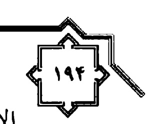
أما عن جهالة الحال فهى مردودة بأمرين:

الاول: بقول ابن عدى في «الكامل» (٦ / ٢٣٥٠): أرجو أنه لا بأس به. وإذا كان قد تقرر في المصطلح أن التزكية تقبل بقول واحد فقط في الرواية، فمن روى عنه خمسة عشر رجلا وفيهم أئمة حفاظ وزكاه ابن عدى بقوله لا بأس به، لابد أنه غير مجهول بل حديثه مقبول.

وهذا حال كثير من الرواة الذين يصحح الائمة حديثهم.

---

١ . وقد تبع ابن القطان أبا حاتم الرازي فما أصاب.



والثاني: روى عنه أحمد (مناقب أحمد لابن الجوزى ص٤٩) وهو لا يروى إلا عن ثقة كما هو مقرر في محله. فإن قيل: قد قال ابن عبد الهادى ﵀ في الصارم المنكى في الجواب على ذلك (ص٤٠ ـ ٤١) ما نصه: «الجواب: أن يقال رواية أحمد عن الثقات هو الغالب من فعله، والاكثر من عمله كما هو المعروف من طريقة شعبة ومالك وعبد الرحمن ابن مهدى ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم وقد يروي الامام أحمد قليلا في بعض الاحيان عن جماعة نسبوا إلى الضعف وقلة الضبط وذلك على وجه الاعتبار والاستشهاد لا على طريق الاجتهاد والاعتماد مثل روايته عن عامر بن صالح الزبيري ومحمد بن القاسم الاسدي وعمر بن هارون البلخى وعلى بن عاصم الواسطي وإبراهيم بن أبى الليث صاحب الأشجعى ويحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي ونصر بن باب وتليد بن سليمان الكوفى وحسين بن حسن الاشقر وأبى سعيد الصاغانى ومحمد بن ميسر ونحوهم ممن اشتهر الكلام فيه، وهكذا روايته عن موسى بن هلال إن صحت روايته عنه[1]». اهـ.

قلت: هنا أمور:

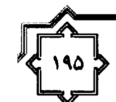
الاول: أحمد لا يروى إلا عن ثقة ولكن أحيانا يروى عن الضعفاء لاسباب:

منها: أنه لم يتبين أمر الضعيف له.

منها: أنه يروى عنه على سبيل التعجب كما كان يروى شعبة عن جابر الجعفي ومحمد بن عبيد الله العرزمى.

---

١ . هذا ظلم بين لموسى بن هلال إذ كيف يسوى ابن عبد الهادى بين موسى ابن هلال وبين المذكورين؟!، وفيهم أقوياء في الضعف جدا كعامر بن صالح الزبيري الذى كذبه ابن معين، ومحمد بن القاسم الاسدي الكذاب، وعمر بن هارون البلخى المتروك، وإبراهيم بن أبى الليث المتروك أيضا وبضرب هذه الامثلة يظهر للبيب سعى ابن عبد الهادى الحثيث لتضعيف موسى بن هلال العبدى ولو عن طريق التشدد المكشوف!



ومنها: الرواية عنهم في غير الحلال والحرام كما في ترجمة موسى ابن عبيدة الربذى، إذا علم ذلك وكان قد استقر لدينا أن الامام أحمد بن حنبل لا يروى إلا عن ثقة، فهل رواية أحمد عن موسى ابن هلال مقوية لحال موسى أم ماذا؟

قلت: قال ابن أبى حاتم الرازي (الجرح: ٢ / ٣٦) سألت أبى عن رواية الثقات عن رجل غير ثقة مما يقويه؟ قال: إذا كان معروفا بالضعف لم تقوه روايته عنه، وإذا كان مجهولا نفعه روايته عنه. ا هـ.

ثم قال ابن أبى حاتم: سالت أبا زرعة عن رواية الثقات عن رجل مما يقوى حديثه؟ قال: أي لعمري. قلت: الكلبى روى عنه الثوري، قال: إنما ذلك إذا لم يتكلم فيه العلماء، وكان الكلبى يتكلم فيه، قال أبو زرعة: حدثنا أبو نعيم، نا سفيان، نا محمد ابن السائب الكلبى وتبسم الثوري، قال أبو محمد: قلت لابي ما معنى رواية الثوري عن الكلبى وهو غير ثقة عنده، فقال: كان الثوري يذكر الرواية عن الكلبى على الانكار والتعجب. ا هـ.

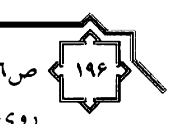
ومنه يعلم أن رواية الثقة في نظر أبى زرعة الرازي مفيدة في حالتين:

الاولى: إذا كان المروى عنه مجهول الحال[١].

الثانية: إذا كان الراوى غير ضارب في الضعف متوغلا فيه كمحمد ابن السائب الكلبى وجابر الجعفي وعامر بن صالح الزبيري وعمر بن هارون البلخى وأضرابهم. وعليه فرواية أحمد مقوية لموسى بن هلال العبدى فهو مجهول الحال عند بعضهم، وقد روى عنه في كتبه وخارجها، فروى عنه في «الزهد»، وأسند الفسوى من طريق أحمد عن موسى بن هلال هذا على سبيل التنزل فقط مع القائلين بجهالة موسى بن هلال العبدى وإلا فالرجل من شرط الحسن، وقد قال الزركشي في المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر

---

١ . وهذا تجد أمثلة كثيرة له في كتب الرجال.



ص٢٢٦: وقال أهل هذا الشأن: إن جهالة الرواى لا توجب قدحا إذا كان من روى عنه ثقة فإن روايته عنه تكون تعديلا له. اهـ.

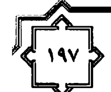
والحاصل مما سبق أن إطلاق جهالة الحال على موسى بن هلال من ابن عبد الهادى (الصارم مر ٣٢) فيها نظر ظاهر، وانظر إلى المقال ولا تنظر لمن قال، فإذا وافق المقال القواعد فهو الحق، وإن خالفه فهو مما لا يلتفت إليه والله المستعان.

أما قول العقيلى في الضعفاء (٤ / ١٧٠): لا يصح حديثه ولا يتابع عليه. اهـ.

فالناظر والمدقق فيه يرى أن آخره سبب لاوله. فلأن موسى بن هلال لا يتابع عليه (أي حديث الزيارة فلا يصح حديثه، وذلك في نظر واطلاع العقيلى). وفى الجواب على ذلك يقال: إن قوله: لا يتابع عليه (وهو الاساس المبنى عليه) ليس من الجرح في شئ ولم يذكره المصنفون في مراتب الجرح إنما هو علامة على التفرد فقط. قال الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (ص٢٦٤): وأما أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث إذا تفرد به واحد، وان لم يرو الثقات خلافه: إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلك علة فيه. اهـ.

فالرجل عند العقيلى ليس في أعلى درجات التوثيق حتى يصحح له ما انفرد به ولم يتابع عليه، وليس هو في الدرجة الدنيا من الجرح فيترك حديثه، ولكنه وسط أو صالح الحديث. أما وقد توبع الرجل كما سيأتي إن شاء الله تعالى، فحديثه مقبول حتى عند العقيلى.

وقد تعقب الحافظ في «التلخيص» (٢ / ٢٦٧)، قول العقيلى فقال: وفى قوله (أي العقيلى) لا يتابع عليه نظر، ثم ذكر المتابعة التى ستأتي إن شاء الله تعالى.



وصفوة القول مما تقدم أن الرجل غير مجهول وليس فيه إلا قـول العقـيلي لا يصح حديثه ولا يتابع عليه (إذا اعتبرت هذا من الجرح الـذى يـزول بالمتابعـة). وفى مقابلة ما سبق تجد قول ابن عدى في «الكامل» (٦ / ٢٣٥٠): أرجـو أنـه لا بأس به مع توثيق ضمنى من أحمد بن حنبل بروايته عنه. فتحسين حديث موسى بن هلال هو ما أراه صوابا والله أعلم.

وقد قال الحافظ الذهبي في الميزان (٤ / ٢٢٦) بعد حكاية أقوال أبى حـازم والعقيلي وابن عدى في موسى بن هلال قال: هو صالح الحديث.

* * *

أما عن الامر الثاني وهو إثبات رواية موسى بن هلال للحديث عن عبيد الله بن عمرو عبد الله بن عمر: فقد اختلف على موسى بن هـلال العبـدى في روايـة الحديث، فبعضهم قال عن موسى بن هلال عن عبيد الله ابن عمر المصغر، وقال اخرون عن عبد الله بن عمر المكبر. فمـن قـال عـن عبيـد الله بـن عمـر المـصغر الحافظ الثقة جماعة هم:

١ ـ عبيد بن محمد الوراق.

٢ ـ وجعفر بن محمد البزورى.

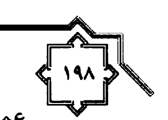
٣ ـ ومحمد بن إسماعيل بن سمرة الاحمسي.

٤ ـ والفضل بن سهل.

٥ ـ ومحمد بن عبد الرزاق.

فرواية الاول وهو عبيد بن محمد الوراق أخرجها الدارقطني في سننه (٢٧٨ / ٢)، ثنا القاضى المحاملى، نا عبيد بن محمد الوراق، نا موسى بن هلال العبـدى عن عبيد الله بن عمر به.

قلت: القاضى المحاملى هو أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبى المحـاملى ثقة حافظ، والوراق ثقة مترجم في (تاريخ الخطيب (١١ / ٩٧).



وقد اتفقت عدة نسخ معتمدة من سنن الدارقطني على ذكر عبيد الله ابن عمر المصغر منها نسخة ابن بشران المطبوعة ومنها نسخة أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم كما في شفاء السقام (ص٣)، ورواية أبى النعمان تراب بن عبيد كما في الشفاء أيضا (ص٥)، وأخرجه الخلعي في فوائده من طريق أبى النعمان (ل ٥٥ / ١).

وهكذا اتفقت روايات الدارقطني على ذكر عبيد الله بن عمر المصغر، وتابع القاضي المحاملى عن عبيد بن محمد الوراق محمد ابن زنجويه العسيرى.

ورواية الثاني: وهو جعفر بن محمد البزورى أخرجها العقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠)، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا جعفر ابن محمد البزورى، ثنا موسى بن هلال البصري عن عبيد الله به.

ورواية محمد بن إسماعيل بن سمرة الاحمسي أخرجها البيهقى في شعب الايمان (٣ / ٤٩٠)، وأسندها تقى الدين السبكى في «شفاء السقام» (ص٧).

ورواية الفضل بن سهل أخرجها البيهقى في «شعب الايمان» (٣ / ٤٩٠).

ورواية محمد بن عبد الرزاق أخرجها القاضى عياض في الشفا (٢ / ٧٤).

فهؤلاء خمسة من الرواة قالوا عن «عبيد الله بن عمر»، الثقة الحافظ، فلا مجال بعد للطعن في هذه الرواية.

فصل

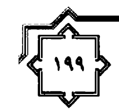
وأما من قال عن عبد الله بن عمر العمرى المكبر:

١ ـ فعلى بن معبد بن نوح.

٢ ـ والفضل بن سهل.

٣ ـ ومحمد بن إسماعيل الاحمسي.

٤ ـ وعبيد بن محمد الوراق.



أما حديث على بن معبد بن نوح، فاخرجه الدولابى في الكنى (٢ / ٦٤). وحديث الفضل بن سهل أسنده التقى السبكى من طريق ابن أبى الدنيا (شفاء السقام ص٩).

ورواية محمد بن إسماعيل الاحمسي أخرجها البيهقى في شعب الايمان (٣ / ٤٩٠).

ورواية الوراق أخرجها الخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (٥٨١ / ١).

فحاصل ما تقدم أن الحديث رواه عن موسى بن هلال العبدى ستة قال خمسة منهم عبيد الله المصغر، وثلاثة رووه بالوجهين، وانفرد الخامس بقوله عن عبد الله بن عمر فقط. وسبب ذلك كثرة الرواة عنه.

وللمحدثين في ذلك مسلكان:

المسلك الأول: إما أن يقولوا بالترجيح، وبذلك ترجح رواية عبيد الله بن عمر المصغر. والمسلك الثاني: أن تقول: يحتمل أن يكون الحديث عن عبيد الله المصغر وأخيه عبد الله المكبر، ويكون الراوى عنهما موسى بن هلال العبدى قد رواه عنهما إلا أنه كان يكثر من الرواية به عن عبيد الله بن عمر المصغر الحافظ الثقة. والالباني مع تشدده اعترف بثبوت الروايتين (عبيد الله وعبد الله ابني عمر)، فقال: إن الطرق بالروايتين عنه متقابلة. (الارواء: ٤ / ٣٣٧). لكنه بحث عن علة فلم يجد إلا الاضطراب، وما أضعفها من علة، وسياتى الجواب عليها إن شاء الله تعالى.

وحاصل ما تقدم أن الحديث ثابت ثبوت الجبال برواية موسى بن هلال العبدى عن عبيد الله بن عمر الامام الثقة الحافظ.



فصل

فإن قيل: قال ابن عبد الهادي في الصارم (ص٣٩ ــ ٤٠) ما نصه: «وكأنّ موسى بن هلال حدث به مرة عن عبيد الله فأخطأ لانه ليس من أهل الحديث ولا من المشهورين بنقل، وهو لم يدرك عبيد الله ولا لحقه، فإن بعض الرواة عنه لا يروى عن رجل عن عبيد الله وإنما يروى عن رجل آخر عن عبيد الله، فان عبيد الله متقدم الوفاة كما ذكرنا ذلك فيما تقدم بخلاف عبد الله فإنه عاش دهرا بعد أخيه عبيد الله، وكأن موسى بن هلال لم يكن يميز بين عبيد الله وعبد الله ولا يعرف أنهما رجلان، فإنه لم يكن من أهل العلم ولا يعتمد عليه في ضبط باب من أبوابه» أ هـ.

قلت وبالله استعنت: هذا تهويل وتشدد وكلام يحتمل دعاوى مغايرة للواقع وتعصب ممقوت، ولولا اغترار بعض الناس به[1] ما نبهت عليه.

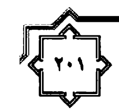
قوله: «وكأنّ موسى بن هلال حدث به مرة عن عبيد الله فأخطأ». قلت: بل حدث به موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر باسانيد صحيحة مرات وبمخارج متعددة، فقد رواه هنا من هذا الوجه ـ كما سبق ـ خمسة من الثقات وتعددت مخارجهم، وهذه دعوى باضطراب موسى بن هلال، ولما وجد ابن عبد الهادى أنه لم يسبق إلى هذه الدعوى أراد أن يؤيدها بنفى رواية موسى بن هلال عن عبيد الله واستدل على ذلك بأمرين:

الاول: وهو قوله: «وهو لم يدرك عبيد الله ولا لحقه... إلخ».

قلت: بل أدركه إدراكا بينا، فقد روى موسى بن هلال عن متقدمي الوفاة مثل كهمس بن الحسن البصري المتوفى سنة ١٤٣ على ما في المعرفة والتاريخ

---

١ . منهم الالباني الذى نقل هذا الكلام بعلله الظاهره في إروائه (٤ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨).



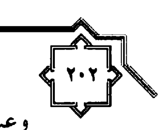
للفسوى، وروايته عنه في الحلية (٦ / ٢١٣) أيضا. وروى عن هشام بن حسان كما في «الزهد» للامام أحمد (ص٢٧٩)، و «الحلية» (٢ / ٢١٦)، وتوفى هشام بن حسان سنة ١٤٧ أو سنة ١٤٨. إذا علم ذلك فروايته عن عبيد الله بن عمر صحيحة لانه أدركه إدراكا بينا، ثم إنه رحل للحجاز كما في الحلية (٦ / ٣١٣). وهذا مما يؤيد ويؤكد رواية موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر. الثاني: قوله: فإن بعض الرواة عنه لا يروى عن رجل عن عبيد الله، وإنما يروى عن رجل آخر عن عبيد الله. ا هـ.

قلت: الامر سهل ولا يحتاج لحشد الادلة الواهية والاعراض عن رد هذه الواهيات أولى لأولى النظر، لكن لما رأيت اغترار بعضهم بكلامه تعين بيان ما فيه.

وليعلم أن هذا الكلام مخدوش بقوله «بعض»، فمعنى ذلك أن البعض الاخر يروى عن عبيد الله العمرى بواسطة واحدة، هذا إجمال.

أما التفصيل: فمن الرواة عن موسى بن هلال «أحمد بن حنبل»، وقد روى عن يحيى بن سعيد وعبد الرزاق وحماد بن أسامة وأبى معاوية في رجال آخرين عن عبيد الله بن عمر. ومنهم أبو أمية الطرسوسى وعلى بن معبد بن نوح البغدادي كلاهما عن روح بن عبادة عن عبيد الله بن عمر. ومنهم محمد بن إسماعيل الاحمسي ومحمد بن جابر المحاربي كلاهما عن وكيع عن عبيد الله بن عمر، والاخير عن ابن عيينة عن عبيدالله بن عمر.

والحاصل أنه يجب أن يحكم على الحديث بالاتصال من طريق موسى بن هلال عن عبيد الله، حيث لم يعلم انتفاء اللقاء بينهما بل ترجح ثبوته، فعند ذلك يكون الحكم للاتصال كما هو مقرر. والله أعلم.



ثم قال ابن عبد الهادى: وكأن موسى بن هلال لم يكن يميز بين عبيد الله وعبد الله ولا يعرف أنهما رجلان، ثم استدل على ذلك بقوله: فإنه لم يكن من أهل العلم ولا يعتمد عليه في ضبط باب من أبوابه. ا هـ.

قلت: هذا تابع لدعوى الاضطراب التى ادعاها ابن عبد الهادى وردها. سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم إن الرجل قد روى عنه خمسة عشر رجلا، فيهم أئمة حفاظ في أعلى درجات التوثيق[1]، كيف يكون في نهاية التردي والسقوط والاختلاط والجهل الذى ادعاه الرجل، ثم كيف يكون الرجل بالصورة التى ادعاها ابن عبد الهادى ويعتمده حافظ جليل كيعقوب ابن سفيان الفسوى في معرفة وفيات البصريين. انظر (١ / ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨). والامر سهل للغاية، فالحديث قصير المتن مشهور الاسناد. ثم إن تعجب فعجب من دعوى الاضطراب التى ادعيت، وهى كلمة تقال استرواحا، والامر فيه تفصيل. فإن المقرر عند علماء الحديث أن الاضطراب إنما يكون حيث تختلف الروايات بالتنافى مع تعذر الجمع، فالمراتب ثلاث في هذا الباب جمع فترجيح فاضطراب، والترتيب واجب عند أولى الالباب. قال الحافظ العراقى في ألفيته (١ / ٢٢١ فتح المغيث):

مضطرب الحديث ما قد وردا ... مختلفا من واحد فازيدا

في متن أو سند إن اتضح ... فيه تساوى الخلف أما إن رجح

بعض الوجوه لم يكن مضطربا ... والحكم للراجح منها وجبا

وإذا كانت الروايات قد صحت إلى موسى بن هلال برواية الحديث على الوجهين، فالجمع هنا واجب بأن نقول قد روى موسى الوجهين وكان يحدث تارة بوجه وتارة أخرى بالوجه الآخر. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

١ . ومنهم إمام ابن عبد الهادى وشيخ مذهبه الامام المبجل أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله.

فصل

قال ابن عبد الهادى ﷺ في الصارم (ص٣٤) ما نصه: ولو فرض أن الحديث من رواية عبيد الله لم يلزم أن يكون صحيحا فإن تفرد موسى بن هلال به عنه دون سائر أصحابه المشهورين بملازمته وحفظ حديثه وضبطه من أدل الاشياء على أنه منكر غير محفوظ، وأصحاب عبيد الله بن عمر المعروفون بالرواية عنه مثل يحيى بن سعيد القطان. ثم ذكر جملة من أصحاب عبيد الله إلى أن قال: فإذا كان الحديث لم يروه عن عبيد الله أحد من هؤلاء الاثبات، ولا رواه ثقة غيرهم علمنا إنه منكر غير مقبول وجزمنا بخطأ من حسنه أو صححه. اهـ.

قلت: إذا تفرد الرجل بحديث لا يعد ذلك منكرا إلا بشرطين:

الاول: أن يكون المنفرد ضعيفا لا يصحح حديثه أو يحسن.

الثاني: أن لا يوجد ما يقوى حديثه من متابعات وشواهد.

قال الحافظ في «النكت» (٢ / ٦٧٥):

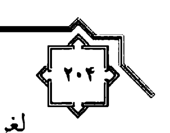
إذا انفرد المستور أو الموصوف بسوء الحفظ أو المضعف في بعض مشايخه دون بعض بشئ لا متابع له ولا شاهد فهذا أحد قسمي المنكر. اهـ.

وموسى بن هلال العبدى ليس بمستور أو سئ الحفظ أو مضعف، كيف يكون كذلك، وقد روى عنه أئمة حفاظ ثقات كالامام أحمد، وقال عنه ابن عدى: لا بأس به.

وقال الذهبي: صالح الحديث.

فإذا اعتبرنا تفرد من كان على هذه الحال من قبيل المنكر لاعرضنا عن شطر عظيم من السنة والله المستعان.

وإن سلمنا لابن عبد الهادى بتضعيف موسى بن هلال العبدى، فلا يعتبر ما تفرد به منكرا لوجود الشواهد المتكاثرة لهذا الحديث بل والمتابع كما سيأتي إن شاء الله تعالى.



وقد أشفقت على علوم الحديث التى تغافل عنها ابن عبد الهادى رحمه الله لغرض ينصره:

فصل

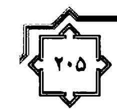
وإذا سلمنا بتضعيف موسى بن هلال العبدى. فمثله لا يختلف اثنان[١] أن حديثه يحسن إذا توبع وجاء من طريق آخر. فقد أخرج الطبراني (١٢ / ٢٩١)، من حديث عبد الله بن محمد العبادي البصري، ثنا مسلم بن سالم الجهنى، حدثنى عبيد الله ابن عمر، عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من جاءني زائرا لا يعمل له حاجة إلا زيارتي كان حقا على أن اكون له شفيعا يوم القيامة»**.

وقال الهيثمى في «مجمع الزوائد» (٤ / ٢): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف. ا هـ.

هكذا أخرجه الطبراني والخلعى وابن صاعد فقالوا عن نافع عن سالم، وقال ابن المقرى في معجمه عن نافع وسالم. وكلهم من طريق عبد الله بن محمد العبادي عن مسلمة عن عبيد الله العمرى، وعبد الله بن محمد العبادي البصري ترجمه السمعاني في الانساب. وتابعه من هو أحسن حالا منه أعنى «مسلم بن حاتم الانصاري». فقد وثقه الترمذي والطبراني وابن حبان (التهذيب: ١٠ / ١٢٥) رواه عن مسلمة بن سالم الجهنى عبد الله يعنى العمرى، حدثنى نافع عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من جاءني زائرا لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة»**.

---

١ . بشرط أن لا يكون أحدهما ابن عبد الهادى.



قلت: وما رواه مسلم بن حاتم الانصاري هو الاصح لان مسلما أوثق من عبد الله بن محمد العبادي.

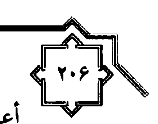
والحاصل: أن السند صح إلى مسلمة بن سالم الجهنى فانحصر الكلام فيه. فأقول: الرجل وإن قال عنه أبو داود ليس بثقة. لكن صحح له ابن السكن، ومقتضى ذلك أن يكون ثقة عنده، فمع توثيق ابن السكن وكلام أبى داود، فالرجل يصلح للمتابعات ولا ريب.

فصل

وقد تقعقع ابن عبد الهادى رحمه الله كعادته فأخذ يضعف هذه المتابعة فقال: إنه حديث ضعيف الاسناد، منكر المتن، لا يصلح الاحتجاج به، ولا يجوز الاعتماد على مثله، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، ولا رواه الامام أحمد في مسنده، ولا أحد من الأئمة المعتمد على ما أطلقوه في روايتهم ولا صححه إمام يعتمد على تصحيحه، وقد تفرد به هذا الشيخ[١] الذى لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بحمله ولم يعرف من حاله ما يوجب قبول خبره، وهو مسلمة بن سالم الجهنى الذى لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالاسناد المتقدم ومتنه الحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص والنعاس والضرس. وروى عنه حديث اخر منكر من رواية غير العبادي، وإذا تفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين الحديثين المنكرين عن عبيد الله ابن عمر أثبت آل عمر بن الخطاب في زمانه وأحفظهم عن نافع عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر من بين سائر أصحاب عبيد الله الثقات المشهورين والاثبات المتقنين علم أنه شيخ لا يحل الاحتجاج بخبره ولا يجوز الاعتماد على روايته. ا هـ.

---

١ . وأغرب ابن عبد الهادى فقال: إنه مجهول الحال (الصارم المنكى ص٦٩).



قلت: أما كونه ضعيف الاسناد منكر المتن، فهو معارض بتصحيح من هو أعلم وأقدم وأقعد بهذا الفن منه، أعنى الحافظ أبا على بن السكن[1] الذى صحح هذا الطريق بمفرده. فما بالك وهذا الطريق متابع لموسى بن هلال البصري فهو مقبول حسب القواعد.

أما كونه «منكر المتن»، فهى دعوى لا يسندها إلا الدفع بالصدر فقط، فلا دليل أتى به ابن عبد الهادى ليقيم به صلب هذه الدعوى المتهاوية!

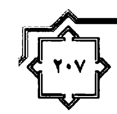
أما قوله ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتاب الستة ولا رواه الامام أحمد في مسنده... إلخ، فهذا اعتراض لا يليق بعارف بالحديث كابن عبد الهادى وعندما عرف العلماء الحديث الصحيح لم يشترطوا أن يكون مرويا في الكتب التى ذكرها ابن عبد الهادى وغيرها، لان العبرة بالسند لا بالكتاب ما خلا الكتب التى لها شروط معينة، إذ الكتاب لا يفيد الحديث قوة أو ضعفا، وكذلك صاحب الكتاب لا يفيد الحديث شيئا إذا كان السند الذى ذكره في كتابه ضعيفا. وقد يكون الكتاب مشحونا بالمنكرات والواهيات والموضوعات ويسند صاحبه فيه أحاديث صحيحة وحسنة ومتابعات مقبولة فيحكم لها بالصحة أو الحسن حسب حال السند، وبغض النظر عن الكتاب وهكذا الامر في جميع كتب السنة إلا من اشترط شرطا لكتابه كأصحاب الصحاح والمستخرجات.

والحاصل: أن كلام ابن عبد الهادى مخالف لادنى قواعد علم الحديث الشريف وهى تعريف الحديث الصحيح الذى لم يشترط أن يكون مرويا في كتاب كذا وليس في كتاب كذا. والله المستعان.

على أن هذه المتابعة صححها ابن السكن بإيراده إياها في صحيحه، وأخرجها الطبراني في معجميه الكبير والاوسط وهما من أهم أصول الاسلام المعتنى بها.

---

١ . وعندما رتب ابن حزم كتب السنة جعل صحيح ابن السكن ثالث الكتب بعد الصحيحين.



وقد قال ابن تيمية في المنهاج (٢ / ١٢٢):

«من المعلوم أن الاحاديث المنقولة لا يميز بين صدقها وكذبها إلا بالطرق الدالة على ذلك». اهـ.

فانظر إلى قوله (بالطرق)، ولم يقل بالكتب. والله المستعان.

وأما قول ابن عبد الهادى: «وقد تفرد به هذا الشيخ..» إلخ. قلت: قد مر أن الشيخ هو مسلمة بن سالم الجهنى لم ينفرد به، بل تابعه بلديه موسى بن هلال البصري، وكذا تقدم الكلام على صلاحية مسلمة بن سالم الجهنى للمتابعات، ثم أراد أن يجهز على الرجل ويطيح به أرضا، فحكم على حديثين أخرجهما له الطبراني بالوضع والنكارة.

أما الاول: وهو حديث الحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص والنعاس والضرس، فلم يسبق ابن عبد الهادى ـ والله أعلم ـ في الحكم على الحديث بالوضع. وكيف يحكم عليه بالوضع وله شاهد عن ابن عباس أخرجه العقيلي (١ / ٨٣)، وابن عدى (٦ / ٢٠٧٤)، وفيه إسماعيل بن شيبة الطائفي، وهو وإن كان ضعيفا لكنه لم يتهم بالكذب، فإذا ضممنا هذا الشاهد لحديث مسلمة بن سالم الجهنى كان الحكم عليه بالوضع بعيد جدا عن قواعد الحديث. والله المستعان.

أما الحديث الآخر: فالخطب فيه هين، والامر فيه ليس بعظيم ولا يخرج الرجل عن الاستشهاد به، واقتصر الهيثمى في المجمع (٣ / ٢١١) على تضعيف الحديث بمسلمة بن سالم فقط، وهو يعنى اعتباره في المتابعات والشواهد، وهو قول حافظ ناقد ثاقب الرأى ليس بمتشدد أو جراح.

قوله: وإذا تفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين المنكرين عن عبيد الله بن عمر... إلخ. قلت: دعوى لم يسبق إليها، فلا الرجل

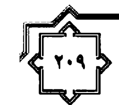


بمجهول الحال ولم يصرح أحد بذلك. فقد روى عنه جماعة، وصحح له ابن السكن، وقال عنه أبو داود: ليس بثقة، وكان إماما لمسجد بنى حرام بالبصرة، فكيف يكون مجهولا بعد ذلك؟ على أن تفرده عن عبيد الله العمرى لا يضره. فقد تابعه بلديه موسى بن هلال البصري، وقد مر الكلام على مثل هذه الشبهة. والله المستعان.

أما عن الامر الثالث فهو خاص ببيان حال عبد الله بن عمر العمرى.

فقد قال ابن عبد الهادى ما نصه: وقد تكلم في عبد الله العمرى جماعة من أئمة الجرح والتعديل ونسبوه إلى سوء الحفظ والمخالفة للثقات في الروايات.. قال أبو حاتم محمد بن حبان البستى في كتاب (المجروحين من المحدثين): عبد الله ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمرى أخو عبيد الله بن عمر من أهل المدينة يروى عن نافع روى عنه العراقيون وأهل المدينة كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الاخبار وجودة الحفظ للاثار فوقع المناكير في روايته فلما فحش خطؤه استحق الترك. ومات سنة ثلاث وسبعين ومائة. حدثنا الهمداني، حدثنا عمرو بن على قال: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن عبد الله بن عمر، قال أبو حاتم: وهو الذى روى عن نافع عن عمر «أن النبي ﷺ كان إذا توضأ خلل لحيته»، وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرافا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوما»**، وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ **«أسهم للفارس سهمين وللراجل سهما»** فيما يشبه هذا من المقلوبات والملزوقات التى ينكرها من أمعن في العلم وطلبه من مظانه.

وقال أبو عيسى الترمذي في جامعه: وعبد الله بن عمر ضعفه يحيى ابن سعيد من قبل حفظه، وقال البخاري في تاريخه: عبد الله بن عمر بن حفص



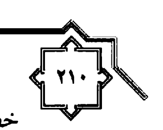
العمرى المدنى قرشي كان يحيى بن سعيد يضعفه، وقال النسائي في كتاب «الكنى»: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم بن عمر ضعيف، وقال العقيلي: حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل قال: سألت يحيى بن معين عن عبد الله بن عمر العمرى فقال: ضعيف، حدثنا عبد الله، قال: سألت أبى عن عبد الله بن عمر فقال: كذا وكذا، وقال أبو زرعة الدمشقي: قيل لاحمد بن حنبل: كيف حديث عبد الله بن عمر؟ فقال: كان يزيد في الاسانيد ويخالف وكان رجلا صالحا، وقد ذكر العقيلي هذا القول عن الامام أحمد بن حنبل من رواية أبى بكر الأثرم عنه، وروى إسحق بن منصور عن يحيى بن معين قال عبد الله بن عمر: صويلح، وقال عبد الله بن على بن المدينى عن أبيه: ضعيف، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال يعقوب ابن شيبة: صدوق في حديثه اضطراب، وقال صالح بن محمد البغدادي: لين مختلط الحديث، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوى عندهم. انتهى من الصارم المنكى (ص٣٦ ـ ٣٨).
قلت: أسرف ابن عبد الهادى ﷺ بذكر الجرح وقنع بالقليل من التعديل. فالذي يقف على ما ذكره ابن عبد الهادى يجزم بضعف الرجل، أما الواقع ونفس الامر فشيء آخر، وعلى ذلك يجب الالتفات لأمور أذكرها في فصول بعون الله تعالى.

فصل

الاول: صدر ابن عبد الهادي كلامه بنقل جرح ابن حبان من « المجروحين» (٦ / ٢).

وتعنت ابن حبان ومبالغته في الجرح استفاضت واشتهرت.

وقد نص على تعنته ومبالغته جمع من الحفاظ منهم الذهبي، وابن حجر كما تقدم في أماكن سابقة.



وقد بين ابن حبان مستنده في جرحه للعمري فأتى بثلاثة أحاديث ادعى خطأ عبد الله العمرى فيها.

أما الحديث الاول: فقال أبو حاتم بن حبان، وهو الذى روى عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا توضأ خلل لحيته. ا هـ.

قلت: إن كان للحديث علة فمن الراوى عن عبد الله العمرى.

قال الطبراني في المعجم الاوسط (١ / ٣٩ مجمع البحرين): لم يروه عن العمرى إلا مؤمل بن إسماعيل. ا هـ.

ومؤمل وإن وثق لكنّ ضعفه جمع، وقال فيه البخاري: منكر الحديث.

فالاولى الحمل على مؤمل بن إسماعيل بل هو الواجب.

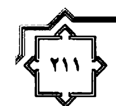
وأما الحديث الثاني: فقال أبو حاتم بن حبان: وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرافا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوما»**. ا هـ.

أخرجه ابن وهب في «الجامع» (ص١١٤)، سمعت عبد الله ابن عمر يحدث عن نافع عن ابن عمر به مرفوعا.

قلت: أراد ابن حبان أن عبد الله خالف أخاه الذى رواه من حديث نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ به مرفوعا.

رواه من هذا الوجه مسلم في صحيحه (٤ / ١٧٥١)، وأحمد في المسند (٤ / ٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٠ / ٤٠٧)، وتاريخ أصبهان، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ١٣٨). فابن حبان يرى أن الصواب عن نافع عن صفية. لكن أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨ / ٢٤٦) من حديث أبى إسحاق السبيعى عن سعيد بن وهب عن ابن عمر مرفوعا نحوه.

قلت: أبو إسحاق السبيعى وسعيد بن وهب ثقتان معروفان، وهذه المتابعة تظهر أن الحديث صحيح من مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فلم يخطئ فيه عبد الله العمرى، كما تظهر مدى التسرع في تخطئة عبد الله العمرى.



أما الحديث الثالث: فقال ابن حبان: وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ **«أسهم للفارس سهمين وللراجل سهما»**. قلت: أراد ابن حبان أن عبد الله العمرى خالف أخاه عبيد الله الذى رواه باختلاف في اللفظ عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهما. والإجابة على ذلك هي ما قاله الحافظ في «الفتح» (٦ / ٦٨) المعنى أسهم للفارس بسبب فرسه غير سهمه المختص به. ا هـ.

وإن سلّم بخطأ عبد الله العمرى في هذا الحديث فلا يضره بجانب ما روى، والرجل مكثر، وقد أخطأ في حديث فكان ماذا؟

فإن قيل: قد ذكر معنى الترك غير ابن حبان، وهو ابن عمار الموصلي، فقال كما في التهذيب (٥ / ٣٢٨): لم يتركه أحد إلا يحيى بن سعيد. اهـ.

قلت: قال عمرو بن على الفلاس كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه. وابن عمار أو الفلاس لم يذكرا مستند يحيى بن سعيد في عدم الرواية عنه. والحاذق يعلم أن ابن عمار لم يقصد الترك بالمعنى الاصطلاحي، ولكنه قصد الترك بمعنى عدم الرواية، وبون شاسع بين المعنيين فلزم التنبيه. ويوضحه ويقويه قول أبي عيسى الترمذي الحافظ (العلل مع شرحه ص١٢): ذكر عن يحيى بن سعيد أنه كان إذا رأى الرجل يحدث من حفظه مرة هكذا، ومرة هكذا لا يثبت على رواية واحدة تركه، وقد حدث عن هؤلاء الذين تركهم يحيى بن سعيد القطان عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدى وغيرهم من الائمة. ا هـ.

وهذا ابن عبد الهادى الذى شنع على عبد الله العمرى يقول عن أحد الرواة: وكون يحيى بن سعيد كان لا يرضاه غير قادح فيه، فإن يحيى شرطه شديد في الرجال، ولذلك قال: لو لم أرو إلا عمن أرضى ما رويت إلا عن خمسة. اهـ.

وكونه لا يرضاه أي لا يرضى الرواية عنه، فهو كعبد الله العمرى. فتأمل.



وقد قال الحافظ في «مقدمة الفتح» (ص٤٠٢) في ترجمة الزبير البصري: وحكى الباجى في رجال البخاري عن على بن المدينى أنه قال: تركه شعبة، قلت: والذى رأيته عن على أنه قال لم يرو عنه شعبة، وبين اللفظين فرقان. ا هـ.

وترك الرواية قد يكون لشبهة لا توجب الجرح. ومما يدلك على أن قول ابن حبان في العمرى غير معمول به، ولم يلتفت إليه أن المحدثين انقسموا في العمرى لقسمين منهم من قبل حديثه، والثانى من ضعفه. وهذا الأخير قبل حديثه في باب المتابعات والشواهد، والمعلوم والمقرر أن المتروك لا يقبل حديثه في المتابعات والشواهد، فعلم أن ضعفه عندهم من الضعف الخفيف الذى يزول بمجئ متابع له أو شاهد فيرتقى حديثه إلى الحسن لغيره. والله أعلم. ويعضده أن الرجل قد أخرج له مسلم في صحيحه مقرونا بأخيه عبيد الله. فكيف يكون من أخرج له مسلم في صحيحه ـ ولو مقرونا بغيره ـ حاله كما ذكر ابن حبان واعتمده ابن عبد الهادى؟!!.

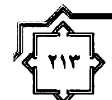
فصل

ثم نقل ابن عبد الهادى عن الامام أحمد بن حنبل قوله كذا وكذا، وقوله كان يزيد في الأسانيد ويخالف، وكان رجلا صالحا.

قلت: أما عن الاولى فلك في النظر إليها وجهان:

الاول: قال الذهبي في الميزان (٤ / ٤٨٣) في ترجمة يونس بن أبى إسحاق السبيعى هذه العبارة ـ أي قول أحمد كذا وكذا ـ يستعملها عبد الله بن أحمد كثيرا فيما يجيبه به والده، وهى بالاستقراء كناية عمن فيه لين. ا هـ.

واللين أقل الضعف. ولكن لم يذكر ابن عبد الهادى سامحه الله ما يدل على توثيق أحمد لعبد الله بن عمر العمرى، حيث قال (الجرح: ١٠٩ / ٥ ـ ١١٠): «صالح لا بأس به قد روى عنه الناس». ا هـ.



الوجه الثاني: قال ابن عدى في «الكامل» (٤ / ١٤٦٠): ثنا ابن حماد، ثنا عبد الله بن أحمد عن أبيه قال عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وهو أخو عبيد الله بن عمر كذا وكذا، ثنا ابن أبى عصمة، ثنا أبو طالب سألت أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمر العمرى قال: «صالح قد روى عنه لا بأس به، ولكن ليس مثل أخيه عبيد الله». اهـ.

قلت: المدقق في أقوال الامام أحمد رحمه الله يجد أن كلامه هو توثيق نسبي أو تليين نسبي لا يُراد به المعنى المتعين من اللفظ الثاني فإنه نزل به بالنسبة لاخيه عبيد الله الثقة الحافظ المتفق عليه.

وقد نبه الحافظ السخاوى على الجرح والتعديل النسبى فقال (فتح المغيث: ١ / ٣٤٨):

ينبغى أن نتأمل أقوال المزكين ومخارجها، فقد يقولون: فلان ثقة أو ضعيف، ولا يريدون به أنه ممن يحتج بحديثه ولا ممن يرد له إنما ذلك بالنسبة لمن قرن معه على وفق ما وجه إلى القائل من السؤال كان يسأل عن الفاضل المتوسط في حديثه ويقرن بالضعفاء، فيقال ما تقول في فلان وفلان؟ فيقول: فلان ثقة يريد أنه ليس من نمط من قرن به، فإذا سئل عنه بمفرده بين حاله في المتوسط. وأمثلة ذلك كثيرة لانطيل بها. اهـ.

ومنه يعلم أن تليين أحمد للعمري ـ في رواية عبد الله ـ بالنسبة لاخيه عبيد الله الحافظ الثقة. ويؤيد ذلك ما سيأتي عن ابن عدى إن شاء الله تعالى.

فصل

ونقل ابن عبد الهادى عن يحيى بن معين قولين:

الاول: تضعيفه،

والثانى: قوله صويلح،



فلم يستوف ما قاله ابن معين في الرجل. فقد روى ابن أبي مريم عن يحيى بن معين أنه قال: ليس به بأس يكتب حديثه. اهـ.

ومن المعلوم أن قول ابن معين في الرجل ليس به بأس معناه أنه ثقة. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: قلت لابن معين كيف حاله في نافع؟ قال: صالح ثقة (الكامل: ٤ / ١٤٥٩).

فالاول: توثيق مطلق من ابن معين للعمري،

والثانى: توثيقه له في خصوص روايته عن نافع كما في حديثنا هذا، وهو نص من إمام الجرح والتعديل قاطع للنزاع.

والدارمى الذى روى عنه هذا النص من أخص وأشهر أصحاب ابن معين والله المستعان.

ومما سبق يعلم أن الراجح من أقوال الامام أحمد وإمام الجرح والتعديل يحيى بن معين هو قبول حديث عبد الله العمرى واعتماده ما لم يخالف، شأنه في ذلك شأن جمهرة الثقات. والله أعلم.

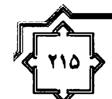
فصل

وإذا تبين للقارئ الكريم حقيقة أقوال يحيى بن معين وأحمد وابن حبان في العمرى فليعلم المستفيد أن الرجل قد وثقه جمع من الائمة، واعتمده عدد من حفاظ الامة وهذا معروف ومسطور في كتب الجرح والتعديل. ولكن الغريب ألا يذكره ابن عبد الهادى ولله في خلقه شئون..!

فممن وثق العمرى مما لم يذكره ابن عبد الهادى في الصارم: الامام العلم أحمد بن صالح المصرى (ثقات ابن شاهين ص١٥١) وقال أبو حاتم الرازي (الجرح: ٥ / ١١٠): رأيت أحمد بن صالح[1] يحسن الثناء على عبد الله العمرى.

---

١ . وقع في التهذيب (٥ / ٣٢٧) أحمد بن حنبل وهو خطأ، والصواب ما في الجرح والتعديل.



وقال العجلى: ٢٦٠ لا بأس به (الثقات ص٢٣٩). ووثقه ابن شاهين بإيراده له في ثقاته (ص١٥١). وقال الخليلي: ثقة غير أن الحفاظ لم يرضوا حفظه. اهـ، وقوله الحفاظ لم يرضوا حفظه أي سعة محفوظه، انظر نظير ذلك في مقدمة الفتح (ص٤٢٠). ولعلهم لم يرضوا حفظه بالنسبة لحفظ أخيه عبيد الله العمرى، فإن كثيرا من أقوالهم فيه ترجع للمقارنة مع أخيه، كما سيأتي تصريح ابن عدى بذلك، والمقصود بيان أن الرجل ثقة عند أبى يعلى الخليلى. وكان عبد الرحمن بن مهدى يحدث عنه. وحسن له أبو يعلى الموصلي. وحسن له أيضا يعقوب بن شيبة وقال (تاريخ بغداد: ١٠ / ٢٠): ثقة صدوق في حديثه اضطراب. اهـ. وهو يعنى أن الاضطراب الذى في حديثه لا يخرجه عن حد الثقة الصدوق. وقد صحح له ابن السكن، وهو يعنى توثيقه، وحسن له الترمذي (تحفة ٩ / ٣٩١ـ٣٩٢) في باب ما يقول إذا رأى مبتلى، وفى أبواب الحج (تحفة ٣ / ٥٩٠)[١] في باب دخول مكة نهارا. وجوز البخاري تصحيح حديثه كما تشير عبارته في جزء رفع اليدين (ص٢٥)، وذكره في صحيحه في كتاب العلم باب المناولة (الفتح ١ / ١٥٤) فجزم الكرماني أنه العمرى، ومال إليه البدر العينى (١ / ٤٠٧) وخالفهما الحافظ (الفتح ١ / ١٥٤)، وحسن له ابن كثير في التفسير في أوائل سورة القصص، وحسن له المنذرى في الترغيب لكن لا تحضرني الآن أماكنه.

وقال ابن عدي في «الكامل» (٥ / ١٨٦٩): وثقه الناس اهـ وهو يعنى قبول الناس لحديثه. وقال في «الكامل» أيضا (٤ / ١٤٦١): ولعبد الله بن عمر حديث صالح وأروى من رأيت عنه ابن وهب ووكيع وغيرهما من ثقات

١ . ووهم المباركفورى ﷺ في تحفة الاحوذي (٣ / ٩٥٠) فذكر أنه عبيد الله بن عمر فوهم والصواب أنه عبد الله العمرى وانظر تحفة الاشراف (٦ / ١٠٧).



المسلمين وهو لا بأس في رواياته، وإنما قالوا فيه لا يلحق أخاه عبيد الله، وإلا فهو في نفسه صدوق لا بأس به. اهـ.

وهذا الذى ذكره ابن عدى هو أعدل الاقوال في عبد الله العمرى. فالرجل وإن تكلم فيه فحديثه حسن إلا إذا تبين مخالفته شأنه شأن من يحسن حديثهم، ومن قارن ترجمته بترجمة من يحسن الائمة حديثهم كمحمد بن إسحاق وعبد الله بن محمد بن عقيل لا ينفك إلا عن تحسين حديث الرجل وهو ما ذهب إليه الحافظ الذهبي، فقال في المغنى (١ / ٣٤٨): صدوق حسن الحديث. اهـ.

واقتصر على عبارات التوثيق الواردة فيه في كتابيه «الكاشف» (٢ / ٩٩)، و «الديوان» (ص١٧٣)، وأدخله في كتابه من تكلم فيه وهو موثق (ص١١٢).

وقال الحافظ السخاوى في «التحفة اللطيفة» (٣ / ٣٦٦): كان صالحا عالما خيرا صالح الحديث. اهـ

فصل

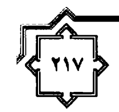
وإذا سلمنا بتضعيف عبد الله العمرى. فقد قال عثمان بن سعيد: قلت ليحيى بن معين: عبد الله العمرى ما حاله في نافع؟ قال: صالح ثقة. اهـ. كذا في «الكامل» (٤ / ١٤٥٩).

قلت: والرجل يروى هنا عن نافع.

فهذا نص قاطع للنزاع من إمام الجرح والتعديل والله المستعان.

تنبيه:

حمل ابن عبد الهادى رحمه الله في الصارم المنكى على عبد الله العمرى ورفع راية تضعيفه، فإن تعجب فلك ذلك إذا وقفت على تقويته لعبد الله العمرى في التنقيح ورده على من ضعفه واحتجاجه بحديثه في «الاحكام». فلما ضعف



المخالف عبد الله بن عمر العمرى قال ابن عبد الهادى (١ / ١٢٢): وأما عبد الله بن عمر فقد قال يحيى في رواية: ليس به بأس. اهـ وهى تعنى توثيقه.

ثم لك أن تعجب ثانية إذا علمت أن هذه الرواية التى تفيد توثيق ابن معين للعمري لم يذكرها ابن عبد الهادى نصا أو حتى إشارة في الصارم المنكى.! ونسأل الله العافية

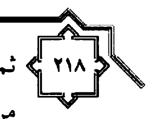
وحاصل ما تقدم أن حديث الزيارة «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» حديث حسن ولا بد، وهذا ما تقتضيه قواعد الحديث، أما من كابر فلا كلام لنا معه وهو غير مقصود بالذات من هذا الكلام، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

الحديث الثاني:

«**من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له شهيداً يوم القيامة**».

أخرجه العقيلى في «الضعفاء» (٣ / ٤٥٧) حدثنا سعيد بن محمد الحضرمي ثنا فضالة بن سعيد بن زميل المأربى، حدثنا محمد بن يحيى المأربى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به مرفوعا.

ورواه تقى الدين السبكى في «شفاء السقام» (ص٣٨) بسنده إلى ابن عساكر الذى أخرجه من طريق العقيلى المذكور ولفظه: «من رأني في المنام كان كمن رأني في حياتي...» الحديث. والصواب ما في ضعفاء العقيلى، وإن كانت رواية ابن عساكر هي صواب أيضا، فلا ضير في ذلك، فإن لفظ الزيارة ثابت في كلا الروايتين في آخر الحديث. وأعل هذا الحديث بفضالة بن سعيد بن زميل المأربى وشيخه محمد ابن يحيى بن قيس المأربى. أما فضالة بن سعيد بن زميل المأربى فقال العقيلى في «الضعفاء» (٣ / ٤٥٧): حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به،



ثم قال بعد أن ذكر الحديث محل البحث بإسناده: «وهذا يروى بغير هذا الاسناد من طريق أيضا فيه لين». ا هـ.

فدل كلام العقيلي على أمور:

الاول: أن حديث فضالة بن سعيد المأربي غير محفوظ.

الثاني: أنه فرد.

الثالث: أن هذا الاسناد فيه لين.

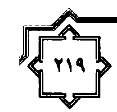
والامر الثالث هو خلاصة نظر العقيلي في هذا الاسناد إنه فيه لين. واللين هو أقل الضعف. وإن تعجب فعجب من الحافظ الذهبي ﷺ ففي ترجمته لفضالة بن سعيد بن زميل المأربي ذكر الحديث موضع البحث ثم قال (٣ / ٣٤٩): هذا موضوع على ابن جريج. ا هـ. ولا يوجد في الاسناد أو المتن ما يساعده على دعواه. فهي دعوى لا برهان عليها، ولا ذكر الذهبي دليلا يشهد لها وكلام العقيلي هنا أقوى وأقعد.

فصل

وأما محمد بن يحيى بن قيس المأربي فقد وثقه الدارقطني في سؤالات البرقاني (٤٦٤) وابن حبان (٩ / ٤٥) وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» برواية جمع عنه، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا (٨ / ١٢٣). وقال ابن حزم: مجهول. فقبول توثيق الدارقطني وابن حبان هو الموافق لقواعد الحديث ومن علم حجة على من لم يعلم.

فإن قيل قد قال ابن عدي في «الكامل» (٦ / ٢٢٣٩): أحاديثه مظلمة منكرة. اهـ.

قلت: هذا سرف من ابن عدي ﷺ.



وقد ذكر حديثين له في ترجمته،

أولهما: في مدح وذم بعض المدن والحمل فيه على من رواه عنه وهو خطاب بن عمر الهمداني، وقد قال الذهبي في ترجمته من «الميزان»: مجهول وخبره في فضل البلدان كذب. ا هـ.

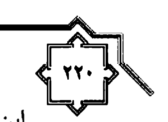
وأصاب العقيلي بذكره هذا الحديث الموضوع في ترجمة خطاب بن عمر الهمداني (٢ / ٢٥) والحديث الآخر الذى ذكره ابن عدى في ترجمة محمد بن يحيى المأربى حديث في الاستقطاع أخرجه أصحاب السنن وغيرهم، وصححه ابن حبان (١٠ / ٣٥١)، والخطب في مثل ذلك سهل لا يستحق معه أن يقال في حق الرجل: أحاديثه مظلمة منكرة. وأين هي الأحاديث الكثيرة التى تستحق هذا الوصف..؟!!.

وقال الذهبي في «الكاشف» (٣ / ٩٥): وثق.

وهى تقضى على تردده المذكور في ترجمة محمد بن يحيى المأربى في «الميزان» (٤ / ٦٢). وخلاصة ما قيل في محمد بن يحى المأربى هو قول الحافظ في التقريب (ص٥١٣): لين الحديث. والترمذي: يحسن لمن قيل فيه مثل ذلك.

تنبيه:

أما ابن عبد الهادى فإنه ما أصاب في كلامه عن محمد بن يحيى المأربى وتشدد وبعد عن الانصاف، فذكر أن الرجل مختلف فيه. ثم أراد أن يقوى رجحان جرحه وتضعيفه، فذاكر كلام ابن عدى وأيده بالحديث الموضوع في مدح وذم بعض المدن وتقدم أن الحمل فيه على خطاب بن عمر الهمداني المجهول، فلم يكفه أنه لم يصرح بتوثيق الدارقطني للمأربى في سؤالات البرقانى (٤٦٤) لا بل زاد أن ألصق به حديثا موضوعا أنسأل الله تعالى السلامة والصون.



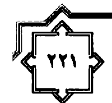
بقى الكلام على ما قد يظن بعضهم أنه علة ثالثة في هـذا الإسـناد، وهـى أن ابن جريج وهو عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج مدلس ولم يصرح بالسماع. والجواب على ذلك: أن هذا يرويه ابن جريج عن عطاء وروايته عنه محمولة عـلى السماع صرح أو لم يصرح، فإن ابن جريج قال: إذا قلت: قال عطاء: فأنا سـمعته منه، وإن لم أقـل سـمعت. (التهـذيب ٦ / ٤٠٦) فالحاصـل مما تقـدم أن هـذا الاسناد فيه راو غاية ما فيه أنه مجهول وتفرد بهـذا الحـديث، وآخـر اختلـف فيـه وثقه الدارقطني وصحح له ابن حبان ووثقه وأخرج له أصحاب السنن النسائي وأبو داود والترمذي، وقال عنه الحافظ: لين الحديث. وقال الذهبي: وثق.

فإذا كان الامر كذلك فهذا الاسناد ضعيف فقط بسبب فضالة بن سعيد بـن زميل المأربى فقط ويمكن أن ينجبر بغيره بل يمكن أن يكون مشبه بالحسن عـلى رأى جماعة من الحفاظ، وهو وحده يقضى على قولهم المتهافت: أحاديث الزيـارة كلها ضعيفة بل موضوعة. فكيف ولهذا الحديث نظائر أقوى منه، نسأل الله تعالى الانصاف في الغضب والرضا. والله تعالى أعلم بالصواب.

الحديث الثالث:

«من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة».

أخرجه البيهقى في شعب الايمان (٣ / ٤٨٨)، وحمزة بن يوسـف السـهمى في تاريخ جرجان (ص٤٣٤) ومن طريقه السـبكى في شـفاء السـقام (ص٣٥)، وابن أبى الدنيا في كتاب «القبور» كلهم من طريق محمـد بـن إسـماعيل بـن أبـى فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي أبـى المثنـى عـن أنـس بـن مالـك أن رسـول الله ﷺ قال: **«من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شـفيعا وشـهيدا يـوم القيامـة».** قلت: محمد بن إسماعيل بن أبى فديك ثقـة احـتج بـه الجماعـة. لكـن أبـا المثنـى سليمان بن يزيد الكعبي قال عنه أبو حاتم: منكر الحديث ليس بقـوى. وضـعفه



الدارقطني، وقال ابن حبان في «المجروحين»: يخالف الثقات في الروايات، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا للاعتبار. لكنه ذكره في «الثقات» (٦ / ٣٩٥)، وحسن له الترمذي.

ومقتضى ذلك أن يكون «صدوق الحديث» عند الترمذي، قال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص١٥٣): قول الترمذي حسن غريب هذا يقتضى أن الراوى عنده صدوق معروف. اهـ. وصحح له الحاكم (٤ / ٢٢١ ـ ٢٢٢) وهو يعنى أن الرجل ثقة عنده. فإن أعرضت عن تحسين الترمذي وتصحيح الحاكم له وتوثيق ابن حبان، فالرجل ضعفه من النوع الخفيف الذى يزول بمجئ متابع أو شاهد له، لذلك اقتصر الحافظ على تضعيفه في «التقريب» (ص٦٧٠). وأجاد الحافظ الذهبي فقال في «الكاشف» (٣ / ٣٣١): «وثق، وقال أبو حاتم ليس بقوى». اهـ.

وتبقى علة أخرى في هذا السند وهى الانقطاع بين سليمان بن يزيد وأنس بن مالك، فإن سليمان بن يزيد من أتباع التابعين.

وله طريق آخر عن أنس: قال إسحاق بن راهويه في مسنده: أخبرنا عيسى بن يونس، ثنا ثور بن يزيد، حدثنى شيخ عن أنس عن النبي ﷺ. (المداوى: ٦ / ٢٣٢). قلت: عيسى بن يونس هو ابن أبى إسحاق السبيعي، ثقة. وثور بن يزيد ثقة ثبت. فلولا الشيخ المبهم الذى لم يسم لكان السند في أعلى درجات الصحة.

لكن هذا الطريق إذا ضم لسابقه استفاد الحديث قوة، فإن قال قائل: إنه مشبه بالحسن يكون قد أصاب، وكم احتج الائمة الفقهاء بأقل من هذا وبمثله في الاحكام، بل هذا بمفرده يثبت مشروعية الزيارة. وابن عبد الهادى لم يذكر الطريق الثاني عن أنس، وكأنه لم يقف عليه، ولذا كان كلامه مقصورا على



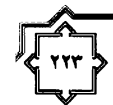
الطريق الاول فقط. ولو وقف عليه ابن عبد الهادى لشنع عليه وصب تشنيعه على الراوى المبهم كما هي طريقته لانه يابى أن يصح حديث في الباب. والله المستعان.

الحديث الرابع:

«من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً».

أخرجه يحيى بن الحسن بن جعفر في أخبار المدينة كما في «شفاء السقام» (ص٤٠). ثنا محمد بن يعقوب، ثنا عبد الله بن وهب، عن رجل عن بكر ابن عبد الله عن النبي ﷺ قال: **«من أتى المدينة زائرا لى وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث امنا»**. محمد بن يعقوب هو الاسدي الزبيري المدنى أبو عمر. قال عنه أبو حاتم والنسائي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مستقيم الحديث (التهذيب: ٩ / ٥٣٣). وقال الحافظ في التقريب (ص٥١٤): صدوق. وعبد الله بن وهب هو الثقة الحافظ الفقيه.

أما بكر بن عبد الله فالذي يظهر لى أنه المزني البصري فهو تابعي ثقة ثبت جليل كما في «التقريب» (ص١٢٧)، فعلى هذا فالحديث مرسل، ولولا الرجل المبهم لكان صحيح الاسناد. واحتمل السيد السمهودى في «وفاء الوفا» (٤ / ١٣٤٨) أن بكر ابن عبد الله هو المزني المذكور أو هو بكر بن عبد الله بن الربيع الانصاري الصحابي المترجم له في الاصابة (١ / ١٦٤). ووقع في «الصارم المنكى» (ص٣٤٣) بكير بن عبد الله بالياء، وهو تصحيف من الناسخ، وإن لم يكن تصحيفا ـ وهو بعيد ـ فإن عبد الله بن وهب يروى في جامعه عن بكير بن عبد الله الاشج المدنى ثم المصرى بواسطة واحدة، وبكير بن عبد الله الاشج من تابعي التابعين. والارجح فيما سبق ـ والله أعلم ـ أن بكر بن عبد الله هو المزني.



ومع الاحتمالات الثلاثة المذكورة، فالحديث ضعيف الاسناد فقط. فمن مجانبة قواعد الحديث قول ابن عبد الهادى في الصارم (ص٢٤٣): وهو حديث باطل لا أصل له، وخبر معضل لا يعتمد على مثله وهو من أضعف المراسيل وأوهى المنقطعات. اهـ.

قلت: تزيد الرجل جدا وبالغ وتعنت وتشدد. فإسناد الحديث ليس فيه إلا الرجل المبهم، وإمامه أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الفقه والحديث يحتجون بالمرسل. ولم يذكر ابن عبد الهادى دليل مقولته لان قواعد الحديث لا توافقه.

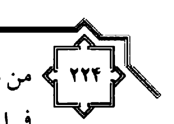
ومن تعصب الالباني قوله في رده على الشيخ محمد سعيد رمضان البوطى (ص١٠٩): «وهذا باطل كما قال ابن عبد الهادى». اهـ.

فعمدته قول ابن عبد الهادى الذى ما استطاع أن يقيم صلب دعوته المتهاوية، ثم جاء الالباني يردد الصدى لا غير، وهذا هو التقليد المذموم فأين البحث منه أو ممن قلده هنا؟! والمتتبع يجد أن المحدثين لا يزيدون في مثل هذا على قولهم: مرسل ضعيف الاسناد، ومثله ينجبر بغيره، نسأل الله تعالى السلامة والصون.

الحديث الخامس:

«من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة».

أخرجه الدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨)، حدثنا أبو عبيد والقاضى أبو عبد الله وابن مخلد قالوا: أنا محمد بن الوليد البسرى، نا وكيع، نا خالد بن أبى خالد وأبو عون عن الشعبى والاسود بن ميمون عن هارون أبى قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زارني بعد موتى فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»**. وأخرجه



من هذا الوجه البيهقى في «شعب الايمان» (٣/ ٤٨٨) والمحاملى والساجى كما في الميزان، وعلقه ابن عبد البر في الاستذكار. ورواه البخاري في تاريخه فقال: ميمون بن سوار العبدى عن هارون أبى قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسول الله ﷺ: «من مات في أحد الحرمين...». قلت وبالله استعنت: خالد بن أبى خالد هو خالد بن طهمان، فإنه يروى عن طبقة الشعبى وهو كوفى مثله، ويروى عنه وكيع وليس هو خالد بن أبى خلدة كما ادعى ابن عبد الهادى في «الصارم المنكى» (ص١٥١)، وخالد بن طهمان صدوق وكان قد اختلط، لكن تابعه ابن عون، ويقال أبو عون وهو هو فإنه عبد الله بن عون البصري وكنيته أبو عون وهو ثقة ثبت، فصح بذلك السند إلى عامر بن شراحيل الشعبى بل إلى هارون بن أبى قزعة لان الشعبى حافظ ثقة لا يسئل عن مثله. وأغرب ابن عبد الهادى وتشدد جدا وهول فقال: وأما ما وقع من الزيادة في الاسناد عن وكيع عن خالد بن أبى خالد وأبى عون أو ابن عون عن الشعبى أو بإسقاط الشعبى[1]، فإنها زيادة منكرة غير محفوظة، وليس للشعبى مدخل في إسناد هذا الحديث... ثم قال: والحاصل أن ذكر هذه الزيادة المظلمة في الاسناد لم تزد الحديث فقط بل لم تزده إلا ضعفا واضطرابا (الصارم المنكى ص١٥١).

قلت: هذه الزيادة مسلسلة بالثقات كما تقدم وكيع بن الجراح وخالد بن طهمان ومتابعه عبد الله بن عون البصري، ثم عامر الشعبى ثقات لا ينظر في حالهم ما خلا ابن طهمان وهو صدوق وقد توبع. ونسأل الله تعالى الانصاف في الرضا والغضب. إذا علم ذلك فإن الكلام في هذا الاسناد انحصر في هارون بن أبى قزعة وشيخه المبهم. أما هارون بن أبى قزعة فقد قيل هارون أبو قزعة، وقيل ابن قزعة وهذا لا يضر. قال الحافظ في «النكت على ابن الصلاح»

---

١ . رجح السبكى في «شفاء السقام» رواية: إثبات الشعبى وهو الصواب (ص٣٣).

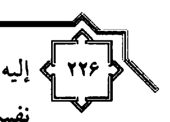


(٢/ ٧٧٣): «واختلاف الرواة في اسم رجل لا يؤثر ذلك، لانه إن كان ذلك الرجل ثقة فلا ضير، وإن كان غير ثقة فضعف الحديث إنما هو من قبل ضعفه لا من قبل اختلاف الثقات في اسمه». اهـ فتأمل ذلك.

والرجل قد ضعفه يعقوب بن شيبة، وذكره العقيلي والساجي وابن الجارود في الضعفاء، لكن ذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٥٨٠). ويروى عنه عامر الشعبي فيكون هارون بن أبي قزعة ثقة عنده. قال يحيى بن معين في «الشعبي»: إذا حدث عن رجل فسماه فهو ثقة ويحتج به (التهذيب: ٥ / ٦٧)، فرواية الشعبي عن هارون ابن أبي قزعة توثيق له، كما قال ابن معين لانه سماه. لكنه توثيق أقل من النص على ذلك صراحة، فهو توثيق ضمني أو إجمالي.

فمع توثيق ابن حبان ورواية الشعبي المتوثقة لهارون بن أبي قزعة، فالرجل ممن يعتبر بحديثه وليستشهد به. وتبقى علة واحدة في هذا الاسناد وهي شيخ هارون بن أبي قزعة المبهم. وليكن الضعف في هذا الحديث غير شديد بل ضعفه قريب ويحتج الفقهاء بمثله في إثبات مشروعية أمر ما ودونك كتب الفقه لتتحقق من صحة مقولتي، فكيف ولاحاديث الزيارة طرق بعضها من شرط الحسن، فإذا وقفت بعد على قولهم: أحاديث الزيارة ضعيفة بل موضوعة فاضرب به عرض الحائط لانه مخالف للقواعد. وقد قال الحافظ الذهبي: أجودها (أي أحاديث الزيارة) إسنادا حديث حاطب، وأقره السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٤١٣)، والسيوطي في «الدرر المنتثرة» (ص١٧٣) فهؤلاء ثلاثة من الحفاظ اتفقوا على مقولة تدحض المخالف، فماذا بعد الهدى...

بقي التنبيه على أن ابن تيميه قد حكم على هذا الحديث بالكذب، فقال في كتابه «التوسل والوسيلة ص٧٤»: هذا كذب ظاهر مخالف لدين المسلمين، فإن من زاره في حياته وكان مؤمنا به كان من أصحابه لا سيما إن كان من المهاجرين



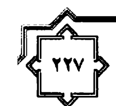
إليه المجاهدين معه، وقد ثبت عن ﷺ أنه قال: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**. أخرجاه في الصحيحين، والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة كالحج والجهاد والصلوات الخمس والصلاة عليه، فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين. اهـ (ص٧٤). وقلده الالباني فحكم على هذا الحديث بالبطلان فما أصابا.

وجواب هذا الاشكال سهل:

١ ـ هذا تشبيه ولا يلزم من التشبيه المساواة بين طرفي التشبيه، فقد يكون أحدهما أفضل من الاخر، فيكون من باب إلحاق فاضل بأفضل منه كقولك الرملي كالشافعي وأبو يوسف كأبى حنيفة وزيد كالبدر ومدرسة كالازهر ونحو ذلك الوجه. ٢ ـ الجامع بين طرفي التشبيه هو الحياة، فمن زاره ﷺ بعد موته يشبه من زاره في حياته باعتبار حياة النبي ﷺ في قبره الشريف، وحياة النبي ﷺ في قبره تواترت بها الاخبار وأفردها عدد من الحفاظ منهم البيهقى والسيوطي، وللحافظ أحمد بن الصديق الغماري رحمه الله خلاصة جامعة في حياة الانبياء نجدها في خاتمة كتاب «الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين» لشيخنا العلامة المحقق الجامع سيدى عبد الله بن الصديق رحمه الله ونور مرقده. بيد أن الامر لا يخلو من توجيه نظر القارئ إلى أن هذا الاتفاق الذى ذكره ابن تيمية فيه نظر، لأن زيارة سيدنا رسول الله ﷺ واجبة عند كثير من علماء المسلمين وهو قول الظاهرية، وعليه كثير من المالكية وهو قول عند الحنفية.

الحديث السادس:

«من زار قبري أو قال من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة».



أخرجه أبو داود الطيالسي (منحة المعبود ١ / ٢٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥ / ٢٤٥)، وفى «شعب الايمان» (٣ / ٤٨٨). حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدى، قال: حدثنى رجل من ال عمر عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من زار قبري أو قال من زارني كنت له شفيعا أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الامنين يوم القيامة**».

وأخرجه البيهقي في شعب الايمان (٣ / ٤٨٩) من حديث شعبة ابن الحجاج عن سوار بن ميمون، نا هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ قال: «**من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة، ومن سكن المدينة وجد على بلائها كنت له شهيدا أو شفيعا، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة**». وقال العقيلي: والرواية في هذا لينة (٤ / ١٧٠). فاختلف حديث شعبة وأبى داود الطيالسي وخلافهما يرجع لامرين:

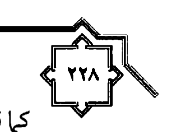
الاول: قال شعبة عن سوار بن ميمون عن هارون بن قزعة، ولم يذكر أبو داود هارون بن قزعة.

الثاني: الاختلاف فيمن رفع الحديث. وهذا الاختلاف لا مدخل لشعبة ولابي داود الطيالسي فيه فكلاهما من كبار الحفاظ الثقات خاصة أولهما فتوهيم أحدهما ـ كما فعل ابن عبد الهادى ـ فيه نظر. فقد حكم ابن عبد الهادى بوهم أبو داود الطيالسي من جهتين،

الاولى: أنه وهم بإسقاط هارون بن قزعة من روايته،

الثانية: أن ذكر عمر وهم من الطيالسي.

كذا قال ابن عبد الهادى سامحه الله (الصارم المنكى صر ١٣٢)!! وهذا عجيب جدا من ابن عبد الهادى، فإن أبا داود الطيالسي حافظ ثقة إمام مصنف حدث بما تحمله، فلا مدخل له فيه. والصواب أن هذا الاختلاف راجع لسوار بن ميمون، فإنه مما لا ترجمة له في كتب الرجال.



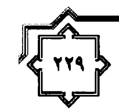
فلا ينبغي أن يوهم الطيالسي ويترك سوار بن ميمون ـ أو ميمون ابن سوار كما قيل في بعض الروايات ـ الغير معروف. والحاصل أن الحديث ضعيف بهذا الاسناد.

الحديث السابع:

«من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي».

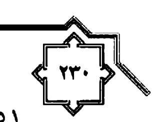
أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٤٠٦)، والدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥ / ٢٤٦)، وابن عدى في الكامل (٢ / ٧٩٠)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١ / ٤٤٧)، والفاكهي في أخبار مكة (١ / ٤٣٧)، وعزاه الذهبي للبخاري في الضعفاء تعليقا، ولم أجده في المطبوعة (الميزان: ١ / ٥٥٩)، وهو في المطالب العالية (١ / ٣٧٢) معزوا لابي يعلى. جميعهم من طريق حفص بن سليمان الاسدي القارى عن ليث بن أبى سليم، عن مجاهد بن جبر عن ابن عمر مرفوعا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد موتى كان كمن زارني في حياتي**». وفى هذا الاسناد ضعيفان، وأولهما أضعف من الثاني.

أما أولهما: فهو حفص بن سليمان الكوفى القارى. ضعفه جماعة، وقال بعضهم: متروك، وبالغ فيه بعضهم فنسبه إلى الكذب، وقد أجاب على هذه المبالغة تقى الدين السبكى رحمه الله فقال: وعندي أن هذا القول سرف، فإن هذا الرجل إمام قراءة وكيف يعتقد أنه يقدم على وضع الحديث والكذب ويتفق الناس على الاخذ بقراءته، وإنما غايته أنه ليس من أهل الحديث، فلذلك وقعت المنكرات والغلط الكثير في روايته. اهـ (شفاء السقام ص٢٥). وقال تلميذه الذهبي في ترجمة شيخه عاصم بن أبى النجود القارى: ما زال في كل وقت يكون العالم إماما في كل فن مقصرا في فنون وكذلك كان صاحبه حفص بن سليمان ثبتا



في القراءة واهيا في الحديث، وكان الاعمش بخلافه كان ثبتا في الحديث لينا في الحروف. ا هـ (سير النبلاء: ٥ / ٢٦٠). وبكلام السبكي والذهبي يزول ما قد يشكل للبعض عن حال حفص بن سليمان القارى. وثانيهما: هو ليث بن أبى سليم صدوق في نفسه لكنه اختلط، ولم يتميز حديثه، فمثله وإن كان ضعيفا فلم يتخلف عنه بصير في باب المتابعات والشواهد. ولم ينفرد حفص بن سليمان به عن ليث بن أبى سليم فله متابعان: أولهما: ما أخرجه الطبراني في معجميه الكبير (١٢ / ٤٠٦)، والاوسط (١ / ٢٠١). قال: حدثنا أحمد بن رشدين، قال: حدثنا على بن الحسن بن هارون الانصاري، قال: حدثنى الليث ابن ابنة الليث بن أبى سليم قال: حدثتني عائشة ابنة يونس امرأة الليث عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر به مرفوعا. هكذا وقع في الكبير. وفى المطبوع من المعجم الاوسط للطبراني لم يذكر ليث بن أبى سليم، والصواب ما وقع في الكبير، وأشار الطبراني في الاوسط إلى تفرد على بن الحسن بن هارون الانصاري به. وقال الهيثمى في «المجمع»: وفيه عائشة بنت سعد، ولم أجد من ترجمها (٤ / ٢). ا هـ.

قلت: والامر كذلك، ومثلها على بن الحسن بن هارون الانصاري، والليث ابن ابنة الليث بن أبى سليم لم أجد من ترجمهما. وشيخ الطبراني أحمد بن رشدين المقال فيه مشهور. فهذا الاسناد ضعيف جدا. أما المتابعة الثانية: فهى ما أخرجها أبو بكر محمد بن السرى بن عثمان التمار في جزئه قال: ثنا نصر بن شعيب مولى العبديين، ثنا أبى، وثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر به مرفوعا. كذا في «شفاء السقام» (ص٢٧). وهذا الاسناد ضعيف. بسبب أبى بكر محمد بن السرى بن عثمان التمار. قال عنه الذهبي: يروى المناكير والبلايا، ليس بشئ، وأقره الحافظ في اللسان (٥ / ١٧٤).



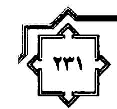
وفيه ضعيف آخر هو نصر بن شعيب. قال الذهبي عنه في الميزان (٢ / ٢٥١): نصر بن شعيب عن أبيه عن جعفر بن سليمان ضعف. وقال ابن عساكر: هو وهم وإنما هو حفص بن سليمان أبو عمر الاسدي الغاضرى القارى (شفاء السقام ص٢٧). وعلى كل فالحديث ضعيف.

الحديث الثامن:

«من حج حجة الإسلام وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عما افترض عليه».

أخرجه أبو الفتح الازدي في فوائده قال: ثنا النعمان بن هارون بن أبى الدلهات، ثنا أبو سهل بدر بن عبد الله المصيصى، ثنا الحسن بن عثمان الزيادي، ثنا عمار بن محمد، حدثنى خالي سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ابن مسعود مرفوعا به. كذا في شفاء السقام (ص٣٤). ولكن وقع فيه ابن عمر والصواب ابن مسعود كما في اللسان (٢ / ٤)، والقول البديع (ص١٣٥)، وتنزيه الشريعة (٢ / ١٧٥). أبو الفتح الازدي صاحب الجزء هو حافظ مشهور ضعفه جماعة، وبالغ فيه بعضهم بسبب روايته حديثا أتهم به. قال الخطيب في التاريخ (٢ / ٢٤٤): وسألت محمد بن جعفر ابن علان عنه فذكره بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث وأثنى عليه، فحدثني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الارموى قال: رأيت أهل الموصل يوهنون أبا الفتح الازدي جدا ولا يعدونه شيئا. قال: وحدثني محمد بن صدقة الموصلي أن أبا الفتح قدم بغداد على الامير ـ يعني ابن بويه ـ فوضع له حديثا: أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ في صورته. قال: فأجازه وأعطاه دراهم كثيرة. ا هـ.

وقال ابن كثير في «البداية» (١١ / ٣٠٣): ضعفه كثير من الحفاظ من أهل زمانه واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه، حين قدم عليه بغداد،



فساقه بإسناد إلى النبي ﷺ: «أن جبريل كان ينزل عليه في مثل صورة ذلك الامير»، فأجازه وأعطاه دراهم كثيرة. ا هـ.

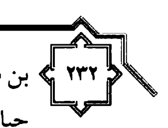
وفى إسناده أبو سهل بدر بن عبد الله المصيصى قال عنه الحافظ الذهبي:... عن الحسن بن عثمان الزيادي بخبر باطل وعنه النعمان بن هارون. (الميزان: ١ / ٣٠٠). وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته في اللسان (٢ / ٤): والخبر المذكور أخرجه أبو الفتح الازدي في الثامن من فوائده فذكره الحافظ بإسناده. وأورده السيوطي في «ذيل اللالئ»، فذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة تبعا له. (٢ / ١٧٥). وقال الحافظ السخاوى في القول البديع (ص١٣٥): في ثبوته نظر. اهـ فالصواب ـ والله أعلم ـ أن الحمل في هذا الحديث على أبى الفتح الازدي لا على المصيصى، وقد قال الامام السبكى عن المصيصى: ما علمت من حاله شيئا (شفاء السقام ص٣٤ ـ ٣٥). وهل صح السند إلى المصيصى حتى تعلق التهمة به؟

والحاصل: أن الحديث لا يصح وبعضهم حكم عليه بالوضع وفى المتن نكارة.

الحديث التاسع:

«من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني».

أخرجه ابن عدى في «الكامل» (٧ / ٢٤٨٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣ / ٧٣)، والدارقطني في غرائب مالك (كما في شفاء السقام ص٢٨)، والسهمى في «تاريخ جرجان» (ص٢١٧). جميعهم من طريق محمد بن محمد بن النعمان بن شبل قال: حدثنى جدى، قال: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر به مرفوعا. وقد حكم عليه ابن الجوزى بالوضع (الموضوعات: ٢ / ٢١٧) فأصاب في حكمه ووافقه في هذا الحكم جماعة من الحفاظ. فمحمد بن محمد بن النعمان بن شبل طعن فيه الدارقطني واتهمه (الميزان: ٤ / ٢٦). وجده النعمان



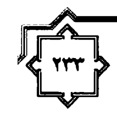
بن شبل قال عنه موسى بن هارون: كان متهما (الكامل: ٧ / ٢٤٨٠)، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٣ / ٧٣): يأتي عن الثقات بالطامات، وعن الاثبات بالمقلوبات. ا هـ.

فإن قيل: قد قال ابن عدى في الكامل (٧ / ٢٤٨٠): ثنا صالح بن أحمد بن أبى مقاتل، ثنا عمران بن موسى الدجاجى، ثنا النعمان بن شبل وكان ثقة. ا هـ.

أجيب بأن هذا التوثيق إما أن يكون من صالح بن أحمد أو من عمران بن موسى الدجاجى، فإن كان من أولهما، فهو ليس أهلا له، وإن كان من ثانيهما فالرواية لا تصح إليه، فإن صالح بن أحمد ابن أبى مقاتل هو المعروف بالقيراطى البزار شديد الضعف حتى قال عنه الدارقطني: متروك كذاب دجال، وقال عنه ابن عدى: كان يسرق الحديث. وعلى كل فالحمل في هذا الحديث على محمد بن محمد بن النعمان أولى من الحمل على جده النعمان بن شبل وهو ما صرح به الدارقطني، فقال فيما نقله عنه ابن الجوزى في الموضوعات (٢ / ٢١٧) حيث قال: «الطعن في هذا الحديث من محمد بن محمد بن النعمان». ا هـ.

والنعمان بن شبل قد ارتضاه ابن عدى في «الكامل» (٧ / ٢٤٨٠). ويروى هذا الحديث بإسناد ساقط جدا، ولعل محمد بن محمد ابن النعمان سرقه من جده وركب له إسنادا نظيفا عن مالك عن نافع عن ابن عمر، فقد أخرج أبو الحسن يحيى بن الحسن بن جعفر في أخبار المدينة (كما في شفاء السقام ص٣٩) من حديث النعمان بن شبل، ثنا محمد بن الفضل عن جابر عن محمد بن على عن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زار قبري بعد موتى فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني»**.

قلت: هذا تالف. والنعمان بن شبل تقدم الكلام عليه. ومحمد بن الفضل هو ابن عطية العبسى الكوفى كذبه غير واحد من النقاد. وجابر هو ابن يزيد الجعفي حاله معروف في الضعف.



الحديث العاشر:

«من زار قبري حلت له شفاعتي».

أخرجه البزار في مسنده (كشف الأستار: ٢ / ٥٧). حدثنا قتيبة، ثنا عبد الله بن إبراهيم، ثنا عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ: **«من زار قبري حلت له شفاعتي»**. قال البزار: عبد الله بن إبراهيم لم يتابع على هذا وإنما يكتب ما يتفرد به. ا هـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٤ / ٢): رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف. ا هـ.

قلت: عبد الله بن إبراهيم الغفاري حاله أشد في الضعف. فقد قال عنه الحافظ في «التقريب» (ص٢٩٥): متروك ونسبه ابن حبان إلى الوضع. ا هـ.

وشيخه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف أيضا. وكان ابن عدى حسن الرأى فيه، وتقدم الكلام عليه.

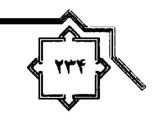
والحاصل: أن هذا الحديث ضعيف جدا بهذا الاسناد.

الحديث الحادي عشر:

«من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي».

قال الامام تقى الدين السبكى: رواه أبو الفتوح سعيد بن محمد ابن إسماعيل اليعقوبي في جزء له فيه فوائد مشتملة على بعض شمائل سيدنا رسول الله ﷺ وآثاره وما ورد في فضل زيارته ودرجة زواره (شفاء السقام ص٣٤ ـ ٣٥).

وأخرجه اليعقوبي من طريق خالد بن يزيد، ثنا عبد الله بن عمر العمرى، قال: سمعت سعيد المقبرى يقول: سمعت أبا هريرة ﷺ يقول فذكره مرفوعا. في هذا الاسناد خالد بن يزيد أبو الهيثم العمرى المكى كذبه أبو حاتم ويحيى بن معين وضعفه جدا العقيلى وابن عدى وابن حبان وغيرهم.



الحديث الثاني عشر:

«من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زتر قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر».

أخرجه ابن النجار في الدرة الثمينة في فضائل المدينة (ص١٤٤). من طريق محمد بن مقاتل عن جعفر بن هارون عن سمعان بن المهدى عن أنس مرفوعا به. وهذا بعض من نسخة سمعان بن المهدى المكذوبة. قال الحافظ الذهبي في الميزان (٢ / ٢٣٤) عن سمعان هذا:

ألصقت به نسخة مكذوبة رأيتها قبح الله من وضعها. اهـ.

وقال الحافظ في «اللسان» (٣ / ١١٤) في ترجمة سمعان المذكور: وهى من رواية محمد بن مقاتل الرازي عن جعفر بن هارون الواسطي عن سمعان، فذكر النسخة وهى أكثر من ثلاثمائة حديث أكثر متونها موضوعة. وهذا هو السند المذكور أعلاه ومحمد ابن مقاتل الرازي. قال عنه الذهبي (٤ / ٤٧):

تكلم فيه ولم يترك. اهـ.

وجعفر بن هارون الواسطي قال عنه الذهبي: أتى بخبر موضوع. اهـ.

ونسخة سمعان بن مهدى عن أنس من النسخ المشهورة بالوضع.

الحديث الثالث عشر:

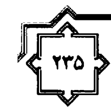
«رحم الله من زارني، وزمام ناقته بيده».

هذا الحديث وضعه العوام ولا إسناد له، وقد صرح الحافظ ابن حجر بأنه مما لا أصل له. وأقره تلميذه السخاوى في المقاصد الحسنة.

الحديث الرابع عشر:

«من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد دخل الجنة».

هذا حديث موضوع ولا إسناد له، صرح بذلك الامام النووي في المجموع



(٨ / ٢٠٩)، وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٠٢). وممن حكم ببطلانه الزركشي والسيوطي وابن عراق في جماعة آخرين.

الحديث الخامس عشر:

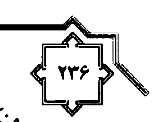
«من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً أبلغته».

أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في الثواب (كما في اللالئ: ١ / ٢٨٣). حدثنا عبد الرحمن بن أحمد الاعرج، حدثنا الحسن بن الصباح، حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة به مرفوعا. قال الحافظ السخاوى في القول البديع (ص١٥٤): وسنده جيد كما أفاده شيخنا (أي الحافظ ابن حجر). ا هـ وقد أصاب الحافظ في حكمه، فإسناد الحديث رجاله رجال الصحيح ما خلا شيخ أبى الشيخ الاصبهاني، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن أبى يحيى الزهري أبو صالح الاعرج المتوفى سنة ٣٠٠ ترجمه أبو الشيخ الاصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان (٣ / ٥٤١)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢ / ١١٣)، ولم يذكرا فيه جرحا أو تعديلا. وقد روى عنه جماعة منهم أبو الشيخ ابن حيان الاصبهاني الحافظ، فغاية ما في الرجل إنه مستور، وهو على شرط ابن حبان لكن لم أجده في ثقاته. ومثل هذا الصنف من الرواة يقبل الجمهور حديثه ما لم يخالف كما صرح الذهبي بذلك في ترجمة مالك بن الخير الزيادي. وقال الذهبي في ترجمة زياد بن مليك (٢ / ٩٣): شيخ مستور ما وثق ولا ضعف، فهو جائز الحديث. ا هـ.

وقال في ترجمة الربيع بن زياد الهمداني (٢ / ٤٠): ما رأيت لاحد فيه تضعيفا، فهو جائز الحديث. ا هـ.

وتوسع الزركشي فقال في المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر (ص٦٩):

قال أهل هذا الشأن: إن جهالة الراوى لا توجب قدحا إذا كان من روى عنه ثقة، فإن روايته عنه تكون تعديلا له. ا هـ.



والحاصل أن رواية من كان هذا شأنه مقبولة ما لم يخالف أو يأت بمتن منكر، ولا تجد هنا مخالفة ومتن الحديث ليس فيه نكارة. فالحديث بهذا الاسناد مقبول، وقد قال الحافظ أحمد بن الصديق الغماري في المداوى لعلل المناوى (٦ / ٢٧٧ / ١) إسناده نظيف. ا هـ.

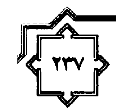
وقد صرح ابن تيمية في الرد على الاخنائى (ص١٣٤) أن الحديث صحيح المعنى، ولكنه تكلم في إسناده باعتبار ما سيأتي إن شاء الله تعالى. وللحديث طريق آخر عن الاعمش. أخرجه العقيلي في الضفاء (٤ / ١٣٧)، والبيهقي في حياة الانبياء (ص١٥)، وفى شعب الايمان (٢ / ٢١٨)، والخطيب في التاريخ (٣ / ٢٩١، ٢٩٢)، وابن الجوزى في الموضوعات (١ / ٣٠٣)، وغيرهم.

من طريق محمد بن مروان السدى عن الاعمش عن أبى صالح عن ابى هريرة به مرفوعا.

قلت: في إسناده محمد بن مروان السدى متروك الحديث وكذب. وقال العقيلي في الضعفاء: لا أصل له من حديث الاعمش وليس بمحفوظ ولا يتابعه إلا من هو دونه. ا هـ.

وقال ابن كثير في «التفسير» (٦ / ٤٦٦): في إسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدى الصغير وهو متروك. ا هـ.

النظر الذى ذكره ابن كثير هو بالنسبة لهذا الاسناد فقط، فقد حكم على هذا الحديث بالوضع ابن الجوزى ومن تبعه. أما بالنظر لما للطريق الذى أخرجه أبو الشيخ في الثواب، فالحديث جيد الاسناد كما صرح بذلك الحافظ ابن حجر، واختلف فيه قول ابن تيمية، فحكم عليه بالوضع في الفتاوى (٢٧ / ٢٤١)، لكن قال: إسناده لين في إحدى رسائله في الزيارة (ص١٧) وقال في الرد على الاءخنائى (ص١٣٤): وإن كان معناه صحيحا فإسناده لا يحتج به. وأنت خبير



أن حكمه بالوضع فبالنظر لاسناد السدى الصغير فقط. وإن تعجب فاعجب من ابن عبد الهادى رحمه الله الذى ذهب إلى أقصى التشدد، فقال في صارمه: وقد روى بعضهم هذا الحديث من رواية أبى معاوية عن الاعمش، وهو خطأ فاحش وإنما محمد بن مروان تفرد به، وهو متروك الحديث متهم بالكذب. ا هـ.

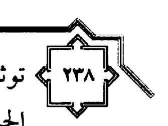
ووجه العجب أنه جعل رواية السدى المتروك المكذب هي المحفوظة وسواء كان قد وقف على رواية أبى الشيخ أو لم يقف عليها، فإنه لم يأت بدليل يقيم صلب دعواه، وما كان كذلك فإنه ينهار من أساسه، ثم محمد بن مروان السدى لم يتفرد به كما يشير إليه كلام العقيلى وكما يعلم من رواية أبى الشيخ الاصبهاني المتقدمة ولعل ابن عبد الهادى لم يرد أن يخالف شيخه ابن تيمية.

وحاصل ما ذكر أن الحديث جيد الاسناد، ومن حكم على هذا الحديث بالوضع فلعدم وقوفه على رواية أبى الشيخ. والله أعلم.

الحديث السادس عشر:

«ما من أحد يسلم علي، إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه».

أخرجه أحمد (٢ / ٥٢٧)، وأبو داود (٢ / ٢٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥ / ٢٤٥)، وفى حياة الأنبياء (ص١١)، وفى الشعب (٢ / ٢١٧)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢ / ٣٥٣). جميعهم من طريق أبى صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام. أبو صخر حميد بن زياد قال عنه أحمد وابن معين: لا بأس به، ووثقه الدارقطني وابن حبان وقال البغوي: مدنى صالح الحديث. وقال ابن عدى: وهو عندي صالح الحديث. وضعفه يحيى بن معين في رواية وكذا النسائي، ووثقه ابن شاهين، وذكره الذهبي في جزء من تكلم فيه، وهو موثق (ص٧٣). ثم وثقه من اتفق الائمة على قبول



توثيقه والعمل بمقتضاه، فقد أخرج له مسلم في صحيحه. فالرجل حسن الحديث على الاقل فلا تلتفت لتشغيب ابن عبد الهادى، فإنه جعل الاختلاف في اسم وكنية الراوى سببا لرد حديثه، ولو كان الاختلاف في الاسم والكنية سببا لتضعيف الراوى لفتح باب جديد لتضعيف الرواة، وعند ذلك فللعقلاء أن يقولوا: رحمة الله على الحديث وعلومه، فكم من راو اختلف في اسمه وكنيته، وهو ثقة، وكم من راو اتفق على اسمه وكنيته وهو ضعيف.

والحاصل أن حميد بن زياد حسن الحديث. أما يزيد بن عبد الله بن قسيط فقد احتج به الجماعة ووثقة النسائي وابن حبان وابن عبد البر وغيرهم، وقال ابن معين: لا بأس به. فالحديث حسن بهذا الاسناد. والله أعلم.

الحديث السابع عشر:

أخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن عطاء مولى أم حبيبة قال:

سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «ليهبطن عيسى بن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً أو بنيتيهما، وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردنّ عليه».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة وسلمه الذهبي. وللحديث أوجه أخر ورجح هذا الوجه أبو زرعة الرازي في العلل (رقم ٢٧٤٧)، ولا يضر هنا عدم تصريح محمد بن إسحاق بالسماع لأنه توبع.

الحديث الثامن عشر:

«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا».

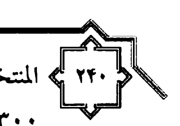
حديث صحيح بل متواتر له طرق متعددة عن أبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة، وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلى



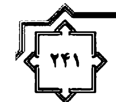
بن أبي طالب، وأبي الجعد الضمري وواثلة بن الاسقع، والمقدام بن معدي كرب وأبي أمامة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

أما حديث أبي سعيد الخدري، فأخرجه البخاري (٣ / ٦٣)، ومسلم (٢ / ٩٧٦)، والترمذي (٨ / ١٤٢)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١ / ٤٥٢)، وأحمد (٣ / ٣٤، ٤٥، ٥١)، وأبو يعلى (٢ / ٣٣٨)، والحميدي (٢ / ٣٣٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤ / ٢٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٣ / ٧١)، والطحاوي في مشكل الاثار (١ / ٢٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٨٢)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٢ / ٢٢١)، وأبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (١ / ٨٥)، والطبراني في المعجم الاوسط (٣ / ١٠٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١ / ١٩٥)، والواسطي في فضائل بيت المقدس (ص٦) والبغوي في شرح السنة (٢ / ٣٣٦). وغيرهم من طرق عن قزعة بن يحيى عن أبي سعيد الخدري به مرفوعا. ولفظ البخاري وغيره: «**لا تسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين: الفطر والاضحى، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي هذا**».

وله طريق ثان عن أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٥٣)، وابن الجوزي في فضائل القدس (ص٩٦) من طريق مجالد بن سعيد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري به مرفوعا. مجالد بن سعيد وأبو الوداك هو جبر بن نوف فيهما مقال وحديثهما يصلح للاستشهاد به على الاقل. وطريق ثالث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢ / ل ٢ / ٢) من حديث عطية العوفى عن أبي سعيد الخدري. وعطية العوفى سبق تفصيل الكلام عليه عند الكلام على حديث: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين**». وطريق رابع أخرجه عبد حميد في



المنتخب من المسند (رقم ٩٤٩ ص١٨٠)، وتمام في فوائده (الروض البسام: ١ / ٣٠٠). من طريق أبي هارون عمارة بن جوين العبدي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا به. وعمارة بن جوين شديد الضعف، وقال عنه الحافظ في التقريب: متروك. وأخرج بعضه من هذا الطريق أبو يعلى الموصلي في مسنده (٢ / ٣٧٢). وطريق خامس أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٧١) عن عكرمة مولى زياد عن أبي سعيد الخدري مرفوعا به. وطريق سادس فيه أخذ ورد أخرجه أحمد (٣ / ٦٤، ٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٤٨٩) من طريق ليث وعبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال: أقبلت أنا ورجال من عمرة فمررنا بأبي سعيد الخدري، فدخلنا عليه فقال: أين تريدون؟ قلت: نريد الطور، قال: وما الطور؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تشد رحال المطي إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس...**» الحديث. فزاد شهر بن حوشب زيادة هي: إلى مسجد يذكر الله فيه أو إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة. ومثل هذه الزيادة محل أخذ ورد بين المحدثين ومحدثي الفقهاء والفقهاء. وممن قال بقبولها الحافظ ابن حجر، فقال في الفتح (٣ / ٦٥): ويؤيده ما روى أحمد من طريق شهر بن حوشب قال: سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة في الطور، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي**». وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف. اهـ. فهذا قول شيخ الفن وعلمه المفرد فانظره أيها المتبصر في اعتماد رواية شهر بن حوشب في شرح المراد من الحديث. فانفراد شهر بن حوشب بهذه اللفظة لا يعني سقوطها وردها، فالرجل حسن الحديث، كما صرح الحافظ وقبله عدد من الحفاظ، ومال إلى هذا الحافظ ابن الصلاح في صيانة صحيح مسلم (ص١٢٢)، وقال الحافظ الذهبي في سير



النبلاء (٤ / ٣٧٨): «والاحتجاج به مترجح». وأودعه ـ الذهبي أيضا ـ في جزء من تكلم فيه وهو موثق (ص١٠٠). فإن تشددت غاية التشدد، فإن هذه اللفظة التي انفرد بها شهر بن حوشب هي من قبيل الرواية بالمعنى وتفسير للحديث من أحد كبار علماء التابعين.

تنبيه:

حاول الالباني أن يسقط اللفظة التي انفرد بها شهر بن حوشب بالكلية، فقال في إروائه (٣ / ٢٣٠): قوله: «إلى مسجد» زيادة في الحديث لا أصل لها في شئ من طرق الحديث عن أبي سعيد ولا عن غيره فهى منكرة بل باطلة، والآفة إمّا من شهر، فإنه سئ الحفظ، وإما من عبد الحميد وهو ابن بهرام، فإن فيه كلاما، وهذا هو الاقرب عندي، فقد رواه ليث عن شهر بدون الزيادة. ا هـ.

قلت كلامه فيه نظر:

١ ـ فإن ما انفرد به شهر أو زاده على غيره لا يصح أن يقال له لا أصل له، ثم إطلاق البطلان على زيادته، والآفة من شهر، نعم لا يصح أن يقال ذلك أيضا، فإن شهرا ما خالف مالكا وشعبة وسفيان وأمثالهم، وما خالف أمرا معلوما مقطوعا به. ثم حديث الرجل يدور بين الحسن إما احتجاجا أو استشهادا فلا يكون مثله آفة أبدا. على أن هذه اللفظة التى انفرد بها شهر يقبلها جمع من الفقهاء ومحدثيهم.

٢ ـ قوله: وإما من عبد الحميد وهو ابن بهرام، فإن فيه كلاما. اهـ.

قلت: نعم عبد الحميد بن بهرام فيه كلام لكن حديثه عن شهر بن حوشب مقبول كما نص على ذلك عدد من الحفاظ. قال أحمد: أحاديثه عن شهر مقاربة، وقال ابن أبى حاتم عن أبيه: هو في شهر كالليث في سعيد المقبرى قلت: ما تقول فيه؟ قال: ليس به بأس أحاديثه عن شهر صحاح لا أعلم روى عن شهر أحاديث أحسن منها. وقال أحمد بن صالح المصرى:



عبد الحميد بن بهرام ثقة يعجبنى حديثه أحاديثه عن شهر صحيحه. وعلى ذلك فالناقد المتيقظ لا يضعف حديثا عن شهر بن حوشب رواه عنه عبد الحميد بن بهرام، ومن فعل ذلك علمت أنه أوتى من قلة اطلاع أو تعصب.

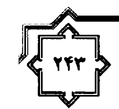
٣ ـ قوله: فقد رواه ليث عن شهر بدون الزيادة. ا هـ.

قلت: بل رواه بالزيادة المذكورة ليث عن شهر بن حوشب بطريق صحيح في مسند أبى يعلى الموصلي (٢ / ٤٨٩)، وكان الاولى بالالبانى إبقاء الاحتمال والتعلق به بدلا من القطع والله أعلم.

وفى هذا القدر كفاية لمن كان من أهل العناية. وأما حديث أبى هريرة فأخرجه البخاري (الفتح ٣ / ٦٣)، ومسلم (٢ / ١٠١٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٥ / ١٣٢)، والحميدي في مسنده (٢ / ٤٢١)، وأحمد في مسنده (٢ / ٢٣٤، ٢٣٨، ٥٠١)، والدارمى (١ / ٢٧٢)، وأبو داود (٢ / ٥٢٨)، والنسائي (٢ / ٣٧)، وابن ماجه (١ / ٤٥٢)، وأبو يعلى (٩ / ٢٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥ / ٢٤٤)، والخطيب في التاريخ (٩ / ٢٢٢)، والبغوى في شرح السنة (٢ / ٣٣٧). جميعهم من طرق متعددة عن أبى هريرة. وله رواية منكرة عن أبى هريرة أخرجها الطبراني في الاوسط (٢ / ل ١ / أ) من طريق خثيم بن مروان عن أبى هريرة قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الخيف ومسجد الحرام ومسجدي هذا**». قال الطبراني: لم يذكر مسجد الخيف في شد الرحال إلا في هذا الحديث. اهـ.

قلت: فيه ضعف وانقطاع. قال البخاري في التاريخ الكبير (٣ / ٢١٠): لا يتابع في مسجد الخيف ولا يعرف لخثيم سماع من أبى هريرة. ا هـ.

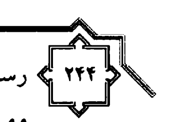
وخثيم بن مروان ذكره ابن الجارود في الضعفاء وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به ووثقه ابن حبان.



والحاصل أن هذه اللفظة: مسجد الخيف منكرة تفرد بها خثيم وهو ضعيف، ولم يسمع عن أبي هريرة. وأما حديث جابر بن عبد الله ﷺ فأخرجه أحمد (٣ / ٣٥٠)، والنسائي في السنن الكبرى (تحفة ٢ / ٣٤١) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (رقم ١٠٩٧، ص١٩٧)، وأبو يعلى في مسنده (٤ / ١٨٢ ـ ١٨٣)، وابن حبان في صحيحه (٤ / ٤٩٥)، والطبراني في الاوسط (١ / ٤١٥)، والحضرمي في تاريخ علماء مصر (ص١٠٧)، وقاسم بن قطلوبغا في عوالي الليث (رقم ٣٥). جميعهم من طرق عن الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر به مرفوعا. وقال الطبراني في المعجم الاوسط: لم يرو هذا الحديث عن الليث إلا العلاء بن موسى. اهـ. وفيه نظر. فقد تابع العلاء بن موسى في المسند يونس بن محمد المؤدب، وقتيبة بن سعيد في السنن الكبرى، وعيسى بن يونس في صحيح ابن حبان، وأحمد بن يونس في المنتخب من مسند عبد بن حميد، والحضرمي في تاريخ مصر، وكامل الجحدري في مسند أبي يعلى. فالاسناد صحيح سواء انفرد به العلاء بن موسى أو تابعه غيره. ولم ينفرد به الليث بن سعد عن أبي الزبير. فقد رواه عن أبي الزبير ـ فيما علمت ـ اثنان:

أولهما: ابن لهيعة أخرج هذه المتابعة أحمد في المسند (٣ / ٣٣٦)، قال: ثنا حسن، ثنا ابن لهيعة، ثنا أبو الزبير عن جابر قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد إبراهيم** عليه السلام **ومسجدي**». حسن هو ابن موسى الاشيب ثقة احتج به الجماعة. وعبد الله بن لهيعة مدلس كان قد اختلط بعد احتراق كتبه وقد صرح بالسماع.

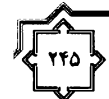
وثانيهما: ما أخرجه البزار (كشف الاستار: ٢ / ٤)، والطحاوي في مشكل الاثار (١ / ٢٤١) كلاهما من طريق عبد العزيز ابن عبد الله الاويسي المدني عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر أن



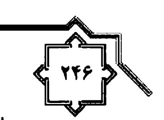
رسول الله ﷺ قال: «**خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد إبراهيم** عليه السلام **ومسجد محمد** ﷺ»، وهذا الاسناد صحيح. وعبد الرحمن بن أبي الزناد من تكلم فيه ففي حديث غير المدنيين عنه فقط، والراوي عنه مدني ثقة. وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما فأخرجه ابن حبان في الثقات (٨ / ٤٥٩)، والطبراني في مسند الشاميين (رقم ١٥٣٨)، والعقيلي في الضعفاء (٣ / ٢٥٦)، والضياء المقدسي في فضائل بيت المقدس (رقم ٥). جميعهم من طرق متعددة عن على بن يونس البلخى العابد عن هشام بن الغاز، عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد المطايا إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى**».

وعلى بن يونس البلخى ذكره العقيلي في الضعفاء (٣ / ٢٥٦) وقال: لا يتابع على حديثه وسكت عنه ابن أبى حاتم ووثقه ابن حبان وروى عن جماعة. واعتمد الهيثمى توثيق ابن حبان لعلى بن يونس فقال في المجمع (٤ / ٤): رجاله ثقات. اهـ.

وله طريق آخر عن ابن عمر مرفوعا بلفظ: «**لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس**». وشيخ الطبراني فيه هو أحمد بن محمد بن رشدين فيه مقال مشهور، وبالغ بعضهم فيه فكذبه. لكن الحديث جاء موقوفا عن ابن عمر من طرق أنظف من الطريقين المذكورين بكثير. فقد أخرج البخاري في التاريخ الكبير (٧ / ٢٠٤)، وعبد الرزاق (٥ / ١٣٥)، وابن أبي شيبة (٢ / ٣٧٣). وعمر بن شبه في أخبار المدينة (كما في الصارم المنكى ص٣٤٢). من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن قزعة قال: سألت ابن عمر آتى الطور؟ قال: دع الطور ولا تأتها وقال: لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. وهذا الاسناد صحيح لا علة



فيه. وقد تابع ورقاء بن عمر سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أخرج هذه المتابعة البيهقى في شعب الايمان (٨ / ١٠٦). وتابعه أيضا ابن جريج، أخرج هذه المتابعة الفاكهى في أخبار مكة (٢ / ٩٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٥ / ١٣١). وقد خالف أصحاب ابن عيينة وهم جمع من الثقات الحفاظ أحمد ابن محمد الازرقي، فرواه عن ابن عمر مرفوعا كما في أخبار مكة لحفيده (٢ / ٦٤ ـ ٦٥). فرواية الازرقي شاذة لمخالفتها لجمع من الثقات. وعليه فتصحيح الالباني لهذه الرواية الشاذة في أحكام الجنائز (ص٢٨٧) خطأ ظاهر. وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. فأخرجه ابن ماجه (١ / ٤٥٢)، والطحاوى في مشكل الاثار (١ / ٢٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين (٢ / ٣٠٩)، والفاكهي في أخبار مكة (٢ / ٩٩)، ويعقوب بن سفيان الفسوى (٢ / ٢٩٥). جميعهم من طريق يزيد بن أبى مريم، عن قزعة بن يحيى، عن عبد الله بن عمرو به مرفوعا وهذا إسناد صحيح. ووقع عند ابن ماجه والطحاوى والطبراني في مسند الشاميين عبد الله بن عمرو مقرونا بأبى سعيد الخدرى. وأما حديث على بن أبى طالب فأخرجه الطبراني في الاءوسط (٨ / ل ٢١٠ / ٢)، والصغير (١ / ١٧٣)، ومن طريقه الضياء المقدسي في فضائل بيت المقدس (رقم ٦). قال الطبراني في المعجم الصغير: حدثنا سلمة بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل الحضرمي الكوفى، حدثنى أبى عن أبيه عن جده سلمة بن كهيل الحضرمي عن حجية بن عدى عن على به مرفوعا. قال الطبراني: لم يروه عن سلمة إلا ابنه يحيى تفرد به ولده عنه. وأشار لهذه الغرابة الضياء المقدسي. وهذا الاسناد شديد الضعف، فإبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة ضعيف وأبوه وجده متروكان. واقتصر الهيثمى في المجمع (٤ / ٣، ٤) على إعلاله بالاول فقط فقال: رواه الطبراني في الصغير والاوسط وفيه إبراهيم بن إسماعيل ابن يحيى الكهيلي وهو ضعيف. اهـ.

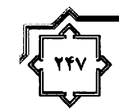


ومتن الحديث معروف من حديث أبي سعيد الخدرى كما تقدم. وأما حديث أبي الجعد الضمرى فأخرجه البزار (كشف الاستار ٢ / ٤)، والطحاوى في مشكل الآثار (١ / ٢٤٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ٣٦٦)، والضياء المقدسي في فضائل بيت المقدس (رقم ٥). جميعهم عن سعيد بن عمرو، ثنا عبثر، عن محمد بن عمرو عن عبيدة بن سفيان، عن أبي الجعد الضمرى به مرفوعا. رجاله ثقات رجال الصحيح.

وقد قال الهيثمي في المجمع (٤ / ٤): رواه الطبراني في الكبير والاوسط ورجاله رجال الصحيح ورواه البزار أيضا. اهـ.

وأما حديث واثلة بن الاسقع فأخرجه الضياء المقدسي في فضائل بيت المقدس (رقم ٧) من طريق أيوب بن مدرك الحنفي عن مكحول عن واثلة بن الاسقع به. وقال الضياء المقدسي: لا أعلم أني كتبته من حديث واثلة إلا من هذا الوجه من رواية أيوب بن مدرك وهو من المتكلمين فيه. اهـ.

وأيوب بن مدرك قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وقال مرة: كذاب، وقال أبو حاتم والنسائي: متروك. ومع ضعف أيوب بن مدرك، ففى الاسناد انقطاع، فإن أيوب بن مدرك عن مكحول مرسل (التاريخ الكبير: ١ / ٤٢٣). فهذا الاسناد من قسم الواهيات. وأما حديث المقدام بن معدى كرب وأبى أمامة رضي الله عنهما فأخرجه أبو نعيم الاصبهاني في الحلية (٩ / ٣٠٨). حدثنا سليمان، ثنا موسى، ثنا محمد بن المبارك، ثنا إسماعيل ابن عياش، عن زيد بن زرعة عن شريح بن عبيد عن المقدام بن معدى كرب وأبى أمامة به مرفوعا. في هذا الاسناد ضعف وانقطاع. أما الضعف فبسبب موسى وهو ابن عيسى بن المنذر هكذا وقع في ترجمة محمد بن المبارك الحمصى في حلية الاولياء مرارا.



وموسى بن عيسى قال عنه الحافظ في اللسان (٦ / ١٢٦ ـ ١٢٧): روى عنه الطبراني وهو من قدماء شيوخه سمع منه قبل الثمانين ومائتين وكتب النسائي عنه فقال: حمصي لا أحدث عنه شيئا ليس هو شيئا. اهـ.

قلت: وقع سماعه في المعجم الصغير (٢ / ١٠٩)، سنة ثمان وسبعين ومائتين. وأما الانقطاع فإن شريحا لم يدرك أبا أمامة ولا المقدام. قال ابن أبي حاتم الرازي سمعت أبي يقول: شريح بن عبيد الحضرمي لم يدرك أبا أمامة ولا الحارث بن الحارث ولا المقدام. اهـ (المراسيل ص٩٠). وأما حديث عمر بن الخطاب فأخرجه البزار في مسنده البحر الزخار (١ / ٢٩١ ـ ٢٩٢). قال: حدثنا يحيى بن محمد بن السكن قال: نا حبان بن هلال وأملاه علينا من كتابه عن همام عن قتاده عن أبي العالية عن ابن عباس عن عمر أن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الاقصى». قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عمر إلا من هذا الوجه من هذا الاسناد وهو خطأ أتى خطؤه من حبان لان هذا الحديث إنما يرويه همام وغيره عن قتادة عن قزعة عن أبي سعيد. اهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٤ / ٤):

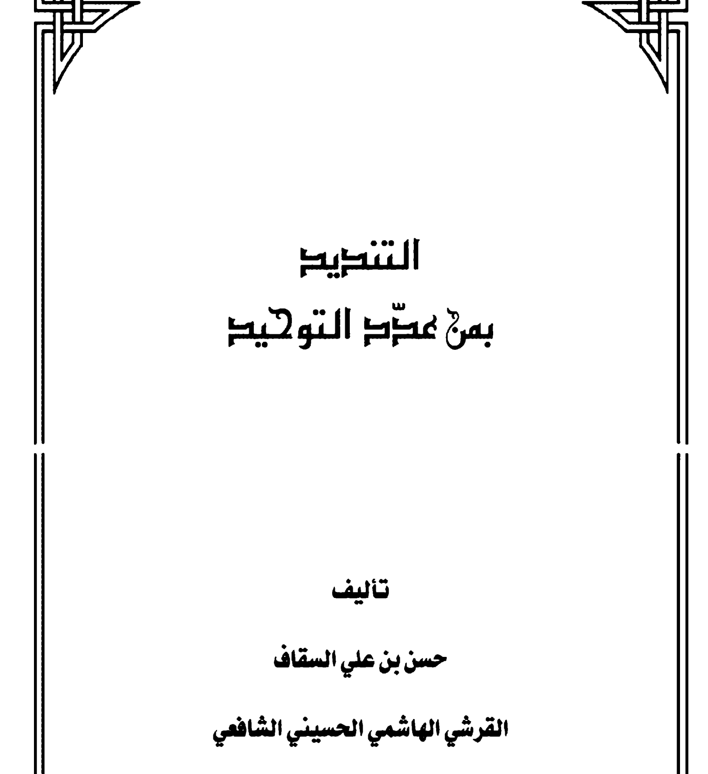
رواه البزار ورجاله رجال الصحيح إلا أن البزار قال: أخطأ فيه حبان بن هلال. اهـ.

وحبان بن هلال (بفتح الحاء) ثقة ثبت متفق عليه لكنه خالف أصحاب همام فجعله من مسند عمر بن الخطاب والصواب أنه من مسند أبي سعيد الخدري كما تقدم. وهكذا رواه أصحاب قتادة من وجوه.

* * *



أنجز الكتاب بحمد الله تعالى، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك. وكتب محمود سعيد بن محمد ممدوح عفا الله عنه



التنديد بمن عدّد التوحيد

تأليف

حسن بن علي السقاف

القرشي الهاشمي الحسيني الشافعي



حسن بن علي السقّاف

وُلِد السقّاف في شهر شوّال من عام (١٣٨٠هـ) ـ الموافق لسنة ١٩٦١م ـ في مدينة عمّان بالأردن، و بعد إنهائه الدراسة الابتدائية و المتوسطة سافر إلى الشام سنة (١٩٧٨م) و درس على يَد علمائها هناك و منهم الشيخ هاشم المجذوب و الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي و الشيخ حسين خطاب و الشيخ أسعد الصاغرجي. و درس على بعض علماء بلده الأردن كالشيخ القاضي مطيع الحمامي أو الشيخ محمد هليل و الشيخ أحمد الخضري، ثمّ سافر بعدها إلى المغرب و هناك حصل على إجازة في علم الحديث و نقل الروايات من عبد الله بن الصديق الغماري أحد محدّثي أهل السنّة الكبار.

خلفيته المهنية

١ ـ عمل مدرّساً في جامعة البلقاء منذ عام (٢٠٠٦م)؛

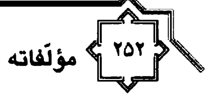
٢ ـ أصبح عضواً في مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية؛

٣ ـ أصبح عضواً فعالاً في مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛

٤ ـ أصبح عضواً في لجنة الإشراف على البرامج الدراسية في وزارة التربية و التعليم في الأردن؛

٥ ـ أصبح مشاوراً أعلى لرئيس مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي في عام (٢٠٠١م)؛

٦ ـ ثمّ مديراً لدار الإمام النووي للتأليف و نشر الأبحاث.



مؤلّفاته

للسقّاف مؤلّفات و كُتب عديدة تزيد على (١١٠) كتاب في مختلف علوم الحديث و الفقه و العقيدة و التفسير، لكنّ أهمّها هو كتابه المسمّى (صحيح شرح العقيدة الطحاوية) ثمّ مقدمة و تحقيق على كتاب العلوّ للذهبي، و صحيح صفة صلاة النبي ﷺ. و من كُتبه القيّمة الأخري ما يلي:

١ ـ شرح لعمدة السالك وعدة الناسك على طريقة المحدثين (٥) مجلدات لباب الحج (مخطوط).

٢ ـ إحتجاج الخائب بعبارة من ادعى الاجماع فهو كاذب (طبع).

٣ ـ الامتاع والاستقصاء لادلة تحريم نقل الاعضاء (مطبوع).

٤ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة. مع تعليقات على رسالة الامام النووي في التصوف (مطبوع) مرتين.

٥ ـ بهجة الناظر في التوسل بالنبي الطاهر (مطبوع).

٦ ـ تعليقات على كتاب المحدث الغماري (إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي) (مطبوع).

٧ ـ الاغاثة بأدلة الاستغاثة (مطبوع).

٨ ـ وهم سئ البخت الذي حرم صيام السبت (مخطوط).

٩ ـ حكم المصافحة والمس والرد على من به مس (مطبوع).

١٠ ـ إمتاع الالحاظ بتوثيق الحفاظ (مخطوط).

١١ ـ التنبيه والرد على معتقد قدم العالم والحد (مطبوع) (مرتين).

١٢ ـ الجام المفتري العنود المتمسلف عمر محمود (مخطوط).

١٣ ـ القول العطر في نبوة سيدنا الخضر (مخطوط).



١٤ ـ تحذير العبد الاواه من تحريك الاصبع في الصلاة (مطبوع).

١٥ ـ الادلة الجلية لسنة الجمعة القبلية (مطبوع).

١٦ ـ إرشاد العاثر إلى وضع حديث أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر (مطبوع).

١٧ ـ التنديد بمن عدد التوحيد (مطبوع).

١٨ ـ رسالة في نجاسة الاسبيرتو والكحول واستعمالهما (مطبوعة) سميناها: الدلائل والنقول في تحريم الكولونيا والاسبيرتو لنجاسة الكحول..

١٩ ـ الرد المنيف على إمام التزييف (مخطوط).

٢٠ ـ تعليقات على رسالة الامام الكوثري (اللامذهبية قنطرة اللادينية) (مخطوط).

٢١ ـ تطهير الصديد النازف من فم الدكتور مروان المجازف (مخطوط).

٢٢ ـ التنكيت على التوضيح وبيان صحة صلاة التسابيح (مخطوط).

٢٣ ـ الباهر (مخطوط).

٢٤ ـ شرح سلم التوفيق الى محبة الله على التحقيق (شرح في التوحيد والفقه والتصوف) يقع في مجلدين. (مخطوط).

٢٥ ـ شرح أبيات العزيزي في مسائل تخلف المأموم عن الامام (مخطوط).

٢٦ ـ إعمال المبارد في الحديد البارد (مخطوط).

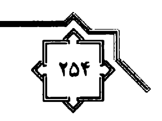
٢٧ ـ حكم الاسلام في صرف العملة وبيان جوازها (مخطوط).

٢٨ ـ اللجيف الذعاف للمتلاعب بأحكام الاعتكاف (مخطوط).

٢٩ ـ كشف الهابط من ضبط الضابط (مخطوط) رسالة في ثلاث ورقات.

٣٠ ـ إبطال التصحيح الواهن لحديث العاجن (مخطوط).

٣١ ـ القام الحجر للمتطاول على الاشاعرة من البشر (مطبوع).



٣٢ـ الادلة المقومة لا عوجاجات المجسمة (مخطوط).

٣٣ـ الاتحاف بأسانيد وشيوخ حسن بن علي السقاف (مخطوط).

٣٤ـ تعليقات وتكملة على كتاب المحدث الغماري (فتح المعين بنقد كتاب الاربعين للهروي المجسم) (مطبوع).

٣٥ـ مقالة في رثاء العلامة محمد عبدو هاشم رحمه الله.

٣٦ـ مجموعة فتاوي ومسائل علمية وأبيات شعرية علمية في جزئين (مخطوط).

٣٧ـ إعلام المبيح الخائض بتحريم مس القرآن وقراءته على الجنب والحائض (مطبوع).

٣٨ـ القول المبتوت بصحة حديث صلاة الصبح بالقنوت (مطبوع).

٣٩ـ تعليقات على رسالة المحدث الغماري بيني وبين الشيخ بكر (مطبوع).

٤٠ ـ برد الاكباد في الانتصار للعلامة الصابوني من إفتراء متعصبي العباد (مخطوط).

٤١ ـ الشهاب الناري المنقض على عدو المحدث الغماري (مطبوع).

٤٢ ـ إرشاد الحيران لفساد قولهم في المسألة قولان (مخطوط).

٤٣ ـ تناقضات الالباني الواضحات، الجزء الاول في مجلد (مطبوع) فيه ذكر (٣٠٠) تناقض وخطأ للالباني طبع سبع مرات.

٤٤ ـ إمعان النظر في مسألتي المسح على الخفين والجمع بين الصلاتين في المطر (مطبوع).

٤٥ ـ تعليقات على (دفع شبه التشبيه) (مجلد) مطبوع.

٤٦ ـ قاموس شتائم الالباني (مطبوع).

٤٧ ـ البراهين الناسفة للانوار الزائفة (مطبوع).



٤٨ ـ الشهاب الحارق المنقض على إيقاف المتناقض!! المارق (مطبوع).

٤٩ ـ أقوال الحفاظ المنثورة في وضع حديث رأيت ربى في أحسن صورة (مطبوع).

٥٠ ـ تناقضات الالباني الواضحات (الجزء الثاني) فيه (٦٥٢) ممسك ومأخذ ما بين تناقض وخطأ (مطبوع).

٥١ ـ شرح جوهرة التوحيد على طريقة المحدثين المسمى (عقد الزبرجد النضيد في شرح جوهرة التوحيد)

٥٢ ـ تعليقات على رسالة المحدث الغماري بيني وبين الشيخ بكر (مطبوع).

٥٣ ـ برد الاكباد في الانتصار للعلامة الصابوني من إفتراء متعصبي العباد (مخطوط).

٥٤ ـ الشهاب الناري المنقض على عدو المحدث الغماري (مطبوع).

٥٥ ـ إرشاد الحيران لفساد قولهم في المسألة قولان (مخطوط).

٥٦ ـ تناقضات الالباني الواضحات، الجزء الاول في مجلد (مطبوع) فيه ذكر (٣٠٠) تناقض وخطأ للالباني طبع سبع مرات.

٥٧ ـ إمعان النظر في مسألتي المسح على الخفين والجمع بين الصلاتين في المطر (مطبوع).

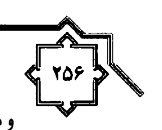
٥٨ ـ تعليقات على (دفع شبه التشبيه) (مجلد) مطبوع.

٥٩ ـ قاموس شتائم الالباني (مطبوع).

٦٠ ـ البراهين الناسفة للانوار الزائفة (مطبوع).

٦١ ـ الشهاب الحارق المنقض على إيقاف المتناقض!! المارق (مطبوع).

٦٢ ـ أقوال الحفاظ المنثورة في وضع حديث رأيت ربى في أحسن صورة (مطبوع).



٦٣ ـ تناقضات الالباني الواضحات (الجزء الثاني) فيه (٦٥٢) ممسك ومأخذ ما بين تناقض وخطأ (مطبوع).

٦٤ ـ شرح جوهرة التوحيد على طريقة المحدثين المسمى (عقد الزبرجد النضيد في شرح جوهرة التوحيد) تحت الطبع.

٦٥ ـ رسالة في عدم جواز قول (عدد كمال الله) مخطوط.

٦٦ ـ البيان الكافي بعدم صحة نسبة كتاب الرؤية للدارقطني بالدليل الوافي (طبع).

٦٧ ـ الشماطيط في بيان ما يهذي به الالباني في مقدماته من تخبطات وتخليط (مطبوع). وهناك مؤلفات ورسائل لم تكمل بعد نذكر أسماءها في المطبوعات الجديدة إن شاء الله تعالى.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

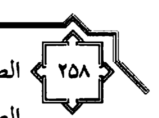
لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عبده المصطفى، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه المنتخبين أهل الوفا، ومن لهم اقتفى.

أما بعد: فهذا جزء لطيف، ومنار منيف، أثبت فيه إبطال التثليث في تقسيم التوحيد إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات، حيث انتشر هذا التقسيم في هذا الزمان، وقد دعاني إلى ذلك ما رأيت من بعض من كتب في التوحيد والعقائد إثبات هذا الفرق واستساغته تقليدا من غير استبصار بحقيقة الامر والحال، وخصوصا أن هذا التقسيم لا يعرف عند السلف البتة وإنما اخترع هذا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري، فأردت التنبيه عليه لئلا يغتر بهذا التقسيم أحد من طلاب العلم، فنسأل الله تعالى لنا الاعانة، فيما توخينا من الابانة.

ولا بد أيضا من التنبيه على القسم الثالث للتوحيد وهو: (توحيد الاسماء والصفات) وبيان المراد منه عند من يقول به في هذه الرسالة المختصرة وبالله تعالى التوفيق. (فاعلم): أن تقسيم التوحيد إلى هذه الاقسام الثلاث تقسيم غير صحيح، تكلم به بعض متأخري المصنفين منهم صاحب شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز المنسوب للحنفية خطأ الذي رد على صاحب الكتاب الاصلي الامام أبي جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله أثناء شرحه على كتابه ـ متن



الطحاوية ـ في التوحيد فزيف ابن أبي العز بعض كلام الامام أبي جعفر الطحاوي ﷺ، وظهر بشوب الدعوة إلى مذهب السلف الصالح، فخالف حقيقة صريح الكتاب والسنة والاجماع وعقيدة أهل السنة والجماعة الوارد في كلام الامام أبي جعفر الطحاوي، وظن الساعون في نشر هذا الشرح للطحاوية والمروجون له أنهم يستطيعون أن يقنعوا الناس بأنه يمثل عقيدة الاسلام الحقة حيث ستروا وغطوا ما لم يعجبهم من عقيدة الطحاوي ﷺ وهي العقيدة المتفق على قبولها وصحتها والتى تمثل عقيدة أهل الحق من أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية بهذا الشرح المشحون بالاخطاء والمغالطات المختلفة المتنوعة!!، وكما قيل: لا يضر الفضل إقلال كما لا يضر الشمس إطباق الطفل وقد نص ابن أبي العز في شرحه المذكور على هذا التقسيم فقال[1]: (فان التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدهما الكلام في الصفات، والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والثالث: توحيد الالهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له) اهـ. فلنبدأ بإثبات تحقيق عدم وجود هذا التقسيم وتفنيد هذه العبارة فنقول وبالله تعالى التوفيق.

١ . انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، بتخريج الالباني، وتوضيح الشاويش المقرين لما فيها جملة وتفصيلا، طبع المكتب الاسلامي، الطبعة السادسة ص (٧٨).

تمهيد

لقد أرسل الله تعالى سيدنا محمدا ﷺ بكلمة التوحيد (لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله) وحث عليهـا ووعـد قائلهـا ومعتقـدها الجنـة، وقـد وردت بـذلك الآيات والاخبار الصحيحة، منها قـول الله تعـالى: ﴿فَـاعْلَمْ أَنَّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا اللهُ﴾ (محمد: ١٩)، ومنها قوله: ﴿وَمَن لَمْ يؤْمِنْ بِـالله وَرَسُـولِهِ فَإِنَّـا أَعْتَـدْنَا لِلْكَـافِرِينَ سَعِيراً﴾ (الفتح: ١٣)، وقال النبي ﷺ: «مـن شـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته[1] ألقاها إلى مريم وروح منه[2]، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنـة عـلى مـا كـان مـن عمل» رواه البخاري (٦ / ٤٧٤ فتح) ومسلم (١ / ٥٧ برقم ٤٦). وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» رواه البخـاري (١ / ٧٥ فتح) ومسلم (١ / ٥٣ برقم ٣٦). فمن هذه الايات الكريمة والاحـاديث الشريفة يتضح وضوحا جليا أن الله سبحانه بين لنا أن التوحيد هو (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولم يذكر الله تعالى في كتابه، ولا النبي ﷺ في سنته أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات، بل

---

١ . معنى ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أي: بشارته أرسلها بواسطة الملك إلى السيدة مريم.

٢ . معنى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: منه خلقا وتكوينا، لا جزءا كما تعتقد النصارى.

لم ينطق بهذا التقسيم أحد من الصحابة، بل ولا أحد من التابعين، بل ولا أحد من السلف الصالح رضي الله عن الجميع. بل إن هذا التقسيم بدعة خلفية مذمومة حدثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن النبي ﷺ بنحو ثمانمائة سنة، ولم يقل بهذا التقسيم أحد من قبل، والهدف من هذا التقسيم عند من قال به هو تشبيه المؤمنين الذين لا يسيرون على منهج المتمسلفين بالكفار، بل تكفيرهم بدعوى أنهم وحدوا توحيد ربوبية كسائر الكفار بزعمهم!! ولم يوحدوا توحيد ألوهية ـ وهو توحيد العبادة الذين يدعونه ـ وبذلك كفروا المتوسلين بالانبياء عليهم الصلاة والسلام أو بالاولياء وكفروا أيضا كثيرا ممن يخالفهم في أمور كثيرة يرون الصواب أو الحق على خلافها، وكل ذلك سببه ذلك الحراني، وعلى ذلك سار شارح الطحاوية ابن أبى العز الملقب بالحنفي فخالف الامام الحافظ الطحاوي الحنفي في عقيدته في مواضع عديدة! منها أن صاحب المتن الامام الطحاوي ينفي الحد عن الله سبحانه والشارح يرد عليه فيثبت الحد! ومنها أن صاحب المتن ينفي الجهة وينزه الله سبحانه أن يوصف بها والشارح يرد عليه فيثبتها! حتى قال العلامة علي القاري الحنفي عن شارحها ابن أبي العز في شرح الفقه الاكبر ص (١٧٢) بأنه: (صاحب مذهب باطل، تابع لطائفة من المبتدعة). ولا بد أن نبطل هذا التقسيم للتوحيد في هذه المقدمة الصغيرة المتواضعة باختصار تلخيصا للبحث الذي تحويه هذه الرسالة التي سنسلك فيها طريقة:

خير الكلام ما قل ودل، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

(أولا): لا يعرف في الشرع اطلاق اسم موحد على من كفر ولو بجزء من العقيدة الاسلامية وذلك بنص الكتاب والسنة، بل لا يجوز أن نقوّل الشرع ما لم يقل ولم يرد، فلا يحل لنا أن نطلق على من كان يقر بوجود الله ويدرك أنه هو الإله المستحق للعبادة دون أن يذعن ويدخل في هذا الدين بأنه موحد، بل نطلق عليه



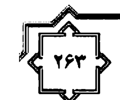
أنه كافر، بدليل قول الله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣). فقد وصفهم الله تعالى بالكذب وبالكفر، بل وصفهم بصيغة مبالغة وهي: (كفار) كما تقول: ضارب وضراب. فكيف يقال إنهم موحدون توحيد ربوبية والله تعالى وصفهم بالكفر صراحة؟!!

(ثانيا): هؤلاء الكفار الذين كانوا يقولون فيما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ (الزمر: ٣٨) و (لقمان: ٢٥)، والذين كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣)، ما كانوا يقرون بتوحيد ربوبية لو سلمنا جدلا بقسم توحيد الربوبية، وما كانوا يقرون بوجود الله تعالى، ولذلك أدلة سأوردها الآن إن شاء الله تعالى، وإنما قالوا ذلك عند محاجة النبي ومجادلته إياهم وإفحامه لهم بالادلة التي تثبت وجود الله تعالى وتبطل إلهية ما يعبدون من دون الله سبحانه.

فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يجادلهم ويناقشهم في عقيدتهم وباقي أمورهم الفاسدة ليثبت لهم الحق قائلا له: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، فلما كان ﷺ يثبت لهم وجود الله ووحدانيته وأن لا إله إلا هو سبحانه ويلزمهم بترك عبادة هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها ويسجدون لها من دون الله، كانوا يتحرجون ولا يعرفون بماذا سيجيبون فكانوا يقولون عند سؤال النبي ﷺ لهم: من خلق السموات والارض؟: الله. وكانوا يتحججون قائلين (ما نعبدهم) أي هذه الاوثان (إلا ليقربونا إلى الله زلفى). وهذا كذب صريح منهم لانهم ما كانوا يعتقدون بوجود الله الذي خلق السموات والارض البتة بدليل أن الله أمرهم في القرآن الكريم أن يتفكروا في خلق السموات والارض ليعرفوا أن لها إلها خلقها وأوجدها فيؤمنوا به، قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَىٰ

الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ١٧ ـ ٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٣ ـ ١٦٤). فكانوا يردون ما جاء في صدر هذه الايات الشريفة قائلين: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص: ٥)، ولو كانوا مقرين بأن الله سبحانه هو خالق السموات والارض وما فيهن، لما ذكر الله لهم تلك الايات الآمرة بالتفكر في الابل كيف خلقت وفي الجبال كيف نصبت وفي الارض كيف سطحت وفي السماء كيف رفعت. فقولهم عند سؤال النبي لهم وقت إلزامهم الحجة في المناظرة: من خلق السموات والارض؟! فيقولون: الله. وقولهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾ ما هو إلا كذب وكفر بنص القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى في آخر الاية: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣)، كما قال سبحانه ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ (التوبة: ٨). فلا يحل ولا يجوز لانسان أن يستنبط بعد هذا البيان من الايتين (ما نعبدهم..) و (ولئن سألتهم..) أنهم كانوا موحدين توحيدا يسمى توحيد ربوبية، بل هذا استنباط معارض لنص القرآن الذي حكم عليهم بالكفر بل بالمبالغة بالكفر، ومنه يتبين أنه استنباط سطحي سخيف لا يقول به الا من لم يتعمق في فهم آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وقواعد علم التوحيد المبنية على الكتاب والسنة الصحيحة، والذي يؤكد ذلك:

(ثالثا): أن أولئك الكفار اشتهر عنهم أنهم كانوا يعبدون تلك الاصنام

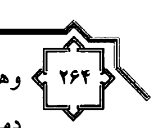


ويحجون لها ويتقربون إليها ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ الله آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (يس: ٧٤)، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٩ ــ ٢٠). بل واشتهر عنهم أنهم كانوا يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر. قال الله تعالى مخبرا لنا عنهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا الاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1] (الجاثية: ٢٤). بل قال للنبي ﷺ أحدهم: ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨)، فرد الله عليه ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩). فهل يجوز لنا بعد هذا أن نصف من لا يقر بأن الله خالق ومحيي بأنه موحد توحيد ربوبية والله تعالى يقول عنه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣). بل بلغ من كفرهم ما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز إذ قال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ انَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ (الفرقان: ٦٠)، فهل هؤلاء يقولون بوجود الرحمن الرحيم؟!! ولو كانوا يقرون أن الله هو الخالق لما قال الله لهم: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)، وعبر بالاله أيضا ولم يعبر بالرب إشارة الى أنهم لا يوحدون لا الرب ولا الاله ولان الرب هو الاله، والاله هو الرب.

(رابعا): ابن تيمية الذي اخترع تقسيم التوحيد الى ألوهية وربوبية يقول إن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية دون توحيد الالوهية وأن المسلمين الذين يخالفونه في آرائه كذلك وحدوا ربوبية ولم يوحدوا ألوهية، فهو يكفرهم بذلك،

---

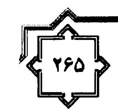
١ . والحق والواقع أن من ثلث التوحيد وقسمه إلى ثلاثة أقسام أبطل ـ سواء قصد أم لا ـ وألغى مثل هذه الايات الثابتة كالجبال في كتاب الله تعالى زيادة على قصده الباطل من هذا التقسيم الذي فيه عدة مخالفات ومحظورات شرعية!! فالله تعالى المستعان!!



وهذا مراده من هذا التقسيم. قال في كتابه (منهاج السنة) (٢ / ٦٢) بعد أن دمج وخلط بعض أئمة الاسلام كالسهروردي[١] وأبي حامد الرازي والامدي وغيرهم بمن يخالفهم في آرائهم من الفلاسفة كأرسطوطاليس والفارابي وابن سينا ما نصه: (دخلوا في بعض الباطل المبدع، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الالهية وإثبات حقائق أسماء الله ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية وهو الاقرار بان الله خالق كل شئ وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ لقمان: ٢٥). وهذه مغالطة منه وتلبيس، وهو كلام غلط كما بينا. وهل يعقل عاقل أو يقول إنسان بأن فرعون الذي كان من جملة المشركين كان يوحد ربوبية ولا يوحد ألوهية؟!. وهو الذي يقول ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)، كما أنه هو القائل ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤) ولو كان يقر بالربوبية لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، بل لقال: (أنا الهكم الاعلى). ولو تذكر ابن تيمية قول الله تعالى في سورة الاعراف: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الاعراف: ٧٦)، وقول سيدنا يوسف عليه السلام ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩)، وقول سيدنا ابراهيم عليه السلام ﴿ءَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصافات: ٨٦)، مع قول الله عزوجل ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً﴾ (يس: ٧٤)، وقول الكفار حينما دعاهم الرسول ﷺ الى كلمة التوحيد ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً﴾ (ص: ٥) لاستحى

---

١ . علما بأن السهروردي من علماء أهل السنة والجماعة، وعنه ينقل أكابر الائمة وعلماء الاسلام العقيدة، فالامام الحافظ ابن حجر العسقلاني ينقل عنه في الفتح (١٣ / ٣٩٠ سلفية دار المعرفة) مذهب السلف الصالح في الصفات ويقول عقب ذلك: قال الطيبي: هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح اهـ.



أن يفوه بذلك! ومن هذا الايضاح والبيان يتبين بطلان تقسيم التوحيد إلى هذه الاقسام، بل يتضح أن هذا التقسيم يعارض القرآن وعقيدة الاسلام، فلا يصح أن يقال: هذا تقسيم تعليمي، بل يجب أن يقال هذا تقسيم مغلوط معارض للقرآن الكريم. ويجب أن يعلم كل أحد أن شرح الطحاوية يحوى هذا الخطأ وهذه الاغلاط المتناقضة، وأن التعويل على مثل هذا الكتاب واعتماد تدريسه ما هو إلا خطأ جسيم لم يتنبه له كثير من المدرسين والطلاب فاحذروه واتقوه وإني لكم منه نذير مبين.

[تنبيه]: اعلم أن متن الطحاوية وهو الكتاب الذي صنفه الامام أبو جعفر الطحاوي ﵀، كتاب صحيح مستقيم من أحسن كتب العقيدة التي تمثل اعتقاد السلف الصالح، ولانه أيضا ـ أعني الطحاوي ـ ذكر في مقدمة ذلك الكتاب أنه عقيدة الامام الاعظم أبو حنيفة ﵁ وصاحبيه محمد بن الحسن والقاضي أبو يوسف. وأما شرحه المنتشر في الاسواق لابن أبي العز ففيه أمور كثيرة مخالفة للكتاب الاصلي ـ متن الطحاوية ـ، وفيه أيضا عقائد فاسدة كإثبات قدم العالم بالنوع وتسلسل الحوادث الى غير أول[١]، وإثبات الحد لذات الله تعالى[٢]، وإثبات الحرف والصوت لكلامه سبحانه[٣] وقيام الحوادث بذات الله سبحانه[٤] إلى غير ذلك من أخطاء جسيمة، وأغلاط أليمة، فتنبهوا.

---

١ . وذلك صفحة (١٢٩) من الطبعة الثامنة / المكتب الاسلامي.

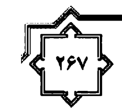
٢ . انظر ص (٢١٩) من شرح الطحاوية، وقد رددنا هذا وأبطلناه في رسالتنا (التنبيه والرد على معتقد قدم العالم والحد) فارجع إليها.

٣ . انظر ص (١٦٩) من شرح الطحاوية.

٤ . انظر ص (١٧٧) من شرح الطحاوية.

فصل هام

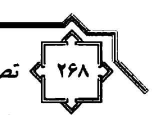
بيان أن من اعترف بوجود الله ولم يوحده فهو كافر إجماعا ولا يسمى موحدا توحيد ربوبية بنص القرآن الكريم وتنزلا مع بعض أصحاب العقول ذات التفكير السطحي الضحل وعلى سبيل الجدل المنصوص على جوازه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أقول: هب أن هناك قسما من الجاهليين أو من أي طائفة من طوائف الكفار فيها أشخاص يقرون ويعترفون في غير مجال المضايقة في المناظرة، بأن الله هو الخالق المحي المميت، فإن هذا الاقرار منهم أو هذه المعرفة لا تجعل صاحبها يسمى أو يطلق عليه مؤمنا أو موحدا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا البتة، أما شرعا فلأدلة منها قوله تعالى: ﴿أَلاَ لله الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَىٰ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣)، فقد صرح هذا النص لنا بأن الواحد من أولئك مع قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَىٰ﴾ وتسليمنا جدلا بأنه مقر بقلبه بأنه معترف بوجود الله!! وهو ما يسميه الخصم (توحيد الربوبية) ومع ذلك كله أطلق عليه الله تعالى في كتابه كما ترون بأنه (كاذب كفار). وأما اللغة والعرف فلم يرد عن سيدنا رسول الله ﷺ في سنته الواسعة أنه سماهم موحدين للربوبية، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه قال في حقهم أو عنهم (إيمان دون إيمان) مثل ما نقل عن بعضهم كابن عباس رضي الله عنهما وغيره أنه قال في بعض الامور (كفر دون كفر) وهذا مما يؤكد لنا ويدل بأن اللغة التي كان ﷺ وأصحابه ينطقون بها والعرف الذي كان سائدا بينهم يمنعان إطلاق موحد أو توحيد ربوبية على ذلك الانسان. ثم إن الايمان والتوحيد والعقيدة هو (ما وقر في القلب وصدقه العمل) وتعريف



الايمان والتوحيد واضح من حديث سيدنا جبريل في السؤال عنه الذي رواه مسلم، وظاهر في كتب التوحيد التي نصت على أن الايمان أو الدخول في التوحيد هو (الاتيان بالشهادتين لسانا مع الاقرار القلبي بكل ما جاء عن الله تعالى ورسوله مع الاذعان) فأين ذلك من ذا، وبذلك اتضح جليا بطلان ما ذهب إليه المخالف وادعاه، والله الموفق.

وأما القسم الثالث من التوحيد وهو ما سموه بتوحيد الاسماء والصفات فقد أشار إليه وذكره ابن تيمية في منهاج سنته (٢ / ٦٢) باسم (إثبات حقائق أسماء الله وصفاته) والمراد من هذا القسم إثبات التشبيه والتجسيم وبيان أنه غير مذموم، ولا تستعجب أخي القارئ من ذلك، واصبر فإنني سأنقل لك ذلك من كتب ابن تيمية مثبتا رقم المجلد والصحيفة. قال ابن تيمية في كتابه التأسيس (١ / ١٠١): (وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الامة وأئمتها أنه ليس بجسم وأن صفاته ليست أجساما وأعراضا؟! فنفي المعاني الثابتة بالشرع والعقل بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل، جهل وضلال) اهـ. وابن تيمية يقول كما هو ثابت عنه في كتبه وكما هو مشهور: (لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه)!! فنقول له: إذا كنت لا تصف الله إلا بما وصف به نفسه فلماذا تثبت استقرار الله تعالى عما تقول على ظهر بعوضة وتجوزه، هل هذا هو توحيد الاسماء والصفات أيها الشيخ الحراني؟! وهل هذا مما وصف الله به نفسه؟!

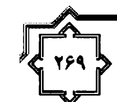
قال ابن تيمية في كتابه (التأسيس في رد أساس التقديس) (١ / ٥٦٨): (ولو قد شاء ـ الله ـ لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم) اهـ. فهل من التوحيد الخالص أيها الشيخ الحراني ويا من تتعصبون لارائه الشاذة أن تجوزوا استقرار رب العالمين سبحانه وتعالى عما



تصفون على ظهر ذبابة أو بعوضة؟! ولقد استحى عباد الاوثان والمشركون أن يصفوا آلهتهم بذلك!! وهل من توحيد الاسماء والصفات إثبات الحركة لله تعالى كما يقول ابن تيمية في كتابه (موافقة صريح المعقول) (٢ / ٤) على هامش منهاج سنته وقد نسب ذلك لاهل الحديث والسلف زورا؟!! وأين وصف الله تعالى نفسه في كتابه بلفظ الحركة؟! وابن تيمية يقول في كتابه التأسيس (١ / ١٠١): (وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الامة وأئمتها أنه ليس بجسم وأن صفاته ليست أجساما وأعراضا) اهـ. ونقول له: بل في كتاب الله وفي سنة رسول الله وفي كلام السلف نفي لذلك، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، وقال ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ (الاخلاص: ٤)، وهذا نص صريح في القرآن في تنزيه الله عن الجسمية والتركيب لان الجسم له مكافئ ومماثل، ولا يصح أن يقال فيه ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

وأما السنة: فقد روى الامام الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٤٠) عن أبى بن كعب ﷺ: (أن المشركين قالوا: يا محمد أنسب لنا ربك. فأنزل الله عزوجل: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾ قال: الصمد الذى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، لانه ليس شئ يولد الا سيموت، وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ قال: (لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شئ). قال الحاكم: (صحيح الاسناد ولم يخرجاه) وقال الذهبي: (صحيح) وسكت عليه الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) (١٣ / ٣٥٦).

قلت: وهو صحيح. وسيأتى بعد صحيفة ان شاء الله تعالى عن الامام أبى حنيفة ذم التشبيه، وذكر الحافظ البيهقى في كتابه مناقب الامام أحمد الذى هو من أئمة السلف ورؤساء المحدثين ﷺ ما نصه: (أنكر أحمد على من قال بالجسم



وقال ان الاسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل). انتهى بحروفه.

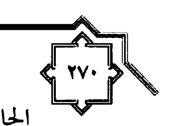
وهذا الكلام من الامام أحمد ينسف كلام ابن تيمية نسفا، وابن القيم تلميذ ابن تيمية يثبت في كتاب (بدائع الفوائد) (٤ / ٣٩) أن الله يجلس على العرش، ويجلس بجنبه سيدنا محمد ص وهذا هو المقام المحمود[١] (١٠)! ويثبت في كتابه (الصواعق المرسلة) أن لله ساقين، وأنه إذا لم يذكر الله في كتابه إلا ساقا واحدة فهذا لا ينفي أنه ليس له ساق أخرى فيقول ما نصه: (هب أنه سبحانه أخبر أنه يكشف عن ساق واحدة هي صفة، فمن أين في ظاهر القرآن أنه ليس له سبحانه الا تلك الصفة الواحدة؟ [٢] وأنت لو سمعت قائلا يقول: كشفت عن عيني وأبديت عن ركبتي وعن ساقي هل يفهم منه أنه ليس له إلا ذلك الواحد فقط؟) اهـ.

فانظر الى هذا التجسيم الصريح وإلى هذا الهراء والهذيان ص (٣١ ــ ٣٢) من (مختصر الصواعق المرسلة) (طبع مكتبة الرياض الحديثة) وانظر كتاب (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) لابن القيم (١ / ٢٤٥ طبع دار العاصمة الرياض) وابن القيم متعصب لذلك وسائر على قاعدة شيخه الحراني التي أسسها له في كتابه التأسيس (١ / ١٠٩) حيث قال هناك: (وإذا كان كذلك فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين) ا هـ!!.

---

١ . مع أنه ثبت في الصحيحين تفسير المقام المحمود بالشفاعة وارجع إلى تعليقنا على كتاب الحافظ ابن الجوزي ﷺ (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) ص١٢٧ التعليق رقم (٥٣).

٢ . أعوذ بالله تعالى من هذا الهذيان!!!

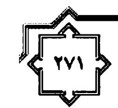


قلت: ليس كذلك!! وأبسط مثال لهدم هذا الكلام غير ما تقدم قبل قليل أن الحافظ الذهبي. ذكر في (سير أعلام النبلاء) (٧/ ٢٠٢) نقلا عن الامام أبي حنيفة رحمه الله أنه قال:

(أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه) اهـ. فخذ مجدك في التجسيم يا ابن القيم!! ولا يهمّك المعارضون من أهل السنة!! الذين تلقبهم بالجهمية والمعطلة!! وقد أثبت ابن القيم أيضا جنبا لله تعالى عما يقول!! واستنبط ذلك من قوله تعالى ﴿يَاحَسْرَتَي عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ﴾ (الزمر: ٥٦)، ففي (الصواعق المرسلة) (١ / ٢٥٠) و (مختصر الصواعق) للموصلي (١ / ٣٣) ما نصه: (هب أن القرآن دل على إثبات جنب هو صفة، فمن أين لك ظاهره أو باطنه على أنه جنب واحد وشق واحد؟ ومعلوم أن إطلاق مثل هذا لا يدل على أنه شق واحد، كما قال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب**» وهذا لا يدل على أنه ليس للمرء إلا جنب واحد). اهـ!!!

قلت: وهل يصح قياس الله سبحانه وتعالى بعمران بن حصين وتشبيهه به؟! وهل يقول أحد من الموحدين أن لله جنبا؟!. والله ما الاتيان بمثل هذا الكلام في الصفات إلا رجوع للوثنية الاولى فـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الصافات: ١٨٠)!!!! وامام ابن تيمية وقدوته في هذه الطامات هو أبو يعلى الحنبلي[1] الذي كان يقول: (ألزموني ما شئتم إلا اللحية والعورة) أي في صفات الله تعالى!! كما نقل ذلك ابن العربي المالكي في كتابه (العواصم) (٢ / ٢٨٣) وهذا هو توحيد الاسماء والصفات الذي يريدونه والذي يحاولون إثباته

١ . وقد رد على أبي يعلى هذا الحافظ ابن الجوزي في كتابه المشهور (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) وقد حققناه وعلقنا عليه وقدمنا له ما يشفي غليل طالب الحق.



وقد أثبتوا هذا التقسيم ليقولوا للناس: إن هذه الصفات التي أثبتناها من أنكر منها شيئا فتوحيده ناقص وغير صحيح، ويلزم من ذلك أن يكون كافرا، ليهاب الناس من إنكار هذه الصفات التي ابتدعوها وأطلقوها على الله تعالى خشية أن لا يكونوا قد وحدوا توحيد الاسماء والصفات. فتأمل.

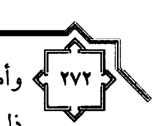
وكتاب أبي يعلى في الصفات المسمى بـ (ابطال التأويل) فيه من الطامات والعجائب ما يكفي لاي لبيب أن يحكم على مصنفه أنه ليس معه من الاسلام خبر كما قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه)، ولا معه من تنزيه الله شئ معتبر، وقد طبع حديثا جزء منه، بتحقيق أحد البسطاء، وهو دليل قاطع عند أي قارى لبيب على الوثنية التي يدعو إليها هؤلاء باسم: توحيد الاسماء والصفات.

[تنبيه مهم جدا]:

ومما يدل على أن هؤلاء المتمسلفين أتباع ابن تيمية وابن القيم مجسمة أيضا يسيرون على نفس نهج شيخيهما، مؤلفاتهم المطبوعة والتي تثبت ذلك، منها كتاب طبع حديثا لمتمسلف وهابي يدعى (عبد الله بن محمد الدويش) اسم الكتاب (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) يسفه فيه الشيخ (سيد قطب) ويصفه بالابتداع وأنه جهمي أشعري معتزلي واليك بعض ما يقول هذا المتمسلف:

١ ـ يقول ص (١٠) ما نصه: (فقد عاب ـ سيد قطب ـ قول أهل السنة والجماعة وهذا هو مسلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وسيجئ من كلامه ما يبين أنه سلك مسلكهم). اهـ.

٢ ـ ويقول ص (١٩) ما نصه: (وأقول قوله ـ سيد قطب ـ في التوجه إلى الله الذي لا يتحيز في مكان، هذا قول أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والاشاعرة،

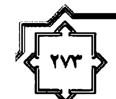


وأما أهل السنة والجماعة فلا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه..). ثم قال بعد ذلك بخمسة أسطر في نفس الصحيفة ذاما أهل البدع بنظره ما نصه: (ومقصودهم بها نفي الصفات كالجسم والتحيز..). اهـ فهو يرى تبعا لابن تيمية وابن القيم أن من صفات الله تعالى الجسم والتحيز، وأن كلام سيد قطب والاشاعرة الذين ينزهون الله عن التحيز والمكان ويقولون ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، مبتدعة جهميون، فالله حسيبه وحسيب هذه الطائفة. وقد قال الامام الحافظ القرطبي في كتابه (التذكار) في شأن المجسمه ص (٢٠٨): (والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الاصنام والصور) اهـ. وكذلك قال الامام النووي ﷺ في (المجموع) شرح المهذب (٤ / ٢٥٣). بل أجمعت الامة على تكفير المجسمة كما هو معلوم.

٣ـ صاحب كتاب (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) متمسلف وهابي يرى تضليل كل من خالف مشربهم، يدل على ذلك أنه يقول ص (١٣): (وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام هذه الدعوة قدس الله روحه..)!!! وأنه حيثما ذكر ابن تيمية وصفه بشيخ الاسلام دون باقي العلماء، فليتدبر أولو الابصار وليستيقظ النائمون.

[تكميل]:

يجدر بنا في هذا المقام أن نلفت نظر أهل العلم إلى ان ابن أبى العز المنسوب للحنفية، صاحب شرح الطحاوية الذي خالف عقيدة الامام الحافظ الطحاوي ونصوصه قائل بالتفريق بين توحيد الالوهية والربوبية، وأن المكتب الاسلامي الذي طبع ذلك الشرح بتوضيح الشاويش مديره، وتخريج الالباني إمامه وشيخه سابقا!! قد وضعوا صورة بعض صفحات مخطوطة شرح الطحاوية (الباطل) وتعمدوا أن تكون تلك الصفحات هي التي ذكر فيها توحيد الالوهية وتوحيد



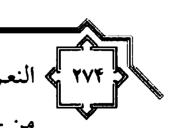
الربوبية (انظر ص٦٤ من الطبعة الثامنة)، ثم إن موضحها الشاويش، ومحققها!! ومخرج أحاديثها!! الالباني وضع على الغلاف الداخلي كلام الامام الحافظ السبكي في قوله عن عقيدة الطحاوي: (جمهور المذاهب الاربعة على الحق يقرون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفا وخلفا بالقبول) ليوهما البسطاء أن هذا الثناء من الامام الحافظ السبكي يشمل أيضا شرحها الذي صنفه ابن أبي العز المنسوب للحنفية، والحق خلاف ذلك وهذا منهما تدليس وقلب للحقائق من أوجه:

(الاول): أن هذا الشرح كتب بعد وفاة الامام السبكي.

(الثاني): أن الامام السبكي ﵀ لا قيمة لكلامه عند هؤلاء المتمسلفين لانه أشعري العقيدة، ولانه لا يحب ابن تيمية ويعرف حقيقة أمره وفداحة غلطه وهو محذر منه. فإيرادهما لكلام الامام الحافظ السبكي هنا هو لايهام البسطاء والمبتدئين وأنصاف المتعلمين أن الامام السبكي يثني على هذا الشرح الذي صنفه ابن أبي العز المليء بمخالفات عقيدة الاسلام، كقدم العالم بالنوع، وإثبات حوادث لا أول لها، وقيام الحوادث بذات الله تعالى وإثبات الحد له تعالى والجهة وغير ذلك، وفعلا انطلى هذا التمويه على كثير من الناس وراج الكتاب بسبب ذلك وخصوصا: (الثالث): أن الناشر ـ الشاويش ـ قام بأمر شيخه! وإمامه! سابقا!! الالباني بالتلاعب في ص (٥) من الطبعة الثامنة في الحاشية حيث لم ينقل كلام الامام الحافظ السبكي بتمامه وبحروفه بل حرفه وحذف منه ما سيكون وبالا عليه عند الله تعالى، ولننقل ما ذكره الناشر هناك، ثم نردفه بكلام الامام السبكي من كتابه معيد النعم: قال الناشر[1]: كلمة العلامة السبكي في كتابه (معيد

---

١ . وبصراحة لا يحمل إثم هذا العمل الناشر فحسب إنما يحمل إثم ذلك شيخه المتناقض! الذي كان يملي على الناشر هذه الافكار.

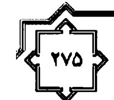


النعم) هي: (وهذه المذاهب الاربعة ـ ولله تعالى الحمد ـ في العقائد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفا وخلفا بالقبول) اهـ.

والامام السبكي يقول حقيقة في كتابه (معيد النعم) ص (٦٢) من طبعة مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الاولى (١٩٨٦) ما نصه: (وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ـ ولله الحمد ـ في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الاشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم نر مالكيا إلا أشعريا عقيدة، وبالجملة عقيدة الاشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة...) اهـ.

فتأمل بالله عليك كلام الناشر الذي زور كلام الامام الحافظ السبكي وحرفه، ثم انظر وتأمل في كلام الامام السبكي الحقيقي الذي نقلته لك من كتابه (معيد النعم) لتدرك أن هؤلاء المتمسلفين محرفون محترفون عاثوا في كتب التراث وعبارات علماء الاسلام فسادا وإفسادا (!). (الرابع): والذي يؤكد أنهم محرفون محترفون وخصوصا ناشر الطحاوية وكذلك مخرج أحاديثها!! المتناقض!! أن الناشر الشاويش حقق بزعمه كتاب (الرد الوافر) لابن ناصر الدين الدمشقي الذي رد فيه على الامام العلامة العلاء البخاري رحمه الله، ونقل الشاويش في مقدمة تحقيقه للكتاب المذكور ترجمة العلاء البخاري وأفرط في ذمه! ونقل جزءا من ترجمته من كتاب (الضوء اللامع) للحافظ السخاوي فحرف في النقل حيث قال واصفا العلامة العلاء البخاري بقوله: (وكان شديد الالتصاق بالحكام)!!!

علما بأن الكلام الاصلي في كتاب (الضوء اللامع) (٩ / ٢٩١) للسخاوي



هو: (وإذا حضر عنده أعيان الدولة بالغ في وعظهم والاغلاظ عليهم بل ويراسل السلطان معهم بما هو أشد في الاغلاظ ويحضه على إزالة أشياء من المظالم) اهـ فتأمل كيف قلب (وكان شديد الاغلاظ على الحكام) ١٨٠ درجة رأسا على عقب فقال: (كان شديد الالتصاق بهم) فالله تعالى المستعان!!. وقد راجعت الشاويش بهذه المسألة وأثبت له أن هذا العمل دال على الخيانة وفقدان الامانة العلمية فوعد بالتراجع وتصحيح عبارة (كان شديد الالتصاق بالحكام) في الطبعة الجديدة ونحن بالانتظار[1].

وسنعقد الان إن شاء الله تعالى فصلين:

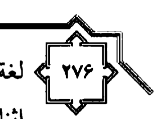
الاول: في إبطال تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية،

والثاني: في إبطال القسم الثالث وهو توحيد الاسماء والصفات منبهين على المحاذير والاخطار من هذا التقسيم فنقول:

فصل في إبطال تقسيم التوحيد الى ربوبية وألوهية إعلم أن العبادة شرعا هي غاية الخضوع والتذلل لمن يعتقد الخاضع فيه أوصاف الربوبية، وأما في اللغة فالعبادة هي الطاعة، والعبودية هي الخضوع والذل، فالعبادة شرعا غير العبادة

---

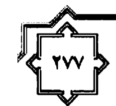
١ . وقد رأيت حديثا الطبعة الجديدة ولم أر فيها تراجعا إلى الحق وهذا مما يدل على إصرار أهل هذه النحلة على الباطل!! ومن تحريف المتمسلفين أيضا وعياثهم في كتب العلماء وتراث الامة فسادا أنهم قاموا بطباعة كتاب (الاذكار) للامام النووي طبعة جديدة وهي طبعة (دار الهدى!) الرياض، بإشراف (إدارة هيئة البحوث والدعوة والارشاد) ١٤٠٩ هـ، فبدلوا في كلام الامام النووي، وحرفوا منه قسما كما حذفوا منه ما لم يمكنهم تحريفه مما لا يوافق أهواءهم ومشربهم! وذلك في كتاب الحج من (الاذكار) في فصل ما يتعلق بزيارة سيدنا محمد ﷺ والذي يتحمل جل المسؤولية في ذلك أمام الله تعالى هو عبد القادر الارنأووط الذي حقق الكتاب وخرج أحاديثه وعلق عليه كما هو ثابت على غلاف الكتاب وقد انغر بهذا الشخص (الالباني المشرب) الوهابي العقيدة بعض المغفلين لما يظهر لهم من حلاوة لسان كما جاء ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ ومثله مضارعة الاخر.



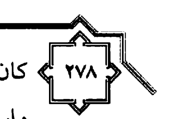
لغة، فلا يقال لمن خضع وذل لانسان إنه عبده شرعا وهذا شيء لا يختلف فيه إثنان، فمن تذلل عند قبر نبي أو ولي وتوسل به لا يقال إنه عبده من دون الله تعالى، لان مجرد النداء والاستغاثة والخوف والرجاء لا يسمى عبادة شرعا ولو سمي عبادة لغة ودليل ذلك أمور منها: الصلاة، فالصلاة في اللغة هي التضرع والدعاء، وأما شرعا واصطلاحا فهي أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، فليس كل دعاء صلاة، ولا يقال لمن دعا فلانا بمعنى أنه طلب من فلان شيئا أنه صلى له فكذلك العبادة. وأما الدعاء فليس جميعه عبادة إلا إذا دعونا من نعتقد فيه صفات الربوبية أو صفة واحدة منها، فقول النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة) كما رواه الحاكم وغيره بأسانيد صحيحة[1] ليس معناه أن كل دعاء عبادة، كما سيتضح بعد قليل إن شاء الله تعالى، وإنما يكون الدعاء عبادة إذا كان لله أو لمن يعتقد الداعي ان للمدعو صفة من صفات الربوبية، وقال بعض العلماء كما نقل المناوي في الفيض (٣/ ٥٤٠): (إن معنى حديث «**الدعاء هو العبادة**» أي أن الدعاء هو من أعظم العبادة، فهو كخبر (الحج عرفة) أي ركنه الاكبر، فالدعاء له عدة معان منها النداء، والنداء ليس عبادة وهذا المعنى موجود بكثرة في كلام العرب وفي القرآن الكريم فمن شواهده في كلام العرب قول الشاعر وهو: دثار بن شيبان النمري: فقلت ادعي وأدعو ان أندى لصوت أن ينادي داعيان وهذا البيت من شواهد النحاة على نصب المضارع بعد الواو بعد

---

١ . رواه الامام أحمد (٤ / ٢٧١) وابن أبي شيبة (٧ / ٢٣ الفكر) وأبو داود (٢ / ٧٧ برقم ١٤٧٩) والترمذي (٥ / ٣٧٥ برقم ٣٢٤٧) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٦ / ٤٥٠) وابن ماجه (٢ / ١٢٥٨) وأبو نعيم في الحلية (٨ / ١٢٠) والطبراني في (معجمه الصغير (٢ / ٢٠٨ الروض الداني) والطبري في تفسيره (مجلد ١٢ / جزء ٢٤ / ص٧٨) وابن حبان في صحيحه (٢ / ١٢٤ دار الفكر) والحاكم في (المستدرك) (١ / ٤٩١) وصححه وأقره الذهبي وهو كما قالا.



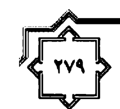
الامر، كما صرح به الاشموني وغيره عند قول صاحب الالفية: والواو كالفا إن تفد مفهوم مع كلا تكن جلدا وتظهر الجزع ومعنى قوله ادعي نادي فهو خطاب لانثى وهي حليلة لدثار ومعنى أدعو أنادي أنا، ومعنى إن أندى أي أن أبعد وأرفع للصوت أن ينادي داعيان أي مناديان فظهر من هذا البيت أن الدعاء عند العرب يأتي بمعنى النداء. وأما في القرآن فمنه قوله تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ (النور: ٦٣)، أي لا تجعلوا نداءه بينكم كما ينادي بعضكم بعضا، باسمه الذي سماه به أبوه، فلا تقولوا يا محمد ولكن قولوا يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢). ويأتي الدعاء بمعنى العبادة وهو موجود في كلام العرب وفي القرآن الذي نزل بلغتهم الفصيحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣)، أي والذين تعبدون من دونه، وكقوله تعالى أيضا: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ (يونس: ١٠٦)، أي ولا تعبد من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك. وللدعاء معنى آخر أيضا وهو الاستعانة نحو قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣)، ومن معانيه أيضا السؤال كقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، ومن معانيه أيضا الثناء كقوله تعالى: ﴿ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَانَ﴾ (الاسراء: ١١٠)، ومن معانيه أيضا التسمية كقوله تعالى: ﴿وَللهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الاعراف: ١٨٠)، أي سموه بها، إلى غير ذلك من المعاني. فاتضح أن مجرد النداء أو الاستغاثة أو الاستعانة أو الخوف أو الرجاء أو التوسل أو التذلل لا يسمى عبادة، فقد يتذلل الولد لابيه والجندي لقائده ويخافه ويرجو منه أشياء فلا يسمى ذلك عبادة له باتفاق العقلاء، وليس مجرد النداء عبادة، ولو



كان هذا النداء لاموات، ففي الصحيحين: «أن النبي ﷺ قال لاهل البئر واسمها القليب، التي ألقي فيها جماعة من الكفار في بدر: «**هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإني قد وجدت ما وعدني الله حقا**»، خاطب النبي كفار قليب بدر، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها، قال: **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئا**» رواه البخاري (٧/ ٣٠١ فتح) ومسلم (٤ / ٢٢٠٣).

وليس التوسل عبادة للمتوسل به إلى الله، فقد علّم رسول الله ﷺ الاعمى أن يقول: «**اللهم إني أتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى..**» الحديث وهو صحيح مشهور بين أهل العلم، رواه الترمذي (٥ / ٥٦٩) والبيهقي في (دلائل النبوة) (٦ / ١٦٦ ـ ١٦٨) والحاكم (١ / ٣١٣) وصححه على شرطهما وأقره الذهبي وغيرهم بأسانيد صحيحة.

كما أن الاستغاثة أيضا بمخلوق ليست عبادة له كما ثبت في الصحيحين «**أن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق**» انظر فتح الباري (٣ / ٣٣٨)، فما زعمه الجهلة أن كل نداء للميت عبادة له فهو من التخبط في الجهل القبيح. وملخص ما مر أن العبادة في اللغة هي مطلق الطاعة والخضوع لاي أحد كان بخلاف العبادة في اصطلاح الشرع فهي غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد الخاضع له بعض صفات الربوبية، فإذا فهمت ذلك علمت يقينا أن من أطاع أحدا وخضع له لا لاعتقاده أن له بعض صفات الربوبية لا يسمى عابدا له شرعا وإن كان الخضوع والتذلل لغير الله تعالى قد يحرم في بعض صوره كما إذا كان لغني لاجل غناه، لكنه لا يسمى عبادة شرعا، ولا يكون صاحبه مشركا، كما أفاد ذلك العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي في زاد المسلم.



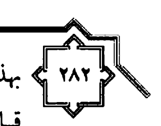
ويوضح ذلك أيضا أن نقول: إن العبادة شرعا معناها الاتيان بأقصى الخضوع قلبا وقالبا، فهي إذن نوعان قلبية وقالبية، (فالقلبية): هي اعتقاد الربوبية أو خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع أو الضر ونفوذ المشيئة لمن اعتقد فيه ذلك، (والقالبية): هي الاتيان بأنواع الخضوع الظاهرية من قيام وركوع وسجود وغيرها مع ذلك الاعتقاد القلبي، فإن أتى بواحد منها بدون ذلك الاعتقاد لم يكن ذلك الخضوع عبادة شرعا ولو كان سجودا، وإنما قال العلماء بكفر من سجد للصنم لانه أمارة وعلامة على ذلك الاعتقاد، لا لانه كفر من حيث ذاته، إذ لو كان كفرا لذاته ـ السجود ـ لما حل في شريعة قط، وقد حل كما هو معلوم في آيات كثيرة، فكيف حل وهو كفر، والله لا يأمر بالفحشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (الاعراف: ٢٧). فقد كان كما هو معلوم السجود لغير الله عزوجل على وجه التحية والتكريم مشروعا في الشرائع السابقة وإنما حرم في هذه الشريعة، فمن فعله لاحد تحية وإعظاما من غير أن يعتقد فيه ربوبية كان آثما بذلك السجود، ولا يكون به كافرا إلا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له، ويرشدك الى ذلك قوله عز وجل في سيدنا يعقوب نبي الله عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وامرأته وبنيه حين دخلوا على سيدنا يوسف ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ (يوسف: ١٠٠)، قال ابن كثير في تفسيرها:

(أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلا، وقد كان هذا سائغا في شرائعهم، إذا سلموا على الكبير يسجدون له، لم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام، فحرّم هذا في هذه الملة) اهـ المقصود منه. ويوضح ذلك أيضا أمره عزوجل الملائكة بالسجود لادم، فكان سجودهم له عليه الصلاة والسلام عبادة للامر عزوجل، وإكراما لآدم عليه الصلاة والسلام. ومن هنا نعلم أن تعظيم الكعبة بالطواف حولها وتعظيم الحجر

الاسود باستلامه وتقبيله والسجود عليه ليس عبادة شرعا للبيت ولا للحجر، وإنما هو عبادة للامر بذلك سبحانه وتعالى، الذي اعتقد الطائف بالبيت ربوبيته سبحانه، فليس كل تعظيم لشيء عبادة له شرعا، حتى يكون شركا، بل منه ما يكون واجبا أو مندوبا إذا كان مأمورا به أو مرغبا فيه، ومنه ما يكون مكروها أو محرما، ومنه ما يكون مباحا، ولا يكون التعظيم لشيء شركا حتى يقترن معه اعتقاد ربوبية ذلك الشيء، أو خصيصة من خصائصها، فكل من عظّم شيئا فلا يعتبر في الشرع عابدا له إلا إذا اعتقد فيه ذلك الاعتقاد، وقد استقر في عقول بني آدم ما داموا على سلامة الفطرة أن من ثبتت له الربوبية فهو للعبادة مستحق، ومن انتفت عنه الربوبية فهو غير مستحق للعبادة، فثبوت الربوبية واستحقاق العبادة متلازمان فيما شرع الله في شرائعه وفيما وضع في عقول الناس، وعلى أساس اعتقاد الشركة في الربوبية بنى المشركون استحقاق العبادة لمن اعتقدوهم أربابا من دون الله تعالى، ومتى انهدم هذا الاساس من نفوسهم تبعه ما بني عليه من استحقاق غير الله للعبادة، ولا يسلم المشرك بانفراد الله تعالى باستحقاق العبادة حتى يسلم بانفراده عزوجل بالربوبية، وما دام في نفسه اعتقاد الربوبية لغيره عزوجل استتبع ذلك الاعتقاد في هذا الغير الاستحقاق للعبادة ولذلك كان من الواضح عند أولي الالباب أن توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية شيء واحد ولا فرق بينهما وهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الاخر في الوجود وفي الاعتقاد، وتقسيم التوحيد الى توحيد ألوهية وربوبية باطل، كما سيتبين الان إن شاء الله تعالى، فمن اعترف أنه لا رب إلا الله كان معترفا بأنه لا يستحق العبادة غيره، ومن أقر بأنه لا يستحق العبادة غيره كان مذعنا بأنه لا رب سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله في قلوب جميع المسلمين، ولذلك نرى القرآن في كثير من المواضع يكتفي بأحدهما عن الاخر، ويرتب اللوازم المستحيلة على انتفاء أي

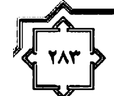


واحد منهما ليستدل بانتفائها على ثبوته فانظر إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الانبياء: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)، حيث عبّر بالإله ولم يعبّر بالرب. وكذلك في الميثاق الاول، قال سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (الاعراف: ١٧٢)، ولم يقل بالهكم، واستفاض عن رسول الله ﷺ: أن الملكين يقولان للميت في قبره: (من ربّك؟) ويكتفيان بالسؤال عن توحيد الربوبية، ويكون جوابه بقوله: (الله ربي)، كافيا، ولا يقولان له إنما عرفت توحيد الربوبية واعترفت به فقط، ولم تعترف بتوحيد الالوهية، ولا يقولان له ليس توحيد الربوبية كافيا في الايمان. وهذا خليل الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول لذلك الجبار: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، فيجادله بأنه كذلك يحيي ويميت، الى أن حاجه خليل الله بما يكذب دعوى ربوبيته فتندحض دعوى استحقاقه للعبادة. ويثبت أنه لا فرق بين توحيد الالوهية والربوبية أيضا أن الله تعالى حكى عن فرعون أنه قال مرة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)، ومرة أخرى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤)، فاتضح أن الاله هو الرب، والرب هو الاله ولا فرق. وبالجملة فقد أومأ القرآن الكريم والسنة المستفيضة الى تلازم توحيد الربوبية والالوهية وأن ذلك مما قرره رب العالمين، واكتفى سبحانه من عبده بأحدهما عن صاحبه، لوجود هذا التلازم، وكذلك اكتفى به الملائكة المقربون عند السؤال، وفهم الناس هذا التلازم حتى الفراعنة الكافرون بداهة، ولم يقل أحد من السلف ولا من الصحابة ولا من التابعين بالفرق، وأن هناك توحيد ألوهية يغاير توحيد الربوبية، ولم ينقل ذلك التفريق عن واحد منهم فضلا عن نقله من الكتاب أو السنة، حتى ابتدع وتكلم بذلك بعض أهل القرن الثامن الهجري، ولا عبرة بذلك قطعا، فما هذا الهذيان



بهذا التقسيم الذى يفتريه أولئك المبتدعة الخرّاصون، فيرمون المسلمين بأنهم قائلون بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة ـ أي الالوهية ـ وأنه لا يكفي المسلمين توحيد الربوبية في إخراجهم من الكفر وإدخالهم في الاسلام. وينبغي لفت النظر أيضا الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا..﴾ (فصلت: ٣٠)، وهى في موضعين من كتاب الله تعالى، ولم يقل إلهنا بل قال ـ ربنا الله ـ وقول رسول الله ﷺ لمن سأله عن وصية جامعة: «**قل ربى الله ثم استقم**»، ولم يقل له: قل إلهي الله ثم استقم، فاكتفى بتوحيد الربوبية في النجاة والفوز لاستلزامه وعدم تغايره لتوحيد الالوهية، وهذا بشهادة الله ورسوله كما ترى، فمن رافقه التوفيق وفارقه الخذلان ونظر في المسألة نظر الباحث المنصف علم يقينا علما لا تخالطه ريبة أن مسمى العبادة شرعا لا يدخل فيه شئ مما عداه، كالتوسل والاستغاثة وغيرهما، بل لا يشتبه بالعبادة أصلا، فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم أو صفة من صفاتها الخاصة بها. ألا ترى الجندي يقوم بين يدي رئيسه ساعة وساعات إحتراما له وتأدبا معه، فلا يكون هذا القيام عبادة لرئيسه لا شرعا ولا لغة، ويقوم المصلى بين يدي ربه في صلاته بضع دقائق قدر قراءة الفاتحة ونحوها، فيكون هذا القيام عبادة شرعا، وسرّ ذلك أن هذا القيام وإن قلت مسافته مقترنا باعتقاد القائم ربوبية من قام له.

ولم يأت عن واحد من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة السلف، ولا عن أتباع التابعين، ولا عن التابعين ولا عن الصحابة، ولا عن رسول الله ص في سنته الواسعة في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وغيرها أن التوحيد ينقسم الى توحيد ربوبية والى توحيد الوهية، وأن من لم يعرف توحيد الالوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية.



وأما قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ (الزمر: ٣٨) وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَبُّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لله﴾ (المؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧)، معناه أنهم يقولون ذلك إذا سألتهم عند ظهور الحجج القاطعات عليهم والايات البينات، وذلك مجرد قول بألسنتهم وليس ذلك في قلوبهم، لانهم ما كانوا يقرون بوجود الخالق خلافا لمن زعم أنهم كانوا موحدين توحيد ربوبية، وخلافا لمن زعم أن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الالوهية، وهو إفراد الله بالعبادة وأن توحيد الربوبية يعرفه المشركون والمسلمون مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ (لقمان: ٢٥)، فهذا الزعم لا شك أنه باطل لان هذا الزاعم لبس على البسطاء معنى الاية أو لم يفهمها هو!! وقد بينّا معناها: أنهم أقروا بألسنتهم فقط، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦١)، معناه كما قال القرطبي في التفسير (١٣ / ١٦١): (أي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي، معناه: أنهم يقولون ذلك بألسنتهم فقط عند إقامة الحجج عليهم وهم في الحقيقة لا يقولون بذلك). وأيضا قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَن نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ (العنكبوت: ٦٣)، قال الامام القرطبي: أي جدبها وقحط أهلها ﴿لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ أي فإذا أقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الاعادة ﴿قُلِ الْحَمْدُ لله﴾ أي على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ انتهى من القرطبي. فإذا تنبهت لمعنى هذه الايات وأمثالها عرفت بأنها ليست دليلا على أنهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية كما يتوهم بعض الناس، لان القرآن وواقع هؤلاء الكفار يبين أنهم كانوا ينكرون الخالق وينكرون السجود له، كما سيأتي الان إن شاء الله تعالى في ذكر الايات

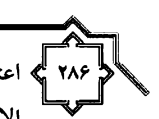


الموضحة لذلك، وكانوا ينكرون البعث ويعتقدون التأثير والتدبير لغير الله فيقولون: (أمطرنا بنوء كذا ونوء كذا) ولو كانوا يقرون بتوحيد الربوبية كما زعم الخراصون لما قال لهم المولى سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة: ٢١)، بل كان اللازم أن يقول لهم: ـ أعبدوا الهكم ـ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، وكان اللازم على زعم من قال: إن النمرود كان يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الالوهية، أن يقول الله تعالى ـ ألم تر الى الذي حاج إبراهيم في إلهه ـ وكان اللازم على زعمهم أن يقول الله تعالى بدل قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الانعام: ١)، أن يقول: ـ بالهم يعدلون ـ ولكن ذلك فاسد لانهم لم يكونوا مقرين، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس: ٧٨ ـ ٧٩)، وقوله تعالى: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لله الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النمل: ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ (الرعد: ٣٠)، فأما هم فلم يجعلوه ربا، وقال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿وَلاَتَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ـ أي يعبدون ـ ﴿مِن دُونِ الله فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الانعام: ١٠٨)، وقد اشتهر إنكارهم للبعث أشد الانكار، وأنهم ما يهلكهم إلا الدهر، وقد اشتهر ذلك في أقوالهم وأشعارهم، حتى قال أحدهم: أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي واشتهر عنهم أنهم كانوا يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، فهل يقول عاقل في هؤلاء مع هذا الكفر الصريح أنهم موحدون توحيد الربوبية؟! ولو كانوا يقرون بتوحيد الربوبية عند إقامة الحجة عليهم، فإن مجرد الاقرار به لا يسمى توحيدا عند علماء المسلمين، ولو كان الاقرار بالربوبية



توحيدا كما زعم الخراصون لكان تصديق عتاة قريش النبي ﷺ وتكذيبهم بآيات الله تعالى توحيدا، ولا يقول بهذا عاقل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الانعام: ٣٣)، ولو كان الاقرار بالربوبية توحيدا كما زعموا لكان علم عاد بالخالق مع تكذيبهم آياته ورسوله هودا عليه السلام لما هددهم بالعذاب توحيدا زاجرا لهم عن قولهم، كما أخبر الله عنهم: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (فصلت: ١٥)، ولا يقول بهذا عاقل، أيقول عاقل في فرعون الذي قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤)، وقال ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)، وقوله ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩)، مع قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (الشعراء: ٢٧)، لما أجابه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عن سؤاله عن حقيقة رب العالمين قائلا له: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُوقِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢٤)، وقوله له أيضا: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ٢٦)، فهل يقال بعد هذا: إن فرعون كان يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الالوهية؟! فهذا التقسيم للتوحيد باطل غير صحيح، وكل من قال به مخطئ.

وأما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦)، فمعناه وما يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم بوجود الخالق عند إقامة الحجة والبراهين عليهم تكذبه قلوبهم ويكذبه واقعهم، فإيمانهم أمامكم عند إقامة الحجة والبرهان على وجود الله تعالى بألسنتهم غير معتبر ولا مقبول عند الله تعالى ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ (التوبة: ٨)، فهم كاذبون باتخاذهم آلهة يعبدونها غير الله، أو باتخاذهم الاحبار والرهبان أربابا، أو

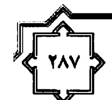


اعتقادهم الولد له سبحانه والتعبير في هذه الآية في جانب شركهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام الواقعة حالا لازمة، والتعبير في جانب إيمانهم أي إقرارهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد دليل لغوي على أن شركهم دائم مستمر، وأن إقرارهم بوجود الخالق الرازق المحي المميت مع ارتكابهم ما ينافي ذلك الاقرار من أقوالهم وأفعالهم وعبادتهم لغير الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ الله آلِهَةً﴾ (يس: ٧٤)، لا يكون توحيدا ولا إيمانا لغة ولا شرعا، لان الايمان في اللغة هو التصديق بالقلب مطلقا، وفي الشرع تصديق النبي ص فيما علم مجيئه به بالضرورة، فقولهم عند إقامة الحجة عليهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣)، كذب منهم ليبرئوا أنفسهم، والله تعالى بيّن أنهم كاذبون إذ قال كما في آخر هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣).

فصل في إبطال القسم الثالث من التقسيم المزعوم وهو توحيد الاسماء والصفات إعلم يرحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة بما فيهم الاشاعرة والماتريدية يثبتون لله من الصفات ما أثبت لنفسه، وما يشوشه المجسمة عليهم من أنهم معطلة وجهمية تشويش فارغ لا قيمة له بعد التمحيص العلمي والتدقيق [1]. فأهل السنة يثبتون لله العلم والقدرة والارداة والمشيئة والرحمة والحياة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك من الصفات، وينزهون الله سبحانه عما لا يليق به، ولا يطلقون بعض الالفاظ والاضافات الواردة في الكتاب والسنة والتي لا يراد منها حقيقتها صفات لله تعالى، لان نفس القواعد التي

---

١ . والمؤمن لا ينغر بالشعارات ولا بالاشاعات، وانما يتثبت من كل أمر يسمعه ويمحص ويبحث بنفسه، وأسأل الله أن لا ينطبق فينا نحن الامة الاسلامية قول أحد أعدائنا فينا: هذه أمة تسمع ولا تقرأ!



أسستها آيات القرآن المحكمة وأحاديث النبي ﷺ ترفض ذلك، فمثلا لا يثبتون صفة النسيان مع أن لفظ النسيان ورد مضافا لله تعالى في القرآن، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧)، فلم يصفوا الله بذلك ـ أعني النسيان ـ لان الله تعالى يقول أيضا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ (مريم: ٦٤)، وكذلك لفظ الهرولة والضحك والمرض والجوع وردت في أحاديث لا يجوز لاي عاقل أن يطلقها صفات على الله سبحانه، فالحديث الصحيح الذي فيه: «**ومن أتاني ماشيا أتيته هرولة**» لا نثبت به صفة الهرولة لله سبحانه التي معناها الحقيقي في اللغة المشي السريع، بل يعرف جميع العقلاء ويدركون بأن المراد بذلك هو المعنى المجازي في اللغة وهو: «**من أطاعني وتقرب إلى تقربت إليه بإكرامه والانعام عليه أكثر وأسرع**». وكذلك ما جاء في الحديث القدسي الصحيح: «**عبدي مرضت فلم تعدني..**» الحديث رواه مسلم (٤ / ١٩٩٠ برقم ٢٥٦٩)، لا نقول أن الله أثبت لنفسه مرضا وأضافه إليه فنحن نثبت له صفة المرض، بل لا يقول بهذا عاقل، وقد أرشد الحديث أن الصفة هي للعبد، وإنما صرفنا تلك الصفة من أن نعدها من صفات الله، قواعد التنزيه المأخوذة من الكتاب والسنة الناصة على أنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. والضحك كذلك لا يليق أن يطلق حقيقة على الله وإنما يطلق على سبيل المجاز، وتأويله عند أهل العلم الرضا أو الرحمة، فإذا ورد في حديث أن الله يضحك الى فلان فالمراد به أنه يرضى عنه ويرحمه وهكذا، فهناك قواعد وأصول لا بد أن نرجع إليها ضبطها أهل العلم من الائمة الراسخين الربانيين وقد عرضناها وبيناها في التعليق على (دفع شبه التشبيه).
روى الامام البيهقي في كتاب (الاسماء والصفات) (ص٢٩٨) [1] أن الامام

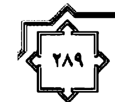
١ . بتحقيق الامام المحدث الكوثري ﷺ، طبعة دار إحياء التراث. (تنبيه): لقد طبع كتاب (الاسماء والصفات) للحافظ البيهقي الذي قدم له وعلق عليه الامام المحدث الكوثري ﷺ طبعتين ←



البخاري ﷺ أوّل الضحك بالرحمة، وهذا هو نهج السلف والمحدثين والبخاري بلا شك من أئمة المحدثين ومن أهل القرون الثلاث، قرون السلف المشهود لها بالخيرية.

فرع التأويل من منهج السلف يشيع المجسمة والمشبهة أن مذهب السلف عدم التأويل وإمرار النصوص واعتقاد حقيقة ظواهرها، وأن مذهب الخلف وعلى رأسهم الاشاعرة هو تأويل الصفات والتعطيل. وهذه إشاعة لا أصل لها من الصحة البتة، وقد انغر بها كثير من الناس، بل كثير من أهل العلم فظنوا صحتها، والصواب أن السلف بما فيهم الصحابة والتابعون كانوا يؤولون كثيرا من الالفاظ التي لا يراد منها إثبات صفات لله تعالى، وتفسير الامام الحافظ ابن جرير السلفي (توفي ٣١٠هـ) أكبر برهان على ذلك فقد أورد الحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره وروى بأسانيده عن سيدنا ابن عباس تأويل (الساق) الواردة

جديدتين، إحداهما: قد حذف منها كتاب (فرقان القرآن) للشيخ العزامي ﷺ كما حذف منها مقدمة العلامة الكوثري، والثانية: طبعة بصف جديد لم يكتب عليها أن التعليقات التي عليها هي للعلامة الكوثري، ثم رأيت طبعة ثالثة: بصف وتنضيد جديد أيضا حذفت منها تعليقات المحدث الكوثري، ثم رأيت من يحيك هذا التلاعب من تجار الكتب قد طبعوا كتابا آخر سموه (الاسماء والصفات) بشكل وبحجم كتاب (الاسماء والصفات) للحافظ البيهقي، ولكنه باسم ابن تيمية الحراني، ليضللوا القارئ المبتدئ عن كتاب الحافظ البيهقي بشكل عام!! ويبعدوه عن تعليقات ومقدمه العلامة المحدث محمد زاهد الكوثري بشكل خاص!! فلتكونوا جميعا على علم تام بهذا التلاعب المشين!! وهذه المؤامرات الخبيثة. ثم اعلموا أنه ليس لابن تيمية كتاب يسمى (الاسماء والصفات) كما أنه ليس له كتاب يسمى (دقائق التفسير) (٦ مجلدات نفخ طباعي) كما بينا ذلك في تعليقنا على (دفع شبه التشبيه) (ص٥١) وإنما ذهب المفتونون بالشيخ الحراني وعشاقه والمروجون لاقواله الخاطئة إلى ـ فتاواه ـ المباركة!! فاستخرجوا منها الكلام على مسائل الصفات!! فجمعوها وطبعوها باسم جديد!! خداعا!! وتمويها!! وليكثروا مصنفات الشيخ الحراني في أعين المغفلين من السذج أو القراء البسطاء!! فالله تعالى حسيبهم!!

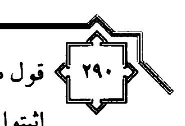


في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (القلم: ٤٢)، بالشدة، لان العرب تقول كشفت الحرب عن ساقها أي اشتدت. كما نقل الحافظ ابن جرير تأويل النسيان بالترك، انظر تفسير الطبري (مجلد ٥ / جزء ٨ ص٢٠١ ــ ٢٠٢) ونقل تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (الذاريات: ٤٧)، أي بنيناها بقوة انظر (٢٧ / ٧) من تفسيره[١].

وهذه التأويلات منقولة عن سيدنا ابن عباس وعن مجاهد وقتادة والحسن ومنصور وابن زيد وغيرهم من أعلام السلف الصالح ﷺ، وكلها تشهد بكذب من قال إن السلف لم يؤول أحد منهم ولم يكن التأويل من منهجهم وإنما هو عند الخلف والاشاعرة المعطلة الجهميين، كبرت كلمة تخرج من أفواههم يطمسون بها الحق والحقائق، وينصرون بها آرائهم الخاطئة المغلوطة. والتأويل أيضا ثابت عن الامام أحمد ثبوت الشمس في رابعة النهار وهو من أعلام السلف وأئمة المحدثين، وإليه تظهر المجسمة الانتساب وهو مؤول وقد بينا ذلك في مقدمتنا لكتاب الحافظ ابن الجوزي (دفع شبه التشبيه). أول الامام أحمد قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر: ٢٢)، أنه جاء ثوابه، كما ثبت عنه بإسناد صحيح، انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٠ / ٣٢٧). وهناك تأويلات أخرى كثيرة وردت عن الامام أحمد لا أريد الاطالة بذكرها، ذكرت بعضها في كتابي (الادلة المقومة لاعوجاجات المجسمة) فلتراجع وكل ذلك يثبت بطلان وتهافت

---

١ . (الايد): في اللغة جمع يد وهي الكف، وليس كما يشيع بعضهم باطلا بتلبيس غريب أن (الايد) في اللغة لا تطلق إلا على القوة، ليصلوا إلى أن ابن عباس لم يؤول في هذه الاية، فهؤلاء تكذبهم قواميس اللغة، ففي القاموس المحيط للمجد الفيروز أبادي في مادة (يدي) يقول: اليد: الكف، أو من أطراف الاصابع الى الكتف، جمعها: أيد ويدي. اهـ. فتأمل. ويكذبهم قبل ذلك القرآن الكريم فإن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ (الاعراف: ١٩٥).



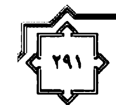
قول من قال: إن الاشاعرة والخلف معطلة لانهم أولوا، والسلف لم يؤولوا بل اثبتوا لله تعالى ما أثبت لنفسه.

فرح كشف حقيقة قول من قال لا نصف الله الا بما وصف به نفسه، ونثبت لله ما أثبت لنفسه إن ابن تيمية إمام هذه الطائفة، يقول بهذا الكلام ويدعو الى توحيد الاسماء والصفات ثم نراه يثبت لله ما لم يثبته الله لنفسه ويصف الله بما لا يليق به سبحانه، ويسير معه تلامذته وأتباعه على ذلك. نرى ابن تيمية يثبت لله الحركة والجلوس والاستقرار على ظهر بعوضة والحد و.....، ويثبت لله سبحانه صفات بأحاديث موضوعة أو إسرائيليات من ذلك أنه أثبت أن الله سبحانه يتكلم بصوت يشبه صوت الرعد[1] بل يقول بجواز إطلاق أن الله جسم[2]، بل يقول بأن التجسيم والتشبيه غير مذمومين، لا في الكتاب ولا في السنة، ولا عند السلف الصالح كما تقدم، وهو غير صادق في ذلك، فيقول في كتابه (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) (١ / ١٠٩) ما نصه: (فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين). اهـ. ويقول في كتابه التأسيس (١ / ١٠١) ما نصه: (وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الامة وأئمتها أنه ليس بجسم). اهـ. ويقول في كتابه التأسيس ايضا (١ / ٥٦٨): (ولو قد شاء ـ الله ـ لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم). اهـ. ويثبت ابن تيمية في التأسيس والموافقة (٢ / ٢٩): الحد لله تعالى والحد لمكان الله تعالى، علما بأن لفظة (حد) لم ترد في الكتاب ولا في السنة، فأين قوله: لا نصف الله الا بما وصف به نفسه؟! بل يقول هناك في الموافقة (٢ / ٢٩) بكفر من لا يقول بالحد لله تعالى

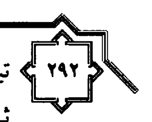
---

١ . انظر كتابه موافقة صريح المعقول المطبوع على هامش منهاج السنة (٢ / ١٥١).

٢ . منهاج السنة (١ / ١٨٠) والتأسيس (١ / ١٠١).



وهو بنظره جاحد بآيات الله كافر بالتنزيل فيقول ما نصه: (فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله). اهـ. فالمسلمين جميعا الذين لا يعتقدون بعقيدته هذه التي لم ترد بالكتاب والسنة كفار بنظره، حتى تلميذه الحافظ الذهبي الذي يقول في كتابه (ميزان الاعتدال) (٣ / ٥٠٧) إن الاشتغال بمسألة الحد اشتغال بفضول الكلام والذي يقول في (سير أعلام النبلاء) (١٦ / ٢٧): (وتعالى الله أن يحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه...)، وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي نفى الحد عن الله تعالى في (لسان الميزان) (٥ / ١١٤) يكون كافرا على قاعدة ابن تيمية هذه!! ومعاذ الله، والمسلمون قبل ابن تيمية بقرون اتفقوا على تنزيه الله تعالى عن الحد ونقل ذلك الاتفاق جماعة من الائمة والعلماء، قال الامام الاستاذ أبو منصور البغدادي الذي يعول على كلامه الحافظ ابن حجر وأمثاله من العلماء في كتابه (الفرق بين الفرق) (ص٣٣٢ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ما نصه: (وقالوا ـ أي أهل السنة مجمعين ـ بنفي النهاية والحد عن صانع العالم..) اهـ. فمما قدمته ووضحته ودللت عليه يتضح ما هو توحيد الاسماء والصفات عند من يدعو إليه، وأن ذلك مجرد الدعوة الى تجسيم الله تعالى وتشبيهه بخلقه ووصفه بما لم يصف به نفسه، أو اطلاق بعض الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة والتي لم يقصد منها أنها صفات على الله وحملها على أنها صفات حقيقية لله تعالى، وإشاعة أن التأويل بدعة مذمومة وأن الاشاعرة وغيرهم فرق ضالة لانهم عطلوا صفات الله تعالى بزعمهم، وكل ذلك باطل لا أصل له. وتتميما للبحث لا بد من أن نتكلم عن أصل أكبر فرقة قديمة من فرق المجسمة هي الكرامية وبيان بعض آرائها في الصفات التي توافق ما يدعو إليه ابن تيمية وأتباعه، وخصوصا أن ابن



تيمية يثني عليها في منهاج السنة (١ / ١٨١) ويعتبرها من أكابر نظار المسلمين[١]، ثم نعرض نماذج من كتاب (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز المنسوب

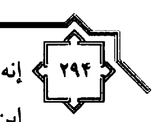
١ . لا يقال عن شخص من نظار المسلمين إلا إذا كان صحيح العقيدة مستقيما غير مطعون فيه، فإذا كان كذلك وكان مبرزا في التأليف والتصنيف قوي الحجة شجى في حلوق أعداء الاسلام والفرق الاسلامية الضالة فيقال عنه حينئذ إنه من نظار المسلمين، وأجلب لك على هذا مثال واضح محسوس: ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة أبو محمد بن كلاب في (سير أعلام النبلاء) (١١ / ١٧٥) ما نصه: (وقال بعض من لا يعلم: إنه ابتدع ما ابتدعه ليدس دين النصارى في ملتنا وإنه أرضى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجل أقرب المتكلمين الى السنة، بل هو في مناظريهم) اهـ. وقال المعلق على كلام الذهبي هذا في (سير أعلام النبلاء) (١١ / ١٧٥): (كان إمام أهل السنة في عصره، وإليه مرجعها، وقد وصفه إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ في كتابه (الارشاد) ص (١١٩): بأنه من أصحابنا. وقال السبكي في (طبقاته): أحد أئمة المتكلمين. وابن تيمية يمدحه في غير ما موضع في كتابه (منهاج السنة) وفي مجموعة رسائله ومسائله، ويعده من حذاق المثبتة وأئمتهم، ويرى أنه شارك الامام أحمد وغيره من أئمة السلف في الرد على مقالات الجهمية، وحين تكلم أبو الحسن الاشعري في كتابه (مقالات الاسلاميين) ١ / ١٨٩، ٢٩٩ عن أصحابه، ذكر أنهم يقولون بأكثر مما ذكرناه عن أهل السنة) اهـ كلام المعلق. قلت: بل ذكر الحافظ أن الامام البخاري كان على مذهبه في علم الكلام حيث قال في الفتح (١ / ٤٢٣): (مع أن البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل ذلك الفن كأبي عبيد والنضر بن شميل والفراء وغيرهم، وأما المباحث الفقهية فغالبها مستمدة له من الشافعي وأبي عبيد وأمثالهما، وأما المسائل الكلامية فأكثرها من الكرابيسي وابن كلاب ونحوهما) اهـ. ولنعد إلى ما بدأنا به ولنتذكر أن النظار أو نظار المسلمين هم أكابر العلماء المتخصصين في الرد على المبتدعة، وهم: أهل التأمل وتقليب البصر والبصيرة وأهل التفحص في مسائل العلم، وابن تيمية الحراني يعطي هذا اللقب للكرامية الجهلاء الذين أجمعت الامة على كفرهم كما نص على ذلك الامام البغدادي في كتابه (الفرق) (ص٢١٥ بتحقيق محمد محي الدين) فيقول ابن تيمية في (منهاج سنته) (١/ ١٨١). (كما قال ذلك من قال من الكرامية وغيرهم من نظار المسلمين) اهـ. فكأنه يقول: كما قال ذلك من قال من الشافعية وغيرهم من فقهاء المسلمين، فتأمل!! وهل يعتبر من نظار المسلمين من يقول: بأن الله له حد وأنه جسم جالس على العرش مماس له وأن الحوادث تقوم بذاته؟ فتدبروا يا أولي الابصار!



للحنفية خطأ والحنفية منه براء، لان ذلك الكتاب كتاب خطير يحوي على كثير من العقائد الفاسدة التي سأذكر بعضها إن شاء الله تعالى، والذى ينبغي أن يحذره المدرسون وطلاب العلم ويعلموا بأن ابن أبي العز شارحها يرد على صاحب العقيدة الطحاوية الامام أبي جعفر الطحاوي ﷺ، فأقول: إمام الكرامية الذين يثني عليهم ابن تيمية هو محمد بن كرام السجزي المجسم صاحب العقائد الوثنية المشهورة في كتب الفرق، واليك نبذة عن هذا الامام المقتفى!! لتكون على بينة منه ومن ضلالات عقائده: قال الامام عبد القاهر البغدادي في أصول الدين ص (٣٣٧): (وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم: بأن الله تعالى له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه، ولقولهم: بأن الله تعالى محل للحوادث). اهـ. وقال الامام البغدادي أيضا في الفرق بين الفرق[١]: (فصل في ذكر مقالات الكرامية، وبيان أوصافها: الكرامية بخراسان ثلاثة أصناف، وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعضا وإن أكفرها سائر الفرق، فلهذا عددناها فرقة واحدة، وزعيمها المعروف محمد بن كرام.. وضلالات أتباعه.. نذكر منها المشهور، الذي هو بالقبح مذكور، فمنها: أن ابن كرام دعا أتباعه الى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه، وقد ذكر ابن كرام في كتابه ـ أيضا ـ أن الله تعالى مماس لعرشه، وأن العرش مكان له، وأبدل أصحابه لفظة المماسة بلفظ الملاقاة منه للعرش.. واختلف أصحابه في معنى الاستواء المذكور في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طه: ٥)، فمنهم من زعم: أن كل العرش مكان له، وأنه لو خلق بإزاء العرش عروشا موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكانا له، ومنهم من قال:

---

١ . انظر كتاب (الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي (ص٣٣٧) بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.



إنه لا يزيد على عرشه في جهة المماسة، ولا يفضل منه شئ على العرش، وزعم ابن كرام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث) اهـ. وقد نقل أيضا الشيخ علي القاري في شرح المشكاة (٢ / ١٣٧): إجماع السلف والخلف على أن من اعتقد أن الله تعالى في جهة فهو كافر كما صرح به العراقي وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الاشعري والباقلاني. اهـ ولا يخفى أن اعتقاد الجهة نوع من التجسيم. وقال الامام القرطبي في التذكار صحيفة (٢٠٨): (والصحيح القول بتكفيرهم ـ المجسمة ـ إذ لا فرق بينهم وبين عباد الاصنام والصور) اهـ. وجزم الامام النووي في المجموع (٤ / ٢٥٣) بتكفير المجسمة وهو مذهب الشافعي ﷺ. وأما رد الامام أحمد ﷺ على المجسمة والمشبهة فمنقول في (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي الحنبلي، وكتاب (مرهم العلل المعضلة) لليافعي بتوسع. والامام الطحاوي الذي أرادوا أن يشوهوا عقيدته يقول في أولها: (اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن) وهؤلاء من أئمة السلف كما لا يخفى ثم قال فيها: (وتعالى الله عن الحدود والغايات والاركان والاعضاء والادوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات) اهـ[1].

أقول: وقد اتضح بهذا كله مذهب أهل السنة والجماعة واتضح أيضا حكمهم على أهل الزيغ من المشبهة والمجسمة، وأن أصل التشبيه والتجسيم أسسه في هذه الامة ابن كرام السجستاني صاحب العقائد الزائغة، وأن الامة أكفرته وكفرت من قال بمقالاته المنحرفة، وأن من جملة مقالاته الكفرية: قوله بالحد في حق الله تعالى، وقوله بالجسمية لله تعالى، وأن الله تعالى يماس عرشه من

---

١ . انظر شرح العقيدة الطحاوبة لابن أبي العز، بتخريج الالباني، وتوضيح الشاويش (ص٢٣٨) الطبعة الثامنة.



جهة السفل لانه فوق العرش، ويجدر التنبيه هنا على أن أهل السنة يقولون بأن الله تعالى فوق العرش لكن فوقية من جهة المعنى لا من جهة الحس[١]، أي أن الله تعالى فوق خلقه فوقية قهر وربوبية على عبودية، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الانعام: ٦١)، وقد أجمع أهل السنة على تنزيه الباري سبحانه عن المكان كما هو معلوم، لكن ابن كرام قال بالفوقية الحسية والمكانية، فأكفره أهل السنة ومن تبعه على ذلك، ثم قال: إن الله تعالى محل للحوادث، أي جوز قيام الحوادث بذات الله سبحانه، تعالى الله عن هذا الكفر الصريح ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ومرادنا من ذلك كله بيان ان أدعياء توحيد الاسماء والصفات قائلون بذلك ومنهم فضيلة العلامة ابن أبى العز صاحب شرح الطحاوية، وإليك إثبات ذلك:

١ ـ أما قول شارح الطحاوية المشار إليه بحوادث لا أول لها، أو بقدم نوع الحوادث والمخلوقات ففي صحيفة (١٢٩ من الطبعة الثامنة): (فالحاصل أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟ فيه ثلاثة أقوال معروفة لاهل النظر من المسلمين وغيرهم: أضعفها قول من يقول: لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف. وثانيها قول من يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم. والثالث: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقوله أئمة الحديث) اهـ. فانظر كيف نسب الكفر الصريح الى أهل الحديث فقال إنهم يقولون إن الحوادث وهي المخلوقات يمكن أن تكون دائمة في الماضي، معناه

---

١ . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح ٦ / ١٣٦: (لان وصفه تعالى بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس) اهـ فانظره.



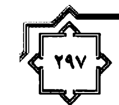
قديمة النوع حادثة الافراد وأهل الحديث برآء من ذلك بلا شك، وقد نص القرآن الكريم على بطلان ذلك في آيات كثيرة كما لا يخفى، وكذا السنة المطهرة نص فيها سيدنا رسول الله ﷺ على بطلان ذلك، ففي البخاري: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»[1] وأجمعت الامة على أن الحوادث قبل حدوثها لم تكن أشياء ولا أعيان، كما نقل ذلك الاستاذ أبو منصور البغدادي في الفرق[2] وقال الاستاذ أبو منصور أيضا: (وقد زعم البصريون من القدرية أن الجواهر والاعراض كانت قبل حدوثها جواهر وأعراضا، وقول هؤلاء يؤدي الى القول بقدم العالم، والقول الذي يؤدي الى الكفر كفر في نفسه) اه يعني أن القول بقدم الحوادث لا شك أنه كفر. وكذلك نص على هذا الاجماع المؤيد بقول الله تعالى (هو الاول) ابن حزم في كتابه مراتب الاجماع، حيث قال في آخره: (باب من الاجماع في الاعتقادات، يكفر من خالفه بإجماع: اتفقوا أن الله عزوجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثم خلق الاشياء كلها كما شاء، وأن النفس مخلوقة، والعرش مخلوق، والعالم كله مخلوق) اه[3]. ثم بعد هذا كله أحكم على ابن أبي العز المنسوب لاهل الاثبات ولاهل الحديث غلطا ولمن تبعه وقال بمقالته ونشر كتابه بين العامة وخرج أحاديثه مادحا كتابه بما تراه مناسبا، ولا سيما إذا عرفت أيضا أنه قال صحيفة ١٣٣ من شرح الطحاوية الطبعة الثامنة بتخريج الالباني وتوضيح الشاويش: (والقول بان الحوادث لها أول، يلزم منه التعطيل قبل ذلك وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلا) اه. نعوذ بالله تعالى من هذا الهذيان ما أشنعه، ومن هذا الرجل ما أجرأه، وكيف

---

١ . انظر فتح الباري (١٣ / ٤١٠).

٢ . انظر الفرق بين الفرق (ص٣٣٢) وانظر أيضا: (ص٣٢٨).

٣ . انظر مراتب الاجماع المطبوع مع نقد مراتب الاجماع (ص١٦٧).



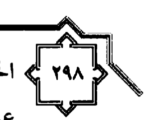
يشنع على المتكلمين ثم يأتي بأصول الشناعات!!!. ثم هو رد صريح الكتاب والسنة والاجماع، وتأول لذلك بالباطل كما ترى، فأين ذهب ذمه للتأويل وللمتكلمين ولعلم الكلام الذي تشدق به أول ما يقرب من عشرين صحيفة من كتابه وحيثما سنحت الفرص، لكن كما قالوا: رمتني بدائها وانسلت. ثم انظر الى قوله صحيفة (١٣٥) من الطبعة الثامنة مبرهنا على حوادث لا أول لها، راداً رواية «**كان الله ولم يكن شيء معه**» ورواية «**ولم يكن شيء غيره**» مثبتا رواية «**ولم يكن شيء قبله**» ليستدل بها على حوادث لا أول لها حيث قال: (وقد أجابهم النبي ﷺ ـ أي الاشعريين ـ عن بدء هذا العالم الموجود لا عن جنس المخلوقات، لانهم لم يسألوه عنه) اهـ يعني أنه قبل هذا العالم الموجود الان كان هناك عالم آخر، يعني أن العالم قديم النوع أزلي، حادث الافراد، وهى مقالة متأخري الفلاسفة، وقد قال العلماء سابقا: بثلاثة كفر الفلاسفة العدا في نفيها وهى حقيقا مثبته علم بجزئي حدوث عوالم حشر لاجساد وكانت ميته ونكتفي بهذا القدر الذي ذكرناه من الكلام على نقطة حوادث لا أول لها، ولنعرض أمرا آخر من تلك الطامات فنقول:

٢ ـ قال ابن أبي العز في شرحه مثبتا أن كلام الله تعالى حروف وأصوات، وأن الله تعالى يتكلم إذا شاء ويسكت متى شاء وهو المفهوم من كلام فضيلة الشارح، ومن اللازم القريب لكلامه[1]: (إن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة) اهـ[2] وفى هذا الكلام

---

١ . بل صرح بذلك ـ أي بصفة السكوت ـ ابن تيمية إمامه، أنظر الموافقة على هامش منهاجه (٢ / ٣٨).

٢ . انظر شرح الطحاوية (ص١٦٩) واعلم أن أئمة الحديث والسنة براء من هذا كالذي قبله، وهو رميهم وتهمتهم بأنهم يقولون بحوادث لا أول لها.

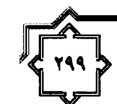


الخطير والفلسفة الزائدة في الخوض في ذات الله تعالى وصفاته التي يذم بها هؤلاء علماء الكلام، إثبات قيام الحوادث بذات الله تعالى عما يقولون، وقد تقرر عند أهل العلم أن ما قام به الحادث فهو حادث، وقد كفّر علماء الاسلام الكرامية لامور منها هذا القول كما نقلناه فيما مضى أول هذه العجالة، وقد أثبت ذلك ابن أبي العز وحاول الدفاع عنه، فقال صحيفة ١٧٧ منها: (فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به، قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الائمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الائمة أيضا مع صريح العقل). اه ويكفي في رد ذلك عرضه للقارئ[1].

واستدل لهذه العقيدة الفاسدة بحديث موضوع فقال صحيفة (١٧٠): (قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل جلاله قد اشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره**» (رواه ابن ماجه) اه. قلت: في إسناده أبو عاصم العباداني واسمه عبد الله بن عبيد الله، قال عنه الذهبي في الميزان ٢ / ٤٥٨ / ٤٤٣٧: (واه). وهو واعظ زاهد إلا أنه قدري اه. وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٣ / ٣١٤): (وأورد له العقيلي عن روايته عن الفضل الرقاشي عن ابن المنكدر عن جابر: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور**» الحديث، وقال لا يتابع عليه ولا يعرف

---

١ . علما بأن هذا النص منقول من منهاج السنة (١ / ٢٢٤) فشرح العقيدة الطحاوية هي تلخيص لـ (منهاج السنة) ولـ (موافقة صريح المعقول) للشيخ الحراني!! ولذلك يركزون عليها ويحرصون على نشرها!!



الا به) اهـ، وانظر الضعفاء الكبير للعقيلي (٢ / ٢٧٤)، وأما الفضل الرقاشي الذي يروي عنه أبو عاصم فهو منكر الحديث كما قال الحافظ في التقريب: (برقم ٥٤١٣)، وفي الكامل في الضعفاء لابن عدي (٦ / ٢٠٣٩): (قال البخاري عن ابن عيينه ليس أهلا أن يروى عنه) اهـ، ولذلك أورد هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات وقال: (الفضل رجل سوء) اهـ، فانظر كيف استدل ابن أبي العز على عقيدته بهذا الحديث والله تعالى المستعان، ولم أذكر جميع بلياته في هذا الباب وإنما أشرت إلى بعضها وإن سنح الوقت مستقبلا سأذكرها جميعا وأرد عليها إن شاء سبحانه، وفيما ذكرنا الان كفاية.

٣ ـ قال ابن أبي العز مثبتا الحد لذات الله سبحانه وتعالى عن هذا الهذيان صحيفة (٢١٩) ما نصه: (فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في الامر أصلا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته[1] اهـ. فإنه بهذه العبارة أثبت الحد لذات الله تعالى، فقال بما قال أهل الزيغ من قبل: «**من نفى الحد عن الله تعالى أخبر بعدم الرب سبحانه**»، وهؤلاء الاصل عندهم الجسمية، فلما تخيلوا أن المولى سبحانه عما يتخيلون جسما أجروا عليه أحكام الاجسام، فالجسم متى لم يكن له حد كان عدما وكذلك تخيلوا الباري سبحانه. وقولهم لاهل السنة: (إنكم إذا نفيتم الحد ساويتم ربكم بالشئ المعدوم)، تكفل برده الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (٥ / ١١٤) حيث بين أن قول

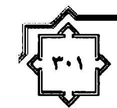
---

١ . علما بأن الطحاوي في المتن يقول: (وتعالى عن الحدود والغايات) والالباني يحاول أن يشكك في كلام الطحاوي هذا في تعليقاته على الطحاوية ص (٢٩) نقلا عن ابن مانع فيقول بأنه لا يستبعد أن يكون هذا مدسوسا على الطحاوي. وهذا تشكيك فارغ باطل لا التفات إليه، وإذا كان هذا حقا فمتن الطحاوية وشرحه لا يستبعد أيضا أن يكون بجملته مدسوسا من أعداء الاسلام.. الخ.

المجسمة هذا قول نازل ساقط لا عبرة به فقال: (وقوله «قال له النافي ساويت ربك بالشئ المعدوم إذ المعدوم لا حد له» نازل، فإنا لا نسلم أن القول بعدم الحد يفضي إلى مساواته بالمعدوم بعد تحقق وجوده) اهـ. وقدمنا في أول هذه الرسالة تكفير الامة للمجسمة ولابن كرام في قوله بالحد، وقال الامام أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق ٣٣٢: (إن أهل السنة اتفقوا على نفي النهاية والحد عن صانع العالم خلافا للهشامية والكرامية المجسمة) اهـ. وكلام ابن أبي العز قبل العبارة التي نقلناها وبعدها كله تمويه على الناس لترويج بضاعته وإقناع المغفلين بها، فهو تارة يكذب على الامام عبد الله بن المبارك: فينقل عنه زورا أنه قال بالحد، ولو قال به فهو مردود عليه[1]، لان الكفر كفر كائنا من كان الناطق به والزيغ زيغ كائنا ما كان مصدره، وليس في الاسلام دين يختلف باختلاف الاشخاص فالايمان إيمان مطلقا والكفر كفر مطلقا، فما جاء في الكتاب والسنة ثبوته مجملا أو مفصلا أثبتناه وما نفاه الكتاب أو السنة مجملا أو مفصلا نفيناه، والمعصوم هو السنة والاجماع كما هو مقرر عند أهل السنة، وتارة ينفي ابن أبي العز الحد، محتجا بأن للحد معاني كثيرة، كقوله (ص٢١٩): (وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة) اهـ. فانظر إلى هذا الروغان ما أشنعه وأقبحه، فلم هذا التخبط وهذه الفلسفة التي لا معنى لها؟! لا شك أن ذلك كله لقلب الحقائق، ولترويج عقيدة الزيغ وإقناع الناس بها، وأهل السنة والجماعة عندما أجمعوا على نفي الحد عن الباري سبحانه وأكفروا من قال به لم يقل أحد منهم من أثبت الحد بمعنى كذا جاز، ومن أثبته بمعنى كذا لم يجز، وإنما قالوا: (وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم

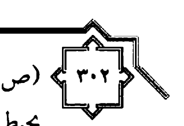
---

١ . أو هو مؤول كما ذكره البيهقي في الاسماء والصفات ص٤٢٧ بتحقيق الامام المحدث الكوثري اهـ. وقد بينت ذلك بوضوح في رسالتي (التنبيه والرد على معتقد قدم العالم والحد).



واجب، لقولهم بأن الله تعالى له حد ونهاية..) الخ كما قدمناه أول هذه الرسالة فانظره.

٤ ـ وأما مسألة الجهة فابن أبي العز ممن يقول بها ويقاتل من أجلها قتال مستميت، فانظر إلى الروغان حيث قال صحيفة (٢٢١) من شرح الطحاوية: (وأما لفظ الجهة، فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق) اهـ. فانظر كيف قاس الخالق على المخلوق، ومعنى كلامه: أي كما أن المخلوق في جهة فكذا الخالق في جهة بجامع الوجود لكل منهما، ولا شك أن هذا قياس وثني فاسد قطعا. ثم قال ابن أبي العز في نفس الصحيفة ما نصه: (وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح) اهـ. فقد قرر بأن الله تعالى في جهة ما فوق العالم، وهذا المكان الذي عينه للمولى سبحانه وتعالى عن هذيانه، سماه بالمكان العدمي أو بالامر العدمي، وإني استغرب جدا كيف يكون لمعبوده مكان يشار إليه بالاصبع كما جاء في حديث الجارية الذي يتشدقون به ثم كيف يكون هذا المكان عدما؟ وهل يشار للعدم؟!. ولا يخفاك أخي المؤمن أن أهل السنة أجمعوا على تنزيه الله تعالى عن المكان لدلالة الكتاب والسنة المصرحة بذلك. وقد نص ابن أبي العز في سلسلة أغلاطه أيضا زيادة في نغمة طنبوره في رأس صحيفة (٢٢١): أن الجهات لا نهاية لها. اهـ ومعنى ذلك أنه لا حد لها، فجعل للخالق حدا ونزه المخلوق عن الحد فسبحان قاسم العقول الوهاب!! مع أن أهل السنة كما قال الامام البغدادي في الفرق ص (٣٣٠): (أجمعوا على أن الارض متناهية الاطراف من الجهات كلها، وكذلك السماء متناهية الاقطار من الجهات الست، خلاف قول الدهرية) اهـ. ثم اعترض!!! على الامام الطحاوي في تنزيهه الله تعالى عن الجهات فقال



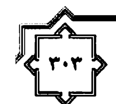
(ص٢٢١): (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، هو حق، باعتبار انه لا يحيط به شئ من مخلوقاته) اهـ. فأول كلام الشيخ حسب مراده، لينفي أن الشيخ الطحاوي يقول بهذا!! فاعترض عليه لينفي ما تبقى من احتمال ذلك على زعمه فقال في نفس الصحيفة: (لكن بقي في كلامه شيئان أحدهما: إن إطلاق مثل هذا اللفظ مع ما فيه من الاجمال والاحتمال كان تركه أولى، وإلا تسلط عليه وألزم بالتناقض في إثبات الاحاطة والفوقية ونفي جهة العلو) اهـ!! واليك بعض عقائد الكرامية أيضا المندرجة في كلام ابن أبي العز في شرح الطحاوية:

٥ ـ قال صحيفة (٢٨٢): (فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سمواته؟ أو يدني إليه من يشاء خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره) اهـ.

٦ ـ قوله صحيفة (٢٨٦): (الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الامم إنما يكون من علو إلى سفل، الثالث عشر: الاشارة إليه حسا الى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه) اهـ. وذكر قبل ذلك وبعده أدلة بزعمه دالة على هذا العلو الحسي، والمعبر عنه أحيانا بفوق وبذاته وبجهة السماء.. الخ. ولا أدري أين ذهب بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وبقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٥)، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤)، وقوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الانعام: ٣)، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)، وغير ذلك من الايات[1]، ومن

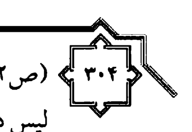
---

١ . وإذا كانت تلك الايات التي أوردها قرآنا وهذه الايات أيضا قرآنا فما الذي أوجب اعتقاد ظاهر تلك دون هذه؟!



الحديث قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» رواه مسلم (١ / ٣٥٠)، وقوله أيضا: «اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الاهل» رواه الترمذي (٥ / ٤٩٧) وقال: حديث حسن صحيح اهـ وغير ذلك من الاحاديث الصحيحة. وإذا كان يؤول هذه النصوص الموهمة للحلول فما أجدره أيضا أن يؤول تلك النصوص الموهمة للتجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه، عند المغفلين الذين لا يعرفون أصول عقيدة الاسلام التي منها تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه، المعبر عنها بقول العلماء: كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك، المأخوذ من قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، ومن قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ (الاخلاص: ٤)، ومن قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ (النحل: ١٧).

٧ ـ والقول بالجهة والفوقية الحسية يفضي إلى القول بأنه خارج العالم على العرش بذاته كما يقول أهل التجسيم، أو داخل العالم في السماء حسا لا معنى كما يقول الحلوليون وكلا القولين باطل، فقد أجمع أهل السنة على أن الله تعالى منزه عن المكان يعني أنه لا تعين له جهة كالمخلوق فيقال إنه مستقر فيها وحال بها فقول الحلولية: إنه في كل مكان باطل، وقول المجسمة: إنه فوق العالم خارج عنه فوق العرش باطل أيضا، لان هذا يلزم منه وصفه سبحانه بالاتصال أو الانفصال ووصفه بأنه خارج أو داخل العالم، وكل ذلك باطل لانهم بنوا ذلك على ما أصلوه وهو الجسمية، فوصفوه بأنه خارج العالم، لتثبيت عقيدة الزيغ واقناع الناس بها ولذلك صرح أهل السنة والجماعة بان الله سبحانه لا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله لان هذا نوع من إدراك الخالق والله سبحانه لا يحيط به أو يدركه أحد من خلقه، وهؤلاء يريدون أن يدركوه وأن يعينوا له مكانا فـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لذلك قال ابن أبي العز في شرحه



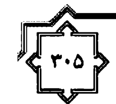
(ص٢٢٢): (ولا نظن بالشيخ ـ يعني الطحاوي ـ أنه ممن يقول إن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه بنفي التعيينين) اهـ. واليك بعض أقوال علماء الاسلام في ذلك:

قال الامام الغزالي : (الله تعالى مقدس عن المكان، ومنزه عن الاقطار والجهات، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه، قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته) اهـ الاحياء (٤ / ٤٣٤)[١].. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) (١ / ٢٢٠ ـ ٢٢١): (فإن إدراك العقول لاسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف، كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث) اهـ.. وقال إمام الحرمين في (الارشاد) ص (٦١): (ثم نقول: إن سميتم الباري تعالى جسما وأثبتم له حقائق الاجسام، فقد تعرضتم لامرين: إما نقض دلالة حدث الجواهر، فإن مبناها على قبولها للتأليف والمماسة والمباينة ـ أي الانفصال ـ وإما تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع، وكلاهما خروج عن الدين، وانسلال عن ربقة المسلمين) اهـ.. وقال الامام الحافظ البيهقي في (الاسماء والصفات) ص٤١٠: (والقديم سبحانه عال على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش، يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لان المماسة والمباينة التي هي ضدها والقيام والقعود من أوصاف الاجسام، والله عز وجل أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فلا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام تبارك وتعالى) اهـ.

وقال الامام أبو المظفر الاسفراييني في التبصير (٩٧ بتحقيق الامام الكوثري): (وأن تعلم أن الحركة والسكون، والذهاب والمجيء، والكون في

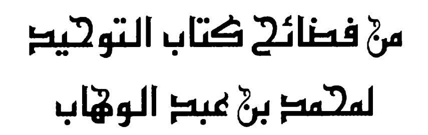
---

١ . وانظر أيضا شرح الاحياء للزبيدي ١٠ / ١٨١.



المكان، والاجتماع والافتراق، والقرب والبعد من طريق المسافة والاتصال والانفصال، والحجم والجرم، والجثة والصورة والحيز والمقدار والنواحي والاقطار والجوانب والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى لان جميعها يوجب الحد والنهاية) اهـ. وقال الامام النووي في الروضة (١٠ / ٦٤) ما نصه: (من اعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالاجماع، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالاجماع، ككونه عالما قادرا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالاجماع كالالوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرا) اهـ. وقال الامام المحدث ملا علي القاري في (شرح الفقة الاكبر) مشنعا على ابن أبي العز هذا، شارح الطحاوية ومشوهها ما نصه (ص١٧٢): (والحاصل أن الشارح يقول بعلو المكان مع نفي التشبيه وتبع فيه طائفة من أهل البدع).. الخ اهـ. فانظره. وقال العلامة القاري أيضا صحيفة ١٧٢: (ومن الغريب أنه استدل على مذهبه الباطل برفع الايدي في الدعاء إلى السماء) اهـ. وقد عرضنا البعض اليسير مما في شرح الطحاوية من أخطاء مستشنعة مرفوضة في عقيدة الاسلام، محذرين لطلاب العلم والمدرسين في شتى المجالات من تدريسها ودراستها وتقريرها على الطلاب وموافقة ما فيها من الخطأ من باب قول النبي ﷺ: (الدين النصيحة) وأرجو أن يعرف أهل العلم وطلابه ما هو المراد من توحيد الاسماء والصفات عند من يدعو إليه، وأن المراد منه عند، هؤلاء المتمسلفين ما رأينا من التجسيم وإقامة الوثنية التي حاربها الاسلام وجاء بهدمها. وأن يدركوا ما كتبناه وقررناه من الادلة الواضحة في إبطال تقسيم التوحيد الى ربوبية وألوهية وليكن هذا آخر كتابنا (التنديد بمن عدد التوحيد) فنسأله سبحانه حسن الختام والحمد لله رب العالمين، وكان الفراغ من تصنيف أصل هذه الرسالة غير ما ألحقته بها ٥ / ربيع الاول / ١٤٠٧ هـ.





من فضائح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب

حسن بن علي السقّاف

تحقيق: علي ملا موسى ميبدي

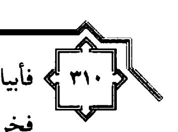


الشيخ سليمان بن عبدالوهاب النجدي ذكر عن أخيه محمد بأنه ليس أهلاً للاجتهاد بل ولم يصل عشرَ الأهلية، ولنبرهن على ذلك فسنأخذ مثالاً من كتاب من كتب الشيخ محمد فلسان المرء مقياس عقله؛ وما يكتبه هو حصيلة فكره، والكتاب هو (كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا الكتاب له تقديس خاصٌ عند الحشوية؛ يقدسونه ويوزعونه بالمجان، وهو كُتيب إذا قرأته فلن تجد فيه تجديداً يستأهل هذا الاهتمام، بل لا أظنك تتصور أنَّ كتاباً هذا عنوانه قد يحوي أحاديث ضعيفة، لأنه كتاب عقيدة؛ وكتب العقيدة يجب أن تنزَّه عن الأحاديث الضعيفة؛ فأقول لك هوِّن عليك يا أخي فالشيخ القدوة المجدد!! لا يستدل بالأحاديث الضعيفة فحسب بل وبالموضوعة كذلك، ويهِم فيه أوهاماً كثيرة؛ فيزيد في الأحاديث كلمات من عنده؛ وينسب الحديث إلى مصادر ليس موجوداً فيها وإليك الأمثلة:

١) في باب: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[١] أورد في تفسير هذه الآية قصة تقدح في عصمة أبينا آدم عليه السلام وترميه وأمنا حواء بالشرك؛ وهي قصة واهية، منسوبة إلى ابن عباس، رواها ابن أبي حاتم، يعلم بطلانها صغار الطلبة النافرين للتفقه في الدين؛ فقال: (لما تغشاها آدم حَمَلَتْ، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلنَّ له قرنيَ أيِّل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ سمِياه عبد الحارث،

---

١ . الأعراف: ١٩٠.



فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله: فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾.

ونحن نرد على شيخ الوهابية من لسان رجل من أهل تقديسهم من العلماء؛ وهو ابن حزم الذي قال في كتابه الملل والنحل) وهذا الذي نسبوه إلى آدم من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة... ولم يصح سندها قط، وإنما نزلت الآية في المشركين على ظاهرها) (فتح المجيد ص٣٩٢) ونحن نعلم أن ابن عبد الوهاب مغرور يظن نفسه عالما وقد نفخ فيه ذلك طبعه أولا، وأساتذته المستشرقون ثانياً؛ حيث أرادوا منه أن يكون رأس حربة يشوهون بها الإسلام، ويشغل المسلمين عن جهاد اليهود والنصارى بفقهه الهزيل الأعوج، وفقه قومه خوارج نجد ـ فيشتغل المسلمون بأنفسهم ويستبدلون ذروة سنام الإسلام بدعوى الشرك وعبادة القبور ومحاربتها رغم أن الرسول الكريم قد نص بأن الشيطان أيس أن يعبده المسلمون ـ وإلا فإن الشرك لا يجوز اعتقاده في الأنبياء عليهم السلام ولا يقع منهم على أي حال، فهم مبرؤون منه باتفاق الأمة، فكيف لكُتَيِّب كهذا يحمل مثل هذا الخطأ الفاحش أن يسمى بكتاب التوحيد؟.

(٢) فهل من غرابة أن يلمز محمد بن عبد الوهاب في كُتيبه هذا في باب قول: ما شاء الله وشئت، الشيخَ البوصيري بالشرك في قصيدته البردة التي استشفى الله سبحانه وتعالى بها لأنه قال في الرسول الكريم:

يا سيد الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولو كان الشيخ فقيها لعلم أن هذا ليس بشرك إلا في فقه الخوارج الأعوج، فقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن الناس يوم القيامة يتدافعون إلى الأنبياء عليهم السلام ليشفعوا لهم، فيتدافعها الأنبياء إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فيتقدم فيقال له (اشفع



تشفَّع وسل تعطه)[١] رواه أغلب أهل الحديث عن عدد من الصحابة، فهل يكون البوصيري الفقيه مشركاً بقوله أن ليس له من يلوذ به يوم القيامة إلا رسول الله ﷺ؟!

(٣) أورد الشيخ في (باب: ما جاء في الكهان ونحوهم) حديث مسلم: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٢].

رواه مسلم، ولكنه زاد فيه (فصدَّقه) وليس فيه فصدَّقه كما وهم الشيخ!.

(٤) في (باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ..﴾[٣] أورد حديث: «يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ»[٤].

رواه مسلم في كتاب (صفة القيامة والجنّة)، وزاد فيه الشيخ بعد الأرضين كلمة (السبع) وهو كما ترى ليس فيه (السبع) كما وهم!، وقد بحثت في رواية أبي داود ورواية ابن ماجة أيضاً؛ وليس لكلمة (السبع) وجود.

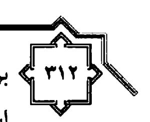
(٥) وهذا الحديث وإن رواه الإمام مسلم فهو أحد أحاديثه الباطلة ففي إسناده (عمر بن حمزة)، قال عنه أحمد ابن حنبل (أحاديثه مناكير)، وقال عنه الرازي ذلك أيضاً، وقال يحيى بن معين (ضعيف)، وقال النسائي (ليس بالقوي) وقال عنه مرَّة (ضعيف)، وقال ابن حجر في (التقريب ١/ ٧١٥ برقم ٤٩٠٠) (ضعيف)، وقد ذكره ابن الجوزي في (الضعفاء والمتروكين ٢/ ٢٠٧

١. صحيح مسلم، ج١، ص١٨٠.

٢. نفس المصدر، ج٤، ص١٧٥١.

٣. الأنعام: ٩١.

٤. نفس المصدر، ج٤، ص٢١٤٨.



برقم ٢٤٥٣)، وفوق ذاك فإن أبا أسامة (حماد بن أسامة) مدلِّس كما قال ذلك ابن حجر في التقريب (١/ ٢٣٦ برقم ١٤٩٢) حيث قال هناك: بعد أن وثَّقه (ربما دلَّس) وقال ذلك عنه محمد بن سعد، وإن كان يبيِّن تدليسه، فهو هنا لم يصرِّح بالتحديث، ومن العلماء من لا يأخذ حديث المدلِّس أصلاً كما روى الشافعي عن شعبة (التدليس أخو الكذب)، فهذا الحديث بعيداً عن الخوض في متنه هو واهي الإسناد جداً.

(٦)وفي هذا الباب أيضاً استدل بالرواية التالية عن أبي ذر: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**»[1]، وهذه الرواية قبل كل شيء مما انفرد به ابن حبان ولفظ (من الأرض) زيادة من الشيخ حيث أنه يميل للزيادة في الروايات!

(٧)قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في هذا الحديث: إسناده ضعيف جداً.

(٨)ويكفي دليلاً على بطلان هذه الرواية أنَّ فيها الكذَّاب إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسَّاني الذي بيَّن كذبه ابن أبي حاتم بما لا يدع مجالاً للارتياب ثم ختم قوله بالتالي (.. وهو كذَّاب)، وقال علي بن الحسين بن الجنيد (صدق أبو حاتم ينبغي ألا يحدَّث عنه)، وقال أبو زرعة (كذّاب)، وقال الذهبي (إبراهيم هذا متروك).

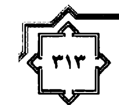
راجع لسان الميزان للذهبي ١/ ١٢٢ رقم ٣٧٢، والجرح والتعديل ٢/ ١٤٢ رقم ٤٦٩.

(٩)وفي باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط... استدلَّ بحديث «**من تعلّق بتميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعةٍ فلا ودع الله له**»[2]، وهذا الحديث فيه

---

١ . جامع البيان في تأويل القرآن، ج٥، ص٣٩٩.

٢ . السنن الكبرى للبيهقي، ج٩، ص٥٨٨.



(مشرح بن عاهان) الذي قال فيه ابن حبان (يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها) وهذا الحديث قد رواه عن عقبة!!

(١٠)وقد اعتمد الشيخ في (باب التنجيم) من كتابه على حديث رواه أحمد وابن حبان وفي إسناده (أبو حريز)، وهو (منكر الحديث) كما قال عنه أحمد بن حنبل، وقال النسائي (ضعيف)، وليته اطلع على أحاديث صحيحة ليستدل بها في هذا الباب!

(١١)وفي باب: (ما جاء في الرقى والتمائم)، أتى بأحاديث سندها ضعيف كحديث: «**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[1]، ففي إسناده (ابن أخي زينب) وهو مبهم لا يُعرف كما يقول عنه علماء الحديث؛ بينما كان بإمكان الشيخ أن يستدل بأحاديث صحاح في هذا الباب أيضا!

(١٢)وفي نفس الباب: أورد حديث: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»[2]، وفيه (ابن أبي ليلى) عند أحمد وقد قال فيه نفسه: (سيء الحفظ مضطرب الحديث)، وقال شعبة: (ما رأيت أحداً أسوأ حفظاً منه)، وقال يحيى بن معين: (ليس بذاك)، وقد ضعّفه يحيى بن سعيد القطّان.

أما رواية النسائي ففيها (عبّاد بن ميسرة المنقري) قال فيه أحمد بن حنبل (ضعيف)، وقال أبو داود (ليس بالقوي).

(١٣)وفي نفس الباب أيضاً: أورد حديث «**يا رويفع! لعل الحياة تطول بك... الخ**»[3]، والحديث فيه (شيبان القتباني وهو مجهول) وفي الرواية الأخرى (ابن لهيعة) الذي قال فيه ابن مهدي (ما أعتد بشيء سمعته من حديثه)، وقال

---

١ . سنن أبي داود، ج٤، ص٩.

٢ . سنن الترمذي، ج٣، ص٤٧١.

٣ . إطراف المُسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبلي، ج٤، ص٣٤٧.



أحمد (ما حديثه بحجّة وإني أكتبه أعتبر به) وقال يحيى بن معين (في حديثه كله ليس بشيء)، وفي رواية النسائي رجل مبهم حيث قال في الإسناد (وذكر آخر قبله)!

(١٤)وفي باب ما جاء في قوله تعالى:﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ..﴾[1] ذكر الرواية التالية: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ...»[2]، الخ*

وهي رواية موضوعة باطلة رواتها بين مجهول وكذّاب وضعيف وإليك قدح أهل الحديث فيهم:

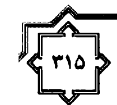
- يحيى بن العلاء. قال عنه وكيع بن الجراح (يكذب)، وقال عنه أحمد بن حنبل (كذاب يضع الحديث) ومن عجب أن يروي عنه أحمد بعد ذاك!، وقال عنه يحيى بن معين (ليس بثقة)، وقال عمرو بن الفلاس والبخاري (متروك الحديث) وقال إبراهيم الجوهري (شيخ واهٍ) راجع مثلاً الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ١٩٨) برقم (٢١٠٤) و (الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث) (ص٢٨٠) برقم (٨٤٠).

- سماك بن حرب. قال عنه عبدالله بن المبارك (ضعيف الحديث)، ومع أنّ ابن حبان وثّقه فقد قال عنه (يخطئ كثيراً!)، وقال سفيان الثوري (ضعيف)، وقال جرير (أتيت سماك بن حرب فرأيته يبول واقفاً) وكان شعبة يضعفه راجع مثلاً الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٤٦٠) برقم (٨٧٥). وقد ذكره ابن الجوزي في (الضعفاء والمتروكين) (٢/ ٢٦) برقم (١٥٥٢) وقال عنه هناك (كان شعبة،

---

١ . الأنعام: ٩١.

٢ . مسند أحمد، ج٣، ص٢٩٢.



وسفيان الثوري يضعِّفانه. قال ابن عمّار: (كانوا يقولون إنـه يغلـط ويختلفـون في حديثه). قال ابن معين: (أسند أحاديث لم يسندها غيره...). وقـال صـالح بـن محمد (يُضعَّف...). وقال عبدالرحمن بن يوسف بن خراش: (في حديثه لـين). وسماك هذا أحد ضعفاء البخاري ومسلم.

ـ عبدالله بن عميرة الكوفي. قـال عنـه إبـراهيم الحـربي (لا أعرفـه)، وقـال الذهبي (لا يُعرَف)، وقد ضعَّفه العقيلي وابن عدي وفي لسان الميـزان (مجهـول) (٧/ ٢٦٧) برقم (٣٥٨٨).

(١٥)وقال في الحديث السابق (أخرجه أبو داود وغيره)، ونقول أخطـأت يا شيخ فالحديث قد رواه أحمد الذي تدَّعون أنه إمامكم وليس أبو داود، وهو مما تفرد به أحمد بين الأئمة أمثال: (مالك والبخاري ومسلم والترمـذي والنـسائي وأبو داود وابن ماجة والدارمي) فلم يروه أحد منهم!

أما إذا قلتم أيها المجسِّمة انتصاراً لشيخكم إن للحديث شبيهاً ـ ولو لم يكـن بنفس الألفاظ ـ عند أبي داود فنقول لكم نعم ونصه كالتـالي: حَـدَّثَنَا مُحَمَّـدُ بْـنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ عَنْ سِمَاكٍ عَـنْ عَبْـدِ الله بْـنِ عَمِـيرَةَ عَـنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ كُنْـتُ فِي الْبَطْحَـاءِ فِي عِـصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ مَا تُـسَمُّونَ هَـذِهِ قَـالُوا السَّحَابَ قَالَ وَالْمُزْنَ قَالُوا وَالْمُزْنَ قَالَ وَالْعَنَانَ قَالُوا وَالْعَنَانَ قَالَ أبو دَاود لَمْ أُتْقِـنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالُوا لَا نَدْرِي قَالَ إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَـا كَـذَلِكَ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَـيْنَ سَـمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِـمْ مِـثْـلُ مَـا بَـيْنَ سَـمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُـمَّ

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ»[1].

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَا أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ سِمَاكٍ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاه»[2].

وهذا مظلمٌ باطل مكذوب على رسول الله ﷺ مثل سابقه ففي إسناده:

ـ الوليد بن أبي ثور، واسمه كاملاً الوليد بن عبدالله بن أبي ثور الهمداني الكوفي، وهو كذّاب منكر الحديث كما صرَّح بذلك أساطين هذا الفن فقد قال فيه يحيى بن معين (ليس بشيء) وقال ابن نمير (كذّاب) وقال أبو زرعة (منكر الحديث يهم كثيراً)، وقال يعقوب بن سفيان، وصالح جزرة (ضعيف) وذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين وقال عنه هناك (قال النسائي: ضعيف)، وقال ابن حجر في التقريب ج٢ / برقم (٧٤٥٨): (ضعيف).

ـ عبدالله بن عميرة الكوفي. راجعه في تخريج الحديث السابق، علماً أن البخاري قد صرح بأن ابن عميرة هذا لا يعلم له سماع من الأحنف. راجع الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ٢٣٢) برقم (١٠٥٣).

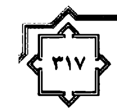
ـ عمرو بن قيس، قال الذهبي: (له أوهام)، وقال أبو داود راوي الحديث (في حديثه خطأ).

ـ سماك بن حرب. راجع تعريفه في الحديث السابق. وهذه الرواية مع ما فيها من بطلان واضح في المتن وكذب في الإسناد لم يتجاوز شيخكم الألباني فيها حد التضعيف!

---

١ . سنن أبي داود، ج٤، ص٢٣١.

٢ . نفس المصدر، ج٤، ص٢٣٢.



(١٦)وفي الكتيِّب هذا أحاديث لم يذكر من أين أتى بها!! وقد تفادى شرَّاح كتاب الشيخ تخريج هذه الأحاديث أو التعليق عليها علماً أنهم يسارعون إلى ذلك متى ما علموا أنَّ للحديث ولو بعض أصل في كتب الحديث!، وقد ضربت عن البحث عنها صفحاً لأنَّ في ما ذكرت كفاية لإثبات مقولة الشيخ سليمان بن عبدالوهاب بأنَّ محمداً هذا لم يبلغ معشار أهل العلم[١]!

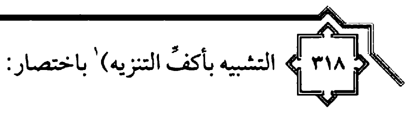
وبالله عليكم أيها الوهابية هل تبنون عقيدتكم على أحاديث الكذَّابين والوضَّاعين، والضعفاء والمتروكين، والمجهولين، بل وروايات ليس لها أصل في كتب الحديث، وتتركون المحكم من كلام ربِّ العالمين والثابت الشهير من كلام سيِّد المرسلين!.!!

كذب الحشوية على الأئمة الأربعة

لا يخفى على كل عاقل منصف مطلع على كتب المجسِّمة تجرؤهم في الكذب على الله ورسوله فمن طالع كتبهم وجد ذلك ككتب ابن تيمية وابن القيم وأبو يعلى المجسم والدارمي...... وغيرهم من أرباب هذه النحلة الخاسرة ونقدم ههنا لمحةً من كذبهم على أئمة المذاهب الأربعة وذلك لأننا وجدنا البعض يجلون علماء الحشوية لالتباس الأمر عليهم ويحسبونهم من أهل السنة وما هم إلا من أهل الباطل أخزاهم الله تعالى وإليكم بيان ذلك نقلاً عن العلامة الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي المتوفي سنة ٥٩٧هـ، كتاب (دفع شبه

---

١ . في هذا الكتيب أيضاً إعجاب الشيخ بفكر اليهود حين ذكر قول الحبر اليهودي (يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع.. الخ) فقال الشيخ في المسألة الثانية: «إن هذه العلوم باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها» فانظر بين هذا المنطق المعجب بعدم إنكار اليهود وتأويلهم على حد زعمه، وأمر الرسول الكريم لنا بعدم تكذيب اليهود أو تصديقهم!



التشبيه بأكفِّ التنزيه)[١] باختصار:

١ ـ الإمام أبو حنيفة:

نسبوا إليه أنه قال: من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢] وعرشه فوق سبع سموات.

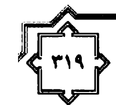
والجواب: أن هذا الكلام كذب باطل مصنوع على أبي حنيفة وذلك لأن الراوي لهذا الكلام هو أبو مطيع البلخي وهو كذاب دجال، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة ضعيف، وقال أحمد: لا ينبغي أن يروى عنه شيء، وقال البخاري: ضعيف صاحب رأي، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: كان مرجئا كذابا، وقد جزم الذهبي بأنه وضع حديثا كما في ترجمة عثمان بن عبدالله الأموي، قال ابن أبي العز شارح الطحاوية الحشوي المجسم ج٢ ص٤٨٠ نقلاً عن ابن كثير: وأما أبو مطيع فهو الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وعمرو بن علي الفلاس والبخاري وأبو داود وأبو حاتم الرازي وأبو حاتم محمد بن حبان البستي وابن عدي والدار قطني وغيرهم اهـ.

هذا ما قاله هنا بينما قال بعد ما أورد الأثر السابق ص٣٧٨: ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك... فتأمل في كلامه واحكم عليه بما شئت. وأبو إسماعيل الأنصاري الملقب بشيخ الإسلام الراوي لهذا الأثر لا يحتج بنقله ولا كرامة لأنه مجسم خبيث قائل بالحلول والاتحاد كما قال ابن تيمية كما نقله الإمام ابن السبكي في الطبقات الكبرى ج٤ ص٢٧٢ نقلا عن الحافظ الذهبي. اهـ.

---

١ . تحقيق العلامة المحدِّث حسن بن على السقاف، طباعة دار الإمام النووي ط٢، ١٤١٢هـ عمان ـ الأردن ـ ص.ب: ٩٢٥٣٩٣ هاتف: ٦٧٢٠١١ / من (ص٦٩ ـ ٧٤).

٢ . طه: ٥.



وعلى تقدير صحة هذا الكلام فقد أجاب عنه الإمام ابن عبد السلام في حل الرموز كما نقله علي القاري في شرح الفقه الأكبر ص٢٧١ قال: من قال لا أعرف الله تعالى في السماء أم في الأرض كفر، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه. اهـ

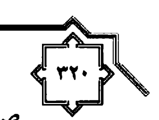
قال القاري: ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد عل نقله لا على ما نقله الشارح ـ يعني شارح الطحاوية المجسِّم ـ مع أن أبا مطيع رجل وضّاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد. اهـ كلام القاري.

على أن الإمام أبا حنيفة قد صرح بنفي الاستقرار على العرش كما في كتابه الوصية كما في شرح الفقه الأكبر ص٦١ حيث قال: نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه، واستقراره عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى فهو منزه عن ذلك علوا كبيرا. اهـ.

٢ ـ الإمام مالك بن أنس:

فإنهم يروون عنه أنه قال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة).

والجواب: أن هذا لم يثبت عن مالك من رواية صحيحة ولا حسنة ولا ضعيفة خفيفة الضعف، ومن يدعي خلاف ذلك فعليه أن يوضح لنا ذلك ونحن بحمد الله على أتم الاستعداد لنجيب عليه وندحضه بالحجة والبرهان، وإنما جاء عنه بلفظ: (الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) وهذه قاصمة لظهور المجسمة.



قال ابن اللبان في تفسير قول مالك هذا كما في إتحاف السادة المتقين ج٢ ص٨٢ قوله: كيف غير معقول أي كيف من صفات الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى، قوله: والاستواء غير مجهول أي أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، والإيمان به على الوجه اللائق به تعالى واجب؛ لأنه من الإيمان بالله وبكتبه، والسؤال عنه بدعة؛ أي حادث لأن الصحابة كانوا عالمين بمعناه اللائق بحسب وضع اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه، فلما جاء من لم يحط بأوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم يهديه لصفات ربه يسأل عن ذلك، فكان سؤاله سببا لاشتباهه على الناس وزيغهم عن المراد اهـ.

وقال مالك: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] كما وصف به نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع...)، وفي هذا ردٌّ صريح على عقيدة المجسمة الذين يقولون بإثبات الكيف وبيان المعنى[2].

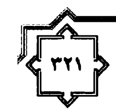
٣ ـ الإمام أحمد بن حنبل:

رغم أن الوهابية انتسبوا إلى الإمام أحمد زوراً وبهتاناً فإنه لم يسلم هو أيضا من كذبهم عليه، وهم لم يتبعوه أصلا، فالإمام أحمد لم يفت باستحلال دماء مخالفيه بل ولا أهل البدع فقد جاء في مختصر الروضة: (الصحيح أن من كان من أهل الشهادتين فإنه لا يكفر ببدعة على الإطلاق ما استند فيها إلى تأويل يلتبس به الأمر على مثله وهو الذي رجحه شيخنا أبو العباس ابن تيمية)[3]، وقد جاء

١ . طه: ٥.

٢ . انظر إتحاف السادة المتقين ج٢ ص٨٢، وكتاب دفع شبه التشبيه ص٧١ ـ ٧٢ وكتاب عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ حسن السقاف ص٢٩ ـ ٣٠.

٣ . سليمان بن عبدالوهاب، الصواعق الإلهية، ص٤٧.



هؤلاء يسفكون دماء الموحدين لأنهم أهل بدعة في رأيهم، ويكذبون على الإمام أحمد كما فعل بعض أسلافهم، يقول العلامة القنوبي: (وقد ابتلي الإمام أحمد بن حنبل بأصحاب جهلة كذبوا عليه ونسبوا إليه ما لم يقله من العقائد والآراء الكاسدة؛ كما ذكر ذلك جماعة كبيرة من العلماء منهم ابن الجوزي وابن الصلاح وابن عبد السلام والإمام السبكي وابنه التاج والذهبي وآخرون[1].) اهـ

ومما نسبوه إلى الإمام أحمد كذلك الرد على الجهمية؛ قال الإمام الذهبي بعد كلام: (.. لا كرسالة الاصطخبري، ولا كالرد على الجهمية الموضوع على أبي عبد الله يعني الإمام أحمد، وقال بعد أن أورد شيئا من هذه العقيدة الفاسدة الكاسدة: والله ما قالها الإمام أحمد، فقاتل الله واضعها، ثم قال: فانظر إلى جهل المحدثين كيف يروون مثل هذه الخرافة ويسكتون عليها[2].) اهـ

٤ ـ الإمام الشافعي:

نقل المجسمة عنه أنه قال: (القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بالشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء... وذكر سائر الاعتقاد) اهـ قال الشيخ السقاف الشافعي محقق الكتاب: هذا مذكور في (مختصر العلو) ص١٧٦ وقال هناك: (روى شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري، والحافظ أبو محمد بن إدريس الشافعي) به.

---

١ . الشيخ سعيد بن مبروك القنوبي، السيف الحاد، ص١٩٢.

٢ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١ ص٢٨٦.

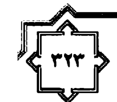


جوابه: هذا الكلام كذب محض، وهو مدسوس على الإمام الشافعي ﵀، ومختصر العلو المتناقض!! إما أنه يعلم ذلك أو لا يعلم، وأحلاهما مُرّ أو حنظل معصور في فمه، وإليك بيان ذلك:

أما الملقب بشيخ الإسلام أبي الحسن الهكاري فهو أحد الكذابين الوضاعين قال عنه الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) ج٣ ص١١٢ في ترجمته: (قال أبو القاسم بن عساكر: لم يكن موثوقاً به، وقال ابن النجار: متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد) اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته في (لسان الميزان) ٤/ ١٥٩ من الطبعة الهندية): (وكان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات، وفي حديثه أشياء موضوعة ورأيت بخط بعض أصحاب الحديث أنه كان يضع الحديث بأصبهان) قال السقاف تعليقاً: وقد مجده وعظمه الشيخ الحراني في رسالته المسماة (الوصية الكبرى في العقيدة والدعوة) ووصفه بشيخ الإسلام!!! وهو كذاب وضاع كما ترى. وأما أبو محمد المقدسي: فهو ممن أباح العلماء دمه كما يجد ذلك من طالع ترجمته لكونه مجسما صرفا انظر كتاب (الذيل على الروضتين) المسمى أيضا تراجم رجال القرنين للحافظ أبي شامة المقدسي هذا حتى نحكم عليه أيضا؟؟!!!

ثم اعلم أن أبا شعيب الذي زعموا أنه روى تلك العقيدة عن الشافعي وُلِدَ بعد وفاة الشافعي بسنتين كما تجد ذلك في (تاريخ بغداد) ٩/ ٤٣٦. وأما هذه العقيدة المروية عن الإمام الشافعي ﵀ فهي مدسوسة عليه كما نقل ذلك الذهبي نفسه في (لسان الميزان) ٥/ ٣٠١ نقلاً عن الذهبي: (أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة باطن، منها: حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة الشافعي...) اهـ فاستيقظوا!!



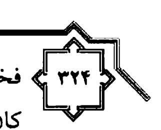
قلت (أي السقاف): ولعل هذا العشاري في سند عقيدة الشافعي التي يرويها الهكاري الوضاع والمقدسي المجسم، وكذلك في سندها ابن كادش الوضاع، ثم اطلعت على (تبديد الظلام المخيم) للمحدث الكوثري ص١٠٨ فوجدته يقول: (واعتقاد الشافعي المذكور في ثبت الكوراني كذب موضوع مروي بطريق العشاري وابن كادش) وبذلك يتم إسقاط ما احتج به المجسمة من تأييد الإمام الشافعي لآرائهم الفاسدة ولله تعالى الحمد. انتهى النقل

إضاءة:

وقد كذبوا أيضا على غيرهم من أئمة المسلمين فنسبوا إليهم ما لم يقولوه، وحذفوا من كلامهم مالا يتناسب مع معتقداتهم؛ ولدينا على ذلك أمثلة لا بأس بها عن أرباب هذه النحلة من متقدمين ومتأخرين ومعاصرين، فهم أصحاب عقول هزيلة يظنون أنهم بتشويههم للكتب مثلا يستطيعون أن يخفوا عورات الفكر الحشوي الجانح، فمنذ فترة ليست بالبعيدة، وقعت حادثة مضحكة مبكية بإحدى الجامعات الأردنية العريقة، حيث اندسَّ أحد الطلبة الحشوية ذات مساء بمكتبة الجامعة، مستغلاً انشغال أمينها، فأُغلِق عليه الباب حتى الصباح، فأخذ يستخدم معداته التي أحضرها خصيصاً لهذه المهمة، فمزَّق الكثير من صفحات أمهات الكتب النفيسة بالمكتبة، حالماً بأنه سيخفي عوراتهم التي كشفها الله، وأنى لهم ذلك فالحقيقة كنور الشمس لا تحجبها أجنحة البعوض، ولا يبعد أن يكون هذا الطالب موجَّهاً للتخريب؛ فلا يخفى أن الوهابية أعادوا طباعة الكثير من الكتب النفيسة بعد أن شوهوها كثيراً بحذفهم وإضافاتهم.

كره ابن تيمية لآل البيت

ابن تيمية بذل الغالي والنفيس كي يدافع عن شرعية الدولة الأموية، فألف الكتب في فضلهم، وفي سبيل ذلك شنَّ هجمة على الإمام علي بن أبي طالب



فخطّأه في سبعة عشر موضعاً يرى أنه خالف فيها نص الكتاب، وقال عنه: إنه كان مخذولاً، وإنه قاتل للرئاسة لا للديانة وقد ذكر ذلك في كتابه المنهاج[١] ومما قاله (وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علياً ولا تاركاً له، فأئمة السنة يسلمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجباً ولا مستحباً) ويقول (ولا رأي أعظم ذماً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين، ولم يكن في قتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا دنياهم بل نقص الخير عمّا كان وزاد الشر على ما كان)[٢]، وهو في قوله الأخير هذا لا يقول ما يقوله إلا دفاعاً عن الذين بغوا على الخليفة المبايَع للاستئثار بالحكم في بلاد الشام؛ فقاتلهم الإمام علي تنفيذا لحكم الله بعد أن أبوا الانصياع إلى الحق لقوله سبحانه ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾[٣]، بل إن ابن تيمية يذهب أبعد من ذلك فيصور الإمام علي ـ تنظيراً للنواصب ـ بأنه يريد العلو في الأرض والفساد (.. وهذا حال فرعون!..) (.. فمن أراد العلوّ في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة!)[٤] فانظر رحمك الله إلى كلامه الخطير هذا، وجرأته على أبي الحسن عليه السلام بكلام لم يقله عنه حتى اليهود أعداء الأمة البارزين، فليس هناك من أحد سمى الإمام علي بالمقاتل للرئاسة لا لديانة إلا ابن تيمية، وليس من أحد سماه بالمخذول إلا ابن تيمية، وليس من أحد سماه بالعاجز عن العدل إلا ابن تيمية، وليس من أحد أشار إلى أنه باغٍ في قتاله لمعاوية إلا ابن تيمية؛ وليس من أحد تحدث بلسان النواصب

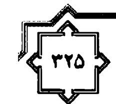
---

١ . ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

٢ . ابن تيمية قد بذل جهداً جهيداً وحبَّر أوراقاً كثيرة في مهاجمة الإمام علي بن أبي طالب ومناصرة الأمويين، ومن أراد تقصي طرفاً من ذلك فعليه بمراجعة الشيخ عبدالله الهرري، الدليل الشرعي على إثبات عصيان من قاتلهم عليٌ من صحابيٍ أو تابعي، دار المشاريع، لبنان. وصائب عبدالحميد، ابن تيمية في صورته الحقيقية، الغدير للدراسات والنشر، لبنان.

٣ . الحجرات: ٩.

٤ . ابن تيمية، منهاج السنة ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥، ٢٣٢ ـ ٢٣٤.



فشبه علياً بفرعون وقرر حرمانه من الجنة إلا ابن تيمية عامله الله بما يستحق. وكيف لعلي أن يبغي ويكون فرعوناً وهو الخليفة المبايع وأصحاب رسول الله ﷺ من السابقين واللاحقين يقاتلون تحت لوائه جنودا!

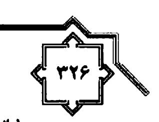
هذا ولترى مدى التناقض عند ابن تيمية المنافح عن الأمويين تراه لا يطبق منهجه هذا على من قتل سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي فهو لا يقول إن قتله لم يكن فيه مصلحة للإسلام بل قال مدافعا عن يزيد الخمر (ويزيد ليس بأعظم جرماً من بني إسرائيل!!! كان بنوا إسرائيل يقتلون الأنبياء، وقتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء)[١] إن ابن تيمية لا يرى بأساً في قتل يزيد للحسين ومن باب أولى أنه لا يرى بأساً في تسميم معاوية للحسن بن علي رضي الله عنه، لأن بني إسرائيل فعلوا أشد من ذلك ولم يفعل الله بهم من شيء سوى أنه ضرب عليهم الذلة ولعنهم وباءوا بغضب من الله ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٢][٣].

---

١ . المصدر السابق ٢/ ٢٤٧.

٢ . آل عمران: ١١٢.

٣ . لا أشك أن وهابيا سيخرج ليدافع عن ابن تيمية في مقولته هذه ويقول، نعم الفرق بين يزيد واليهود أنهم لم يقتلوا الأنبياء فقط بل كفروا بآيات الله أيضاً، والفقه الخارجي الأعوج مشهور عند الوهابية، فبعد مجزرة الطائف وقتلهم للنساء والأطفال وسلب أموالهم، وقتلهم للشيخ الزواوي مفتي الشافعية وأبناء الشيخ عبد القادر الشيبي رأى الشيخ الشيبي أن يحتال عليهم ليحفظ عنقه فأجهش بالبكاء عندما أتى دوره للقتل فسأله أحدهم لماذا تبكي يا كافر؟ فقال: أبكي والله من شدة الفرح، أبكي يا إخوان لأني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر، ولم يشأ الله إلا أن أموت مؤمناً موحدا. الله أكبر، لا إله إلا الله.. فأخذت الوهابية الأريحية وبكوا لبكاء الشيخ؛ ثم طفقوا يقبلونه ويهنئونه بالإسلام! (نجد وملحقاتها ص٣٣٣، السلفية بين أهل السنة والإمامية ص٣٤٧).



ألا إن ابن تيمية في ضلال مبين، وما لهؤلاء الذين يتشدقون بمحبة أصحاب رسول الله ﷺ من أدعياء السلفية اليوم يصرون على متابعة ابن تيمية وهذه هي أقواله وتناقضاته وميله لفريق البغاة الفاسقين؟!، وكيف يثنون عليه بمديح لا يثنون به على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟!، وماذا عساهم أن يقولوا في أقواله هذه، أهو أيضاً من كذب ابن بطوطة عليه وهو مسطور في كتبه، أم هو من الخطأ المغفور له لأنه أجل من كل خطأ وفوق كل حساب؟!! ألا إن الوهابية في ضلال مبين[1].

بقي أن نذكر أن الوهابية ينهون عن قول (كرَّم الله وجهه) عند ذكر الإمام علي بحجة أنه بدعة[2]. لا تعليق!

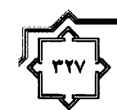
أهل السنة أهل ضلال عند الوهابية!

الوهابية الذين حاولوا الهرب من اسمهم هذا فادعوا السلفية، وادعوا أنهم هم الفرقة الناجية وغيرهم في ضلال مبين. ومن الإشكال أنك عندما تسمعهم يتحدثون عن السلف يتبادر إلى ذهنك أنهم يتحدثون عن أصحاب رسول الله ﷺ، ولكن المؤسف أنهم يقصدون بالسلف ابن تيمية الذي خرج بالأمس القريب ويرون أتباعه هم أهل السنة لا غيرهم ويُخرِجون أتباع الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة من هذا الشرف كما أخرجوا قبل ذلك زوراً باقي أتباع المذاهب الإسلامية من ذلك، ونحن ههنا سننقل آراء زعمائهم من السابقين واللاحقين ونبدأ بالشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين (ت ١٢٨٢هـ)حيث

---

١. هل أدركت عزيزي القارىء سر تزهيد الوهابية للناس في زيارة القبر الشريف قبر النبي ﷺ؟ لا لشيء إلا لأن ابن تيمية قال ذلك، من باب كرهه للنبي وآله ولكنه لا يستطيع المجاهرة بذلك لفظياً فهو يروغ روغان الثعالب!

٢. انتظر أن يمنعوا الناس غداً عن قول (رضي الله عنه) عند ذكر صحابي.



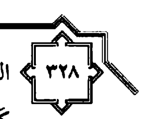
يقول (إذا عرفت ذلك عرفت خطأ من جعل الأشعرية[١] من أهل السنة كما ذكره السفاريني في بعض كلامه ويمكن أنه أدخلهم في أهل السنة مداراة لهم لأنهم اليوم أكثر الناس، والأمر لهم، والله أعلم مع أنه قد دخل بعض المتأخرين من الحنابلة في بعض ما هم عليه)[٢] فالشيخ يؤمن أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة مطلقاً.

أما حديثاً فيقول الشيخ ابن باز في كتابه (العقيدة الصحيحة وما يضادها)[٣] (ص٢٠): (ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات عقائد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عزَّ وجل وتعطيله سبحانه من صفات الكمال... ويدخل في ذلك من نفى بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة... أما أهل السنَّة والجماعة فقد أثبتوا لله سبحانه ما أثبته لنفسه) اهـ باختصار، وتلاحظ أن الشيخ ابن باز قد أخرج السادة الأشاعرة من حظيرة أهل السنَّة وقد خصَّ بهذه التسمية أتباع ابن تيمية فقط!! علماً أنَّ مقصوده من نفيهم وتعطيلهم للصفات ما هو إلا وصفهم للذات

١ . بطبيعة الحال هذا الحكم يشمل الماتريدية لأن الاتجاهين متقاربان في النتائج حتى ظن الكثيرون بأن الخلاف بينهما لا يتعدى الخلاف اللفظي كما ذكره الإمام محمد عبده في تعليقاته على العقائد العضدية. بل لا أستبعد أن يكون الوهابية يرون الماتريدية ليسوا من الإسلام في شيء لأنهم يقدمون العقل كثيراً فمثلاً هم يعتبرون معرفة الله واجبة بالعقل تمسكاً بمنهج الإمام أبي حنيفة بينما يعتبرها الأشاعرة واجبة بالنقل ولا يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل.

٢ . مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، رسائل وفتاوى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين) ص١٧٩ وقد ذكر هذا بعد كلام طويل (ص١٧٧) ذكر فيه ما ينتقده الوهابية على الأشاعرة ومنه أن الأشاعرة يؤلون رؤية الباري بأنها زيادة علم يخلقه الله في قلب الناظر ببصره، لا رؤية البصر حقيقة عيانا.

٣ . ط مكتبة ابن تيمية.



العلية بما يتناسب وقدسية الذات الإلهية وانتفاء المشابهة لشيء من الخلق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فهم يؤولون اليد في قوله سبحانه ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] بالقدرة لأنه لا يتناسب والذات العلية ولا اللغة العربية أن تكون اليد هنا حسيَّة، وقوله سبحانه ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[3] أي أن سفينة نوح كانت تجري تحت عناية الله ولطفه ولا يمكن بحال أن كون العين حسيَّة فانظر إلى موقف الشيخ ابن باز من المسلمين عموماً ومن أهل السنَّة والجماعة خصوصاً حيث حكر هذا الوصف عليه وحده وقومه.

وكي لا تظننَّ أن الشيخ ابن باز يجري وحده في هذا المجرى التقليدي لسابقيه فإننا سننقل عن زعيم آخر من زعماء أدعياء السلفية؛ يوصف بالعقلية والتسامح، وهو الشيخ محمد بن صالح العثيمين من كتاب (مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين)[4]: (نجيب على ما طُلب، وهو تقسيم أهل السنة إلى طائفتين في مدرستين:

إحداهما: مدرسة ابن تيمية وتلاميذه المانعين لصرف النصوص عن ظواهرها.

الثانية: مدرسة الأشاعرة[5] والماتريدية[6] الموجبين لصرفها عن ظواهرها في

---

١ . الشورى: ١١.

٢ . الفتح: ١٠.

٣ . القمر: ١٤.

٤ . ج٣ ص١٨ وما بعدها، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، ط١، سنة ١٤١٢هـ طبعة دار الوطن للنشر بالرياض، وقد وقَّع الشيخ العثيمين الكتاب دليلاً على إقراره بما فيه.

٥ . الأشعرية نسبة إلى أبي الحسن بن أبي موسى الأشعري (ت٩٤١م) له مصنفات كثيرة منها (الإبانة عن أصول الديانة) و (مقالات الإسلاميين) و (اللمع) و (رسالة في استحسان الخوض في الكلام) عارض فيها مذهب المعتزلة، وأيد فيها مذاهب أهل السنة، تتبعه مذاهب أهل السنة

←

أسماء الله وصفاته.

فنقول: من المعلوم أن بين هاتين المدرستين اختلافاً بيِّناً في المنهاج فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فالمدرسة الأولى يقرر معلموها وجوب إبقاء النصوص على ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، مع ما يجب نفيه عن الله تعالى، من التمثيل أو التكييف[٢]، والمدرسة الثانية يقرر معلموها وجوب صرف النصوص عن ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

وهذان المنهاجان متغايران تماماً...

ثمَّ يقول بعد أن أورد مثالاً يبين فيه تأويل الأشاعرة والماتريدية لليد بالقدرة في قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٣] وتجسيم أتباع ابن تيمية لها: (وعلى هذا فيتعين أن يكون وصف أهل السنة خاصاً بهم ـ أي أتباع ابن تيمية ـ لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثانية، لأن الحكم بمشاركتهم إياهم جور، وجمع بين الضدَّين،

اليوم في أمور العقائد التي أجملها في قوله (قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال)، وهاهم الوهابية اليوم يخرجونه من الانتساب إلى أهل السنة، مع أن كل المالكية والشافعية اليوم له تبع في أمور العقيدة!!

١ . الماتريدية هم أتباع أبي منصور السمرقندي الماتريدي (ت٩٤٤م) عاصر الأشعري، والطهاوي. كان عالماً من علماء الكلام، ويتبعه الأحناف في أمور الخلاف العقائدية.

٢ . الشيخ من أتباع هذه المدرسة بلا ريب، وهو مثال جيد على التجسيم فهو يقول في نفس هذا الكتاب ص٤١، عندما سئل عن إثبات العينين لله فقال: (إن لله تعالى عينين)! أليس هذا تمثيل وتكييف وتشبيه لله تعالى الذي ليس كمثله شيء بعباده، ولا نستغرب من الشيخ وأمثاله غداً إذا عرفوا أن للذبابة أعين أن يقول بأن لله أعين لأن الله يقول في كتابه ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾.

٣ . ص: ٧٥.

والجور ممتنع شرعاً، والجمع بين الضدين ممتنع عقلاً)[١].

ويقول ص٢١: (ولا ريب أن أهل المدرسة الأولى غير المؤولين أحق بالوصف المذكور ـ أهل السنة ـ من أهل المدرسة الثانية المؤولين، لمن نظر في منهاجيهما بعلم وإنصاف)

بل إن أدعياء السلفية ونتيجة للعمه الذي يتخبطون فيه فإنهم وصلوا لأبعد من ذلك حيث يطالبون أهل السنة بترك هذه التسمية (أهل السنة والجماعة) وعليهم إن أرادوا النجاة بأن يتسموا بالسلفية!!! وقد ذكر ذلك أحد كتابهم في كتاب له بعنوان (رؤية واقعية) ص٢١، وقد رد عليه ليبين عوار رأيه الشيخ خالد بن حامد الأضم العسقلاني في كتابه (الردود السلفية على دعاة السلفية)[٢] ونحن نتساءل إن كان هناك غرور أو تعصب للرأي وللعلماء أكبر من هذا، فابن تيمية لا يمكن أن يقال بأنه يمثل السلف؛ فأين هو عن عصر الصحابة، بل وأي تجديد أتى به حتى تضفى عليه هذه الهالة، إلا عقيدة التجسيم بطبيعة الحال؟!

وأي تعصب للحزب أكبر من هذا، حتى أنهم يطالبون الناس بترك مذاهبهم واتباع رأيهم وطريقتهم، وكأن الله لم يخلق للناس عقولاً إلا عقولهم؟!

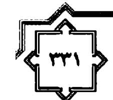
---

١ . حديث الوهابية عن العقل هنا مضحك، فهم ما إن يستدل عليهم أحد بدليل عقلي إلا واجهوه بالتشنيع عليه، فلا مجال للعقل لديهم، إلا إذا كان فيما يحسبونه لصالحهم!، هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فتكفير الحشوية للسادة الأشاعرة وللمسلمين عموماً فهو قديم متأصل لديهم ألم تسمع لابن القيّم في نونيته يقول:

إنَّ المعطِّل بالعداوة معلنٌ والمشركون أخفُّ في الكفرانِ!!!!

ولا يقصدون بالتعطيل إلا تأويل الصفات ففي رأيهم أن المشركين خير من المسلمين الذين ينزهون الله فلا يقولون أنه يشابه الخلق فيحتاج للجلوس ويحتاج للأذنين ليسمع وللعينين ليرى وللجهة ليقعد فيها إلى ما سواه، سبحانك اللهم لا تحيط بذاتك الأفهام تعاليت عمّا يقول المشبِّهة علواً كبيرا.

٢ . ج١، الفصل الثاني (بين السلفية وأهل السنة) ص٢٥، ولأمور نعلمها فإن الناشر لم يذكر في هذا الكتاب، ط ١٤١٣هـ.



فمتى يعي هؤلاء أن اتباع السُّنة وسبيل السلف الصالح لا تكون بالأحزاب ولا بالإدعاء، وإنما هي بالعمل الصالح الذي يطاله كل مسلم يتمسك بأهداب السنة النبوية الشريفة أياً كان المذهب الإسلامي الذي يتعبد الله سبحانه وتعالى به!

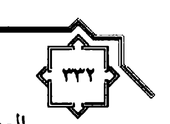
دوران الأرض يفسد العقيدة الوهابية:

الوهابية يعيشون في حيرة فكرية، حيث وصل بهم التناقض إلى أن العلوم العصرية التجريبية قد تسبب فساداً لعقيدتهم، فهم معادون لكل علم عصري، ولو كان الأمر بأيديهم لما تعلَّم مسلمٌ في بلاد الحرمين شيئاً من العلوم العصرية، ولِتعلم ذلك من أقوالهم فهذا نقل حرفي من كتاب (هداية الحيران في مسألة الدوران) لمؤلفه عبد الكريم بن صالح الحميد، مطبعة السفير ـ الرياض، وقد طبع طباعة فاخرة، ويباع بثمن بخس (٥ ر.س)[١]، وسترون فيه دفاع الوهابية المستميت بأن الأرض لا تدور، لأن ذلك يفسد عقيدتهم المبنية على تجسيم الله ـ أستغفر الله العظيم ـ وأنه جالس في السماء فوق العرش، وقد ضللوا الشيخ الزنداني علناً في هذا الكتاب، وكأنَّ الشيخ عبد المجيد الزنداني حفظه الله وبارك في علمه هو الوحيد الذي يقول بهذا القول[٢]، وإليكم مقاطع من الكتاب، وأترك ذلك لحكمكم أيها القراء:

---

١ . الكتب والمؤسسات الوهابية مدعومة كي تنال أفكارهم المتطرفة أكبر قدر من التسويق والنشر، فموازنة هيئة الدعوة والإرشاد تبلغ مليار دولار سنوياً. يراجع رياض نجيب الريّس، رياح السَّموم، السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج ١٩٩١ ـ ١٩٩٤، ط٣، ص١٦١.

٢ . الوهابية يرون ضلال أغلب المفكرين الإسلاميين أصحاب اليد الطولى في العلوم العصرية الحديثة كابن سينا وابن رشد، وهذا يذكرنا بالكنيسة في أوربا إبان الثورة الصناعية حيث حكموا بكفر جاليليو القائل بدوران الأرض!



من الصفحة (١٠): (فإن مما عمت به البلوى في هذا الزمان: دخول العلوم العصرية على أهل الإسلام، من أعدائهم الدهرية المعطلة، ومزاحمتها لعلوم الدين، وهذه العلم قسمين (الرجاء عدم مؤاخذة اللغة والنحو فالشيخ وهابي)!!

القسم الأول:

هو علوم مفضولة، زاحمت الشريعة وأضعفتها. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: إن العلوم المفضولة إذا زاحمت العلوم الفاضلة فأضعفتها فإنها تُحرّم[١].

القسم الثاني:

علوم مفسدة للاعتقاد مثل: القول بدوران الأرض، وغيره من علوم الملاحدة

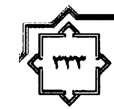
ثمَّ أفصح بأن القول بدوران الأرض يفضي إلى بطلان عقيدتهم فجعل عنوان المقال (القول بدوران الأرض يفضي إلى التعطيل)صفحة (١٣) والعنوان كاف عن ما يليه من تهريج.

ثمَّ بدأ يتحدث عن علم الجيولوجيا صفحة (٢٥) فقال: (من هنا ضلَّ القوم وأضلوا غيرهم)!!

وقال مضللاً الشيخ الزنداني حفظه الله في صفحة (٢٦) ولما كان الزنداني ممن غرتهم علوم الملاحدة، وأرادوا أن يوفقوا بينها وبين علوم الشريعة المطهرة، ولم يوفقوا... ثم يقول قال ابن القيم ؒ..) نقول: لكأن كلام ابن القيم فوق كلام العالمين!!

---

١ . ونقول: سبحان الله إنهم يرون العلم يتصادم مع الشرع وهذا اعتقاد أهل الكنيسة تماماً في نصرانيتهم، وكما ترى فإن دليلهم ليس قرآناً ولا سنة بل قول أحد أساطينهم!



ويقول ص (٣٢): (واعتقاد دوران الأرض أعظم من اعتقاد تسلسل الإنسان من القرود بكثير) لا تعليق!!

ثمَّ كان العنوان ص(٣٣) كالتالي: (كل دليل من الكتاب والسنة على دوران الأرض فهو تأويل باطل) ولكنه لم يذكر آية واحدة ولا حديثاً نبوياً، وإنما كان الدليل قال شيخ الإسلام!

وقال في ص (٣٦) تحت عنوان (ماذا يعني القول بدوران الأرض): (هذا الاعتقاد ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو مقصود لغيره، إذ هو حلقة من سلسلة تبدأ من التعطيل وتنتهي إليه، ومُعتقِده يلتزم من أجله لوازم في غاية الخطورة، حيث يلتزم أن ما فوق الأرض من كل جانب فضاء لا نهاية له.)

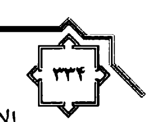
ونقول: أيها الناس لقد حكم هؤلاء القوم ببطلان عقيدتهم، فدوران الأرض وكرويتها هل أصبح اليوم يحتاج إلى دليل؟!

ملاحظة: كبيرهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يرى أيضاً هذا الرأي، فهو ليس بنشاز[١].

ولقد تجرأ الكاتب ص (٤١ ـ ٤٥) وبكل وقاحة على رجل بذل روحه رخيصة في سبيل الله، إنه صاحب (معالم على الطريق) شهيد الإسلام سيد قطب، وإن يدي لا تستطيع الخوض في ما كتبه هذا الجريء على أعلام الإسلام، وقد ألفَّ كتاباً آخر سماه (إنارة الدرب لما في تفسير قطب من آثار الغرب) فإنا لله وإنا إليه راجعون، وسبحان من ابتلى المسلمين باستيلاء اليهود على بيت المقدس، وهؤلاء على الحرمين الشريفين.

---

١ . لقد ذكرنا في موضع آخر بهذا الكتاب قول ابن باز في دوران الأرض وأن من يقول به فهو مرتد يستباح دمه وماله فيء لبيت مال المسلمين!، أما العثيمين الأكثر تفتحاً فإنه ينصح مدرسي مادة الجغرافيا بعدم تدريس دوران الأرض للطلبة (المرجع: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج٣، فتوى رقم ٤٢٨، ص١٥٣).

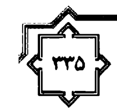


أيها الاخوة إنني أحس بألم شديد يعتصرني على جرأة هؤلاء على أعلام الأمة، الأحياء منهم والأموات، ولكنني عندما أذكر جرأتهم على الله بتجسيمه، وتشبيهه بخلقه يهون عليَّ ما نلقاه نحن البشر، من كل المذاهب الإسلامية، وأنا موقن بنهاية هؤلاء قبل انتهاء النفط فالله سريع العقاب، والله أكبر، والنصر للإسلام.

الإسفاف الفكري عند الوهابية:

ليس بغريب أن يتميز من يحارب العقل بالإسفاف الفكري، وهذا حال الوهابية، حيث أضفوا على كتابات ابن تيمية وأشياعه هالة القداسة، وأنها هي المنهج السلفي الحق الذي يجب اتباعه، ولا يجوز إعمال العقل فيما قالوه فهو الحق الصراح الذي يجب التسليم له، وإن قال بفناء النار، لذلك ترى الوهابية اليوم يهاجمون علماء المسلمين بكل ما أوتوا من قوة في كتاباتهم التي سخروها لهذا الغرض لا غير، دفاعاً عن كلٍّ باطل يتبنونه، وإن كان بأساليب غاية في الركاكة والإسفاف، ومن هؤلاء الدكتور صالح بن فوزان الفوزان الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حيث هاجم العلامة الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الذي عرفه العالم الإسلامي بقوة حجته، وإخلاصه في الدعوة، ومن فاته قراءة مؤلفاته القيمة، فبالتأكيد لم تفته مواعظه ودروسه الإعلامية؛ كبرنامجه الدعوي الشهير (يغالطونك إذ يقولون) الذي يرد فيه على الملاحدة وأمثالهم بالحجة البينة والبرهان الناصع.

العلامة البوطي كتب كتاباً بعنوان (السلفية مرحلة زمنية مباركة) بين فيه أن الوهابية ما هربوا إلى هذه التسمية إلا بعد أن سئموا تسميتهم الأولى (الوهابية)، ودافع عن كثير من علماء المسلمين الذين يصفهم الوهابية بالضلال كالعلامة



الكوثري، والقشيري، ومحمد علوي مالكي[١]، وبين شيئاً من ضلالات ابن تيمية بأسلوب مهذَّب علمي، فما كان من الدكتور الفوزان إلا أن انبرى للرد عليه في كتيب له بعنوان (نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان.. من الهفوات)[٢] وهذه عادة الوهابية فمكتباتهم ملأى بالتعقيبات بالشتم لعلماء المسلمين، فاتهم العلامة البوطي بأنه لم يقرأ التاريخ ص٧٢، وأنه لا يحترم ما يقول ص٧٣، ولكي نعلم الإسفاف الفكري عند هؤلاء ولنبين للناس جلياً مَن الذي لا يحترم ما يقول فإننا سنتعرض للمنهج العلمي عند هذا الأستاذ الجامعي في الرد حيث يقول:

•ص٤٤ (البيهقي ﷺ عنده شيء من تأويل الصفات فلا يوثق بنقله في هذا الباب)

•ص٤٥ (الحافظ ـ أي ابن حجر ـ متأثر بمذهب الأشاعرة فلا عبرة بقوله في هذا) ويشير بهذا إلى العقيدة.

•ص٤٧ (الخطابي ﷺ ممن يتأولون الصفات فلا اعتبار بقوله، ولا حجة برأيه، وله تأويلات كثيرة)

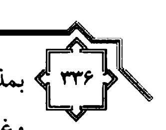
ونحن نقول أي منهجية علمية هذه التي ترفض أقوال العلماء ولا ترى فيها حجة، فهل الحجة في الفريق الذي تنتمي إليه أم في البرهان العلمي الذي تثبته، فإذا كان الإمام الترمذي[٣] والبيهقي وابن حجر ـ الذي كانت جريمته التأثر

---

١ . هذا العالم من أئمة المذهب المالكي الكبار، ينتمي لآل البيت، وهو ممن لا يبيع دينه بدنياه، مقيم بمكة المكرمة يبين الحق للناس ويفند أباطيل الوهابية مما حدا بهم لمحاكمته و فصله من عمله ولم يفتّ هذا من عضده شيئاً حماه الله من شرّهم.

٢ . النسخة التي بين أيدينا هي الطبعة الثانية، ١٤١١هـ دار الوطن للنشر بالرياض.

٣ . اقرأ موضوعنا التالي: الوهابية وتضليلهم للإمام الترمذي.



بمذهب الأشاعرة والذي تنتمي إليه مذاهب أهل السنة في العقيدة ـ والخطابي وغيرهم من علماء المسلمين لا تؤخذ أقوالهم في العقائد فمَن الذي تؤخذ أقواله؟

نحن نعلم الجواب الوهابي؛ إن من يجب أخذ قوله بالقبول لديهم هو ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأتباعهم، وليُضرب بأقوال باقي علماء المسلمين عرض الحائط، فالفوزان يرى أن العقيدة يجب أن تؤخذ من كتب الحشوية نحو الكتاب المنتحل (كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد) ص١٧[١].

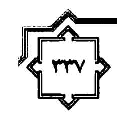
ويدافع الفوزان بباطل في كتابه هذا عن عقيدة فناء النار[٢] وأنها ليست بدعة بغضِّ النظر عن صحتها (ص٤٩) لأنها نابعة من الكتاب والسنة على حدِّ زعمه!! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

على كل حال فإن إسفاف أدعياء السلفية الفكري أصبح يتحدث به الرائح والغادي، حيث أن كتاباتهم جامدة على محور الشرك المتمثل بعبادة القبور على حدِّ زعمهم، ولا مساهمة لهم في بعث الأمة الحضاري، إلا الهجوم على أقطاب هذا البعث ـ بطبيعة الحال ـ كالهجوم على الإمام محمد عبده وحسن البنا وسيد قطب ومحمد الغزالي وغيرهم، ونحن عندما نتحدث عن إسفافهم الفكري فإننا لا نبني أحكامنا على خطبائهم وصغار كتابهم، بل نتحدث عن كبار العلماء والأساتذة الجامعيين لديهم، واقرأ إن شئت كتابات الدكتور عمر الأشقر الذي يعيش في بيئة علمية متفتحة، ولكن انتماءه الوهابي أبى عليه إلا الانغلاق، فترى كتاباته هزيلة متهالكة، لا يقوم لها ميزان في سوق العلم.

---

١ . لتعلم كذب نسبة هذا الكتاب لابن الإمام أحمد وما فيه من الترهات، فما عليك إلا مراجعة مقالنا: من كذب الحشوية.

٢ . اقرأ موضوعنا: ابن القيِّم الشفيق بإبليس.



الحشوية وتضليلهم للإمام الترمذي:

يفتخر الوهابية بعالم من سلفهم يُدعى أبو بكر الخلّال، ولتعلم سرَّ تقديس الوهابية له يجب أن تعلم بعضاً مما قدمه هذا الحبر للأمة من نفع؛ فاسمع ما قاله في سنته التّالفة ج١ ص٢٤٣ عن الإمام أبي الحسن أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذي، والذي كان أحد أوعية الحديث[١]، صاحب السنن الشهيرة (بسنن الترمذي): (وقال محمد بن يونس البصري: إن هذا الرجل المعروف بالترمذي قد تبيّن لنا ولأصحابنا بدعته وإلحاده في الدين، وردّ الآثار التي يحتج بها على الجهمية... الخ).

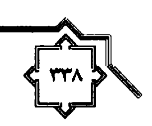
وقال ناقلاً: إن هذا الترمذي الجهمي الرّاد لفضيلة الرسول ﷺ... الخ).

وقال ص٢٣٧: وقال أبو علي إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي إن هذا المعروف بالترمذي عندنا مبتدع جهمي... ومن رد فضيلة الرسول ﷺ فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام.)

والآن أيها الاخوة المسلمون أتدرون ما هي الفضيلة التي ردَّها الإمام الترمذي ولم يعترف أو يؤمن بها وصار بذلك مبتدعاً، كافراً، مرتداً، ملحداً، جهمياً، راداً لفضيلة الرسول ﷺ عند هؤلاء الحشوية أخزاهم الله؟!! إنها بحسب زعمهم السقيم ـ جلوس النبي ﷺ بجنب الله تعالى على العرش، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ورحم الله علماء الأمة الأعلام، الذين لم يسلموا حتى من ألسنة السفهاء، والله المستعان.

---

١ . وصفه بذلك ابن خزيمة، ولا داعٍ لإيراد أقوال العلماء في الثناء عليه فهو أعلى من قدح أدعياء السلفية، وليموتوا بغيظهم.



المصادر

إطراف المُسْنِد المعتَلِي بأطراف المسنَد الحنبلي: العسقلاني، احمد بن علي (م ٨٥٢)، دار ابن كثير ـ دار الكلم الطيب، دمشق ـ بيروت.

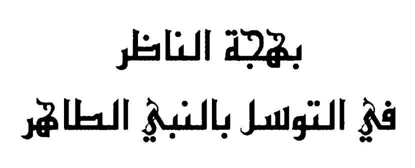
جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، محمّد بن جرير (م ٣١٠)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

سنن أبي داود: أبوداود سليمان بن اشعث السجستاني (م ٢٧٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

سنن الترمذي: الترمذي، محمّد بن عيسي (م ٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.

السنن الكبرى: البيهقي، أحمد بن حسين (م ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ.

مسند أحمد بن حنبل: ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمّد (م ٢٤١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.



تأليف :

خادم العلم الشريف

حسن بن علي السقاف



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمه

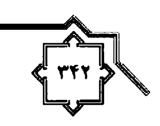
الحمدالله الذى خلق فسوى، والـذى قـدر فهـدى، والـذى أخـرج المرعـى فجعله غثاء أحوى، القائل لنبيه المكرم ﷺ، سنقرئك فلا تنسى، أحمده سـبحانه أن جعل نبينا أفضل الخلق على الاطلاق، اذ أخذ سبحانه من جميع الانبياء علـى أن يؤمنوا به و ينصروه العهد و الميثاق. و أشهد أن لا اله الا هو الملك الحق المبين المنفرد بالخلق والتأثير و الضر و النفع للعالمين، و أشهد أن سيدنا محمـدا عبـده و رسوله الصادق الوعد الأمين و المبعوث رحمـه للعـالمين القائـل: **«إنـما أنـا رحمـه مهداة»**[1]، اللهم صل على سيدنا محمد و على كافة الأنبياء و المرسلين وآل كـلٍ و صحب كلٍ اجمعين.

أما بعد:

فهـذه رسـالة أذكـر فيهـا ان شـاء الله تعـالى أدلـة التوسـل بـالنبى ﷺ و الاستشفاع به خاصة، و بالأنبياء و الصالحين عامة، و بيان أن ذلك مـن الأمـور المشروعات المندوبات بخلاف ما يدعيه بعض النـاس فـى هـذه الأزمـان، و الله أسال و بنبيه أتوسل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، و أن يثيبنى و من وعاهـا أو نشرها إنه جواد كريم.

---

١ . (٢٢٥) رواه الحاكم عن ابى هريره مرفوعا وقال على شرطهما وأقره الذهبى وهو فى مقدمه الدارمي (١٥) مرسلا.



وقد جعلتها أربعة فصول:

ـ الفصل الاول: مقدمه فى بيان قدره العظيم ﷺ.

ـ الفصل الثانى: فى سرد أدله التوسل بذات الأنبياء عامة والنبى خاصة و بجاههم و منزلتهم عندالله تعالى صلوات الله و سلامه عليهم إذ الصفه لا تفارق الموصوف.

ـ الفصل الثالث: فى الاستئناس بأقوال علماء الأمه و حفاظ الإسلام بايراد توسلهم بالنبى ﷺ.

ـ الفصل الرابع: فى رد شبه مانعى التوسل و بيان مغالطتهم للحق الصريح و ذكر قاعدة عظيمه فى مصطلحالحديث فى بيان أنه لا يجوز لأى انسان أن يصحح أو يضعف حديثا إلا أن يكون حافظا[1].

الفصل الأول:

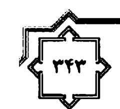
مقدمه: في بيان عظيم قدره ﷺ

اعلم يرحمك الله تعالى أن الآيات و الأحاديث والآثار فى ذلك كثيرة جدا أفرد لها حفاظ الاسلام مصنفات خاصة من اعظمها عندى بركه و نفعا كتاب الشفا، للحافظ القاضى عياض المالكى رحمه الله، و نحن نريد أن نوجز الأدله فى ذلك، إذ ما نحن إلا عاله على فتات موائد اولئك الأعلام العظماء رضوان الله عليهم اجمعين.

---

١ . كنت أقول هذا إذ ذاك أيان تصنيف هذه الرساله سنة ١٩٨٤ تقريبا و الآن أقول بأنه يجوز أ يصحح و يضعف كل من تمكن وقويت معرفته و إن لم يكن حافظا بالمعنى المشهور، و هذا ما نص عليه النووى رحمه الله فى التقريب.

وتعريف الحافظ سيمر هناك إن شاء الله تعالى.



فاعلم أن من عظم قدر نبيك المصطفى ﷺ، أن الله عزّ وجل ناديجميع الأنبياء بأسمائهم و لم يناده باسمه، فقال فى ندائهم يا نوح، يا ابراهيم، يا آدم، يا موسى، و قال له يا أيها النبى، يا أيها الرسول... و قد أخذ الله عز وجل الميثاق و العهد من الأنبياء أن يؤمنوا به، و أن ينصروه إن أدركوه إذ قال سبحانه و لم يزل قائلا عليما تنبيها لقدر نبيه و تفخيما: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ (آل عمران: ٨١).

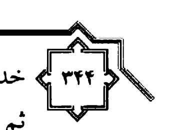
ولهذا قال سادتنا على ابن ابى طالب و ابن عباس ﷺ و قتاده و السدّى و قريب منه قول الحسن و طاووس كما ذكر ذلك الطبرى و ابن كثير و غيرهما من اهل التفسير: ما بعث الله نبيا من الانبياء من لدن نوح الا اخذ الله منه الميثاق ليؤمن بمحمد ﷺ و لينصرنه ان خرج و هم احياء و لهذا فما من نبى من الانبياء عليهم الصلاه و السلام الا عنده علم به ﷺ و بمبعثه و زمانه و مهاجره[١] و علاماته و اوصافه ﷺ.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾ (البقره:٨٩) بل لم تعرف له ﷺ قدره الانبياء فحسب، و انما عرفت له قدره الاشجار و الاحجار و شهدت له بالرساله لتحث الناس على الايمان به، فاما الاشجار:

فعن ابن عمر ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فاقبل اعرابى، فلما دنا منه قال له روسول الله ﷺ: «**اين تريد؟**» قال: الى اهلى، قال: «**هل لك فى خير؟**»، قال: و ما هو؟ قال: «**تشهد ان لااله الا الله وحده لا شريك له، و ان محمدا عبده و رسوله**»، قال من يشهدعلى ما تقول؟ قال: «**هذه السلمه**» ـ يعنى الشجره ـ فدعاها رسول الله ﷺ و هى بشاطىء الوادى، فاقبلت تخدّ الارض

---

١ . مهاجره بفتح الجيم مع ضم الميم اى المكان الذى هاجر اليه وهو المدينه المنوره.



خدا ـ اى شقاً ـ حتى قامت بين يديه فاشهدها ثلاثا فشهدت ثلاثا انه كما قال، ثم رجعت الى منبتها، و رجع الاعرابى الى قومه و قال: ان اتبعونى اتك بهم و الا رجعت فكنت معك، رواهالدارمي و الطبرانى فى الكبير و ابو يعلى و البزار و رجال الطبراني و رجال الصحيح[١] كما قال الحافظ الهيثمى.

واما الاحجار و شهادتها:

فقد روى مسلم فى صحيحه (٢٢٧٧) والدارمى فى مسنده (٢٠) وغيرهما باسانيد صحيحه من حديث جابر بن سمره رضي الله عنه **«ان رسول الله ﷺ كان يقول: انى لاعرف حجرا بمكه كان يسلّم عليّ قبل ان ابعث انى لأعرفه الان»**[٢].

و فى مستدرك الحاكم عن سيدنا على رضي الله عنه قال: **«كنا مع رسول الله ﷺ بمكه فخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر و لا جبل الا قال السلام عليك رسول الله.»** قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد و لم يخرجاه و اقره الحافظ الذهبى[٣].

الفصل الثاني: بيان مشروعيه التوسل و ندبه

اعلم يرحمك الله تعالى انه من الغريب جدا ان ينكر بعض من يدعى العلم و بخاصه علم الحديث الشريف (فى هذه الاعصار) التوسل برسول الله ﷺ سواء كان ذلك قبل وفاته او بعد وفاته او فى يوم القيامه[٤]. والحقيقه ان انكارهم

---

١ . انظر «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٩٢، و «جمع الفوائد»، وسنن الدارمى (١٦) وهو حسن

٢ . انظر «صحيح المسلم» ج٤/ ١٧٨٧ فى كتاب الفضائل الحديث الثانى.

٣ . «المستدرك» ٢/ ٦٢٠.

٤ . ولاحظ انى لم اقل سواء كان حيا او ميتا لانه صلى الله عليه واله وسلم حى ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وقد صنفت فى ذلك رساله نقلت فيها بعد ذكر الادله التى منها الحديث الصحيح «**الانبياء احياء فى قبورهم يصلون**» كلام الحافظ البيهقى و الحافظ القرطبى و ابن القيم و السيوطى كما فى كتاب «الروح» لابن القيم ان الانبياء و الشهداء احياء.

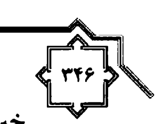


هذا لا دليل له مع معارضته للنصوص الصريحه الصحيحه كما سيتبين لـك، مـع ان المسلمين علماءهـم و عـوامهم منـذ عهـد النبـوه الـى هـذا اليـوم لا يزالـون يتوسلون به ﷺ و يسالون الله بجاهه، و ها انا ذا انقل لك ما استطعت ان اجده من الادله فى مشروعية و ندبية التوسل بالنبى و بالانبياء والصالحين، و لا ادعى فى ذلك انى قد سبقت الى شيء لم يسبقنى اليـه احـد مـن قبـل، هـذا مـع قلـة بضاعتى و ضعف حيلتى و ما غاب عنى من الادله اكثر مما وجدته، و نحن بهذا الصدد نبين ان التوسل جائز و سائغ عند اهل الحق، و ذلك على مقتضى الادله الشرعيه التي وردت لنا عن رسول الله ﷺ و ليس فى ذلك ادنى شبه بشرك كما يقول بعض الناس لان الله تعالى هوالمدعو وحده و لا شريـك لـه فـى الخلـق و التاثير و هذه عقيده كل مسلم. و بجمع الادله كلهـا و يكفينـا دلـيلا فـى ذلـك حديث الشفاعه يوم القيامه المتواتر مـن ان النـاس فـى الاخـره يستـشفعون الله تعالى برسله عليهم الصلاه و السلام لياذن فى فصل القضاء و يعتذرون واحـدا حتى يرسو الامر عند سيدنا محمد عليه و على اله الصلاه و الـسلام فيقـول (انـا لها)[1] و يشفع بسأل الله الاذن فى فصل القضاء للخلاص من حر الموقفـو شـدته اما الى الجنه و اما الى النار و هذه هى الشفاعه العظمى له ﷺ ولـه بعـد ذلـك شفاعات عديده و كثيرات مذكورات فى الاحاديث الصحيحه.

و من شفاعاته فى الدنيا بعد موته ﷺ انه يستغفر للمسيئين من امته، فعـن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ.

---

١ . الشفاعه ثابته بقطعى الدلالات فى القران والسنه، لكن حديث الشفاعه الطويل هذا الـذى رواه انس بن مالك تغير رأيـي فيـه الان وانـا اراه موضـوعا وهـو مـن الاسرائيليـات وان كـان فـى الصحيحين، و قد تكلمت عليه فى التعليق على كتاب العلو للذهبى فارجع اليه ان شئت.



وسلم: «**حياتی خير لكم تحدثون و يحدث لكم فاذا انا مت كانت وفاتی خير لكم تعرض علیّ اعمالكم فان رايت خيرا حمدت الله و ان رايت شرا استغفرت لكم**» رواه البزار قال الحافظ ابوالحسن نور الدين الهثمی رجاله رجال الصحيح[1]

فمن ذلك يتضح لك ان شفاعته ليست مختصه بيوم القيامهفقط بل فی الدنيا ايضا بعد وفاته.

وليس لمن يمنع التوسل و التشفع به ﷺ بعد موته حجه صحيحة صريحة يصلح التمسك بها الا تضعيف الاحاديث الوارده فی ذلكو لا حق لهم فی ذلك كما سيتبين و تعميه الحق عن العوام بالمغالطه.

فاما التوسل فمعناه لغه: التقرب، و اما اصطلاحا: فهو التقرب و التشفع الی الله عزوجل بمنزله نبی او ولی او بالطلب من النبی او الولی الدعاء للمستشفع بهم ان يقضی الله حاجته بشرط ان يكون المتوسل مؤمنا مقبلا علی الله راغبا.

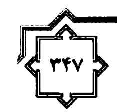
قال الراغب فی المفردات: «الوسيله التوصل الی الشیء برغبه و هی اخص من الوصيله لتضمنها لمعنی الرغبه قال تعالی: ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ و حقيقه الوسيله الی الله تعالی مراعاه سبيله بالعلم و العباده و تحری مكارم الشريعه و هی كالقربه، والواسل الراغب الی الله تعالی».

اقول: و يستفاد هذا المعنی من اهل العلم فی توسلهم منهم الحافظ ابن حجر العسقلانی حيث يخاطب رسول الله ﷺ متوسلا فی قصيده ستاتی ان شاء الله تعالی فی الفصل الثالث منها قوله رضي الله عنه:

بكم توسل يرجو العفو عن زلل   من خوفه جفنه الهامی لقد ذرفا

---

١ . انظر «فيض القدير» (٣/ ٤٠١).



واعلم ايضا ارشدك الله للصواب انه تقرر عند العقلاء ان الصفه لا تنفك او لا تفارق الموصوف فمن قال انا اتوسل بمنزله النبى و لا اتوسل بذاته فهو بعيد عن جاده العقل و الصواب، اذ كيف تنفك الصفه عن الموصوف!!

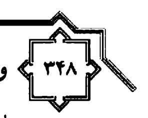
واما الجاه فمعناه ايضا المنزله ففى مختار الصحاح:

«الجاه القدر و المنزله، و فلان ذو جاه».

فمما ذكرنا يتبين لك ان التوسل و التشفع و طلب الشىء بجاه و بمنزله الشخص كله بمعنى واحد.

فاول ما يستدلبه على التوسل برسول الله ﷺ ثبوت الشفاعة له ﷺ فاعلم ان الحفاظ و المحدثين رحمهم الله نقلوا لنا فى كتبهم انه مما تواتر: التوسل به ﷺ فى حياته و قد ذكر ذلك الامام المحدث الكتانى فى كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» الذى بناه على كتاب الامام الحافظ السيوطى، و ذكر ايضا انه ثبت و اجمعت الامه على التوسل به ﷺ فى عرصات القيامه فى حديث الشفاعه الطويل و قد رواه من الصحابه اثنا عشر رجلا. اقول و اجماع الامه على ان الشفاعه يوم القيامه هى توسل به كما نقل ذلك الائمه دليل واضحجلى كبير على ان معنى التوسل التقرب لرضى الرحمن ذلك اليوم بمنزله الانبياء ليسمح الله عزوجل فى فصل القضاء و قد ثبت ايضا بالاحاديث و الاثار الصحيحه التوسل به قبل وفاته اذ لا فرق بين التوسل به قبل وفاته او بعد وفاته و لادليل ـ كما اسلفت ـ لمن يمنع التوسل به ﷺ بعد وفاته.

٢ ـ و يستدل ايضا للتوسل بحديث سيدنا عثمان ابن حنيف الصحابى المشهور فى قصه الاعمى فقدروى الترمذى و النسائى و الطبرانى والحاكم والبيهقى باسانيد صحيحه عن عثمان ابن حنيف و هو صحابى مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا اتى النبى ﷺ فقال ادع الله ان يعافينى فقال: «**ان شئت دعوت**



و ان شئت صبرت و هو خير». قال فادعه. فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم انى اسالك و اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني اتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى، اللهم شفعه فى**». فعاد و قد ابصر.

و فى روايه قال ابن حنيف:

فو الله ما تفرقنا و طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان لم يكن به ضرقط. وفى روايه الطبرانى و البيهقى ان عثمان بن حنيف علم رجلا ان يدعو بهذا الدعاء

بعد وفاته ﷺ و هى روايه صحيحه صححها الامام الطبرانى الحافظ، و اقره الحافظ نور الدين الهيثمى فى مجمع الزوائد[1] و يستفاد من حديث سيدنا عثمان بن حنيف فى قصه الاعمى فوائد منها:

اولا: ان الرجل جاء للنبى ﷺ يطلب منه ان يدعوا له و النبى ﷺ لم يدع له بل علمه دعاء يقوله بعد ان يتوضا و يصلى ركعتين و يتوسل فى الدعاء برسول الله ﷺ الى الله تعالى، والقاعده الاصوليه تقول ان العبره بعموم اللفظ و ان الامر عام.

والنبى ﷺ مشرع فاستفاد العلماء ان هذا الدعاء الذى فيه توسل هو ما يسمونه دعاء صلاه الحاجه فذكروه فى كتبهم فى باب صلاه الحاجه و لم يذكروا ان ذلك لا يجوز ان يدعوا به مسلم بعد وفاة النبى ﷺ.

ثانيا: ان معنى التوسل هو التشفع لقوله فى اخر الحديث «**اللهم فشفعه فى**» اى جعله شفيعا لى فشفعه اى اقبل توسلى به. و هذا يؤكد تعريف التوسل

---

١ . انظر «مجمع الزوائد» (٢٧٨/ ٢). و لم ينكر احد من الصحابه على عثمان ابن حنيف تعليمه التوسل لذلك الرجل فيكون هذا اقرارا منهم على مشروعيته.



الذی ذکرناه، و یؤکد هذا ان فی الحدیث «**یا محمد انی توجهت بك**» و لیس کما زعم بعضهم ان معنی «**اللهم انی اسالك و اتوجه بنبیك**» ای بدعاء نبیك!! لانه ذکر بعد محمدا تاکیدا و تصریحا بالمتوسل به و سیاق الحدیث یبعد هذا الدعاء.

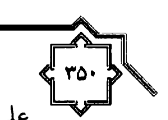
ثالثا: لو کان التوسل فیه شرك او شائبه شرك ما علمه نبی الله ﷺ للاعمی حین ساله ان یدعوا الله له، فقد علمه التوسل به. و اجازة التوسل فی حیاة المتوسل به لا بعد مماته لا یعتمد اصلا شرعیا. و فعل سیدنا عمر رضی الله عنه لیس فیه الا التوسل بالحی و فعل الشیء لا ینفی ما عداه کما هو مقرر فی الاصول، علی ان للعلماء توجیهات لعمل سیدنا عمر نذکرها عند ذکر الحدیث.

٣ ـ ذکر الحافظ ابن حجر العسقلانی فی «فتح الباری»[١] فی الاستسقاء حدیثا فی التوسل فقال: روی ابن ابی شیبه باسناد صحیح عن ابی صالح السمان عن مالك الدار و کان خازن عمر قال: اصاب الناس قحط شدید فی زمن عمر فجاء الرجل الی قبر النبی ﷺ فقال یا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلکوا فاتی الرجل في المنام فقیل ائت عمر و اقرئه السلام و اخبره انهم یسقون.

و ذکر الحافظ ان فی احدی روایات الحدیث ان الرائی هو بلال بن الحارث الصحابی المشهور و فی ذلك تقریر من الحافظ علی التوسل به ﷺ بعد وفاته و لیس المراد الاستدلال بالرؤیا انما المراد الاستدلال بالفعل، فکیف فعل هذا الرجل او هذا الصحابی هذا الفعل امام الصحابه و اخبر سیدنا عمر و لم ینکروا علیه و یصفوه بالشرك؟ فحاشی الصحابه من الاقرار علی الشرك حاشاهم! و هم اعلم الناس بما یؤدی للشرك.

---

١ . انظر «فتح الباری» ٤٩٥/ ٢.



٤ ـ و قد روى ايضا ان النبى ﷺ قال لما دفن فاطمه بنت اسد ام سيدنا على عليه السلام: «**اللهم بحقى و حق الانبياء من قبلى اغفر لامى بعد امى**» رواه ابن حبان فى صحيحه و الحاكم و الطبرانى فى الكبير و الاوسط و صححوه. و رجال الحديث رجال الصحيح الا روح ابن صلاح فيه ضعف لكن ذكره ابن حبان فى «الثقات»، و قال الحاكم: ثقه مامون، لذلك كان الحديث حسنا، فقد قال الامام ابن حجر الهيثمى فى «الجوهر المنظم» هو سند جيد.

ففى الحديث توسله ﷺ بالانبياء من قبله و قد توفاهم الله تعالى.

٥ ـ و فى صحيح البخارى (١٠١٠) و(٣٧١٠)ان عمر رضي الله عنه استسقى عام الرماده بالعباس رضي الله عنه عم النبى ﷺ، و من قوله توسلا به: اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ و انا نتوسل اليك بعم نبينا، قال قال فيسقون.

و ذكر العلماء ان اكتفاءه بالاستسقاء بالعباس اذ لم يستسق بالنبى ﷺ كان لدفع توهم عدم جواز الاستسقاء بغيره عليه و اله الصلاه و السلام لا لحق الاستسقاء بالحى حياه ظاهره اذ ان الصحابه توسلوا به ﷺ بعد موته دون نكير و قد اتينا بمثالين فى ذلك فسيدنا عمر استسقى و توسل بالعباس لدفع توهم عدم جواز التوسل الا بالنبى ﷺ و لاظهار شرف آل البيت النبوى، و قد توسل سيدنا عمر رضي الله عنه بالعباس لنكته اخرى و هى جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، فان سيدنا ومولانا عليا رضي الله عنه و كرم وجهه افضل من عمه العباس فتوسل سيدنا عمر بالعباس لهذا الملحظ، و لهذا قال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» عند شرح هذا الحديث: «و يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع باهل الخير و الصلاح و اهل بيت النبوه و فيه فضل العباس و فضل عمر لتواضعه للعباس» اهـ[١].

---

١ . انظر «فتح البارى» ٢/٤٩٧.



و لم يقل الحافظ انه يستفاد من هذا الحديث انه لا يجوز التوسل برسول الله ﷺ بعد وفاته.

و فى الحقيقه ان توسل الصحابه ﷺ كان بذات العباس، و بدعاء العباس، اذ ذكر الحافظ ان فى بعض الروايات مما قال العباس فى دعائه: «**اللهم ان القوم توجهوا بى اليك لمكانى من نبيك**»[1] فلولا قربه و مكانته من رسول الله ﷺ لذهب سيدنا عمر لغيره من آل بيت النبوه فجعلوه وسيلتهم الى رسول الله ﷺ كما قال الامام الشافعى ﷺ:

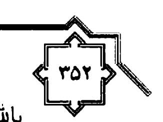
ال النبـى وسـيلتى	و هـم اليـه ذريعتـى
ارجو بهم اعطى غدا	بيدي اليمين صحيفتي

هذا و جميع ما اوردناه من الاحاديث و الاثار الصحيحه الصريحه فى التوسل بالنبى ﷺ بعد وفاته هى فى الحقيقه شارحه لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾ فالايه عامه فى حياته قبل وفاته و بعد وفاته و ما زال عمل العلماء على ذلك و قد ذكر العلماء المفسرون لهذه الايه كالحافظ ابن كثير حكايه العتبى المشهوره عند العلماء فى التوسل بالنبى ﷺ بعد وفاته على سبيل الاقرار و الارتضاء، و سنورد هذه الحكايه فى الفصل الثالث ان شاء الله تعالى و فى ذلك يقول الامام ابن حجر الهيثمى فى القصيده التى نظمها فى اثبات حياه الانبياء التى تشير الى معنى الايه:

و لـولا انـه حـى حـرى	بـادراك كما نقل الفحول
لما سعت الشموس اليه حقا	تسلم حين تطلع او تزول
و ماكان الحجيج اليه يسعى	و يرجو ان يكون له قبول

---

[1] . انظر «فتح البارى» ٢/٤٩٧



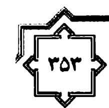
هذا و قد اتينا على ما اردنا على جواز التوسل بالنبى ﷺ و استحبابه و بالله تعالى التوفيق.

الفصل الثالث:

في بيان ان العلماء الاعلام من ائمه و حفاظ الاسلام توسلوا به ﷺ و اجازوا ذلك و استحبوه

اعلم يرحمك الله تعالى انا بايراد اقوال الائمه السابقين فى التوسل نوضح اننا لم نسبق الى قوم لم يذكره احد من المسلمين، بل نحن نجمع ما قالوه اذ هم مرجعنا و عليهم تعويلنا، و هم الذين اوصلوا حديث النبى ﷺ الينا، و قد امرنا الله بسوالهم و الرجوع اليهم فقال سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾ و قال ايضا مرشدا لنا ان نرد الاحكام اليهم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فلا عبره بكلام من قال نريد الاحاديث فى المساله و لا نريد اقوال العلماء، فهاك اقوالهم و اثارهم فى ذلك:

اولا: اعلم ان الامام مالكا رضي الله عنه قال للخليفه المنصور لما حج وزار قبر النبى عليه و اله الصلاه و السلام و سأل مالكا قائلا: يا ابا عبدالله، ااستقبل القبله و ادعو ام استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال الامام المالك: و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيله ابيك ادم الى الله تعالى بل استقبل و استشفع به فيشفعه الله فيك. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾. ذكر هذه القصه الامام القاضى عياض فى الشفا باسناد صحيح و السيد السمهودى فى خلاصه



الوفا و العلامه القسطلانی فی المواهب اللدنیه و العلامه ابن حجر فی الجوهر المنظم[١].

ثانیا: و ذکر الحافظ ابن کثیر فی تفسیره[٢] و الامام النووی فی کتابه الایضاح[٣] قال الامام النووی فی الایضاح:

بعد ان یسلم الزائر علی النبی ﷺ ثم أبی بکر ثم عمر رضي الله عنهما یرجع الی موقفه الاول قباله وجه رسول الله ﷺ و یتوسل به فی حق نفسه و یتشفع به الی ربه سبحانه و تعالی و من احسن ما یقول ما حکاه اصحابنا ـ ای الشافعیون ـ عن العتبی مستحسنین له.

قال: کنت جالسا عند قبر النبی ﷺ فجاء اعرابی فقال: السلام علیک یا رسول الله سمعت الله یقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. و قد جئتک مستغفرا من ذنبی مستشفعا بک الی ربی ثم انشأ یقول:

یا خیر من دفنت بالقاع اعظمه	فطاب من طیبهن القاع والاکم
نفسی الفداء لقبر انت ساکنه	فیه العفاف و فیه الجود و الکرم

قال العتبی: ثم انصرف الاعرابی فغلبتنی عینای فرایت رسول الله ﷺ فی النوم فقال: یا عتبی الحق الاعرابی و بشره بان الله قد غفر له. اه.

و قال الحافظ بن کثیر انها حکایه مشهوره.

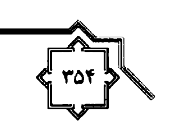
ثالثا: و قال الامام الشافعی متوسلا بآل النبی عموما احیاء و امواتا کما فی الصواعق لابن حجر الهیثمی:

---

١ . انظر کتاب «الشفا» للقاضی عیاض (٩٢/ ٢)، و «شرح الشفا» للمحدث ملا علی القاری (٦٣٦/ ٣).

٢ . تفسیر ابن کثیر ٥١٩/ ١ ـ ٥٢٠.

٣ . انظر حاشیه ابن حجر علی الایضاح فی المناسک للنووی صحیفه ٤٩٨.



آل النبــــي وســــيلتي	و هــم اليــه ذريعتــي
ارجـوبهم اعطـى غـدا	بيدي اليمين صـحيفتي

رابعا: وثبت عن الامام احمدانه قال: يستحب التوسل برسول الله ﷺ عند القحط، مذكور فى كتب الحنابله في باب الاستسقاء ككتاب «الانصاف فيما ترجح من الخلاف» (٤٥٦/ ٢).

خامسا:

و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى يمدح النبى ﷺ فى قصيده و يتوسل به:

بباب جـودك عبـد مـذنب كلـف	يا احسن الناس وجها مشرقا وقفا
بكم توسل يرجو العفو عـن زلـل	من خوفه جفنه الهامى لقـد ذرفـا
و ان يكن نسبه يعـزى الـى حجـر	فطالمـا فـاض عـذبا طيبـا و صـفا
و المدح فيك قصور عنكم وعسى	فى الخلـد يبـدل مـن ابياتـه غرفـا
لا زال فيك مديحى مـا حييـت لـه	فـما ارى لمـديحى عنـك منـصرفا

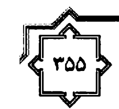
* انظر مجموعه القصائد النبهانيه (٢/ ٣٩١) و ديـوان الحـافظ ابـن حجـر العسقلانى.

سادسا: و قال ابن حجر الهيثمى فى قصيدته المشهوره التى ذكرهـا العلامـه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى و غيره:

عبيــد هيثمــى مــستجير	بمن حطت بساحته الحمول

سابعا: و قال الحافظ ابن دقيق العيد فى قصيده له يمدح فيها النبى ﷺ و يتوسل به:

يا خاتم الرسل الكرام نداءمن	وافى إليك بمدحـه مـستعذرا
أنا ضيفك المدعو يـوم معادنـا	المرتجى فاجعل قـراى الكـوثر



ثامنا: و قال ابن حجر العسقلانى ايضا كما هو فى ديوانه بخط القلم:

اصدح بمدح المصطفى واصدع به   قلب الحسود و لا تخف تفنيدا
و اقصد له و اسال به تعط المنى   و تعيش مهما عشت فيه سعيدا
خير الانام فمن اوى لجنابه   لا يدع ان اضحى به مسعودا

انظر مجموعه القصائد النبهانيه (٢/ ٥٧).

تاسعا: قال العلامه المناوى فى «فيض القدير» (٢/ ١٣٥) قال الامام الحافظ السبكى: «و يحسن التوسل و الاستعانه و التشفع بالنبى ﷺ الى ربه و لم ينكر ذلك احد من السلف و لا من الخلف».

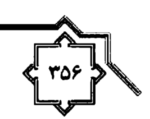
الفصل الرابع:

في رد شبه مانعي التوسل

اعلم يرحمك الله تعالى ان مانعى التوسل ليس لهم فى الحقيقه حجه صريحه من القران او صحيحة من السنة بل ربما ذكر احدهم قوله تعالى فى كفار قريش و هم يعبدون الاصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾. والجواب عن الايهالشريفه ان اولئك عبدوا الاصنام فسجدوا لها واتخذوها الهه و نحن لم نتخذ الانبياء و الاولياء الهة و لم نعبدهم لذلك قال تعالى يصف عبدة الاوثان: ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ فسقط احتجاجهم.

و فى الحقيقه هم ينكرون التوسل من اربع طرق:

الاولى: تضعيف الاحاديث الوارده فى التوسل و ليسوا اهلا لذلك كما سنذكر فى القاعده الحديثيه فى هذا الفصل ان شاء الله تعالى.



الثانيه: تأويل الاحاديث و صرفها عن ظاهرها تاويلا باطلا و بمغالطه.

الثالثه: اعتمادهم على الرأى الفاسد فى ابطال الاحاديث فاذا مر بهم حديث لا يوافق اهواءهم قالوا هذا الحديث لا يقبله العقل و الرأى، و كأن علم الحديث خاضع لعقولهم فما قبلته عقولهم فهو صحيح و ما لم تقبله عقولهم فليس بصحيح.

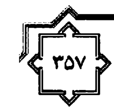
الرابعه: ايراد احاديث باطله يرددها بعض من ينتسب الى التصوف زورا و بهتانا. و يبينون انها باطله فيظن الجاهل انه اذا اتضح انها باطله موضوعه ثبت منع التوسل و هيهات و نحن نمثل لك لهذه الطرق الاربعه:

فاما طريقهم الاول و هو تضعيفهم للاحاديث الصحيحه فنورد لك مثالين:

١ ـ حديث سيدنا عثمان بن حنيف حينما علّم رجلا بعد وفاه النبى ﷺ ان يدعو بالدعاء الذى سمعه من رسول الله ﷺ لقضاء حاجته و قد رواه الحافظ الطبرانى و صححه و اقره عليه الحافظ ابو الحسن الهيثمى كما فى «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧٩) و ضعفه صاحب كتاب «التوصل الى حقيقه التوسل» صحيفه (٢٣٧) بحجج واهيه و هو ليس اهلا للتصحيح و لا للتضعيف.

٢ ـ حديث عبدالله بن مسعود مرفوعا «**حياتى خير لكم...**» الحديث.

ذكرالحفاظ انه صحيح رواه البزار، و قال الحافظ ابو الحسن الهيثمى فى «مجمع الزوائد» رجاله رجال الصحيح. و قد ذكر الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير انه رواه الحارث فى مسنده بسند ضعيف و ابن سعد فى الطبقات باسناد حسن مرسل، وفاته ان البزار قد رواه بسند صحيح كما فى «شرح الجامع» حيث تعقبه العلماء فاغتنم ذلك منكروا التوسل و علموا ان الناس يتكاسلون عن مراجعه هذا الحديث فى شرح الجامع فقالوا: هو حديث ضعيف و مرسل فلا



يحتج به كما فى الكتاب المسمى «الاسلام و الغلو فى الدين» و هى خيانه علميه غير مستغربه من هؤلاء.

و اما طريقهم الثانى و هو تأويلهم للاحاديث تأويلا باطلا مخالفا للحقيقه فمثاله حديث الاعمى ايضا حيث جاء الى النبى ﷺ يطلب منه ان يدعو له ليرد الله عليه بصره فلم يدع له النبى ﷺ بل علمه شيئا آخر بعدما قال له:

«**ان شئت دعوت و ان شئت صبرت**» و قال له: «**اذهب فاحسن الوضوء و صل ركعتين ثم قل اللهم انى اتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمه يا محمد انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى**»، اى: اقبل توسلى به، و هم يقولون انه لم يتوسل بالنبى انما توسل بدعاء النبى!! و اخر الحديث ينقض ما قالوا فهذا تأويل باطل، لا يسمن و لا يغنى من جوع.

و اما طريقهم الثالث و هو اعتمادهم على وزن الحديث باوهامهم فان قبلت اوهامهم ذلك صححوه و الا حكموا بضعفه او بوضعه.

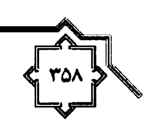
فقد قال صاحب كتاب «التوصل» صحيفه (٢٣٤) فى حديث الطبرانى فى قصه الاعمى: ان هذا الحديث تتجلى فيه الصنعه فى تركيب و ترتيب الافكار الوارده فيه!! فليراجع للتوسع.

و اما طريقهم الرابع و هو ايراد الاحاديث الموضوعه التى يحتج بها بعض عوام المتصوفه من غير العلماء و بيان انها موضوعه ليظن العوام ان ادله التوسل هُدّمت فيعتقدون انه غير جائز.

فقد ذكر فى الكتاب المسمى «الاسلام و الغلو فى الدين»[1] صحيفه (٢٢) حديث «**توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم**» و بينوا انه موضوع و هو كذلك ليوهموا القارىء بان ادله التوسل هدمت ببيان وضع هذا الحديث.

---

١ . (٢٤١) وسماه مولفاه فيها بعد «الوهابيه ام الكتاب والسنه» بعد ان طبعاه حديثا ليوهما انهما الفا كتابا جديدا فى الفكر الوهابى الذى يخدماه و يتقاضيان عليه اجرا!!



الخاتمه

هذا و اختم هذه الرساله بعون الله تعالى بقاعده عظيمه ينبغى معرفتها و التمسك بها اذ بها يهدم تصحيح و تضعيف من يدعى علم الحديث و هو ليس باهل لذلك فى هذا الزمان و غيره.

و ملخصها: انه لا يجوز لغير المتمكنالممارس قوى المعرفه فى الحديث و علومه ان يصحح حديثا بعد زمن ابن الصلاح شيخ شيخ النووى و لا يجوز للحافظ ان يضعّف حديثا بعد ابن الصلاح[1] الا الاحاديث التى لا تخفى كاحاديث القصاص الموضوعه او ما فيه مخالفه للعقل و الاجماع، لخص هذه القاعده الحافظ السيوطى فى الفيته فى المصطلح حيث قال:

و خذه حيث حافظ عليه نص   و من مصنف بجمعه يخص

قال السيوطى و الحافظ هو من حوى مائه الف حديث حفظا و فهما روايه و درايه مع علمه باسانيدها و رجالها منه الى النبى صلى اله عليه و اله و سلم و فى ذلك قال بعضهم:

و من حوى مائه الف مطلقا   عليه لفظ حافظ قد اطلقا

كما ذكر فى «رفع الاستارعن محيا طلعه الانوار» صحيفه ٩.

و قد الحق العلماء بالتصحيح التحسين فذكروا انه لا يجوز للحافظ ان يحسن، ثم ألحقوا التوضيع بالتضعيف فذكروا أنّه لا يجوز للحافظ أن يحكم

---

١ . كنا نقول ذلك فى اثناء الطلب و نحن الان نخالف ابن الصلاح فى ذلك فنقول بانه يجوز لمن تمكن وقويت معرفته بهذا الفن ان يصحح و يضعف وهو عمل الحفاظ والمحدثين بعد ابن الصلاح، فقد خالفوه ولم يلتفتوا فعليا لما قال وان ناقشوا عبارته نظريا فيكتب المصطلح فوافقوه عليها من جهه وخالفوه عليها من الجهة الاخرى.



بالوضع على حديث بعد زمن ابن الصلاح فالحاصل كما قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى «تدريب الراوى» (١/ ١٤٩) ان ابن الصلاح سد باب التصحيح و التحسين و التضعيف على اهل هذه الازمان لضعف اهليتهم و لم يوافق ابن الصلاح على الاول ـ اى التصحيح ـ و وافقوه على الثانى و هو التضعيف.

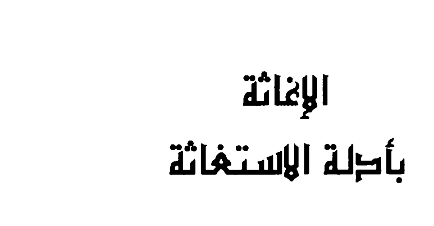
و ان اردت التوسع فى المساله و الاحاطه بها اكثر فانظر «تدريب الراوى» (١/ ١٤٣ ـ ١٤٩) و «فتح المغيث شرح الفيه الحديث» للحافظ السخاوى (١/ ٤٤ ـ ٤٥ و ٨٩) الفقره الاخيره فى الصحيفه.

و بالله تعالى حسن الختام و صلى الله على سيدنا محمد و على اله و صحبه الطيبين الطاهرين و من تبعهم باحسان الى يوم الدين. فرغت من كتابته يوم الخميس لليله بقيت من جمادى الاخره سنه خمسه و اربعمائه و الف. والحمدلله رب العالمين.

قال السيد العلامه ابن عبيد الله السقاف:

و معترض قال من غير نور — عهدناك حربا لاهل الغرور
تشن النكير لحزب القبور — فما لك تنكر هذا الصنيع
فقلت استمع حجتى يا بغيض — و هل تقاس الذرى بالحضيض
على ان من كان جزل القريض — يراعى المجاز لاهل البديع
فما فى التوسل لى من ملام — و لا فى مناجاه ما حى الظلام
و راجع كلام ابن عبد السلام — غزير المعارف شيخ الجميع
و هذى الادله تكفى الفطين — و من لم تفده ففى فيه طين
و شوط الادله عندى بطين — و حسبك هذا لئلا تضيع





تأليف

حسن بن علي السقّاف

تحقيق: علي ملا موسى ميبدي

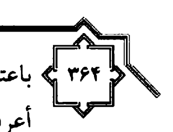


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة على عباده الذين اصطفى، وعلى آلهم وصحبهم ومن لهم اقتفى، وبعد: فقد ضمني مجلس ببعض الأساتذة الفضلاء، والإخوان النجباء فوجه إلي أحد الأساتذة سؤالا، فقال: بلغنا عنك أنك تجيز الاستغاثة ـ أي بغير الله تعالى ـ فهل هذا صحيح؟! فأجبت ـ نعم أجيزها ومستندي في ذلك أحاديث صحيحات، مع أقوال جماعات من العلماء من السلف والخلف وأهل الحديث المرجوع إليهم في المشكلات. فقال ذاك الأستاذ: وما دليلك في ذلك؟ فقلت ما رواه البخاري في صحيحه مرفوعا: (تدنو الشمس يوم القيامة من رؤوس العباد فبينا هم كذلك إذ استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق)[1]، فأحال أحد الأساتذة الجواب إلى أحد الأساتذة المشتغلين بعلم الحديث ليجيبني على ذلك، فقال ما ملخصه: إنه لا يوجد دليل في الكتاب ولا في السنة يفيد جواز ذلك، ولا في أقوال من يرجع إليه من السلف بل لم ينقل ذلك عن أحد من المعتبرين وطلب مني ذاك الأستاذ أن أعيد نص الحديث، وأن أعيد نص حديث الأعمى، وأن أتاكد من سند حديث آخر حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح، وأضاع البحث في أساس القضية منكرا أن يكون هناك دليل في الاستغاثة والتوسل البتة. وقد قبل باقي الأساتذة الفضلاء بكلامه

---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص١٣٠.



باعتباره متخصص في علم الحديث، ولم أقبل ما قاله البتة، وقد تعجبت منه لأني أعرف أنه مطلع تماما على كثير من الأحاديث الصحيحة الثابتة في الاستغاثة والتوسل، وخصوصا أنه حاول ختم البحث بقوله:

منذ أربعين سنة وأنا أبحث في هذه المسألة وقد تحققت أنه لا دليل ثم ذكر أستاذ آخر: أن نداء الأموات هو دعاء لهم، وأن الدعاء عبادة، لقول النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة)[1] وجاء: (الدعاء مخ العبادة)[2] وكلمة (يا) أداة نداء ودعاء فهي عبادة. فأجبت الأستاذ: بأن الدعاء له عدة معان منها العبادة والحديث لا يحصر الدعاء بالعبادة باتفاق العلماء، وقد ثبت في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال لما رأى ولده إبراهيم عليه السلام يجود بنفسه: وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون[3] وكان يأمر من زار المقابر أن يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. نسال الله العافية لنا ولكم[4].

وعن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ: أن النبي ﷺ قال لأهل البقيع: «**السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنكم ما أصبحتم فيه**»... الحديث رواه الإمام أحمد[5] والطبراني[6]، قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد[7] بإسنادين ورجال أحدهما ثقات.

---

١ . سنن الترمذي، ج٥، ص٥٢؛ سنن أبي داود، ج١ ص٣٣٢.

٢ . سنن الترمذي، ج٥، ص١٢٥.

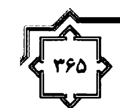
٣ . صحيح البخاري، ج٢، ص٨٥.

٤ . صحيح مسلم، ج٣، ص٦٥.

٥ . مسند احمد، ج٣، ص٤٨٩.

٦ . لم نعثر عليه.

٧ . مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٤.



وفي مصنف الإمام عبد الرزاق بسند صحيح عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[1]. أهـ. ولم يكن هذا من النبي ﷺ وأصحابه عبادة للمنادى مع أنه نداء باتفاق العقلاء. وكذلك قول سيدنا أبي بكر للنبي ﷺ بعد موته بأبي أنت وأمي يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين. رواه البخاري وغيره[2]. فقال الأستاذ: لكنه لم يطلب منه شيء فقلت: نحن نريد أن نثبت نقطتين:

الأولى: جواز نداء الأموات وقد فعله النبي ﷺ وأصحابه، كما تقدم في الأحاديث والآثار مع أقوال العلماء التي قدمتها وثبت في نداء رسول الله ﷺ لأصحاب قليب بدر كما هو ثابت في الصحيحين، فإذا ثبت أن ذلك جائز انتقلنا إلى النقطة: الثانية وهي: هل يجوز طلب شيء من النبي بعد وفاته أو أحد من صالحي أمته؟ ونحن نقول بأن من اعتقد أن المدعو وهو من استغثنا به سواء كان حيا أو ميتا في الدنيا والآخرة له صفة من صفات الربوبية كفر لا محالة وهذا مقرر مشهور في علم التوحيد. ومن طلب من النبي ﷺ أن يستغفر له بعد مماته لم يعتقد أنه رب محيي مميت خالق رازق حقيقة، والنبي لا يعلم أمته ما يؤدي إلى الكفر والشرك، وقد علّم الأعمى أن يقول في دعائه: «**يا محمد إني أتوجه بك إلى الله في حاجتي**»[3]. والمستغيث يقول كذلك، وأما قول من قال: إن ذلك ذريعة إلى الشرك والأفضل تركه. فنقول له: ليس كذلك، لأن النبي لا يعلم الأمة ما يؤدي للشرك، وفي ذلك تعطيل العمل بالأحاديث الصحيحة بحجة أنها ذريعة للشرك

---

١ . المصنّف لعبد الرزّاق، ج٣، ص٥٧٦.

٢ . صحيح البخاري، ج٢ ص٧٠؛ سنن النسائي، ج٤، ص١١.

٣ . سنن الترمذي، ج٥، ص٢٢٩.



وهو كلام خطير جدا. والأئمة من المحدثين والفقهاء ما يزالون يذكرون في أبواب صلاة الحاجة حديث الأعمى حائين الأمة أن تقول في ذاك الدعاء: يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله في حاجتي... فليس في ذلك ما يتعلق في العقيدة ولا في التوحيد البتة، إلا عند من يقول أن هناك توحيدان: توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وأنه من وحد توحيد ربوبية ولم يوحد توحيد ألوهية فهو كافر. وهذه مسألة اخترعها ابن تيمية ليكفر بها عباد الله تعالى وتبعه عليها محمد بن عبد الوهاب، ونصوص الكتاب والسنة تنقض ذلك نقضا مبرما كما أوضحت ذلك مفصلا في رسالة (التنديد بمن عدد التوحيد) وأجبت عن جميع الآيات التي توهم منها بعض الناس أنها تدل على ذلك كقوله سبحانه ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[1].

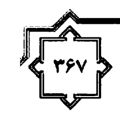
وبينت معانيها الثابتة بنصوص القرآن من سياقاتها وأقوال الأئمة الفحول في ذلك فلتراجع. فقد وجب الآن أن نكتب في بيان مشروعية الاستغاثة بسرد أدلتها الثابتة وأقوال السلف وأهل الحديث فيها، ليعلم الأساتذة الثلاثة الذين اجتمعت معهم خاصة وباقي الناس عامة أدلة جواز الاستغاثة، وهذا ما أدين الله به وأراه حقا وصوابا وتمسكا بالسنة فإن كان حقا أسأل الله تعالى أن يثبتني عليه وأن يلهم من أنكر ذلك أن يرجع إليه، كما أسأله تعالى إن كان باطلا أن يجنبنا إياه ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]. «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه به»[3].

---

١ . لقمان: ٢٥.

٢ . يوسف: ١٠٨.

٣ . مسند أبي يعلى، ج١، ص٦١.



(فصل): في تعريف الاستغاثة وما يتعلق بذلك:

الاستغاثة عندي هي: الطلب من النبي قبل وفاته أو بعد وفاته ـ لأنه بعد وفاته حي كما أخبر يسمع وتعرض عليه أعمال أمته ـ أن يدعو الله تعالى في تلبية حاجة لصاحب الحاجة، فقد طلب الناس منه ﷺ الاستسقاء في حياته وبعد مماته كما سيأتي إن شاء الله في أدلة الاستغاثة، مع كون المطر بيد الله ليس بيد النبي كما هو معلوم ومشهور فقد جاء الرجل للنبي ﷺ وهو يخطب فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا ـ أي يمطرنا ـ [1]. الحديث وكان الرجل مسلما كما في الفتح (٢/ ٥٠٢) والصحابة كانوا يعرفون قول الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [2] والنبي لم يقل لذلك الرجل إذا نزل بك قحط أو بلاء فلا تأتيني وتطلب مني الدعاء بل! عليك أن تدعو الله وحدك للآية. فاتضح أن هذه الآية لا تنفي الاستغاثة لان ذكر الشيء لا ينفي ما عداه كما هو مقرر في الأصول.

فلا بد من عقد فرع لإثبات حياة الأنبياء في قبورهم فإذا اتضح ذلك تبين جواز خطابهم ومناداتهم لأنهم يسمعون.

(فرع): إثبات حياة النبي في قبره:

١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»** رواه أبو يعلى [3] والبزار [4] والبيهقي في حياة الأنبياء [5] وغيرهم.

---

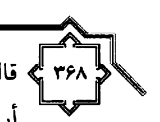
١ . صحيح البخاري، ج٢، ص١٦.

٢ . البقرة: ١٨٦.

٣ . مسند أبي يعلى، ج٦ ص١٤٧.

٤ . مسند البزار، ج١٣ ص٢٩٩ ح٦٨٨٨.

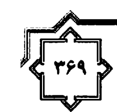
٥ . حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم، ج١ ص٦٩ ح١.



قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١١): رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات. وفي فيض القدير (٣/ ٨٤): رواه أبو يعلى عن أنس بن مالك وهو حديث صحيح أهـ. قلت: وصححه الألباني، علما بأني لا أعتد بتصحيحه ولا بتضعيفه وأقول أنه ليس أهلا لذلك كما سأبين في عدة مواضع، وإنما أذكر كلامه هو وابن تيمية وأمثالها ليتنبه بذلك مقلدوهم وعاشقوهم. انظر صحيحته حديث (٦٢١).

قال المحدث الكتاني في نظم المتناثر ١٣٥ (حديث رقم ١١٥): قال السيوطي في مرقاة الصعود: تواترت ـ بحياة الأنبياء في قبورهم ـ الأخبار، وقال ـ الحافظ السيوطي ـ في أنباء الأذكياء بحياة الأنبياء ما نصه: حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك، وتواترت بها الأخبار الدالة على ذلك، وقد ألف الأمام البيهقي ؒ جزءا في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم أهـ. وقال ابن القيم في كتاب الروح: صح عن النبي ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء خصوصا بموسى، وقد أخبر بأنه: ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام. إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة، فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم ا هـ.... انتهى من نظم المتناثر للمحدث الكتاني.

وهذا الكلام لابن القيم موجود في كتاب الروح ص (٥٣ ـ ٥٤) طبعة دار الفكر الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦). وهذا الكلام المتقدم نص عليه الإمام المناوي في فيض القدير (٣/ ١٨٤) فراجعه. ٢) وهناك أدلة عدة في حياة الأنبياء ستأتي أثناء عرض أدلة الاستغاثة فلا نريد التكرار والإطالة.



(فرع): في إثبات أن النبي ﷺ يسمع بعد موته وكذا سائر الأموات

اعلم يرحمك الله تعالى أن بعض من توهم أن الأموات لا يسمعون ظنوا أن قول الله تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[1] دليلا على ذلك، وليس كذلك، بل هذه الآية دليل على أن الكفار المصرين على الباطل لن ينتفعوا بالتذكير والموعظة كما أن الأموات الذين صاروا إلى قبورهم لن ينتفعوا بما يسمعونه من التذكير والموعظة بعد أن خرجوا من الدنيا على كفرهم، فشبه الله تعالى هؤلاء الكفار المصرين بالأموات من هذا الوجه، ونص على ذلك أهل التفسير فراجعه، واني أنقل لك قول واحد منهم: جاء في مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله للشيخ الصابوني حفظه الله تعالى (٣/ ٤٥) في تفسير آية ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[2] إن المعنى: أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[3]. أهـ

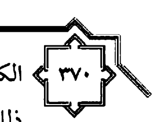
و اعلم أن الله تعالى قال ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[4]، وأنت تعلم أن الأموات لا يولون مدبرين بعد العظة والتذكير وإنما المراد بذلك الكفار ولذلك قال النبي ﷺ كما في الصحيحين: «**مثل الذي يذكر الله تعالى والذي لا يذكره مثل الحي والميت**»[5]. فتأمل. الضمير في قوله سبحانه: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ عائد على الموتى وعلى الصم، لأن المراد بكل منهما

١و٢ . فاطر: ٢٢.

٣ . فاطر: ٢٣.

٤ . النمل: ٨٠.

٥ . صحيح البخاري، ج٧ ص١٦٨؛ صحيح مسلم، ج٢، ص١٨٨، مع تفاوت.

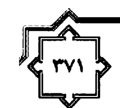


الكفار، وهذا ظاهر بداهة، فالموتى والصم هم الكفار لا الأجساد، ونص على ذلك أئمة محققو المفسرين، بالإضافة إلى الأدلة التي أوردتها في هذه الرسالة في إثبات سماع الأموات بلا شك، أما قول أئمة التفسير: فقال الطبري في تفسيره (مجلد ١١ جزء ٢٥ صحيفة ١٢): وقوله ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ يقول: إنك يا محمد لا تقدر أن تُفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه لا يسمعون له، لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولا يصغون للحق ولا يتدبرون ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه وينكرون القول به والاستماع له. انتهى من الطبري.

وهذا يثبت بلا شك أن الضمير في قوله ﴿وَلَّوْا﴾ يعود على الأموات وعلى الصم. وكذا قال الإمام الحافظ أبو حيان في تفسيره النهر الماد (مطبوع مستقل دار الجنان ١٤٠٧ صحيفة ٢/ ٦٣٢) فليراجع.

وأما حديث: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**» فحديث ثابت في الصحيحين، انظر الفتح (١١/ ٢٠٨) وقال الحافظ صفحة ٢١٠: وقع في مسلم عن أبي كريب بلفظ: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر فيه مثل الحي والميت**»[1]. ثم قال: الذي يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا السكن، وإن إطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به سكن البيت، فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره تزين بنور الحياة.... الخ كلامه أهـ فتبين بهذا التحقيق أن تشدق الألباني فيما ادعى فيه التحقيق في تعليقه على سنه ابن أبي عاصم (٤١٤) المسمى عنده بظلال الجنة: غلط محض بل باطل. وكذا

١ . صحيح مسلم، ج٢، ص١٨٨.



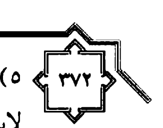
سيظهر في هذه الرسالة أن صاحب الكراسة المتهافتة التي رد بها على (الميداني) بنقل الرد من كتاب (التوصل إلى حقيقة التوسل) غلط، لأن الأصل وهو التوصل متهافت ملئ بالأغلاط وقد دنس فيه مؤلفه ثم: ضعّف ما يشاء من الحديث برأيه المستهجن الرثيث فلا يعول على كلامه كما سيتجلى أثناء هذه الرسالة، وخصوصا في حديث عائشة رضي الله عنها عند الدارمي كما ستراه إن شاء الله تعالى، فكيف بمن نقل عنه ونسخ من كتابه وهو لا يميز بين الغث والسمين، فظن نفسه أنه رد الحق بشيء هو في الحقيقة من غيره لكنه نسبه إلى نفسه، ثم تبجح به، وقد رددت أيضا على أحد خريجي مانشستر ممن يقول بقريب من ذلك من نفس فصيلة هذه الطائفة وكما قيل: والقوم إخوان وشتى في الشيم وقيل في شأنهم اشتدي زيم إذا فهمت ذلك فتدبر الآن في أدلة سماع الأموات:

١) روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ ثم قال: أنهم الآن يسمعون ما أقول[١] ..**».

وفي رواية في الصحيح: أن النبي ﷺ جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم[٢]. أهـ ولا أدري أيصحح الألباني هذا الحديث أم يضعفه؟! ومن رد هذا الكلام الصريح بكلام السيدة عائشة قلنا له: ذكر العلامة حبيب الله الشنقيطي في كتابه زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (٤/ ٤ ـ

١ . صحيح البخاري، ج٥ ص٩؛ صحيح مسلم، ج٨ ص١٦٣، مع تفاوت.

٢ . صحيح البخاري، ج٥ ص٨.



٥) نقلا عن الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما نصه: ومن الغريب أن في المغازي لابن اسحق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة ـ يعني أنها أثبتت أن الأموات يسمعون ـ وفيه ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. وأخرجه أحمد بإسناد حسن فإن كان محفوظا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة. اهـ قلت: لا حجة بمعارضتها رضي الله عنها، وقد ثبت أنها رجعت، وكلام من شهد القصة مقدم على كلامها بلا ريب وهم رجال عدة. والحمد لله تعالى.

٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام**» رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

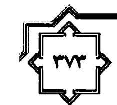
وأقره الحافظ الذهبي، وفي فيض القدير (٢/ ٤٧٩): رواه أحمد في المسند والنسائي وابن حبان والحاكم، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ العراقي: الحديث متفق عليه دون قوله سياحين أهـ قلت: فليراجع.

٣) قال الحافظ السيوطي في اللمعة في أجوبة الأسئلة السبعة: روى الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام**»[2]. صححه الحافظ أبو محمد بن عبد الحق. قلت: والحافظ بن عبد الحق إمام في العلل ومعرفة الحديث كما في تذكرة الحفاظ للذهبي وكذا أشار إلى صحة الحديث صاحب عون المعبود فيه (٣/ ٣٧٠). وسيأتي الكلام على هذا الحديث إن شاء الله في تنبيه آخر هذه الرسالة وبيان كيف ضعفه الألباني بلا حجة.

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج٢ ص٤٢١.

٢ . الحاوي للفتاوي، ج٢ ص٢٠٥.



٤) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام**» رواه أبو داود[١] وغيره وصححه النووي في رياض الصالحين وفي الأذكار، وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات، كما في فيض القدير. قال الإمام الحافظ السيوطي في رسالته: (أنباء الأذكياء بحياة الأنبياء) المطبوعة ضمن الحاوي (٢/ ١٤٧): قوله (رد الله) جملة حالية، وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلا ماضيا قدرت (قد)، كقوله تعالى: ﴿**أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ**﴾[٢] أي: قد حصرت، وكذا تقدر هنا والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد، و (حتى) ليست للتعليل بل مجرد حرف عطف بمعنى الواو، فصار تقدير الحديث: «**ما من أحد يسلم علي إلا قد رد الله علي روحي قبل ذلك فأرد عليه**».

وإنما ـ جاء الإشكال على من ظن أن جملة (رد الله علي) بمعنى الحال، أو الاستقبال، وظن أن (حتى) تعليلية، وليس كذلك، وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله وأيده من حيث المعنى: أن الرد لو أخذ بمعنى الحال والاستقبال لزم تكرره عند تكرر سلام المسلمين، وتكرر الرد يستلزم تكرار المفارقة، وتكرر المفارقة يلزم عليه محذوران: أحدهما: تأليم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه، أو نوعما من مخالفة التكريم إن لم يكن تأليم. والآخر: مخالفة سائر الشهداء وغيرهم، فإنه لم يثبت لأحد منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ، والنبي ﷺ أولى بالاستمرار الذي هو أعلى رتبة. انتهى كلام الحافظ السيوطي.

---

١ . سنن أبي داود، ج١ ص٤٥٣؛ مسند احمد، ج٢ ص٥٢٧؛ السنن الكبرى للبيهقي، ج٥ ص٢٤٥.

٢ . النساء: ٩٠.



٥) وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا وحكما عدلا، فليكسرن الصليب ويقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرضن المال فلا يقبله أحد، ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجبته**»[1]. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١١): قلت: هو في الصحيح باختصار رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. أهـ قلت: وفي قوله (لأجبته) دلالة ظاهرة في سماعه إياه.

٦) وجاء في الصحيحين البخاري (الفتح ٣/ ٢٠٥) ومسلم وكذا عند أحمد والسدي والبزار وابن حبان مرفوعا: «**إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم**»[2].

٧) جاء في حديث أبي هريرة والسيدة عائشة وبريدة واللفظ له عند مسلم وغيره كما في تلخيص الحبير: أن النبي ﷺ كان يقول إذا ذهب إلى المقابر: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسال الله لنا ولكم العافية**»[3].

قلت: وهذا نداء ودعاء للأموات صريح من النبي ﷺ وتعليم للأمة فليس ذلك عبادة لهم، وليس لأحد أن يقول هنا (الدعاء هو العبادة) كما أنه ليس لأحد أن يقول: وجب تغيير نداء النبي في الصلاة بعد وفاته بإبدال (السلام عليك أيها النبي) بلفظة (السلام على النبي)، فتنبه، ولها جواب في كتاب (القول المقنع) لشيخنا المحدث الغماري حفظه الله تعالى، وأظن أن هذه الأدلة يعضد بعضها

---

١ . مسند أبي يعلى، ج١١، ص٤٦٢.

٢ . صحيح ابن حبان، ج٧، ص٣٨٠؛ مسند احمد، ج٢، ص٣٤٧؛ صحيح مسلم، ج٨، ص١٦٢.

٣ . تلخيص الحبير، ج٢، ص٢٧٤.



بعضا وهي كافية في إثبات السمع للأموات، وإنما أوردتها وأوردت قبلها الدليل على حياة النبي في قبره، وأثبت أثناء ذلك أن النداء ليس عبادة إلا إن كان دعاء لمن اعتقدنا فيه صفات الربوبية، وهذا هو الصواب الذي تثبته أدلة النقل الشرعية والعقل المنطقية، وقد فصلته في (التنديد بمن عدد التوحيد) وقد أوردت كل ما تقدم ليكون مقدمة لأدلة الاستغاثة بالأنبياء الموصوفين بأنهم أحياء في قبورهم يسمعون وتعرض عليهم أعمال أممهم، ومن أثبت التوسل والاستغاثة بذات الأنبياء والصالحين حال حياتهم فقط أثبت لهم تأثيرا، كما أنه جردهم من منزلتهم بعد موتهم وهنا يكمن الخطر الجسيم. وإني أذكر حديث عرض الأعمال فيما يلي بين يدي أدلة الاستغاثة فأقول:

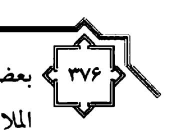
(فصل:): في تحقيق: حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم...

روي بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم»**[1]. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤) رجاله رجال الصحيح أه قلت: وسأفصل ذلك إن شاء الله تعالى بعد قليل ـ أعني صحة إسناده والرد على من يحاول أن يوهم أن الحديث ضعيف.

فأقول: ضعف هذا الحديث بعض من لم يوافق الحديث مشربه بلا حجة، فلبس بذلك على بعض الطلبة البسطاء، وذهب هذا المضعف يحتج بأن هذا الحديث يعارض حديثا ثابتا في الصحيح وهو: (حديث الحوض) وفيه أن النبي ﷺ يقول يوم القيامة داعيا أمته إلى الحوض: هلموا، فتضرب الملائكة

---

١ . الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٩٤.



بعض من أراد الورود على الحوض، فيقول النبي ﷺ: لماذا تذودوهم؟! فتقول الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيقول ﷺ: سحقا، سحقا. انتهى الحديث بمعناه.

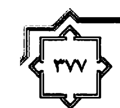
قال مضعف حديث عرض الأعمال: فكيف تقول الملائكة في الحديث الصحيح إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك يا رسول الله؟! فلو كانت الأعمال تعرض عليه لعرف ما صنعوا بعده.

فالجواب على هذا الإشكال هو ما أجاب به الحافظ في فتح الباري (١١/ ٣٨٥) جامعا بين الحديثين ناقلا ذلك عن أربع من أكابر حفاظ الأمة وهم: النووي وابن التين والقرطبي والقاضي عياض وهو خامسهم حيث قال ما معناه ملخصا: هؤلاء الذين يذادون عن الحوض هم المنافقون والذين ارتدوا عن الإسلام، فهؤلاء لا تعرض أعمالهم عليه في الدنيا لخروجهم من أمته حقيقة، وان كانوا في الصورة يصلون ويتوضأون فيحشرون بالغرة والتحجيل، فإذا أبعدتهم الملائكة وقال لهم سحقا سحقا أطفا الله تعالى غرتهم وتحجيلهم وأذهبه ساعتئذ. أهـ من الفتح.

وحديث «حياتي خير لكم...» رواه البزار في مسنده[١] كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (١/ ٣٩٧) بإسناد رجاله رجال الصحيح كما قال الحافظ نور الدين الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤) وقال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى (٢/ ٢٨١) سنده صحيح، وقال الحافظان العراقيان ـ الزين وابنه ولي الدين ـ في طرح التثريب (٣/ ٢٩٧): إسناد جيد، وطرح التثريب من آخر مؤلفات الحافظ الزين العراقي. وروى الحديث ابن سعد بإسناد حسن مرسل كما في فيض القدير (٣/ ٤٠١) وصنف في هذا الحديث مولانا محدث العصر سيدي عبد الله بن

---

١ . مسند البزار، ج٥، ص٣٠٨.

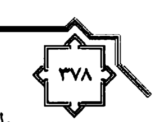


الصديق الغماري جزءا حديثيا خاصا سماه (نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال) قرظه له شقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري الحسني.

فمما قدمناه بان أن الذين صححوا الحديث من أهل الحديث: ١) الحافظ النووي. ٢) والحافظ ابن التين. ٣) والحافظ القرطبي. ٤) والحافظ القاضي عياض. ٥) والحافظ ابن حجر العسقلاني كما نقل ذلك عمن تقدم ذكرهم في الجمع بينه وبين حديث الشفاعة كما في الفتح (١١/ ٣٨٥). ٦) والحافظ زين الدين العراقي إمام زمانه. ٧) وولده الحافظ ولي الدين العراقي أبو زرعة. ٨) والإمام الحافظ السيوطي. ٩) والحافظ الهيثمي كما في مجمع الزوائد. ١٠) وكذا المحدث المناوي في فيض القدير. ١١) وكذا الحافظ المحدث السيد أحمد الغماري. ١٢) وكذا مولانا محدث العصر المحقق سيدي عبد الله بن الصديق.

وهؤلاء الأئمة النقاد بلا شك ولا ريب مقدم تصحيحهم عند كل عاقل كما نظن على تضعيف الألباني له في سلسلته الضعيفة (٢/ ٤٠٤). ولا أشك أن الألباني ضعف الحديث لا لضعف سنده وإنما لمخالفته لمشربه فقط. وأعجب منه كيف أنه يصحح أحاديث ضعيفة بشواهد شبه موضوعة كما فعل مثلا بحديث (لحوم البقر) الذي ذكرته في رسالة رد التصحيح الواهن لحديث العاجن، ثم يضعف هذا الحديث برجل من رجال مسلم والأربعة ووثقه الإمام أحمد وابن معين والنسائي وروى عنه أئمة من كبار المصنفين كالشافعي والحميدي وأمثالهم.

والطعن في هذا الرجل (ابن أبي رواد) مردود رده الذهبي في سير أعلام النبلاء فلينظر. ومن كان مؤهلا للمناقشة في علم الرجال واعترض على ما قررناه مما تبعنا فيه أهل الشأن فليناظرنا وليباحثنا في ذلك، مع أني لم أر إلى الآن أحدا من أهل العلم المعتبرين ضعف حديث (عرض الأعمال). والله الموفق للصواب.



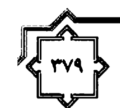
ومن المؤسف جدا أن: صاحبي كتيب (أوهابية أم كتاب وسنة) الذي كان مطبوعا قبلا باسم الإسلام والغلو في الدين ص٢٣ من أوهابية وص١٥ من الغلو يقولان عن حديث عرض الأعمال ما نصه: قال في الصارم المنكي: هذا حديث مرسل ضعيف لا يحتج به. أهـ و الصحيح: أن صاحب الصارم المنكي لم يقل ذلك وإنما قال: حديث مرسل صحيح الإسناد. أهـ فقد حرف صاحبا كتاب (أوهابية) في النقل على عادة هذه الطائفة، وهما ممن لا يعرف في علم الحديث لا قليلا ولا كثيرا. ولم يطلع ابن عبد الهادي الحافظ صاحب الصارم المنكي على إسناد البزار، ولو اطلع لقال حديث متصل صحيح الإسناد. ولنتناقش في شأن ابن عبد الهادي صاحب الصارم المنكي مناقشة موضوعية هادئة بعيدة عن التعصب بتروي وتدبر وذلك على ضوء الكتاب والسنة فنقول: قال الإمام المحدث الكتاني في فهرس الفهارس والاثبات (١/ ٢٧٧) كاشفا حال ابن عبد الهادي وكتابه الصارم المنكي ما نصه: وتصدى للرد على ابن السبكي: ابن عبد الهادي الحنبلي، ولكنه ينقل الجرح ويغفل عن التعديل[١]، وسلك سبيل العنف والتشديد، وقد رد عليه.

وانتصر للسبكي جماعة[٢] منهم الإمام عالم الحجاز في القرن الحادي عشر الشمس محمد علي بن علان الصديقي المكي له ـ كتاب ـ (المبرد المبكي في رد الصارم المنكي) ومن أهل عصرنا البرهان إبراهيم بن عثمان السمنودي المصري

---

١ أي في رد ابن عبد الهادي في الصارم المنكي على كتاب الإمام السبكي في كتابه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) وهو مطبوع مشهور متداول أعني شفاء السقام.

٢ ونحن الآن إن شاء الله تعالى على أتم الاستعداد للانتصار للسبكي في هذا الزمان، وكذا في كل مسألة يثيرها المغرضون مما نرى الحق على خلافها، والله تعالى يهيئ في كل مكان وأوان من يزهق الباطل ويدافع عن الحق كما قال الكوثري عليه الرحمة والرضوان.



سماه (نصرة الإمام السبكي برد الصارم المنكي) وكذا الحافظ ابن حجر له (الإنارة بطرق حديث الزيارة) وانظر مبحثا من فتح الباري والمواهب اللدنية وشروحها. أهـ قلت: وابن عبد الهادي من شدة تعصبه لابن تيمية وملازمته له اغتر بكثير من أخطائه المشهورة، لا سيما أن ابن تيمية كان يحثه على قراءة مصنفات المجسمة والمشبهة وخصوصا أن ابن تيمية يرى أن التشبيه والتجسيم لم يأت لهما ذم في كتاب أو في سنة أو في قول أحد من السلف، كما يقول في كتابه التأسيس في نقد أساس التقديس (١/ ١٠٠): ولم يذم أحد من السلف أحدا بأنه مجسم ولا ذم للمجسمة. أهـ. وقال في التأسيس أيضا (١/ ١٠٩): وإذا كان كذلك فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين. أهـ وكان ابن تيمية ـ شيخ ابن عبد الهادي ـ هنا يتناسى أن الإسلام جاء لهدم الوثنية المبنية على تجسيم الإله وتشبيهه بخلقه... إلى غير ذلك مما لا يحتاج لدليل ولا برهان كما قيل: وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل كما يظهر أنه نسي ما يقوله هو وأصحابه: (المشبه يعبد صنما) وإثبات ابن تيمية في التأسيس (١/ ٥٦٨) عقيدة تجويز جلوس معبوده على ظهر بعوضة فضلا عن العرش مما تشمئز منه نفوس أهل الإيمان حيث يقول ما نصه هناك:

(ولو قد شاء ـ الله ـ لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم). ويشير في منهاج السنة (١/ ٢٦٠) إلى تقوية حديث: جلوس الله على العرش وبقاء فراغ بمقدار أربع أصابع إلى غير ذلك من طامات ورثها عنه الإمام الحافظ ابن عبد الهادي الحنبلي الذي كان يسمع أهله وخاصته كتاب (إثبات الحد لله عز وجل وأنه قاعد وجالس على عرشه) للمجسم المحترق ابن سفنديار الدشتي الحنبلي كما تجد ذلك بخط ابن عبد



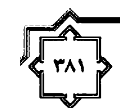
الهادي على جزء الدشتي المذكور، مع أن المعروف عند كل مؤمن عاقل أن الأهل من زوجة وأولاد وكذا خاصة الرجل ممن ينبغي صونهم من الكفر البواح، وتسميعهم ما فيه تنزيه للباري تبارك وتعالى، وعناوين هذه الكتب تنبئ العاقل المتبصر بحال مصنفيها والمشتغلين بتسميعها لأهلهم وخاصتهم. ومن تعصب ابن عبد الهادي لابن تيمية وتصنيفه للانتصار لذلك عاب عليه كبار العلماء كالإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره من الأكابر، ففي الفتح (٣/ ٦٦) مثلا ما نصه: قال الكرماني: وقع في هذه المسألة ـ مسألة الزيارة ـ في عصرنا في البلاد الشامية مناظرات كثيرة وصنف فيها رسائل من الطرفين، قلت: يشير إلى ما رد به الشيخ تقي الدين السبكي وغيره على الشيخ تقي الدين بن تيمية، وما انتصر به الحافظ شمس الدين ابن عبد الهادي وغيره لابن تيمية وهي مشهورة في بلادنا، والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ وأنكرنا صورة ذلك .... وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية. أهـ

[تنبيه]: لمسألة تتعلق باستحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ وهي: أنه قد تلاعب أحد أتباع ابن تيمية بكلام الإمام النووي في الأذكار فحرفه إقتداء بمن قال الله فيهم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[1] وإني أسوق كلام الإمام النووي الأصلي الآن إن شاء الله تعالى ثم أردفه بالكلام المبدل لنتبين حقيقة الأمر، وليعشق من يعشق سلفية العصر على بينة فأقول:

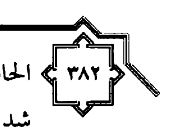
كلام الإمام النووي الأصلي غير المحرف: في كتاب الحج من الأذكار (ص٣٠٦ طبع دار الفكر دمشق) وكذا في المخطوط وباقي الطبعات وفي شرح الأذكار لابن علان ما نصه: (فصل في زيارة قبر رسول الله ﷺ وأذكارها):

---

١ . النساء: ٤٦.



اعلم أنه ينبغي لكل من حج أن يتوجه إلى زيارة رسول الله ﷺ سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن فان زيارته ﷺ من أهم القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات فإذا توجه للزيارة أكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ في طريقه. فإذا وقع بصره على أشجار المدينة... أهـ كلام الإمام النووي الأصلي. كلام الإمام النووي المحرف الذي حرفه (عبد القادر الأرناؤوط) المتمسلف بأمر من سادته طمعا في المادة: في كتاب الأذكار للإمام النووي (طبع دار الهدى الرياض ١٤٠٩ د بإشراف وموافقة مراقبة المطبوعات برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ص٢٩٥) ما نصه: فصل في زيارة مسجد رسول الله ﷺ: اعلم أنه يستحب من أراد زيارة مسجد رسول ﷺ أن يكثر من الصلاة عليه ﷺ في طريقه فإذا وقع بصره على أشجار المدينة.... فتأمل هذا التحريف ولا أدري كيف حصل هذا تحت أنظار رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة (!) علما بأن الكتاب إذا كان فيه كلمة توسل بالنبي ﷺ أو بيت من الشعر فيه مدح له ﷺ فإن عين رئاسة البحوث تضبطه وتصادر الكتاب وتمنع دخوله. فهل أصاب عين رئاسة البحوث العمى فلم تر هذا التحريف لأنه يوافق مشربها؟!! ثم تمادى المحقق المتمسلف المذكور فاسقط بعد صحيفة من كتاب الأذكار قصة العتبي التي ذكرها الإمام النووي لأنها تخالف ذاك المشرب العكر، فهل هذه هي الأمانة العلمية؟! وكان بإمكانه أن يعلق عليها بالإنكار كما فعل بعض إخوانه في طبعات أخرى دون أن يقترف هذا التحريف والتلاعب المشين الذي يؤدي إلى تشكيك المسلمين بما يطبع ويطرح بين أيدي عامة الناس من أمهات المراجع وكتب التراث. سبب هذا التحريف فيما نرى: أقول: والذي دعا المحقق والمشرف إلى أن يحرف عبارة الإمام النووي ويحذف منها هو التعصب لرأي ابن تيمية الحراني والذي أنكره عليه فحول علماء أهل السنة، وإليك بيان ذلك: قال



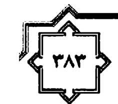
الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٦٦): والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شد الرحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ وأنكرنا صورة ذلك.... وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية أهـ

قلت: فهذا الإنكار لا شك يشمل كتاب الصارم المنكي[١]، الذي كان مؤلفه يحيد عن الصواب بتضعيف الأحاديث بعرض رجالها وذكر الجرح فيهم دون التعديل كما قال ذلك الأئمة المختصون في هذا الفن ورأيناه أيضا بأعيننا، وسلك أيضا مثل هذه الطريق الشاذة البعيدة عن التمحيص العلمي (السهسواني) وأمثاله ممن لا يعبأ بقولهم البتة. هذا مع ملاحظة أن ابن عبد الهادي قال عن حديث «حياتي خير لكم.... الحديث»[٢]: مرسل صحيح، فحرف ذلك صاحبا (أوهابية أم كتاب سنة) فقالا: قال ابن عبد الهادي ضعيف لا يحتج به. أه لأنه يخالف مشربها، ولا شك أن هذا من الغلو في الدين!! فلا حول ولا قوة إلا بالله. قلت: وهذا التحريف اعتاد عليه الحشوية المجسمة في كل عصر كما أثبتت ذلك وقائع التاريخ وعندي على ذلك أمثلة تزيد على الثلاثمائة سأصدرها قريبا في رسالة أسردها فيها سردا، وانظر إلى ما يقوله الإمام الحافظ التاج السبكي في كتابه (قاعدة في الجرح والتعديل ص٤٨ من الطبعة الخامسة): وقد وصل حال بعض المجسمة في زماننا إلى أن كتب شرح «صحيح مسلم» للشيخ محي الدين النووي، وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات، فإن النووي أشعري العقيدة فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على

---

١ . قال المحدث يوسف النبهاني في شواهد الحق ص (٢٨٧): (الصارم المنكي) غير صحيح، لان أنكى الرباعي غير وارد ولا وجود له في كتب اللغة... فلا يقال أنكاه وأنكاه حتى يصبح منكي كما في اللسان والقاموس والمصباح.... (والظاهر أن الله طمس على بصيرته في تسمية الكتاب كما طمس على بصيرته في مسماه ليحصل الخطأ في الاسم والمسمى جميعا. أهـ

٢ . مسند البزار، ج٥ ص٣٠٨.



الوضع الذي صنفه مصنفه. وهذا عندي من كبائر الذنوب، فإنه تحريف للشريعة وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس وما في أيديهم من المصنفات فقبح الله فاعله وأخزاه... الخ انتهى كلام الإمام الحافظ السبكي.

(فصل): في أدلة الاستغاثة الصحيحة وآثار السلف أيضا:

١) ثبت في صحيح البخاري في كتاب الزكاة باب رقم (٥٢) أنظر فتح الباري (٣/ ٣٣٨) الطبعة السلفية ما نصه: قال رسول الله ﷺ:. «**إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق...**»[١].

أقول: وهذا تصريح بالاستغاثة بغير الله تعالى في أمر لا يملك تفريجه يومئذ إلا الله تعالى وحده، وكلنا يعتقد أن النبي ﷺ عبد من عبيد الله ليس له الملك يومئذ لأن ﴿الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢]، واستغاثة الناس بعد اتضاح الشرك من الإيمان يومئذ وخصوصا بسيدنا آدم الذي يعترف بأنه لا يستطيع ذلك ثم بمن بعده من أكابر الأدلة وأنصعها وأصحها على أن الاستغاثة بغير الله تعالى ولو لم يكن المستغيث يملك النفع ليس شركا ولا كفرا كما يظن البعض بل هو حق في موقف يشهده الخلق جميعا بين يدي رب العالمين النافع الضار سبحانه، وذكر لفظة الاستغاثة في هذا الحديث نص صريح على حقية ذلك، فليس لأي إنسان أن يقول: هذا حديث الشفاعة ونحن نعرفه.

وكلامه هذا لا ينفي الاستغاثة، بل يثبت هذا عليه أن التوسل والاستغاثة والاستعانة والشفاعة كلها بمعنى واحد وهو توسيط النبي أو غيره بين صاحب

---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص١٣٠.

٢ . غافر: ١٦.



الحاجة وبين الله تعالى وهو يعتقد أن الأمر بيد الله. ولذلك قال الحافظ ابن حجر معلقا على نحو هذا الحديث في الفتح (١١/ ٤٤١) وفيه أن الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم في الدنيا من التوسل إلى الله في حوائجهم بأنبيائهم أهـ. قلت: وهؤلاء الناس منهم من أدرك الأنبياء في حياتهم الدنيوية قبل وفاتهم ومنهم من أدركهم بعد الوفاة، والجميع مستغيثون بالأنبياء.

٢) وروى البخاري في صحيحه في كتاب الاستسقاء باب الفتح (٢/ ٥٠١): عن أنس بن مالك: «أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا ـ أي يمطرنا ـ قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: **اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا**. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من وراءه سحابة مثل الترس ثم انتشرت، ثم أمطرت....»[1].

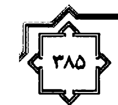
قلت: هذا الرجل أصيب ماله بالهلاك وجاء مستغيثا برسول الله ﷺ أن يدعو الله في أن يمطرهم، وهو يخطب على المنبر، فلم يقل له ﷺ: عليك أن تدعو الله أنت لأن الله يقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[2] وكذا لم يقل له ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[3] لأن هاتين الآيتين لا تنفيان سؤال الغير والاستغاثة بالأنبياء، وذكر الشيء لا ينفي ما عداه كما هو مقرر في الأصول، ومن هذا الباب جاء في الحديث الصحيح: أن

---

١ . نفس المصدر، ج٢، ص١٦.

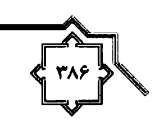
٢ . البقرة: ١٨٦.

٣ . غافر: ٦٠.



الأعمى استغاث برسول الله ﷺ أن يدعو الله له في رد بصره، فلم يدع به وإنما علمه التوسل والاستغاثة بجاهه ﷺ في الدعاء المسنون المشهور الذي فيه (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ـ وهذا توسل ـ يا محمد إني أتوجه بك الله في حاجتي لتقضى ـ وهذه استغاثة صريحة ـ) وخصوصا أن النبي لم يخص هذا الدعاء بحياته فقط مع أنه حي في قبره كما أخبر وجاءنا في الحديث الصحيح، وعلماء الأمة ذكروا هذا الحديث في أبواب صلاة الحاجة من مصنفاتهم ولم يقل أحد منهم إياكم أن تدعو به فانه شرك، بل حثوا الأمة على الدعاء به تطبيقا لسنة النبي ﷺ، والمستغيث منا الآن برسول الله ﷺ يعرف أن النبي ﷺ حي في قبره يسمع سلام المسلمين عليه ويرد عليهم وتعرض عليه أعمال أمته، فإذا وقف الإنسان منا على قبره ﷺ فقال: يا رسول الله جئتك مستغفرا من ذنبي مستغيثا بك إلى ربي فاعف عني وأدع الله أن يغفر لي ذنوبي وإسرافي في أمري. لم يكن ذلك شركا ولا كفرا باتفاق غير المتعصبين، وخصوصا إن علمت أن الإمام النووي حض على مثل هذه الصيغة كما في المجموع (٨/ ٢٧٤) ونقله عن علماء الشافعية، وأن ابن حجر العسقلاني يقول كما في ديوانه بخط القلم:

نبي الله يا خير البرايا	بجاهك أتقي فصل القضاء
وأرجو يا كريم العفو	عما جنته يداي يا رب الحباء
فكعب الجود لا يرضى فداء	لنعلك وهو رأس في السخاء
وسن بمدحك ابن زهير كعب	لمثلي منك جائزة الثناء
فقل يا أحمد بن علي اذهب	إلى دار النعيم بلا شقاء



فإن أحزن فمدحك لي سروري وإن اقنط فحمدك لي رجائي[٢٠٤]

وديوان الحافظ مطبوع قديما في الهند وهناك نسخة منه في مكتبة الجامعة الأردنية فلتنظر وليبحث عن مخطوطه أيضا بخطه للتأكد. فان قال قائل في هذين الدليلين هذه الاستغاثة جائزة في حياته فقط، قلنا: أنت لا تجيز الاستغاثة بغير الله مطلقا، وتصف المستغيث بالشرك في أمر أقل ما يقال فيه: أمر مختلف فيه، وتدعي أن هذا من صلب العقيدة، وليس كذلك، وستأتي إن شاء الله تعالى أدلة واضحة في إثبات الاستغاثة بعد الوفاة، فتأمل وأنصف.

٣) روى الطبراني وأبو يعلى في مسنده وابن السني في عمل اليوم والليلة عن عبد الله ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم**»[٢٠٥]. وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «**إذا ضل أحدكم شيئا، أو أراد أحدكم غوثا، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فان لله عبادا لا نراهم**». رواها الطبراني في الكبير[٢٠٦] وقال بعد ذلك: وقد جرب ذلك. ورواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ: «**إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني**»[٢٠٧]. وحديث البزار هذا

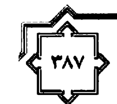
---

٢٠٤ وعلى أولئك الذين ينتقدون أبيات البردة للإمام البوصيري رحمه الله أن ينتقدوا بعد اليوم أبيات الحافظ ابن حجر وغيره من الحفاظ الذين يقولون مثل ما يقول البوصيري بل أكثر من ذلك ومنه نعلم سقوط كلام ذلك المسكين الذي علق على كتاب (هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين) وشطحه ص٧١ ـ ٧٤ وعدم تذوقه لعلوم العربية، وأكله الزنجبيل.

٢٠٥ . المعجم الكبير، ج١٠ ص٢١٧.

٢٠٦ . نفس المصدر، ج١٧ ص١١٨.

٢٠٧ . مسند البزار، ج١١ ص١٨١.



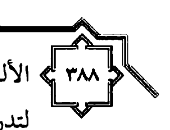
حسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار كما في شرح ابن علان على الأذكار (٥/ ١٥١). وقال الحافظ الهيثمي عنه في المجمع (١٠/ ٣٢) رجاله ثقات. وزاد الحافظ الهيثمي مؤكدا على رواية الطبراني مقرا قوله: وقد جرب ذلك. ولو فرضنا جدلا أن هذا الحديث الحسن موضوع فكيف يجوز علماء الأمة وأهل الحديث هذا الأمر ويقولون: وقد جرب ذلك، وسيمر بنا إن شاء الله تعالى ذكر من عمل بذلك وحسنه من الحفاظ.

(تنبيه): والعجب العجاب أن الألباني اعترف بحسن حديث البزار هذا في ضعيفته (٢/ ١١١) فقال: وبعد كتابة ما سبق وقفت على إسناد البزار في زوائده ص٣٠٣.... قلت: وهذا إسناد حسن كما قالوا.... الخ. أهـ

قلت: ثم قبل ذلك جوز في نفس الصحيفة الاستغاثة بالملائكة وبالجن لهذا الحديث ثم جنح إلى اقتصار ذلك على الملائكة، وهو يعلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم.... إلى آخر ما تقدم. وليعلم أيضا: أن ابن تيمية ذكر الحديث في (الكلم الطيب) لأنه يرى ذلك من الكلم الطيب لا من الكلم الخبيث. وقد علق الألباني[٢٠٨] في صحيح الكلم الطيب على هذا الحديث بأنه: ضعيف كما خرجه في ضعيفته، مع أنه يرى حسن إسناده واختار أن الأصح أنه موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما بغير أدلة علمية مقبولة، وتكهن أن ابن عباس ربما أخذ ذلك من أهل الكتاب، واني أعجب من الألباني! هل يجوز على ابن عباس أن يأخذ الشرك من أهل الكتاب ثم يرويه للأمة ثم يتلقاه علماء الأمة بالقبول ويعملوا به وعلى رأسهم أحمد بن حنبل أحد أئمة السنة من السلف المشهورين؟! انظر صحيح الكلم الطيب ص (٩٨) حديث (١٧٧) وتأمل في كلام ابن تيمية وتعليق

---

٢٠٨ . واعلم بأنني لا أذكر كلام ابن تيمية والألباني لأنني أعتمد على كلامهما، ولكن ليكون حجة على من يقلدهما لأن في أقوال علماء أهل السنة ما يغني.



الألباني عليه، ثم تأمل في صحيفة (١١١) من المجلد الثاني من ضعيفة الألباني لتدرك التناقض في أعرض صوره.

٤) الدليل الرابع للاستغاثة: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري[٢٠٩]: أخرج قصة عاد الثانية أحمد بإسناد حسن عن الحارث بن حسان البكري قال: (خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ الحديث ـ وفيه ـ فقلت: أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال: وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه.....) أهـ من فتح الباري. قلت: وهذه استغاثة صريحة.

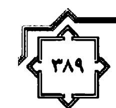
٥) الدليل الخامس للاستغاثة: من استغاثات الصحابة به وإقرارهم لمن فعل ذلك بعد موته ﷺ: قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٤٩٥): روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال: «أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال؟ يا رسول الله استسق لامتك فإنهم قد هلكوا....»[٢١٠].

قلت: ومالك الدار ثقة بالإجماع عدله ووثقه سيدنا عمر وسيدنا عثمان فولياه بيت المال والقسم ولا يوليان إلا ثقة ضابطا عدلا كما نص الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته، ونقل ذلك عن إمام المحدثين علي بن المديني، وكذا وثقه جميع الصحابة الذين كانوا في زمن عمر وعثمان رضي الله عن الجميع، بل نص الحافظ أن لمالك إدراك، فهو صحابي صغير وهذا يجعله ثقة اتفاقا، ثم روى عنه أربعة من الثقات، ونص على أنه معروف البخاري في تاريخه وساق هذه القصة، وابن سعد في طبقاته (٥/ ١٢) وقد فصلت ذلك تفصيلا في (الباهر)

---

٢٠٩ . فتح الباري، ج٨، ص٤٤٤.

٢١٠ . المصنّف في الأحاديث والآثار، ج٦، ص٣٥٦.



وبينت أن تضعيف المعاصرين لمالك وقوله: (غير معروف العدالة) خطأ بل جهل وتدليس بالغ. فهذا الحديث يثبت بلا شك ولا ريب إجماع من حضر من الصحابة في زمن سيدنا عمر مع سيدنا عثمان رضي الله عنهما على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته، ونحن مقتدون بالصحابة في ذلك.

٦) الدليل السادس للاستغاثة: حديث الدارمي في سننه أو مسنده (١/ ٤٣) حيث قال: حدثنا أبو النعمان[٢١١]، ثنا سعيد بن زيد[٢١٢]، ثنا عمرو بن مالك، و قال الإمام البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا سعيد بن زيد أبو النكري[٢١٣]، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله[٢١٤] قال: «قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: أنظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يبقى بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق»[٢١٥].

---

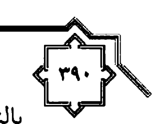
٢١١ أبو النعمان هو: عارم: واسمه محمد بن الفضل السدوسي: من رجال البخاري ومسلم والأربعة أيضا. وهو ثقة ثبت. تغير في آخر عمره. وما ظهر له بعد تغيره حديث منكر كما نص على ذلك أكابر الحفاظ كالدارقطني وأقره الحافظ الذهبي في الميزان (٤/ ٨). فمن حاول أن يطعن فيه بالاختلاط فقد حاول الطعن في البخاري ومسلم، وسجل على نفسه بأنه لا يعرف في هذا العلم كثيرا ولا قليلا، وليس لكلامه قيمة أصلا.

٢١٢ سعيد بن زيد: هو من رجال مسلم في الصحيح. وثقه يحمص بن معين إمام الجرح والتعديل.

٢١٣ قال الإمام الذهبي في الكاشف الذي يعطي فيه خلاصة ما قيل في الرجل (٢/ ٣٤٢ ترجمة رقم ٤٢٨٧/ ١٧٧٣): عمر بن مالك النكري: وثق. أهـ وقال الإمام الحافظ الذهبي في الميزان (٣/ ٢٨٦) عنه: ثقة. أهـ وقد صحح الحفاظ حديثه. فتشدق بعضهم في الطعن في سند حديث لا يوافق مشربهم لنيل دراهم معدودة بالنكري ما هو إلا أمر منكر لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله، فخوف بعضهم من أن يشاع عنه أنه يجوز التوسل ما هو إلا من أكبر البراهين على خوف تضييع الدراهم التي باع بها دينه، واشترى بها الدنيا بالآخرة فاللهم هداك!

٢١٤ هو من رجال البخاري ومسلم، وهو ثقة كما في الكاشف والتقريب. فالسند متصل ورجاله رجال الصحيح إلا عمرو بن مالك وهو ثقة، والحمد له تعالى.

٢١٥ . سنن الدارمي، ج١، ص٢٢٧.



قلت: وهذا صريح أيضا بإسناد صحيح بأن السيدة عائشة رضي الله عنها استغاثت بالنبي ﷺ بعد موته وكذا جميع الصحابة الذين كانوا هناك وافقوها وفعلوا ما أرشدتهم إليه. وكأنها أيضا تقول إذا جعلتم كوا إلى السماء فأنتم تسألون النبي ﷺ أن يدعو الله تعالى أن يمطرنا من السماء، كما كان النبي أحيانا يخرج بهم عند الاستسقاء إلى الصحراء وأحيانا على منبره ﷺ.

٧) الدليل السابع للاستغاثة: فعل علماء الأمة من السلف الصالح ومن بعدهم من المحدثين دون نكير أحد من المعتبرين حتى جاء ابن عبد الوهاب فسقى غير اتباعه مشركين (انظر كشف الشبهات له ترى العجب العجاب). وإنما اعتبرت فعل السلف وأئمة الحديث من الخلف لذلك دليلا لما الحسن الصدوق الحافظ. وقال ابن سعد: كان ثقة. وقال العجلي: بصري ثقة. وقد طعن فيه بعض الناس ولم يضره ذلك. انظر تهذيب التهذيب: (٤/ ٢٩) وكثير من الثقات وخصوصا من رجال الصحيحين تكلم بعض الناس فيهم فلم يضرهم شيئا.

أوردته من الأدلة في رسالة (احتجاج الخائب بعبارة من ادعى الإجماع فهو كاذب) ومن تلك الأدلة أن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «**عليكم باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[٢١٦] ثم جاء عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال كما في النسائي: فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون[٢١٧]. أهـ كما في ص٢٧ من (احتجاج الخائب).

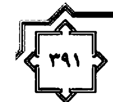
وعلى كل حال فاعلم:

أ) أن ابن عباس روى حديث الاستغاثة الذي عند البزار مرفوعا، وهو بإسناد حسن وقد اعترف الألباني بحسنه ثم رجح وقفه على ابن عباس كما في

---

٢١٦ . مسند احمد، ج٥، ص٣٨٢؛ السنن الكبرى للبيهقي، ج٥، ص٢١٢، مع تفاوت.

٢١٧ . سنن النسائي، ج٨، ص٢٣٠.



ضعيفته (٢/ ١١٢) فعلى هذا يكون ابن عباس ممن أجاز الاستغاثة وروى حديثها لمن بعده ولم يعتبرها شركا علما بأننا لا نقيم وزنا لما يقوله الألباني أصلا ورأسا، وإنما نجلب مثل هذا له ولأتباعه من باب الإلزام.

ب) وكذلك ورد في أثر السيدة عائشة الذي ذكرنا أن الدارمي رواه مع من وافقها من المسلمين ساعتئذ، ومن رد هذا بحجج منطقية سمجة فليبقها لنفسه فإنها لا وزن لها عندنا، لأنه يريد دفع النصوص الصحيحة التي لا تنفيها الآيات المباركات التي يحاول أن يبطل بها تلك الأحاديث باتفاق العقلاء.

ج(استغاثة الإمام أحمد: روى البيهقي في الشعب وابن عساكر من طريق عبد الله ابن الإمام أحمد، وكذا عبد الله بن الإمام أحمد في المسائل (٢١٧) بإسناد صحيح اعترف بصحته الألباني (ضعيفه ٢/ ١١١): سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج منها ثنتين راكبا وثلاثة ماشيا، أو ثنتين ماشيا وثلاثة راكبا، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشيا فجعلت أقول: «يا عباد الله دلونا على الطريق» فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق.... أهـ وذكر هذه القصة أيضا ابن مفلح الحنبلي تلميذ ابن تيمية في كتاب (الآداب الشرعية).

د، هـ(ذكر ابن مفلح لذلك يدل على أن ذلك جائز عنده ليس بشرك كما يدعي الغلاة اليوم، فذكر القصة في كتابه المذكور يبين أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا عنده إلا أن اعتقد المستغيث أن المستغاث به له قوة النفع والضر بنفسه دون الله وأنه متصرف في الكون دون الله، وانظر كيف ذكر ذلك ابن تيمية في الكلم الطيب ولم يعتبره من الكلم الخبيث صحيفة (٩٨) حديث (١٧٧) وكيف علق على ذلك الألباني فذكر أن الحديث ضعيف ولم يقل انه حسن موقوف على ابن عباس، وما أدري ماذا يسمى هذا؟!



و) الإمام الحافظ الطبراني: ذكر الطبراني في معجمه الكبير أن حديث: «**إذا ضل أحدكم شيئا أو أراد أحدكم غوثا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني...**»[٢١٨] وأن هذا مجرب، وهذا منه تقوية للحديث وإن كان سنده ضعيفا، ولم ينبه الإمام الحافظ الطبراني السلفي (توفي ٣٦٠) أن هذا شركا يجب اجتنابه بل حض عليه. ثم الإمام الحافظ النووي ﷺ: ذكر الإمام النووي في الأذكار في كتاب أذكار المسافر: باب ما يقول إذا انفلتت دابته: (ص٣٣١ من طبعة دار الفكر دمشق بتحقيق أحمد راتب حموش) ما نصه: روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله عز وجل حاضرا سيحبسه**»[٢١٩].

قلت: حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث، فقاله، فحبسها الله عليهم في الحال. وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته: فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام. انتهى كلام الإمام الحافظ النووي من الأذكار.

ولا أدري أيصفوه بالشرك بعد ذلك؟.. وقال الإمام النووي أيضا في المجموع مبينا ما يستحب أن يقوله من يزور النبي ﷺ إذا وقف أمام القبر الشريف مخاطبا رسول الله ﷺ، ما نصه: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا ـ

---

٢١٨ . المعجم الكبير، ج١٧ ص١١٨.

٢١٩ . نفس المصدر، ج١٠ ص٢١٧.



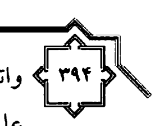
يعني سائر الشافعية ـ عن العتبي[٢٢٠] مستحسنين له قال: «كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[٢٢١] وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي...» أهـ كلام النووي. فانظر رحمك الله تعالى وهداك كيف أستحسن العلماء هذه الصيغة في نداء النبي ﷺ، وطلب العفو وأن يستغفر الله له، ونحن لا نفعل إلا ذلك ولا نستحب إلا هذا، ولا نريد على ما ورد في الأحاديث المتقدمة أو ما جاء عن العلماء الكبار في العلم ولا نعتقد في المخلوقين أنهم يرزقون بذاتهم أو يحيون ويميتون، فالله تعالى بين لنا في كتابه أن إسناد الفعل لغيره على طريق المجاز ليس شركا ولكن ما نصنع بمن لا يدرك المجاز وينكره أشد الإنكار، قال تعالى في شأن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[٢٢٢]. فلو قال شخص أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، لم يكن كافرا، مع أن الله تعالى هو محيي الموتى حقيقة وهو الذي يبرئ الأكمه والأبرص، وكلنا يعتقد أن التأثير لله لا لسيدنا عيسى، وكذلك إذا استغاث رجل برسول الله ﷺ راجيا أن يدعو الله له في تفريج مصيبته أو كربه معتقدا أنه حي في قبره يبلغه سلام أمته أينما كانوا وتعرض عليه أعمالهم، لم يكن ذلك شركا عند من تجرد من العصبية

---

٢٢٠ والقصة ثابتة تناقلها العلماء وعلى فرض أنها مكذوبة فالعبرة باستحسان النووي وسائر الشافعية لهذه الصيغة المذكورة في قصة العتبي، فهل يستحسنون الشرك؟! ولا يميزون بين الشرك والإيمان ويقتصر على معرفته المرتزقة من المتمسلفين!

٢٢١ . النساء: ٦٤.

٢٢٢ . آل عمران: ٤٩.



واتقى الله تعالى، بل سيتحقق أن ذلك سنة وردت به الأحاديث الصحيحة ونص عليه علماء الأمة الثقات من السلف والمحدثين. فليتق الله من يأكل الدراهم متظاهرا بالدعوة إلى التوحيد والتشديد والتقييد، ممن يركض وراء دعاة التوحيد الذين يقولون بقدم العالم بالنوع وبتجويز استقرار معبودهم على ظهر بعوضة، هداهم الله.

ح) وكذا شيخ الإمام النووي الذي حكى عنه النووي القصة في الأذكار وهو الإمام محمد بن أبي اليسر. انظر شرح الأذكار لابن علان (٥/ ١٥١).

ط) وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث ذكر حديث ابن أبي شيبة في الفتح (٢/ ٤٩٥) ولم ينته أن ذلك شرك كما نبه عليه المعلق على الفتح هداه، وكذلك عند تحسين حديث البزار الذي في الاستغاثة، وللحافظ أيضا أبيات في قصائده هي صريح الاستغاثة واني أعرض بعض تلك الأبيات وهي ثابتة عنه ثبوت الشمس في رابعة النهار، ولمثله من الحفاظ أيضا أبيات كثيرة كابن دقيق العيد وابن سيد الناس وغيرهم، فليحارب بعد اليوم المأجورون الحافظ ابن حجر الذي يقول أبياتا أبلغ من أبيات الإمام البوصيري. ومهما حاول هؤلاء أن ينفوا ذلك عن الحافظ أو يتهربوا منها أو من الجواب عليها فلن يستطيعوا، وهذه بعض الأبيات: قال الإمام ابن حجر: نبي الله يا خير البرايا بجاهك أتقي فصل القضاء وأرجو يا كريم العفو عما جنته يداي يا رب الحباء فقل يا أحمد بن على اذهب إلى دار النعيم بلا شقاء أنظر ديوان الحافظ ابن حجر (المطبوع بالهند المكتبة العربية/ حيدر أباد الدكن سنة ٣٨١ أهـ وهي طبعة مصححة) توجد نسخة من الكتاب بمكتبة الجامعة الأردنية، وقد نقل الأبيات أيضا العلامة يوسف النبهاني من خط الحافظ ابن حجر كما ذكر ذلك في مجموعة القصائد النبهانية (١/ ١٦٦) فانظر ذلك. وهناك أبيات أخرى لا أود إطالة هذه الرسالة



بها فليراجعها من شاء. فقد نقلت في هذه العجالة الاستغاثة عن ابن عباس ومالك الدار والسيدة عائشة وبلال بن الحارث المزني صاحب حديث مالك الدار عند ابن أبي شيبة، وكذا يدخل بذلك جميع من حضر من الصحابة والتابعين، وكذا الإمام أحمد رحمه الله والطبراني والنووي الذي نقل استحباب ذلك عن الشافعية والحافظ ابن حجر، وأظن أن في ذلك إقناعا لكل لبيب أن يتقي الله تعالى ويعلم أن هذا الأمر جائز شرعا. حجة من يحرم الاستغاثة من السنة: استدل من حرم الاستغاثة بحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق قال: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله تعالى**»[٢٢٣] وهذا حديث ضعيف ذكره محدث العصر السيد عبد الله الغماري في (الرد المحكم المتين) وقد روى هذا الحديث الطبراني وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف، ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٤٠) قال رواه أحمد وفيه راو لم يسم وابن لهيعة، وذكر في المجمع (١٠/ ١٥٩) أن ابن لهيعة حسن الحديث، وليس كذلك فقد ضعفه هو وغيره مرارا، مع أن الحديث يخالف الأحاديث الصحيحة وخصوصا حديث الصحيحين الصريح في الاستغاثة، ولو صح هذا الحديث كان حجة على أن الاستغاثة ليست كفرا وإنما تركها هو الأدب والأفضل لأن أبا بكر أعرف الناس وأفقه الناس بالقرآن بعد النبي من أمته فيما يوجب الكفر من غيره، وأيضا لم يأمره النبي ﷺ أن يتشهد ويدخل من جديد في الإسلام.

هذه هي حجة مانعي الاستغاثة الذين يكفرون عباد الله جزافا لغير موجب للتكفير، وهي مهلهلة كما رأيت، وذلك مبلغهم من العلم ويرددون آيات لا يدركون معناها سنجيب عنها الآن إن شاء الله تعالى سريعا، مع أننا على استعداد

٢٢٣ . مسند احمد، ج٥، ص٣١٧.

تام لأن نتوسع في شرحها ونبرهن عليه وننقل أقوال العلماء متى احتاج الأمر لذلك. من تلك الآيات التي يحتجون بها: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[1] ومن المعلوم بداهة: أن أشخاصا كثر قد سألوا رسول الله ﷺ الدعاء وغيره ودعا لهم وأعطاهم، ولم يتناف هذا مع الآية، لأن الآية الكريمة تقرر أنه ليس شرطا في الدعاء اتخاذ الوسائط والوسائل وأيضا ليس فيها ما يمنع ذلك، فهي تقرر أن الإنسان له أن يدعو الله تعالى متى شاء دون واسطة سواء كان في حياة النبي أو بعد وفاته. ومن تلك الآيات التي يوردونها ويضعونها في غير محلها أيضا: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾[2]. ومعنى ذلك: أي لا تعبدوا غير الله تعالى ولا تعبدوا معه هذه الأوثان التي قال الله عنها: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾[3] مع أنه قال أيضا: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4] فهم لم يكن أحد منهم موحدا لا الرب ولا الإله لأن الرب هو الإله والإله هو الرب، وقد فصلت هذا في رسالة التنديد بمن عدد التوحيد. ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[5].
ومعنى الآية مختصرا: والذين تعبدون من دون الله بسجودكم لهم واعتقادكم فيهم الألوهية كمن يعبد منكم الأصنام أو المسيح أو الكواكب أو يعبد أشخاصا

---

١ . البقرة: ١٨٦.
٢ . الجن: ١٨.
٣ . الفرقان: ٣.
٤ . يوسف: ٣٩.
٥ . فاطر: ١٣ و ١٤.



أو يعبد أشخاصا من العظماء في الدنيا من دون الله العظيم حقيقة لا يملكون من قطمير لكم أي لفافة نواة تمر، كأولئك الفرس مثلا الذين كانوا يعبدون كسرى والذين سألهم رسول الله ﷺ عن سبب حلقهم للحاهم فقالوا: أمرنا بذلك ربنا يعنون كسرى، ولأن هؤلاء الذين عبدوهم من دون الله إذا ادعوا الربوبية أو لم يدعوها لا يستطيعون تخليص عبدتهم من النار والعذاب، وسيتبرئون يوم القيامة ممن عبدهم، وهذا لأن النصارى مثلا اعتقدوا الربوبية والألوهية في المسيح وكذا اليهود في عزير وكذا عبدة الأصنام في أصنامهم، وأما قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾[1] فهو كذب منهم بنص القرآن، لأنهم لا يقولون ذلك إلا عند محاجة النبي لهم وإفحامه إياهم فيضطرون لقول مثل هذا، ولذلك قال الله عقب هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[2] والذي يؤكد ذلك أنهم يأبون أن يسجدوا لله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾[3] وكذلك لا يقرون بالبعث ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[4] والمستغيث بالنبي ﷺ ليس كذلك من جميع الوجوه فهو يسجد للرحمن ويدعوه ولا ينكر البعث ولم يعبد غير الله تعالى، وحصر الدعاء بالعبادة غلط ثم غلط ثم جهل مركب، لأن واحدا من معانيه العبادة وله معان أخرى، فتعميم حديث (الدعاء هو العبادة) على كل دعاء من الجهل البالغ إلى الذروة وهو ينبئ أن القائل بذلك ليس له دراسة في علوم اللغة

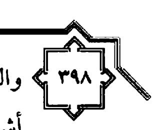
---

١ . الزمر: ٣.

٢ . الزمر: ٣.

٣ . الفرقان: ٦٠.

٤ . يس: ٧٨ و ٧٩.



والتفسير وفهم كلام الله تعالى ورسوله ﷺ حق الفهم[1]، والرسول ﷺ دعا أشخاص أحياء وكذلك دعا الأموات فقال لهم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ـ للأموات من أهل القبور ـ، والمستغيث لم يأب السجود للرحمن ولم ينكر البعث فقياس أولئك على هؤلاء غلط محض.

وأعود فأكرر بأن مسألة الاستغاثة لا علاقة لها بالعقيدة البتة. إلا في نظر البسطاء الذين لم يمعنوا النظر في الكتاب والسنة. فجميع الآيات التي فيها اعتراف من الكفار بالله كقولهم **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾**[2] و **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾**[3] ليس فيها أنهم كانوا يقرون بتوحيد لأن الله تعالى أخبر فقال بعد إحدى تلك الآيات كما في الزمر ٣ **﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾**. وكذلك حديث **«إذا سألت فاسأل الله»** الذي رواه الترمذي[4] والذي عليه كلام لبعض الحفاظ وهو حديث حسن على كل حال. قال النووي في شرحه عليه في الأربعين صحيفة ٥١: قوله **«إذا سألت فاسأل الله»**: إشارة إلى أن العبد لا ينبغي له أن يعلق سره بغير الله تعالى بل يتوكل عليه في سائر أموره، ثم إن كانت الحاجة التي يسألها لم تجر العادة بجريانها على أبدى خلقه كطلب الهداية والعلم والفهم في القرآن والسمنة وشفاء المرض

---

١ وإنما بنى كلامه على التدليس ومن قرأ مثل كتاب التوصل إلى حقيقة التوسل ظهر له ذلك جليا، فان تجريحه للرجال في النصوص التي تخالف هواه بذكر الجرح وإغفال التعديل تحكم بالهوى وتقليد للسهسواني المدلس القاصر في هذا العلم، ومن تدبر ذلك سيقتنع بما أقول ولن يخالفني في حرف مما أقوله، فتبا ثم تبا لمن قدم الباطل لأجل المال على الحق الأبلج، وتبا لمن نقل عن مثل هذه الكتب المزورة وهو لا يعي ما ينقله، وعند الله تجتمع الخصوم.

٢ . الزمر: ٣.

٣ . لقمان: ٢٥.

٤ . سنن الترمذي، ج٤ ص٧٦.

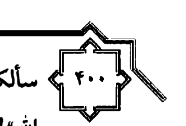


وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة سأل ربه ذلك وان كانت الحاجة التي يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدي خلقه كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم فيقول: اللهم حنن علينا قلوب عبادك وإمائك، وما أشبه ذلك ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق لأنه ﷺ سمع عليا يقول: اللهم اغننا عن خلقك فقال لا تقل هكذا فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض، ولكن قل: اللهم اغننا عن شرار خلقك. وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم. انتهى كلام النووي ص٥١ (شرح الأربعين طبعة الشمرلي القاهرة الطبعة السادسة). فتبين من ذلك: أن سؤال غير الله تعالى ليس شركا ولا منهيا عنه إلا أن اعتقدنا أن للمسؤول صفة الألوهية، والمسلم مراقب لله تعالى في جميع أحواله، ولا يمتنع عليه أن يسأل غير الله تعالى، والحديث يدل على مراقبة الله تعالى واعتقاد أنه سبحانه هو المؤثر في كل حال وفي كل شئ حقيقة لقوله سبحانه: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] ولقوله ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] ولذلك أورد النووي رحمه الله هذا الحديث في باب المراقبة من رياض الصالحين. والنبي ﷺ سال غير الله تعالى أشياء كثيرة، فقد سأل سيدنا عمر رضي الله عنه أن يدعو له عندما استأذنه في الذهاب للعمرة كما رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح. وأقر الصحابة أن يسألوا غير الله تعالى أشياء، ففي سنن أبي داود في كتاب الزكاة: باب عطية من سأل بالله: أي سأل الناس قائلا: بالله عليكم أعطوني، فروى أبو داود والنسائي مرفوعا: «من

---

١ . الصافات: ٩٦.

٢ . الزمر: ٦٢.



سألكم بوجه الله تعالى فأعطوه»[1] ولم يقل كفروه، لحديث: «وإذا سألت فاسأل الله»!!. ولا أريد الإطالة بعد هذا البيان بنقل مئات النصوص من مثل هذه الشواهد التي تنسف استدلالات من لم يعرف الاستدلال، ومنه يتبين أن منطق هؤلاء الذين يحرمون الاستغاثة منطق سخيف سطحي جدا، ينبئ عن قلة معرفتهم وضعفهم في علوم الشريعة المختلفة، حيث ضعف فهمهم عن دقائق المسائل الشرعية، أو أن المال المميل فعل بهم ما فعل فجعلهم.... وقد تجتمع هذه الأسباب أيضا، فنسأل الله تعالى الهداية دوما للصواب.

(خاتمة): لم نر من حرم الاستغاثة من السلف الصالح رضي الله عنهم وإنما ظهر هذا في القرن الثامن فما بعد، وقد نقلنا في هذه العجالة نصوصا عن بعض السلف في تجويز الاستغاثة وفي الحض عليها، ونقل الإمام الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء نصوصا في ذلك أيضا عن السلف فمثلا: في سير الأعلام (٩/ ٣٤٣): قال إبراهيم الحربي ـ وهو من هو ـ: قبر معروف الترياق المجرب. يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء. أهـ كلام الذهبي.

وفي السير أيضا (١٠/ ١٠٧) في ترجمة السيدة نفيسة: والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين... الخ أهـ. ونحن ننصح المتمسلفة أن يذهبوا إلى قبر سيدنا أبي عبيدة ويدعوا الله تعالى، متوسلين أو مستغيثين به رضي الله عنه ليدلهم الله على الحق ويلهمهم الصواب وليخلصهم من الميل إلى الدراهم التي يقلبون بها الحق باطلا والباطل حقا. ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[2]، اللهم أسألك حسن

---

١ . سنن أبي داود، ج٢، ص٥٠٠؛ سنن النسائي، ج٥، ص٨٢.

٢ . آل عمران: ٨.



الختام. قال مؤلفها حسن بن علي السقاف فرغت منها ٢/ ذي القعدة/ ١٤٠٩ أهـ والحمد لله.

(تنبيه وإلحاق): طعن الألباني بحديث: «**ما من أحد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**»[1]. فضعفه في تعليقه على كتاب الآيات البينات ص (٧٠) الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ) وذكر أنه بين ذلك في ضعيفته (٤٤٩٣) والحقيقة أنه حرف في النقل على عادته فضعف الحديث بحجج أوهى من بيت العنكبوت وقلد نعمان ابن الألوسي في تضعيفه علما بأن نعمان الألوسي لا يرجع إليه في هذا الفن فأقره على نقل غير صحيح عن ابن رجب فأتم ما أراده ولنبين ذلك فنقول: قال ابن رجب الحافظ في كتابه أهوال القبور ص (٨٢) دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥ حديث رقم (٢٧٨) ما نصه:

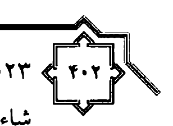
وروى الربيع بن سليمان المؤذن قال حدثنا بشر بن بكر عن الأوزاعي عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يمر على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**» خرجه ابن عبد البر[2] وقال الحافظ عبد الحق الاشبيلي: إسناده صحيح يشير إلى أن رواته كلهم ثقات، وهو كذلك، إلا أنه غريب بل منكر. أهـ كلام ابن رجب من الأهوال. تعليقاتنا على كلام ابن رجب هذا وما نستفيده منه:

١) قوله (وروى الربيع بن سليمان) يشير إلى أنه ثبت عن الربيع من طرق وهو كذلك، فقد رواه عنه الخطيب في تاريخه (٦/ ٣٧) بإسنادين رجالها ثقات، وكذا ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩١١) طبعة خليل الميس حديث

---

١ . تاريخ مدينة دمشق، ج١٠، ص٣٨٠.

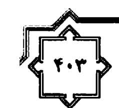
٢ . الاستذكار، ج١، ص١٨٥.



١٥٢٣، وكذا رواه الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار (١/ ٢٣٤) كما سيأتي إن شاء الله تعالى. فالحديث ثابت عن الربيع بلا ريب.

٢) رجاله الذين ذكرهم ابن رجب رجال الصحيح إلا الربيع بن سليمان وهو ثقة متفق عليه انظر تهذيب التهذيب (٣/ ٢١٣).

٣) الحديث صحح إسناده ومتنه جماعة من الحفاظ منهم: الإمام الحافظ ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار، وذكر ذلك ابن القيم في كتاب الروح لكن محقق كتاب الروح الواقع في أسر تقليد الألباني رد على ابن القيم، كما في طبعة دار الفكر صحيفة (١١) حيث قال: معلقا على الحديث: قال الحافظ ابن رجب ضعيف بل منكر ووافقه شيخنا الألباني كما في الآيات البينات ص٢٨ أهـ. ونجيبه فنقول: إن ابن رجب لم يقل في الأهوال (ضعيف بل منكر، بل قال: صحيح الإسناد إلا أنه غريب بل منكر. أهـ ومراد ابن رجب الحنبلي بالغريب وبالمنكر أنه ليس له إلا إسناد واحد لكنه لم يصب في ذلك بل له أكثر من إسناد. قال المحدث اللكنوي في الرفع والتكميل (ص٢٠٠ من الطبعة الثالثة بتحقيق الأستاذ المحدث عبد الفتاح أبو غدة) ما نصه: ولا تظنن من قولهم: هذا حديث منكر أن راويه غير ثقة، فكثيرا ما يطلقون النكارة على مجرد التفرد. أهـ وقال الحافظ السيوطي في رسالته (بلوغ المأمول في خدمة الرسول ﷺ، وهي في كتابه (الحاوي للفتاوي) (٢/ ١٣): (وصف ـ الحافظ ـ الذهبي في الميزان عدة أحاديث في (مسند أحمد) و (سنن أبي داود) وغيرهما من الكتب المعتمدة، بأنها منكرة، بل وفي (الصحيحين) أيضا، وما ذاك إلا لمعنى يعرفه الحفاظ، وهو أن النكارة ترجع إلى الفردية، ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث، فضلا عن بطلانه). أهـ وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري ص (٤٣٧ السلفية دار المعرفة): عند ذكر (محمد بن إبراهيم التيمي) وتوثيقه مع قول أحمد فيه: يروي أحاديث مناكير. قلت: المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الحديث الفرد



الذي لا متابع له فيحمل هذا على ذلك، وقد احتج به الجماعة أهـ وقال أيضا عند ذكر ترجمة (بريد بن عبد الله) ص (٣٩٢): أحمد وغيره يطلقون المناكير على الأفراد المطلقة. أهـ أما محقق كتاب الروح طبع دار الفكر فليس ثم هناك. فالحديث صححه الحافظ ابن رجب، وكذلك صححه أيضا الحافظ (المتخصص في علل الحديث) عبد الحق الإشبيلي في كتابه (العاقبة)، كما نقله ابن رجب في الأهوال والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٥). وكذلك صححه الإمام الحافظ السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٣٠٢) بإقراره لعبد الحق. وكذلك صححه الحافظ العراقي كما في الإحياء (٤/ ٤٩١) وشرح الإحياء للزبيدي (١٠/ ٣٦٥) وكذلك الزبيدي.

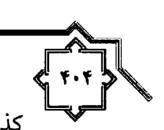
وأفاد الحافظ العراقي في تخريج الإحياء أن ابن عبد البر روى الحديث في التمهيد والاستذكار بإسناد صحيح، وقال المتقي: سنده جيد أهـ

٤) ابن رجب نقل في الأهوال تصحيح الحافظ عبد الحق وأقره عليه، بقوله: وهو كذلك، والظاهر أنه لم يطلع إلا على هذه الطريق فحكم عليه بأنه غريب وليس كذلك، وعلى كل حال لا تضر الغرابة، فحديث «**إنما الأعمال بالنيات**»[1] غريب وهو في الصحيحين.

٥) وعلى فرض أن ابن رجب عنى بقوله (منكر) كما تخيله الألباني وأراد أن يثبته فلسنا ملزمين به قطعا، وإنني أتسأل متعجبا ما هو سر تعويل الألباني على كلام ابن رجب دون باقي الحفاظ؟! وإنني أخشى أن السبب فقط هو مخالفة الحديث لمشرب الألباني! علما بأنه لا يعول على كلام الحفاظ أصلا وإنما يسعى للاستقلال برأيه ويدعي كما في مقدمته الجديدة لآداب زفافه ص (٣٠) أنه لا يقلد أحدا يعني من الحفاظ وأهل الحديث فلينظر.

---

١ . صحيح البخاري، ج١، ص٢.



٦) ويقال له أيضا لم حرفت كلام ابن رجب: (إسناده صحيح... وهو كذلك إلا أنه غريب بل منكر) إلى (ضعيف بل منكر) ووافقت الألوسي على تحريفه أيضا فأين الأمانة العلمية؟! وأين الإنصاف؟! ولا ندري هل سيزيد المذكور في ضعيفته استدراكا جديدا يرد ما زيفناه وأبطلناه، أم سيرجع إلى ما قاله الحفاظ فيصحح الحديث؟! سرد أسانيد الحديث التي وقفنا عليها:

١) روينا بإسنادنا المتصل إلى تاريخ الخطيب البغدادي الحافظ (٦/ ١٣٧) في ترجمة إبراهيم بن عمران الكرماني، قال الخطيب: أخبرنا أبو الخطاب عبد الصمد بن محمد وعلي بن المحسن التنوخي، قالا: أنبانا عمر بن محمد الناقد حدثنا إبراهيم الكرماني قال حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن (ح) وأخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن السراج بنيسابور قال: حدثنا أبو العباس الأصم ثنا الربيع ثنا بشر بن بكير ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وفي حديث الكرماني عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»**[1].

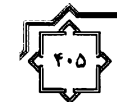
٢) وروينا بأسانيد متصلات إلى ابن الجوزي في العلل المتناهية قال: أخبرنا أبو منصور القزاز اخبرنا الخطيب البغدادي به، كما تقدم عن الخطيب في التاريخ. انظر العلل المتناهية بتقديم الميس (٢/ ٩١١) حديث (١٥٢٣).

٣) روينا بالسند المتصل إلى الحافظ ابن عبد البر في استذكاره[2]: قال: حدثنا أبو عبد الله عبيد بن محمد ﵀ قراءة مني عليه قال: أملت علينا فاطمة بنت ريان المخزومي المسلمي في دارها بمصر في شوال سنة اثنتين وأربعون وثلاثمائة قالت:

---

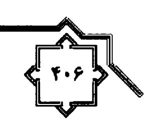
١ . تاريخ مدينة دمشق، ج١٠، ص٣٨٠.

٢ . الاستذكار، ج١، ص١٨٥.



حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن صاحب الشافعي ثنا بشر بن بكر عن الأوزاعي عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن...**» الحديث. وهذا إسناد نظيف صحيح كما ترى وتصحيح ابن عبد الحق الحافظ للحديث في أحكامه (ص٢٧٢/ ١/ ق) توثيق صريح لشيخ ابن عبد البر عبيد بن محمد الذي قال عنه صاحب جذوة المقتبس فيه (ص٢٢٧) كان رجلا صالحا يضرب به المثل في الزهد أهـ ونص في توثيق فاطمة بنت الريان المصرية التي لا يسأل عن حال مثلها. وأما قول المعلق على العلل المتناهية على هذا الحديث: أن عبيد بن عمير مجهول والظاهر أنه مولى ابن عباس كما في التقريب والميزان أهـ فجهل وخطأ منه، بل عبيد بن عمير هذا من رجال الستة ثقة كما في تهذيب التهذيب فتأمل وراجع إن شئت. وهذا السند الصحيح يشد سند عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيجعله حسنا بلا شك وبدل أن يبين الألباني هذه المتابعة، ويورد شواهد له من الأحاديث الصحيحة - أعني سند عبد الرحمن بن زيد - الضعيف، زاد في نغمة طنبوره في تعليقه على الآيات البينات (ص٧٠) فأورد حديثا رواه عبد الرزاق بسند تالف ليوهم أنه ليس للحديث شاهد أو متابع سواه، وهذا بلا ريب ولا شك من التلاعب المعروف فليستيقظ المخدوعون وليتنبه الغافلون. وعبد الرحمن بن زيد الذي في أحد أسانيد الحديث ضعيف، له أحاديث حسان إذا تابعه ثقة لا شك أن حديثه يكون صحيحا. وقد قال عنه ابن عدي في الكامل: له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه أهـ. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

كتبت هذا الإلحاق لرسالتي الإغاثة بأدلة الاستغاثة وفرغت من تبييضه ليلة الجمعة ٢٣/ محرم/ ١٤١٠ هـ والحمد لله.



المصادر

الاستذكار: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (م ٤٦٣)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

تاريخ دمشق: ابن عساكر، علي بن حسن (م ٥٧١)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ.

التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (م٨٥٢)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

الحاوي للفتاوي: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (م ٩١١)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٤ هـ.

حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم: ابوبكر احمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨)، تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

سنن أبي داود: أبوداود سليمان بن اشعث السجستاني (م ٢٧٥)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠ هـ.

سنن الترمذي: الترمذي، محمّد بن عيسى (م ٢٧٩)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

سنن الدارمي: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (م ٢٥٥)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

السنن الصغرى: النسائي، أحمد بن شعيب (م ٣٠٣)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٤٨ هـ.

السنن الكبرى: البيهقي، أحمد بن حسين (م ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر.

صحيح ابن حبان: ابن حبّان، محمّد (م ٣٥٤)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

صحيح البخاري: البخاري، محمّد بن إسماعيل (م ٢٥٦)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ.

صحيح مسلم: النيسابوري، مسلم بن حجّاج (٢٦١)، دار الفكر، بيروت.



الطبقات الكبرى: البغدادي، محمّد بن سعد (م٢٣٠)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (م٨٥٢)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي علي بن ابي بكر (م ٨٠٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

مسند أبي يعلى: أبو يعلي، أحمد بن علي (م ٣٠٧)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق.

مسند أحمد بن حنبل: ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمّد (م ٢٤١)، دار صادر، بيروت.

مسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (م ٢٩٢)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.

المصنّف في الأحاديث والآثار: عبدالله بن محمّد ابن أبي شيبه (م ٢٣٥)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، الرياض، ١٤٠٩ هـ.

المصنّف: الصنعاني، عبد الرزّاق (م ٢١١)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

المعجم الكبير: الطبراني، سليمان بن أحمد (م ٣٦٠)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.



براءة الأشعريين
من عقائد المخالفين

الجزء الثاني

تأليف: أبو حامد بن مرزوق

تحقيق: قادر سعادتي



بسم الله الرحمن الرحيم

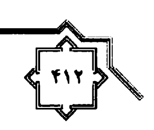
خطبة الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد سيد الاولـين و الآخرين، المرسل هدى و رحمة للعالمين، و على آله و صحبه أجمعين.

اما بعد: فان هذا هو الجزء الثانى من الكتاب الذى سميته (براءة الاشعريين من عقائد المخالفين)، و كله خلاصة علمية فى عقائد محمد بن عبـد الوهـاب و مقلّديه ومقلّديه، و قد جمعت اكثر درّها المنقول و المعقول ـ كما قلت سابقاً ـ مـن تحقيق علماء الاسلام الأعلام، وشيدت صرحها بتاريخ الاسلام، ودعمتها بكثير من آى الذكر الحكيم و سنة رسول الله عليه الصلاة و السلام.

و فى الجزء الاول ثلاثة فصول: الاول عن التجسيم، و الثانى عـن توحيـد الربوبية و توحيد الالوهية، و الثالث فى عدم تـوقيرهم النبـى ﷺ. امـا الجـزء الثانى فيحتوى على الفصل الرابع فى تكفير محمد بن عبدالوهاب للمـسلمين و نبزهم بالشرك و القبورية و الجهمية، و وضعه الآيات القرآنية فى غير موضعها، كما يحتوى هذا الجزء على الخاتمة التى أسأل الله تبارك و تعـالى حـسنها، و فيهـا الحديث عن طوائف المبتدعة المخالفين فى الاصول للصحابة رضوان الله تعـالى عليهم اجمعين و للامة الاسلامية جمعاء.

والله تعالى أسأل ان يوفقنا جميعاً للاستمـساك بـالايمان، وان يحفظـه عـليّ و على جميع المسلمين الى يوم نلقاه «يا مقلب القلوب ثبّت قلبى على دينك... يـا الله».



في تكفيرهم المسلمين

تكفيرهم المسلمين و نبزهم بالشرك و القبورية و الجمهية لابسط شيء اسهل عندهم من شرب الماء الفرات

و تكفيرهم المسلمين و نبزهم لهم بالشرك و القبورية و الجمهية لأبسط شيء أسهل عندهم من شرب الماء الفرات، و هم متشبثون فيه برأى امامهم الحرانى، و محمد بن عبد الوهاب مقلد له و مصرح بذلك فى رسائله، منه فى اصوله الثلاثة: و أنواع العبادة التى أمر الله تعالى بها مثل الاسلام و الايمان و الاحسان، و منه الدعاء و الخوف و الرجاء و التوكل و الرغبة و الرهبة و الخشوع و الخشية و الانابة و الاستعانة و الاستعاذة و الاستغاثة و الذبح و النذر و غير ذلك من العبادة التى أمر الله تعالى بها كلها لله، الى ان قال: فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر اهـ.

و قد أبطلت فى الفصل الثانى بعضاً من هذا الكلام و هو جعله الذبح و النذر عبادة، و لا حاجة الى الاشتغال بابطال باقى كلامه لانه بدهى البطلان لكل من له المام بالعلم، و قد ذكرت فيه أنه لا يفرق بين الأمر و النهى، و لا بين الخبر و الانشاء و لا يعرف الدليل، و أنه وضع الآيات التى استدل بها على دعواه فى غير موضعها و خالف فيها جميع المفسرين.

افظع و اشنع ما في كلامه هذا من الفساد

و أقبح و أفظع و اشنع ما فى كلامه هذا من الفساد تكفيره



الصحابة ﷺ، والأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فان الله تعالى قال فى حق الصحابة ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾[١].

و قال فى حق كليمه موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَىٰ لاَتَخَفْ﴾[٢] ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾[٣] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ﴾[٤]، و فى حق سيّد الوجود ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[٥].

اشهر مسائلهم التي يكفرون بها المسلمين (يا رسول الله) فكل من تلفظ بهذا الكلام عندهم مشرك كافر

قال العلامة السيد علوى بن احمد الحداد فى كتابه مصباح الأنام و جلاء الظلام فى الفصل الرابع عشر: أعلمنى من حضر فى صلاتهم يوم الجمعة بالدرعية شهراً و الخطيب حسين الأعمى بن محمد بن عبدالوهاب يقول فى خطبته الثانية: (و من توسل بالنبى فقد كفر)، و من أشهر مسائلهم التى يكفرون بها المسلمين: (يا رسول الله)، فكل من تلفظ بهذا الكلام فهو عندهم مشرك كافر، و حجتهم على تكفيره زعمهم ان فيه نداء الأموات، و نداء الأموات عندهم شرك.

---

١ . النساء: ٧٧
٢ . النمل: ١٠
٣ . طه: ٦٧
٤ . طه: ٢١
٥ . الاحزاب: ٣٧



و قد كذبهم الحديث الصحيح و هو قوله ﷺ لما مات ابنه ابراهيم: «**إن القلب يحزن وان العين تدمع و انا عنك يا ابراهيم لمحزونون**»[1]، فيلزم على فهمهم الأعوج أن يكون النبى ﷺ... حيث نادى ميتاً، ـ نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان ـ.و كذبهم أيضاً ما ذكره ابن كثير فى بدايته، و هو تيمى، ان شعار الصحابة رضي الله عنهم يوم اليمامة (وامحمداه) فيلزم على فهمهم الأعوج ان يكون الصحابة رضي الله عنهم... حيث نادوا ميتاً، ـ نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان ـ.

فلو استظهروا بالثقلين جميعاً على اثبات ان نداء الأموات شرك عن أىّ واحد من علماء أتباع التابعين لم يستطيعوا فضلاً عن اثباته عن أىّ واحد من علماء التابعين فضلاً عن اثباته عن أىّ واحد من الصحابة رضي الله عنهم، فضلاً عن اثباته عن النبى ﷺ، فضلاً عن اثباته من كتاب الله عز و جل، و حيث تحقق ان تكفير اهل لا اله الا الله سنة الخوارج كلاب النار، و هم و امامهم الحرانى مقتدون بهم، و تحقق مما تقدم فى الفصل الثانى و الثالث انطباق أوصاف الخوارج كلها على الحرانى فهو مكفر للمسلمين معجب برأيه مقدس له الى أقصى درجة جنونية، حامل للآيات الواردة فى المشركين على المؤمنين، فلنذكر ما ورد من الأحاديث عنه عليه الصلاة و السلام فى ذم الخوارج:

الأحاديث الورادة عنه عليه الصلاة و السلام في ذم الخوارج

أخرج ابن ماجه فى سننه عن أبى امامة رضي الله عنه قال: «**شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء و خير قتلى قتلوا، كلاب اهل النار قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا**

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص٨٥، بلفظ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولانقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»



كفاراً»، قال أبو غالب: قلت يا ابا امامة هذا شيء تقوله، قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ[1].

و قال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب استتابة المرتدين و المعاندين و قتالهم، (ج۱۲) شارحاً أثر ابن عمر رضي الله عنه الذي ذكره الامام البخاري و هو (وكان ابن عمر يراهم) ـ يعني الخوارج ـ (شرار خلق الله، و قال انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)، (قلت): و سنده صحيح.

و قد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عند مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في وصف الخوارج **«هم شرار الخلق و الخليقة»**[2]، و عند احمد بسند جيد عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً مثله[3]، و عند البزار من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: **«هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي»**[4] و سنده حسن.

و عند الطبراني من هذا الوجه مرفوعاً: **«هم شرار الخلق و الخليقة يقتلهم خير الخلق و الخليقة»**[5]، و في حديث أبي سعيد عند احمد: **«هم شر البرية»**[6]، و في رواية عبيد الله بن أبي رافع عن علي رضي الله عنه عند مسلم: **«من أبغض خلق الله اليه»**[7]، و في حديث عبدالله بن خبّاب عن أبيه عند الطبراني: **«شر قتلى أظلتهم السماء و أقلتهم الأرض»**[8].

---

۱ . سنن ابن ماجه، ج۱، ص۶۲

۲ . صحيح مسلم، ج۳، ص۱۱۶، بلفظ: **«شر الخلق و الخليقه»**

۳ . مسند احمد، ج۳، ص۲۴۴

۴ . روى الهيثمي عن البزار في مجمع الزوائد، ج۶، ص۲۳۹، و لم نجده في مسند البزار

۵ . المعجم الكبير، ج۵، ص۲۰، بدون **«يقتلهم خير الخلق والخليقة»**

۶ . مسنداحمد، ج۳، ص۱۵

۷ . صحيح مسلم، ج۳، ص۱۱۶

۸ . لم نجده عند الطبراني، و نقل عنه في مجمع الزوائد، ج۶، ص۲۳۰



و فی حدیث أبی امامة[1] نحوه، و عند احمد و ابن أبی شیبة من حدیث أبی بردة ﷺ مرفوعاً فی ذکر الخوارج: «شر الخلق و الخلیقة»[2] یقولها ثلاثاً، و عند ابن أبی شبیة من طریق عمیر بن اسحاق عن ابی هریرة ﷺ: «هم شر الخلق»[3] و هذا مما یؤید قول من قال بکفرهم اهـ.

ثم قال الحافظ فی آخر باب یتعلق بهم ما نصه: قال الطبری و روی هذا الحدیث فی الخوارج عن علي تاماً و مختصراً عبید الله بن أبی رافع و سوید بن غفلة، و عبیدة بن عمر و وزید بن وهب، و کلیب بن الجرمی، و طارق بن زیاد و أبو مریم.

(قلت) و ابو الوضی و ابو کثیر و ابو موسی و ابو وائل فی مسند اسحاق بن راهویه و الطبرانی و ابو جحیفة عند البزار و ابو الفراء مولی علي ﷺ، اخرجه الطبرانی فی الاوسط، و کثیِّر بن نمیر، و عاصم بن ضمرة، قال الطبری و رواه عن النبی ﷺ مع علی بن أبی طالب أو بعضه عبدالله بن مسعود و أبو زید و ابن عباس و عبدالله بن عمرو بن العاص و ابن عمر و ابو سعید الخدری و أنس بن مالك و حذیفة و أبو بکرة و عائشة و جابر و أبو برزة و ابو امامة و عبدالله بن أبی أوفی و سهل بن حنیف و سلمان الفارسی.

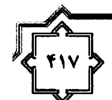
(قلت) و رافع ابن عمرو و سعد بن أبی وقاص و عمار بن یاسر و جندب بن عبدالله البجلی و عبدالرحمن بن عُدَیس و عقبة بن عامر و طلق بن علی و ابو هریرة، اخرجه الطبرانی فی الاوسط بسند جید من طریق الفرزدق الشاعر انه سمع أباهریرة و ابا سعید ﷺ و سألهما فقال: إنی رجل من اهل المشرق و ان

---

۱ . المعجم الکبیر، ج۸، ص۱۲۱

۲ . المصنف لابن ابی شیبه، ج۸، ص۷۳۸

۳ . المصدر نفسه، ج۸، ص۷۳۰، بلفظ «اولئك شرار الخلق»



قوماً يخرجون علينا يقتلون من قال (لا اله الا الله) و يؤمنون من سواهم، فقالا لى: سمعنا النبى ﷺ يقول: «**من قتلهم فله أجر شهيد و من قتلوه فله أجر شهيد**»[١]، فهؤلاء خمسة و عشرون نفساً من الصحابة و الطرق الى كثرتهم متعددة كعلى و أبى سعيد و عبدالله بن عمر و أبى بكرة و أبى برزة ذر، فيفيد مجموعها القطع بصحة ذلك عن رسول الله ﷺ اهـ.

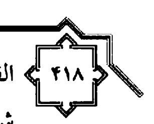
حال ابن تيمية عند زميله و شريكه في التشبيه المحدث الذهبي

قال فى رسالته «زغل العلم» فى ذكر الفقهاء الشافعية ما نصه: و احذر الكبر و العجب بعلمك، فيا سعادتك ان نجوت منه كفافاً لا عليك و لا لك، فو الله ما رمقت عينى أوسع علماً و لا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد فى المأكل و الملبس و النساء، و مع القيام فى الحق و الجهاد، بكل ممكن، و قد تعبت فى وزنه وفَتشِه حتى مللت فى سنين متطاولة فما وجدت أخره بين اهل مصر و الشام و مقتته نفوسهم و ازدروا به و كذبوه و كفروه الا الكبر و العجب و فرط الغرام فى رياسة المشيخة و الازدراء بالكبار فانظر كيف و بال الدعاوى و محبة الظهور ـ نسأل الله المسامحة ـ اهـ.

و قال فى رسالته الموسومة (بالنصيحة الذهبية لابن تيمية) ما نصه: الحمد لله على ذلتى يا رب ارحمنى و أقلنى عثرتى و احفظ علىَّ ايمانى، و احزناه على قلة حزنى، وا أسفاه على السّنَّة و ذهاب اهلها، وا شوقاه الى اخوان مؤمنين يعاوننى على البكاء، وا حزناه على فقد اناس كانوا مصابيح العلم و اهل التقوى و كنوز الخيرات، آه على وجود درهم حلال و أخ مؤنس، طوبى لمن شغله عيبه من عيوب اناس، وتباً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، الى كم ترى

---

١. المعجم الاوسط، ج١، ص٢٧٦



القذاة فی عین أخیك و تنسی الجذع فی عینك؟، الی كم تمدح نفسك و شقاشقك و عباراتك؟، و تذم العلماء و تتبع عورات الناس مع علمك بنهی الرسول ﷺ: «**لا تذكروا موتاكم الا بخیر فانهم قد أفضوا الی ما قدمو**»[1]؟.

بلی اعرف انك تقول لی لتنصر نفسك: (انما الوقیعة فی هؤلاء الذین ما شموا رائحة الاسلام و لا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ و هو جهاد)، بلی و الله، عرفوا خیراً كثیراً مما اذا عمل به العبد فقد فاز و جهلوا شیئاً كثیراً مما لا یعنیهم، و من حسن اسلام المرء تركه ما لا یعنیه.

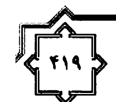
یا رجل! بالله علیك كف عنا فانك محجاج علیم اللسان لا تقر و لا تنام، إیاكم و الاغلوطات فی الدین، كره نبیك ﷺ المسائل و عابها، و نهی عن كثرة السؤال و قال: «**ان أخوف ما أخاف علی أمتی كل منافق علیم اللسان**»[2]، و كثرة الكلام بغیر دلیل تقسی القلب اذا كان فی الحلال و الحرام، فكیف اذا كان فی عبارات الیونسیة و الفلاسفة و تلك الكفریات التی تعمی القلوب؟

والله قد صرنا ضحكة فی الوجود، فالی كم تنبش دقائق الكفریات الفلسفیة لنرد علیها بعقولنا؟ یا رجل! قد بلعت سموم الفلاسفة و مصنفاتهم مرات، و بكثرة استعمال السموم یدمن علیها الجسم و تكمن و الله فی البدن، وا شوقاه الی مجلس فیه تلاوة بتدبر و خشیة بتذكر و صمت بتفكر، و آهاً لمجلس یذكر فیه الابرار فعند ذكر الصالحین تنزل الرحمة لا عند ذكر الصالحین یذكرون بالازدراء و اللعنة، كان سیف الحجاج و لسان ابن حزم شقیقین فواخیتهما، بالله خلونا من ذكر بدعة الخمیس و أكل الحبوب، وجدوا فی ذكر بدع كنا نعدها رأسا من الضلال قد صارت هی محض السنة و أساس التوحید و من لم یعرفها

---

۱ . المصنف لابن ابی شیبه، ج۳، ص۳۴۵، بدون «**فانهم قد أفضوا الی ما قدموا**»

۲ . مسند احمد، ج۱، ص۲۲



فهو كافر أو حمار و من لم يكفر فهو أكفر من فرعون و تعد النصارى مثلنا، و الله في القلوب شكوك ان سلم لك ايمانك بالشهادتين فانت سعيد، يا خيبة من اتبعك! فانه معرض للزندقة و الانحلال لا سيما اذا كان قليل العلم و الدين باطولياً شهوانياً، لكنه ينفعك و يجاهد عنك بيده و لسانه و في الباطن عدوّ لك بحاله و قلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل؟ أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوى المكر أو ناشف صالح عديم الفهم؟ فان لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل.

يا مسلم اقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، الى كم تصادقها و تعادى الأخيار؟ الى كم تصدقها و تزدري بالأبرار؟ الى كم تعظمها و تصغر العباد؟ الى كم تخاللها و تمقت الزهاد؟ الى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها و الله أحاديث الصحيحين؟، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف و الاهدار أو بالتأويل و الانكار، أما آن لك ان ترعوى؟، أما حان لك ان تتوب و تنيب؟، أما أنت في عشر السبعين و قد قرب الرحيل؟، بلى و الله ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي و لا تصغي الى وعظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات و تقطع لي أذناب الكلام و لا تزال تنتصر حتى أقول لك و البتة سكت، فاذا كان هذا حالك عندي، و أنا الشفوق المحب الوادّ، فكيف يكون حالك عند أعدائك؟، و أعداؤك و الله فيهم صلحاء و عقلاء و فضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة و كذبة و جهلة و بطلة و عور و بقر، قد رضيت منك بأن تسبني علانية و تنتفع بمقالتي سراً، «**رحم الله امرءاً اهدى الى عيوبي**»، فاني كثير العيوب غزير الذنوب، الويل لي إن أنا لا أتوب، و وافضيحتي من علام الغيوب، و دوائي عفو الله و مسامحته و توفيقه و هدايته، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين و على آله و صحبه أجمعين.

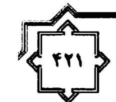
تعليقي على كلام الذهبي في رسالتيه

فقوله: (فوالله ما رمقت عين أوسع علماً و لا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية مجازفة باطلة بوجهين:

الاول ـ يلزم لتبرير يمينه و تقريبها من الصواب أن يكون متفنناً في جميع علوم الاسلام و انه باحث فيها جميع العلماء الذين رمقهم فوجد ابن تيمية أوسعهم فيها و ليس كذلك، فقد علم العلماء المعاصرون له و الذين بعده انه خالي الوفاض من جميعها ما عدا فنه المعروف به فهو اذاً غير بارّ في يمينه هذه.

الثاني ـ محل الذكاء و قوته و ضعفه، القلب، و لا يعلم قوة ذكاء الشخص الا من هو نظيره أو أقوى منه فيه عند المباحثة و المذاكرة، و يلزم لتبرير يمينه و تقريبها من الصواب ان يكون باحث جميع الأذكياء الذين رمقهم و أنه هو مثلهم في الذكاء أو أقوى منهم حتى يتأتى له الحكم بأن ابن تيمية أقواهم ذكاءً و ليس كذلك فهو اذاً غير بارّ في يمينه هذه.

و قوله: (مع الزهد في المأكل و الملبس و النساء و مع القيام في الحق و الجهاد بكل ممكن) نَهج سنَّه له و لغيره أسلافه الحروريون كلاب النار و لا يلحق غبارهم فيه، و قد درج عليه غالب من ظهر في هذه الامة منطوياً على عقيدة فاسدة و غرض سيء كابن كرام و صاحب الزنج و شيخ القرامطة، و محمد بن تومرت، و كان هذا أفحل و أذكر من ابن تيمية بكثير علّامة درس الاصول على الامام أبي حامد الغزالي شجاعاً مقداماً لا يهاب يغير المنكر بيده في كل بلد مر به من المشرق الى مراكش يناظر علماء كل بلد فيغلبهم و لم يقم لمناظرته بمدينة مراكش الا مالك بن وهيب الأندلسي، و قد صدق و أصاب في قوله: (ان ابن تيمية لم يؤخره بين اهل مصر و الشام الا الكبر و العجب و فرط الغرام في رياسة المشيخة و الازدراء بالكبار).

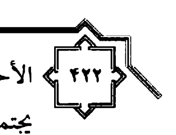


فزميله المشارك له فى العقيده و فى الطعن فى علماء الاسلام أدرى الناس بأخلاقه، و قد تقدمت هذه الأوصاف الذميمة فى كلامه الذى أبطلته ماثلة أمام عين كل قارىء لبيب منصف، و انما ذكرت كلام الذهبى هنا تأكيداً و شاهداً عليه، كما هو شاهد عليه فى قوله: (الى كم تمدح نفسك و شقاشقك و عباراتك و تذم العلماء و تتبع عورات الناس مع علمك بنهى الرسول ﷺ): «**لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم قد أفضوا الى ما قدموا**؟» بلى! أعرف أنك تقول لى تنصر نفسك: إنما الوقيعة فى هؤلاء الذين ما شموا رائحة الاسلام و لا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ و هو جهاد)، فقد تقدم أيضاً مدحه لكلامه و ذمه لعلماء المسلمين و تتبعه لعورات الناس و تكفيره للمسلمين، كماهو شاهد عليه فى قوله: (يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل فى كل وقت تغير عليها بالتضعيف و الاهدار أو بالتأويل و الانكار)، فقد تقدم حكمه على أحاديث الزيارة كلها بأنها ضعيفة أو موضوعة و زعمه اتفاق العلماء على ذلك و بهتانه على الائمة الاربعة و اتباعهم فيها، و هكذا صنيعه فى جميع تآليفه يحمل الآيات الواردة فى الكفار على المؤمنين تقليداً لأسلافه الحروريين كلاب النار، و لو جاءت الشريعة كلها مخالفة لهواه لأبطلها بالتأويلات الفاسدة و التضعيف و الانكار و الاهدار.

موافقة الذهبي ابن تيمية على الطعن في علماء المسلمين و خاصة الاشاعرة

كلام ابن الوردى فى الذهبى فى الجزء الثانى من تاريخه

قال ابن الوردى فى آخر الجزء الثانى من تاريخه فى ترجمة الذهبى المتوفى سنة ثمان و أربعين و سبعمائة ما نصه: و استعجل قبل موته فترجم فى تواريخه



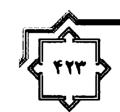
الأحياء المشهورين بدمشق و غيرها، و اعتمد في ذكر سِيَر الناس على أحداث يجتمعون به، و كان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين اهـ.

كلام العلامة تاج الدين السبكي في الذهبي

مطنب مذكور في طبقاته الكبرى

و قال العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكي في طبقاته الكبرى في ترجمة الحافظ احمد بن صالح المصري بعد ذكره قاعدة نفيسة في الجرح خلاصتها: ان الجارح لا يقبل منه الجرح و ان فسره في حق من غلبت طاعته على معاصيه و مادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه، اذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة في الذي جرحه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون من النظراء أو غير ذلك ما نصه: و هذا شيخنا الذهبي ﷺ من هذا القبيل له علم و ديانة و عنده على اهل السنة تحامل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه.

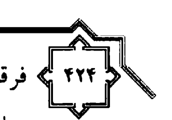
و نقلت من خط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي ﷺ ما نصه: الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه و ورعه و تحريه فيما يقوله الناس ولكنه غلب عليه مذهب الاثبات و منافرة التأويل و الغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن اهل التنزيه و ميلاً قويا الى اهل الثبات، فاذا ترجم واحداً منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن و يبالغ في وصفه، و يتغافل عن غلطاته و يتأويل له ما أمكن، و اذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كامام الحرمين و الغزالي و نحوهما لا يبالغ في وصفه، و يكثر من قول من طعن فيه و يعيد ذلك و يبديه و يعتقده ديناً، و هو لا



يشعر و يعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها، و اذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها، و كذلك فعله في اهل عصرنا أذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول فى ترجمته و الله يصلحه و نحو ذلك، و سببه المخالفة فى العقائد اهـ.

و الحال فى حق شيخنا الذهبى أزيد مما وصف و هو شيخنا و معلمنا، غير أن الحق أحق أن يتبع و قد وصل من التعصب المفرط الى حد يسخر منه، و أنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين و أئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية، فان غالبهم أشاعرة و هو اذا وقع بأشعرى لا يبقى و لا يذر، و الذى أعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من لعل أدناهم عنده أوجه منه فالله المسئول ان يخفف عنه، و ان يلهمهم العفو عنه و أن يشفعهم فيه، و الذى أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر فى كلامه و عدم اعتبار قوله و لم يكن يستجرىء ان يظهر كتبه التاريخية الا لمن يغلب عليه ظنه انه لا ينقل عنه ما يعاب عليه.

و اما قول العلائى: دينه و ورعه و تحريه فيما يقول فقد كنت اعتقد ذلك و اقول عند هذه الاشياء ربما اعتقدها ديناً، و منها امو أقطع بانه يعرف بأنها كذب و أقطع بانه لا يختلقها، و أقطع بانه يحب وضعها فى كتبه لتنتشر و أقطع بأنه يحب ان يعتقد سامعها صحتها بغضاً للمتحدث فيه و تنفيراً للناس عنه، مع قلة معرفته بمدلولات الالفاظ و مع اعتقاده ان هذا مما يوجب نصر العقيدة التى يعتقدهاهو حقاً و مع عدم ممارسته لعلوم الشريعة، غير أنى لما اكثرت بعد موته النظر فى كلامه عند الاحتياج الى النظر فيه توقفت فى تحريه فيما يقوله، و لا أزيد على هذا غير الاحالة على كلامه فلينظر كلامه من شاء ثم يبصر هل الرجل متحر عند غضبه او غير متحر و أغنى بغضبه وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين من الحنفية و المالكية و الشافعية فانى اعتقد ان الرجل كان اذا مَدّ القلم لترجمة احدهم غضب غضباً مفرطا ثم قرطم الكلام و

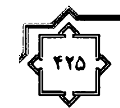


فرقه و فعل من التعصب ما لا يخفى على ذى بصيرة، ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغى فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها و دائما أتعجب من ذكره الامام فخر الدين الرازى فى كتاب (الميزان فى الضعفاء) و كذلك السيف الآمدى و اقول: يالله! العجب هذان لا رواية لهما و ما جرحهما أحد و ما سمع من أحد انه ضعفهما فيما ينقلانه من علومهما، فأى مدخل لهما فى هذا الكتاب؟، ثم انا لم نسمع احداً يسمى الامام فخر الدين بالفخر بل اما الامام و اما ابن الخطيب، و اذا ترجم كان فى المحمدين فجعله فى حرف الفاء و سماه الفخر، ثم حلف فى آخر الكتاب انه لم يتعمد فيه هوى نفسه، فأى هوى نفس أعظم من هذا؟، فاما ان يكون ورّى فى يمينه أو استثنى غير الرواة، فيقال له: فلِمَ ذكرتَ غيرهم؟، و اما ان يكون اعتقد أن هذا ليس هوى نفس و اذا وصل الى هذا الحد و العياذ بالله فهو مطبوع على قلبه.

ثم قال: (قاعدة فى المؤرخين) نافعة جداً فان اهل التاريخ ربما وضعوا من أناس و رفعوا أناساً، اما لتعصب أو لجهل أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به أو غير ذلك من الاسباب، و الجهل فى المؤرخين اكثر منه فى اهل الجرح و التعديل، و كذلك التعصب، قل ان رأيت تاريخا خاليا من ذلك.

تاريخ الاسلام للذهبي مشحون بالتعصب المفرط

و اما تاريخ شيخنا الذهبى غفر الله له، فانه على حسنه و جمعه مشحون بالتعصب المفرط لا واخَذَهُ الله، فلقد اكثر الوقيعة فى اهل الدين، اعنى الفقراء الذين هم صفوة الخلق و استطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين و الحنفيين، و مال فأفرط على الاشاعرة، و مدح فزاد فى المجسمة هذا و هو الحافظ المِدرَهُ و الامام المبجل، فما ظنك بعوام المؤرخين؟ فالرأى عندنا أن لا



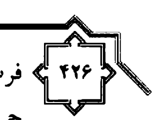
يقبل مدح و لا ذم من المؤرخين الا بها اشترطه حبر الأمة و هو الشيخ الامام الولد ﷺ، حيث قال ونقلته من خطه في مجاميعه يشترط في المؤرخ.

الصدق و اذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، و أن لا يكون ذلك الذى نقله أخذه فى المذاكرة و كتبه بعد ذلك، و أن يسمى المنقول عنه، فهذه شروط أربعة فيما ينقله، و يشترط فيه أيضا لما يترجمه من عند نفسه و لما عساه يطول فى التراجم من النقول و يقصر، أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً و ديناً و غيرهما من الصفات و هذا عزيز جداً، و أن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ، و أن يكون حسن التصور حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص و يعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه و لا تنقص عنه، و أن لا يغلبه الهوى فيخيل اليه هواه الاطناب فى مدح من يحبه و التقصير فى غيره، بل اما ان يكون مجرداً عن الهوى و هو عزيز و اما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه و يسلك طريق الانصاف.

فهذه أربعه شروط اخرى و لك ان تجعلها خمسة، لأن حسن تصوره و علمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف فيجعل حضور التصور زائداً على حسن التصور و العلم، فهى تسعة شروط فى المؤرخ و أصعبها الاطلاع على حال الشخص فى العلم فانه يحتاج الى المشاركة فى علمه و القرب منه حتى يعرف مرتبته اهـ.

فائدة جليلة يغفل عنها كثيرون و يحترز منها الموفقون

ثم علق بعض شروط والده هذه فى المؤرخ بقوله: قلت و ما أحسن قوله و لما عساه يطول فى التراجم من النقول و يقصر فانه أشار به الى: (فائدة جليلة) يغفل عنها كثيرون و يحترز منها الموفقون، و هى تطويل التراجم و تقصيرها

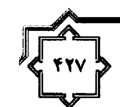


فرب محتاط لنفسه لا يذكر الا ما وجد منقولاً، ثم يأتي الى من يبغضه فينقل جميع ما ذكر من مذامه و يحذف كثيراً مما نقل من ممادحه، و يجيء الى من يحبه فيعكس الحال فيه، و يظن المسكين أنه لم يأت بذنب لأنه ليس يجب عليه تطويل ترجمة أحد و لا استيفاء ما ذكر من ممادحه، و ما يظن المغتر ان تقصيره لترجمته بهذه النية استزراء به و خيانة لله تعالى و لرسوله ﷺ، و للمؤمنين في تأدية ما قيل في حقه من حمد و ذم، فهو كمن يذكر بين يديه بعض الناس فيقول: دعونا منه... أو انه عجيب... أو: الله يصلحه: فيظن انه لم يغتبه بشيء من ذلك، و ما يظن ان ذلك من أقبح الغيبة.

و لقد وقفت في تاريخ الذهبي رحمه الله على ترجمة الشيخ الموفق ابن قدامة الحنبلي و الشيخ فخر الدين بن عساكر، و قد أطال تلك و قصر هذه و أتى بما لا يشك لبيب أنّه لم يحمله على ذلك الا أن هذا أشعري و ذاك حنبلي، و سيقفون بين يدي رب العالمين، و كذلك ما أحسن قول الشيخ الامام: (و ان لا يغلبه الهوى)، فان الهوى غلاب الا لمن عصمه الله، و قوله: (فاما ان يتجرد عن الهوى او يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه) عندنا فيه زيادة (فنقول):

قد لا يتجرد من الهوى، ولكن لا يظنه هوى بل يظنه لجهله أو بدعته حقاً، و ذلك لا يتطلب ما يقهر هواه، لأن المستقر في ذهنه انه محق، و هذا ـ كما يفعل كثير من المتخالفين في العقائد بعضهم في بعض ـ فلا ينبغي ان يقبل قول مخالف في العقيدة على الاطلاق الا أن يكون ثقة.

و قد روى شيئا مضبوطاً عاينه أو حققه، و قولنا: (مضبوطاً) احترزنا به عن رواية ما لا ينضبط من الترهات التي لا يترتب عليها عند التأمل و التحقق شيء، و قولنا: (عاينه أو حققه) ليخرج ما يرويه عمن غلا أو رخص ترويجاً لعقيدته، و ما أحسن اشتراطه العلم و معرفة مدلولات الألفاظ فلقد وقع كثير



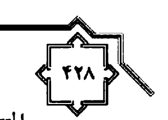
لجهلهم بهذا، و فى كتب المتقدمين جرح جماعة بالفلسفة، ظناً منهم أن علم الكلام فلسفة، الى أمثال ذلك مما يطول عده، فقد قيل فى احمد بن صالح الذى نحن فى ترجمته إنه يتفلسف، و الذى قال هذا لا يعرف الفلسفة، و كذلك قيل فى ابى حاتم الرازى، و انما كان رجلاً متكلماً، و قريب من هذا قول الذهبى فى المزى، كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى ترجمة المزى فى الطبقة السابعه: (انه يعرف مضايق المعقول) و لم يكن المزى و لا الذهبى يدريان شيئاً من المعقول، و الذى أفتى به أنه لا يجوز الاعتماد على كلام شيخنا الذهبى فى ذم الشعرى و لا فى شكر حنبلى و الله المستعان اهـ.

و قال فى ترجمته: و كان شيخنا والحق أحق ما قيل و الصدق أولى ما آثره ذو السبيل، شديد الميل الى آراء الحنابلة كثير الازدراء باهل السنة الذين اذا حضروا كان أبو الحسن الأشعرى فيهم مقدم القافلة، فلذلك لا ينصفهم فى التراجم و لا يصفهم بخير الّا و قد رغم منه أنف الراغم اهـ.

كشف حال ابن تيمية في دفع شبه من شبه و تمرد

«دفع شُبَه من شُبَه و تمرد و نسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد»، كتاب ألّفه العلامة الشريف تقى الدين أبوبكر الحصنى الدمشقى المتوفى سنة تسع و عشرين و ثمانمائة أثبت فيه كثيراً من مسائل ابن تيمية التى حاد فيها عن طريق الحق و لو لم يكن فيه الا مرسوم السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى شأن ابن تيمية لكان كافياً فى كشف حال ابن تيمية لكل مسلم نور الله بصيرته، طبع فى مطبعة عيسى الحلبى سنة خمسين و ثلاثمائة و ألف.

و انى أنقل للقراء مقدمة كلامه فى ابن تيمية، ثم مرسوم السلطان المذكور، ثم بعض شواذ ابن تيمية.



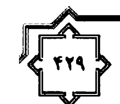
قال ﷺ: فاعلم انى نظرت فى كلام هذا الخبيث الذى فى قلبه مرض الزيغ المتتبع ما تشابه فى الكتاب و السنة ابتغاء الفتنة، و تبعه على ذلك خلق من العوام و غيرهم ممن أراد الله عز و جل اهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، و لا لى أنامل تطاوعنى على رسمه و تسطيره، لما فيه من تكذيب رب العالمين فى تنزيهه لنفسه فى كتابه المبين، و كذا الازدراء باصفيائه المنتخبين و خلفائهم الراشدين و أتباعهم الموفقين، فعدلت عن ذلك الى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون و ما اتفقوا عليه من تبديعه و اخراجه ببعضه من الدين، فمنه ما دُوّن فى المصنفات و منه ما جاءت به المراسيم العليات، و أجمع عليه علماء عصره ممن يرجع اليهم فى الامور الملمات و القضايا المهمات، و تضمنه الفتاوى الزكيات من دنس اهل الجهالات، و لم يختلف عليه أحد كما اشتهر بالقراءة و المناداة على رؤوس الأشهاد فى المجامع الجامعة حتى شاع و ذاع واتسع به الباع حتى فى الفلوات، فمن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطانى ناصر الدنيا و الدين محمد بن قلاوون ﷺ و قرىء على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة خمس و سبعمائة.

صورة مرسوم ابن قلاوون في ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى تنزه عن الشبيه و النظير و تعالى عن المثل، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، أحمده على ما ألهمنا من العمل بالسنة و الكتاب، و رَفَع فى أيامنا أسباب الشك و الارتياب، و أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة من يرجو باخلاصه حسن

---

١ . الشورى: ١١



العقبى و المصير، و ينزه خالقه عن التحيز فى جهة لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، و نشهد ان سيدنا محمداً عبده و رسوله الذى نهج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته، و أمر بالتفكر فى الآيات و نهى عن التفكر فى ذاته: صلى الله عليه و على آله و أصحابه الذين علا بهم منار الايمان و ارتفع، و شيد الله بهم من قواعد الدين الحنيفى ما شرع، و أخمد بهم كلمة من حاد عن الحق و مال الى البدع.

و بعد فان القواعد الشرعية، و قواعد الاسلام المرعية، و أركان الايمان العلمية، و مذاهب الدين المرضية، هى الأساس الذى يبنى عليه، و الموئل الذى يرجع كل أحد اليه، و الطريق التى من سلكها فاز فوزاً عظيماً، و من زاغ عنها فقد استوجب عذاباً اليماً، و لهذا يجب أن تنعقد أحكامها، و يؤكد دوامها، و تصان عقائد هذه الامة عن الاختلاف، و تزان بالرحمة و العطف و الائتلاف، و تخمد ثوائر البدع، و يفرق من فرقها ما اجتمع.

و كان ابن تيمية فى هذه المدة قد بسط لسان قلمه، و مد بجهله عنان كلمه، و تحدث بمسائل الذات و الصفات، و نص فى كلامه الفاسد على امور منكرات، و تكلم فيما سكت عنه الصحابة و التابعون، وفاه بما اجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون، و أتى فى ذلك بما أنكره أئمة الاسلام، و انعقد على خلافه اجماع العلماء و الحكام.

و أشهر من فتاويه ما استخف به عقول العوام، و خالف فى ذلك فقهاء عصره، و أعلام علماء شامه و مصره، و بث به رسائله الى كل مكان، و سمى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، و لما اتصل بنا ذلك و ما سلك به هو

---

١ . الحديد: ٤



ومريدوه، من هذه المسالك الخبيثة و أظهروه، من هـذه الأحـوال و أشـاعوه، و علمنا انه استخف قومه فأطاعوه، حتى اتـصل بنـا أنهـم صرحـوا فـى حـق الله سبحانه بالحرف و الصوت و التشبيه و التجسيم، فقمنا فـى نـصرة الله مـشفقين من هذا النبأ العظيم، و انكرناهذه البدعـة، و عـز علينـا ان تـشيع عمـن تـضمه ممالكه هذه السمعة، و كرهنا ما فاه به المبطلون، و تلونا قولـه تعـالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١]، فانه سبحانه و تعالى تنزه فى ذاته و صـفاته عـن العـديل و النظـير: ﴿لَاتُدْرِكُـهُ الْأَبْـصَارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الْأَبْـصَارَ وَهُـوَ اللَّطِيـفُ الْخَبِيرُ﴾[٢]، فتقدمت مراسيمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور الى ابوابنا حين سارت فتاويه الباطلة فى شامنا و مصرنا، و صرح فيها بألفاظ ما سـمعها ذو فهـم الّا و تلا قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً﴾[٣].

و لما وصل الينا الجمع أولو العقد و الحل، و ذو و التحقيق و النقل، و حضر قضاة الاسلام، و حكام الأنام، و علماء المسلمين، و أئمة الدنيا و الدين، و عقـد له مجلس شرعى فى ملأ من الأئمة و جمع، و من له دراية فى مجال النظر و دفـع، فثبت عندهم جميع ما نسب اليه، بقول من يعتمد و يعول عليه، و بمقتضى خـط قلمه الدال على منكر معتقده، و انفـصل ذلـك الجمـع و هـم لعقيدتـه الخبيثـة منكرون، و آخذوه بما شهد به قلمه تالين: ﴿سَتُكْتَبُ شَـهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[٤]، و بلغنا انه قد استتيب مراراً فيما تقدم، و أخره الشرع الشريف لما تعـرض لـذلك و أقدم، ثم عاد بعد منعه، و لم يدخل ذلك فى سمعه.

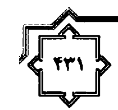
---

١ . الصافات: ١٨٠

٢ . الانعام:١٠٣

٣ . الكهف: ٧٤

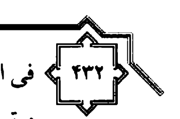
٤ . الزخرف: ١٩



و لما ثبت ذلك فى مجلس الحاكم المالكى حكم الشرع الشريف أن يسجن هذا المذكور، و يمنع من التصرف و الظهور، و يكتب مرسومنا هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك، و ينهى عن التشبيه فى اعتقاد مثل ذلك، أو يعود له فى هذا القول متبعاً، أو لهذه الالفاظ مستمعاً، أو يسرى فى التشبيه مَسراه، أو يفوه بجهة العلو بها فاه، او يتحدث أحد بحرف أو صوت، أو يفوه بذلك الى الموت، أو ينطق بتجسيم، أو يحيد عن الطريق المستقيم، أو يخرج عن رأى الأئمة، أو ينفرد به عن علماء الامة، أو يُحَيِّزُ الله سبحانه و تعالى فى جهة أو يتعرض الى حيث و كيف، فليس لمعتقد هذا الا السيف.

فليقف كل واحد عند هذا الحد، و لله الأمر من قبل و من بعد، وليلزم كل واحد من الحنابلة بالرجوع عن كل ما انكره الأئمة من هذه العقيدة، و الرجوع عن الشبهات الزائغة الشديدة، و لزوم ما أمر الله تعالى به، و التمسك بمسالك اهل الايمان الحميدة، فانه من خرج عن امر الله فقد ضل سواء السبيل، و مثل هذا ليس له الا التنكيل، و السجن الطويل مستقره و مقيله و بئس المقيل.

و قد رسمنا بأن ينادى فى دمشق المحروسة و البلاد الشامية، و تلك الجهات الدانية و القاصية، بالنهى الشديد، و التخويف و التهديد لمن اتبع ابن تيمية فى هذا الأمر الذى أوضحناه، و من تابعه تركناه فى مثل مكانه و أحللناه، و وضعناه من عيون الامة كما وضعناه، و من أصر على الامتناع و أبى الّا الدفاع، أمرنا بعزلهم من مدارسهم و مناصبهم، و أسقطناهم من مراتبهم مع اهانتهم، و ان لا يكون لهم فى بلادنا حكم و لا ولاية و لا شهادة و لا إمامة بل و لا مرتبة و لا إقامة، فانا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، و أبطلنا عقيدته الخبيثة التى أضل بها كثيراً من العباد أو كاد، بل كم أضل بها من خلق وعاثوا بها



فی الارض الفساد؟ و لتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك و تسير المحاضر بعد اثباتها على قضاة المالكية، و قد أعذرنا و حذرنا و أنصفنا حيث أنذرنا، و ليقرأ مرسومنا الشريف على المنابر، ليكون أبلغ واعظ و زاجر، لكل باد و حاضر، و الاعتماد على الخط الشريف أعلاه و كتب ثامن عشرين شهر رمضان سنة خمس و سبعمائة.

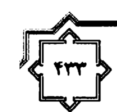
و أزيد على ذلك ما ذكره صاحب (عيوان التواريخ) و هو ابن شاكر و يعرف بصلاح الدين الكتبی و بالتريكی، و كان من أتباع ابن تيمية و ضرب الضرب البليغ لكونه قال لمؤذن فی مأذنة العروس وقت السحر أشركت حين قال:

ألا يا رسول الله أنت وسيلتی   الی الله فی غفران ذنبی و زلتی

و أرادوا ضرب عنقه ثم جددوا إسلامه، و انما أذكر ما قاله لإنه أبلغ فی حق ابن تيمية فی اقامة الحجة عليه مع انه اهمل إشياء من خبثه و لؤمه لما فيها من المبالغة فی اهانة قدوته، و العجب ان ابن تيمية ذكرها و هو سكت عنها.

كلام ابن تيمية في الاستواء و وثوب الناس عليه

فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن علی الدمشقی فی صحن الجامع الاموی عن أبيه قال كنا جلوساً فی مجلس ابن تيمية فذكر و وعظ و تعرض لآيات الاستواء، ثم قال: (و استوى اللهُ على عرشِهِ كاستوائی هذا) قال فوثب الناس إليه وثبة واحدة، و أنزلوه من الكرسی و بادروا اليه ضرباً باللكم و النعال و غير ذلك، حتى أوصلوه الى بعض الحكام، و اجتمع فی ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم.



ضحك العلماء منه لما طالبوه بالدليل على ما صدر منه و تحققهم جهله

فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟ فقال قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[١]، فضحكوا منه و عرفوا انه جاهل لا يجرى على قواعد العلم ثم نقلوه ليتحققوا أمره فقالو ما تقول فى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٢]، فأجاب بأجوبة تحققوا أنه من الجهلة على التحقيق، و انه لا يدرى ما يقول، و كان قد غره بنفسه ثناء العوام عليه و كذا الجامدون من الفقهاء العارون عن العلوم التى بها يجتمع شمل الأدلة على الوجه المرضى.

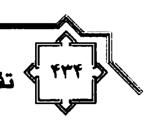
و قد رأيت فى فتاويه ما يتعلق بمسألة الاستواء، و قد أطنب فيها و ذكر اموراً كلها تلبيسات خارجة عن قواعد اهل الحق، و الناظر فيها اذا لم يكن ذا علوم و فطنة و حسن روية ظن انها على منوال مرضى، و من جملة ذلك بعد تقريره و تطويله (ان الله معنا حقيقة و هو فوق العرش حقيقة) كما جمع الله بينهما فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣] فأخبر (أنه فوق العرش يعلم كل شىء و هو معنا اينما كنا)، هذه عبارته بحروفها، فتأمل أرشدك الله تعالى هذا التهافت و هذه الجرأة بالكذب على الله تعالى أنه سبحانه و تعالى أخبر عن نفسه انه فوق العرش محتجاً بلفظ الاستواء الذى هو موضوع بالاشتراك و من قبيل المجمل، و هذا و غيره مماهو كثير فى كلامه يتحقق به جهله و فساد تصوره و بلادته، و كان بعضهم يسميه حاطب ليل، و بعضهم يسميه الهدار المهذار.

---

١ . طه: ٥

٢ . البقره: ١١٥

٣ . الحديد: ٤



تفرقته في جواز التوسل بالرسول ﷺ في حياته و منع التوسل به بعد موته تلقاها عن شيخه

و كان الامام العلامة شيخ الاسلام فى زمانه أبو الحسن على بن اسماعيل القونوى يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول، و يخبر أنه أخذ مسألة التفرقة، (أى تفرقته بين جواز التوسل بالرسول ﷺ فى حياته، و منع التوسل به بعد موته)، عن شيخه الذى تلقاها عن أفراخ السامرة و اليهود الذين أظهروا التشرف بالاسلام، و هم من أعظم الناس عداوة للنبى ﷺ، و قتل علىّ ؑ واحداً منهم تكلم فى مجلسه كلمة فيها ازدراء بالنبى ﷺ، و قد وقفت على المسألة، أعنى مسألة التفرقة التى أثارها اليهود ليزدروه بها و بحثوا فيها على قواعد مأخوذة من الاشتقاق و كانوا يقطعون بها الضعفاء من العلماء، فتصدى لهم الجهابذة من العلماء و أفسدوا ما قالوه بالنقل و العقل و الاستعمال الشرعى و العرفى و أبادوهم بالضرب بالسياط و ضرب الأعناق، و لم يبق منهم الا الضعفاء فى العلم، و دامت فيهم مسألة التفرقة حتى تلقاها ابن تيمية عن شيخه.

اتفاق الحذاق من جميع المذاهب في زمنه على سوء فهمه و كثرة اخطائه و عدم ادراكه للمآخذ الدقيقة

و كنت أظن انه ابتكرها و اتفق الحذاق فى زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه و كثرة اخطائه و عدم ادراكه للمآخذ الدقيقة و تصورها، عرفوا ذلك منه بالمفاوضة فى مجالس العلم.



ما ذكره ابن شاكر فيه في الجزء العشرين من تاريخه

و لنرجع الى ما ذكره ابن شاكر فى تاريخه ذكره فى الجزء العشرين قال: و فى سنة خمس و سبعمائة فى ثامن رجب عقد مجلس بالقضاة و الفقهاء بحضرة نائب السلطنة بالقصر الأبلق، فسئل ابن تيمية عن عقيدته، فأملى شيئاً منها ثم احضرت عقيدته الواسطية و قرئت فى المجلس و وقعت بحوث كثيرة و بقيت مواضع أخرت الى مجلس ثان ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثانى عشر رجب و حضر المجلس صفى الدين الهندى و بحثوا ثم اتفقوا على ان كمال الدين بن الزملكانى يحاقق ابن تيمية و رضوا كلهم بذلك.

افحام كمال الدين بن الزملكاني، ابن تيمية في المناظرة

و قد أفحم كمال الدين، ابن تيمية، و خاف ابن تيمية على نفسه فأشهد على نفسه الحاضرين انه شافعى المذهب و يعتقد ما يعتقده الامام الشافعى، فرضوا منه بذلك و انصرفوا، ثم ان اصحاب ابن تيمية أظهروا ان الحق ظهر مع شيخهم و ان الحق معه، فأحضروا الى مجلس القاضى جلال الدين القزوينى و أحضروا ابن تيمية و صفع و رسم بتعزيره فشفع فيه، و كذلك فعل الحنفى باثنين من أصحاب ابن تيمية.

وصول ابن تيمية الى القاهرة و عقد مجلس القضاة و الفقهاء و العلماء و الامراء له و ادعاء شمس الدين بن عدنان الشافعي عليه

ثم قال: و لما كان سلخ رجب جمعوا القضاة و الفقهاء و عقد مجلس بالميدان ايضاً، و حضر نائب السلطنة ايضاً، و تباحثوا فى أمر العقيدة، و سلك معهم

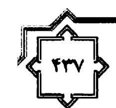


المسلك الاول، فلما كان بعد أيام ورد مرسوم السلطان صحبة بريدى من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة نجم الدين بن صَصُرى و بابن تيمية، و فى الكتاب (تعرفونا ما وقع فى سنة ثمان و تسعين فى عقيدة ابن تيمية) فطلبوا الناس و سألوهم عما جرى لابن تيمية فى ايام نقل عنه فيها كلام قاله و أحضروا للقاضى جلال الدين القزوينى العقيدة التى كانت احضرت فى زمن قاضى القضاة أمام الدين و تحدثوا مع ملك الأمراء فى ان يكاتب فى هذا الأمر، فأجاب، فلما كان ثانى يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر و أخبر ان الطلب على ابن تيمية كثير و ان القاضى المالكى قائم فى قضيته قياماً عظيماً و أخبر باشياء كثيرة وقعت من الحنابلة فى الديار المصرية و ان بعضهم صفع.

فلما سمع ملك الامراء بذلك انحلت عزائمه عن المكاتبة و سير شمس الدين بن محمد المهمندار الى ابن تيمية، و قال له: قد رسم مولانا ملك الامراء بأن تسافر غداً، و كذلك راح الى قاضى القضاة فشرعوا فى التجهيز، و سافر صحبة ابن تيمية أخواه عبدالله و عبدالرحمن و سافر معهم جماعة من اصحاب ابن تيمية.

شروع ابن تيمية في وعظ اهل المجلس فقيل له ان الذي تقوله نحن نعرفه...

و فى سابع شوال وصل البريدى الى دمشق و اخبر بوصولهم الى الديار المصرية، و انه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة و الفقهاء و العلماء و المراء: فتكلم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى و ادعى على ابن تيمية فى امر العقيده، فذكر منها فصولاً فشرع ابن تيمية، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، و تكلم بما يقتضى الوعظ، فقيل له: يا شيخ ان الذى تقوله نحن نعرفه و ما لنا



حاجة الى وعظك، و قد ادعى عليك بدعوى شرعية فأجب، فأراد أن يعيد التحميد فلم يمكنوه من ذلك بل قيل له أجب، فتوقف و كرر عليه القول مراراً، فلم يزدهم على ذلك شيئاً و طال الأمر فعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه و حبس اخويه معه فحبسوه فى برج من ابراج القلعة، فتردد اليه جماعة من الامراء فسمع القاضى بذلك، فاجتمع بالامراء و قال: يجب عليه التضييق اذا لم يقتل والا فقد وجب قتله و ثبت كفره فنقلوه الى الجب بقلعة الجبل و نقلوا أخويه معه باهانة.

ارجاع نجم الدين بن صصري خصم ابن تيمية الى قضاء القضاة بالشام و معه مرسوم السلطان بالتشديد العظيم على الحنابلة

و فى سادس عشر ذى القعدة وصل من الديار المصرية قاضى القضاة نجم الدين بن صَصُرى، و جلس يوم الجمعة فى الشباك الكمالى، و حضر القراء و المنشدون و انشدت التهانى و كان وصل معه كتب و لم يعرضها على نائب السلطنة، فلما كان بعد أيام عرضها عليه، فرسم ملك الامراء بقراءتها، و العمل بما فيها امتثالاً للمراسيم السلطانية، و كانوا قد بيتوا على الحنابلة كلهم بأن يحضروا الى مقصورة الخطابة بالجامع الاموى بعد الصلاة. و حضر القضاة كلهم بالمقصورة، و حضر معهم الامير الكبير ركن الدين بيبرس العلائى، و أحضروا تقليد القضاء نجم الدين بن صصرى الذى حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة و قضاء العسكر و نظر الاوقاف و زيادة المعلوم، و قرىء عقبيه الكتاب الذى وصل على يديه، و فيه ما يتعلق بمخالفة ابن تيمية فى عقيدته، و الزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة، و الوعيد الشديد عليهم و العزل من المناصب و الحبس و أخذ المال و الروح لخروجهم بهذه العقيدة عن

الملة المحمدية و نسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدم و تولى قراءته شمس الدين محمد بن شهاب الدين الموقع، و بلغ عنه الناس ابن صبح المؤذن و قرىء بعده تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة، و أحضروا بعد القراءة الحنابلة مهانين بين يدى القاضي جمال الدين المالكي بحضور باقي القضاة و اعترفوا انهم يعتقدون ما يعتقده محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه.

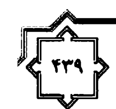
ورود مرسوم آخر من السلطان يمنع ابن تيمية من الفتوى في الطلاق

و في سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الطلاق التي يفتي بها ابن تيمية، و قد أمر بعقد مَجلس له بدار السعادة، و حضر القضاة و جماعة من الفقهاء، و حضر ابن تيمية و سألوه عن فتاويه في مسألة الطلاق و كونهم نهوه و ما انتهى، و لا قبل مرسوم السلطان و لا حكم الحكام بمنعه، فأنكر فحضر خمسة نفر فذكروا عنه أنه أفتاهم بعد ذلك فأنكر و صمم على الانكار فحضر ابن طليش و شهود شهدوا أنه أفتى لحاما اسمه قمر مسلماني في بستان ابن منجا، فقيل لابن تيمية اكتب بخطك انك لا تفتي بها و لا بغيرها، فكتب بخطه انه لا يفتي بها و ما كتب بغيرها. فقال القاضي نجم الدين بن صصرى حكمت بحبسك و اعتقالك فقال به: حكمك باطِل لأنك عدوى فلم يقبل منه و أخذوه و اعتقلوه في قلعة دمشق.

و في سنة احدى و عشرين و سبعمائة يوم عاشوراء افرج عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق و كانت مدة اعتقاله خمسة اشهر و نصفاً.

في سنة/ ٧٢٢/ حُبِسَ ابن تيمية في قلعَة دمشق

و في سنة اثنتين و عشرين و سبعمائة في السادس عشر من شعبان قدم



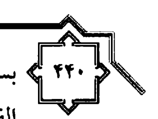
بريدى من الديار المصرية، و معه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية، فاعتقل فى قلعة دمشق، و كان السبب فى اعتقاله و حبسه انه قال: (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد و ان زيارة قبور الأنبياء لا تشد اليها الرواحل كغيرها كقبر ابراهيم الخليل و قبر النبى ﷺ).

ثم ان الشاميين كتبوا فتيا أيضا فى ابن تيمية لكونه اوّل من احدث هذه المسألة التى لا تصدر الا ممن فى قلبه ضغينة لسيد الاوّلين و الآخرين، فكتب عليها الامام العلامة برهان الدين الفزارى نحو أربعين سطراً بأشياء و آخر القول انه أفتى بتكفيره، و وافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين بن جهبل الشافعى، و كتب تحت خطه كذلك المالكى و كذلك كتب غيرهم، و وقع الاتفاق على تضليله بذلك و تبديعه و زندقته.

ثم أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً و يجمع العلماء و القضاة، فرأى أن الامر يتسع فيه الكلام، و لا بد من اعلام السلطان بما وقع فأخذ الفتوى و جعلها فى مطالعه و سيرها، فجمع السلطان لها القضاة فلما قرئت عليهم اخذها قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة و كتب عليها: (القائل بهذه المقالة ضال مبتدع) و وافقه على ذلك الحنفى و الحنبلى فصار كفره مجمعاً عليه، ثم كتب كتاب الى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة فى أمره.

مرسوم السلطان ايضا باعتماد ما اتفق عليه علماء القطرين

و فى يوم الجمعة عاشر شهر شعبان، حضر كتاب السلطان الى نائب البلد و أمره أن يقراه على السدة فى يوم الجمعة فقرىء و كان قارىء الكتاب بدر الدين بن الأعزازى الموقع، و المبلغ ابن النجيبى المؤذن، و مضمون الكتاب بعد البسملة، أدام الله تعالى نعمه، و نوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبته التى جهزها

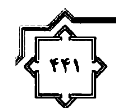


بسبب ابن تيمية فوقفنا عليها، و علمنا مضمونها فى امر المذكور و اقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه حسبما حكم به القضاة و أكابر العلماء، و عقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة، و رسمنا بقراءة الفتوى على القضاة و العلماء، فذكروا جميعا من غير خلف ان الذى افتى به ابن تيمية فى ذلك خطأ مردود عليه و حكموا بزجره و طول سجنه و منعه من الفتوى مطلقاً و كتبوا خطوطهم بين أيدينا على ظاهر الفتوى المجهزة بنسخة ما كتبه ابن تيمية.

و قد جَهَّزنا الى الجانب العالى طى هذه المكاتبة فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة، و يتقدم باعتقال المذكور فى قلعة دمشق، و يمنع من الفتوى مطلقاً و يمنع الناس من الاجتماع به والتردد اليه، تضييقاً عليه لجرأته على هذه الفتوى، فيحيط به علمك الكريم، و يكون اعتماده بحسب ما حكم به الائمة الأربعة.

و أفتى به العلماء فى السجن للمذكور و طول سجنه، فانه فى كل وقت يحدث للناس شيئاً منكراً و زندقة يشغل خواطر الناس بها، و يفسد على العوام عقولهم الضعيفة و عقلياتهم و عقائدهم فيمنع من ذلك و تسد الذريعة منه.

فيلكن عمله على هذا الحكم و يتقدم أمره به، و اذا اعتمد الجناب الرفيع هذا الاعتماد الذى رسمنا به فى امر ابن تيمية، فيتقدم منع من سلك مسالكه أو يفتى بهذه الفتوى أو يعمل بها فى امر الطلاق، و هذه القضايا المستحدثة، و اذا اطلع على احد عمل بذلك أو أفتى به فيعتبر حاله، فان كان من مشايخ العلماء فيعزر تعزير مثله، و ان كان من الشبان الذين يقصدون الظهور ـ كما يقصده ابن تيمية ـ فيؤدبهم و يردعهم ردعاً بليغاً، و يعتمد فى امره ما يحسم به مراد امثاله لتستقيم أحوال الناس و تمشى على السداد، و لا يعود احد يتجاسر على الافتاء



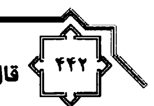
بما يخالف الاجماع، و يبتدع فى دين الله عز و جل من انواع الاقتراح مـا لم يـسبقه احد اليه، فالجناب العالى يعتمد هـذه الامـور التـى عرفنـاه إياهــا الآن و سـد الذرائع فيها.

و قد عجلنا بهذا الكتاب و بقية فصول مكاتبته تصل بعـد هـذا الكتـاب ان شاء الله تعالى.

و كتب فى سابع عشرين رجـب سـنة سـت و عـشرين و سـبعمائة، صـورة الفتوى من المنقول من خط القضاة الأربعة بالقاهـرة على ظاهـر الفتوى:

الحمد لله هذا المنقول، باطنها جواب عن السؤال، عن قوله ان زيارة الأنبياء و الصالحين بدعة، و ما ذكره من نحـو ذلـك، و انـه لا يـرخص بالـسفر لزيـارة الأنبياء باطل مردود عليه، و هذا المفتى المذكور ينبغى ان يزجـر عـن مثـل هـذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة و العلماء و يمنع من الفتاوى الغريبـة، و يحـبس اذا لم يمتنع من ذلك، و يشهر أمره، ليحتفظ الناس من الاقتداء بـه و كتبـه محمـد بـن ابراهـيم بن سعد الله بن جماعة الـشافعى، و كـذلك يقـول محمـد بـن الحريـرى الانصارى الحنفى، لكن يحبس الآن جزماً مطلقاً، و كذلك يقول محمـد بـن ابـى بكر المالكى، و يبالغ فى زجـره، حـسبما تنـدفع بـه هـذه المفـسدة و غيرهـا مـن المفاسد.

و كذلك يقول احمد بن عمـر المقدسـى الحنبلـى، و وجـدوا صـورة فتـوى اخرى، يقطع فيها بأن زيارة قبر النبـى ﷺ، و قبـور الانبيـاء معـصية بالاجمـاع مقطوع بها، و هذه الفتوى هى التى وقف عليها الحكام، و شهد بذلك القاضـى جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزوينى، فلما رأوا خطه عليها تحققـوا فتـواه، فغاروا لرسول الله ﷺ غيرةً عظيمةً، و للمسلمين الـذين نـدبوا الـى زيارتـه و للزائرين من أقطار الأرض، و اتفقوا على تبديعه و تضليله و زيغه، و اهــانوه و وَضَعُوه فى السجن.



قال ابو حيان: قرأت في كتاب لابن تيمية

و ذكر ابو حيان االنحوى الأندلسى فى تفسيره المسمى بالنهر فى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[1] ما صورته، (و قد قرأت فى كتاب لأحمد ابن تيمية هذا الذى عاصرناه، و هو بخطه سماه كتاب العرش: (إن الله يجلس على الكرسى) و قد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ)، تحيل عليه التاج محمد بن على بن عبد الحق، و كان من تحيله عليه أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب و قرأنا ذلك فيه.

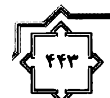
و رأيت فى بعض فتاويه أن الكرسى موضع القدمين، و فى كتابه المسمى بالتدمرية ماهذا لفظه بحروفه بعد أن قرر ما يتعلق بالصفات المتعلقة بالخالق و المخلوق، (ثم من المعلوم لما وصف نفسه بأنه حى عليم قادر لم يقل المسلمون ان ظاهر هذا غير مراد، لأن المفهوم ذلك فى حقه مثل مفهومه فى حقنا، فكذلك لما وصف أنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك ان ظاهره غير مراد، لأن مفهوم ذلك فى حقه مثل مفهومه فى حقنا).

هذه عبارته بحروفها و هى صريحة فى التشبيه المساوى كما أنه جعل الاستواء على العرش مثل قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾[2] تعالى الله و تقدس عن ذلك، و قال فى الكلام على حديث النزول المشهور: «**ان الله ينزل الى سماء الدنيا الى مرجة خضراء و فى رجليه نعالان من ذهب**»، هذه عبارته الزائغة الركيكة، و له من هذا النوع و أشباهه مغالاة فى التشبيه حريصاً على ظاهرها و اعتقادها و ابطال ما نزه الله تعالى به نفسه فى أشرف كتبه و أمر به عموماً و خصوصاً، و ذكره اخباراً عن الملأ الأعلى و الكون العلوى و السفلى.

---

۱ . البقره: ۲۵۵

۲ . الزخرف: ۱۳



و من تأمل القرآن وجده مشحوناً بذلك، و هذا الخبيث لا يعرج على ما فيه التنزيه و انما يتبع المتشابه، و يمعن الكلام فيه، و ذلك من أقوى الأدلة على انه من أعظم الزائغين، و من له أدنى بصيرة لا يتوقف فيما قلته إذ القرائن لها اعتبار في الكتاب و السنة و تفيد القطع و تفيد ترتب الأحكام الشرعية لا سيما في محل الشبه اهـ.

ذكره مسائل من شواذه

ثم ذكر التقي الحصني مسائل من شذوذه انتقدها العلماء و برهن على بطلانها منها:

١) زعمه أن النار تفنى و ان الله تعالى جعل لها امداً تنتهي اليه، و منها و هي من أقبح القبائح.

٢) قوله: (بحوادثَ لا أوّل لها) قال.

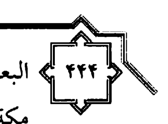
٣) و تكذيبه النبي ﷺ فيما أخبر به عن نبوته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قالوا يا رسول الله: متى وجبت لك النبوة، قال عليه الصلاة و السلام: «و آدم بين الروح و الجسد»[1] و في رواية «و ان آدم لمنجدل في طينته»[2].

و تكلم بكلام لبس فيه على العوام و غيرهم من سيء الأفهام، يقصد بذلك الازدراء برسول الله ﷺ، و الحط من قدره و رتبته، و ما فيه رفعه يسكت عنه، يفهم ذلك منه كل عالم امتلأ قلبه بتعظيمه و توقيره بما خصه الله تعالى من المواهب الالهية التي لم ينلها غيره ﷺ، و هو حريص على حط رتبته و الغض منه تارة يقع ذلك منه قريبا من التصريح و تارة بالاشارة القريبة و تارة بالاشارة

---

١ . سنن الترمذي، ج٥، ص٢٤٥

٢ . مسند احمد، ج٤، ص١٢٧



البعيدة التى لا يدركها الا اهـلها فمن ذلك و قد سئل على ما زعـم أيـما أفـضل مكة أو المدينة فأجاب.

٤) (مكة أفضل بالاجماع و كتبه أحمد بن تيمية الحنبلى) و عليها خطـه و أنـا أعرف خطه، و فى هذا الجواب دسـائس و فجـور و رمـز بعيـد، فمـن الفجـور انتسابه الى الامام أحمد و الامام احمد و اتباعه براء منـه، و ممـاهو عليـه، و هـو لا يلتفت اليه الا اذا كان له فى ذكره غرض، اما اذا لم يكن فلا يلـوى علـى قولـه و يسفهه حتى فيما ينقله و يكفره فيما يعتقده إذا كان على خلاف هواه.

من مواضع تسفيهه الامام احمد مسألة الطلاق

و من مواضع تسفيهه الامام أحمد مسألة الطلاق، فان الامام احمد قال الذى أخبرنا بأن الطلاق واحدة أخبرنا بأن الطلاق ثلاث، و على ذلك جـرى الأئمـة من جميع المذاهـب، فاذا كان الامام احمد غير ثقة فبمن يوثق؟ و قال: اعنـى ابـن تيمية فى الجواب عن المسألة المبسوطة، و الامام احمـد أعلـم النـاس فـى زمانـه بالسنة و بالغ فى الثناء عليه، فيالله العجب من هـذا الأعمـى البـصيرة الـذى لا يحس بتناقض كلامه، كيف يجعل الامام احمد فـيما لـه فيـه غـرض أعلـم النـاس بالسنة و يسفه فيما لا غرض له فيه، و هذا و نحوه مما يأتى فى غـير الامـام احمـد يعرفك ما فى قلبه من الخبث، و عمى بصيرته و انه لا عليه فيما يقوله.

رمزه في قوله: (مكة افضل بالاجماع)

و من فجوره ادعاء الاجماع على ما يقوله و يفتى به كهذه الفتوى مع شـهرة الخلاف فيها فأكثر اهـل المدينة قائلون بان المدينة أفضل من مكة، و اهـل الكوفة قالوا مكة افضل من المدينة، و محل الخلاف فـى غـير الموضـع الـذى ضـم سـيد



الاولين و الآخرين، أماهو فالاجماع منعقد على انه افضل من مكة و سائر البقاع، فسكوت الخبيث عن هذا دليل على خبث فى باطنه فى حق سيد الأولين و الآخرين.

رمزه الى تكفير الصديق رضي الله عنه في قوله في بعض تصانيفه «من قال الله و رسوله في امر يلحقه فانه يكون مشركا»

و فى هذه الفتوى رمز الى عدم الاعتداد بقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فأنه من القائلين بأن المدينة أفضل من مكة، و يدل على ما قلته من الرمز تخطئته فى الطلاق و عدم اعتداده بذلك، كما رمز الى تكفير الصديق رضي الله عنه فى قوله فى بعض تصانيفه (من قال الله و رسوله فى أمر يلحقه فانه يكون مشركا، فان الصديق رضي الله عنه لما قال النبى صلى الله عليه وسلم: (ما أبقيت لاهلك)، قال: أبقيت لهم الله و رسوله)[1].

و يؤيد ما قلته ماهو مشهور فى كتبه و عند أتباعه (لا ينبغى أن ينسب الى غير الله ضر و لا نفع و لا أنه يغنى)، و هذا من الدسائس التى يلبس بها على كثير من الناس، لا سيما الضعفاء فى العلم و أصحاب الاذهان الجامدة، فهى كلمة حق أريد بها باطل و قد قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾[2] و قال تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[3]، فهذا نص القرآن العظيم فى الذين يقولون إنه شرك.

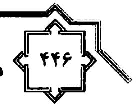
فقولهم قدح فى القرآن الكريم و فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقراره الصديق رضي الله عنه على هذا القول الذى هو شرك فى زعمهم.

---

۱ . سنن الترمذى، ج۵، ص۲۷۷

۲ . التوبه: ۷٤

۳ . التوبه: ۵۹



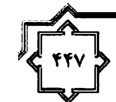
من الامور الخبيثة التي وقف عليها الحصني في فتاويه

٥) و من الامور الخبيثة التى وقفت عليها فى فتاويه ما فيه: (ان بعض المكاسين مثاب فى وظيفة المكس بل أبلغ من ذلك. و أقبض عنان الكلام فيه لما أخشى مما يترتب على التصريح من اهل المكس و تجرّئهم عليه).

و قرر ما قاله بتقرير مقبول فى شق و اهمل الآخر، فلما وقفت على ذلك قَبَّ بدنى و هِجتُ على الكلام فى ذلك، و كان شخص من الحنابلة يدعى بعلاء الدين بن اللحام البعلبكى عظيماً عندهم، وصنف فى مذهب الامام، فاتيته و هو فى حلقة فى الجامع الأموى يقرأ عليه بعض تصانيفه، فسألته عن شيء يتعلق بمسألة تقرأ عليه فى كتابه فلم يجب، ثم اخرى فلم يجب، ثم قلت: ما هذه المسألة التى ذكرها الشيخ تقى الدين بن تيمية فى المكس؟، فشرع يقرر ما قرره ابن تيمية فأخذت الشق الآخر و قررته، فسكت و لم يجد جواباً، فقلت: يلزم احد شيئين: إما بطلان ما قاله أو تكفيره، فقال هذه المسألة ليست فى فتاويه و أنا اختصرتها، و هذه قاعدة من قواعدهم يبحثون مع الخصم، فان ظفروا به فلا كلام، و ان ظفر بهم قالواهذه ماهى فى كلامه، فهم خلف امامهم فى المكر و الخديعة و الكذب، و قد خاب من الفترى.

تفرقته في التوسل بالنبي ﷺ بين حياته و بعد وفاته

٦) و من الامور المنتقدة عليه، و هو من أقبح القبائح و شر الأقوال و أخبثها مسألة التفرقة، (أى تفرقته بين حياة النبى ﷺ فيجوز التوسل به عنده بدعائه فقط، و بعد موته ﷺ لا يجوز التوسل به ﷺ عنده)، التى أحدثها اليهود، و استمر عليها أتباعهم، و يقطع الواقف عليها بأن القائلين بها من متغالى اهل الزيغ و الزندقة، و ان ابن تيمية الذى يصفه بعضهم بأنه بحر فى العلم لا يستغرب فيه ما قاله بعض الأئمة عنه من أنه زنديق مطلق.



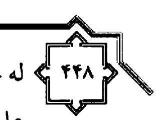
و سبب قوله هذا أنه تتبع كلامه فلم يقف له على اعتقاد لأنه في مواضع عديدة يكفر فرقة و يضللها، و في آخر يعتقد ما قالته أو بعضه، مع أن كتبه مشحونة بالتشبيه و التجسيم و الاشارة الى الازدراء بالنبي ﷺ و الشيخين، و تكفير عبدالله بن عباس ﵄ و جعله عبدالله بن عمر ﵄ من المجرمين و تبديعه و تضليله له، ذكر ذلك في كتاب له سماه (الصراط المستقيم و الرد على اهل الجحيم) اهـ ـ كلام التقي الحصني بتصرف في بعضه و اختصار ـ.

حال ابن تيمية في الدرر الكامنة لابن حجر الحافظ

أطنب الحافظ ابن حجر في ترجمة ابن تيمية في الدرر الكامنة فذكر الاطراء البليغ فيه، و ذكر انتقاد العلماء له، و اني انقل ما ذكره من انتقاد العلماء له.

قال: أول ما أنكر وقام عليه العلماء سنة٦٩٨ بسبب المسألة الحموية، ثم طلب الى مصر سنة٧٠٥ و حبس بها، ثم نقل منها سنة٧٠٩ الى الاسكندرية، ثم اعيد الى القاهرة، ثم ارجع الى الاسكندرية، ثم افرج عنه سنة٧١٢ و رجع الى الشام.

و قد عقد له مجلس في التاريخ الأول سئل فيه عن عقيدته، فأملى منها شيئاً ثم أحضروا عقيدته الواسطية فقرئ شيء منها، و بحثوا في مواضع منها، ثم اجتمعوا بعد أيام و قرروا الصفي الهندي لمناظرته ثم أخروه، و قدموا الكمال الزملكاني، ثم انفصل الأمر، على أنه أشهد على نفسه أنه شافعي المعتقد فاشاع اتباعه أنه انتصر فغضب خصومه، و رفعوا واحداً منهم الى القاضي جلال الدين القزويني فعزره، و كذلك فعل القاضي الحنفي باثنين من أتباعه، ثم قاموا عليه في سنة (٧١٩) بسبب مسألة الطلاق، و أكد عليه المنع من الفتيا، ثم عقد

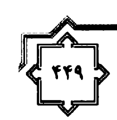


له مجلس سنة (٧٢٠)، ثم حبس بقلعة دمشق ثم اخرج سنة (٧٢١)، ثـم قـاموا عليه سنة (٧٢٦)، بسبب مـسألة الزيـارة و حـبس بالقلعـة إلـى ان مـات سـنة (٧٢٨)، و نسبوه الى التجسيم لما ذكره فى عقيدته الحموية و الواسطية و غيرهما فى ذلك، كقوله ان اليد و القدم و الساق و الوجه صفات حقيقيـة لله تعـالى، و أنه مستو على العرض بذاته، فقيل له يلزم من ذلك التحيز و الانقسام.

فقال: أنا لا اسلم أن التحيز و الانقسام من خـواص الأجـسام، فـألزم بأنـه يقول بالتحيز فى ذات الله تعالى، و خطأ أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب ﷺ، و خطأ أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه فى سـبعة عـشر موضـعاً خـالف نـص الكتاب.

و نسبوه ايضاً الى النفاق لقوله هذا فى على كرم الله وجهه، و لقولـه أيـضاً فيه انه كان مخذولاً حيثما توجه و انه حاول الخلافة مراراً فلم ينلهـا، و انـما قاتـل للرياسة لا للديانة، و لقوله أيضاً انه كان يحب الرياسة، و لقوله إيضا فيه أبوبكر أسلم شيخاً يدرى ما يقول، و علىّ أسلم صبيا و الصبى لا يصح اسـلامه علـى قول، و بكلامه فى خطبة علىّ ﷺ بنت أبى جهل، و مات و ما نسيها.

و قال ان عـثمان ﷺ كـان يحـب المـال؛ و نـسبوه الـى الزندقـة لقولـه إن النبى ﷺ لا يستغاث به، و نسبه قوم الى السعى فى الامامة الكبرى لانـه كـان يلهج بذكر ابن تومَرَت و يطريه، و كان اذا حوقق و ألزم يقول: لم ارد هذا، و انما اردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً. و دار بينه و بين أبى حيـان كـلام فجـرى ذكـر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول فيه و قال يفشر سيبويه و ما كان نبـى النحـو بـل اخطاء فى الكتاب فى ثمانين موضـعاً لا تفهمهـا أنـت فنـافره أبـو حيـان اهــ ـ ملخصاً من «الدرر الكامنة» ـ .



تعليقي و مناقشتي لبعض ما نقله الحافظ في ابن تيمية

فقوله: (و قرروا الصفى الهندى لمناظرته ثم أخروه)، مجمل بينه العلامة تاج الدين السبكى فى طبقاته الكبرى فى ترجمة الصفى الهندى قال: و لما وقع لابن تيمية فى المسألة الحموية ما وقع و عقد له المجلس بدار السعادة بين يدى الأمير تنكيز، و جمعت العلماء، و أشاروا بأن الشيخ الهندى يحضر فحضر، و كان الهندى طويل النفس فى التقرير إذا شرع فى وجه يقرره لا يدع شبهةً و لا اعتراضاً الا و قد أشار اليه فى التقرير، بحيث لا يتم التقرير الا و يعز على المعترض مقاومته.

فلما شرع يقرر أخذ ابن تيمية يعجل عليه ـ على عادته ـ و يخرج من شيء الى شيء، فقال له الهندى: ما أراك يا ابن تيمية إلّا كالعصفور، كلما أردت قبضه من مكان فرّ الى مكان آخر، و كان الهندى شيخ الحاضرين كلهم و كلهم صدر عن رأيه، و حبس ابن تيمية بسبب تلك المسألة المتضمنة قوله بالجهلة، و نودى عليه فى البلد و على أصحابه و عزلوا من وظائفهم اهـ.

قلت: دل هذا ان الذى عادته فى المناظرة العجلة فى الكلام و الخروج من البحث المتناظر فيه الى شىء آخر، ليس بعالم و لا يعرف آداب المناظرة و هذا دأب هذا المفتتن به فى جميع تآليفه، يخرج من مسألة قبل ان يحققها الى اخرى.

و قد تقدم بهتانه على العلماء فى التوسل بالنبى ﷺ بأن فيه قولين لهم، ثم وثب قبل تحقيق القولين المزعومين الى مسألة الحلف بالنبى ﷺ.

توفى الصفى الهندى سنة خمس عشرة و سبعمائه، قالوا: كان أعلم اهل الأرض بمذهب الأشعرى فى الشام، كما ان عصريه علاء الدين الباجى أعلم به فى مصر.



و قوله (و قدموا الكمال الزملكانى)، مجمل أيضاً بينه و اعترف به المفتتن بابن تيمية ابن شاكر فى تاريخه قال: ان كمال الدين الزملكانى أفحم ابن تيمية، فخاف هذا على نفسه فأشهد الحاضرين على نفسه بأنه شافعى المذهب و يعتقد ما يعتقده الامام الشافعى، و قد تقدم هذا فى نقل العلامة الحصنى.

فقوله: ثم انفصل الأمر الخ... دليل على افحام الزملكانى له، و الزملكانى من تلامذة الصفى الهندى، و قول الحافظ فى أثناء ترجمته: (و قام القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى مع الشيخ نصر المنبِجى و بالغ فى أذى الحنابلة)، مجمل مردود بما تقدم من كلام ابن شاكر الذى نقله الحصنى.

قال: فلما كان ثانى يوم وصل مملوك ملك الامراء على البريد من مصر، و أخبر أن الطلب على ابن تيمية كثير، و ان القاضى المالكى قائم فى قضيته قياماً عظيماً، و أخبر بأشياء كثيرة وقعت من الحنابلة فى الديار المصرية و ان بعضهم صفع اهـ.

فهذا يدل على ان المالكى إنما شدد على الحنابلة لنشرهم عقيدة شيخهم الحرانى فى المسلمين جهاراً.

و قال الحافظ ايضاً: و اتفق ان قاضى الحنابلة شرف الدين الحرانى كان قليل البضاعة فى العلم، فبادر الى اجابتهم فى المعتقد، و استكتبوه خطه بذلك اهـ.

و لا معنى لهذا الكلام الا المدافعة عن عقيدة الحرانى الفاسدة، و الطعن فى قضاة المسلمين الأربعة و فى علمائهم، فان كان منه فهو مردود عليه بعقيدة ابن تيمية العوجاء المسجلة عليه جميع كتبه الواضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار، و قد تعقبه هو فى بعضها ـ كما سأذكره ـ و ان كان قلد فيه البرزالى فقد قال: (قرأت ذلك فى تاريخ البرزالى) فالبرزالى زميل لابن تيمية محدث مفتتِن به.



قال التاج السبكى فى طبقاته الكبرى فى ترجمة المحدث المزى المتوفى سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة، و هذه الرفقة المزى و الذهبى و البرزالى و كثير من أتباعهم أضرّ بهم أبو العباس بن تيمية إضراراً بيناً، و حمّلهم من عظائم الامور أمراً ليس هيناً، وجرهم الى ما كان التباعد عنه أولى بهم و أوقفهم فى دكاك من نار المرجو من الله تعالى ان يتجاوزها لهم و لأصحابهم اهـ.

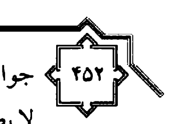
و قال الحافظ أيضاً: عقد له مجلس فى الثالث و العشرين من رمضان بعد صلاة الجمعة، فادعى عليه عند المالكى فقال: هذا عدوى، و لم يجب عن الدعوى فكرر عليه فأصر فحكم المالكى بحبسه و حبس فى برج اهـ.

و كلام ابن شاكر الذى نقله التقى الحصنى فى هذا المجلس المنعقد لابن تيمية بالقاهرة أصح و أبين من هذا و نصه:

عَقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة و الفقهاء و العلماء و الامراء، فتكلم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى، و ادعى على ابن تيمية فى امر العقيدة، فذكر منها فصولاً فشرع ابن تيمية فحمد الله تعالى و أثنى عليه، و تكلم بما يقتضى الوعظ، فقيل له: يا شيخ ان الذى تقوله نحن نعرفه، و مالنا حاجة الى وعظك، و قد ادعى عليك بدعوى شرعية فأجب.

فأراد ابن تيمية ان يعيد التحميد فلم يمكنوه من ذلك بل قيل له أجب فتوقف و كرر عليه القول مراراً، فلم يزدهم على ذلك شيئاً، وطال الأمر، فعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه و حبس أخويه معه، فحبسوه فى برج من أبراج القلعة اهـ.

و على فرض صحة كلام ابن حجر المنقول من تاريخ البرزالى لا يصح لمن ادعى عليه بدعوى شرعية عند أىّ حاكم ان يمتنع عن الجواب عنها بزعم ان الحاكم عدوه، و لقد كان من اللازم لغطرسته و تشييخه على الاسلام أن يكون



جوابه عن هذه الدعوى سهلاً جداً، لأن القضاة و العلماء الحاضرين في المجلس لا يصلون الى مرتبة تلامذته، فكانت قطرة من بحر علمه الذى يدعيه و يعتقده فيه المطموسون كافية في اغراق جميع الحاضرين، فامتناعه عن الجواب عنها مع تكرار طلبه منه في نقل ابن حجر، وحيدته عن الجواب عنها الى الثناء على الله، و وعظ الحاضرين في كلام ابن شاكر مع تكرار طلبه منه ايضاً برهان على جهله و تلبيسه و سوء عقيدته.

و اذا كان قد أفحم في دمشق التي هي تابعة لمصر، فافحامه في القاهرة التي هي مقر السلطنة و وكر العلماء الأعلام من باب أولى.

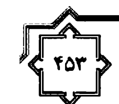
قال التاج السبكي في طبقاته الكبرى في ترجمة علاء الدين الباجي المتوفى بالقاهرة سنة أربع عشرة و سبعمائة:

كان أعلم اهل الأرض بمذهب الأشعري في علم الكلام، و كان هو بالقاهرة و الهندي بالشام القائمين بنصرة مذهب الأشعري.

ثم قال: و لما ر اه ابن تيمية عظمه و لم يتكلم بين يديه، فأخذ الشيخ علاء الدين يقول: تكلم نبحث معك، و ابن تيمية يقول مثلي لا يتكلم بين يديك أنا وظيفتي الاستفادة منك اهـ.

و قال الحافظ أيضاً: و تعصب سالار لابن تيمية، و أحضر القضاة الثلاثة الشافعي و المالكي و الحنفي، و تكلم معهم في اخراجه (أي من السجن) فاتفقوا على أنهم يشترطون شروطاً، و ان يرجع عن بعض العقيدة فأرسلوا اليه مرات في الحضور اليهم فامتنع و استمر اهـ.

أقول: لقد تفلّت هذا المفتتن به من مجلس العلماء و القضاة الذى عقد له بالقاهرة لتحقيق الدعوى التي اقيمت على فساد عقيدته، برفضه الجواب عنها و وعظه، ولكنه تحقق أن السجن الذى حكم به عليه لا يخرج منه حتى يجيب عن



الدعوى المقامة عليه، فلجأ الى امراء السلطان ابن قلاوون و لبَّس عليهم، فقاموا دونه و سلار هذا أكبرهم، و اتفاق القضاة الثلاثة و اشتراطهم على سلار في اخراجه شروطا منها رجوعه عن بعض العقيدة يبطل ما قاله الحافظ ابن حجر اوّلاً من أن القاضي المالكي قام في أمره، و بالغ في أذى الحنابلة، و ارسالهم اليه مرات للحضور عندهم لمحاققته في عقيدته، و امتناعه في كلها من الحضور، و رضاه بالمكث في السجن دليل على جهله و تلبيسه و سوء عقيدته.

فلو كان شيخاً للاسلام بحق ما تأخر لحظة واحدة عن مناظرة المبطلين ـ في زعمه ـ و لو كان شيخاً للاسلام بحق، و الاسلام محصور فيه و في أتباعه لوجبت عليه المبادرة لقطع الكافرين بحجج الاسلام، لآن القضاة الثلاثة أشاعرة، و الأشاعرة كفار ـ في زعمه ـ، و لو كان عالماً و للعلم وقار يحجز حامله عن السفاهة و البذاءة ما تترس عن مناظرتهم بالامراء، ولكن ليس عنده الا الغطرسة و التكفير و التحقير و الشتم و الخنا.

و هذا بعض من بضاعته هذه سجله على نفسه في أول الجزء الخامس من المسائل التسعينية من فتاواه: طلب من أمراء مصر أن يسمعوا كلامه وحدهم معه بدون حضور العلماء، ثم بعد ذلك يجتمع بالعلماء بحضرتهم، و أبى أن يحضر مجلس القضاة و العلماء، و لما كرروا طلب حضوره الى مجلسهم مع رسولهم أغلظ للرسول بالسبّ.

قائلاً: يا مبدلين! يا مرتدين عن الشريعة! يا زنادقة! و كلاماً كثيراً اهـ.

اهذه أيها العقلاء اخلاق العلماء أم أخلاق السفلة و السفهاء؟ كل إناء يرشح بما فيه و سلاح العاجز الشتم، ان الهزء من اخلاق الجاهلين، قالت بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة و السلام: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فكيف بالسب و الاقذاع؟



و قول الحافظ ايضا: (ثم قاموا عليه فى سنة۷۱۹ بسبب مسألة الطلاق و أكد عليه المنع من الفتيا)، أى علماء و قضاة دمشق أيضاً لما أفتى بأنّ الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع الا واحدة صحيح.

قال الامام المحقق أبو الحسن السبكى فى مقدمة كتابه «الدرة المضية» فى الرد على ابن تيمية ما نصه:

و اما ما أحدثه فى الفروع، فأمر قد عمت به البلوى، و هو الافتاء فى تعليق الطلاق على وجه اليمين بالكفارة عند الحنث، و قد استروح العامة الى قوله، و تسارعوا اليه، و خفت عليهم احكام الطلاق، و تعدى الى القول بأن الثلاث لا تقع مجموعة إذا أرسلها الزوج على الزوجة، و كتب فى المسألتين كراريس مطولة و مختصرة أتى فيها بالعجب العجاب، و فتح من الباطل كل باب.

و كان الله تعالى قد وفق لبيان خطئه، و تهافت قوله و مخالفته لكتاب الله و سنة رسوله ﷺ و اجماع الامة، و قد عرف ذلك خواص العلماء و من يفهم من عوام الفقهاء، ثم بلغنى انه بث دعاته فى اقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثه، و أضل بذلك جماعة من العوام و من العرب و الفلاحين و اهل البلاد البرانية، و لبّس عليهم مسألة اليمين بالطلاق حتى أوهمهم دخولها فى قوله تعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[1] و كذلك فى قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾[2]، فعسر عليهم الجواب و قالواهذا كتاب الله تعالى، و بقى فى قلوبهم شبه من قوله حتى ذاكرنى بذلك بعض المشايخ ممن جمع علماً و عملاً، و بلغ من المقامات الفاخرة الموصلة الى الآخرة أملاً، و رأيته متطلعاً الى الجواب عن هذه الشبهة و بيان الحق فى هذه المسألة على وجه مختصر يفهمه من لم يمارس

---

١ . البقره: ٢٢٥

٢ . التحريم: ٢



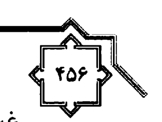
كتب الفقه و لا ناظر فى الجدل، فكتبت هذه الأوراق على وجه ينتفع به من نوَّرَ الله قلبه و أحب لزوم الجماعة و كره تبعية من شذ الشياطين و بالله أستعين اهـ.

كلام التقي الحصني ايضاً في ابن تيمية

و قال العلامة تقى الدين الحصنى فى دفع شُبَه من شبَّه و تمرد: و من قواعده المقررة عنده، و جرى عليها أتباعه التوقى بكل ممكن، حقاً كان أو باطلاً، و لو بالأيمان الفاجرة سواء كانت بالله عز و جل أم بغيره.

و أما الحلف بالطلاق فانه لا يوقعه ألبتة و لا يعتبره سواء كان بالتصريح أم الكناية أم التعليق أم التنجيز، و هذا مذهب الشيعة فانهم لا يرونه شيئاً، و إشاعته هو و أتباعه أن االطلاق الثلاث واحدة خُزَعبلات و مكر، و الّا فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به و لو آتى به فى اليوم مائة مرة على أى وجه، سواء كان حثاً أم منعا أم تحقيق خبر، فاعرف ذلك، و ان مسألة الثلاث انما يذكرونها تستراً و خديعة، و قد وقفت على مصنف له فى ذلك و كان عند شخص شريف زينبى و كان يرد الزوجة الى زوجها فى كل واقعة بخمسة دراهم، و إنما أطلعنى عليه لأنه ظن أنى منهم فقلت له: ياهذا أتترك قول الامام احمد و قول بقية الأئمة بقول ابن تيمية؟ فقال اشهد علىّ أنى تبت و ظهر لى أنه كذب فى ذلك، ولكن جرى على قاعدتهم فى التستر و التقية، فنسأل الله تعالى العافية من المخادعة فانها صفة اهل الدرك الأسفل اهـ.

و قوله: (ثم قاموا عليه سنة٧٢٦ بسبب مسألة الزيارة و حبس بالقلعة إلى أن مات سنة٧٢٨)، أى علماء دمشق أيضا صحيح أيضاً، فقد أفتى بأن شد الرحال الى زيارة قبره ﷺ بدعة و معصية لا يجوز قصر الصلاة فيها، و قد ردّ عليه فيها علماء أعلام فى مقدمتهم الامام السبكى، و قد تقدم تلخيصى لكتابه.

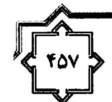


و قوله: (و نسبوه الى التجسيم لما ذكره فی عقيدته الحموية و الواسطية و غيرهما الى قوله و خطّأ عمر بن الخطاب) صحيح أيضاً، و لو لم يدل على تجسيمه من كلامه الا زعمه ان اليد و القدم و الساق و الوجه صفات حقيقية لله تعالى، و أنه تعالى مستو على العرش بذاته لكفى.

قد افترى في هذا الزعم على الله تبارك و تعالى و على رسوله ﷺ

و قد افترى هذا الزعم على الله تعالى و على رسوله ﷺ و على السلف الصالح الذين يلبس بهم على الأغبياء و أشباههم أربع مرات، تسميته للمذكورات بالصفات، و زعمه أنها حقيقية، و زعمه أنه تعالى مستو على العرش بصيغة اسم الفاعل، و بذاته، فلو استظهر بمشبهة الأرض جميعاً على اثبات هذه الاربعة فی كتاب الله عز و جل، أو فی سنة رسول الله ﷺ أو عن أی واحد من السلف الصالح لم يستطع، و الزام العلماء له بأنه قال بالتحيز فی ذات الله تعالى صحيح، و عدم تسليمه كون التحيز و الانقسام من خواص الاجسام دليل على نقصان عقله و مكابرته.

قال الامام المحقق أبو الحسن السبكی فی طليعة رسالته: (الدرة المضية فی الرد على ابن تيمية) ما نصه: أما بعد! فانه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث فی اصول العقائد، و نقض من دعائم الاسلام الأركان و المعاقد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب و السنة مظهراً أنه داع الى الحق هاد الى الجنة، فخرج عن الاتباع الى الابتداع و شذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الاجماع، و قال بما يقتضی الجسمية و التركيب فی الذات المقدسة و ان الافتقار الى الجزء ليس بمحال، و قال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، و ان القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن، و انه يتكلم و يسكت و يحدث فی ذاته الارادات بحسب



المخلوقات، و تعدى فى ذلك الى استلزام قدم العالم (و التزامه) بالقول بأنه لا أول للمخلوقات، فقال بحوادث لا أول لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة، و المخلوق الحادث قديماً، و لم يجمع أحد هذين القولين فى ملة من الملل و لا نحلة من النحل، فلم يدخل فى فرقة من الفرق الثلاثة و السبعين، و كل ذلك و ان كان كفراً شنيعاً مما تقل جملته بالنسبة الى ما أحدث فى الفروع، فان متلقى الاصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلون و الداعى اليه من أصحابه هم الأرذلون، و إذا حوققوا فى ذلك أنكروه وفروا منه، كما يفرون من المكروه، و نبهاء أصحابه و متدينوهم لا يظهر لهم الا مجرد التبعية للكتاب و السنة و الوقوف عند ما دلت عليه من غير زيادة و لا تشبيه و لا تمثيل اهـ.

قال الحالفظ ابن حجر في كتاب التوحيد

و قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب «التوحيد» فى شرح قوله ﷺ: **«كان الله و لم يكن شىء قبله»**[1] ما نصه:

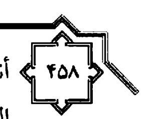
تقدم فى بدء الخلق بلفظ و لم يكن شىء غيره، و فى رواية أبى معاوية: **«كان الله قبل كل شىء»** و هو بمعنى: **«كان الله و لا شىء معه»** و هى أصرح فى الرد على من أثبت حوادث لا أول لها (من رواية الباب) و هى من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية اهـ.

تخطئته و طعنه في مسألة الطلاق الثلاث

و قوله: (١) (و خطأ امير المؤمنين عمر بن الخطاب)، أراد به تخطئته له فى ايقاعه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثاً بمحضر علماء الصحابة مهاجرين و

---

١ . صحيح البخارى، ج٤، ص٧٣



أنصاراً، فلا اختصاص للفاروق بالطعن و التخطئة فقد طعن و خطّأ الصحابة الذين وافقوه عليها و خالف اجماعهم و اجماع من بعدهم من علماء الأمة، و قد ثرثر ابن القيم في هذه المسألة في هديه و توقح و تغطرس و مدح نفسه، و شيخه الحراني قال في ج٣ ص٦٢ منه:

و ليس التحاكم في هذه المسألة الى مقلد متعصب و لا هياب للجمهور، و لا مستوحش من التفرد اذا كان الصواب في جانبه، و انما التحاكم فيها الى راسخ في العلم قد طال فيه باعه و أسهب في اطراء نفسه.

ثم قال: فقد توفي النبي ﷺ عن أكثر من مائة ألف عين، كلهم قد راه و سمع منه، فهل يصح لكم عن هؤلاء كلهم أو عشرهم أو عشر عشرهم أو عشر عشر عشرهم القول بلزوم الثلاث بفم واحد؟

ثم قال: لم يخالف عمر اجماع من تقدمه بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم اهـ.

قوله و ليس التحاكم في هذه المسألة الى مقلد متعصب، يصدق عليه المثل: (رمتني بدائها و انسلت)، و لا شك عند كل عاقل ان التقليد و التعصب لعلماء خير القرون خير و أولى من تقليده و تعصبه للحراني الذي جاء في القرون المتأخره عند الموازنة، و الوقح الذي لم يتآدب بآداب الشرع الشريف، و من آدابه مراعاة السواد الأعظم، كما قال ﷺ: «**عليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[1]، خليق بعدم الهيبة من الجمهور و عدم الاستيحاس من التفرد، و معاذ الله ان يكون الصواب في جانب الشاذ الطاعن في الامة الاسلامية جمعاء سلفها و خلفها.

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٣٣٠



و قوله: (و إنما التحاكم فيها الى راسخ فى العلم قد طال فيه باعه إلى آخر هذره)، بلغ فى الغطرسة و التعاظم على خير القرون فمن بعدهم منتهاهما.

و قوله: (فقد توفى النبى ﷺ اكثر من مائة ألف الخ...)، رده الكمال ابن الهمام بما نصه:

و قول بعض الحنابلة القائلين بهذا المذهب، (توفى رسول الله ﷺ عن أكثر من مائة الف الخ) باطل... أما اولاً: فاجماعهم ظاهر فانه لم ينقل عن أحد منهم أنه خالف عمر رضي الله عنه حين أمضى الثلاث، و ليس يلزم فى نقل الحكم الاجماعى عن مائة ألف أن يسمى كل ليلزم فى مجلد كبير حكم واحد، على انه اجماع سكوتى.

و اما ثانياً: فان العبرة فى نقل الاجماع، نقل ما عن المجتهدين لا العوام، و المائة الالف الذين توفى رسول الله ﷺ عنهم لا يبلغ عدة الفقهاء المجتهدين منهم أكثر من عشرين، كالخلفاء و العبادلة و معاذ بن جبل وزيد بن ثاب و أبى هريرة رضي الله عنهم و قليل، و الباقون يرجعون اليهم و يستفتون منهم.

و قد أثبتنا النقل عن أكثرهم صريحاً بايقاع الثلاث، و لم يظهر لهم مخالف، فماذا بعد الحق الا الضلال؟ و عن هذا قلنا: لو حكم حاكم ان الثلاث بفم واحد واحدة لم ينفذ حكمه لأنه لا يسوغ الاجتهاد فيه فهو خلاف لا اختلاف، و الرواية عن أنس رضي الله عنه بأنها ثلاث أسندها الطحاوى و غيره.

و غاية الأمر أن يصير كبيع امهات الأولاد اجمع على نفيه، و كن فى الزمن الاول يُبَعنَ، و بعد ثبوت اجماع الصحابة رضي الله عنهم لا حاجة الى الاشتغال بالجواب اهـ.

و أما دعو اه الاجماع القديم و انه لم تجمع الامة على خلافه فهى دعوى عجيبة غريبة، لا أدرى كيف ساغ لابن القيم أن يتوكأ عليها و يتخذها حجة، مع



ان انعقاد الاجماع لا يكون الا اذا صح اشتهار الفتوى بها زعمه و بلوغها للكل و الاقرار و السكوت عليها، و كل ذلك لم يثبت، و انما اخذ ذلك من سياق رواية ابن عباس رضي الله عنه و قد علمت ما فيه، على أنه لو صح ان فيه اجماعاً قديماً سابقاً على مناداة عمر يلزم ان عمر خالف السنة الصحيحة و خالف الاجماع أيضا بمحض رأيه.

و يلزم منه أن كل من فى عصر عمر، وكان موجوداً وقت المناداة و وافقوه على ما أمضاه قد خالفوا السنة و الاجماع ايضاً، مع أن الذين وافقوه عل ذلك هم جميع المجتهدين فى عصره من الصحابة و التابعين، إذ لم ينقل عن أحد منهم أنه خالفه، فتكون الامة قد أجمعت ثانياً على خلاف ما أجمعت عليه أولاً، فيلزم أن تكون الامة قد أجمعت على خطأ: اما أولاً و اما ثانياً و كل ذلك باطل.

و اما قوله: (ولكن رأى أمير المؤمنين أن الناس قد استهانو بأمر الطلاق الخ...)

فهو قول باطل، لأن العقوبة لا يجوز ان تكون بها يخالف السنة و الاجماع، و احداث حكم على خلافهما و حاشا عمر آن يرى من المصلحة عقوبة الناس باحداث حكم على خلاف السنة و الاجماع، مع ان احداث ذلك أكبر جرما مما فعله الناس لو صح اهـ تحقيق شيخنا العلامة المرحوم محمد بخيت المطيعى، والشوكانى من المتشبعين بما لم يُعطَوا، المقدِسين ابن تيمية، و هو أشد فى هذه المسألة وقاحة و سفاهة من ابن القيم قال فى نيل أوطاره: و الحاصل ان القائلين بالتتابع قد استكثروا من الأجوبة على حديث ابن عباس، (و كلها خارجة عن دائرة التعسف)، و الحق أحق بالاتباع فان كانت تلك المحاماة لأجل مذاهب الأسلاف فهى أحقر و أقل من ان تؤثر على السنة المطهرة، و ان كانت لأجل عمر بن الخطاب، فأين يقع المسكين من رسول الله ﷺ؟ ثم أى مسلم يستحسن عقله و علمه ترجيح قول صحابى على قول المصطفى ﷺ؟ اهـ.



قوله و كلها خارجة عن دائرة التعسف حجة عليه، و لعله أراد و كلها غير خارجة عن دائرة التعسف، فطمس الله بصيرته أو بصيرة صاحب المطبعة فحذف لفظة (غير).

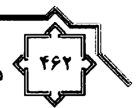
أين في السنة المطهرة انه ﷺ قال من طلق امرأته ثلاثا بلفظ واحد فهو واحدة

و قوله: فان كانت تلك المحاماة الى قوله و ان كانت لأجل عمر، مشتمل على سفاهة و تحقير صريحين للامة الاسلامية جمعاء سلفها و خلفها و على افتراء على السنة المطهرة، فيقال له و لأشباهه الجعجاعين المتغطرسين، أين فى السنة المطهرة أنه ﷺ قال من طلق امرأته ثلاثا بلفظ واحد فهو واحدة؟ فلو استظهرتم بمبتدعة الأرض جميعاً على اثبات هذا عن النبى ﷺ لم تستطيعوا.

و قوله (و ان كانت لأجل عمر بن الخطاب فاين يقع المسكين من رسول الله ﷺ)، ازدراء صريح للفاروق الذى قال فيه النبى ﷺ: «**ان الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه**»[1] ـ أخرجه الامام احمد و الترمذى عن ابن عمر و أبو داود و الحاكم عن أبى ذر و أبو يعلى و الحاكم عن أبى هريرة و الطبرانى عن بلال و معاوية ـ و لعلماء الصحابة الذين وافقوه على وقوع الثلاث بلفظ واحد فلفظة المسكين دالة على ازدرائه باجماع الصحابة رضي الله عنهم على رأى معبوده الحرانى ان يكونوا كلهم مساكين، و قوله (ثم ایّ مسلم الى آخر الهراء) كلمة حق اريد بها باطل، و تقويم قوله يستحسن عقله، يسوغ له عقله و علمه تقديم قول صحابى الخ...، و الأحسن و الأخضر تعبيراً أن يقول لا يسوغ لأى مسلم أن يقدم قول صحابى على قول المصطفى ﷺ.

---

۱ . مسند احمد، ج۲، ص۵۳



هو في زعمه مجتهد كبير ويوجب الاجتهاد في دين الله على جميع الناس

و كل مسلم يقول بموجب هذا ـ و هو فى زعمه مجتهد كبير، و يوجب الاجتهاد فى دين الله على جميع الناس حتى الغوغاء أتباع كل ناعق و الأجلاف.

و قد ازداد الأوباش المجتهدون فى عصرناهذا كثرة، وهاهم منتشرون فى أنحاء المعمورة يفسرون كلام الله تعالى برأيهم، و ينزلون السنة المطهرة على حسب اهوائهم، و يطعنون فيها، اذا صادمت اهواءهم و لو كانت متواترة أو صحيحة، و أُسس اجتهادهم: وقاحةٌ وجه حدهُ يَفلق الصَّخر، و موضوعه و غايته: ادّعاء السلفية للتلبيس على العامة، و الطعن فى أئمة الدين و علمائه.

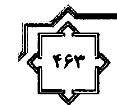
فأركان اجتهادهم ثلاثة: الوقاحة و ادعاء السلفية و الطعن فى العلماء الماضين، لا يتم و لا يكمل إلا بها، و هو بهذا الرأى الفاسد مصادم لحكمة الله تعالى فى خلقه، فانه عز و جل كما جعل الناس مختلفين فى الألوان و الألبسة جعلهم مختلفين فى الفقر و الغنى و العلم و الجهل و الصنائع و المهن، فلو جعلهم تعالى كلهم أغنياء أو فقراء أو علماء أو زراعين أو حدادين أو أو... لم يعمر الكون أبداً، و لو جعلهم تعالى كلهم مجتهدين لبطلت الآية الشريفة الدالة على سائل و مسؤول، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] و بطلت أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2] و اولوا الامر هم العلماء المجتهدون، و مصادم لسنة رسول الله ﷺ، فقد قال النبى ﷺ: **«الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى لها من سامع ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه»**[3]، و قوله ﷺ أيضاً: **«قتلوه**

---

۱. النحل: ۴۳

۲. النساء: ۸۳

۳. الضعفاء لابى نعيم، ص۴۹



قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا»[1]، و مصادم ايضاً للواقع فانه ﷺ توفى عن اكثر من مائة ألف صحابى، و العلماء المفتون منهم لا يتجاوزون العشرين.

و هذا الجمهور العظيم يرجع فى الفتوى اليهم ـ كما اعترف بذلك ابن القيم فى اول أعلام الموقعين ـ .

من زعم ان كل واحد من الصحابة كان كغيره من علمائهم في العلم فهو مفتر افاك

و من زعم ان كل واحد من هذا الجمهور كان كغيره من علمائهم فهو مفتر أفاك، و من زعم ايضاً ان علماء الصحابة كانوا يخبرون السائل بدليل مسألته من كتاب الله و سنة رسوله ـ كما ادعى هذا السخيف ـ فهو مفتر أفاك.

و من زعم ان جميع النوازل الفقهية منصوص عليها في كتاب الله و في سنة رسوله ﷺ فهو مفتر أفاك

و من زعم أيضاً ان جميع النوازل الفقهية منصوص عليها فى كتاب الله و سنة رسوله ﷺ فهو مفتر أفاك، و الاجتهاد عند علماء الاسلام قاطبة انماهو فى احكام الحلال و الحرام التى لا يوجد فيها نص فى كتاب الله و لا فى سنة رسوله ﷺ، و لذلك عرفوه بانه (بذل الوسع فى استخراج مسألة غير منصوص عليها لادخالها تحت قاعدة منصوص عليها).

أما الاقذاع و الغطرسة و السب و التكفير و التحقير لعباد الله تعالى فليس اجتهادا عند كل من له مسكة من عقل و دين و انماهو بضاعة الشيخ الحرانى ورثها منه المفتتنون به، و اجتهاد هذا النفاج متمثل فى احسن تآليفه، و هو نيل الأوطار و ارشاد الفحول، فنيل الأوطار ملخص من فتح البارى و تلخيص الحبير فى تخريج احاديث الرافعى الكبير.

---

۱ . سنن الدارقطنى، ج۱، ص۱۹۸



و الحافظ ابن حجر مؤلف هذين الكتابين، مع كونه خيراً من هذا المتشبع الجفاخ، قد عرف قدره و لم يتعد طوره، فلم يدع هذا المنصب العظيم، لعلمه بانه انما جمع كتابيه من كلام من تقدمه من العلماء، و اولئك العلماء الذين استفاد منهم هذه الثروة العظيمة كلهم من أتباع الأئمة الأربعة لم يفه اى واحد منهم بهذه الاحموقة، و هى ادعاء الاجتهاد المطلق، لعلمهم ان من تقدمهم من مشايخهم و مشايخ مشايخهم كانوا اعلم و اتقى لله منهم، و لم يرتكبها اى واحد منهم، و الذى جمعه فى اصول الفقه مضخماً اسمه زاعماً انه إرشاد الفحول، (و الفحول لا يحتاجون الى ارشاده) و انما الارشاد للحيارى، انما جمعه من كلام فحول من المقلدين للأئمة الأربعة كالآمدى و ابن الحاجب و ابن السبكى و غيرهم ممن لا يلحق هذا المتغطرس غبار أىّ واحد منهم، و ما كانوا متغطرسين و لا محتقرين لعباد الله تعالى، و قد تحقق من تعريف الاجتهاد انه ليس بكثرة الحفظ للمسائل، و لا بحكاية اقوال العلماء فى التآليف و المذاكرة و من ظن كهذا الجفاخ انه يحصل بهاتين معاً أو باحداهما، فهو جاهل جهلاً مكعباً، فتنازله و هو المجتهد الكبير عند نفسه الى نقل العلم عن المقلدين و الاحتجاج بأقوالهم فى كتابيه دليل على انحطاط رتبته عنهم بكثير، و هل ينزل من فى الثريا الى من فى الثرى؟ و هل هذا إلا عين التناقض؟

و لقد كان من اللازم لاجتهاده المزعوم ان يقَعِّده قواعد كالامام المطَّلَبى، و يستنبط من كتاب الله و سنة رسوله ﷺ فروعاً مخالفة لفروع الأئمة المتبوعين يبرهن بها على انه مجتهد بحق، و لا يحشر نفسه فى كتيبة العلماء المقلدين لهم و لا يستظل بظلهم أصلاً ولكن قد تحقق كل عاقل انه ليس عنده الا بضاعة قدوته الحرانى التكفير.



شحنه تآليفه باقوال العلماء المقلدين للأئمة الأربعة مع ادعائه الاجتهاد المطلق تناقض قبيح

فان كان مجتهداً كما زعم فكيف ساغ له تقليد المقلدين للأئمة الأربعة و الثقة بأقوالهم، و ان كان المقلدون للأئمة الأربعة كفاراً ـ فی زعمه ـ فكيف ساغت له الثقة فی دين الله تعالی باقوال الكفار، و الواثق فی دين الله بقول الكافر؟

و قد كفر الامة الاسلامية جمعاء اتباع الأئمة الأربعة و شبهها باليهود و النصاری تشبيهاً فاسداً فی تفسيره عند قوله تعالی: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ الله﴾[1].

تكفيره الأمّة الأسلامية جمعاء

فلو كان عالماً و للعلم وقار لحجزه علمه عن تكفير مسلم واحد، فضلاً عن تكفير امة بأسرها، و لو كان فی قلبه مثقال ذرة من خوف الله تعالی، لَما أقدم علی تكفير مسلم واحد، فضلاً عن تكفير امة بأسرها، و لو كان عنده حياء، «**و الحياء من الايمان**»، ما كفر مسلماً واحداً فضلاً عن تكفير أمة بأسرها، و فيها من العلماء و الفضلاء و المفسرين و المحدثين و الفقهاء و المتكلمين و الفلاسفة و الأولياء و العباد و الزهاد ما أدهش التاريخ و أنطق أعداء الاسلام بفضل الاسلام، (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقی لها بالاً يهوی بها فی النار سبعين خريفاً) و كل من قدس نفسه و اتبع هواه فلا بد أن يضل عن سبيل الله و كل من امتلأ أنانية و كبراً فلا بد ان يحتقر المسلمين (إن فی صدورهم إلا كِبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير).

---

۱ . التوبه: ۳۱



(٢) ـ و خطأ أمير المؤمنين عمر ﷺ ايضاً فی الفتوی التی زعم أنـه سـئل عنها: (أيها أفضل مكة أو المدينة فأجاب (مكة أفضل بالاجماع و كتبه أحمد بن تيمية الحنبلی)، و قد تقدم هذا فی كلام العلامة الحصنی قال: و فی هذه الفتوی رمز الی عدم الاعتداد بقول عمر ﷺ فانه من القائلين بان المدينة أفضل من مكة اهـ.

و ذكر العلامة ابن حجر الهيتمی فی فتاو اه الحديثية عن بعض العلماء المعاصرين لابن تيمية أنه سمع علی منبر جامع الجبل بالصالحية، و قد ذكر عمر بن الخطاب ﷺ فقال:

ان عمر له غلطات و بليات و أی بليات اهـ.

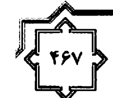
و قوله: و خطأ علياً كرم الله وجهه فی سبعة عشر موضعاً خالف فيها نص الكتاب، و نسبوه أيضاً الی النفاق لقوله هذا فی علیّ كرم الله وجهه، و لقوله ايضاً فيه الی قوله و قال: إن عثمان كان يحب المال) غير مستنكر علی من رمز الی تكفير الصديق الاكبر و جهل الفاروق و علماء الصحابة و طعن فی اجماعهم ان يقول فی حيدرة كرم الله وجهه اكثر من هذا.

و قد ذكر العلامة الهيتمی فی فتاواه الحديثية عن بعض العلماء المعاصرين لابن تيمية انه ذكر حيدرة فی مجلسه فقال:

انه أخطأ فی اكثر من ثلاثمائة موضع، و نسبة العلماء له الی النفاق مأخوذة من قوله كرم الله وجهه: «**و الذی فلق الحبة و برأ النسمة انه لعهد النبی الامی الیّ انه لا يحبنی الا مؤمن و لا يبغضنی الا منافق**»[1] ـ اخرجه الامام مسلم بن الحجاج فی صحيحه عنه ـ.

---

١. صحيح مسلم، ج١، ص٦١



و أخرج الترمذی عن أبی سعید الخدری ﷺ قال: «**كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً**»[۱] و قوله: (و الصبی لا یصح اسلامه علی قول) بهتان، و علماء الاسلام متفقون علی صحة اسلام الصبی، و لو کان صادقاً لعزاهذا القول لقائله حتی ینظر فیه، ولکنه النصب لحیدرة خصوصاً و لبنی هاشم عموماً، و سیأتی البرهان علیه فیما أستخرجه من خطله من منهاجه.

و غير مستنكر على من جهل الفاروق و علماء الصحابة و لم يبال باجماعهم في مسألة الطلاق ان يقول في الذي تستحي منه ملائكة الرحمن: انه يحب المال

و غیر مستنکر ایضاً علی من جهل الفاروق و علماء الصحابة و لم یبال باجماعهم علی ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد یقع ثلاثاً، ان یقول فی الذی تستحی منه ملائکة الرحمن انه کان یحب المال.

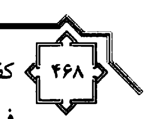
كتابه (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) لون آخر من الطعن في الخلفاء الراشدين ﷺ

و کتابه (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) لون آخر من الطعن فی الخلفاء الراشدین ﷺ و الأئمة المتبوعین ﷺ.

و کان العلامة عبدالله بن زیدان الشنقیطی یقول فیه: إنه وضع الملام لا رفعه، و من لامهم حتی یرفع الملام عنهم؟، و قد صدق ﷺ، و توضیحه ان الناس فی الصحابة ﷺ وفی من بعدهم من الأئمة المتبوعین، ثلاث طوائف، رافضة و خوارج و اهل السنة، فالرافضة کفروا الصحابة الا علیاً و أولادَه فانهم غلوا فی تقدیسهم الی درجة التألیه، و کفروا الامة الاسلامیة جمعاء، و الخوارج

---

۱ . سنن الترمذی، ج۵، ص۲۹۸



كفروا كثيراً من الصحابة و الامة الاسلامية جمعاء و قدسوا الشيخين فلا كلام في هاتين الطائفتين، و اهل السنة عوام و متعلمون، فالعوام يحترمون الصحابة و الأئمة المتبوعين، و لا شعور لهم بلوم أيّ واحد منهم أصلاً، و المتعلمون يعلمون ان الصحابة رضي الله عنهم و من بعدهم من أئمة الدين ليسوا بمعصومين من الخطأ و يعلمون ان صوابهم اكثر من خطئهم و خيرهم اكثر من شرهم و يعلمون هذه المسائل التى خطّأ فيها الخلفاء الراشدين.

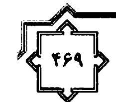
و قال في كل واحدة منها إن السنة لم تبلغه و لم يلوموهم و لم يجمعوا ذلك في كتاب و ينشروه بين العامة، تأدباً معهم، فتحقق بهذا انه هو الذى وضع الملام عليهم، و حاول رفعه بجعجعته هذه، و هيهات رفعه فان رفع الواقع محال، و لا يرفعه عنهم قوله في آحر صفحة۸: (و هؤلاء ـ يعنى الخلفاء ـ كانوا أعلم الأمة و أفقهها و أتقاها و أفضلها فمن بعدهم أنقص منهم).

ففحوى كلامه هذا أنهم ناقصون بدليل: (فمن بعدهم أنقص منهم)، و ليس العلم بكثرة الراوية، و انماهو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده ـ كما قال امام دار الهجرة ـ و هو الفهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[1].

و الغالب ان من يحفظ كثيراً يكون أقل علماً، و الخلفاء الأربعة محفوظ كلٍّ واحد منهم من السنة قليل جداً بالنسبة لحفاظ الصحابة و كل واحد منهم أعلم ممن يحفظها منهم، و هكذا يطرد فيمن بعدهم من التابعين و أتباعهم، و هلم جراً، و هذا الامام احمد بن حنبل قالوا: كان يحفظ مليوناً من الأحاديث، اى باعتبار تعدد طرقها، و كان يذعن للامام الشافعى الذى كان اقل حفظاً لها منه و يأخذ بركابه.

---

۱ . صحيح البخارى، ج۱، ص۲۶



و قد قال الامام احمد: ما من صاحب محبرة الا و للشافعی علیه منة، و کـان الامام الشافعی یقول له و للامام عبدالرحمن بن مهدی: اذا رأیتما حدیثاً صحیحا فأعلمانی به.

و کان التابعی الشهیر سلیمان بن مهـران الأعمـش أحفـظ للـسنة مـن أبـی حنیفة الذی هو من أقرانه، و قد قال مرة للامام أبی حنیفة معترفاً بفـضله: أنـتم الأطباء و نحن الصیادلة، و طلب مـن أبـی حنیفـة لما أراد الحج أن یکتـب لـه مناسکه، و قال الامام مالك لمن سأله عن الامام أبـی حنیفـة بعـد اجتماعـه بـه: (رأیت رجلاً لو استدل لك علی هذه الساریة أن تکون ذهباً لأقام علیها الحجة) و الأمثلة لهذا لا تحصی یعرفها الممارس للعلم.

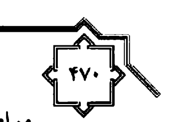
و مصداق ذلك قوله ﷺ: «**رُبَّ مبلَّغ أوعی لها من سامع و ربَّ حامِلِ فقـه الی من هو أفقه منه**».

تحقق انه لا فائدة في كتابه هذا يستفيدها العامة و لا المتعلمون سـوى تنقيصه لأئمة الدين كلهم صحابة و غيرهم

و بهذا تحقق انه لا فائدة فی کتابه هذا یستفیدها العامة و لا المتعلمون سـوی تنقیصه لأئمة الدین کلهم صحابة و غـیرهم، و اظهـار عظمتـه و کمالـه علـیهم جمیعاً للمفتونین.

و الدلیل علی هذا ما ذکره العلامة الحصنی فی: (دفع شُبَهِ من شبَّه و تمرد)، بعد ذکره تفرقة ابن تیمیة بین حیاة النبی ﷺ و موته التی أخذها عن الیهود فـی تجویزه التوسل به بدعائه فقط فی حیاته، و منعه ذلك بعد موته.

قال: و یقطع الواقف علیها أو علی بعضها بأن القائلین بالتفرقة من متغالی هل الزیغ و الزندقة، و ان ابن تیمیة الذی کان یوصـف بانـه بحـر فـی العلـم لا یستغرب فیه ما قاله بعض الأئمة عنه من انه زندیق مطلق.



و سبب قوله ذلك أنه تتبع كلامه فلم يقف له على اعتقاد حتى انه في مواضع عديدة يكفر فرقة و يضللها، و في آخر يعتقد ما قالته أو بعضه، مع أن كتبه مشحونة بالتشبيه و التجسيم، و الاشارة الى الازدراء بالنبي ﷺ و الشيخين و تكفير عبدالله بن عباس رضي الله عنهما و انه من الملحدين، و جعل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من المجرمين و انه ضال مبتدع.

ذكر ذلك في كتاب له سماه: (الصراط المستقيم و الرد على اهل الجحيم)، و قد وقفت في كلامه على المواضع التي كفر فيها الأئمة الأربعة.

و كان بعض أتباعه يقول انه أخرج زيف الأئمة الأربعة، يريد بذلك إضلال هذه الامة لأنها تابعة لهم في جميع الأقطار و الأمصار و ليس وراء ذلك زندقة اهـ.

و قوله: (و نسبوه الى الزندقة لقوله: ان النبي ﷺ لا يستغاث به)[1] تقدم تقريره بالحجج القاطعة في كلام الامام السبكي، و في كلامي.

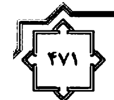
و قوله: (و نسبه قوم الى السعي في الامامة الى قوله و كان اذا حوقق) غير مستنكر هذا منه ولكن بينه و بين ابن تومرت من الفرق كما بين السماء و الأرض في كل شيء، فأفعل التفضيل لا يدخل بينهما.

و قوله: (و كان اذا حوقق و الزم الى قوله و دار بينه و بين أبي حيان كلام)، دليل على جهله وانطوائه على غرض سيء.

و لم نر و لم نسمع في التاريخ الاسلامي ان البدعي اذا ناظر سنياً فالزمه السني الحجة، قال لم أرد هذا و انما أردت كذا و يذكر احتمالاً بعيداً روغان الثعلب، فاما أن يرجع الى الحق و هم قليل و اما ان يسكت و يبقى مصراً على ضلاله.

---

۱ . مجمع الزوائد، ج۱۰، ص۱۵۹



و قد ناظر ابن عباس رضي الله عنهما الحروريين فألزمهم الحجة فافترقوا على ثلاث فرق: فرقة رجعت الى حيدرة كرم الله وجهه، و فرقة بقيت متحيرة، و فرقة صممت على الضلال و محاربة أميرالمؤمنين حيدرة كرم الله وجهه.

و ناظر أميرالمؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه صاحبى شوذب الخارجى فألزمهما الحجة فرجع احدهما الى الحق و تاب، و صمم الآخر على ضلاله.

و ناظر الامام أبوحنيفة رضي الله عنه الزنادقة فقطعهم فتابوا على يده، و ناظر أيضاً أصحاب الضحاك الخارجى فقطعهم و لم يرجعوا عن عقيدتهم، و ناظر الامام الشافعى رضي الله عنه كلاً من حفص الفرد و بشر المريسى فألزمهما الحجة و لم يرجعا عن ضلالهما، و ناظر أبومحمد الأذرمى القاضى أحمد بن أبى داود رئيس المعتزلة امام الواثق فأفحمه و لم يرجع عن عقيدته، و ناظر الامام أبو الحسن الأشعرى شيخه الجبائى فألزمه الحجة و لم يرجع عن اعتزاله، و ناظر القاضى أبوبكر الباقلانى جماعة من المعتزلة فى رؤية الله تعالى و غيرها عند الصاحب بن عبّاد فأفحمهم و لم يرجعوا عن اعتزالهم.

دليل على جهله و انطوائه على غرض سيء

و يدل على جهله و انطوائه على غرض سيء فى مراوغته للعلماء عند محاققتهم له بقوله لم أرد هذا و انما أردت كذا و يذكر احتمالاً بعيداً.

ما ذكره العلامة الحصنى فى: (دفع شُبَه من شبَّه و تمرَّد) فى آخر صفحة ٣٤ قال: ثم شرع ينظر في كلام العلماء ويعلق في مسوداته حتى ظن أنّه صار له قوة في التصنيف و المناظرة و أخذ يدوّن و يذكر أنه جاءه استفتاء من بلد كذا، و ليس لذلك حقيقة فيكتب عليها صورة الجواب و يذكر ما لا ينتقد عليه و فى بعضها ما يمكن أن ينتقد، الا أنه يشير اليه على وجه التلبيس بحيث لا يقف على مراده



الا حاذق عالم متفنن، فاذا ناظر أمكنه أن يقطع مناظره ألا ذلك المتفنن الفطن اهـ.

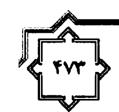
و فى صفحة٣٦ منه قال: انه يذكر فى بعض مصنفاته كلام رجل من اهل الحق و يدس فى غضونه شيئاً من معتقده الفاسد فيجرى عليه الغبى بمعرفة كلام اهل الحق فيهلك، و قد هلك بسبب ذلك خلق كثير، و أعمق من ذلك انه يذكر ان ذلك الرجل ذكر ذلك فى الكتاب الفلانى و ليس لذلك الكتاب حقيقة و إنما قصده بذلك انفضاض المجلس، و يؤكد قوله بأن يقول ما يبعد أن هذا الكتاب عند فلا ن و يسمى شخصاً بعيد المسافة، كل ذلك خديعة و مكر و تلبيس لأجل خلاص نفسه، و لا يحيق المكر السيء الا باهله اهـ.

لا تناقض عند أبي حيان في مدحه لابن تيمية اولاً و ذمه له ثانياً

و المفتتنون بالحرانى يسجلون على أبى حيان تناقضه، قالوا إنه مدح إمامهم مدحاً بليغاً، و لما جهَّل إمام النحويين سيبويه نافره و ذمه، و يفتخرون بهذا الهذيان الذى صبه قدوتهم على عمرو بن بشر: (يفشر سيبويه، و ما كان نبى النحو، و أخطأ فى الكتاب فى ثمانين موضعاً لا تفهمها أنت).

و لا تناقض عند أبى حيان، أما مدحه له اولاً فهو مبنى على تحسين الظن و على الشهرة الكاذبة التى جعلها لنفسه و نشرها له الغوغاء، و اما ذمه بعد ذلك فلما انكشف له من عقيدته و عجرفته و غطرسته.

و قد مدح عمرو بن الاهتم التميمى ابن عمه الزبرقان بن بدر عند النبى ﷺ فقال الزبرقان: يا رسول الله انه حسدنى فترك كثيراً من فضائلى فذمَّه عمر و ذماً بليغاً، و قال: و الله يا رسول ما كذبت فى الاولى و لقد صدقت فى الثانية، فقال النبى ﷺ: (ان من البيان لسحراً).



كل مائق يستطيع ان يقول لمناظره اخطأ فلان او إمامك في مائة او الف مسألة لا تفهمها انت لان الكلام لا ضريبة عليه

و قد دل هذا الهذيان على جهله و غطرسته و حمقه، فلو عقلوا لم يفتخروا به ولستروه كما تستر الهرة خرأها، إذا كل مائق يمكنه أن يقول لمناظره أخطأ إمامك فى مائة أو ألف مسألة في الفقه مثلا لا تفهمها أنت و يسفه عليه بهذا الهذيان أو بأشد منه يفشر... و ما كان إمامك نبى...

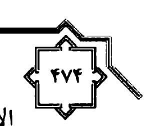
و فى استطاعة أبى حيان أن يقول له مثل هذا الهراء أو اكثر منه لأن الكلام لا ضريبة عليه ولكنه ليس بسفيه و لا متغطرس، و هو عالم بفنه العربية غير مدافع قد أخذها عنه بمصر أعيان العلماء و اعترفوا بفضله، منهم الامام أبو الحسن السبكى، و لا يلحق ابن تيمية غباره و غبارهم فيها، فلو قال قائل إن ابن تيمية لا يعرف العربية، فضلاً عن فهمه كتاب الامام سيبويه و تخطئته بدليل خطاه القبيح فى حديث: «**لا تُشَدُّ الرحال الخ...**»[1] فى حمله له على منع زيارة قبر النبى ﷺ مخالفاً للأمة الاسلامية، و غيره، و قد تقدم اظهار جهله فيه و فى غيره بالعربية، و بدليل ما ذكره التاج السبكى فى طبقاته الكبرى فى ترجمة المحدث آبى الحجاج المزى، قال انه كان بارعاً فى العربية نحواً و تصريفاً، قال: و كان الذين يقرأون عليه يلحنون فيردهم، و كان ابن تيمية يقرأ عليه فيلحن، لكان صادقاً.

قول العلامة ابن حجر الهيتمي في ابن تميمية

سئل عنه فى فتاواه الحديثية فأجاب بقوله:

---

۱ . صحيح البخارى، ج۲، ص۵٦



ابن تيمية عبد خذله الله تعالى و أضلّه و أعماه و أصمه و أذلّه و بذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله و كذب آقواله، و من أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الامام المجتهد المتفق على أمامته و جلالته و بلوغه مرتبة الاجتهاد أبی الحسن السبكی و ولده التاج و الشيخ الامام العز بن جماعة و اهل عصرهم و غيرهم من الشافعية و المالكية و الحنفية.

و لم يقصر اعتراضه على متأخرى الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب و على بن اَبی طالب ﵄، و الحاصل أن لا يقام لكلامه وزن بل يرمی فی كل وعر و حزن و يعتقد فيه انه مبتدع ضال و مضل جاهل غال، عامله الله تعالى بعدله و أجارنا من مثل طريقته و عقيدته.

و اَفاض فی ذكر أعيان من الصوفية طعن فيهم ثم قال: و لا زال يتتبع الاكابر حتى تمالأ عليه اهل عصره ففسقوه و بدعوه، بل كفره كثير منهم، و قد كتب اليه بعض أجلاء اهل عصره علماً و معرفة سنة خمس و سبعمائة:

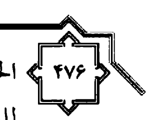
من فلان الى الشيخ الكبير العالم امام اهل عصره ـ بزعمه ـ أما بعد، فانا أحببناك فی الله زماناً، و أعرضنا عما يقال فيك اعراض الفضل إحسانا، إلى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم ما يقتضيه العقل و الحس، و هل يشك فی الليل عاقل اذا غربت الشمس؟ و انك أظهرت انك قائم بالأمر بالمعروف و النهی عن المنكر، و الله تعالى اَعلم بقصدك و نيتك، ولكن الاخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول، و ما رأينا آل أمرك الا الی هتك الأستار و الأعراض باتباع من لا يوثق بقوله من اهل الاهواء و الأغراض، فهو سائر زمانه يسب الأوصاف و الذوات و لم يقنع بسب الأحياء حتى حكم بتكفير الأموات.

و لم يكفه التعرض على من تأخر من صالحی السلف حتی تعدی الی الصدر الاول و من له أعلى المراتب فی الفضل، فيا ويح من هؤلاء خصماؤه يوم القيامه، و هيهات أن لا يناله غضب و أنی له السلامة.



و ذكر سماعه منه تخطئة الخليفتين عمر بن الخطاب و على بن ابى طالب و قد تقدم، ثم قال: فياليت شعرى من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ علىّ بزعمك كرم الله وجهه و عمر بن الخطاب؟ و الآن قد بلغ هذا الحال الى منتهاه و الأمر الى مقتضاه و لا ينفعنى الا القيام فى أمرك و دفع شركك، لأنّك قد أفرطت فى الغىّ و وصل أذاك الى كل ميت و حىّ، و تلزمنى الغيرة شرعاً لله تعالى و لرسوله و يلزم ذلك جميع المؤمنين و سائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء و هم اهل الشرع، و أرباب السيف الذين بهم الوصل و القطع، الى أن يحصل منك الكف عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين اهـ.

و قال العلامة الهيتمى بعد هذا مباشرة: و اعلم أنه خالف الناس فى مسائل نبّه عليها التاج السبكى و غيره، فمما خرق فيه الاجماع قوله فى (علىَّ الطلاق) إنه لا يقع عليه بل عليه كفارة يمين و لم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله، و أن طلاق الحائض لا يقع، و كذا الطلاق فى طهر جامع فيه، و ان الصلاة اذا تركت عمداً لا يجب قضاؤها، و ان الحائض يباح لها الطواف بالبيت و لا كفارة عليها، و أن الطلاق الثلاث يرد الى واحدة، و كان هو قبل ادعائه ذلك نقل اجماع المسلمين على خلافه، و أن المكوس حلال لمن أقطعها، و أنها اذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة و ان لم تكن باسم الزكاة و لا رسمها، و أن المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة، و ان الجنب يصلى تطوعه بالليل، و لا يؤخره الى ان يغتسل قبل الفجر و ان كان بالبلد، و أن شرط الواقف غير معتبر بل لو وقف على الشافعية صرف الى الحنفية و بالعكس و على القضاة صرف الى الصوفية فى امثال ذلك من مسائل الاصول، مسألة الحسن و القبح التزم كل ما يرد عليها، و أن مخالف الاجماع لا يكفر و لا يفسق، و ان ربنا سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون و الجاحدون علواً كبيراً محل



الحوادث تعالى الله عن ذلك و تقدس، و انه مركب تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء تعالى الله عن ذلك و تقدس، و ان القرآن محدث في ذات الله تعالى الله عن ذلك، و ان العالم قديم بالنوع و لم يزل مع الله مخلوقاً دائماً فجعله موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار تعالى الله عن ذلك.

و قوله بالجسمية و الجهة و الانتقال و أنه بقدر العرش لا أصغر و لا أكبر تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح و الكفر البراح الصريح و خذل متبعيه وشتت شمل معتقديه.

و قال إن النار تفنى، و أن الانبياء غير معصومين، و ان رسول الله ﷺ لا جاه له و لا يتوسل به، و ان انشاء السفر اليه بسبب الزيارة معصية لا تقصر الصلاة فيه و سيحرم ذلك يوم الحاجة ماسة الى شفاعته، و ان التوراة و الانجيل لم تبدل ألفاظهما و إنما بدلت معانيهما اهـ.

فان قيل ان المحدث ابن ناصر الدمشقي المتوفى سنة٨٤٢ قد ألّف مجلداً سماه: «الرد الوافر على من زعم ان من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر» دافع فيه عن ابن تيمية، و نفى عنه ما يذم به، و سرد فيه ستاً و ثمانين عالماً كل قد أطرى ابن تيمية.

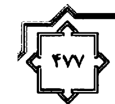
الرد الوافر لابن ناصر الدين ليس برد و هو باطل بأربعة عشر وجهاً

قلت: ليس برد فضلاً عن كونه وافراً و هو باطل بأربعة عشر وجهاً:

الأول: خلوه من الركنين الاهمين، و هما المردود عليه و موضوع الرد، و التسمية و اسم الراد لا يفيدان شيئاً.

الثاني: تركه للركنين الاهمين يدل على انه ليس بعالم و لا يعرف معنى الرد.

الثالث: سرده في صدره طبقات المعدلين و المجرحين من الصدر الاول إلى الذهبي التي هي خارجة عن موضوع كتابه يدل على ذلك.



الرابع: إطراؤه للذهبى بقوله: امام الجرح و التعديل و المعتمد عليه فى المدح و القدح، و انه كان عالما بالتفريع و التأصيل فقيهاً فى النظريات له دربة بمذاهب الأئمة و أرباب المقالات، خارج ايضا عن موضوع كتابه دال على غباوته.

وقد صدق فى امامة الذهبى ولكنها فى أحد الشقين، الجرح، و ما كان الذهبى يعرف الفروع و لا الاصول فضلاً عن كونه عالما بالتفريع و التأصيل، و ما كان يعرف مطلق النظريات فضلا عن كونه فقيهاً فيها، و ما كان له دربة بمذهب امامه المطلبى، فضلاً عن دربته بمذاهب الأئمة الآخرين، فضلاً عن دربته بمقالات أصحاب المقالات.

الخامس: ان وقف على ما قاله ابن الوردى و التاج السبكى و غيرهما فى الذهبى من انه طعن فى المعاصرين له و السابقين عليه من فحول علماء الاسلام للهوى و المخالفة فى الرأى فمدحه له تعصب ممقوت باطل و ان لم يقف عليه فمدحه له مبنى على جهل مركب و كلاهما مصيبة.

السادس: هذا العدد الذى زعم انهم مدحوا ابن تيمية و سموه شيخ الاسلام مفتعل من المفتتنين.

السابع: لو صح عنهم كلهم أنهم مدحوه و سموه بذلك لا يجديه شيئاً لأنه تحلية، و التحلية لا تكون الا بعد التخلية، فيحمل اطراؤهم له على أول أمره لما كان متستراً بالسلف متظاهراً بالتنسّك و العفة، و لما انكشف حاله رجع بعض ممن كان أطراه، فذمه كابن الزملكانى و أبى حيان، و لا يجدى ابن ناصر شيئاً لانه لا يلاقى موضوع كتابه، فكان عليه أن يذكر كلام المردود عليه الَّذى كفر به العلماء الذين سموه شيخ الاسلام، و يحلله تحليلا علميا يظهر به فساده للألباء، ثم بعد ذلك يسرد العلماء الذين سموه بذلك ان شاء.

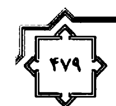
أما صنيعه هذا فهو دال على جهله مفيد للمكفر لابن تيمية و لمن على رأيه فيه، غير مفيد للذين ينتظرون و يفهمون معنى الرد، لانه ما زاد على أن قال لهم الذين كفرهم فلان لتسميتهم ابن تيمية شيخ الاسلام هم فلان و فلان الى أخرهم، فتحقق بهذا ان كتابه محشو بشيئين طبقات المعدلين و المجرمين، و أسماء الذين مدحوا ابن تيمية و لا رد فيه أصلاً فالرد في واد و هو في واد آخر.

الثامن: مماهو مفتعل قطعاً من المفتنين بالحراني ادخاله الامام ابن دقيق العيد في المثنين عليه، و هو باطل بوجهين:

الاول: ابن دقيق العيد توفي سنة ثلاث و سبعمائة، و ابن تيمية انما دخل مصر سنة خمس و سبعمائة.

الثاني: الكلام الذي زعم المفتعل مدح ابن دقيق العيد به ابن تيمية بعضه مؤداه الكفر و بعضه أقرب الى ذم ابن تيمية من مدحه مما يدل على منتهى غباوة المفتعل؛ و هاهو: (ما كنت أظن ان الله تعالى بقي يخلق مثلك) و ركاكة هذا الكلام في المبنى و فساده في المعنى يدركهما كل من له ألمام بالعلم.

و لا ريب انه صريح في تعجيز القدرة الالهية، لأن معناه نفي ظنه خلق الله تعالى مثل فلان، و نفي ظنه ذلك تعجيز للقدرة الالهية، و تعجيز القدرة الالهية كفر، فيستحيل صدور هذا الكلام من أي عالم فضلاً عن الامام ابن دقيق العيد الذي تسنم فنون العلم، و زعم المفتعل أيضاً ان ابن دقيق العيد سئل بعد انقضاء المجلس عن ابن تيمية فقال: (هو رجل حفظه) فقيل له: فهلا تكلمت معه؟ فقال: (هذا رجل يحب الكلام و أنا أحب السكوت) هذا الكلام أقرب الى ذم ابن تيمية من مدحه، لأن الحفظة معناه كثير الحفظ و لا يلزم من كثرة حفظه قوة علمه و فهمه، و الذي يحب الكلام يهذر، و المهذار يغلط كثيراً و لا بد، و الذي يحب السكوت صوابه أكثر من خطئه في العادة المستمرة، رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم.



و زعم أيضاً ان ابن دقيق العيد قال: (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد و يدع ما يريد)، و هذا باطل مستحيل صدوره من ابن دقيق العيد، فابن تيمية لا يعرف الا علم الحديث على مجازفته في الطعن في الأحاديث التي لا توافق هواه و سوء فهمه لها، و غيره من العلوم انماهو متهجم عليه.

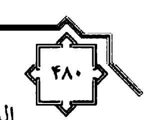
قال التاج السبكي: في طبقاته في ترجمة ابن دقيق العيد: «انه كان لا يزيد في القول لجميع الناس الكبير و الصغير الأمير والمأمور، على: (يا انسان)، ما عدا الباجي و ابن الرفعة، فأنه كان يقول للأول: يا امام و للثاني: يا فقيه».

التاسع: يكذبه (و ان لم يطلع على كتب ابن تيمية) قيام علماء دمشق عليه مراراً و أفحامهم له و تضليلهم له و تسجيل ذلك عليه الذي سارت به الركبان و اشتهر اشتهار الغزالة، فمحال جهله له فهو تيمي قطعاً.

العاشر: يكذبه أيضا ما سجله و أثبته من مصائب ابن تيمية العلامة تقي الدين الحصني في كتابه: «دفع شُبَه من شبَّه و تمرد و نسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد».

الحادي عشر: يكذبه أيضاً كتب ابن تيمية التي طبعت الآن فمن تجرد عن العاطفة و تحلى بالانصاف و طالعها كلها يجد فيها المصائب التي نسبها العلماء اليه.

الثاني عشر: المكفر كفر ابن تيمية لما اطلع على كلامه و كفر كل من سماه شيخ لاسلام، و ابن ناصر الدين اشتغل بالقشور و اهمل لباب الموضوع و روحه، و لقد كان الواجب عليه أولاً ان يذكر كلام ابن تيمية الذي كفره به المكفر، و يحلله تحليلاً علمياً يبين به فساد فهم المكفر له به بياناً شافياً و ثانيا يبين به ان الذين سموه شيخ الاسلام محقون في هذه التسمية.



الثالث عشر: المكفر لابن تيمية و لمن سماه شيخ الاسلام كان مع ابن ناصر الدين في دمشق، توطنها بعد القاهرة، و كان كلما عرض عليه كلام ابن تيمية كفره بمرأى و مسمع من ابن ناصر، فكان الواجب عليه للمدافعة عن الحرانى ان يذهب اليه و يناظره فى الكلام الذى كفر به ابن تيمية، حتى يفحمه و يبين للناس جهله و تطرفه، و هو ابن البلد و المكفر غريب طارى، عليها، و لا يطلب الطعن و النزل فى الخلأ ووراء الجدران، فعدوله عن كبح تطرفه بالمناظرة الى سرد طبقات المعدلين و سرد أسماء المادحين للحرانى الخارجين عن موضوع الكتاب دليل على جبنه و افلاسه من العلم.

الرابع عشر: لو كانت عقيدة ابن تيمية على نهج اهل الحق صحيحة مستقيمة، و كتبه خالية من التلبيس و مخالفة اهل الحق نظيفة سليمة، و مدحه اهل الأرض جميعا، ما نفعه ذلك شيئاً، لان مدحهم له لا يضمن له الصواب فى الأقوال و الاستقامة فى الأعمال و ثبات قلبه على الايمان فى سائر الأزمان و الأحوال و الخلو من الأخلاق الذميمة المردية لغير الأنبياء من الرجال، بل مدحهم له قطع عنقه بالاعجاب الذى عن عيوب نفسه أصمَّه و أعماه، و الازدراء لعباد الله الذى فى مهوى هواه أرداه.

و قد أثنى الصحابة يوم أحد على قزمان بالشجاعة فقال لهم عليه الصلاة و السلم: (انه من اهل النار)، فتعجبوا من ذلك، فلما قال لقومه لما بشروه بالجنة: (انها جنة من حرمل و قتل نفسه)[1]، تحققوا صدقه عليه الصلاة و السلام.

و قال الصحابة يوم خيبر لعبده ﷺ الذى قتل: **«هنيئاً له الجنة»**، فقال ﷺ: **«كلا ان العباءة التى غلَّها لتشتعل عليه ناراً»**[2].

---

۱ . امتاع الاسماع، ج۱۳، ص۲۶۸

۲ . صحيح البخارى، ج۵، ص۸۱، بلفظ: **«ان الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا»**



ومر ﷺ على أبى هريرة و رجل من أنصار و الرَّجّال بن عَنفُوة الحنفى فقال لهم: «**ضرس احدكم فى جهنم مثل جبل أحد**» و كان الرَّجّال قدم فى وفد بنى حنيفة فأسلم و حفظ سوراً كثيرة من القرآن، قال ابو هريرة رضي الله عنه: فما زلت أنا و صاحبى الأنصارى خائفين من قول رسول الله ﷺ حتى بلغنا ان الرَّجّال ارتد عن الاسلام و اتبع مسيلمة الكذاب[1].

المكفر لابن تيمية و لمن سماه شيخ الاسلام هو علاء الدين البخاري تلميذ العلامة السعد التفتازاني

و المكفر لابن تيمية و لمن سماه شيخ الاسلام هو علاء الدين البخارى تلميذ السعد التفتازانى المتوفى بدمشق الشام سنة احدى و أربعين و ثمانمائة.

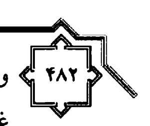
تكفير العلاء البخاري ايضا لمحي الدين ابن عربي

قال السخاوى فى (الضوء اللامع فى أعيان القرآن التاسع فى ترجمته): و كان ممن يقبح ابن عربى و يكفره و كل من يقول بمقاله و ينهى عن النظر فى كتبه، (و وصفه بالزهد و انه كانت له منزلة كبيرة عند السلطان) قال: و شرع فى ابراز ذلك ـ أى تكفير ابن عربى ـ و وافقه اكثر من حضر الا البساطى، فإنّه قال انما ينكر الناس عليه ظاهر الالفاظ التى يقولها، و الا فليس فى كلامه ما ينكر اذا حمل لفظه على معنى صحيح بضرب من التأويل، و انتشر الكلام بين الحاضرين فى ذلك.

قال شيخنا و كنت مائلاً مع العلاء، و ان من أظهر لنا كلاماً يقتضى الكفر لا نقره عليه، و كان من جملة كلام العلاء الانكار على من يعتقد الوحدة المطلقة،

---

۱. لم اعثر به



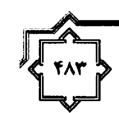
و من جملة كلام البساطى: أنتم ما تعرفون الوحدة المطلقة، فاستشاط العلاء غضباً و صاح: أنت معزول ولو لم يعزلك السلطان، ـ أى من القضاء لأن البساطى كان أحد القضاة الأربعة ـ بل قيل انه قال له صريحاً كفرت.

ثم قال السخاوى انه دار بين شيخه ابن حجر و البساطى بعض كلام (و لم يبينه)، و ان البساطى تبرأ من مقالة ابن عربى و كفر من يعتقدها، (و ذكر كلاماً كثيراً حاصله ان العلاء و ابن حجر كانت لهما منزلة عند السلطان قهرا بها البساطى).

ثم ذكر ان العلاء انتقل الى دمشق الشام فتوطنها و حصلت له بها حوادث، منها انه كان يسأل عن مقالات اين تيمية التى انفرد بها، فيجيب بما يظهر له من الخطأ فيها و ينفر عنه قلبه، الى ان استحكم أمره عنده فصرح بتبديعه ثم بتكفيره، ثم صار يصرح فى مجلسه بأن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الاسلام فهو بهذا الاطلاق كافر، و اشتهر ذلك فانتدب حافظ الشام ابن ناصر الدين لجمع كتاب سماه: «الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الاسلام كافر»، و قال فى آخر ترجمته: و كان يقول: ابن تيمية كافر، و ابن عربى كافر، اهـ.

استسمان السخاوي لكتاب ابن ناصر الدين دليل على انه مثله

و استسمان السخاوى لكتاب ابن ناصر الدين دليل على انه مثله، و من يطلع على كتابه «الضوء اللامع فى اعيان القرن التاسع» يجده قد طعن فى كل فاضل محقق، و ممن طعن فيهم شيخ الاسلام زكريا الأنصارى، و أما السيوطى فقد جرده من الفضائل و وسمه بالرذائل، و قد علم العقلاء تبريز السيوطى عليه بالتفنن فى العلوم و كثرة التآليف.

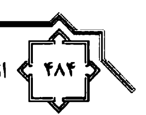


المجسمة يبيحون الكذب على مخالفيهم في العقيدة

قال العلامة تاج الدين السبكى فى «طبقاته الكبرى» فى ترجمة الحافظ احمد بن صالح المصرى: إن بعض الشافعية اجاز شهادة الخطابية على السنية بتفصيل ذكره، قال: و هو مصادم لنص الشافعى على عدم قبول الخطابية، ثم قال: و قد تزايد الحال بالخطابية، و هم المجسمة فى زماننا هذا، فصاروا يرون الكذب على مخالفيهم فى العقيدة، لا سيما القائم عليهم بكل ما يسوء فى نفسه و ماله و بلغنى ان كبيرهم استفتى فى شافعى أيشهد عليه بالكذب؟ فقال ألست تعتقد أن دمه حلال؟ قال: نعم، قال: فما دون ذلك دون دمه فاشهدوا دفع فساده عن المسلمين.

امامان ابتلاهما الله باصحابهما و هما بريئان منهم: احمد بن حنبل و جعفر الصادق

فهذه عقيدتهم و يرون انهم المسلمون و أنهم اهل السنة، و لو عدوا عدداً لما بلغ علماؤهم و لا عالم فيهم على الحقيقة مبلغاً يعتبر، و يكفرون غالب علماء الأمة ثم يعتزون الى الامام أحمد بن حنبل ﷺ، و هو منهم بريء ولكنه ـ كما قال بعض العارفين و رأيته بخط الشيخ تقى الدين بن الصلاح ـ إمامان ابتلاهما الله بأصحابهما، و هما بريئان منهم احمد بن حنبل ابتلى بالمجسمة و جعفر الصادق ابتلى بالرافضة اهـ. قلت: و ابن تيمية من المكفرين المفترين على الله الكذب و على رسوله ﷺ و على السلف الصالح و على أئمة الدين و علمائه، و على تاريخ المسلمين، و كذبه نوعان ظاهر مكشوف و هو أقل، و مبهم ملبس تحت هذه الألفاظ: السلف، و الأئمة، و طائفة، و طوائف، و اهل العلم، و



انفاق اهل العلم، و الاجماع، و قد بسط فی غیر هذا المكان، و قولان، و تنازعوا، و غیر واحد، و بعضهم، و بعض، و علی قول، و هذا أكثر، فمن افترائه المكشوف علی الله تبارك و تعالی فی كتابه العزیز و علی رسوله ﷺ فی سنته و علی السلف الصالح ما زعمه فی الرسالة الحمویة التی نقضها له العلامة احمد بن یحیی الحلبی من أن القرآن مملوء بماهو نص أو ظاهر فی انه تعالی فوق كل شیء و علی كل شیء و انه فوق العرش و انه فوق السماء، و من افترائه المكشوف علی الأئمة الأربعة و أتباعهم زعمه انهم قالوا بقوله فی ان شد الرحال لزیارة قبر النبی ﷺ بدعیة، و قصر الصلاة فیه لا یجوز و قد تقدم ابطاله بالبراهین.

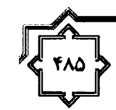
و من افترائه المكشوف للعلماء الملبس به علی العوام علی علماء الاسلام زعمه أن التوسل بجاهه ﷺ للعلماء (فیه قولان)، و قد تقدم أبطالهه بالبراهین.

و من افترائه علی الله و علی رسوله ﷺ المكشوف للعلماء الملبس به علی العوام زعمه أن التوسل المأمور به فی حقه ﷺ، هو أفعاله ﷺ و أفعال العباد، و قد تقدم إبطاله بالبراهین، و الحاصل انه كذاب فی كل ما یدعیه علی كتاب الله و علی سنة رسول الله ﷺ، و فی كل ما ینسبه للسلف و أئمة الدین و علماء الاسلام مما یوافق هواه أو یخالفه اصولاً و فروعاً، و مَن تحلی بالانصاف و طالع كتبه یظهر له صدقی ان شاء الله تعالی.

نبذة من تشبیهه الله بخلقة و تجسیمه و تعلیقي علیها

۱) قال فی منهاج السنة ج۱، ۲۱٦ و۲۱۷ما نصه:

و أما قوله لأنه لیس فی جهة، فیقال للناس فی اطلاق لفظه الجهة ثلاثة أقوال فطائفة تنفیها و طائفة تثبتها وطائفة تفصل، و هذا النزاع موجود فی المثبتة



للصفات من أصحاب الأئمة الأربعة و أمثالهم، و نـزاع اهـل الحـديث و الـسنة الخاصة فى نفى ذلك و إثباته نزاع لفظى ليس هو نزاعاً معنوياً.

و لهذا كان طائفة من أصحاب أحمد كـالتميميّين و القاضـى فـى أول قوليـه تنفيها، و طائفة اخرى اكثر منهم تثبتها و هو آخر قولى القاضى، و ذلك أن لفظ الجهة قد يراد به ماهو موجود، و قد يراد به ماهو معدوم.

و من المعلوم أن لا موجود الا الخـالق و المخلـوق، فـاذا أريـد بالجهـة أمـر موجود غير الله تعالى كان مخلوقا و الله تعالى لا يحصره و لا يحيط بـه شـىء مـن المخلوقات، و إن أريد بالجهة أمر عدمى، و هو ما فوق العالم فليس هنـاك الا الله وحده، فاذا قيل انه فى جهة كان معنى الكلام أنه هناك فوق العالم حيث انتهـت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليه.

ثم قال: (فالأشعرى و قدماء أصحابه كانوا يقولون انه بذاته فوق العرش و مع ذلك ليس بجسم، و عبدالله بن كُلَّاب و الحـارث المحاسـب و أبـو العبـاس القلانسى كانوا يقولون بذلك اهـ.

فقوله: (للناس فى اطلاق لفظ الجهة ثلاثة أقـوال): كـذب و لـيس للنـاس فيها الا قولان المثبتـون لهـا، و هـم قليلـون و النـافون لهـا و هـم جمهـور الامـة السلامية، و الطائفة المفصلة لهاهو وحده.

و قوله: (و هذا النزاع موجود فـى المثبتـة للـصفات مـن أصـحاب الأئمـة الأربعة و أمثـالهم)، بهتـان علـى أصـحاب الأئمـة الأربعـة و علـى المجهـولين (أمثالهم)، و من هؤلاء الأمثال، ألا سمىّ لنا ولو واحـداً مـنهم ان كـان صـادقا حتى ينظر فيه؟

و دعواه أن النزاع بين المثبتين لها و النافين لها نزاع لفظى باطلة بل هـو نـزاع معنوى.



و انی أتحدی کل من افتتن و أعجب بهذا الانسان ان ینقل لنا تفصیله هذا للجهة عن أیّ واحد من السلف الذین یلبس بهم علی الغوغاء و لا سبیل له الی ذلك.

و قوله: (فالأشعری و قدماء أصحابه کانوا یقولون الی آخر الهراء)، بهتان علی الأشعری و قدماء أصحابه و علی ابن کُلّاب و المحاسبی و القلانسی.

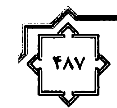
٢) و فی ص٢٤٩ منه قال: (فهو سبحانه بائن من خلقه و ما ثم موجود الا الخالق و المخلوق و اذا کان الخالق بائنا عن المخلوق امتنع أن یکون الخالق فی المخلوق و امتنع أن یکون متحیزاً بهذا الاعتبار اهـ).

زعمه ان الله تبارك و تعالی بائن من خلقه

قوله: (فهو سبحانه بائن من خلقه) فاسد، لأن البائن معناه المنفصل عن خلقه، و الشیء الذی یجوز علیه الانفصال یجوز علیه الاتصال عقلاً، فلو استظهر بجمیع مشبهة الأرض علی اثبات هذه اللفظة عن أتباع التابعین لم یستطع، فضلاً عن اثباتها عن التابعین، فضلاً عن اثباتها عن الصحابة رضي الله عنهم، فضلاً عن اثباتها عن النبی ﷺ.

و قوله: (و ما ثم موجود الا الخالق و المخلوق)، کلمة حق أرید بها باطل، و هو ان الخالق فوق المخلوق منفصل عنه.

و قوله: (و اذا کان الخالق بائنا عن المخلق امتنع أن یکون الخالق فی المخلوق)، معناه عنده و اذا کان الخالق منفصلاً عن المخلوق، أی خارجاً عنه امتنع دخول الخالق، فهو سبحانه علی رأی أشیاخه المشبهة خارج عن العالم، و ما جاز علیه الخروج عن العالم جاز علیه دخوله عقلاً.



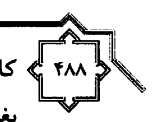
فان قالوا: خروجه و انفصاله تعالى عن العالم واجب لا جائز، قيل لهم و من أوجبه العقل أو الشرع؟ فان قالوا العقل، قيل لهم كذبتم فان العقل لا يوجب عليه تعالى خروجه عن العالم، و انما يوجب له تعالى تنزيهه عن مشابهة الحوادث.

و ان قالوا الشرع، قيل لهم: قد افتريتم عليه، فلو استظهرتم بالثقلين على اثباته له تعالى منه لم تستطيعوا، و قد زعم المشبهة ان من يعبد إلهاً لا يكون داخل العالم و لا خارجاً عنه يعبد الهاً معدوماً، و جمهور الامة الاسلامية قالوا انه تعالى لا يوصف بأنه داخل العالم و لا خارج عنه، لأن الدخول و الخروج من صفات الحوادث، فقول المشبهة أنه تعالى فوق العالم خارج عنه منطبق على الحوادث قطعاً فهو تعالى على مينهم من الحوادث و المخلوقات، نعوذ بالله تعالى من زلقات اللسان و فساد الجنان.

و قوله: (و امتنع ان يكون متحيزاً بهذا الاعتبار) فاسد أيضا، لأن المنفصل عن المخلوق لا يعقل بدون تحيز.

زعمه ان اللّه تبارك و تعالى يشار اليه برفع الايدي في الدعاء

۳) و في ص۲۵۰ منه قال: (و ان قال يستلزم أن يكون الرب يشار اليه برفع الأيدى فى الدعاء و تعرج الملائكة و الروح اليه و يعرج محمد ﷺ اليه و تنزل الملائكة من عنده و ينزل منه القرآن، و نحو ذلك من اللوازم التى نطق بها الكتاب و السنة و ما كان فى معناها، قيل له: لا نسلم انتفاء هذا اللازم، فان قال ما استلزم هذه اللوازم فهو جسم، قيل ان أردت أنه يسمى جسماً فى اللغة و الشرع فهذا باطل، و ان أردت أنه يكون جسماً مركباً من المادة و الصورة أو من الجواهر المركبة فهذا أيضاً ممنوع فى العقل، فان ماهو جسم باتفاق العقلاء



كالأجسام لا نسلم انه مركب بهذا الاعتبار، كما قد بسط فى موضعه، فما الظن بغير ذلك؟ و تمام ذلك بمعرفة البحث العقلى فى تركيب الجسم الاصطلاحى من هذا و هذا، و قد بسط فى غير هذا الموضع اهـ).

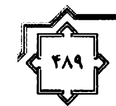
أقول: الاشارة باليد فى لغة العرب حقيقة فى المحسوسات ـ أى الاجسام ـ ، ولا أعلق على هذا الهراء و الخبط بأكثر من هذا، و انى أَكِلُ فهمه و التعليق عليه إلى العقلاء.

اثبات الحد لله تعالى، واثباته الحد لمكان الله تعالى وتقدس عن هذيانه هذا

٤) و فى ج٢ من موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ص٢٩ قال: و الله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره، و لا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية فى نفسه، ولكن يؤمن بالحد ويكل علم ذلك الى الله تعالى، و لمكانه أيضاً حد و هو على عرشه فوق سماواته فهذان حدان اثنان اهـ.

أقول: هل يتردد عاقل فى تجسيمه ربه فى هذا الهذيان دفعتين، اثباته الحد لله تعالى و اثباته الحد لمكانه تعالى و تقدس عن إفكه؟ و هل يتردد عاقل فى خبطه و تناقضه فى قوله: (له حد لا يعلمه أحد غيره الى قوله و لمكانه أيضاً حد؟) و هل هذا الا مثل: (له جسم لا يعلمه أحد غيره؟) و لا سبيل له الى اثبات الحد لله و المكان له الا من وحى الشيطان.

اما كتاب الله تعالى و سنة نبيه ﷺ و السلف الصالح و المسلمون جميعا فهم بريئون من هذا الهذيان، و اذا كان له تعالى حد و لمكانه و هو العرش حد و هو تعالى جالس عليه، و يخلى منه مقدار أربع أصابع يجلس فيه نبيه محمداً ﷺ بجانبه يوم القيامة تكرمةً له، و يزعم مشايخه ان هذا هو المقام المحمود المذكور فى الآية الشريفة، فكيف يقول لا يعلمه أحد غيره؟ فقد علموا حده من جهة



التحت و هو مماسته لسطح العرش، و كونه تعالى أصغر من العرش بمقدار أربع أصابع بل و علموا جانبيه اليمين و الشمال و لم يبق لهم مما لم يعلموه من حده تعالى الا جهة الفوق فهي التي ـ على زعمه ـ لا يعلمها أحد غيره، نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان.

و قوله: (و هو على عرشه) ـ أى جالس عليه ـ و هذا ينقض قوله: (فهو سبحانه بائن من خلقه)، لأن العرش من جملة المخلوقات و جلوسه تعالى عليه على مذهبه يناقض بينونته منه.

و قوله: (فوق سماواته) لا يخلو عن أمرين: إن أراد به أن العرش فوق سماواته تعالى فهذا من الاخبار بالواضحات لأن المسلمين يعلمون أن العرش فوق السماوات، و ان أراد به انه تعالى فوق السموات فيلزم منه أنه تعالى تحت العرش لا جالس عليه، و هذا خبط و تناقض.

و قوله: (فهذان حدان اثنان) فساد، لأنه يلزم له تعالى ـ على زعمه ـ خمسة حدود، حد لمكانه تعالى و أربعة له، التحت و الجانبان و الفوق الذى لا يعلمه أحد غيره، نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد االجنان.

الخامسة زعمه: ان كل أحد بالله و بمكانه اعلم من الجهمية تعالى و تقدس عن افكه هذا

٥) و هو فى قوله فى ص٣٠ منه: (و كل أحد بالله و بمكانه أعلم من الجهمية) أفاك جانٍ على جمهور الامة الاسلامية، و مراده بالجهمية الأشاعرة و هذا إفك ثان و نبز لطائفة عظيمة من فحول علماء الاسلام برأى جهم بن صفوان، وجهم هلك سنة ثمان و عشرين و مائة و أقبر معه رأيه الفاسد و لم يكن له أتباع، كان أقل و أذل من أن يكون له ذلك، فما يوجد كثيراً فى كلامه و فى



كلام ابن القيم من النبز بهذا اللفظ، فالمراد بهم الأشاعرة لأنهم أفحموه في المناظرة بدمشق، و لم يستطع حضور مجالسهم بالقاهرة فضلاً عن مناظرتهم، فعدل الى أساليب ظن انه يوهي بها جبالهم الشامخة، كالتكفير و انبز بالجهمية و الاقذاع و أنواع الشتم و اظهار التنسك و استمالة الامراء اليه، و لا تروج هذه الاساليب الا في سوق الغوغاء و أشباههم، و الامة الاسلامية كلها ما عدا مشايخه المجسمة، تنزه الله تبارك و تعالى عن الحد و المكان، و تقول: العجز عن ادراكه تعالى ادراك و الخوض في ذاته إشراك.

زعمه ان القرآن و السنن المستفيضة المتواترة و كلام السابقين و التابعين وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه اثبات العلو لله على عرشه

٦) و في ص١٩٤ من رسالته صفات الله و علوه عى خلقه قال: ان القرآن و السنن المستفيضة المتواترة و كلام السابقين و التابعين بل و سائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه اثبات العلو لله على عرشه بأنواع من الدلالات اهـ.

أقول: في هذا الكلام تهويل و تلبيس و مآخذ. أما التهويل و التلبيس فعلى العامة و أشباههم لأنهم اذا سمعوا أن القرآن و السنة المستفيضة وَ... وَ... الى آخر هرائه يروعهم ذلك و يؤثر فيهم، و عند عرضه على محك التحقيق يتحقق ان القرآن فيه ظواهر يتبادر منها جهة العلو لله التي يعتقدها و فيه ظواهر ضد جهة العلو و كذلك سنته عليه الصلاة و السلام و المستفيض من الأحاديث هو المشهور، و المشهور قد يكون صحيحاً و قد يكون ضعيفاً و الأحاديث المتواترة في السنة قليلة جداً، و بهذا ظهر تلبيسه و افساده لعقائد العامة المساكين بهذا الكلام المرسل جزافاً عليهما و على السابقين و التابعين و على سائر القرون الثلاثة، و لو كان صادقاً محققاً لمثل لعلو الله تعالى على عرشه بثلاثة أمثلة من



أنواع الدلالة الثلاثة المطابقة و التضمن و الالتزام من القرآن الكريم و كذلك من السنة المستفيضة، و نقل كذلك عن السابقين ـ اى الصحابة رضي الله عنهم ـ بأسانيد صحيحة و نقل عن التابعين مثل ذلك.

و نقل عن أتباعهم كذلك لينظر فى ذلك ولكنه ملبس مفتر على كتاب الله تعالى و على سنة رسوله ﷺ و على السلف الصالح و سائر القرون، والخبط و التناقض فى قوله: (بأنواع من الدلالات) ظاهران لان الدلالات الثلاث من مقدمة علم المنطق و قد حرمه.

زعم ان العقل الصريح موافق للنقل في ذلك

٧) و فى ص٢٠٠ منها، زعم ان العقل الصريح موافق للنقل فى ذلك.

٨) و فى ص٢٠٢ منها، زعم أنه لا يتصور من الصحابة و التابعين أن يعرضوا عن السؤال عن علوه على خلقه، و هم ليلاً و نهاراً يتوجهون بقلوبهم اليه و يدعونه تضرعاً و خفية الى آخر ثرثرته.

٩) و فيها فسر كلام الامام مالك فى الاستواء على مقتضى هواه و افترى عل المالكية و خاصة قدماءهم، بأنهم حكو إجماع اهل السنة و الجماعة على ان الله تبارك و تعالى فوق عرشه بذاته.

١٠) و فى ص٢١٣ منها: زعم اتفاق اهل السنة على ذلك.

١١) و فى ص٢٠٩ منها: نسب الحد لله تعالى لعبدالله بن المبارك، و هو بهتان على الامام ابن المبارك، و قال: و هو نظر صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل و اسحاق بن ر اهويه و غير واحد من الأئمة اهـ.

فقوله، و هو نظر صحيح، أى عنده و عند مشايخه المجسمة فقط، و قوله ثابت عن أحمد و ابن ر اهويه، بهتان ثان على هذين الامامين و ما كفاه البهتان



الخاص على الأئمة الثلاثة حتى ترقى فيه الى العام على الأئمة بصيغة من صيغ العموم و التلبيس التى يلجأ الى أمثالها عند مينه، (و غير واحد من الأئمة).

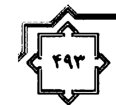
افتراؤه على الحافظ ابي نعيم

١٢) و فى ص٢١٤ منها: زعم أن الحافظ أبا نعيم الاصبهانى قال: إن الله تعالى بائن من خلقه و الخلق بائنون منه لا يحل فيهم و لا يمتزج بهم اهـ و هو بهتان على هذا الحافظ الأشعرى العقيدة.

١٣) و فى الجزء الاول من منهاج السنة ص٢٢١ قال: انه لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به، و هو متكلم بصوت يسمع، و أن نوع الكلام قديم و ان لم يجعل نفس الصوت المعين قديماً، و هو المأثور عن أئمة الحديث و السنة اهـ.

أقول: تفصيله فى كلام الله تبارك و تعالى بأن نوعه قديم، و الصوت المعين ليس بقديم هو مذهب الكرامية القائلين ان المنتظم من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذات الله تعالى لبَّسه، فقوله جزافاً و هو المأثور عن أئمة الحديث و السنة بهتان على أئمة الحديث و السنة.

١٤) و فى رأس ص٢٢٤ منه صرح أيضاً بأن القرآن حادث الآحاد قديم النوع، و زعم أنه قول أئمة أصحاب الحديث و غيرهم من أصحاب الشافعى و أحمد و سائر الطوائف، قلت: هو مذهب الكرامية زخرفه بهذا التعبير الشنيع ـ قديم النوع حادث الآحاد ـ و هو بهتان على أئمة أصحاب الحديث و من عطف عليهم، ثم قال فيها بعد كلام التزم فيه الجمع بين مذهب الأشاعرة القائلين بأنه قديم مع كونه مشتملاً على أمر و نهى، و مذهب المعتزلة القائلين بأنه حادث: فان قلتم لنا فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب قلنا لكم: نعم، و هذا قولنا الذى دل عليه الشرع و العقل، و هو بهتان على الشرع و جناية على العقل، حمله و دله عليه الشيطان.



ثم قال فيها أيضا بعد ثرثرة: و قد أخذنا بها فى قول كل من الطائفتين من الصواب وعدلنا عما يرده الشرع و العقل، من قول كل منهما، فاذا قالوا لنا فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به، قلنا: و من أنكر هذا قبلكم من السلف و الأئمة و نصوص القرآن و السنة تتضمن ذلك مع صريح العقل؟ و هو قول لازم لجميع الطوائف اهـ.

فقوله: فاذا قالوا لنا فهذا ـ أى قدم كلامه تعالى بالنوع و حدوثه بالآحاد ـ يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به تعالى فى الجواب، قلنا: و من أنكر هذا قبلكم من السلف و الأئمة الى آخر الهراء؟ فاسد من أربعة أوجه:

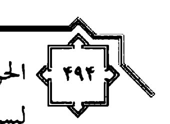
الاول: عدم انكار السلف و الأئمة له مفرع عن خوضهم فيه و إقرارهم له، و خوضهم فيه و إقرارهم له لم يقع منهم أصلاً، فعدم انكارهم له لم يقع أصلاً لعدم خوضهم فيه، فهو ملبس مفتر على السلف و الأئمة.

الثانى: افتراؤه على كتاب الله تعالى و سنة رسوله ﷺ بأن نصوصهما تتضمن ذلك، فلو كان صادقاً محققاً لمثل من القرآن بآية واحدة تتضمن رأيه الفاسد، و من السنة بحديث واحد كذلك، ولكن قد تحققنا دأبه و هو التلبيس و إرسال الكلام جزافاً.

الثالث: (صريح العقل فى ذلك) و صدق ولكن عقله فقط.

الرابع: زعمه أنه قول لازم لجميع الطوائف، و الطوائف الذين خاضوا فى كلامه تعالى أربع:

الأشاعرة و المعتزلة و الحنابلة و الكرامية، فاتفق الأشاعرة مع الماتريدية، و الحنابلة و الكرامية، على أنه صفة لله تعالى قديمة قائمة بذاته تعالى، إلا أن الأشاعرة و الماتريدية قالوا: إن الصفة القديمة القائمة به تعالى هى الكلام النفسى، و اتفق المعتزلة و الحنابلة و الكرامية على انكار الكلام النفسى الذى ذهب اليه الأشاعرة و الماتريدية، و قالوا: لا معنى للكلام الا المنتظم من



الحروف المسموعة الدال على المعانى المقصودة، إلا أن المعتزلة قالوا: القرآن ليس بصفة لله قائمة بذاته تعالى و لا بقديم، بل هو مخلوق و قطعوا بأنه المنتظم من الحروف و أنه حادث و الحادث لا يقوم بذات الله تعالى، و معنى كونه تعالى متكلماً عندهم انه خلق الكلام فى بعض الأجسام، و عليه فالزامهم بقيام الحوادث بذاته جل و علا جهل فادح بمذهبهم، و إنما يلزم مشايخه الحنابلة و الحشوية وحدهم القائلين بأن الأصوات و الحروف مع تواليها و ترتب بعضها على بعض و كون الحرف الثانى من كل كلمة مسبوقاً بالحرف المتقدم عليه، كانت ثابتة فى الأزل قائمة بذات البارى تعالى و تقدس و أن المسموع من أصوات القراء و المرئى من أسطر الكتاب نفس كلام الله تعالى.

و كفى شاهداً على جهلهم ما نقل عن بعضهم ان جلد المصحف و غلافه أزليان، و عن بعضهم أن الجسم الذى كتب به الفرقان فانتظم حروفاً و رقوما هو بعينه كلام الله تعالى، و قد صار قديما بعدما كان حادثاً، و الكرامية قد صرحوا بقيام الحوادث به جل و علا حيث ذهبوا الى ان المنتظم من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذات الله تعالى، و أنه قول الله تعالى كلامه، و انما كلامه قدرته على التكلم و هو قديم، و قوله: حادث لا محدث، و فرقوا بينهما بأن كل ماله ابتداء ان كان قائماً بالذات فهو حادث بالقدرة غير محدث، و ان كان مبايناً للذات فهو محدث بقوله كن لا بالقدرة.

فالزامهم بما صرحوا به عبث و تضليل، و ابن المطهر الذى رد عليه بمنهاجه علاوة على كونه رافضياً إمامياً معتزلى العقيدة لا اعتبار للحنابلة و الكرامية عنده و عند مشايخه المعتزلة، إنما ذكر اعتراض المعتزلة على الأشاعرة فى اثباتهم الكلام النفسى القديم القائم بذات الله تبارك و تعالى مع كونه أمراً و نهياً و خبراً.

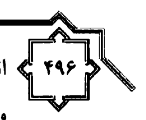


و يستحيل في الأزل أمر المعدوم و نهيه و إخباره، و لما عجز هذا المفتتن بـه عن الجواب ثرثر و خبط عشواء، و لم تخرج به مطية جهلـه مـن وجـل الكراميـة فصرح بدون حياء بأن كلامه تعالى: (قديم بالنوع حادث بالجزئيات و أنه تعالى محل الحوادث) ـ تعالى و تنزه عن هذه الشنعاء ـ و أعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان.

فلو استظهر بالثقلين معاً على اثبات أن كلامه تعالى: (قديم النـوع حـادث الآحاد و ان الحوادث تقوم به تعالى) عن السلف الذين يلبس بهم على الغوغاء و أشباههم لم يظفر بذلك.

و قد أجاب الأشاعرة المعتزلة عن اعتراضهم هذا بقولهم: كلام الله الأزلـى صفة واحدة لا تكثر فيها كسائر صفات المعاني، و تنوعه الى أمر و نهى و خبر و غير ذلك أمر اعتبارى حاصل بحسب المتعلقات المختلفة، و لا يتكثر الكلام فى نفسه بكثرة متعلقاته كما لا يتكثر العلم و غـيره بكثـرة متعلقـاتها، فمـن حيـث تعلقه بشيء على وجه الاقتضاء لفعله يسمى أمراً أو لتركه يسمى نهياً، أو علـى وجه الاعلام به يسمى خبراً و هكذا، و اختلفوا هل هذه الامور الاعتبارية أزلية و ان لم يكن فيه مأمور و لا منهى و لا مخبر؟ لأن الله تعالى عالم بأنه سيوجد فـيما لا يزال فهى مُنَزَّلَة مَنزِلَةَ الموجود فيه و عليه الأكثر، أو انها يتنوع الكلام الى هذه الأنواع فيما لا يزال عند وجود من تتعلق به فيكون التنوع حادثاً مع قدم المشترك بين تلك الأنواع لأنها ليست أنواعاً حقيقية.

و قال الأشاعرة و الماتريدية فى تعريفه: إنه تعالى متكلم بكـلام أزلـى بـاق أبدى قديم قائم بذاته لا يفارقهـا منـاف للـسكوت و الآفـة لـيس بحـرف و لا صوت هو به تعالى طالب لفعل أو ترك مخبر لعباده بما كان و بـما يكـون بالنـسبة الى وقت وجودهم، و ثبوته بالسمع دون العقل، و لم يـرد الـسمع بالتعـدد بـل



انعقد الاجماع على نفى كلام ثان قديم، و لم يمتنع التكلم بالأمر و النهى و الخبر و غيرها بكلام واحد، فقالوا إنه واحد يتعلق بجميع المتعلقات كما فى سائر الصفات و ان كانت العقول قاصرة عن ادراك كنه هذا المعنى.

و احتجوا على اثباته فى الشاهد بأن الآمر و الناهى يجد فى نفسه حالة أمره و نهيه طلباً جازماً بالضرورة و يدل عليه بالعبارات المختلفة، و ما يعرض له الاختلاف مغاير لما لا يعرض له الاختلاف، و لأن العبارات بالجعل و المواضعة و التوقيف، و ما فى النفس حقيقية عقلية ليست بالجعل و التوقيف.

و اذا ثبت أن لنا قولاً نفسياً فتسميته كلاماً مأخوذة من موارد اللغة قال الله سبحانه و تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾[1] و قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[2]، لم يكذبهم بالنسبة الى القول بألسنتهم و إنما كذّبهم بالنسبة الى ما تجنه قلوبهم و التكذيب مختص بالكلام.

و قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مخبراً عن يوم السقيفة: (زورت فى نفسى كلاماً) و قال الشاعر:

ان الكلام لفى الفؤاد و انما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

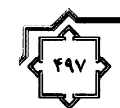
و اطلاق السلف على كلام الله تعالى أنه محفوظ فى الصدور و مقروء بالألسنة و مكتوب فى المصاحف لا يصح حمله على الحلول لاستحالته، و إنما لما كانت هذه الأشياء دالة على كلامه تعالى أطلق عليها كلامه منه باب تسمية الدال باسم مدلوله، و أطلق عليه أنه موجود فيها ـ أى فهماً و علماً لا حلولاً ـ.

و اجترأت المعتزلة على اطلاق أن القرآن مخلوق.

---

١ . المجادله: ٨

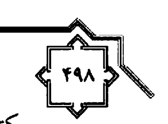
٢ . المنافقون: ١



قال العلامة السعد: و لم يتوارد اثباتهم و نفينا على محل واحد بل نفينا المخلوقية مبنى على اثبات الكلام النفسى، و إثباتهم المخلوقية مبنى على نفيهم الكلام النفسى، فنحن لا نقول بقدم الألفاظ و الحروف بل بقدم النفسى القائم بذاته تعالى، فالقرآن إن اريد به الكلام النفسى فغير مخلوق، و ان اريد به الألفاظ فلا نطلق انه مخلوق الا عند البيان لا فى كل مقام لئلا يذهب الوهم الى القائم بالذات العلية و هم لا يقولون بحدوث كلام نفسى اذ لم يثبتوه أصلاً، فلم يبق عندهم إطلاق القرآن الا على الألفاظ و هى حادثة فأطلقوا أن القرآن حادث إذ لا محذور عندهم و لا ايهام.

و دليلنا إجماع الامة و تواتر النقل عن الانبياء عليهم الصلاة و السلام أنه تعالى متكلم و لا معنى له سوى أنه متصف بالكلام لا خالق له و يمتنع قيام اللفظ الحادث بذاته تعالى، فيتعين النفسى القديم، و أما استدلالهم على المخلوقية بأن القرآن متصف بماهو من صفات المخلوق و سمات الحدوث من التأليف و الانزال و كونه عربياً مسموعاً فصيحاً معجزاً الى غير ذلك، فانما يقوم حجة على الحنابلة لا علينا، لأنا قائلون بحدوث النظم و انما نفينا المخلوقية عن المعنى القديم اهـ.

و من أقوى شبه المعتزلة قولهم انكم متفقون معنا على أن القرآن اسم لما نقل الينا بين دفتى المصحف تواتراً و هذا يستلزم كونه مكتوباً فى المصاحف مقروءاً بالألسن مسموعا بالآذان محفوظاً فى الصدور، و هذه سمات الحدوث بالضرورة. أجاب أئمتنا بأن اعترافنا بانه مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروء بالالسنة مسموع بالآذان لا يستلزم حلوله فيها، بل هو معنى قديم يلفظ و يسمع بالنظم الدال عليه و يحفظ بالألفاظ المتخيلة فى الذهن و يكتب بأشكال الحروف الدالة عليه.



كما يقال النار جوهر محرق فيذكر باللفظ و يسمع بالآذان و يعرف بالقلب و يكتب بالقلم، و لا يلزم كون حقيقة النار حالة فى شىء من ذلك، و تحقيقه ان للشىء وجوداً فى الأعيان، و وجوداً فى الأذهان، و وجوداً فى العبارة و وجوداً فى الكتابة فالكتابة تدل على العبارة و هى على ما فى الأذهان، و هو على ما فى الأعيان، فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم ـ كما فى قولنا القرآن غير مخلوق ـ فالمراد حقيقته الموجودة فى الخارج، أعنى المعنى النفسى القائم بالذات العلية، و حيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات و المحدثات يراد به الألفاظ المنطوقة المسموعة كما فى حديث: «**ما أذن الله لشىء كاذنه لنبى حَسَن الترنم يتغنى بالقرآن**»[1] أو المتخيلة، كما فى قوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾[2] و كحديث أحمد و غيره: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**»[3]، أو الأشكال المنقوشة كحديث الطبرانى فى الكبير:

«**لا يمس القرآن الا طاهر**»[4] و حديث: «**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو**»[5] و الحاصل ان القرآن يطلق على ثلاثة معان:

الاول: كلام الله القائم بذاته تعالى.

و الثانى: اللفظ المنزل على رسول الله ﷺ.

و الثالث: قراءتنا.

---

١ . صحيح مسلم، ج٢، ص١٩٢

٢ . العنكبوت: ٤٩

٣ . مسند احمد، ج٦، ص٤٤٦

٤ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢٤٢

٥ . التمهيد لابن عبد البر، ج١٥، ص٢٥٤



فالأول: يستحيل خلقه عقلا.

و الثانى: يحرم اطلاق المخلوق عليه شرعاً لا عقلاً.

و الثالث: يجوز إطلاق المخلوق عليه شرعاً عند المحققين.

فألفاظ القرآن محدثة و مدلولاتها قسمان:

مفرد: و هو قسمان أيضاً، ما يرجع الى ذات الله العلى و صَفاته كمدلول (الله العظيم السميع البصير و نحوه) و هذا قديم، و ما لا يرجع الى ما ذكر و هو محدث كمدلول (فرعون و هامان و السموات و الأرض و الجبال و غير ذلك) و إسنادات و هى قسمان أيضاً إنشاءات و حكايات، فالاسنادات الانشاءات الغير الصادرة من الحادث كلها قديمة سواء كانت مدلولاً للفظ الخبر أم للفظ الأمر أو النهى أم غيره، إذ هى قائمة بذاته تعالى و هى فى نفسها صفة واحدة ترجع الى الكلام و تعددها انماهو بحسب تعلقاتها، و المدلولات التى هى حكايات قسمان حكاية عن الله تعالى، و حكاية عن غيره.

فالاول نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ﴾[1] فالحكاية و المحكى فى هذا قديمان، أى الاسناد الواقع فيهما قديم.

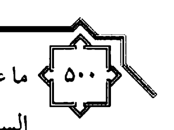
و الثانى نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾[2] الآية و الحكاية فى هذا قديمة، أى الاسناد الواقع فيها قديم لأنها خبر الله عن المحكى، وأما المحكى فهو محدث، أى الاسناد الواقع فيه محدث، فانه اسناد محدث واسناد المحدث محدث، بخلاف الاسناد فى أول فانه وقع من الله تعالى فهو قديم، و مدلولات المفردات فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ﴾[3] كلها

---

١ . البقره: ٣٤

٢ . نوح: ٢٦

٣ . البقره: ٣٤



ما عدا الرب و قوله، حادثة، و إسناد القول للرب قديم، و كذا إسناد طلب السجود لآدم من الملائكة قديم أيضا.

فالاسناد التى اشتملت عليه الحكاية، و كذا إسناد المحكى قديمان، و المفردان فى الحكاية المسند و المسند اليه قديمان أيضاً، و الثانى حادث، أى فالمفردان فى الثانى حادثان.

و مدلولات المفردات فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾[1] ما عدا رب و ضميره فى (تذر)، و هى (نوح و قوله)، و مدلولات (لا تذر) و هو اهلاك الكفار كلها حادثة و إسناد قائلية هذا القول لنوح عليه الصلاة و السلام قديم، و إسناد طلب الاهلاك من الله تعالى حادث، لأن الأول كلام الله تعالى، و الثانى إسناد نوح عليه الصلاة و السلام، و مدلولات المفردات فى قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾[2] قديمة و هى الله، و العلم، و ضمير الله، و كذا إثبات العلم لله و هو النفسى، و مدلولات المفردات فى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3] حادثة، و هى ذواتنا التى هى مدلول انتم، والواو.

و جهلنا الذى هو مدلول (لا تعلمون) و اثبات الجهل لنا قديم قائم بذاته تعالى، و كذا أقيمو الصلاة مدلولات مفرداته الثلاثة إقامة الصلاة التى هى وصفنا، و مدلول الواو، و الصلاة، كلها حادثة، و إسناد طلب الصلاة منهم الى الله تعالى قديم. و مباحث الكلام كثيرة دقيقة و لأجلها سمى (علم التوحيد) كله باسمه.

---

١ . نوح: ٢٦

٢و٣ . البقره: ٢٣٢



زعمه ان الحروف في كتاب الله تعالى وفي الكتب المنزلة ليست مخلوقة

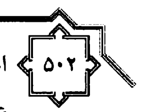
١٥) و فى ص٤٥ من رسالته مذهب السلف القويم، فى تحقيق مسألة كلام الكريم قال: و ما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه فلا تكون الحروف التى هى معانى اسماء الله الحسنى و كتبه المنزلة مخلوقة لأن الله تكلم بها اهـ.

فقوله: (و ما تكلّم الله به فهو قائم به ليس مخلوقاً) يمكن تطبيقه على الكلام النفسى الذى قال به الأشاعرة و الماتريدية لولا تفسيره له و ايضاحه بقوله: (منفصلاً عنه الى آخر الهراء).

و معنى هذه الثرثرة الملبسة على مذهبه: كلام الله القائم بذاته الغير المخلوق و لا المنفصل عن ذاته هو حروف القرآن و حروف الكتب المنزلة على انبيائه، و هو فاسد لأن الحروف فى القرآن و فى جميع الكتب المنزلة على انبيائه جل و علا ليست قائمة بذاته جل و علا، و ما ليس قائما بذاته جل و علا فهو مخلوق حادث.

فالحروف مخلوقة حادثة، و لأن كلامه تعالى لو تركب من الحروف و الأصوات لكان حادثاً ضرورة استحالة اجتماع حرفين فأكثر فى محل واحد، فلا توجد الحروف فى محل واحد بل ينعدم سابقها و يتجدد لاحقها، و كل ما سبق وجود عدمه أو طرأ على وجوده عدمه فهو حادث، فالحروف و الأصوات لا تكون إلا حادثة أبداً.

فكلام الله تعالى ليس بحرف و لا صوت، فيا أولى التشبيه و التجسيم، الحاء فى الرحمن قبل الميم و يلزمه و مشائخه الحنابلة القائلين: كلام الله القديم القائم بذاته جل و علا الغير المخلوق و لا المنفصل عن ذاته هو المنتظم من

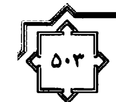


الحروف المسموعة الموجود بين دفتي المصحف و في جميع الكتب السماوية المنزلة على أنبيائه، لوازم كثيرة فاسدة لا يمكنهم الجواب عنها، منها أن المتصل بذاته جل و علا لا يعقل إلا جسماً، كما ان المنفصل عنها كذلك، و منها لا تعقل الحروف المتعاقبة الا حادثة مخلوقة، و منها التلاوة و الكتابة لا يعقلان الا حادثتين مخلوقتين، و منها لا يعقل فيها يحمل و يخاف من أخذ العدو الكافر له الا الحدوث و عدم اتصاله بذات الله عز و جل، و منها لا يعقل في كلام الله القديم القائم بذاته جل و علا المتصل بها، أن يحرق أو يمزق، و قد أحرق أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ جميع الصحف المكتوب فيها القرآن لما كتب المصاحف الخمسة، و مزق و داس بالأقدام آلاف المصاحف المكتوب فيها القرآن، التتار و غيرهم من الكفار.

انه لا يقول كلم الله موسى بكلام قديم و لا بكلام مخلوق بل هو سبحانه يتكلم اذا شاء ويسكت اذا شاء

١٦) و في الجزء الاول من فتاواه ص٢٥٥ و٢٥٦ قال بعد ثرثرة تتعلق بكلام الله: و نحن لا نقول كلم موسى بكلام قديم و لا بكلام مخلوق، بل هو سبحانه يتكلم اذا شاء ويسكت اذا شاء كما انه سبحانه و تعالى «خلق السموات و الأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش»[1]، و ثرثر أيضا ثم قال: و ما كان قائما بنفسه هو كلامه لا كلام غيره و المخلوق لا يكون قائماً بالخالق و لا يكون الرب محلاً للمخلوقات، بل هو سبحانه يقوم به ماشاء من كلماته و أفعاله و ليس من ذلك شيء مخلوقاً، انما المخلوق ما كان بائناً عنه، و كلام الله من الله ليس بائن منه اهـ.

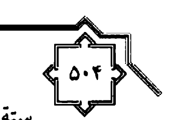
١ . الاعراف: ٥٤



فقوله: (و نحن لا نقول كلم موسى بكلام قديم و لا بكلام مخلوق)، مجمل ملبس بيّنه سابقاً فى قوله ان كلام الله تعالى (قديم النوع حادث الآحاد، و ان الحوادث تقوم به) جل و علا، فشرع هذا الهراء على رأيه: نحن لا نقول كلم الله موسى بكلام قديم على الاطلاق، و لا بكلام مخلوق على الاطلاق.

و قوله: (بل هو سبحانه يتكلم اذا شاء ويسكت اذا شاء) تشبيه صريح لربه بالمخلوقات و لا معنى للسكوت الا انعدام الكلام، فان كان قبل وجود الكلام لزم سبق العدم عليه، و سبق العدم عليه نفى لقدمه و إثبات لحدوثه، و ان كان بعد وجود الكلام فقد طرأ عليه العدم، و طروء العدم عليه ينفى بقاءه، و اذا انتفى البقاء انتفى القدم، لأن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه، فالسكوت يستلزم عدم الكلام السابق و تجدد الكلام اللاحق، فيكون اللاحق حادثا بغير واسطة، و السابق حادثا بواسطة ان ما لحقه العدم لزم أن يسبقه العدم، و اذا لزم من السكوت حدوث الكلام لزم منه حدوث الذات الموصوف به، لأن قيام الحادث بشيء يوجب حدوث ذلك الشيء، و دعوى الاتصاف بذلك لمن تنزه عن الحدوث فى ذاته و جميع صفاته سبحانه و تعالى، كفر لا محالة.

و ليس معنى كلام الله موسى، عند الاشاعرة و الماتريدية، انه ابتدأ الكلام له بعد سكوته و لا انه بعد كلامه سكت، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و انما معناه أنه سبحانه و تعالى تفضل على موسى عليه الصلاة و السلام بازالة مانع موسى و تقويته حتى سمع كلامه تعالى القديم المنزه عن جميع صفات كلام الحادثين ثم منعه ورده الى ما كان عليه قبل، و هذا معنى كلامه تعالى لاهل الجنة، و هذا الذى نقل عن السلف و درج عليه الخلف و دلت عليه السنة و القرآن الكريم.



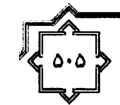
فالتنظير فى قوله: كما أنه سبحانه و تعالى خلق السموات و الأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش، فاسد لبنائه على هذه الشنعاء، يعنى أنه تعالى مثل المخلوقين فى كونه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء، كما أنه مثلهم فى ترتب الأفعال الصادرة عنه، فقد خلق السموات و الأرض فى ستة أيام ثم بعد فراغه من خلقهما جلس على العرش ـ نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان ـ.

و قوله: (و ما كان قائماً بنفسه هو كلامه لا كلام غيره) يحتمل المذهبين؛ مذهب الأشاعرة القائلين: كلام الله صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف و لا صوت، و مذهب الحنابلة القائلين: كلام الله تعالى القديم هو المنتظم من الحروف المسموعة الموجود بين دفتى المصحف و فى جميع الكتب السماوية المنزلة على انبيائه و هذاهو مراده.

و قوله: (و المخلوق لا يكون قائماً بالخالق و لا يكون الرب محلاً للمخلوقات)، صحيح مناقض لقوله سابقاً (بقيام الحوادث بذاته) جل و علا، هكذا دأب هذا المفتون يقول الشيء فى محل من تآليفه و ينقضه فى محل آخر.

و قوله: (بل هو سبحانه يقوم به ما شاء من كلاماته و افعاله و ليس من ذلك شيء مخلوق)، باطل لأن الكلمات جمع كلمة و الكلمة مركبة من الحروف، و الحروف يستحيل قيامها بذاته جل و علا عند اهل الحق، كما يستحيل قيام أفعاله جل و علا بذاته، و انما تقوم الحروف بذاته جل و علا عند مشايخه الحنابلة القائلين بقدمها، و قد تقدم ابطال مذهبهم.

و قوله: (انما المخلوق ما كان بائناً عنه، و كلام الله من الله ليس ببائن منه)، مكرر مع ما سبق و يقال فى البائن عنه تعالى، أى المنفصل عنه تعالى: ما جاز عليه الانفصال جاز عليه الاتصال عقلاً و فيما ليس ببائن أى منفصل عنه تعالى: ما جاز عليه الاتصال جاز عليه الانفصال عقلاً، و لا يعقل فيما يجوز عليه الانفصال و الاتصال بذات الله تعالى الا كونه جسما.



فحروف القرآن و جميع الكتب المنزلة على رسل الله أجسام، يجوز عليها ما يجوز على الأجسام و يأتى هنا جميع اللوازم الفاسدة التى تلزم الحنابلة فى قولهم بقدم الألفاظ و الحروف و قد تقدم سرد بعض منها، و لا يستطيعون الجواب عنها.

زعم ان ثم طائفة كثيرة تقول انه تعالى تقوم به الحوادث و تزول و انه تعالى كلم موسى عليه الصلاة و السلام بصوت و ذلك الصوت عدم

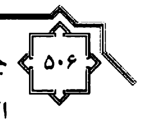
١٧) و فى ص٢١ من كتابه الفرقان قال: (و ثم طائفة كثيرة تقول إنه تعالى تقوم به الحوادث و تزول و أنه تعالى كلم موسى عليه الصلاة و السلام بصوت و ذلك الصوت عدم، و هذا مذهب أئمة السنة و الحديث من السلف و غيرهم اهـ).

أقول: الطائفة الكثيرة التى قالت هذا الهراء هم مشايخه الكرامية، و هم أقل من القليل و أذل من كل ذليل بالنسبة للامة الاسلامية التى لم تقله، هكذا يضطرب هذا المفتون فى عقيدته بين الحنابلة و الكرامية.

و قوله: (و هذا مذهب أئمة السنة و الحديث من السلف و غيرهم)، بهتان و إفك مبين على أئمة السنة و الحديث من السلف و غيرهم.

زعم أن جمهور اهل السنة يقولون انه تبارك وتعالى ينزل ولايخلو منه العرش

١٨) و فى ج١، ص٢٦٢ من منهاج السنة قال: جمهور اهل السنة يقولون أنه تبارك و تعالى ينزل و لا يخلو منه العرش، و زعم أن ذلك منقول عن اسحاق بن راهويه و حماد بن زيد و غيرهما، و عن الامام أحمد و هو مفتر أفاك على



جمهور اهل السنة و على اسحاق بن ر اهويه و حماد بن زيد و على غيرهما و على الامام أحمد.

قال القرطبي في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾[1]، بعد ذكره حديث النزول و ما قيل فيه ما نصه:

و أولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة و أبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

«**ان الله عز و جل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً فيقول هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟**»[2] ـ صححه أبو محمد عبد الحق ـ، و هو يرفع الاشكال و يوضح كل احتمال، و ان الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل ملك ربنا فيقول الخ... و قد روى يُنزل بضم الياء و هو يبين ما ذكرنا اهـ.

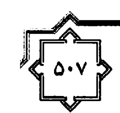
و قال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب (التهجد) ما نصه: استدل به من أثبت الجهة و قال هي جهة العلو، و أنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي الى التحيز، تعالى الله عن ذلك، و قد اختلف في معنى النزول على أقوال و أفاض في ذكرها ثم قال و قد حكى أبوبكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً، و يقويه ما رو اه السنائي من طريق الأغرّ عن أبي هريرة و أبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: «**ان الله يمهل حتى يمضى شطر الليل ثم يأمر يقول هل من داع فيستجاب له؟ ـ الحديث ـ**».

و في حديث عثمان بن أبي العاص: «**ينادى مناد هل من داع يستجاب له؟ ـ الحديث ـ**» قال القرطبي: و بهذا يرتفع الاشكال اه.

---

١ . آل عمران: ١٧

٢ . السنن الكبرى للنسائي، ج٦، ص١٢٤



زعم ان جمهور الخلف على ان الله تعالى فوق العالم

١٩) و في آخر هذه الصحيفة زعم: (ان جمهور الخلف على ان الله تعالى فوق العالم) و هو كذاب أشر على أيّ واحد من الخلف سواه فضلاً عن جمهورهم، كما هو كذاب أشر على السلف في كل ما ينسبه اليهم من العقائد.

حوادث لا أول لها

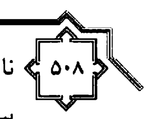
٢٠) قوله: بحوادث لا أول لها فهمه من رواية البخارى فى كتاب التوحيد: «كان الله ولم يكن شيء قبله»[١]، قال الحافظ ابن حجر فى فتحه: تقدم فى بدء الخلق بلفظ «و لم يكن شيء غيره»[٢]، و فى رواية أبى معاوية: «كان الله قبل كل شيء»[٣] و هو بمعنى: «كان الله و لا شيء معه»، و هى أصرح فى الرد على من أثبت (حوادث لا أول لها) من رواية الباب، و هى من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية اهـ.

هذه عشرون مسألة بينت مواضعها دالة على جهله باصول الدين و فساد عقيدته فيه بالتشبيه و التجسيم و غيرهما، كافية فى ضلاله كلًّ من نور الله بصيرته، و من عميت بصيرته فأفتتن به كالسَّرَّمَرِّى، و اليافعى اللذين هجوا الامام السبكى، لا تفيده جميع الكتب السماوية.

طعن ابن تيمية في منهاجه في كل ما فيه منقبة لحيدرة كرم الله وجهه و جنايته و افتراؤه على تاريخ المسلمين

كل من تحلّى بالانصاف و له المام بالعلم اذا طالع منهاج ابن تيمية يجزم بأنه

١ . صحيح البخارى، ج٨، ص١٧٥
٢ . المصدر نفسه، ج٤، ص٧٣
٣ . فتح البارى، ج١٣، ص٣٤٦



ناصبى و يمكنه أن يستخرج منه مجلداً ضخماً فى طعن من لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق، بالطرق الشيطانية و البهتان.

قال العلامة السيد علوى بن طاهر الحداد فى الجزء الثانى من كتابه (القول الفصل، فيما لبنى هاشم من الفضل) ما نصه: و فى منهاجه من السب و الذم الموجه المورد فى قالب المعاريض و مقدمات الأدلة فى أميرالمؤمنين على و الزهراء البتول و الحسنين و ذريتهم ما تقشعر منه الجلود و ترجف له القلوب و لا سبب لعكوف النواصب و الخوارج على كتابه المذكور الا كونه يضرب على أوتارهم و يتردد على أطلالهم و آثارهم، فكن منه و منهم على حذر.

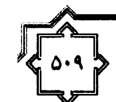
الحقيقة أنّه مفلس من أدلّة اهل السّنة

و من عيوبه أنه كثيراً ما يرد على الامامية بأدلة الخوارج و النواصب، و كان فى غنى عنها بأدلة اهل السنة فما فائدة ايرادها إذاً اللهم إلا ان كان يتلذذ فى نفسه بما فيها من الطعن على أميرالمؤمنين على كرم الله وجهه و سبه، أو يحاول بها ايقاع الشبه فى القلوب و تزيين مذهب النصب و الدعوة اليه، و ذلك أن تلك الأدلة ان كانت فى نفسها صحيحة بطل بها مذهب الامامية و مذهب اهل السنة جميعاً، و ان كانت باطلة كان استدلاله بها باطلاً، و قد رأيته شنع فى بعض كتبه على من يحتج بما يعتقد بطلانه، فهو هنا بين أمرين: اما الدخول فى من قال الله فيهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[1] و إما أن يكون معتقداً صحتها و تلك عظيمة العظائم اهـ.

و قد أجاب السيد عن أمثلة كثيرة من الأحاديث الواردة فى مناقب حيدرة كرم الله وجهه و اهل بيته طعن فيها ابن تيمية فأجاد، و قول السيد الحداد: أنه

---

١ . البقره: ٤٤



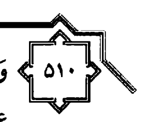
كثيراً ما يرد على الامامية بأدلة الخوارج و النواصب، تساهل معه، و الحقيقة أنه لا أدلة عند الخوارج و النواصب سوى التكفير، تكفير جمهور الصحابة ﷺ في مقدمتهم ذو النورين و حيدرة ﷺ، و الأمة الاسلامية جمعاء، و ليس التكفير من العلم و أدلته في شيء فهو في رده على الامامية يقول لهم: إن كفرتم أبابكر و عمر قال لكم الخوارج و علي... و لا تستطيعون إثبات ايمان علي و كفر أبي بكر و عمر، و هذا الهذر دأبه في منهاجه و غيره من تآليفه، و لا يخفى على اللبيب أن الهذر ليس من العلم و أدلته في شيء، فاحتجاجه على الرافضة بأباطيل الخوارج انماهو مقابلة خبث بمثله، و قول السيد أيضاً: و كان في غنى عنها بأدلة اهل السنة، تساهل معه أيضاً.

و الحقيقة أنه مفلس من أدلة اهل السنة، لأن اهل السنة في القرون الوسطى و المتأخرة هم الأشاعرة و الماتريدية حماة السرح، و الامة الاسلامية ممثلة فيهما، و هم كفار في زعمه، فحوصلة علمه تضيق و تنفر عن استساغة أدلتهم الناصعة القائمة على الروافض و غيرهم من المبتدعة، و انما تستسيغ بلع التشبيه و التجسيم و منع شد الرحال لزيارة قبره ﷺ بدعوى حماية حمى التوحيد، و منع التوسل بجاهه ﷺ، و تستسيغ ايضاً بلع توحيد الربوبية و توحيد الالوهية الذي اخترعه و كفر به أمة محمد ﷺ، و قد نظرت في منهاجه نظرة عابرة فاستخرجت منه ما أذكره مع تعليقي عليه.

ادعى ان نزول هذه الآية (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ)[1] في علي كرم الله وجهه لما تصدق بخاتمه في الصلاة، كذب باجماع اهل العلم بالنقل

١) في ج١، في ص١٥٥: ادعى أن نزول هذة الأية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ

١ . المائده: ٥٥



وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١] في علي ﷺ لما تصدق بخاتمه في الصلاة، كذب باجماع اهل العلم بالنقل.

أقول: أقوال المفسرين تدور على أنها نزلت في المؤمنين عموماً أو في أبي بكر أو في عبدالله بن سلام أو في عبادة بن الصامت أو في علي كرم الله وجهه.

قال القرطبي في تفسيرها: و قال ابن عباس و السدّي و مجاهد نزلت في عليّ لما تصدق بخاتمه و هو في الصلاة اهـ.

و قال السيوطي في تفسيرة (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، و أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير و أبو الشيخ و ابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت في علي ﷺ، قال و أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه الخ، قال و أخرج الطبراني في الأوسط و ابن مردويه عن عمار بن ياسر ﷺ قال وقف بعلي سائل و هو راكع الخ... قال و أخرج ابن أبي حاتم و أبو الشيخ و ابن عساكر عن سلمة بن كهيل قال تصدق علي بخاتمه الخ... اهـ.

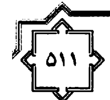
و زعم ابن كثير في تفسيره بعد سوقه روايات كثيرة تدل على انها نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، انه لا يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها و جهالة رجالها اهـ، و قال الآلوسي و غالب الأخباريين على انها نزلت في علي كرم الله وجهه اهـ قلت و بهذا يعلم كذبه في ادعائه إجماع اهل العلم بالنقل على كذب نزولها في حيدرة كرم الله و جهه.

زعمه ان أبا سفيان بن الحارث من الطلقاء

٢) و في ج٢، ص٢٠١ عدّ أباسفيان بن الحارث ابن عم النبي ﷺ من

---

١. المائده: ٥٥

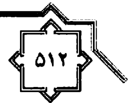


الطلقاء و هو باطل باجماع السير ﷺ فان أباسفيان رضي الله عنه هاجر الى المدينة مع ابنه جعفر و عبدالله بن أبى امية المخزومى قبيل الفتح فقابلوا النبى ﷺ فى الجيش بين السقيا و العرج بمكان أقرب الى المدينة من مكة فأسلموا و حسن اسلامهم، كما قابله ﷺ أيضاً مهاجراً باهله عمه العباس بالجحفة، و لم يقل أىّ واحد من اهل العلم فى أبى سفيان و ابنه و عمه و عبدالله بن أبى امية انهم من الطلقاء و ليسوا بمهاجرين، و لم يجعل الله تبارك و تعالى و نبيه ﷺ المهاجر كالطليق.

زعمه ان الطليق ليس بنعت ذم

٣) و فى ص٢٠٢ منه قال جواباً للرافضى لما قال فى معاوية (الطليق ابن الطليق) الطليق ليس نعت ذم، و الطلقاء هم مسلمةالفتح و سرد جماعة منهم، وعد أيضاً أبا سفيان ابن الحارث منهم و قال فيه الذى كان يهجو رسول الله ﷺ.

أقول: الطليق لغة معناه الأسير الذى أطلق من أساره، و عليه فلفظ الطليق ان لم يكن نعت ذم ـ كما زعم ـ فهو مشعر بالانحطاط قطعاً عقلاً و لغة، و الطلقاء من قريش هم الذين منّ عليهم رسول الله ﷺ فلم يسترقهم و لم يأسرهم، و قد كان له ذلك كما فى سائر الذين حاربوه من الكفار فغلبهم و ملكهم، و قد كان الطلقاء من قريش فى الدرجة الأخيرة من درجات الصحابة رضي الله عنهم، و ما بعدهم الا الأعراب و المخضرمون و المرتدون، و على هذا الترتيب أجراهم الفاروق رضي الله عنه فى العطاء و الدخول عليه، و لم يجعل لهم نصيباً فى الخلافة حين قال: (هذا الأمر فى اهل بدر ما بقى منهم أحد ثم فى اهل احد ثم فى كذا... و ليس فيها لطليق و لا لمسلمة الفتح شىء).



مناقب أبي سفيان بن الحارث مسطرة في كتب الطبقات و التاريخ

قال ابن حجر فی فتحه فی باب الاستخلاف: و هذا مصير منه الـى تقـديم الأفضل فی الخلافة، و كل من له المام بسيرة النبی ﷺ يعلم أن أبـا سـفيان بـن الحارث ليس من الطلقاء فادخاله فيهم و تكرير ذلك دائر بين الجهل و النـصب للذين أذهب الله عنهم الرجس. و يرجح الثانی قوله الذی كان يهجوه، و مناقب أبی سفيان ابن الحارث مسطرة فی تاريخ الاسلام، منها انـه لم يرفـع رأسـه منـذ أسلم الـى النبـی ﷺ حيـاء منـه، و منهـا ثباتـه يـوم حنـين و إمـساكه بركـاب النبی ﷺ حين فر المسلمون عنه و فی مقدمتهم مسلمة الفتح.

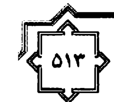
زعمه مصابرة جيش معاوية لجيش علي و مقاومته له و غلبته له

٤) و فی هـذه الـصفحة زعـم أن عـسكر معاويـة صـابروا عـسكر علـیّ و قاوموهم و غلبوهم، و هو بهتان على التاريخ مكشوف فان جيش معاويـة لـو لم يرفعوا المصاحف على الرماح مكيدة ليخففوا عنهم الـضغط الهائـل مـن جـيش حيدرة لهلكوا.

زعمه ان معاوية ادعى الامر، اي الخلافة لنفسه بعد حكم الحكمين

٥) و فيها أيضاً قال و لم يكن معاوية قبل تحكيم الحكمين يدعی الأمر لنفسه و لا يسمی بأمير المؤمنين و انما ادعی ذلك بعد حكم الحكمين اهـ.

أقول: هذا كذب مكشوف على التاريخ فان معاوية لم يدع الأمـر لنفـسه لا قبل التحكيم و لا بعده، و انما ذكر ابن الأثير فی (كامله) أن اهل الشام لما رجعوا الى معاويـه بعـد حكـم الحكمـين سـلموا عليـه بالخلافـة، و هـذا مبنـی علـی الاسطورة المشهورة فی التاريخ، و هی خديعة عمرو بن العـاص لأبـی موسـی



الأشعرى بخلعه لعلى، و إثباته لمعاوية بعد اتفاقه معه على خلع الاثنين، و هى باطلة نقلاً.

و الصحيح أنهما خلعا الاثنين، و لو صحت لكانت مدحاً لأبى موسى الأشعرى، و قدحاً فى عمرو بن العاص، و دلت على كمال الأشعرى فى الأخلاق الفاضلة و انحطاط ابن العاص عنها الى أخلاق السفلة و الأشرار، فان الوفاء بالعهد و الوعد من أخلاق المؤمنين، و الغدر و الخداع من أخلاق المنافقين و الأشرار، و فى الحديث الصحيح: «**ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند أُستِهِ و يقال هذه غدرة فلان ابن فلان**».

زعمه ان اهل الشام قاتلوا مع معاوية

٦) و فيها أيضاً قال: إن اهل الشام قاتلوا مع معاوية، لظنهم أن عسكر على فيهم ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان و انهم يقاتلونم دفعاً لصيالهم عليهم و قتال الصائل جائز، و لهذا لم يبداهم بالقتال حتى بداهم اولئك، و لهذا قال الأشتر: إنهم ينصرون علينا لأنا نحن بدأناهم بالقتال اهـ.

أقول: هذا الكلام كله فاسد و افتراء على تاريخ المسلمين و هو بين أيدينا، و يتلخص فساده فى أربعة مباحث:

الاول ـ زعمه أن اهل الشام قاتلوا مع معاوية لظنهم الى قوله و انهم يقاتلونهم دفعا لصيالهم عليهم.

الثانى ـ قوله و أنهم يقاتلونهم دفعاً لصيالهم الى قوله و لهذا...

الثالث ـ قوله و لهذا لم يبدأوهم بالقتال الى قوله و لهذا قال الأشتر.

الرابع ـ قوله و لهذا قال الأشتر الى آخر الهراء.

فاهل الشام كلهم انما قاتلوا مع معاوية أميرالمؤمنين علياً ﵁ لأمر واحد، و هو وجود طائفة من اهل العراق حضروا حصار أمير المؤمنين عثمان ﵁



حتى قتل فی جيشه، و الظن الذى افتراه عليهم و حاول الصاقه بهم لا وجود له فى تاريخ الاسلام، و لا سبيل له الى الاطلاع على ما فى قلوبهم من الظن الا من وحى الشيطان.

و قوله: و أنهم يقاتلونهم دفعاً لصيالهم عليهم بهتان على حيدرة و جيشه.

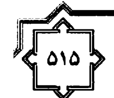
و قوله: و لهذا لم يبدأوهم بالقتال حتى بداهم اولئك، بهتان ثان على حيدرة و جيشه.

و قوله: و لهذا قال الأشتر الى آخر الهراء بهتان ثالث على الأشتر، فسيرة حيدرة كرم الله وجهه فى أمره لجيشه بالكف عن بدء اهل القبلة بالقتال أوضح فى التاريخ فى الشمس فى رابعة النهار حتى الخوارج كلاب النار الذين أمر ﷺ بقتلهم، و أخبر أن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم، أمر حيدرة أصحابه بالكف عن قتالهم حتى يبداهم.

و قد حاول هذا المفتون تشويه حقائق التاريخ الاسلامى الناصعة، و نطح سيرة من لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه الا منافق الشامخة بنصبه، و قد بدأ اهل الشام بالقتال جيش حيدرة كرم الله تعالى وجهه مرتين:

الأولى ـ بدأت مقدمة جيش معاوية و عليها أبو الأعور السلمى مقدمة جيش أميرالمؤمنين كرم الله وجهه و عليها الأشتر النخعى فاقتتلوا قتالاً شديداً، و فى مساء اليوم الثانى تأخر الشاميون عن مكانهم الذى كانو فيه و طلب الأشتر أبا الأعور لمبارزته فكع عنه و فى الليل رجعوا إلى معاوية.

و الثانية ـ كان معاوية قد سبق بجيشه الى مكان واسع على طرف الفرات و نزل فيه و أخذ شريعة الفرات و ليس فى ذلك الصقع شريعة غيرها، و جعلها فى حوزته و بعث عليها أبا الأعور يحميها و يمنعها، فطلب أصحاب على شريعة غيرها، فلم يجدوا فأتوا علياً كرم الله وجهه فأخبروه بفعل الشامين و



بعطش الناس فأرسل حيدرة صعصعة بن صوحان الى معاوية يقول له: إنا سرنا مسيرناهذا و نحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم، فقدمت الينا خيلك و رجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، و نحن من رأينا الكف حتى ندعوك و نحتج عليك، و هذه أخرى قد فعلتموها منعتم الناس عن الماء و الناس غير منتهين، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس و بين الماء و ليكفوا لننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قدمنا له، فان أردت أن نترك ما جئنا و نقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا، فشاور معاوية أصحابه فأشار بعضهم بمنعهم منه، و قال له عمرو بن العاص: خل بنى القوم و بين الماء فانهم لن يعطشوا و انت ريان و لكن بغير الماء فانظر فيما بينك و بين الله، و قد اختار معاوية الرأى الأول و أمدّ أبا الأعور بيزيد بن أسد القسرى فى خيل كثيرة ثم بعمرو بن العاص فى جند كثير، و أمدّ حيدرة الأشعث بن قيس بشبث بن ربعى ثم بالأشتر النخعى، فاشتد القتال فقال عبدالله بن عوف الأزدى:

خلوا لنا ماء الفرات الجارى ... أو اثبتوا الجحفل جرار
لكل قرم مستميت شارى ... مطاعن برمحه كرار
ضرب هامات العدا مغوار ... لم يخش غير الواحد القهار

فغلِب الشاميون وصار الماء فى أيدى أصحاب حيدرة، فقالوا: و الله لا نسقيه اهل الشام، فأرسل علىّ عليه السلام الى أصحابه أن خذوا من الماء حاجتكم و خلوا عنهم، فان الله تعالى نصركم ببغيهم و ظلمهم.

زعمه ان علياً كان عاجزاً عن قهر الظلمة و انه كان يرى ان القتال يحصل به المطلوب

٧) و فيها أيضا قال: و على عليه السلام كان عاجزاً عن قهر الظلمة من



العسكرين و لم تكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به، و أعوان معاوية يوافقونه، و كان يرى ان القتال يحصل به المطلوب فما حصل به الا ضد المطلوب.

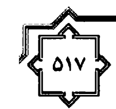
و كان فی عسكر معاوية من يتهم علياً بأشياء من الظلم هو برىء منها، و طالب الحق من عسكر معاوية يقول: لا يمكننا أن نبايع الا من يعدل علينا و لا يظلمنا، و نحن اذا بايعنا علياً ظلمنا عسكره كما ظلموا عثمان، و علی إما عاجز عن العدل علينا أو غير فاعل لذلك، و ليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علينا و لا تاركاً له، فأئمة السنة يعلمون أنه ما كان القتال مأموراً به لا واجباً و لا مستحباً ولكن يعذرون من اجتهد فأخطأ اهـ.

أقول: يتلخص هذا الهراء فی ستة مباحث كلها باطلة فقوله:

و علی ﷺ كان عاجزا عن قهر الظلمة من العسكرين كذب مكشوف على التاريخ ملبس، و طعن خبيث فيمن لا يحبه إلا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق دل منطوق هذا الهذر على ان فی كل من عسكر أميرالمؤمنين و عسكر معاوية طائفة ظلمة و ان علياً ﷺ عاجز عن قهر الظالمين.

و مفهومه على ان فی كل من العسكرين طائفة أتقياء فينحل هذا الفشار الى ان كلاً من العسكرين مشتمل على أتقياء و أشقياء، و أن حيدرة عاجز عن قهر الأشقياء فی العسكرين.

ويصح لنا على هذا الفشار أن نقول: كل من أميرالمؤمنين و معاوية أمير على الأتقياء و الأشقياء، و يصح لنا أيضا أن نقابله بفشار مثله، فنقول: ان معاوية عاجز عن قهر الظلمة من العسكرين، و التاريخ و الواقع ناطقان بأنه لا ظلمة فی العسكرين، و يقال له لِمَ لَم تعين الطائفة الظالمة فی العسكرين ان كنت صادقاً؟ و هل هی أقلية فيهما أو اكثرية أو مساوية للأتقياء؟ و هل لها زعيم أم لا؟ و ما كيفية ظلمها؟ و كيف أقر معاوية الظالمين فی جيشه و لم يقهرهم مع



اتفاق جيشه على طاعته؟ و لِمَ لَم تبين كيفية عجز عليّ عن قهر الظلمة من العسكرين؟

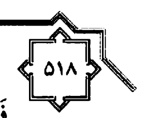
و قوله: و لم تكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به، كذب مكشوف على التاريخ، و رأى فى قوله و كان يرى أن القتال الى قوله و كان فى عسكر معاوية علمية، أى كان عليّ يعلم ان القتال الى آخر الهراء، و لا سبيل له الى معرفة ما فى قلب على ﷺ من حصول المطلوب بالقتال و ضده الا البهتان و وحى الشيطان.

و قوله: (و كان فى عسكر معاوية من يتهم علياً بأشياء من الظلم) بهتان ثان ملبس مبهم، فلو كان صادقاً لبين المتهم لعليّ من عسكر معاوية و بين الأشياء التى اتهمه بها، و لا وجود لمن يتهم علياً بأشياء فى عسكر معاوية الا فى مخليته.

و قوله: (و طالب الحق من عسكر معاوية يقول الى قوله فأئمة السنة) بهتان ثالث على عسكر معاوية ملبس مبهم محامى به عنهم، فلا حق و لا طالب له و لا قول الا فى مخيلته، فلو كان صادقاً لبين الحق و عين طالبه من عسكر معاوية.

و قوله: (فأئمة السنة يعلمون الى آخر الهراء...)، بهتان رابع على أئمة السنة، و لا يستحى هذا المفتون من كثرة البهتان على الأئمة و العلم و العلماء و الجناية على تايخ الاسلام، و الحياء من الايمان، و القتال مع الامام العادل فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن البعض الباقى، لذلك تخلف سعد بن أبى وقاص و عبدالله بن عمر و أسامة اين زيد و محمد بن مسلمة ﷺ عن القتال مع أميرالمؤمنين على ﷺ مع بيعتهم له، و اعتذر كل واحد منهم له بعذر قبله.

و قد ندم سعد بن ابى وقاص و عبدالله بن عمر على تركهما قتال الفئة الباغية معاوية و جيشه، مع أميرالمؤمنين على ﷺ.



قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾[١]: في هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الامام أو على أحد من المسلمين، و على فساد قول من منع من قتال المؤمنين، و احتج بقوله عليه الصلاة و السلام: «**قتال المؤمن كفر**»[٢].

و لو كان قتال المؤمن الباغي كفراً، لكان الله تعالى قد أمر بالكفر ـ تعالى الله عن ذلك ـ، و قد قاتل الصديق رضي الله عنه من تمسك بالاسلام و امتنع من الزكاة، ثم قال: و قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه و لزوم المنازل، لما أقيم حد و لا أبطل باطل، و لوجد اهل النفاق و الفجور سبيلا الى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين و سبى نسائهم و سفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم و يكف المسلمون أيديهم عنهم، و ذلك مخالف لقوله عليه الصلاة و السلام: «**خذوا على أيدى سفهائكم**»[٣] اهـ.

لم يجب عن الاعتراض على اهل السنة في معاوية

٨) و في ص٢٠٣ منه لم يجب عن قول الرافضي معترضاً على اهل السنة في معاوية: (أنه قاتل علياً و هو عندهم رابع الخلفاء إمام حق و كل من قاتل إمام حق فهو باغ ظالم)، بل أتى بهذر دال على عدم اعتباره اجماع اهل الحق على أن علياً كرم الله وجهه إمام حق و رابع الخلفاء و أن معاوية باغ عليه.

---

١ . الحجرات: ٩

٢ . سنن ابن ماجه، ج١، ص١٨

٣ . مسند ابن المبارك، ص٤٢



محاماته عن الخوارج باحتجاجه

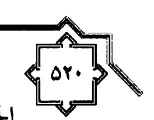
٩) و فيها أيضاً قال: (إن النواصب من الخوارج و غيرهم الذين يكفرون علياً أو يفسقونه أو يشكون في عدالته منه المعتزلة و المروانية و غيرهم لو قالوا لكم: ما الدليل على ايمان على و إمامته و عدله لم تكن لكم حجة؟ اهـ).

أقول: لا يحتاج هذا الهراء الذى كرره فى مواضع من كتابه مستسمناً له الى تعليق، و انما نلفت نظر العقلاء الى قوله: الذين يكفرون علياً أو يفسقونه أو يشكون فى عدالته من المعتزلة و المروانية و غيرهم فالمكفرون لحيدرة معروفون بأنهم الخوارج كلاب النار، و قد زعموا انه كان قبل التحكيم إمام هدى و بعده صار كافراً و ليس التكفير مقصوراً عليه بل كفروا عثمان ﷺ و جمهور الصحابة و معاوية الذى يتعصب له و يرجحه على حيدرة، و كل من خالف هواهم من الامة الاسلامية، و أما المفسقون له و الشاكّون فى عدالته فليسوا بمعروفين، فهو مطالب بتعيينهم.

و قد افتعل (المروانية) ليكاثر بها الرافضى و يكثر بها الطعن فى حيدرة، و لا وجود لها الا فى مخيلته، كما افتعل (و غيرهم) التى هى من مطايا الابهام و التلبيس التى يلجأ اليها لستر مينه ليكاثر بها أيضاً الرافضى و يكثر بها الطعن فيمن لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه الا منافق.

طعنه في حديث سفينة و طعنه في اجماع المسلمين على خلافة حيدرة

١٠) و فى ص٢٠٤ منه قال: (و قد طعن بعض اهل الحديث فى حديث سفينة، و أما الاجماع فقد تخلف عن بيعته و القتال معه نصف الامة أو أقل أو اكثر، و النصوص الثابتة عن النبى ﷺ تقتضى أن ترك القتال كان خيراً للطائفتين، و أن القعود عن القتال كان خيراً من القيام فيه، و أن علياً مع كونه أولى بالحق من معاوية لو ترك القتال لكان أفضل و أصلح و خيراً اهـ).



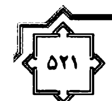
أقول: يتلخص هذا الهراء فی ثلاثة مباحث: فقوله: و قد طعن بعض اهل الحديث فی حديث سفيينة، كذب مكشوف ملبس، فالطاعن فی حديث سفينة هو ابن اخت خالته فلو كان أميناً على نقل العلم صادقاً لبين الطاعن فی حديث سفينة حتى ينظر فيه، و الحديث هو قوله ﷺ: **«الخلافة بعدی فی أمتی ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك»**[١] ـ أخرجه الامام أحمد و أبوداود[٢] و الترمذی[٣] و النسائی[٤] و أبو يعلى و ابن حبان عنه[٥] ـ.

و قد اتفق العلماء على أنها تمت بمدة الحسن بن علی، و معناه الخلافة الكاملة التی تستمر و تتصل بدون انقطاع ثلاثون سنة فلا تنافی الخلافة المنقطعة كخلافة عمر بن عبد العزيز و الملك القائم بالعدل.

لقد اتخذ ابن تيمية الفاظ: السلف، الأئمة، أئمة السنة و بعضهم... و غيرهم... و الاجماع... مجناً لهواه

و قد قال سعيد بن جمهان لسفينة أن هؤلاء ـ يعنی بنی أمية ـ يزعمون ان الخلافة فيهم، فقال كذب أستاه بنی الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك لقد اتخذ هذا المفتون الألفاظ المبهمة: السلف، و الأئمة، و أئمة السنة، و بعضهم، و غيرهم، و غير واحد، و الاجماع، وَ، وَ... مِجنًا لهو اه، فكل من تحلی بالانصاف اذا طالع كتبه يتحقق أنه ليس من السلف و أئمة السنة و الأئمة فی شیء، و ان الاجماعات التی يرسلها جزافا مقصورة على هواه، و انه لا يبالی باجماع اهل

١ . مسند احمد، ج٥، ص٢٢١
٢ . مسند ابی داود الطيالسی، ج٢، ص٤٣٠
٣ . سنن الترمذی، ج٣، ص٣٤١
٤ . السنن الكبری للنسائی، ج٥، ص٤٧
٥ . صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٣٩٢



الحق، و أئمة السنة المخالفين لهواه، و اذا كان قد طعن فى اجماع الصحابة السكوتى على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً، و طعن فى الذى قال النبى ﷺ فيه: «**ان الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه**»[١]، فكيف لا يطعن فى اجماع اهل الحق فى خلافة حيدرة؟

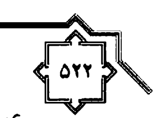
تعريف الخلافة و تحقيق مطنب فيها

و قد عرّف اهل الحق الخلافة بأنها (رياسة عامة فى أمر الدين و الدنيا نيابة عن النبى ﷺ فى احكام الفروع لا ينتظم أمر المسلمين إلا بحصولها، يقصد الشارع تحصيلها فى الجملة من غير أن يقصد حصولها من كل مسلم)، و لانتظامها مصالح المسلمين الدينية و الدنيوية صار الحق فى تولية من يصلح لها لجميع الامة واجباً عليهم وجوباً شرعياً لا عقليا كفائيا اذا قام بهذا الواجب من يعتد به ممن هو من اهل الحل و العقد من تيسر حضوره من غير اشتراط عدد و لا اتفاق من سائر البلدان سقط عن الباقين، بل لو تعلق الحل و العقد بواحد مطاع كفت بيعته.

و الدليل على انعقاد الامامة بالواحد إذا كان من اهل الحل و العقد و لزومها سائر المسلمين قول عمر لأبى عبيدة رضي الله عنهما يوم السقيفة: ابسط يدك أبايعك، فقال: أتقول هذا و أبوبكر حى؟ فبايع أبابكر، ثم بايعه من بالسقيفة من الصحابة ثم بايعه الصحابة فى اليوم الثانى بالمسجد فبيعة من بايعه بالسقيفة بعد عمر و بيعة من بايعه بالمسجد مؤكدة لبيعة عمر رضي الله عنه، و لم يتوقف ابوبكر الى وصولها لمن حول المدينة من قبائل أسلم و غفار وجهينة، و وصولها الى مكة والطائف وجواثا، و عهد أبوبكر بالخلافة الى عمر فرضى بذلك اهل المدينة.

---

١ . مسند احمد، ج٢، ص٥٣

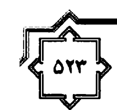


و لم يتوقف الفاروق الى وصول بيعة الأمصار اليه، و بايع عبدالرحمن بن عوف عثمان ثم بايعه اهل المدينة، و لم يتوقف ذو النورين الى وصول بيعة الامصار اليه، فدل هذا كله لمذهب اهل الحق من كفاية البعض في بيعة الامام و لو واحداً اذا كان من اهل الحل و العقد و لزوم بيعته سائر الامة و وجوب طاعته عليهم.

خلافة امير المؤمنين علي مجمع عليها و انعقدت له مرتين

فبيعة على عليه‌السلام عند التحقيق أقوى من بيعة الثلاثة، لأنه بايعه اهل المدينة و هم إذ ذاك أعيان الامة الاسلامية و ساداتها، و بايعه أيضا ثلاث طوائف من ثلاثة أمصار بصريون و مصريون و كوفيون، فلزوم بيعته سائر الامة و وجوب طاعته عليهم أحرى، فبيعته عليه‌السلام مجمع عليها كالاجماع على بيعة كل واحد من الثلاثة، فخلافته انعقدت له مرتين: الاولى عقدها له الفاروق، و رجال الشورى، و اهل المدينة قبل بيعة عثمان حكماً، فالفاروق عيَّنه لها في الستة الذين عينهم لها، و عينه لها إيضا بالارشاد اليه و مدحه بقوله: (لله درّهم ان ولوها الاصيلع ليحملنهم على الجادة و لو كان السيف على رقبته)، و الاربعة من رجال الشوروى: عبدالرحمن و سعد و طلحة و الزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له و لعثمان فانحصرت فيهما، و اهل المدينة بترجيح أكثرهم تقديم عثمان عليه، و بعد موت عثمان صار له ما عقده هؤلاء الثلاثة فعلا.

فبيعة المسلمين له بعد موت عثمان مؤكدة لما انعقد له حكماً قبل بيعة عثمان، و من أجل هذا قال علماء الاصول كامام الحرمين: إن خلافته عليه‌السلام مجمع عليها، فان قيل ان كانت خلافته مجمعاً عليها، و طاعته واجبة على جميع المسلمين فما حجة معاوية و من معه في مخالفة اجماع المسلمين و قتال الامام العادل؟ و ما حجة أمير المؤمنين في قتاله معاوية؟



معاوية بن ابي سفيان مخطيء في اجتهاده من ثلاثه عشر وجهاً

فالجواب: حجة معاوية فی امتناعه من طاعة علی و قتاله طلبه من علي تسليم طائفة من اهل العراق فی جيشه حضروا حصار عثمان حتی قتل ليقتص منهم، و هو مخطیء فی اجتهاده هذا من ثلاثة عشر وجهاً.

الاول: تشبثه فی امتناعه من طاعة حيدرة حتی يسلم اليه هذه الطائفة ليقتص منها يدل علی اتهامه لحيدرة بممالأة القاتلين لعثمان رضي الله عنه، و هی تهمة باطلة بریء منها حيدرة كبراءة الذئب من دم يوسف عليه الصلاة و السلام، و لو صحت هذه التهمة علی حيدرة لكان جميع الصحابة بالمدينة متهمين بها.

قال ابن كثير فی بدايته فی ترجمته: و قد اعتنی الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علی أنه تبرأ من دم عثمان و كان يقسم علی ذلك فی خطبه و غيرها انه لم يقتله و لا أمر بقتله و لا مالأ و لا رضی به، و لقد نهی عنه فلم يسمعوا منه، ثبته ذلك من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث اهـ.

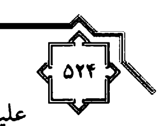
و قال ابن كثير أيضاً فی تفسير سورة الرحمن: أخرج ابن أبی حاتم بسنده عن عمرة بن سويد قال كنت مع علی بن أبی طالب علی شاطیء الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علی يديه ثم قال:

يقول الله عز و جل: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[1] و الذی أنشاها تجری فی بحوره ما قتلت عثمان و لا مالأت علی قتله اهـ.

و ثبت عنه أنه قال: لو شاءت بنو أمية ان اباهلهم عند الكعبة انی بریء من دم عثمان لفعلت، و قال مروان بن الحكم: ما كان أحد أدفع عن عثمان من علی، فقيل له مالكم تسبونه علی المنابر؟ قال: انه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

---

١ . الرحمن: ٢٤



الثاني: حيلولته بين حيدرة و بين تنفيذ أوامره في اهل الشام الذين وجبت عليهم طاعته.

الثالث: ليس هو الولي لعثمان المستحق للطلب بدمه، و انما الولي المستحق لذلك هم أولاد عثمان دون غيرهم من بني أمية.

الرابع: لو كان هو الولي لعثمان المستحق للطلب بدمه، لم يكن له أخذ القصاص بالقوة دون السلطان اجماعاً ـ ذكره القرطبي في تفسير سورة البقرة ـ .

الخامس: المحاصرون لعثمان ﷺ حتى قتل جمع غفير من ثلاثة أمصار أقله خمسمائة من اهل مصر، و خمسمائة من اهل الكوفة و خمسمائة من اهل البصرة، و ليس في استطاعة أحد اثبات تمالئهم جميعاً على قتل عثمان.

السادس: لو فرض تمالؤهم جميعاً على قتله لم يقتلو لجهل أعيانهم لكثرتهم.

السابع: لو فرض تمالؤهم على قتله و عرفت أعيانهم لا يقتلون به في رأى كثير من أئمة الاجتهاد.

الثامن: امتناع على ﷺ من تسليم هذه الطائفة لمعاوية لا يبيح لمعاوية قتاله و لو كان ولي عثمان المستحق للطلب بدمه.

التاسع: قد قطع حيدرة بالحجة شبهة معاوية هذه بقوله له: ادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمهم اليّ.

العاشر: ليست هذه الطائفة التي طلب معاوية تسليمها اليه ليقتلها لقمة سائغة و لا غنيمة باردة حتى يمكن حيدرة تسليمها اليه بسهولة بل هي ذات شوكة لأنها من قبائل شتى، فلو حاول عليّ ذلك منهم لتعصبت لهم قبائلهم و صارت حرباً ثالثة و قد حصل هذا للزبير و طلحة و عائشة ﷺ في البصرة لما قتلوا بعضاً منهم خرجت منها قبائل ربيعة و لحقت بأميرالمؤمنين تعصباً لمن قتل منهم، و اعتزلهم ستة آلاف سيف من بني سعد بن تميم تعصباً لحرقوص بن زهير و اتسع عليهم الخرق و أدركوا خطاهم بعد مناظرة القعقاع بن عمرو لهم،



و علموا أن رأى أمير المؤمنين فی تأخير القصاص من قتلة عثمان حتی تهدأ الفتنة و يستتب الأمن باجتماع شمل المسلمين، وكان اسدّ و أصوب من رأيهم، فاتفقوا مع أمير المؤمنين، و لم تقع وقعة الجمل منهم عمداً، و انما أنشبها الثائرون على عثمان و كانوا متفرقين في الجيشين، على ان الزبير و طلحة و عائشة أقرب الى الصواب من معاوية من خمسة أوجه:

الاول: مبايعتهما لعلى طائعين مع اعترافهما بفضله و معاوية لم يبايعه و ان كان معترفا بفضله.

الثانی: منزلتهم فی الاسلام و عند المسملين التی لا يدانيهم معاوية فيها.

الثالث: انهم أرادوا قتل الثائرين على عثمان فقط، و معاوية أراد قتل جيش عظيم من المسلمين فيه خليفة المسلمين لوجود شرذمة من ثوار عثمان فيه.

الرابع: انهم لم يتعمدوا محاربة الخليفة و من معه فی وقعة الجمل، و معاوية و من معه تعمدوا حرب أمير المؤمنين و من معه و بدأوا بها.

الخامس: انهم لم يتهموا علياً بالهوادة فی أخذ القصاص من الثائرين على عثمان، و معاوية و من معه اتهموه بذلك.

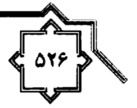
الحادی عشر: قد انتهی الأمر الی معاوية بتنازل الحسن بن علی له عن الخلافة و جمع كثير ممن حضر حصار عثمان رضي الله عنه موجودون فسكت عنهم، فدل اعراضه عنهم على بطلان شبهته التی كان متمسكاً بها مع حيدرة فيهم.

الثانی عشر: بدأوا محاربة أمير المؤمنين دفعتين و قد تقدم تقريره.

الثالث عشر: حديث «**عمار تقتله الفئة الباغية**»[1] الذی دل عند اهل الحق على أن الصواب مع أمير المؤمنين علی رضي الله عنه، و لو لم يكن دليل غيره على اصابة علي و خطأ معاوية لكفی.

---

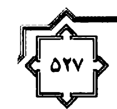
١ . صحيح البخاری، ج٣، ص٢٠٧



ليس قتال اميرالمؤمنين على معاوية لامتناعه من بيعته و انما قاتله لحيلولته بينه و بين تنفيذ طاعته في اهل الشام

و ليس قتال أميرالمؤنين معاوية لامتناعه من بيعته ـ كما يظن البسطاء ـ لأن بيعته قد تمت باهل الحل و العقد ثم باهل المدينة ثم بسائر أمصار المسلمين غير الشام و انما قاتله لحيلولته بينه و بين تنفيذ طاعته فى اهل الشام، و ابن حزم على عجرفته و سل لسانه على أئمة الاسلام و علمائه أفقه من هذا المفتون حيث قال فى ملله: لم يقاتل على معاوية على امتناعه من بيعته و انما قاتله لامتناعه من تنفيذ أوامره فى أرض الشام و هو الامام الواجبة طاعته اهـ.

فقوله: (و اما الاجماع فقد تخلف عن بيعته و القتال معه نصف الامة أو أقل أو أكثر) بهتان على تاريخ الامة الاسلامية و اختراع قول و جهل و تلبيس، فأما البهتان على الملة الاسلامية ففى قوله تخلف عن بيعته نصف الامة أو أقل أو أكثر بأو التشكيكية، و لم يخالف اجماع الامة على بيعة حيدرة الا معاوية و شرذمة بقرية خرنبا من اقليم مصر، و اما اختراع القول فان منطوق (تخلف عن بيعته الى آخر الهراء) يدل على ان بيعة الخليفة لا تكون عنده مجمعاً عليها حتى يبايعه جميع أفراد الامة، و لم يقل بهذا عالم من علماء الاسلام و يلزم من هرائه هذا بطلان الاجماع على خلافة الشيخين و ذى النورين، لأن الصديق لم يبايعه أكثر االامة إذ ذاك لم يبايعه جهينة و غفار و أسلم و الاعراب الذين كانوا حول المدينة و مكة و الطائف و حوائى و انما بايعه اهل المدينة فقط، و الفاروق لم يبايعه الا اهل المدينة فقط، و الامة الاسلامية فى زمنه اكثر منها فى زمن الصديق، و عثمان لم يبايعه الا اهل المدينة و الامة الاسلامية فى زمنه اكثر منها فى زمن الفاروق.



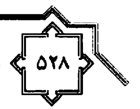
فان قيل: بيعة الصديق تامة مجمع عليها لأن المسلمين الذين حول المدينة و البلدان المذكورة لما بلغتهم بيعته سكتوا و رضوا به، و كذلك الفاروق فان الأمصار و الجنود الهائلة التى كانت فى الفتوح لما بلغهم رضا اهل المدينة باستخلاف الصديق له رضوا هم به ايضا، و كذلك عثمان لما بلغ الأمصار و الجنود بيعته رضوا به.

قلت: و كذلك عليّ لما بلغ الأمصار بيعته رضوا به الا معاوية و من معه، فان قيل: معاوية و من معه ليسوا بقليل بل هم مصر عظيم.

قلت: هذا على تسليمه مدفوع بوجهين:

الاول: هو مصر من ستة أمصار بايع حيدرة منها خمسة: العراق و فارس و الحجاز و اليمن و مصر، و لا شك على هذا أن جل الامة الاسلامية بايعه و القليل خالفه.

الثانى: جل الذين مع معاوية مقلدون له و المجتهد منهم موافق له فى الاجتهاد، و الصحابة الذين معه لا يتجاوزون عدد الإصابع، و جيش أمير المؤمنين فى صفين سبعون ألفاً فيه تسعون بدرياً و سبعمائة من اهل بيعة الرضوان و اربعمائة من سائر المهاجرين و الأنصار، و جيش معاوية فيها خمسة و ثمانون ألفاً ليس فيه من الأنصار الا النعمان بن بشير و مسلمة بن مُخَلَّد و هما من صغارهم، فالذين معه كثيرون فى حد ذاتهم قليلون بالنسبة الى الأمصار المبايعة لعليّ، و فى المعنى شخص واحد معترف بامامة علي و فضله عليه لم ينازعه فيهما و انما علق بيعته علياً على شيء واحد و هو تسليم عليّ اليه جماعة من المحاصرين لعثمان موجودين فى جيشه ليقتص منهم.



لا يمكن لعلي و لا لمعاوية اخذ القصاص من الثائرين على عثمان الا باقامة الدعوي عند السلطان على معين منهم و اثبات قتله له بالبينة الواضحة بالاجماع

و لا يمكن لعلى و لا له هو و لا لغيرهما أخذ القصاص من المحاصرين لعثمان الا باقامة الدعوى عند السلطان على معين منهم و اثبات قتله لعثمان بالبينة الواضحة باجماع العلماء.

فامتناعه من بيعته حتى يمكن من مطلوبه الذى ليس له و لا لغيره أخذ إلا من طريق الشرع شبهة يؤجر عليها لصحبته و اجتهاده اجراً واحداً لا تقدح فى اجماع الامة على خلافة على، كما لم يقدح فى الاجماع على خلافة الصديق امتناع سيد الخزرج سعد بن عبادة ﷺ عن مبايعته، على أن الفرق بين معاوية و بين سعد بن عبادة فى الفضل كما بين السماء و الأرض.

فان قيل: أبوبكر لم يقاتل سعد بن عبادة على امتناعه من بيعته فكيف قاتل علىّ معاوية على امتناعه من بيعته، قلت: سعد ﷺ امتنع من بيعة الصديق وحده و لم يؤلب أحداً على أبى بكر و قومه حتى أولاده كلهم بايعوا أبابكر لهذا لم يقاتله أبوبكر، و أما معاوية فقد ألب و حرض اهل الشام على قتال أميرالمؤمنين، و حال بينه و بين تنفيذه أوامره فيهم فلهذا قاتله أميرالمؤمنين، لا لامتناعه من بيعته.

ليست بيعة جميع الأمة شرطاً في صحة الخلافة و لا القتال مع الامام واجباً على جميع الامة

و أما الجهل و التلبيس ففى قوله: (و القتال معه) فانه لما رأى ان الامة كلها لم تقاتل مع حيدرة و انما قاتل معه اهل العراق فقط دل هذا عنده على أن خلافة



على غير مجمع عليها و لا تامة، و هو جهل و تلبيس، فليست بيعة جميع الامة شرطاً فى صحة الخلافة، و لا القتال مع الامام واجباً عينياً على جميع الامة بل القتال معه فرض كفاية على جميع الامة اذا قام به البعض سقط عن الباقين.

و قد قام اهل العراق بهذا الفرض عن الامة أحسن قيام فقد قتلوا من جيش معاوية مع كونه أكثر من جيش على خمسة و أربعين ألفاً يقيناً، و قتل منهم خمسة و عشرون ألفا، و لما أشرفوا به على الهزيمة الكبرى رفع الشاميون المصاحف على الرماح تخلصاً من الضغط الهائل و الفضيحة.

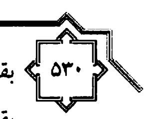
أقوال أئمة النقل دالة على اجماع المسلمين على بيعة حيدرة كرم الله وجهه

يتعلق بحيدرة رضي الله عنه ثلاثة اجماعات

فان عمى عن هذه الحقائق لجهله و نصبه فان تاريخ الاسلام الواضح وضوح الشمس قد سجلها، كما سجل أقوال علماء النقل الدالة على بيعة الامة الاسلامية لحيدرة، قال ابن سعد فى طبقاته فى ترجمته:

بويع على بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة ـ ذكره السيوطى فى تاريخ الخلفاء اهـ .

و قال ابن جرير مصدراً به خلافته: دخل علىّ المسجد فدخل المهاجرون و الأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس اهـ. و قال ابن الأثير فى كامله: فبايعه الناس اهـ. و قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة: لم يزل بعد النبى ﷺ متصدياً لنشر العلم و الفتيا فلما قتل عثمان بايعه الناس اهـ. و فى شرح المقاصد عن بعض المتكلمين ان الاجماع انعقد على ذلك، و وجه انعقاده فى زمن الشورى على أنها له أو لعثمان و هذا اجماع على انه لولا عثمان لكانت لعلى فحين خرج عثمان



بقتله، من البَين بقيت لعلى اجماعاً، و من ثـم قـال امـام الحـرمين: و لا اكـتراث بقول من قال لا اجماع على إمامة عليّ و أن الامامـة لم تجحـد لـه و انـما هاجـت الفتنة لامور اخر اهـ. فتلخص أنه يتعلق بعلى ﷺ ثلاثة اجماعات عنـد اهـل الحق، الاجماع على خلافته، و الاجماع على انه افـضل الـصحابة بعـد عـثمان، و الاجماع على انه مـصيب فـى اجتهـاده فـى حروبـه، و مقـاتلوه مـن الـصحابة مخطئون فى اجتهادهم.

افتراؤه على رسول الله ﷺ في خلافة حيدرة كرم الله وجهه

و قوله بـصيغة مـن صـيغ التلبـيس التـى يمتطيهـا دائـماً لتغطيـة مينـه: (و النصوص الثابتة عن النبى ﷺ تقتضى أن ترك القتال كان خيراً للطـائفتين الـى آخر الهراء) كذب مكشوف على رسول الله ﷺ الذى قـال: «**مـن كـذب علـى متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[1]، فلو كان محدثاً صـادقاً محققـاً امينـا علـى نقـل العلم لذكر و لو حديثاً واحداً من هذه النصوص التى زعم انها تقتضى الى آخر هذيانه لينظر فيه.

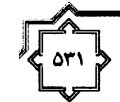
سرد اثني حديثاً واثراً دالة على خلافة أميرالمؤمنين على ﷺ

و قد وردت احاديث و آثار تـدل علـى خلافـة أميرالمـؤمنين علـى ﷺ، منها:

١) ما رو اه الامام احمد فى مسنده بسند جيد عن على ﷺ قـال: قيـل يـا رسول الله من نؤمر بعدك قال: «إن تؤمروا أبابكر تجدوه امينـاً زاهـداً فـى الـدنيا راغباً فى الآخرة، و إن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف فى الله لومـة لائـم،

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص٨١



وإن تؤمروا علياً و ما اراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم»[١].

٢) حديث سفينة مولى النبي ﷺ: «الخلافة فی امتی ثلاثون سنة ثم ملك»[٢] و قد تقدم.

٣) حديث عمار رضي الله عنه المشهور «تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنه و يدعونه الى النار»[٣].

٤) احاديث الخوارج و هی كثيرة، قال الحافظ ابن حجر فی فتحه: يفيد مجموعها القطع بصحة ذلك عن رسول الله ﷺ، فی رواية منها «تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[٤] و قد قتلهم أميرالمؤمنين علی بالنهروان، و فی رواية منها: «هم شرار أمتی يقتلهم خيار أمتی»[٥].

٥) وروى الامام احمد و أبو يعلى و البيهقی عن أبی سعيد الخدری رضي الله عنه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فقال أبوبكر أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا» فقال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا ولكنه خاصف النعل» و كان قد أعطى علياً نعله يخصفه[٦].

٦) و اخرج الامام احمد و الحاكم بسند صحيح عن أبی سعيد الخدری رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال لعلیّ: «إنك تقاتل على تأويل القرآن كما

١ . مسند احمد، ج١، ص١٠٩
٢ . مسند احمد، ج٥، ص٢٢١
٣ . صحيح البخاری، ج٣، ص٢٠٧
٤ . صحيح مسلم، ج٣، ص١١٣
٥ . مجمع الزوائد، ج٦، ص٢٣٩
٦ . مسند احمد، ج٣، ص٣٣

قاتلت على تنزيله»[١].

٧) و اخرج الامام احمد و البزار بسند حسن من حديث ابى رافع رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلى بن ابى طالب رضي الله عنه: «إنه سيكون بينك و بين عائشة أمر»، قال: فأنا اشقاهم يا رسول الله؟ قال: «لا ولكن اذا كان ذلك فارددها الى مأمنها»[٢].

٨) ـ اخرج الحاكم و صححه و البيهقى عن ام سلمة رضي الله عنه ـ قالت: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله خروج بعض امهات المؤمنين، فضحكت عائشة رضي الله عنها فقال: «انظرى يا حميراء ان لا تكونى أنت»، ثم التفت الى على فقال: «ان وليت من امرها شيئاً فارفق بها»[٣].

٩) ـ اخرج البزار بسند جيد عن زيد بن وهب ـ قال: كنا عند حذيفة فقال: «كيف انتم و قد خرج اهل دينكم يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف؟» قالوا: فماذا تأمرنا؟ قال: انظروا الى الفرقة تدعوا الى أمر عليّ فالزموها فانها على الحق[٤].

١٠) ـ اخرج البزار و ابونعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ، مرفوعاً: «أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها و عن شمالها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت؟»[٥].

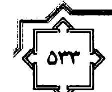
١ . لم نجده فى مسند احمد و المستدرك، ولكن نقل عنها الهيثمى فى الصواعق المحرقة، ج٢، ص٣٦١

٢ . مسند احمد، ج٦، ص٣٩٣

٣ . المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٩

٤ . مسند البزار، ج٧، ص٢٣٦، ذيله بلفظ: «فانها على الهدى»

٥ . مسند البزار، ج١١، ص٧٣



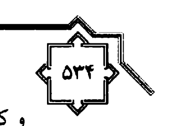
١١) ـ اخرج الحاكم و صححه و البيهقى عن ابى الأسود ـ قال: شهدت الزبير خرج يريد علياً، فقال له على: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتله و انت له ظالم؟» فمضى الزبير منصرفاً[١]، و فى رواية ابى يعلى و البيهقى فقال الزبير: بلى ولكن نسيت.

١٢) ـ وعن عمر رضي الله عنه ـ انه قال حين طعن و أوصى: «ان ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم» ـ يعنى علياً ـ اخرجه ابو عمر بن عبد البر ـ، و عن عمرو بن ميمون قال: كنت عند عمر اذ ولىّ الستة الأمر فلما جاوزوا أتبعهم بصره ثم قال: «لئن وليتم هذا الأجلح ليركبن بكم الطريق» ـ يعنى علياً ـ اخرجه ابن الضحاك ـ، و فى لفظ: «إن ولوها الاصيلع يحملهم على الحق و ان كان السيف على عنقه» ـ اخرجه القعلى ـ.

١٣) و فى هذه الصفحة٢٠٤ منه قال: و اما الرافضى، فاذا قدح فى معاوية رضي الله عنه بأنه كان باغياً ظالماً قال له الناصبى: و علي ايضا كان باغياً ظالما لما قاتل المسلمين على إمارته و بداهم بالقتال وصال عليهم و سفك دماء الامة بغير فائدة لا فى دينهم و لا فى دنياهم، و كان السيف فى خلافته مسلولاً على اهل الملة مكفوفاً عن الكفار، و القادحون فى على طوائف: طائفة تقدح فيه و فيمن قاتله جميعاً، و طائفة تقول: فسقت إحداهما لا بعينها ـ كما يقول ذلك عمرو بن عبيد و غيره من شيوخ المعتزلة ـ، و يقولون فى اهل الجمل فسق إحدى الطائفتين لا بعينها، هؤلاء يفسقون معاوية، و طائفة يقولون هو الظالم دون معاوية كما يقول ذلك المروانية، و طائفة يقولون علىّ كان فى أول أمره مصيباً فلما حكم الحكمين كفر وارتد عن الاسلام و مات كافراً، و هؤلاء هم الخوارج.

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٤١٣



فالخوارج و المروانية و كثير من المعتزلة و غيرهم يقدحون في علي ﷺ، و كلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون، و خطأ الشيعة في القدح في أبي بكر و عمر أعظم خطأ من أولئك في عليّ) اهـ.

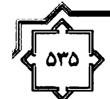
ابطال افترائه على علي كرم الله تعالى وجهه بانه كان باغياً صائلاً على معاوية

أقول: هذاالكلام من قوله و أما الرافضي الى قوله و القادحون في عليّ طوائف، فاسد، و بيانه أن الرافضة لم يقدحوا في معاوية بأنه باغ ظالم بل يقولون و يعتقدون فيه أنّه كافر، كما يقولون و يعتقدون كفر جلّ الصحابة ﷺ، و الناصبي و الخارجي، و الخوارج لم يقدحوا في علي بأنه كان باغياً ظالماً بل يقولون و يعتقدون فيه انه كان قبل التحكيم امام هدي و بعده صار كافراً كما يقولون و يعتقدون كفر عثمان و معاوية و جمهور الصحابة، و لا يحترمون الا الشيخين، فما بناه على قدح الخوارج الفاسد بقوله: لما قاتل المسلمين على إمارته و بداهم بالقتال الى آخر الهذيان أشد فساداً، فالخوارج لم يقولوا للرافضة هذا الهذيان الذى لا وجود له الا في مخيلته و لن يقولوه لهم، و سيرة حيدرة المتواترة في انه كان لا يبتدىء اهل القبلة بقتال حتى يبدؤه في تاريخ الاسلام أوضح من الشمس، فقد بهته بهذا الهذيان، كما بهته به في موضوع تقدم ابطاله.

فخلاصة هذا الهراء، مقابلة فاسد لا وجود له الا في مخيلته، بفاسد لا وجود له الا في مخيلته و إن شئت قلت: هو غسل خبث لا وجود له الا في مخيلته، بخبث لا وجود له الا في مخيلته.

المروانية افتعلها لا وجود لها الا في مخيلته

و قوله: و القادحون في عليّ طوائف الى قوله فالخوارج، مشتمل على تلبيس و كذب و تكرار، فالتلبيس في قوله طائفة تقدح فيه و فيمن قاتله جميعا،



فان القادحين فيه و فيمن قاتله هم الخوارج كلاب النار، و الكذب في قوله: و طائفة يقولون هو الظالم دون معاوية ـ كما يقول ذلك المروانية ـ فان المروانية مفتعله لا وجود لها الا في مخيلته، و هذه تواريخ الاسلام و كتب الملل و النحل ككتابي ابن حزم و الشهرستاني ناطقة بتكذيبه.

و قوله: و طائفة يقولون علي كان في أول أمره مصيباً الى قوله و هؤلاء هم الخوارج مكرر مع قوله طائفة تقدح فيه و فيمن قاتله جميعاً، و لا يتحقق القادحون في علي كرم الله وجهه في قوله فالخوارج و المروانية و كثير من المعتزلة و غيرهم يقدحون في علي ، الا في الخوارج، و المروانية افتعلها، و هو مطالب بتسمية البعض من الكثير من المعتزلة الذين قدحوا في عليّ كرم الله وجهه في قوله: (و غيرهم) و يقال في قوله و كلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون، إذا كانوا كلهم مخطئين ضالين مبتدعين في اعتقاده، فما هي الفائدة له في ذكرهم؟ و هل ذكرهم الا مكاثرة خبث واحد بأخباث؟ (نعم) جهله أدلة اهل السنة الدامغة لأباطيل الرافضة حمله على تعداد الطوائف المبتدعة ليكاثر بها الرافضة و يتلذذ في طعن حيدرة بذكرها.

و قوله: و خطأ الشيعة في القدح في أبي بكر و عمر أعظم خطأ من اولئك في عليّ، فاسد، لأن الشيعة فرق أقرب فرقهم الى اهل السنة الزيدية، و الزيدية لا يقدحون في أبي بكر و عمر بل يحبونهما و يوالونهما، و انما يفضلون علياً عليهما، و الرافضة منهم الذين رد عليهم بمنهاجه هم الذين يقدحون في أبي بكر و عمر، و ليس قدحهم مقصوراً عليهما، بل يكفرونهما و جل الصحابة، و ليس قدح الخوارج في علي مقصوراً عليه، بل كفروه و عثمان و معاوية و جمهور الصحابة، فتقويم كلامه في الشقين ان يقول: المكفرون لأبي بكر و عمر و جل الصحابة أعظم خطأ من المكفرين لعثمان و على و معاوية و جمهور الصحابة، و

مع هذا التقويم لا فائدة يستفيدها العقلاء من اعظمية طوائف فى عقيدة خبيثة على طوائف اخرى فيها، و لا حجة فيه على المردود عليه.

تخبطه في حديث عمار لقتله الفئة الباغية و بهتانه على الأئمة

١٢) و فى آخر هذه الصفحة ٢٠٤ منه قال: فان قال الذاب عن عليّ، هؤلاء الذين قاتلهم عليّ كانوا بغاة فقد ثبت فى الصحيح ان النبىّ ﷺ قال لعمار رضي الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية»[١]، و هم قتلوا عماراً فههنا للناس اقوال، منهم من قدح فى حديث عمار، و منهم من تأوله على أن الباغى الطالب و هو تأويل ضعيف، و اما السلف و الأئمة فيقول اكثرهم كأبى حنيفة و مالك و احمد و غيرهم لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية اهـ).

اقول: السؤال فى هذا الكلام صحيح منطبق على مذهب اهل الحق، و جوابه من قوله: لهنا للناس اقوال الى آخر الهراء فاسد، فقد كذب و لبس فى قوله: فههنا للناس اقوال، على البسطاء.

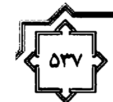
فاهل الحق متفقون على ان معاوية باغ و على ان حديث عمار من اعلام نبوته ﷺ التى ظهرت بعده، و لا قول لهم فيه الا واحد دال على خلافة عليّ و إصابته الحق، فلا ناس و لا اقوال.

حديث عمار متواتر و كلام العلامتين القرطبي و الأبي فيه

و قوله: (منهم من قدح فى حديث عمار) كذب مكشوف فلو كان صادقاً اميناً على نقل العلم لبين القادح فى حديث عمار لينظر فيه و لا يركب له مطية من مطايا التلبيس.

---

١ . صحيح مسلم، ج٨، ص١٨٦



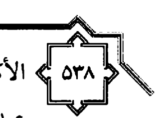
و قد تحققنا ان القادح فى حديث عمار هو ابن اخت خالته، و المتأول لحديث عمار فى قوله: (و منهم من تأوله على ان الباغى الطالب و هو تأويل ضعيف)، هو معاوية ﷺ و هو تأويل الثانى له. قال العلماء: و حديث عمار متواتر، قال القرطبى: و لما لم يقدر معاوية على إنكاره قال إنما قتله من اخرجه إلينا، فأجابه عليّ ﷺ بأن رسول الله ﷺ إذاً قتل عمَّه حمزة حين اخرجه.

قال ابن دحية: و هذا من الالزام المفحم الذى لا جواب عنه، و حجة لا اعتراض عليها، و قال القرطبى ايضاً: فرجع و تأوله على الطلب، و قال: نحن الفئة الباغية ـ اى الطالبة لدم عثمان من البغاء بضم الباء و المد و هو الطلب ـ .

قال العلامة الأبى فى شرحه على صحيح مسلم: البغى عرفا الخروج عن طاعة الامام مغالبة له، و لا يخفى بُعد التأولين او خطؤهما و الأول واضح و كذا الثانى، لان ترك عليّ القصاص من قتلة عثمان الذى قاموا بطلبه و رأوه مستند اجتهادهم ليس لأنه تركه جملة واحدة و انما تركه لما تقدم أى حتى يدخلوا فى الطاعة ثم يدّعوا على من قتل، قال: و أيضاً عدم القصاص منكر قاموا لتغييره و القيام لتغيير المنكر انماهو ما لم يؤد الى مفسدة أشد، و أيضاً المجتهد انما يحسن به الظن اذا لم يبين مستند اجتهاده، اما إذا بينه و كان خطأ فلا، و لله درّ الشيخ ـ يعنى شيخه العلامة ابن عرفة ـ حيث كان يقول: الصحبة حصنت من حارب علياً اهـ ـ الجزء السابع من شرح الزرقانى على المو اهب اللدنية فى باب انبائه ﷺ بالمغيبات ـ .

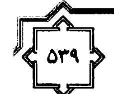
كلام الامامين عبد القادر الجرجاني و ابي منصور الماتريدي في امامة علي كرم الله وجهه

و قوله: و اما السلف و الأئمة فيقول اكثرهم الى آخر الهراء، بهتان على



الأكثر من السلف و الأئمة مكشوف سيجازى عليه جزاء الباهتين، قال الامام عبد القاهر الجرجانى فى كتاب الامامة: اجمع فقهاء الحجاز و العراق من فريقى اهل الحديث و الرأى منهم مالك و الشافعي و أبو حنيفة و الأوزاعى و الجمهور الأعظم من المسلمين و المتكلمين على ان علياً مصيب فى قتاله لاهل صفين كماهو مصيب فى اهل الجمل و ان الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكن لا يكفرون ببغيهم، و قال الامام أبو منصور الماتريدى: اجمعوا على ان علياً كان مصيباً فى قتال اهل الجمل طلحة و الزبير و عائشة بالبصرة، و اهل صفين معاوية و عسكره اهـ ـ ج٧ شرح الزرقانى على المو اهب اللدنية فى باب انبائه عليه الصلاة و السلام بالمغيبات ـ .

١٣) قال فى آخر صفحة٢٠٧ و أول صفحة٢٠٨ منه: و طائفة يقولون: عليّ و ان كان افضل من معاوية لكن كان معاوية مصيباً فى قتاله، و لم يكن عليّ مصيباً فى قتال معاوية، و هؤلاء كثيرون كالذين قاتلوه مع معاوية، و هؤلاء يقولون أو جمهورهم ان علياً يكن إماما مفترض الطاعة لأنه لم تثبت خلافته بنص و لا اجماع، و هذا القول قاله طائفة اخرى ممن يراه افضل من معاوية و انه أقرب الى الحق من معاوية و يقولون إن معاوية لم يكن مصيباً فى قتاله، و هذا القول قاله كثيرون من علماء اهل الحديث البصريين و الشاميين و الأندلسيين و غيرهم، و كان بالأندلس كثير من بنى امية يذهبون الى هذا القول و يترحمون على عليّ و يثنون عليه لكن يقولون لم يكن خليفة، و ان الخليفة ما اجتمع الناس عليه و لم يجتمعوا على عليّ، و كان من هؤلاء من يربع بمعاوية فى خطبة الجمعة، فيذكر الثلاثة و يربع بمعاوية و لا يذكر علياً و يحتجون بأن معاوية اجتمع عليه الناس بالمبايعة لما بايعه الحسن بخلاف علي فان المسلمين لم يجتمعوا عليه، و يقولون لهذا ربعنا بمعاوية، و هؤلاء قد احتج عليهم الامام احمد و غيره بحديث سفينة عن



النبی ﷺ انه قال: «الخلافة بعدی ثلاثون سنة ثم تصیر ملكاً»[١] و قال احمد من لم یربع فی الخلافة بعلیّ فهو أضل من حمار اهله، و تكلم بعض هؤلاء فی احمد بسبب هذا الكلام، و قال قد انكر خلافته من الصحابة طلحة و الزبیر و غیرهما ممن لا یقال فیه هذا القول اهـ).

تمثيلية بهتان لا وجود لها الا في مخيلته في خلافة حيدرة كرم الله وجهه

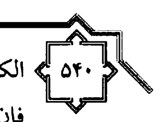
اقول: هذا الهراء تمثیلیة بهتان لا وجود لها الا فی مخیلته قصد بها حط منزلة علیّ بابطال خلافته و رفع منزلة معاویة علیه فیها، دعائمها مطایا الابهام و التدلیس المعتادة له، و هی: و طائفة یقولون علیّ و ان كان، هؤلاء كثیرون، و هؤلاء یقولون، أو جمهورهم، و هذا القول قاله طائفة اخری، و یقولون ان معاویة، و هذا القول قاله كثیرون من علماء اهل الحدیث البصریین، و الشامیین، و الأندلسیین، و غیرهم، و كان بالأندلس كثیرون من بین امیة یذهبون الی هذا القول، لكن یقولون لم یكن، و كان من هؤلاء من یربع بمعاویة، و یحتجون بأن معاویة، و یقولون لهذا ربعنا، و هؤلاء قد احتج علیهم، و تكلم بعض هؤلاء فی احمد، و قال قد انكر خلافته من الصحابه... و غیرها، و لا اعلق علیها بأكثر من هذا، و لیس فیها حقیقة غیر حدیث سفینة و كلام الامام احمد: من لم یربع فی الخلافة بعلی فهو أضل من حمار اهله، و نحن نحكم علیه بقول إمامه ابن حنبل هذا فی علیّ كرم الله وجهه، فنقول له......

طلحة و الزبير بايعا طائعين و استمرا على بيعتهما و كلام ابن حزم في ذلك

و ادعاؤه تكلم هذا المبهم الموجود فی مخیلته فی الامام احمد بسبب هذا

---

١ . مسند احمد، ج٥، ص٢٢١



الكلام، و زعمه انه قال قد أنكر خلافته من الصحابة طلحة و الزبير، باطلان، فان طلحة و الزبير بايعا أميرالمؤمنين علياً عليه السلام طائعين غير مكرهين و استمرا على بيعتهما، و القولان بأنهما بايعا مكرهين أو خلعا بيعته، باطلان.

قال ابن حزم فى (الملل و النحل): فعليّ مصيب فى الدعاء إلى نفسه و الى الدخول تحت امامته، و أما ام المؤمنين و طلحة و الزبير رضي الله عنهم فما أبطلوا قط إمامته و لا طعنوا فيها و لا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الامامة و لا أحدثوا إمامة اخرى، و لا جددوا بيعة لغيرة، و هذا لا يستطيع احد ان يدعيه عليهم بإى وجه، بل المقطوع به عند كل مسلم ان كل ذلك لم يكن اهـ.

قلت: و لم يختلفوا مع أمير المؤمنين الا فى تأخير القصاص من قتلة عثمان و تعجيله، فعليّ عليه السلام رأى تأخيره حتى تسكن الثائرة و يجتمع شمل المسلمين، فاذ ذاك يقيم اولياء عثمان البينة على القاتل عنده فيحكم عليه بالقصاص، و هم رأوا ان قتل عثمان رضي الله عنه منكر عظيم تجب إزالته حالاً بقتل القاتلين له، و إزالة المنكر من حيث هو لمن قدر عليه فرض كفائى لا يتوقف على إمام يرجع اليه فيه، و منزلتهم فى الاسلام و عند المسلمين تخول لهم ذلك، فهم رضي الله عنهم مصيبون فى استعجالهم إزالة هذا المنكر من هذه الوجهة، ولكن فاتهم كما فات معاوية ان إزالة هذا المنكر تتعلق بالقصاص من قاتل عثمان رضي الله عنه، و القصاص من قاتل عثمان يتوقف على الامام و اقامة اولياء عثمان البينة على القاتل عنده فيحكم عليه بمقتضى ذلك، وفاتهم كما فات معاوية ان المباشر لقتل عثمان واحد غير معين من جم غفير حاصر عثمان حتى قتل، وفاتهم كما فات معاوية ان قتل هذا الجم الغفير بعثمان الذى هو نحو الفين ومن قبائل شتى لا يمكنهم مجتمعين مع معاوية، بل لا يمكنهم و معاوية مجتمعين مع اميرالمؤمنين عليّ عليه السلام.



تحقق ان رأي حيدرة كرم الله تعالى وجهه أصوب و اسدّ منهم جميعاً

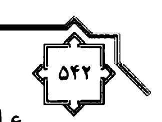
و قد اتسع الخرق على طلحة و الزبير و عائشة لما حاولوا قتل طائفة منه بالبصرة فتحققوا خطأهم بمناظرة القعقاع بن عمرو لهم، و جنحوا الى الرجوع الى امير المؤمنين و الاتفاق معه، و قد قتل اكثر من نصف جيش معاوية لما حاول ذلك فى جيش حيدرة، فرفع المصاحف على الرماح خوفاً من استئصال بقية جيشه، و اجتمع الناس عليه لما تنازل له الحسن، و بقية منه موجودة بالبصرة و الكوفة و مصر فلم يهجها، و بهذا تحقق و تقرر عند اهل الحق ان رأى حيدرة كرم الله وجهه اصوب و أسد منهم جميعاً.

١٤) و فى ص٢١٠ منه قال: و عليّ رضي الله عنه كان قد بايعه اهل الكوفة بالمدينة، و لم يكن فى وقته احق منه بالخلافة و هو خليفة راشد تجب طاعته، و معلوم ان قتل القاتل انما شرّع عصمةً للدماء، لذا أفضى قتل الطائفة القليلة الى قتل أضعافها لم يكن هذا طاعة و لا مصلحة، و قد قتل بصفين اضعاف اضعاف قتلة عثمان، و ايضا فقول النبى ﷺ فى الحديث المتفق على صحته: «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم ادنى الطائفين الى الحق»، يدل على ان علياً و اصحابه ادنى الى الحق من معاوية و اصحابه، و كذلك حديث عمار «تقتلك الفئة الباغية»[1] قد رو اه مسلم فى صحيحه من غير وجه و رواه البخارى و اما تأويل من تأوله ان عليا و اصحابه قتلوه، و ان الفئة الباغية الطالبة بدم عثمان فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد التى يظهر فسادها للعامة و الخاصة.

و اطنب فى ذكر روايات حديث عمار فى ص٢١١ منه، ثم قال: و الحديث ثابت صحيح عن النبى ﷺ عند اهل العلم بالحديث، و الذين قتلوه هم الذين باشروا قتله، ثم ثرثر فى لفظ البغى فى الحديث و فى الأية الشريفة.

---

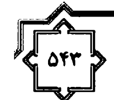
١ . صحيح مسلم، ج٨، ص١٨٦



ثم قال فى ص٢١٤ منه: و لهذا كان القول الثالث فى هذا الحديث حديث عمار ان قاتل عمار طائفة باغية ليس لهم ان يقاتلوا علياً و لا يمتنعوا عن مبايعته و طاعته، و ان لم يكن عليّ مأموراً بقتالهم و لا كان فرضاً عليه قتالهم لمجرد امتناعهم عن طاعته مع كونهم ملتزمين شرائع الاسلام اهـ).

اقول: اشتمل هذا الكلام على سبعة مباحث، فقوله: و على ﷺ كان قد بايعه اهل الكوفة بالمدينة فاسد، سواء أبقى على ظاهره أم جعل على حذف مضاف، لأن اهل الكوفة كلهم لم يحضروا الى المدينة لبيعته، و بيعة الطائفة التى حضرت حصار عثمان منهم له صحيحة ولكنهم لم ينفردوا بها بل شاركهم فيها الطائفتان المشاركتان لهم فى حصار عثمان البصرية و المصرية كما بايعه جميع اهل المدينة.

و قوله: (و لم يكن فى وقته احق منه الى قوله فقول النبى ﷺ كلام حق أراد به باطلاً ـ و هو ما زعمه ـ و أسسه سابقاً من ان علياً بدأ معاويه بالقتال وصال عليه و تحليل هذا الهراء المبنى عليه هكذا: كون عليّ لم يكن فى وقته احق بالخلافة منه حقاً، و كونه خليفة راشداً واجب الطاعة على المسلمين حق، و كون قتل القاتل شرع لعصمة الدماء معلوم، ولكن علي تجاوز حكمة الشارع فى الدماء لإفضاء قتله للطائفة القليلة الى قتل أضعافها من جيش معاوية فى صفين، و لا مصلحة فى القتل المتجاوز به حكمة الشارع فلا طاعة له و تطبيق هذا الهراء على حيدرة بدهى البطلان، و انما هو منطبق على معاوية، لأن الطائفة القليلة المطلوبة بدم عثمان ليست فى جيشه حتى يطلبها عليّ، و انما هى فى جيش عليّ، و معاوية هو الطالب لها ليقتص منها، و هو البادىء امير المؤمنين بالحرب و قد قتل نصف جيشه او اكثر و لم يصل الى مطلوبه، و هو المتجاوز حكمة الشارع فى الدماء لافضاء محاولته قتل الطائفة القليلة الى قتل أضعاف مضاعفة من



جيشه البرىء من دم عثمان و قتل آلاف مؤلفة من جيش عليّ الأبرياء أيضاً من دم عثمان بلا مصلحة، فتحقق بهذا اعترافه بأن علياً خليفة راشد، و انه لم يكن فى وقته أحق بالخلافة منه، و انه واجب الطاعة على المسلمين، و تقييده هذا كله بما ذكره من الهراء فاسد.

و قوله: (فقول النبى ﷺ الى قوله و أما تأويل من تأوله)، حجتان دامغتان لبهتانه كله فى حيدرة، فهو باحث عن حتفه بظلفه.

و قوله: (و اما تأويل من تأوله الى قولى و أطنب)، حق سجله على نفسه و على معاوية فى حديث عمار، و التأويلان الظاهرا الفساد للعامة و الخاصة، هما لمعاوية رضي الله عنه، و قد تقدم شرحهما فى كلام القرطبى و العلامة الأبى.

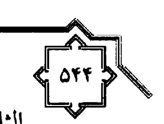
و قوله: (و الحديث ثابت صحيح الى قوله و الذين قتلوه)، صحيح بل قال العلماء انه متواتر.

و قوله: (و الذين قتلوه هم الذين باشروا قتله) فاسد من وجهين:

الاول: أن الذى قتل عماراً واحد و هو أبو الغادية الجهنى، و عليه فكان اللازم لكلام النبوة الراقى ان يقول ﷺ: «**عمار يقتله الباغى**»، بالمفرد لا بالجمع.

الثانى: المباشر لقتل عمار سواء كان واحدا ام جمعاً مندرج تحت لواء معاوية، و لا يعقل لغة و لا عادة و لا عقلا قصر البغى على المباشر لقتله المرؤس دون الرئيس و المندرجين تحت لوائه و امره.

و قوله: (و لهذا كان القول الثالث فى حديث عمار الى آخر الهراء) آخر ما فى جعبة مينه و تخبطه فى حديث عمار، و قد تقدم انه لا قول فيه لعلماء الاسلام قاطبة الا واحد، و هو دلالته على خلافة علي و اصابته الحق و بغى معاوية و من معه عليه.



و قد افتعل الاول و هو قوله سابقاً: (منهم من قدح فی حدیث عمار، و هذا الثالث، و جعل تأویل معاویة له بأن الباغی الطالب قولاً ثانیاً، و قد حکم علی هذا التأویل أولاً بالضعف، ثم حکم علیه ایضا مع التأویل الآخر لمعاویة فیه بأن علیاً و اصحابه هم الذین قتلوا عماراً حیث أخرجوه الینا، بأنهما من التأویلات الظاهرة الفساد التی یظهر فسادها للعامة و الخاصة.

ثم اعترف بأن الحدیث ثابت صحیح عن النبی ﷺ عند اهل العلم بالحدیث، ولکن زعم ان الذین قتلوه هم الذین باشروا قتله، ثم کانت خاتمة تخبطه و مینه فی حدیث عمار هذا الهراء الذی سجَّل به علی نفسه أنه ناصبی.

كلام الحافظ ابن حجر في فتحه في حديث عمار

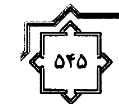
قال الحافظ ابن حجر فی الجزء الاول من فتحه ص٤٣١: فائدة روی حدیث: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»[1] جماعة من الصحابة منهم: قتادة بن النعمان و أم سلمة عند مسلم، و ابو هریرة عند الترمذی، و عبدالله بن عمرو بن العاص عند النسائی، و عثمان ابن عفان و حذیفة و ابو ایوب و ابو رافع و خزیمة بن ثابت و معاویة و عمرو بن العاص و ابو الیسر و عمار نفسه، و کلها عند الطبرانی و غیره، و غالب طرقها صحیحة أو حسنة، و فیه عن جماعة آخرین یطول عدهم.

و فی هذا الحدیث علم من أعلام النبوة و فضیلة ظاهرة لعلیّ و لعمار، ورد علی النواصب الزاعمین ان علیاً لم یکن مصیباً فی حروبه اهـ.

١٥) و فی ص٢١٩ منه قال: (و اما قوله) انه بالغ فی محاربة علیّ فلا ریب انه اقتتل العسکران؛ عسکر علی و معاویة بصفین، و لم یکن معاویة ممن یختار

---

١ . صحیح مسلم، ج٨، ص١٨٦



الحرب ابتداء بل كان أشد الناس حرصاً على ان لا يكون قتال و كان غيره أحرص على القتال منه اهـ).

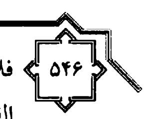
البهتان المكرر في علي ومعاوية وجنايته على تاريخ الاسلام في خلافة حيدرة

قوله: (و لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء الى آخر الهراء) بهتان مكرر على عليّ و معاوية تقدم ابطاله، و اقول أيضا ان هذا المفتون يحاول نطح الجبال الشامخات بنصبه، يحاول طمس ضوء الشمس فى رابعة النهار بنصبه، يحاول سلب شمائل عليّ المتواترة فى القرآن و السنة و كتب علماء الاسلام قاطبة، و منحها معاوية بنصبه، فمعاوية هو الحارص على حرب حيدرة و البادىء بها مرتين، وقد اراد قتل اسرى كثيرين أخذهم من جيش اميرالمؤمنين باشارة عمرو بن العاص عليه بذلك.

كلام علي عليه السلام لأصحابه

و كان اميرالمؤمنين قد أسر كثيرين من جيش معاوية فاطلقهم فجاءوا معاوية فقال لعمرو بن العاص: لو أطعناك فى هؤلاء الاسارى لوقعنا فى قبيح من الامر، و خلى سبيل من عنده. قال القاضى الامام ابوبكر الباقلانى فى تمهيده:

و قد روى ان علياً عليه السلام قام فى الناس خطيباً عند مسيره الى البصرة فقال: ايها الناس املكوا انفسكم و كفوا أيديكم و السنتكم عن هؤلاء فانهم اخوانكم و اصبروا على ما نابكم فان المخصوم من خصم اليوم، و سار على تعبئته و انه قام فيهم مقاما آخر فقال: لا تقاتلو القوم حتى يبدؤوكم فانكم بحمد الله على حجة، و اذا قاتلتموهم فغلبتموهم فلا تجهزوا على جريحهم، و اذاهزمتموهم



فلا تتبعوا مدبراً و لا تكشفوا عورة و لا تمثلوا بقتيل، فاذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا و لا تدخلوا داراً إلا باذن، و لا تأخذوا شيئاً من اموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم ـ يعني من سلاح خزائن السلطان ـ و لا تهيجوا امرأة و ان شتمن أعراضكم، و سبين امراءكم و صلحاءكم فانهن ضعاف القوى و الأنفس و العقول، و لقد كنا نؤمر بالكف عنهن و انهن مشركات اهـ.

و قال الحافظ ابن الأثير في كامله وقعة الجمل: كان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة أن لا يقتتلوا حتى يبدؤوا يطلبون بذلك الحجة، و ان لا يقتلوا مدبراً و لا يجهزوا على جريح و لا يستحلو سلباً اهـ.

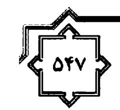
و قد اخرج ابن ابي شبية و سعيد بن منصور و البيهقي أن علياً كرم الله وجهه قال لأصحابه يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً و لا تجهزوا على جريح.

و في رواية انه أمر مناديه ينادي لا يتبع مدبر و لا يذفف على جريح و لا يؤخذ أسير و من أغلق باباً أمن و من القى سلاحه فهو آمن، و في اخرى و لا يقتل مقبل الا ان صال، و لم يمكن دفعه إلا بقتله، و لا مدبر ولا يستحل فرج و لا يفتح باب و لا يستحل مال اهـ، قلت: و من سنة حيدرة هذه في قتال اهل القبلة اخذ أئمة الاجتهاد المتبوعون أحكام البغاة.

عدم اعتبار خلافة ابن الزبير و اتفاق الامة على بعيته

١٦) و في ص٢٣٩ منه قال: ثم ان ابن الزبير جرى بينه و بين يزيد من الفتنة، و كان اظهاره الأمر لنفسه بعد موت يزيد، فانه حينئذ تسمى بأمير المؤمنين و بايعه عامة اهل الأمصار إلا اهل الشام.

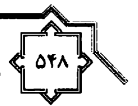
ثم قال: فلما مات يزيد بايع ابن الزبير طائفة من اهل الشام و العراق و غيرهم، ثم قال: فتأمر بعده مروان بن الحكم على الشام فلم تطل مدته، ثم تأمر بعده ابنه عبد الملك اهـ.



الصواب فى قوله فى ابن الزبير، و بايعه عامة اهل االامصار إلا اهل الشام، الا اهل الاردن، و قوله: فلما مات يزيد بايع ابن الزبير طائفة من اهل الشام العراق و غيرهم مناقض للأول، و الصواب الاول.

قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب الفتن ج١٣: لما مات يزيد بن معاوية دعا ابن الزبير الى نفسه و بايعوه بالخلافة فأطاعه اهل الحرمين و مصر و العراق و ماوراءهما، و بايع له الضحاك بن قيس الفهرى بالشام كلها الا الاردن و من بها من بين امية و من كان على هواهم حتى هم مروان ان يرحل الى ابن الزبير و يبايعه فمنعوه و بايعوا له بالخلافة اهـ.

و قال ايضا فى كتاب الأحكام فى باب كيف يبايع الامام الناس: لم يكن ابن الزبير ادعى الخلافة حتى مات يزيد فى ربيع الاول سنة أربع و ستين، فبايعه الناس بالخلافة بالحجاز، و بايع اهل الآفاق لمعاوية بن يزيد بن معاوية، فلم يعش الا نحو أربعين يوماً و مات، فبايع معظم الآفاق لعبدالله بن الزبير، و انتظم له ملك الحجاز و اليمن و مصر و العراق و المشرق كله و جميع بلاد الشام حتى دمشق و لم يتخلف عن بيعته الا بنو امية و من يهوى هواهم و كانوا بفلسطين، فاجتمعوا على مروان بن الحكم و بايعوه بالخلافة اهـ و نقل الآبى فى شرح صحيح مسلم فى باب نقض ابن الزبير الكعبة و بنائها على قواعد ابراهيم عن الحافظ ابن عبد البر فى كتابه (التقصى) ان الامام مالكاً كان يقول: ابن الزبير أحق بالخلافة من مروان و ابنه، و فى الأبىّ أيضا عن البياسى و غيره من المؤرخين ان ابن الزبير بويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بالحجاز، و اذعن له سائر اهل الأرض الا اهل الاردن، و بعث عماله الى العراق و الشام و مصر و اليمن و بقى خليفة الى ان قتله الحجاج اهـ.



مروان ابن الحكم لايعد في امراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير رضي الله عنهما

قلت: فخلافة ابن الزبير مجمع عليها و قوله: (فتأمر بعده، أى بعد معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم على الشام فلم تطل مدته، ثم تأمر بعده ابنه عبدالملك) غير صحيح فلا يعد مروان فى أمراء المؤمنين و لا ابنه عبدالملك فى حياة ابن الزبير.

قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء: و الأصلح ما قاله الذهبي: ان مروان لا يعد فى امراء المؤمنين، بل هو باغ خارج على ابن الزبير، و عهده الى ابنه غير صحيح و انما صحت خلافة عبدالملك بعد قتل ابن الزبير اهـ. و قوله: فلم تطل مدته، صحيح فقد مكث بعد أخذه الشام بالغدر تسعة أشهر وقتلته امرأته أم خالد بن يزيد.

طعنه في اهل المدينة شهداء الحرة وفي القراء الذين خرجوا على الحجاج

١٧) و فى ص١ ٢٤ منه قال: و أما اهل الحرة و ابن الأشعث و ابن المهلب فهزموا و هزم أصحابهم فلا أقاموا دينا و لا ابقوا دنيا، و الله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين و لا صلاح الدنيا و إن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين و من اهل الجنة فليسوا أفضل من على و طلحة و الزبير و عائشة و غيرهم و مع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال اهـ.

اقول: اهل الحرة من اهل المدينة الذين خلعوا بيعة يزيد بن معاوية، و القراء الذين خلعوا طاعة عبدالملك بن مروان و قاموا فى وجه أميره الحجاج، و الذين خلعوا مع ابن المهلب طاعة يزيد حبابة مظلومون محقون فى قيامهم بتغيير المنكر على الولاة الظلمة و تغيير المنكر لمن ظن فى نفسه القدرة عليه علاوه على كونه واجباً شرعياً كفائياً مستحسن فى العقول السليمة، و لا يضر من قام لله فى تغيير منكر عظيم عدم نجاحه فيه عن اقامة دين او ابقاء دنيا.



فقوله متشفياً فيهم: (فهزموا و هزم اصحابهم فلا اقاموا ديناً و لا أبقوا دنيا) فاسد لأن خلع شهداء الحرة سادة الامة و أعيانها اهل المدينة ليزيد لم يكن بطراً، و انما خلعوه لسببين: اشتهاره بالفسق و سوء تصرف عامله ابن عمه محمد بن عثمان بن أبى سفيان، و قد سطرهما التاريخ.

اتفاق علماء الاسلام على ان يزيد ظالم

و قد اتفق المسلمون على ذمه على ارتكابه الحوادث الثلاث القبيحة: قتل الحسين و اباحة المدينة لجنده ثلاثة ايام مع قتل اهلها، و حصار ابن الزبير فى مكة و رمى الكعبة بالمنجنيق، قال ابن حزم فى جمهرة الأنساب فيه: كان قبيح الآثار فى الاسلام، قتل اهل المدينة و أفاضل الناس بقية الصحابة رضي الله عنهم يوم الحرة فى آخر دولته، و قتل الحسين بن على رضي الله عنهما و اهل بيته فى اول دولته، و حاصر ابن الزبير رضي الله عنهما فى المسجد الحرام و استخف بحرمة الكعبة و الاسلام، فأماته الله فى تلك الأيام اهـ.

و قد وردت آثار كثيرة فى شهادة اهل المدينة و انهم خيار امته ﷺ بعد اصحابه، كما وردت آثار فى ذم يزيد بن معاوية ذكرها ابن كثير فى بدايته و العلامة ابن حجر الهيتمى فى الصواعق المحرقة، و اشتهار يزيد بشرب الخمر و الفسق مسطر فى التاريخ.

قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء و كان سبب خلع اهل المدينة ليزيد انه أسرف فى المعاصى، اخرج الواقدى من طرق: ان عبدالله بن حنظلة الغسيل قال: و الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء، انه رجل ينكح امهات الأولاد و البنات و الاخوات و يشرب الخمر و يدع الصلاة.



قال الذهبی: و لما فعل یزید باهل المدینة ما فعل مع شربه الخمر و اتیانه المنكرات اشتد علیه الناس و خرج علیه غیر واحد و لم یبارك الله فی عمره اهـ، و قال ایضا فی میزان الاعتدال: یزید بن معاویة بن أبی سفیان مقدوح فی عدالته لیس باهل أن یروی عنه، قال احمد بن حنبل لا ینبغی أن یروی عنه اهـ.

و قد صرح ابن كثیر فی بدایته بفسق یزید فی ثلاثة مواضع:

١) ذكر فی ص٢٢٨، ج٨ عن الطبرانی باسناده، قال: كان یزید فی حداثته صاحب شراب یأخذ مأخذ الأحداث فأحس أبوه بذلك، فوعظه بكلام منثور و شعر ساقهما كاملين.

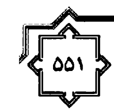
٢) و قال فی ص٢٣٠ منه واصفاً له: (و كان فیه ایضا اقبال علی الشهوات و ترك بعض الصلوات فی بعض الأوقات و إماتتها فی غالب الاوقات) ثم أفاض بعد هذا فی الأحادیث الدالة علی ذم یزید.

٣) و قال فی رأس ص٢٣٢ منه: قلت یزید بن معاویة اكثر ما نقم علیه فی عمله شرب الخمر و إتیان بعض الفواحش اهـ و اقول أیضاً: الخلافة كالارث حق للامة یثبت لها بعد موت الأول، و یصح له فی مرض موته ان یستخلف علیها بالنیابة عنها من یراه أصلح لها، كما فعل ابوبكر ﷺ فی مرض موته، و الفاروق بعد طعنه.

بيعة يزيد بعد موت ابيه مبنية على بيعته في عهد ابيه و هذه باطلة بستة اوجه

و علیه فبیعة یزید بعد موت أبیه مبنیة علی بیعته فی عهد ابیه و هذه باطلة بستة أوجه:

الأول: الامامة حق الامة یثبت لها بعد موت معاویة و لا حق لها و لا لیزید مع وجوده، فبیعته علی هذا عدم، لأنها إثبات الشیء قبل وجوده و وجوبه.

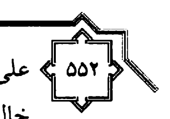


الثاني: بيعته فی حال صحة ابيه باطلة.
الثالث: بيعة ثان بالامامة مع وجود الأول في بلد واحد باطلة اجماعاً.
الرابع: صح عنه ﷺ انه قال اذا بويع خليفة ثم بويع آخر فاقتلوا الآخر.
الخامس: انتقاء ناس من اهل الأمصار لها و تهيئة الخطباء الحاثين عليها.
السادس: إكراه سادة الامة عليها ابن عمر و ابن الزبير و عبدالرحمن بن أبى بكر و الحسين بن على رضي الله عنهم، قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء: جعله ابوه ولى عهده و اكره الناس على ذلك اهـ.

و الخروج على السلطان الظالم سائغ فى رأى كثير من العلماء و القدوة فيه خروج أعيان الامة اهل المدينة على يزيد ثم القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث على عبدالملك ابن مروان.

قال الحافظ ابن حجر فى فتحه ج١٢ فى كتاب استتابة المرتدين و المعاندين و قتالهم متعقباً الرافعى فى حكمه على الخوارج كحكم اهل الردة: ليس ما قاله مطرداً فى كل خارجى فانهم على قسمين: أحدهما من تقدم ذكره ـ (يعنى بهم الذين خرجوا على اميرالمؤمنين علي كرم الله وجهه) ـ.

و الثانى: من خرج فى طلب الملك لا للدعاء الى معتقده و هم على قسمين أيضاً: قسم خرجوا غضباً للدين من أجل جور الولاة و ترك عملهم بالسنة النبوية فهؤلاء اهل حق و منهم الحسين بن على و اهل المدينة فى الحرة و القراء الذين خرجوا على الحجاج اهـ و قال الحافظ ابن حجر فى فتحه أيضاً ج١٢ فى باب من ترك قتال الخوارج للتألف: و أما من خرج عن طاعة إمام جائر أراد الغلبة على ماله أو نفسه او اهله فهو معذور لا يحل قتاله و له أن يدفع عن نفسه و ماله و اهله بقدر طاقته و سيأتى بيان ذلك فى كتاب الفتن، و قد اخرج الطبرى بسند صحيح عن عبدالله بن الحارث عن رجل من بنى نصر عن



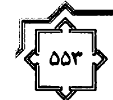
على ﷺ و قد ذكر الخوارج فقال ان خالفوا إماماً عدلاً فقاتلوهم، و ان خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فان لهم مقالاً.

قال الحافظ ابن حجر قلت: و على ذلك يحمل ما وقع للحسين بن على ثم لاهل الحرة اهل المدينة ثم لعبدالله بن الزبير ثم للقراء الذين خرجوا على الحجاج مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث اهـ، و يقال فى قوله: (و الله لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين و لا صلاح الدنيا الى قوله و مع هذا لم يحمدوا).

بهتان على علي و طلحة و الزبير و عائشة و معاوية ﷺ

و الله تعالى لم يأمر بتأمير الأحداث و الأعراب الأجلاف على المسلمين، و لم يأمر باستباحة بلدة الاسلام المقدسة ثلاثة أيام، و لم يأمر الظالم بقتل الصالحين لمخالفتهم له، و لم يأمر بانتهاك حرمة حرمه المقدس بالقتال فيه، و رمى بيته المحرم بالمنجنيق، و لم يأمر الظالمين باضطهاد أمة محمد ﷺ و إذلالها، و قوله فى علي و طلحة و الزبير و عائشة و معاوية إنهم (لم يحمدوا ما فعلوه من القتال)، بهتان عليهم ﷺ مكشوف، و لا سبيل له الى أنهم لم يحمدوا ما فعلوه من القتال الا من وحى الشيطان.

١٨) و فى ص٢٤٣ منه قال: (و هذان اللذان) ـ (يعنى الحسن بن على و اسامة بن زيد) ـ جمع بينهما فى محبته و دعا الله لهما بالمحبة، و كان يعرف حبه لكل واحد منهما منفرداً لم يكن رأيهما القتال فى تلك الحروب، بل اسامة قعد عن القتال يوم صفين لم يقاتل مع هؤلاء و لا مع هؤلاء، و كذلك الحسن كان دائماً يشير على ابيه و اخيه بترك القتال، و لما صارالأمر اليه ترك القتال، و اصلح الله



تعالى به بين الطائفتين المقتتلتين، و علي ﷺ في آخر الأمر تبين له ان المصلحة في ترك القتال اعظم منها في فعله، و اذا قال القائل ان علياً و الحسين انما تركا القتال في آخر الأمر للعجز لأنه لم يكن لهما أنصار فكان في المقاتلة قتل النفوس بلا حصول المصلحة المطلوبة، قيل له و هذا بعينه هو الحكمة التي راعاها الشارع ﷺ في النهي عن الخروج على الامراء و ندب الى ترك القتال في الفتنة اهـ.

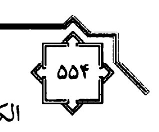
قوله: (و هذان اللذان جمع بينهما في محبته الى قوله لم يكن رأيهما القتال) صحيح.

و قوله: (لم يكن رأيها القتال في تلك الحروب صحيح في اسامة بن زيد، فاسد في الحسن بن علي).

و قوله: (بل اسامة بن زيد قعد عن القتال الى قوله و كذلك الحسن كان دائماً) صحيح.

كلام الامام ابي بكر الباقلاني في امامة علي كرم الله وجهه

قال الامام ابوبكر الباقلاني في تمهيده: فان قال قائل فاذا كانت امامة عليّ من الصحة و الثبوت بحيث وصفتم، فما تقولون في تأخر سعد بن ابي وقاص و سعيد بن زيد و عبدالله بن عمر و محمد بن مسلمة و اسامة بن زيد و سلامة بن وقش و غير هؤلاء ممن يكثرعددهم، وقعودهم عن نصرته و الدخول في طاعته؟ قيل له: ليس في جميع القاعدين ممن اسميناه او اضربنا عن ذكره من طعن في امامته و اعتقد فسادها، و انما قعدوا عن نصرته على حرب المسلمين لتخوفهم من ذلك و تجنب الاثم فيه و ظنهم موافقة العصيان في طاعته في هذا الفعل، فلذلك احتجوا عليه في القعود و رووا له فيه الاخبار.



و قال منهم قائل: (لا اقاتل حتى تأتينى بسيف له لسان يعرف المؤمن من الكافر و يقول هذا مؤمن و هذا كافر فاقتله، و لم يقل إنك لست بامام واجب الطاعة).

و قال محمد بن مسلمة بعد مراجعته و معارضته: (إن رسول الله ﷺ عهد اليّ إذا وقعت فتنة بين المسلمين ان اكسر سيفى و اتخذ مكانه سيفاً من خشب)، و فى خبر آخر: (ان اغمد سيفى و امتسك فى بيتى حتى تأتينى ميتة ماضية او يد خاطئة، فاحذر يا علي، لا تكن أنت تلك اليد الخاطئة)[1]، و لم يقل له: لست بامام مفروض الطاعة.

و كذلك قال إسامة بن زيد: (قد علمت يا علي انك لو دخلت بطن اسد لدخلت معك فيه ولكن لا مواساة فى النار)[2]، و لم يقل إنك لست بامام و إنما خاف من قتل المسلمين، و ليس هذا من القدح فى الامامة بسبيل اهـ.

الاخبار التي تمسك بها من تخلف عن نصرة اميرالمؤمنين علي عليه السلام كلها اخبار آحاد و وقائع احوال خاصة لا تعارض الدليل القطعي

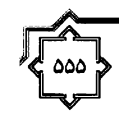
قلت: و الاخبار التى تمسك بها فى اجتهاده من تخلف عن نصرة اميرالمؤمنين علي كلها اخبار آحاد و وقائع احوال خاصة لا تعارض الدليل القطعى الدال على مشروعية قتال المسلمين و هو: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾[3] اى آخرها، و قد صح عن سعد بن ابى وقاص و ابن عمر انهما ندما عن تخلفهما عن نصرة اميرالمؤمنين عليّ لما قتل عمار رضي الله عنه، و ثبت عن ابن عمر انه قال: ما آسى على شىء إلا على ان لا اكون قاتلت الفئة الباغية.

---

١ . تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص٥٥٤

٢ . المصدر نفسه، ص٥٥٤

٣ . الحجرات: ٩



كلام الحافظ ابن حجر في فتحه في ذلك

و قال الحافظ ابن حجر فى فتحه ج١٣ فى كتاب الفتن فى شرح حديث: «**إن ابنى هذا سيد الخ**» ما نصه: و استدل به على تصويب رأى من قعد عن القتال مع معاوية و علي و إن كان عليّ أحق بالخلافة و اقرب الى الحق، و هو قول سعد بن ابى وقاص و ابن عمر و محمد بن مسلمية و سائر من اعتزل تلك الحروب، و ذهب جمهور اهلِ السنة الى تصويب من قاتل مع علي لامتثال قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾[١] ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية.

و قد ثبت ان من قاتل علياً كانو بغاة، و هؤلاء مع هذا التصويب متفقون على انه لا يذم واحد من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا اهـ.

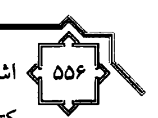
بهتانه على الحسن بن علي رضي الله عنهما

و لم يكتف ببهتان واحد على الحسن بن على، بل ترقى فيه بأنه (كان دائماً يشير على أبيه و اخيه بترك القتال).

و قوله: (و لما صار الأمر اليه ترك القتال الى قوله و علي رضي الله عنه)، ليس بصحيح على إطلاقه فانَّ الحسن رضي الله عنه سار بعد بيعته إلى معاوية فى الأربعين آلاف الذين بايعوا اباه على الموت حتى وصل الى المدائن، و بعث قيس بن سعد بن عبادة على مقدمته فى اثنى عشر الفاً، و لما شغب عليه بعض الأوباش من جيشه و نهبوا متاعه كتب الى معاوية فى الصلح و اشترط عليه شروطاً، و كان معاوية قد ارسل الى الحسن رجلين من بنى عبد شمس عبدالله بن عامر و عبدالرحمن بن سمرة و معهما صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها و كتب اليه ان

---

١ . الحجرات: ٩



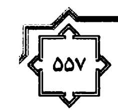
اشترط فی هذه الصحيفة التی ختمت اسفلها ما شئت فهو لك قبل وصول كتاب الحسن اليه، و لما بلغ قيس بن سعد مصالحة الحسن لمعاوية اجتمع معه جمع كثير و بايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ على دمائهم و اموالهم و ما كانوا اصابوا، فراسله معاوية يدعوه الى طاعته و ارسل اليه بسجل مختوم على اسفله و قال له: اكتب فی هذا ما شئت فهو لك، فقال عمرو لمعاوية لا تعطه هذا و قاتله، فقال معاوية على رسلك فانا لا نخلص الى قتلهم حتى يقتلوا اعدادهم من اهل الشام فما خير العيش بعد ذلك؟ فانی و الله لا اقاتله ابداً حتى لا اجد من قتاله بداً، فاشترط قيس فی ذلك السجل له و لشيعة عليّ الأمان على ما اصابوا من الدماء و الأموال، و لم يسأل في سجله ذلك مالاً.

و قوله: (و علي عليه السلام فی آخر الأمر تبين له ان المصلحة فی ترك القتال اعظم منها فی فعله) بهتان على عليّ عليه السلام و لا سبيل له الى معرفة انه فی آخر الأمر تبين له الى آخر الهراء الا من وحی الشيطان، و السؤال و جوابه فی قوله: (و اذا قال القائل ان علياً و الحسين انما تركا القتال فی آخر الأمر للعجز لأنه لم يكن لهما انصار الى آخر الهراء) فاسدان، و هذا الهراء كله بهتان على عليّ عليه السلام .

لا يستحي هذا المفتون من كثرة البهتان و الكذب

و لا يستحی هذا المفتون من كثرة البهتان و الكذب و الجناية على تاريخ من لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه الا منافق، و الحياء من الايمان، قال الحافظ ابن حجر فی كتاب الفتن ج۱۳ فی شرح قوله الحسن البصری رحمه الله لما سار الحسن بن علي عليهما السلام الى معاوية بالكتائب ما نصه:

فی رواية عبدالله بن محمد عن سفيان فی كتاب الصلح: استقبل و الله الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، ثم قال: و أشار الحسن البصری



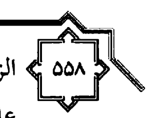
بهذه القصة الى ما اتفق بعد قتل علي رضي الله عنه و كان عليّ لما انقضى أمر التحكيم و رجع الى الكوفة تجهز لقتال اهل الشام مرة بعد اخرى فشغله الخوارج بالنهروان كما تقدم، و ذلك في سنة ثمان و ثلاثين، ثم تجهز في سنة تسع و ثلاثين فلم يتهيأ لافتراق آراء اهل العراق عليه ثم وقع الجد منه في ذلك في سنة اربعين فأخرج إسحاق من طريق عبد العزيز بن سياه قال: لما خرج الخوارج قام علي فقال ألا تسيرون الى الشام او ترجعون الى هؤلاء الذين خلفوكم في دياركم؟ قالوا: بل نرجع اليهم، فذكر قصة الخوارج قال: فرجع عليّ الى الكوفة فلما قتل و استخلف الحسن و صالح معاوية كتب الى قيس ابن سعد بن عبادة فرجع عن قتال معاوية.

و اخرج الطبري بسند صحيح عن يونس بن يزيد عن الزهري قال: جعل على مقدمة اهل العراق قيس بن سعد بن عبادة و كانوا اربعين الفاً بايعوه على الموت فقتل عليّ فبايعوا الحسن بن على بالخلافة ثم قال: و اخرج الطبري و الطبراني من طريق اسماعيل بن راشد قال: بعث الحسن قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر الفا فسار قيس الى جهة الشام و كان معاوية لما بلغه قتل عليّ خرج في عساكر من الشام و خرج الحسن بن على حتى نزل المدائن اهـ.

و قال ابن الأثير في كامله: كان اميرالمؤمنين عليّ رضي الله عنه قد بايع أربعون الفاً من عسكره على الموت فبينماهو يتجهز للمسير الى الشام قتل رضي الله عنه اهـ.

بيعة يزيد بن معاوية بولاية العهد و جلب اناس مخصوصين من الامصار له و تهيئة الخطباء الحاثين عليها

قد تحقق في التاريخ ان معاوية رضي الله عنه اكره سادات المسلمين على بيعة ابنه يزيد، عبدالرحمن بن ابى بكر و عبدالله بن عمر و الحسين بن على و عبدالله بن



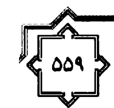
الزبير، و أوفد اليه بالشام ناساً من أعيان الأمصار لها، و هيأ لها الخطباء الحائثين عليها من اهل الشام، و قال له وافد اهل المدينة محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: أن كل راع مسؤول عن رعيته فانظر من تولى أمر امة محمد ﷺ فوصله و صرفه.

و قال لوافد اهل البصرة الاحنف بن قيس: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافك إن صدقنا و نخاف الله إن كذبنا و أنت يا اميرالمؤمنين أعلم بيزيد في ليله و نهاره و سره و علانيته و مدخله و مخرجه، فان كنت تعلمه لله تعالى و للامة رضا فلا تشاور فيه، و إن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزدوه الدنيا و انت صائر الى الآخرة، و انما علينا ان نقول: سمعنا و أطعنا، فتفرق الناس يحكون كلام الأحنف معجبين به.

و قد تقدم ابطال هذه البيعة بستة أوجه، فان كانت هذه الامور كلها سائغة في اجتهاد معاوية فانها غير سائغة في اجتهاد جمهور الامة الاسلامية و الممتنعين من بيعة ابنه و الممتنعون من بيعة يزيد جازمون بأنه صاحب لهو و لا تجوز بيعة لاه في اجتهادهم، فابن ابي بكر مات في حياة معاوية و لم يبايع ابنه، و ابن عمر بايعه بعد موت أبيه و قال: إن كان خيراً رضينا و ان كان شراً صبرنا.

و بيعة ابن عمر له لا تكون حجة على الحسين و ابن الزبير، لأن ولايته على الامة في اجتهادهما منكر تجب ازالته، و ليس هو صحابياً و لا مفضولا حتى لا يسوغ لهما الامتناع من بيعته، و لا تفضيل بين صحابي و غيره، و لا بين تقي ولاه.

فالحسين بين شرين: بيعة من لا يسوغ له مبايعته في اجتهاده، أو امتناعه منها و اعتزاله، ولكن يزيد لا يتركه و اعتزاله، بل لا بد ان يبرهن للناس على ظلمه بقتل الحسين حالاً إن امتنع من بيعته، و لا يجوز له قتله لامتناعه من بيعته،



فاذا وجد الحسين اعواناً على ازالة هذا المنكر او على الامتناع منه وقتاً ما تعين المصير اليه.

فالمصلحة المطلوبة للحسين فى امتناعه من بيعة يزيد هى تغيير المنكر، و هو منوط باجتهاده، و لا يضره عدم حصول مطلوبه بسبب القضاء المبرم عليه، فكم فى التاريخ من قائم بالحق قتل دون نيل مقصوده، و كم فيه من مبطل صارت له صولة و دولة.

و فى الحديث المتواتر: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، و من قتل دون دمه فهو شهيد، و من قتل دون دينه فهو شهيد، و من قتل دون اهله فهو شهيد**»[١]، و العموم فيه شامل لكل مقتول.

و فى الحديث الآخر: «**من قتل دون مظلمته فهو شهيد**»[٢]، و هذا أعم مما قبله، و قد تحققت الشهادة للحسين ﷺ بهذه الخصال كلها، و يلزم من هرائه هذا أن كل قائم بالحق نبياً او غيره اذا لم يحصل له مطلوبه فان قيامه لذلك لا يسوغ، و ان كل قائم بالباطل اذا حصل مطلوبه فان قيامه لذلك سائغ، و لا يتفوه بهذا من له مسكة من عقل و دين.

ليس من شرط القائم بالحق طاعة الناس كلهم له و رضاهم عنه

فليس من شرط القائم بالحق عند العقلاء ان يطيعه الناس و يرضوا عنه، و الناس لم يطيعوا و لم يرضوا عن خالقهم و رازقهم بل عصاه اكثرهم و عبدوا غيره.

---

١ . سنن الترمذى، ج٢، ص٤٣٦

٢ . سنن النسائى، ج٧، ص١١٦



١٩) و فى ص٢٤٥ منه قال: و لهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يغزون مع يزيد و غيره، فانه غزا القسطنطينية فى حياة ابيه معاوية و كان معه فى الجيش ابو ايوب الأنصارى رضي الله عنه، و ذلك الجيش أول جيش غزا القسطنطينية، و فى صحيح البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم»[١]، و عامة الخلفاة الملوك جرى فى أوقاتهم فتن كما جرى فى زمن يزيد بن معاوية قتل الحسين، و وقعة الحرة، و حصار ابن الزبير بمكة؛ و جرى فى زمن مروان بن الحكم فتنة مرج راهط بينه و بين النعمان ابن بشير، و جرى فى زمن عبدالملك فتنة مصعب بن الزبير و أخيه عبدالله بن الزبير و حصاره أيضاً بمكة اهـ.

اطراؤه ليزيد بن معاوية و ابطال ذلك بالبراهين

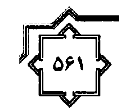
قوله: (و لهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يغزون مع يزيد الى قوله و فى صحيح البخارى) صحيح ولكن يزيد لم يغز طائعاً مختاراً بل اكرهه ابوه على الغزو، ففى سنة و اربعين سيّر معاوية جيشاً كثيفاً الى الروم بقيادة سفيان بن عوف و أمر ابنه يزيد بالغزو معهم فتثاقل و اعتل فأمسك عنه ابوه فأصاب الناس فى هذه الغزوة جوع و مرض شديد فقال يزيد:

ما ان أبالى بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى و من موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفعاً بدير مران عندى أم كلثوم

فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقنَّ بسفيان فى ارض الروم ليصيبه ما أصاب الناس فسار و معه جمع كثير أضافهم إليه ابوه، و كان فى هذا الجيش بن عباس و ابن عمر و ابن الزبير و ابو ايوب الأنصارى رضي الله عنهم، و ابو ايوب قالوا:

---

١ . صحيح البخارى، ج٣، ص٢٣٢، بلفظ: «أو لجيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»



إنه لازم راية الجهاد بعد رسول الله ﷺ الى ان توفى فى هذه الغزوة و دفن عند سور القسطنطينية.

و قد اجاب العلماء عن قول النبى ﷺ: (أول جيش يغزو القسطنيطينية مغفور لهم) بأنه لا يلزم من مدح الجيش مدح اميرهم، فان الجيش كان فيه بعض أفاضل الصحابة و التابعين و لا يلزم من دخول يزيد فى عموم الجيش عدم خروجه منه بدليل خاص، إذ لا خلاف بين اهل العلم ان قوله ﷺ (مغفور لهم) بشرط ان يكونوا من اهل المغفرة حتى لو ارتدَّ واحد ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل فى ذلك العموم اتفاقاً.

قالوا: و يزيد ليس من اهلها حتى اطلق بعضهم جواز لعنه لأمره بقتل الحسين و رضاه به، و باباحته المدينة، و استحلاله حرمة الكعبة.

مدحه يزيد بن معاوية بجعله الحوادث الثلاث العظيمة التي ارتكبها يزيد في الاسلام فتناً قامت في وجه ملكه

و قوله: (و عامة الخلفاء الملوك الى قوله و جرى فى زمن مروان) مدح ليزيد بجعله هذه الحوادث العظيمة التى ارتكبها يزيد فتناً قامت فى وجه ملكه، خالف به اطباق الطوائف الثلاث على ذم يزيد الرافضة و الخوارج و اهل الحق، فالرافضة و الخوارج متفقتان على تكفيره، و اهل الحق معتدلون فى ذمه يقولون انه ملك ظالم، و خاصة فى قتله الحسين، و قتله اهل المدينة بالحرة، و إباحتها لجنده ثلاثة ايام، و استباحته حرم الله بالقتال فيه، و رمى الكعبة بالمنجنيق، متفقون على ان الحسين و اهل الحرة شهداء مظلومون، ذكر رجل يزيد فى مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال: قال اميرالمؤمنين يزيد بن معاوية، فأنكر عليه عمر بن عبدالعزيز و ضربه عشرين سوطا، و ضرب ايضا من نال بحضرته من معاوية ثلاثة اسواط، ـ ذكرهما السيوطى فى تاريخ الخلفاء ـ.

احاديث و آثار دالة على ذم يزيد

و قد ورد فى ذم يزيد أحاديث، اخرج ابو يعلى فى مسنده بسند فيه انقطاع ـ كما قال ابن كثير ـ، و ضعيف ـ كما قال السيوطى و الهيتمى عن ابى عبيدة رضي الله عنه ـ .

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يزال امر امتى قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى امية يقال له يزيد**»[1]، و يتقوى هذا الحديث بما جاء فى الصحيح عن ابى هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هلاك امتى على يدى غلمة من قريش**»[2]، و بما جاء عنه انه[3] كان يدعو يقول: اللهم لا تدركنى سنة الستين، و انه كان يستعيذ من رأس الستين و إمارة الصبيان، و قد توفى رضي الله عنه سنة ثمان و خمسين و فى سنة ستين توفى معاوية و تولى ابنه يزيد.

اعتبار مروان خليفة و عدم اعتبار خلافة ابن الزبير

و اخرج الرويانى فى مسنده عن ابى الدرداء رضي الله عنه، قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «**اول من يبدل سنتى رجل من بنى امية يقال له يزيد**»[4]، و قوله: (وجرى فى زمن مروان بن الحكم فتنة مرج راهط الى آخر الهراء) صريح فى ان مروان خليفة و هو باطل، فمروان و ابنه باغيان متغلبان على خلافة ابن الزبير، قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء: و الأصلح ما قال الذهبى: ان مروان لا يعد فى امراء المؤمنين بل باغ خارج على ابن الزبير، و ليس عهده الى ابنه بصحيح، و انما صحت خلافة عبدالملك من حين قتل ابن الزبير اهـ.

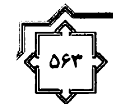
---

١ . مسند ابى يعلى، ج٢، ص١٧٦

٢ . صحيح البخارى، ج٤، ص١٧٨

٣ . اى: ابى هريره

٤ . لم نجد فى مسند الرويانى، لكن نقل عنه الذهبى فى سير اعلام النبلاء، ج١، ص٣٣٠



فتقويم قوله: (و جرى فى زمن مروان بن الحكم فتنة مرج ر اهط) أن يقول: (و جرى فى زمن ابن الزبير فتنة مروان بن الحكم بمرج راهط).

و قوله: إن فتنة مرج راهط بينه و بين النعمان بن بشير خطأ، و الصواب انها بينه و بين الضحاك بن قيس الفهرى.

قال الذهبى فى ميزان الاعتدال: مروان بن الحكم الأموى ابو عبدالملك، قال البخارى: لم ير النبى ﷺ، له أعمال موبقة، نسأل الله السلامة، رمى طلحة بسهم و فعل و فعل اهـ.

موبقات مروان العشر

و اعماله الموبقة هي:

١ ـ تهييجه بسوء رأيه و بذاءة لسانه ثوار الامصار على ابن عمه الخليفة عثمان رضي الله عنه و إفساده كل ما أصلحه كبار الصاحبة بين عثمان و الثوار. قال ابن كثير فى بدايته فى ترجمته: و من تحت رأسه جرت قضية الدار و بسببه حصر عثمان بن عفان فيها اهـ.

٢ ـ تزويره الكتاب على لسان عثمان الى ابن ابى سرح عامل مصر بقتل جماعة من المصريين.

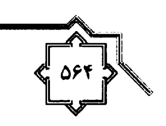
٣ ـ قتله للصحابى الجليل طلحة بن عبيدالله.

٤ ـ لعنه لعليّ كرم الله وجهه على المنبر فى الجمع و الأعياد.

٥ ـ مخالفته سنة النبى ﷺ بتقديمه خطبة العيد على الصلاة لأجل لعن على كرم الله وجهه.

٦ ـ فحشه على الحسن بن على بالسب البليغ.

٧ ـ منعه من دفنه مع جده ﷺ مع إذن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها لهم فى ذلك حسداً.



٨ ـ كان هو و ابنه عبدالملك السبب فى قتل اهل المدينة بالحرة.

٩ ـ اهانته اصحاب النبى ﷺ و تهكمه بهم.

١٠ ـ غدره فى مرج ر اهط بالضحاك بن قيس و جيشه بعد اتفاقه معهم على الهدنة و شقه بسببه عصا العرب بالشام بعد ان كانت واحدة بتأسيسه العداوة و العصبية بين النزارية و اليمينة، و من طالع التاريخ يجد هذه الأعمال.

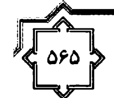
الصحيح أن يزيداً سرّه قتل الحسين

٢٠) قال فى ص٢٤٩ منه: و ان خبر قتله لما بلغ يزيد و اهله ساءهم ذلك و بكوا على قتله، و قال يزيد لعن الله ابن مرجانة ـ يعنى عبيد الله بن زياد ـ أما و الله لو كان بينه و بين الحسين رحم لما قتله، و قال: قد كنت ارضى من طاعة اهل العراق بدون قتل الحسين، و انه جهز اهله بأحسن الجهاز و ارسلهم الى المدينة، لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين و لا أمر بقتل قاتله و لا اخذ بثأره اهـ.

اقول: قد اقتصر و اعتمد على احد القولين للمؤرخين فى قتل يزيد للحسين عليه السلام، و القول الآخر ان رأس الحسين لما وصل الى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده و زاده و وصله، و سره ما فعل، ثم لم يلبث الا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له و لعنهم و سبهم فندم على قتل الحسين، و يؤيد هذا القول امور:

١) دعاؤه رؤساء الشام لما ادخلت عليه الرؤوس و النساء، و هُنَّ فى هيئة قبيحة سافرات و الناس ينظرون.

٢) غضبه للشامى الذى طلب منه ان يهب له فاطمة بنت عليّ، على زينب اختها لما قالت للشامى: كذبت و لؤمت ما ذلك لك و لا به، قائلاً لها: كذبت ان ذلك لى و لو شئت ان افعله لفعلته، فأجابته زينب: كلا و الله ما جعل لك ذلك إلا ان تخرج من ملتنا و تدين بغير ديننا، فاستشاط يزيد غضباً و قال اياى



تستقبلين بهذا انما خرج من الدين ابوك و اخوك، قالت بدين الله و دين ابى و اخي و جدي اهتديت انت و ابوك و جدك، قال: كذبت يا عدوة الله، قالت: انت امير تشتم ظالماً و تقهر بسلطانك فاستحيا و سكت.

٣) قوله لعليّ ابن الحسين: ابوك قطع رحمى و جهل حقى و نازعنى سلطانى فصنع الله به ما قد رأيت.

٤) نكته ثغر الحسين بالقضيب امام الناس مستشهداً بشعر الحصين بن الحمام المرى:

ابى قومنا ان ينصفونا فأنصفت قواضب فى ايماننا تقطر الدماء
يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا و هم كانوا أعق و أظلما

٥) ضربه صدر يحيى بن الحكم اخى مروان لما قال له:

لهام بأعلى الطف ادنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

قائلاً: اسكت.

٦) استشارته جلساءه فيما يفعله بعليّ بن الحسين و عائلته.

قال ابن كثير فى بدايته: و روى ان يزيد استشار الناس فى امرهم فقال رجال ممن قبحهم الله يا اميرالمؤمنين: (لا تتخذن من كلب سوء جرواً اقتل عليّ بن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين احد) فسكت يزيد، فقال النعمان بن بشير: يا امير المؤمنين اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحال.

٧) عزله للصحابى الجليل النعمان بن بشير عن الكوفة و تولية ابن زياد عليها مضمومة الى البصرة، و رضاه عنه بعدما كان ساخطاً عليه حتى هم بعزله عن البصرة قبل هذا، و ابقاءه والياً على المصرين معاً بعد هذه الشنعاء.

قال سبط بن الجوزى و غيره: المشهور انه جمع اهل الشام و جعل ينكت الرأس بالخيزران، قال ابن حجر فى الصواعق: و جمع بأنه أظهر الأول و أخفى الثانى بقرينة انه بالغ فى رفعة ابن زياد اهـ.

ابطال زعمه ان الفضائل الثابتة في الاحاديث الصحيحة لابي بكر و عمر اكثر و اعظم من الفضائل الثابتة لعلي

٢١) و فى أول الجزء الثالث من منهاجه ص٢ قال: إن الفضائل الثابتة فى الأحاديث الصحيحة لابى بكر و عمر اكثر و اعظم من الفضائل الثابتة لعليّ، و زاد فى الجزء الرابع منه ص٩٩: انها باتفاق اهل العلم بالحديث اكثر مما صح فى فضائل علي وأصح و اصرح فى الدلالة، و احمد بن حنبل لم يقل انه صح لعليّ من الفضائل ما لم يصح لغيره، بل احمد أجل من ان يقول مثل هذا الكذب، بل نقل عنه انه قال: روى له ما لم يرو لغيره مع ان فى نقل هذا عن احمد كلاماً ليس هذا موضعه اهـ.

اقول: اشتمل كلامه هذا فى الموضعين على خمس فريات:

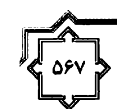
الاولى ـ زعمه ان الفضائل فى الأحاديث الصحيحة لابى بكر اكثر و أعظم من الفضائل الثابتة لعليّ.

الثانية ـ زعمه اتفاق اهل العلم بالحديث على ذلك.

الثالثة ـ زعمه أنها اصح و اصرح فى الدلالة.

الرابعة ـ تكذيبه ما نقله العلماء الأثبات عن الامام احمد انه قال: صح لعليّ من الفضائل ما لم يصح لغيره.

الخامسة ـ تقوله عليه إنه قال: روى له ما لم يرو لغيره الى آخر الهراء، و الدليل على فرياته الخمس ما ذكره الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب المناقب



فى مناقب امير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه قال:

قال الأئمة احمد بن حنبل و القاضى اسماعيل و النسائى و ابو على النيسابورى: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ من المناقب، و لم يرد فى حق احد منهم بالأسانيد الحسان اكثر مما جاء فى عليّ، و تتبع الامام النسائى ما خصَّ به من دون الصحابة فجمع منه شيئاً كثيراً بأسانيد اكثرها جياد و سماه: (خصائص امير المؤمنين على بن ابى طالب) اهـ.

قلت: و كتاب النسائى هذا فى خصائص امير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه مطبوع.

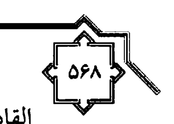
القادحون في عليّ كرم الله تعالى وجهه طائفة و هم الخوارج

٢٢) و قال فى ص٣ منه: بل القادحون فى عليّ طوائف متعددة و هم افضل من القادحين فى ابى بكر و عمر عثمان، و القادحون فيه افضل من الغلاة فيه، فان الخوارج متفقون على كفره.

ثم قال: و المروانية الذين ينسبون علياً الى الظلم و يقولون إنه لم يكن خليفة يوالون ابابكر و عمر.

ثم قال: فالمنزهون لعثمان القادحون فى عليّ اعظم وادين و افضل من المنزهين لعليّ القادحين فى عثمان كالزيدية مثلاً.

فمعلوم ان الذين قاتلوه و لعنوه و ذموه من الصحابة و التابعين و غيرهم اعلم وادين من الذين يتولونه و يلعنون عثمان، و لو تخلى اهل السنة عن موالاة عليّ ﷺ و تحقيق ايمانه و وجوب موالاته لم يكن فى المتولين له من يقدر ان يقاوم المبغضين له من الخوارج و الاموية و المروانية، فان هؤلاء طوائف كثيرة اهـ.



اقول: هذا الكلام من قوله: (بل القادحون فى علي طوائف الى قوله: و القادحون فيه) فاسد من ثلاثة اوجه:

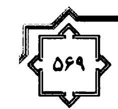
الأول ـ القادحون فى عليّ كرم الله وجهه طائفة واحدة و هم الخوارج كلاب النار، و ليسوا بطوائف متعددة كما افترى.

الثانى ـ التفضيل بين الخوارج القادحين فيه الموالين لابى بكر و عمر، و الرافضة المتغالين فيه القادحين فى ابى بكر و عمر، فاسد قطعاً إن ابقى على ظاهره لان التفضيل إنما يكون بين شخصين او طائفتين اشتركا او اشتركتا فى شيء وزادت إحدهما على الاخرى فيه، و الخوارج و الرافضة لم يشتركا فى العقيدة فى ابى بكر و عمر و عليّ بل هما فيهما و فيه على طرفى نقيض، و ان تأولنا قوله: افضل بأخف شراً او خبثا صح الاشتراك بينهما فى الشر و الخبث، و صار المعنى عليه هكذا: الخوارج القادحون فى عليّ اخف شراً و خبثاً من الرافضة القادحين فى ابى بكر و عمر، و لا جدوى فيه و لا حجة على الرافضة.

الثالث ـ عطف عثمان على ابى بكر و عمر فاسد، لأن الخوارج القادحين فى علي قادحون ايضاً فى عثمان و معاوية و طلحة و الزبير و جمهور الصحابة، و الرافضة القادحون فى ابى بكر و عمر قادحون ايضاً فى عثمان و معاوية و جل الصحابة، فقصر قدح الخوارج على عليّ جهل بالنحل او نصب خبيث لا محالة، كما ان قصر قدح الرافضة على ابى بكر و عمر جهل بالنحل او بغض للشيخين رضي الله عنهما.

و يقال فى قوله: (و القادحون فيه افضل من الغلاة فيه)، و القادحون فى علي اخف شراً و خبثاً من الغلاة فيه.

و قوله: (فان الخوارج متفقون على كفره) صحيح بعد التحكيم، و متفقون ايضا على كفر معاوية و عثمان و طلحة و الزبير و جمهور الصحابة و الامة



الاسلامية على الاطلاق، فقصره اتفاق تكفيرهم على حيدرة كرم الله وجهه نصب ظاهر، و المروانية الذين كرر لوكهم لتضخيم الكتاب و مكاثرة الرافضى بهم و التلذذ فى طعن حيدرة كرم الله وجهه بذكرهم لا وجود لهم الا فى مخيلته الفاسدة.

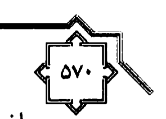
و قوله: (فالمنزهون لعثمان القادحون فى علي الى قوله فمعلوم) فاسد لأن المنزهين لعثمان، و هم أهل الحق، منزهون ايضاً لعليّ، و القادحون فى عليّ، و هم الخوارج، قادحون ايضاً فى عثمان، فاسم التفضيل هنا فاسد على كلتا الحالتين، و لا تفضيل بين اهل الحق و اهل الباطل، و الزيدية اقرب فرق الشيعة الى اهل الحق لانهم يتولون الشيخين و لا يطعنون فى الصحابة، و غاية امرهم انهم يفضلون علياً على الشيخين.

و قوله: (فمعلوم ان الذين قاتلوه و لعنوه الى قوله و لو تخلى) بهتان ملبس باطل بوجهين:

الأول ـ ينحل بمقتضى العطف بالواو الدالة على مطلق التشريك فى الحكم على جعل «من» للبيان، هكذا: الصحابة و التابعون و غيرهم الذين قاتلوه و لعنوه و ذموه هم اعلم واديـن مـن الزيدية الذين يتولونه و يلعنون عثمان) و هو باطل على كلا الوجهين.

المقاتل لعلي حقيقة من الصحابة هو معاوية وحده

فان الذين قاتلوه من الصحابة و التابعين، او بعض الذين قاتلوه من الصحابة و التابعين لم يلعنوه و لم يذموه، و المقاتل له حقيقة من الصحابة هو معاوية وحده، والصحابة الذين معه لا يتجاوزون عدد الأصابع، و هو الذى اوصى المغيرة بن شعبة لما ولاه على الكوفة قائلاً:



لا تترك شتم عليّ و ذمه و الترحم على عثمان ـ ذكره ابن الأثير فى كامله و اخرجه الحافظ ابونعيم فى حلية الأولياء فى ترجمة سعيد بن زيد ـ و ما قتل حجر الخير و اصحابه الا على انكارهم على زياد لعنه حيدرة على المنبر و على امتناعهم من لعنه و البراءة منه بمرج عذراء.

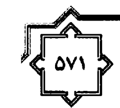
الثانى ـ انتقد عثمان ﷺ جمهور من الأمصار الثلاثة البصرة و الكوفة و مصر فى امور، و لم يثبت لعنه عن اى واحد من هذا الجمهور ولا من الزيدية، و يقال فى هذا الفشار: (و لو تخلى اهل السنة عن موالاة علي الى آخر الهراء) و لو تخل اهل السنة عن موالاة معاوية لم يجد من يقاوم المكفرين له من الخوارج و الرافضة فان هؤلاء طوائف كثيرة، بل لو تخلى اهل السنة عن عثمان ﷺ الذى لا يدانيه معاوية فى المنزلة لم يجد من يقاوم المكفرين له من الخوارج و الرافضة فان هؤلاء طوائف كثيرة، و لا وجود للأموية و المروانية اللذين كاثر بهما الرافضى و كثر بهما الطعن فيمن لا يحبه إلا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق الا فى مخيلته الفاسدة.

٢٣) و فى ص٥ منه زعم أن تصدق عليّ فى نجواه لرسول الله ﷺ بدينار لا منقبة له فيه.

٢٤) و فى ص٧ منه زعم ان حديث: «الصديقون ثلاثة: حبيب النجار من آل ياسين، و حزقيل مؤمن آل فرعون، و على بن ابى طالب و هو افضلهم»[١] كذب على رسول الله ﷺ.

و احتج على زعمه بما فى الصحيح انه ﷺ وصف ابابكر ﷺ بالصديقية، و بما جاء فى الصحيح ايضا انه ﷺ قال: **«عليكم بالصدق ـ**

١ . الجامع الصغير، ج٢، ص١١٥



الحديث»[1] و بقوله تعالى فى حق مريم: (صديقة)[2] و قال: فالصديقون كثيرون اهـ.

فاحتجاجه بالحديثين و بما ذكر الله تعالى فى حق مريم و اعترافه بكثرة الصديقين حجة عليه لو كان يعقل، لأن الصديقين اذا كانوا باعترافه كثيرين، فماهو الدليل الذى اخرج علياً كرم الله وجهه من هذه الكثره؟ فهل تَفَضَّلُ الله تبارك و تعالى على كثير من عباده بهذا الوصف الشريف محصور فى ناس معينين محظور على عليّ كرم الله وجهه؟ و هل الذى لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه الا منافق منحط عن هذا الوصف لا يستحقه؟

فطعنه فى الحديث بهذا الفهم الأعوج الخارج عن قانون الرواية دليل على نصبه فلو كان محدثاً محققاً لنقده بقانون الرواية، بأن يبين بأن فى اسناده كذاباً او متهماً بالكذب او منقطعاً مثلا حتى ينظر فيه، و قد فاتته القاعدة المشهورة: (تخصيص الشى بالذكر لا يدل على نفيه عن غيره).

فتخصيص حيدرة كرم الله وجهه و الاثنين بالصديقية لا يدل على نفيها عن غيرهم، وفاته ايضا ان المزية لا تقتضى التفضيل، فتميز عليّ و الاثنين بالصديقية لا يلزم منه افضليته على ابى بكر و عمر.

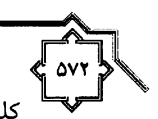
ابطال زعمه ان احاديث مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين عامة و بينه و بين علي خاصة كلها اكاذيب موضوعة

٢٥) و قال منكراً فى ص١٧ منه: ان النبى ﷺ لم يؤاخ علياً و لا غيره، و حديث المؤاخاة لعليّ و مؤاخاة ابى بكر لعمر من الأكاذيب و انما آخى بين المهاجرين و الأنصار، و لم يؤاخ بين مهاجرى و مهاجرى.

---

١ . صحيح مسلم، ج٨، ص٢٩

٢ . المائده: ٧٥



و قال ايضا فى الجزء الرابع من منهاجه ص٩٦: إن احاديث المؤاخاة لعليّ كلها موضوعة، و النبى ﷺ لم يؤاخ احداً و لا آخى بين مهاجرى و مهاجرى، و أنكرها ايضا فى مجموعة رسائله ص١٥٨ و زعم انها موضوعة اهـ.

اقول: أحاديث مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين و بينه و بين على خصوصاً ثابتة لم يطعن فيها أحد من اهل الحق، و هذا المفتون كرر الطعن فيها بلا ليبرهن على نصبه.

كلام الحافظ ابن حجر في فتحه في رده عليه في المؤاخاة

قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى احاديث الهجرة ج٧ ما نصه: و أنكر ابن تيمية فى كتاب الرد على ابن المطهر الرافضى المؤاخاة بين المهاجرين و خصوصاً مؤاخاة النبى ﷺ لعليّ رضي الله عنه قال: لأن المؤاخاة شرعت لارفاق بعضهم بعضا و ليتآلف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمؤاخاة النبى ﷺ لأحد منهم و لا لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى، و هذا رد للنص بالقياس و إغفال عن حكمة المؤاخاة، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال و العشيرة و القوى، فآخى بين الأعلى و الأدنى ليترتفق الأدنى بالأعلى و يستعين الأعلى بالأدنى اهـ.

بناؤه الطعن في حيدرة كرم الله وجهه بكونه لم يقتص من قاتل عثمان رضي الله عنه على اعتراض الرافضي الفاسد على ابي بكر رضي الله عنه في كونه لم يقتص من خالد بن الوليد رضي الله عنه لمالك بن نويرة و المبني على الفاسد فاسد.

٢٦) و اجاب عن اعتراض الرافضى فى ص١٢٨ منه على ابى بكر بأنه لم يقتص من خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة، و كان مسلماً و تزويج امرأته ليلة قتله و ضاجعها و أشار عليه و عمر بقتله فلم يقتله، بقوله:

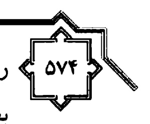
و الجواب ان يقال اولاً ان كان ترك قتل قاتل المعصوم مما ينكر على الأئمة كان هذا من اعظم حجة شيعة عثمان على عليّ فان عثمان خير من ملء الارض من مثل مالك ابن نويرة، و هو خليفة المسلمين و قد قتل مظلوماً شهيداً بل تأويل مسوغ لقتله، و علي لم يقتل قتلته، و كان هذا من اعظم ما امتنعت به شيعة عثمان عن مبايعة على اهـ.

اقول: اعتراض الرافضى على ابى بكر رضي الله عنه بأنه لم يقتص من خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة و كان مسلماً الى آخر هرائه فاسد من ثلاثة اوجه:

الأول ـ حقق التاريخ ان جل العرب ارتدوا عن الاسلام و رجعوا الى دين الجاهلية بعد وفاة النبى ﷺ، و القريبون من المدينة كبنى فزارة و بنى أسد ابن خزيمة و اعراب من طيء و غيرهم تظاهروا بقبول الصلاة و صمموا على منع الزكاة، و قالوا لا نؤدى هذه الاتاوة أبداً، و كنوا ابابكر رضي الله عنه بأبى الفصيل احتقاراً له و اجتمعوا على طليحة المتنبى و أرسلوا وفداً الى المدينة يطلبون من ابى بكر اسقاط الزكاة عنهم ظاهراً، و باطناً يتجسسون على المدينة فرجع اليهم وفدهم وأخبرهم بأن المدينة غنيمة باردة فهجموا عليها ليلاً، فخرج اليهم الصديق فى شيوخ الصحابة فقتل منهم بذى حسا كثيراً، و هرب الباقون الى الأبرق، و جمعوا به جمعاً كثيراً فخرج اليهم الصديق ايضاً، فهزمهم هزيمة منكرة و قتل منهم كثيراً.

و أرسل خالد بن الوليد الى رئيسهم طليحة المتنبى ففض جمعه و هرب طليحة الى الشام.

الثانى ـ بنو تميم قبيلة عظيمة فيها بطون كثيرة و كان النبى ﷺ جعل على بطونهم رؤساء يجبون زكاتهم فحبسوها عن ابى بكر و تربصوا بالمسلمين، و جاءتهم سجاح بنت الحارث المتنبئة ـ و هى منهم ـ ثم من بنى يربوع بن حنظلة



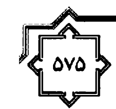
رهط مالك بن نويرة فی جيش كثيف من ربيعة و أخوالها بنی تغلب فاتبعها بعض رؤسائهم و حاربها بعضهم فانتصر عليها و وادعها بعضهم و كان مالك بن نويرة فيمن وادعها.

و بعد قضاء خالد على جيش طليحة رجع كثير من رؤساء بنی تميم الی الاسلام و عرف وكيع و سماعة منهم و كانا مع مالك بن نويرة على بنی حنظلة قبح ما أتيا فراجعا رجوعاً حسناً و لم يتجبرا، و بقی مالك متردداً متحيراً و توجه خالد الی بنی تميم بالبطاح فأرسل سرية من جيشه فجاءته بمالك بن نويرة فی نفر من قومه فاختلفت السرية فيهم و كان فيها ابو قتادة فشهد انهم أذنوا و أقاموا و صلوا، فلما اختلفوا فيهم أمر خالد بحبسهم فحبسوا فی ليلة شديدة البرد، فأمر خالد منادياً فنادی ادفئوا أسراكم، و هذه اللفظة فی لغة كنانة معناها القتل، فظن القوم انه أراد القتل و لم يرد الا الدِّفءَ فقتلوهم و سمع خالد الواعية فخرج و قد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

فقال عمر لابی بكر: إن سيف خالد فيه رهق و اكثر عليه فی ذلك. فقال ابوبكر: يا عمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فانی لا أشيم سيفاً سلَّه الله على الكافرين، إذا تحقق هذا فقول الرافضی و كان مسلماً غير محقق.

الثالث ـ لا يقتص من خالد لمالك بن نويرة لو كان مسلماً حقيقة للتأويل فی قوله (أدفئوا اسراكم) فكيف و قد اختلف السرية فی اسلامه؟ و القرائن التی احتفت بقصته تدل على انه غير مسلم.

و قد ارسل النبی ﷺ عام الفتح خالد بن الوليد الی بنی جذيمة فلم يحسنوا ان يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا، فقتل خالد منهم رجالاً متأولاً انهم مشركون فبلغ النبی ﷺ ذلك فقال: اللهم إنی أبرأ إليك مما صنع خالد



بن الوليد[١]، و ارسل ديات المقتولين مع عليّ كرم الله وجهه، و لم يقتص من خالد.

لم يتحقق اسلام مالك بن نويرة و قتل خالد بن الوليد له بتأويل

و لا شك ان المقتولين من بنى جذيمة ابعد من شبهة الشرك من مالك بن نويرة، فان كان الرافضى مؤمناً بمحمد ﷺ إيماناً صادقاً، فقد لزمه قبول تأويل خالد فى قتل مالك بن نويرة، كما قبل النبى ﷺ تأويله فى قتل ناس من بنى جذيمة، و تصويب الصديق فى تركه القصاص من خالد لمالك للتأويل، كما ترك النبى ﷺ القصاص منه لبنى جذيمة للتأويل، و ان كان غير مؤمن بالنبى ﷺ ايماناً صادقاً فليكن اعتراضه موجهاً الى النبى ﷺ قبل خليفته، نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان...

و تزوج خالد رضي الله عنه بامرأة مالك صحيح، ولكن من اين له انه تزوجها ليلة قتله و ضاجعها إلا من وحى الشيطان؟

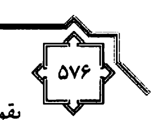
و إشارة الفاروق على ابى بكر بالقصاص من خالد مبنية على ظنه اسلام مالك و قتله بدون تأويل، و جوابه عن اعتراض الرافضى على ابى بكر اشد فساداً منه، و بيانه فى ثمانية وجوه:

الأول ـ تسليمه للرافضى عصمة دم مالك بن نويرة لاسلامه و قد علم ما فيه.

الثانى ـ لا ارتباط و لا مناسبة بين انكار الرافضى على ابى بكر رضي الله عنه عدم أخذه القصاص من خالد بن الوليد لمالك بن نويرة المسلم عند الرافضى و المختلف فى اسلامه فى التاريخ، و بين إنكار شيعة عثمان المزعوم على عليّ رضي الله عنه عدم أخذه القصاص لعثمان رضي الله عنه من قاتله.

---

١ . صحيح البخارى، ج٥، ص١٠٧



الثالث ـ شيعة عثمان لم يتركوا مبايعة عليّ، لأنه لم يقتل قاتل عثمان، و لم يقولوا هذا الهراء قط و انما تركوا مبايعته لاتهامهم له بالموادة في أمر عثمان.

الرابع ـ لو فرض قولهم هذا الهراء لعلى لم يكن حجة فضلا عن كونه أعظم لأنهم محجوجون باجماع الأمة على بيعة على كرم الله وجهه.

الخامس ـ مَن هم شيعة عثمان الذين ضخم بهم الكتاب؟ و هل هم إلا أولئك المنجحرون في خرنبا قرية من قرى مصر؟ و معاوية هذا لم يقل لعلى لا أبايعك لانك لم تقتل قاتل عثمان، و هو أعقل من ان يقول هذا الهراء و انما طلب منه تسليم طائفة في جيشه حضرت حصار عثمان حتى قتل ليقتص منها.

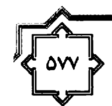
لا ملازمة عقلا و لا شرعاً بين مبايعة شيعة عثمان لعلي عليه السلام و بين قتل علي قاتل عثمان

السادس ـ لا ملازمة و لا ارتباط عقلا و لا شرعا بين مبايعة شيعة عثمان لعلي و بين قتله قاتل عثمان، و لا بين امتناعهم عن بيعته و عدم قتله قاتل عثمان عند من يعقل.

من زعم ان علياً يلزمه قتل المباشر لقتل عثمان المجهول المغمور في جم غفير بدون معرفة عينه و بدون اقامة اولياء عثمان الدعوى على عينه فهو جاهل

السابع ـ من زعم ان علياً يلزمه قتل المباشر لقتل عثمان المجهول المغمور في جم غفير بدون معرفة عينه و بدون اقامة أولياء عثمان الدعوى على قاتل معين و إثبات القتل عليه عنده فهو جاهل بالدين جهلا مركباً.

الثامن ـ من زعم ان عليا يمكنه قتل ذلك الجم الغفير الذى حاصر عثمان حتى قتل بدون إقامة الدعوى على معين منه عنده فهو جاهل بالدين جهلاً مكعباً.



و قوله: فان عثمان خير من ملء الأرض من مثل مالك بن نويرة فاسد ان كان ابن نويرة كافراً، لأن التفضيل بين المسلم و الكافر لا يصح أبداً فلا خيرية بينهما، و مجازفة ان كان مسلماً لان عثمان رضي الله عنه و إن كان خليفة المسلمين و مفضلا على ابن نويرة بالسبق الى الاسلام، فالاسلام قد سوى بينهما في الدم و القصاص في الأطراف.

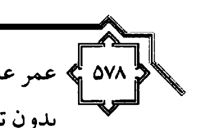
و قوله: و قد قتل مظلوماً شهيداً، اخبار بواضح متفق عليه بين اهل الحق، لا يفيده في الجواب عن اعتراض الرافضي على ابى بكر و لا يعترف الرافضي باسلام عثمان رضي الله عنه، فلا حجة له في هذا الكلام عليه اصلاً.

و قوله: (و كان هذا أي ترك عليّ القصاص من قاتل عثمان) من اعظم ما امتنعت به شيعة عثمان عن مبايعة عليّ، فاسد تقدم ابطاله.

٢٧) و في ص١٢٩ منه قال: و اذا قالوا عمر أشار على ابى بكر بقتل خالد بن الوليد، و عليّ أشار على عثمان بقتل عبيدالله بن عمر، قيل: و طلحة و الزبير و غيرهما أشاروا على علي بقتل قتلة عثمان، و عليّ لما لم يوافق الذين أشاروا عليه بالقود جرى بينه و بينهم من الحروب ما قد علم، و قتل قتلة عثمان اهون مما جرى بالجمل و صفين.

و من قال إن عثمان كان مباح الدم لم يمكنه ان يجعل علياً معصوم الدم و لا الحسين، القتل من عليّ و الحسين، و شبهة قتلة عثمان أضعف بكثير من شبهة قتلظ عليّ و الحسين، فان عصمة دم عثمان أظهر من عصمة دم عليّ و الحسين، و عثمان ابعد عن موجبات فان عثمان لم يقتل مسلماً و لا قاتل احداً على ولايته اهـ.

اقول: إشارة عمر على ابى بكر بقتل خالد بن الوليد بمالك بن نويرة و إشارة علي على عثمان بقتل عبيد الله بن عمر مذكورتان في التاريخ، فاشارة



عمر على ابى بكر بقتل خالد مبنّية على ظنه إسلام ابن نويرة و قتل خالد له بدون تأويل، و اشارة عليّ على عثمان بقتل عبيدالله بن عمر مبنية على طلب عثمان لها منه و من غيره من الصحابة.

ففى كامل ابن الأثير ان عثمان ﷺ لما بويع بالخلافة أحضر عبيدالله ابن عمر عنده، و قال لأعيان الصحابة: أشيروا عليّ فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق، فأشار عليّ بقتله، لأنه قتل ثلاثة انفس معصومى الدم مسلماً و هو الهرمزان، و نصرانياً ذمياً و هو جفنية، و بنت ابى لؤلؤة.

فقول الخليفة عثمان أشيروا عليّ فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق يؤيد رأى عليّ ﷺ فى قتله، ولكن حيث كان هؤلاء المقتولون لا وليّ لهم يطالب بدمهم الا الامام عثمان قال ﷺ أنا وليه و قد جعلتها دية و أحتملها فى مالى، و دفعها من ماله لبيت مال المسلمين.

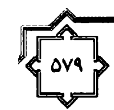
اذا طعنوا في الصديق بأنه لم يقبل اشارة عمر عليه

فمعنى سؤاله المفروض و جوابه الفاسد: اذا طعنوا فى الصديق بأنه لم يقبل إشارة عمر عليه بقتل خالد بن الوليد بمالك بن نويرة، و طعنوا فى عثمان بأنه لم يقبل اشارة عليّ عليه بقتل عبيدالله بن عمر، طعنت أنا فى عليّ لأنه لم يقبل اشارة طلحة و الزبير و غيرهما عليه بقتل قتلة عثمان.

اشارة طلحة و الزبير و غيرهما على علي بقتل قتلة عثمان باطلة

فقوله: (قيل و طلحة و الزبير و غيرهما اشاروا على عليٌ بقتل قتلة عثمان) فاسد من اثنى عشر وجهاً:

الأول ـ الاشارة من طلحة و الزبير و غيرهما على عليّ بقتل قتلة عثمان لا صحة لها.



الثاني- على فرض صحتها لا تكون حجة على الرافضة الذين يعتقدون كفر عثمان و طلحة و الزبير و جل الصحابة.

الثالث - اقامة الحدود فرض فرضه الله على الامام كما فرض عليه الصلاة و الصوم و غيرهم من أركان الاسلام فاشتراط اقامتها عليه أو الاشارة عليه باقامتها جهل بالدين و تحصيل حاصل.

الرابع - لا يليق صدور الجهل بفرائض الله تعالى من عامة الناس فكيف بسادات الصحابة.

و عليه فالخامس لا يسوغ لعلي قبول هذا الجهل لو صح صدوره عنهم.

السادس - طلب أخذ القصاص من قاتل عثمان رضي الله عنه حق لأولاده خاص بهم و لم يقوموا بطلبه و لم يدعوا على أحد عند الامام عليّ بالقتل إما لجهلهم عين المباشر لقتل أبيهم و إما لكونه من جم غفير ذى شوكة ولا يلزم علياً و لا يسوغ له شرعاً قتل واحد من ذلك الجم بدون اقامة أولاد عثمان الدعوى عليه و إثبات القتل عليه بالبينة.

و عليه فالسابع المقطوع به تاريخا أن عدد الثوار الذين حاصروا اميرالمؤمنين عثمان رضي الله عنه حتى قتل نحو الفين و الذى دخل عليه الدار منهم و قتله واحد من ثلاثة مصريين فقيل هو كنانة بن بشر التجيبى و قيل هو سودان بن حمران و قيل هو الغافقى.

الثامن - تقتل الجماعة بالواحد عند جمهور العلماء بشرط تمالئهم على قتله.

و عليه فالتاسع من يستطيع أن يحقق ان جميع الثوار المحاصرين لعثمان كانوا كلهم متفقين على قتله و لا يعلم مقاصدهم جميعا فى هذه الكارثة إلا علام الغيوب.

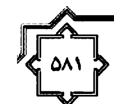


العاشر ـ جل المحاصرين له ﷺ مجهولون و الوصول الى معرفة كل واحد منهم باسمه و عينه إذ ذاك مستحيل عادة.

الحادى عشر ـ قال الاصوليون: يجوز تأخير القصاص الى وقت مناسب إذ كانت اقامته فى الحال تؤدى الى مفسدة اعظم منه أخذاً من سنة حيدرة كرم الله وجهه، قال القاضى الامام ابوبكر الباقلانى فى تمهيده: و أما ما روى من قولهم: (بايعناك على أن تقتل قتلة عثمان) فانه مما يبعد أن يكون صحيحاً، لأن الاتفاق من عليّ و منهما ـ يعنى طلحة و الزبير ـ على خطأ فى الدين، و ذلك ما يجب نفيه عنهم ما أمكن و وجد اليه السبيل، و ذلك ان عقد الامامة لرجل على أن يقتل الجماعة بالواحد لا محالة خطأ لا يجوز، لأنه متعبد فى ذلك باجتهاده و العمل على رأيه، و قد يؤدى الامام اجتهاده الى ان لا يقتل الجماعة بالواحد و ذلك رأى كثير من الفقهاء، و قد يكون ممن يرى ذلك ثم يرجع عنه الى اجتهاد ثان.

فعقد الأمر له على أن لا يقيم الحد إلا على مذهب من مذاهب المسلمين مخصوص فاسد باطل ممن عقده و رضى به، و ليس يجوز أن ينسب الى عليّ و طلحة و الزبير خطأ مقطوع بفساده من جهة اخبار الآحاد التى لا يجب العلم بصحتها.

و على انه إذا ثبت ان علياً ممن يرى قتل الجماعة بالواحد لم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البينة على القتلة باعيانهم، و بأن يحضر أولياء الدم مجلسه و يطلبوا بدم أبيهم و وليهم، و لا يكونوا فى حكم من يعتقد انهم بغاة عليه ممن لا يجب استخراج حق لهم دون أن يدخلو فى الطاعة و يرجعوا عن البغى، و بأن يؤدى الامام اجتهاده الى ان قتل قتلة عثمان لا يؤدى الى هرج عظيم و فساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان او اعظم منه، و ان تأخير اقامة الحد الى وقت امكانه و تقصى الحق فيه أولى و أصلح للأمة و ألم لشعثهم و أنفى للفساد و التهمة عنهم.

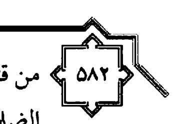


هذه أمور كلها تلزم الامام فى اقامة الحدود و استخراج الحقوق، و ليس لأحد أن يعقد الامامة لرجل من المسلمين بشريطة تعجيل اقامة حد من حدود الله و العمل فيه برأى الرعية، و لا للمعقود له ان يدخل فى الامامة بهذا الشرط فوجب اطراح هذه الرواية ـ لو صحت ـ، و لو كانا قد بايعا على هذه الشريطة فقبل هو ذلك لكان هذا خطأ منهم، غير أنه لم يكن بقادح فى صحة إمامته لأن العقد له قد تقدم هذا العقد الثانى و هذه الشريطة لا معتبر بها لأن الغلط فى هذا من الامام الثابتة إمامته ليس بفسق يوجب خلعه و سقوط فرض طاعته عند أحد اه.

و قال ايضا: و قد كان عليّ ﷺ مدفوعا الى أمر عظيم من قتلة عثمان و المطالبين بدمه و المنكر لقتله فكان لا يمكنه إقامة القود و الحد على قوم قتلوا رجلاً لا يعرفهم باعيانهم و ان كان يعلم انهم تحت كنفه و مختلطون بالبرءآء من اهل عسكره، من حيث لا يمكنه تمييزهم و الوصول الى معرفة اعيانهم، و لا ان يقيد للولى ـ و هم اهل حرب له ـ، غير مطالبين بالدم لأحد بعينه، و لا مقيمين بينة على ذلك و لا حصل لهم اقرار و لا اعتراف من أحد بالقتل على وجه يصح مثله و يمكن العمل به.

و كانت الحامية من اصحابه مثل مالك الأشتر النخعى و ابن بديل بن ورقاء و ابن سبأ و محمد بن ابى بكر و الغافقى و غيرهم ممن يرى رأيهم يكثرون الطعن على عثمان و المقالة فيه و البراءة منه و ممن تولاه.

و كان عليّ كرم الله وجهه لا يمكنه ان ينتقم منهم و بجرد القول فى لعن قاتل عثمان و البراءة منه و الأمر باقصائهم و إخراجهم من العسكر لتمالئهم و تظافرهم و خوفه من إفساد الأمر عليه و القدح فيه، و لا يلتحم و لا يلتئم و لا يمكنه التصويب لقتل عثمان و اظهار الرضا به، لعلمه بأنه قتل مظلوماً و تبريه



من قتله، و انه لو قال ذلك اشتد نفور الناس عنه و كوشف و اعتقد بذلك الضلال و ظن السامعون انه رأيه في عثمان، و هو بريء من ذلك.

و كان اذا سئل عنه أورد الكلام المحتمل و تغلغل الى لطيف التأويل و الرفق بالفريقين، و كانوا إذا سمعوا منه الكلام المحتمل ورأوا قتلته مختلطين بعسكره ظنوا انه مؤثر لما جرى و انه متمكن من اقامة الحد و أخذ القصاص لأوليائه و انه متحيف لهم، و ان كان بريئا من ذلك، فيصير ظاهر اختلاط القوم بعسكره و ما يسمع من محتملات أقاويله طريقاً لاجتهاد المحارب المطالب له بدم عثمان و القاعد عنه لموضع ظنهم به ما هو بعيد عنه، فلا يبعد أن يكون المحارب له والقاعد عنه مصيباً فيما فعله لأجل هذه الشبهة، فيزول الاثم عمن قصد هذا المقصد، و لم يطلب بقتاله و قعوده عنه الخذلان للامامة و الفتنة و التهاون بالقصة و حب النهب و الغارة و أخذ ما ليس له.

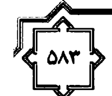
و قد روى ان علياً عليه السلام قال بالبصرة: «**و الله ما قتلت عثمان و لا مالأت على قتله، و لكن الله قتل عثمان و أنا معه**»[1] و هذا محتمل، فظن قوم انه خدعهم و انه قد اخبر عن نفسه انه قتله بقوله: (و أنا معه) و ليس ذلك كذلك، لأنه أراد به انه اماته و يميتني معه لأنه قد حلف و هو الصادق انه ما قتله و لا مالأ على قتله.

و روى انه سئل عن قتل عثمان مرة فقال: «**و الله ما ساءني ذلك و لا سرّني**»[2] فصار هذا طريقاً لتأويل الفريقين عليه غير الحق، و هو انما أراد بقوله: (ما ساءني) مطالبة من يطلب بدمه و اجتهاده في ذلك لطلبه له من بابه و وجهه (و لا سرني) قتل من قتله و كيف يسره ذلك و لا يسوءه، و هو يقول:

---

١ . تمهيد الاوائل، ص٥٥٥

٢ . المصدر نفسه، ص٥٥٥



«اللهم العن قتلة عثمان فى البر و البحر»[١] فيقول التأويل عليه أراد بقوله: (اللهم العنهم) إن كانوا مستحقين للّعن و كان عثمان غير مستحق للقتل، ليرضى العامة بذلك، و الا فهو الذى سبب قتله و ألب عليه، و كان ذلك من غرضه لظلم عثمان و غصبه الأمر.

و سئل فيما حكى دفعة اخرى عن دم عثمان فقال: (إن دم عثمان فى جمجتى هذه)[٢] فقال اهل الحق: إنه اراد ان دمه عنقى و لازم لى و واجب عليّ حتى أقيد به و اقتل، قتلته، متى قامت البينة عليهم بأعيانهم و أمكن أخذ الحق منهم.

و قال آخرون: لا بل أراد انه هو الذى قتله و أمر بذلك و دعا اليه و كذلك كان يجب عليه.

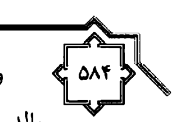
فكل هذه الأقاويل مع اختلاط القتلة باهل عسكره و كونهم تحت رايته تسوغ التأويل للمحارب له و القاعد عنه عند يقينه و تشككه، و كان عليّ ﷺ ابصر و اعلم بما يعرض لهم من الشبهات و كان يبرئهم من المأثم فلا يجبر القاعد عنه على الحرب علماً منه بما سبق الى وهمه مماهو برىء منه اهـ.

و قوله: (و عليّ لما لم يوافق الذين أشاروا عليه بالقود الى قوله و قتل قتلة عثمان اهون) بهتان على علي و التاريخ فان وقعة الجمل لم تقع لعدم موافقة عليّ على إشارة طلحة و الزبير عليه بالقود المزعومة، و لم يتعمدها الطرفان، و إنما أنشبها الثائرون على عثمان ﷺ، و كانوا متفرقين فى الجيشين خوفاً على انفسهم من اتفاقهم، و معاوية الذى تعمد حرب اميرالمؤمنين و بدأه بها انما حاربه لطائفة من الثوار على عثمان كانوا فى جيشه.

---

١ . المصدر نفسه، ص٥٥٥

٢ . المصدر نفسه، ص٥٥٦

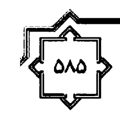


و قوله: (و قتل قتلة عثمان اهون مما جرى بالجمل و صفين) جهل فادح بالدين و التاريخ و الواقع، تقدم تقريرة مسهباً، و قد تبين فى الواقع و التاريخ ان قتل عليّ و طلحة و الزبير و معاوية مجتمعين قتلة عثمان إذ ذاك أصعب و امنع من عقاب الجو.

و قوله: (و من قال إن عثمان كان مباح الدم الى قوله فان عصمة دم عثمان) تلبيس فى من فان القائل بأن عثمان ﵁ كان مباح الدم طائفتان: الخوارج و الرافضة، و القائل بأن علياً و أولاده لا الحسين فقط ـ كما زعم ـ مباحوا الدم هم الخوارج فقط، و الرافضة رفعوه و أولاده فوق ما يستحقونه من الاحترام.

و قوله: (فان عصمة دم عثمان أظهر من عصمة دم عليّ و الحسين إلى قوله و شبهة قتلة عثمان) فاسد، إذ كيف تكون عصمة دم من كفرته الطائفتان أظهر من عصمة دم من كفرته طائفة واحدة؟ و كيف يكون من كفرته الطائفتان ابعد من موجبات القتل ممن كفرته طائفة واحدة؟

و قوله: (و شبهة قتلة عثمان أضعف بكثير من شبهة قتلة عليّ و الحسين) فاسد إذ لا شبهة مشتركة بين قتلة عثمان و قتلة عليّ و قتلة الحسين أصلاً فان الثائرين على عثمان ﵁ نقموا عليه أشياء اجابهم عنها كلها جواباً سديداً فحاصروه حتى قتل، و هم جم غفير، لا يعلم مقاصدهم هل كانوا كلهم مستحلين لدمه أو بعضهم إلا الله تعالى؟ و لا خلاف بين المسلمين فى ظلمهم له و موته شهيداً، و قاتل عليّ كرم الله وجهه و قتلة ابنه الحسين لم يكن لهم شبهة فى قتلهما اصلاً فضلاً عن كونها أقوى من شبهة قتلة عثمان، فالقاتل لعليّ من الخوارج كلاب النار و هم مستحلون لقتله يعتقدونه ديناً و قربة تقربهم الى الله تعالى لأنه كافر فى زعمهم.



ما اشد جهله بالدين و التاريخ و نصبه

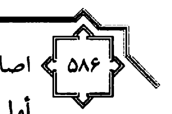
و قد جاء النص عنه ﷺ فى ان قاتله أشقى الآخرين[١]، و قتلة ابنه الحسين ظلمة فجرة قتلوه لأجل الدنيا لطاعة ظالم فاجر، و لم يقل عالم منتسب لاهل الحق ان قاتل عليّ كرم الله وجهه له شبهة فى قتله و ان قتلة الحسين لهم شبهة فى قتله، و ما أشد جهله بالدين و التاريخ و نصبه فى قوله: (فان عثمان لم يقتل مسلماً و لا قاتل احداً على ولايته)، فان قتال البغاة على الامام و المدافعة عنه فرض كفائى على المسلمين، و قد قام اهل المدينة بهذا الواجب فصمموا على محاربة المحاصرين لعثمان رضي الله عنه و دافع عنه أبناء كبار الصحابة دفاعاً مجيداً، ولكنه أقسم عليهم ان يغمدوا جميعاً سيوفهم و يلزموا بيوتهم فانه لا يحب ان يسفك دم فى بلدة رسول الله ﷺ بسببه و استسلم لقضاء الله، فعلم بهذا ان عثمان رضي الله عنه له شرعاً أن يقاتل على ولايته البغاة الثائرين عليه، و على المسلمين ان يدافعوا عنه، و لا يلزم من اسقاطه حقه الواجب له عليهم للعلة المذكورة إسقاط عليّ حقه الواجب له عليهم بترك الثائرين على عثمان، و البغاة عليه يموجون فى فوضى عمياء.

فالطعن فيه بأنه قاتل على ولايته و عثمان لم يقتل مسلماً و لم يقتل احداً على ولايته، جهل مركب بالدين و نصب خبيث لا ينهض حجة على الرافضة الامامية الذين يعتقدون عصمة علي عن الخطأ و كفر عثمان.

و قد تقدم فى ص ٢١٠ من ج ٢ من منهاجه اعترافه: (بأن علياً لم يكن فى وقته احق منه بالخلافة وانه خليفة راشد تجب طاعته)، وقتال عليّ لاهل القبلة قصداً لم يتحقق الا فى البغاة معاوية و من معه، و قد جاءت نصوص السنة فى

---

١ . مجمع الزوائد، ج٩، ص١٣٦



اصابته ﷺ فى قتالهم كحديث عمار و أحاديث الخوارج، و فيها: «**تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[١].

قد حقق و اكد معاوية و من معه بغيهم على أميرالمؤمنين علي ببدئهم جيشه بالقتال

و قد حقق و أكد معاوية و من معه بغيهم ببدئهم اميرالمؤمنين بالحرب على انه لو بداهم بها لكان مصيباً، لأنهم خارجون عن طاعته الواجبة له عليهم طالبون ما ليس لهم طلبه لو كانوا أولياء عثمان حقاً إلا من طريق الشرع عند الامام باقامة البينة على قاتل معين، و فى الخوارج كلاب النار الذين تواترت نصوص السنة فى ذمهم و أمر ﷺ بقتلهم و قال: «**اقتلوهم فانّ فى قتلهم أجراً لمن قتلهم**»[٢]، و قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد و إرم**»[٣] و مع ذم النبى ﷺ لهم الذم البليغ و علم اميرالمؤمنين به لم يبداهم بالقتال بل هم البادئون به ولو بداهم به لكان مصيباً، و الطرفان فى وقعة الجمل لم يتعمدا الحرب و إنما أنشبها بينهما الثائرون على عثمان، فكان كل منهما مدافعاً عن نفسه ظاناً انه اعتدى عليه.

طعن الرافضي في عمال عثمان ﷺ بالبهتان و تسليم هذا المفتون له ذلك و طعنه هو في عمال حيدرة ﷺ بالبهتان

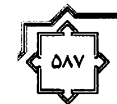
٢٨) و فى ص ١٧٣ منه قال فى طعن الرافضى فى عثمان بانه: (ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية حتى ظهر من بعضهم الفسوق و من بعضهم

---

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص١١٣

٢ . صحيح البخارى، ج٨، ص٥٢

٣ . صحيح البخارى، ج٨، ص١٧٨، بدون لفظ: «و ارم»



الخيانة ما نصه: و الجواب ان يقال نواب عليّ خانوه و عصوه اكثر مما خان عمال عثمان له و عصوه، و قد صنف الناس كتباً فيمن ولى عليّ فأخذ المال و خانه، و فيمن تركه و ذهب الى معاوية و قد ولى عليّ ﷺ زياد بن ابى سفيان ابا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين و ولى الأشتر النخعى و ولى محمد بن ابى بكر و امثال هؤلاء، و لا يشك عاقل ان معاوية بن ابى سفيان ﷺ كان خيراً من هؤلاء كلهم اهـ.

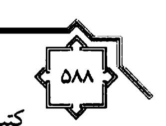
اقول: تقدم فى طعن الرافضى فى الشيخين ان هذا المتغطرس مفلس من حجج اهل السنة الدامغة لأباطيل الرافضة فلجهله لها و نصبه قابل طعنه فيهما بطعنه هو فى حيدرة بتكفير الخوارج كلاب النار له، و بمحاربة الباغين عليه له و بالمروانية المفتعلة، و قابل طعنه هنا فى عثمان ﷺ بأساليب من الطعن فى حيدرة ﷺ.

و قد اجاب علماء الاسلام عن جميع ما نقمه الثائرون على عثمان ﷺ أجوبة شافية ذكرها محب الدين الطبرى فى الرياض النضرة، فقوله: (و الجواب الى قوله و قد ولى عليّ) فاسد من اربعة اوجه:

الأول ـ تسليمه دعوى الرّافضى خيانة عمال عثمان مع كونه لم يسم الخائن منهم و لم يبرهن على دعواه الكاذبة.

الثانى ـ كذبه هو على عمال علي بأنهم خانوه و لم يسم الخائن منهم و لم يبرهن على دعواه الكاذبة.

الثالث ـ ترقيه فى الكذب عليهم بأنهم خانوه و عصوه اكثر من عصيان و خيانة عمال عثمان لعثمان، و لم يبرهن على العصيان و الخيانة المشتركتين بين عمال عثمان و عمال علي فضلاً عن دعواه زيادة عمال علي فيهما على عمال عثمان.



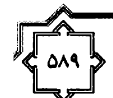
الرابع ـ تلبيسه و كذبه ايضا على عمال علي فى قوله: (و قد صنف الناس كتبا فيمن ولى عليّ فأخذ المال و خانه و فيمن تركه ذهب الى معاوية).

فلو كان صادقاً لسمى ولو واحداً من هؤلاء المصنفين فى عمال علي الخائنين، و ذكر ولو كتاباً من كتبهم المصنفة فى ذلك ليعرض على محك النقد العلمى، ولكن قد تحققنا انها مطايا التلبيس يركبها لتغطية مينه، قابل بها لنصبه تلبيس الرافضى و كذبه على عمال عثمان ﷺ، و ولاة اميرالمؤمنين على ﷺ زياد بن أبيه و الأشتر النخعى و محمد بن ابى بكر أكفاء لما ولوا عليه.

و نسبته زياداً الى ابى سفيان اعتبار لما لم يعتبره الشرع الشريف و لم يعترف به بنو امية و هو استلحاق معاوية له، و لا يقدح قتل عبيد الله بن زياد للحسين ﷺ فى كفائة أبيه زياد عند العقلاء.

فانتقاد حيدرة بهذا نصب أو ضرب من الجنون، ولا يصح التفضيل و الخيرية بين ولاة علي و بين معاوية عند الرافضة لاعتقادهم كفره فلا يكون هذا الهراء حجة عليهم، ولا عند اهل الحق لأن التفضيل و الخيرية ان كان مقصوده بهما الكفاءة فى العمل المسند اليهم فهم مشاركون له فيها قطعاً، فزياد كان يضرب به المثل فى حسن السياسة و وفور العقل و حسن الضبط لما يتولاه، و الأشتر كانت له آثار عظيمة فى جهاد الروم و فارس، و محمد بن ابى بكر قد حضر غزو افريقية و الروم فى البحر و إن كان مقصوده بهما الصحبة لرسول الله ﷺ، فصحبة محمد بن ابى بكر لرسول الله ﷺ أفضل من صحبة معاوية له لأنه ولد فى الاسلام و معاوية طليق أسلم كرهاً.

و تشويش محمد بن ابى بكر على عثمان ﷺ و حضوره حصاره مع ثوار مصر لا يقدح فى صحبته، فقد حضر حصاره من هو اجل منه من الصحابة عبد الرحمن بن عديس البلوى، و عمرو بن الحمق الخزاعى، فقوله: (ولا يشك عاقل الى آخر الهراء) فاسد.



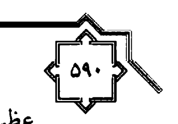
٢٩) و قال في ص ١٧٥ منه: و المقصود هنا ان ما يعتذر به عن علي فيما انكر عليه يعتذر بأقوى منه عن عثمان، فان علياً قاتل على الولاية و قتل بسبب ذلك خلق كثير عظيم، و لم يحصل في ولايته لا قتال للكفار و لا فتح لبلادهم، ولا كان المسلمون في زيادة خير، و نواب عثمان كانوا أطوع من نواب علي و أبعد عن الشر.

ثم قال فاستعمل النبي ﷺ في عزة الاسلام على أفضل الأرض مكة عتاب بن أسيد بن ابى العاص بن امية، و استعمل على نجران أبا سفيان بن حرب ابن أميه، واستعمل ايضا خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني مذحج و على صنعاء اليمن، فلم يزل حتى مات رسول الله ﷺ، و استعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء و خيبر و قرى عرينة، و استعمل ابان بن سعيد بن العاص على بعض السرايا ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء بن الحضرمي حتى انتقل النبي ﷺ الى الرفيق الاعلى اه.

لم ينتقد احد من المسلمين سياسة علي في رعيته و لم ينتقم احد من رعيته على عماله

اقول: لم ينقم و لم ينكر احد على عمال علي او على سياسته، حتى معاوية فانه معترف بفضله و انه احق منه بالخلافة، و اما عثمان رضي الله عنه فقد نقم و انكر عليه ثوار الأمصار الثلاثة اشياء اجابهم عنها كلها جواباً سديداً.

و قوله: (فان علياً قاتل على الولاية الى قوله و لم يحصل في ولايته) تعليل فاسد و بهتان مكرر عليه و جهل فادح بالدين و التاريخ، فان علياً رضي الله عنه ما بدأ احداً بقتال و لو بدأ معاوية و من معه و الخوارج بالقتال لكان محقاً، و قد تقدم تقريره مسهباً مبرهناً.



و قوله: (و قتل بسبب ذلك ـ اى بسبب قتال عليّ على ولايته ـ خلق كثير عظيم) جهل مركب و نصب.

السبب الاول في قتل الخلق الكثير العظيم هم الثائرون على عثمان رضي الله عنه

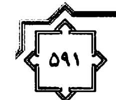
فان السبب الأول فى قتل الخلق الكثير العظيم هم الثائرون على عثمان رضي الله عنه، و السبب الثانى فى قتل الخلق الكثير العظيم هو معاوية رضي الله عنه، يعرف هذا كل من اطلع على تاريخ الاسلام.

و قوله: (و لم يحصل فى ولايته الى قوله و نواب عثمان) نصب و جهل، فان قتال الكفار و فتح بلادهم ليس شرطاً فى صحة الامامة، و أنما من شروطها الكفاءة و العدالة، و اميرالمؤمنين على رضي الله عنه شغله عن الخارج معالجة الداخل بسبب الفوضى المنتشرة فيه بقتل عثمان رضي الله عنه، ولو انفق معاوية مثل جبل احد ذهباً و بقى فى ملكه مقاتلاً الكفار فاتحاً بلدانهم الدهر كله ما بلغ مد عليّ رضي الله عنه و لا نصفه.

قتال الكفار و فتح بلادهم ليس شرطاً في صحة الامامة

و دل منطوق كلامه هذا على ان المقاتل للكفار الفاتح لبلدانهم و إن كان ظالماً جباراً كيزيد و عبد الملك بن مروان و أولاده خير من على بن ابى طالب الذى لم يقاتلهم ولم يفتح بلدانهم، و خير من عمر بن عبد العزيز الذى لم يقاتلهم و لم يفتح بلدانهم، ولا يتفوه بهذا من عنده مسكة من عقل و دين و حياء.

و قوله: (و نواب عثمان كانوا اطوع من نواب علي و ابعد عن الشر) دعوى كسائر دعاويه التى يرسلها جزافا لا اعلق عليها بأكثر من هذا.



و قوله: (فاستعمل النبى ﷺ على افضل الأرض مكة) كذب و عدم اعتبار للأئمة و العلماء الذين فضلوا المدينة على مكة و فى مقدمتهم الفاروق رضي الله عنه.

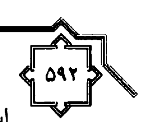
و قوله فى عتاب: (ابن ابى العاص) خطأ و الصواب ابن ابى العيص، و عتاب اسلم يوم الفتح و حسن اسلامه جداً.

و قوله: (و استعمل على نجران ابا سفيان بن حرب) غير صحيح.

و قوله: (و استعمل خالد بن سعيد الى قوله و استعمل عثمان بن سعيد) صحيح، و عثمان بن سعيد فى قوله: (و استعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء) غير معروف فى اولاد سعيد بن العاص بن امية، و لسعيد بن العاص بن امية عشرة اولاد اسلم منهم خمسة خالد و عمرو و ابان و سعيد و عبد الله، و قتل منهم اثنان ببدر على الكفر العاص و عبيدة، و المستعمل على تيماء هو يزيد بن ابى سفيان، و المستعمل على سواد خيبر و وادى الراء هو عمرو بن سعيد بن العاص، و المشهور فى المستعمل على البحرين هو العلاء ابن الحضرمى.

٣٠) و قال فى ص ١٦٨ منه: و اما الصحابة فجمهورهم و جمهور افاضلهم ما دخلوا فى فتنة قال عبد الله بن الامام احمد: حدثنا ابى حثنا إسماعيل يعنى ابن علية حدثنا ايوب يعنى السختيانى عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة و اصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين و هذا الاسناد اصح إسناداً على وجه الارض و محمد بن سيرين من اورع الناس فى منطقه، و مراسيله من اصح المراسيل.

و قال عبد الله: حدثنا ابى حثنا اسماعيل حدثنا منصور بن عبد الرحمن قال قال الشعبى: لم يشهد الجمل من اصحاب رسول الله ﷺ غير عليّ و عمار و طلحة و الزبير فان جاؤوا بخامس فأنا كذاب.



و قال عبد الله بن احمد: حدثنا ابى حدثنا امية بن خالد قال قيل لشعبة: إن ابا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال: شهد صفين من اهل بدر سبعون رجلاً، فقال: كذب و الله، لقد ذاكرت الحكم بذلك و ذاكرناه فى بيته فما وجدناه شهد صفين من اهل بدر غير خزيمة بن ثابت، قلت: هذا النفى يدل على قلة من حضرها، و قد قيل انه حضرها سهل بن حنيف و ابو ايوب، و كلام ابن سيرين متقارب فما يكاد يذكر مائة واحد، و قد روى ابن بطة عن بكير بن الأشج قال: اما ان رجالاً من اهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا الى قبورهم اه.

قوله: (و اما الصحابة فجمهورهم الى قوله و قال عبدالله) باطل بما يثبت انه وقف معه ﷺ عام حجة الوداع مائة الف صحابى كلهم راه و سمع منه و توفى عنهم، فمن البعيد عادة و ان جاز عقلاً ان يموت جل هذا العدد فى مدة لا تتجاوز خمساً و عشرين عاماً و لا يبقى منه إلا عشرة آلاف، و قد توفى اميرالمؤمنين عليّ ﷺ سنة اربعين فيكون انقراض هذا الباقى منهم الى زمن عليّ سنة ستين على اكبر تقدير.

و موت جلّ الصحابة فى خمس و عشرين عاماً التى هى مدة الخلفاء الثلاثة يدل عليه، فيلزم ان تكون سنة الستين للهجرة نهاية لانقراض جميع الصحابة.

و قد كذبه التاريخ فقد تحقق فيه ان جماً غفيراً منهم ماتوا بعد الستين منهم: ثلاثمائة قتلوا فى وقعة الحرة و كانت سنة ثلاث و ستين، اخرج البيهقى عن انس بن مالك ﷺ قال: قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة، و فى صحيح البخارى عن سعيد بن المسيب ﷺ: ان هذه الوقعة لم تبق من اصحاب الحديبية احداً[1]، و مات ابو جحيفة العامرى سنة اربع و ستين، و عبد الله بن عمرو بن العاص سنة خمس و ستين، و عبدالله بن العباس

١ . صحيح البخارى، ج٥، ص٢٠



سنة ثمان و ستين و عبدالله بن ابی حدرد سنة احدی و سبعین، و عبدالله بن الزبیر سنة ثلاث و سبعین و عبدالله ابن عمر سنة ثلاث و سبعین، و عبدالله بن جعفر سنة ثمانین، و عبدالله بن حوالة سنة ثمانین، و عمرو بن حریث سنة خمس و ثمانین، و آخر من مات منهم بمصر عبدالله بن الحارث بن جزء الزبیدی سنة ست و ثمانین، و آخر من مات منهم بالکوفة عبدالله بن اوفی سنة سبع و ثمانین، آخر من مات منهم بالبصرة انس بن مالك سنة ثلاث و تسعین، و عمره مائة و ثلاث سنین، و آخر من مات منهم علی الاطلاق ابو الطفیل عامر بن واثلة الکنانی سنة مائة و اثنتین، و باطل ایضا بما ذکره الحافظ ابن حجر فی فتحه فی کتاب الفتن فی شرح قوله ﷺ: «**اذا التقی المسلمان بسیفیهما فالقاتل و المقتول فی النار**»[1]، واحتج به من لم یر القتال فی الفتنة و هم کل من ترك القتال مع علي في حروبه کسعد بن ابی و قاص و عبدالله بن عمر و محمد بن مسلمة و ابی بکرة و غیرهم و قالو: یجب الکف حتی لو أراد احد قتله لم یدفعه عن نفسه، و منهم من قال: لا یدخل فی الفتنة فان اراد احد قتله دفع عن نفسه.

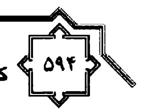
و ذهب جمهور الصحابة و التابعین الی وجوب نصر الحق و قتال الباغین و حمل هؤلاء الاحادیث الواردة فی ذلك علی من ضعف عن القتال او قصر نظره عن معرفة صاحب الحق.

قال الحافظ ابن حجر في فتحه ان الذين توقفوا عن القتال في الجمل و صفين من الصحابة اقل عدداً من الذين قاتلوا

ثم قال قلت: و من ثم کان الذین توقفوا عن القتال فی الجمل و صفین اقل عدداً من الذین قاتلوا، و کلهم متأول مأجور إن شاء الله تعالی اهـ.

---

۱ . صحیح البخاری، ج۱، ص۱۳



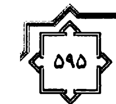
كان مع عليّ كرم الله وجهه في صفين تسعون بدرياً

و باطل ايضاً بما ذكره الزرقانى فى شرح المو اهب اللدنية ج٧ فى باب انبائه ﷺ بالمغيبات من خروج علي الى معاوية فى سبعين الفاً من اهل العراق فيهم تسعون بدرياً و سبعمائة من اهل بيعة الرضوان و اربعمائة من سائر المهاجرين و الأنصار اه.

و ما حكاه عن الشعبى إن صح عنه حمل على أعيانهم، و ان قصد به الصحابة على الاطلاق فهو باطل قطعاً فقد حضر الجمل جم غفير منهم، و سرد ابن الأثير فى كامله جماعة منهم قتلوا بها، و قد حضرها يعلى بن منية الذى جهز جيش عائشة ثم حضر صفين مع عليّ، و ما نفاه شعبة من حضور البدريين صفين مع علي الا خزيمة بن ثابت إن صح عنه قد أثبته يحيى بن سليمان الجعفى احد شيوخ البخارى فى نقل الزرقانى الذى تقدم و ليس نفيه لذلك بأولى من إثبات غيره.

و قد كذب فى قوله بصيغة الضعف: (و قد قيل إنه حضرها سهل بن حنيف)، فقد جزم الحافظان ابن عبد البر فى الاستيعاب و ابن حجر فى الاصابة بأنه حضرها، و أبو ايوب استخلفه عليّ على المدينة لما خرج الى العرق ثم لحق به بعد و حضر معه قتال الخوارج.

و ما ذكره ابن بطة عن بكير بن الأشج من ان رجالاً من اهل بدر لزموا بيوتهم الى آخره حجة عليه مناقض لما زعمه اولاً من ان جمهورالصحابة و جمهور افاضلهم ما دخلوا فى فتنة، على ان ابن الأشج لم يسم احداً من الرجال البدريين الذين لزموا بيوتهم، و لا اعلم بدرياً بايع اميرالمؤمنين علياً و لزم بيته، فلم يحضر حروب الصحابة غير رجلين: سعد بن ابى وقاص من المهاجرين و محمد بن مسلمة من الأنصار، و سعيد ابن زيد عبدالله بن عمر و عبدالله بن



سلام و اسامة بن زيد و ابو هريرة بايعوا اميرالمؤمنين و لم يحضروا معه و ليسوا بدريين.

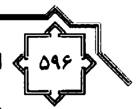
٣١) و فى ص١٨٩ منه قال: و ليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد بن ابى بكر و لاهو أشهر بالعلم و الدين منه، بل اخرج اهل الصحاح عدة احاديث عن مروان و له قول مع اهل الفتيا، و اختلف فى صحبته، و محمد بن ابى بكر ليس بهذه المنزلة عند الناس و لم يدرك من حياة النبى ﷺ الا أشهراً قليلة، و مروان من اقران ابن الزبير فهو قد ادرك حياة النبى ﷺ و يمكن انه راه عام فتح مكة او عام حجة الوداع.

و من الناس من يقول ان النبى ﷺ نفى أباه الى الطائف، و كثير من اهل العلم ينكر ذلك و يقول إنه باختياره، و أن نفيه ليس له إسناد.

و فى ص١٩٠ منه قال: فالجواب أن قتل عثمان و الفتنة لم يكن سببها مروان وحده بل اجتمعت أمور متعددة من جملتها أمور تنكر من مروان، و عثمان رضي الله عنه كان قد كبر و كانوا يفعلون أشياء لا يعلمونه بها، ثم قال: و قد قيل انه زور عليه كتاب بقتلهم، و انهم اخذوه فى الطريق.

و فى ص١٩٥ و١٩٦ منه قال: و مروان ابنه كان صغيراً إذ ذاك فانه من أقران ابن الزبير و المسور بن مخرمة، فلم يكن لمروان ذنب يطرد عليه، و لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة فى حياة النبى ﷺ، فان كان قد طرده فانما طرده من مكة لا من المدينة و لو طرده من المدينة لكان يرسله الى مكة، و قد طعن كثير من اهل العلم فى نفيه و قالوا هو ذهب باختياره، و قصة نفى الحكم ليست فى الصحاح و لا لها إسناد يعرف به أمرها.

و من الناس من يروى انه حاكى النبى ﷺ فى مشيته، و منهم من يقول غير ذلك، و الطلقاء ليس فيهم من هاجر، بل قال النبى ﷺ: **«لاهجرة بعد**



الفتح ولكن جهاد ونية»[1] فلم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة فان كان قد طرده فانما طرده من مكة لا من المدينة و لو طردة من المدينة لكان يرسله الى مكة، و قد طعن كثير من اهل العلم فى نفيه كما تقدم و قالوا هو ذهب باختياره، و اما قصة الحكم فعامة من ذكرها إنما ذكرها مرسلة، و قد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه و قل أن يسلم لهم نقلهم من الزيارة و النقصان، و فى ص۲۳۵ منه قال ايضا: و قد ذكر غير واحد من اهل العلم أن نفى الحكم باطل فان النبى ﷺ لم ينفه الى الطائف بل هو ذهب بنفسه اه.

قد افرغ جعبة تلون مينه في الدفاع عن مروان و ابيه

اقول: قد افرغ جعبة تلون مينه فى الدفاع عن مروان و أبيه فى هذه الثرثرة فقوله:(و ليس مروان أولى بالفتنة و الشر من محمد بن ابى بكر الى قوله بل اخرج اهل الصحاح) فاسد فانه اولى بالفتنة و الشر من ابن ابى بكر بل هو احد الأسباب الثلاثة التى أودت بحياة الخليفة عثمان رضي الله عنه و سأبرهن على ذلك، و أى علم و دين لِمَن تغلب على الشام بالغدر و الخديعة بعد ان بايع جل اهله لابن الزبير؟

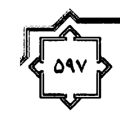
و قد قال النبى ﷺ: **«يُنصبُ لكلِّ ـ غادرا لواء يومَ القيامة عند أستِهِ، الحديث»**[2] و لو كان اعلم اهل الأرض بالحديث و الفتيا ما نفعه ذلك مع غدره و اعماله الموبقة التى أشار اليها الذهبى فى ميزان الاعتدال.

و قد ولد محمد بن ابى بكر من هو خير من ملء الأرض من مروان علماً و ديناً و تقوى القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة السبعة.

---

۱ . صحيح البخارى، ج۳، ص ۲۰۰

۲ . صحيح مسلم، ج۵، ص۱٤۲



لا صحبة لمروان و لا منزلة له عند الناس

و قوله: (و اختلف فى صحبته) باطل، قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة: لم أر من جزم بصحبته، و قال ايضا: و أنكر بعضهم أن يكون له رواية منهم البخارى اه.

و لا منزلة له عند الناس فضلاً عن كونه يفوق فيها محمد بن أبى بكر فلو كان له منزلة عند الناس لم يحتج إلى أخذ الملك بالغدر و الخديعة، قال لعثمان ﵁ إمرأته نائلة بنت الفراصة: قد سمعت قول عليّ لك و ليس يعاودك، و قد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال فما أصنع؟ قالت: تتقى الله و تتبع سنة صاحبيك، فانك متى أطعت مروان قتلك، و مروان ليس له عند الناس قدر و لا هيبة و لا محبة، و انما تركك الناس لمكانه، فأرسل الى عليّ فاستصلحه فان له قرابة و هو لا يعصى اهـ الكامل لابن الأثير ـ.

و لا يضر من ولد فى الاسلام إدراكه من حياة النبى ﷺ أشهراً قليلة، و لا ينفع الطليق إدراكه من حياة النبى ﷺ سنين كثيرة لو كان صحابياً فكيف به غير صحابى؟

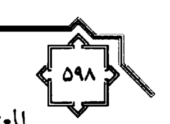
و قوله: (و مروان من أقران ابن الزبير) تلبيس سأوضحه.

و قوله: (و يمكن انه راه عام فتح مكة أو عام حجة الوداع) تقدم ابطاله.

و قوله: (و من الناس من يقول إن النبى ﷺ نفى أباه الى الطائف) كذب و تلبيس مكشوفان فى لفظتى (من) وَ (الناس).

الناس متفقون على نفي النبي ﷺ الحكم بن ابي العاص من المدينة الى الطائف

فان الناس متفقون على نفى النبى ﷺ الحكم بن ابى العاص من المدينة الى الطائف، فلو كان عنده علم لدافع عن الحكم و ابنه بغير تكذيب التاريخ.

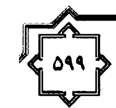


و قوله: (و كثير من اهل العلم الى و فى ص١٩٠) مطية من مطايا التلبيس المعتاد له ركوبها، فلو كان صادقاً لسمى لنا و لو واحداً من هذا الكثير الذى زعم أن الحكم ذهب الى الطائف باختياره و أن نفيه ليس له إسناد، حتى ينظر فيه.

و قوله: (فالجواب أن قتل عثمان و الفتنة الى قوله و عثمان ﷺ كان قد كبر) جواب غير محرر، و بيانه أن التشغيب على الخلفاء و الفتنة أسسها بالكوفة فى زمن الفاروق من لا صحبة له و لا بصيرة فى الدين من أوباش العرب على قريش و خلفائها بشكاية الامراء العادلين بطراً فبدأوا بسعد بن ابى وقاص ﷺ فلما عزله الفاروق تجرأوا عليه ﷺ فكانوا بعد هذه الجريمة التى ارتكبوها فى سعد ﷺ كلما ولى عليهم امير شكوه إليه لأتفه سبب فيعزله عنهم فممن ولاه عليهم و عزله عمار بن ياسر ﷺ حتى أضجروه ﷺ فقال: أعجب لمائة الف من المسلمين لا يرضون عن امرائهم ماذا أصنع لهم؟

أسباب قتل عثمان ﷺ ثلاثة: الثائرون عليه و محمد بن ابي حذيفة و مروان بن الحكم

و دعا الله تعالى فى آخر حجة حجها فقال: اللهم قد كبرت سنى وضعفت قوتى و انتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع و لا مفتون، و قال بعد ما طعنه ابو لؤلؤة: اوصى الخليفة من بعدى باهل الكوفة إن طلبوا كل يوم عزل امير و تولية آخر أن يفعل، و كان قتله ﷺ كسراً لباب الفتنة التى تموج كموج البحر بين المسلمين و لا يغلق الى يوم القيامة، فما تولى عثمان ﷺ إلا و قد طار شررها ضد قريش و خلفائهم فانضم أوباش البصرة الى أوباش الكوفة فصار العراق عشاً لها، وانضوى تحت لوائها المصريون فما مضت سنون من



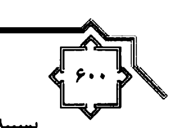
خلافته حتى صار لها جيش جرار شبَّها ضده بطراً و سار إليه فحاصره حتى قتل ﷺ، هذ اهو الأساس و السبب الأول فى قتل عثمان ﷺ.

و السبب الثانى بمصر محمد بن ابى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف و هو من عشيرته استشهد ابوه ابو حذيفة باليمامة فرباه عثمان فلما استخلف استأذنه محمد فى التوجه الى مصر فأذن له فكان أشد الناس تأليباً عليه و صار عميد الفتنة على عثمان بها، قالوا: كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبى ﷺ فى الطعن على عثمان فكان يأخذ الرواحل فيحصرها.

ثم يأخذ الرجال الذين يريد ان يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهر بيت فى الحر فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة ثم يرسلوا رسلاً ليخبروا بقدومهم و يأمر بتلقيهم فاذا لقوا الناس فيقول لهم الرسل: عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب، من امهات المؤمنين، إنا نشكو إليكم يا اهل الاسلام كذا و كذا من الطعن على عثمان فيضج اهل المسجد بالبكاء و الدعاء، و لما توجه ابن ابى سرح عامل مصر الى عثمان و ثب ابن ابى حذيفة هذا على نائبه فطرده و تأمر على مصر، و لما رجع ابن ابى سرح الى مصر منعه ابن ابى حذيفة من دخولها فذهب الى الرملة و مات بها.

و قد جهز ابن ابى حذيفة جيش المصريين الذين ذهبوا الى عثمان و حاصروه حتى قتل ﷺ.

و السبب الثالث: فى قتل عثمان ﷺ من عشيرته ايضاً كاتبه و أمين سره ابن عمه مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف، و ذلك بتهييجه بسوء رآيه و بذاءة لسانه ثوار الأمصار على ابن عمه اميرالمؤمنين عثمان ﷺ، و إفساده كل ما أصلحه كبار الصحابة بينهم و بين عثمان، و شتمه الناس المتجمهرين على باب عثمان و زجره لنائله امرأة عثمان و نيله من ابيها.



قال ابن كثير فى بدايته في ترجمته: و من تحت رأسه جرت قضية الدار و بسببه حصر عثمان بن عفان فيها اه.

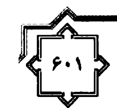
و من تبحر فى تاريخ الاسلام لا يجد سبباً لقتل عثمان ﷺ غير هذه الثلاثة.

و قوله: (و عثمان ﷺ كان قد كبر و كانوا يفعلون اشياء لا يعلمونه بها) صحيح، قال عثمان لعلي ﷺ فى محاورة جرت بينهما: أنشدك الله يا علي هل تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم ان عمر ولاه، قال: نعم، قال: فلم تلومنّي إن وليت ابن عامر فى رحمه و قرابته؟ قال علي: إن عمر كان يطأ على صماخ من ولى ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى العقوبة و انت لا تفعل ضعفت و رققت على أقربائك، قال عثمان: و هم أقرباؤك ايضاً، قال: أجل إن رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم، قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولى معاوية فقد وليته؟ فقال عليّ: انشدك الله هل تعلم ان معاوية كان اخوف لعمر من يرفأ غلام عمر له؟ قال: نعم، قال عليّ: فان معاوية يقتطع الأمور دونك و يقول للناس هذا أمر عثمان و انت تعلم ذلك فلا تغير عليه اهـ ـ الكامل لابن الأثير ـ.

و قوله معبراً بصيغة الضعف: (و قد قيل إنه زور عليه كتاب بقتلهم و انهم أخذوه فى الطريق) باطل، فان تزوير الكتاب على لسان عثمان ﷺ محقق و مزوره مروان بن الحكم.

تزوير مروان بن الحكم الكتاب بقتل المصريين

قال ابن كثير فى بدايته: و قد ذكر ابن جرير فى تاريخه بأسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد الى مصر فيه الأمر بقتل بعضهم و صلب



بعضهم و بقطع ايدى بعضهم و ارجلهم و كان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان متأولاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾[1].

و عنده ان هؤلاء الذين خرجوا على اميرالمؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المفسدين فى الأرض و لا شك انهم كذلك، ولكن لم يكن له ان يفتات على عثمان و يكتب على لسانه بغيرعلمه و يزور على خطه و خاتمه و يبعث غلامه على بعيره بعد ما وقع الصلح بين عثمان و بين المصريين على تأمير محمد بن ابى بكر على مصر بخلاف ذلك كله اهـ).

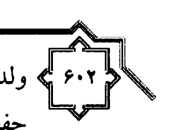
و قال فى موضع آخر: (و مروان كان اكبر الأسباب فى حصار عثمان لأنه زور على لسانه كتاباً الى مصر بقتل اولئك الوفد اهـ). و قال الحافظ ابن حجر فى اول كتاب الشروط من فتحه و إصابته لم أر من جزم بصحبته ثم كان من اسباب قتل عثمان اهـ. و قال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب: ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم و لم يره لأنه خرج الى الطائف طفلاً لا يعقل، و ذلك ان رسول الله صلى تعالى عليه و سلم كان قد نفى اباه الحكم اليها فلم يزل بها حتى ولى عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده عثمان فقدم المدينة هو ولده فى خلافة عثمان، و توفى ابوه فاستكتبه عثمان وضمه إليه فاستولى عليه الى ان قتل عثمان، و نظر إليه عليّ رضي الله عنه يوماً فقال له: و يلك و ويل امة محمد منك و من بنيك اه.

ما جعل الله الصحابي ابن الحواري مثل الطليق بن الطليق

و قوله: (و مروان ابنه كان صغيراً الى قوله و لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة) كذب ملبس، فكون مروان من أقران المسور بن مخرمة صحيح على القول بأنه

---

١ . المائده: ٣٣



ولد بعد الهجرة بسنتين، و ابن الزبير ولـد فـى أول الهجـرة و رأى النبـى ﷺ و حفظ منه احاديث، و ما جعل الله المولود فى الاسلام ابن الحوارى مثـل الطليـق بن الطليق، و لقد كبر اهل الشام فرحاً بقتله.

المسور بن مخرمة صحابي جليل

فقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: انظروا إلى هـؤلاء لقـد كـبر المسلمون فرحـاً بولادته و هؤلاء يكبرون فرحاً بقتله، و المسور بن مخرمة و إن كان مـع ابيـه مـن الطلقاء صحابى جليل فقد قدم المدينة بعد الفتح فى ذى الحجة فتوطنها و حفظ من النبى ﷺ احاديث، و كان يلازم عمر بـن الخطـاب و كـان مـع خالـه عبـد الرحمن بن عوف ليالى الشورى، ثم صار مع ابن الزبير بمكة و قتل فـى الحـصر الأول شهيداً رضي الله عنه.

و قوله: (فلم يكن لمروان ذنب يطرد عليه) تهويش فـان العلـماء لم يـرووا أن مروان طرد وحده حتى يلـزمهم بهـذا التهـويش، و إنـما رووا ان ابـاه نفـي الـى الطائف، و لا يعقل ذهاب المنفي الى المنفى عادة بدون ولده الصغير.

زعمه ان الطلقاء ما كانوا يسكنون المدينة في زمن النبي ﷺ كذب مكشوف

و قوله: (و لم تكن الطلقـاء تـسكن بالمدينـة فـى حيـاة النبـى ﷺ) كـذب مكشوف.

نفي الحكم بن ابي العاص من المدينة الى الطائف مقطوع به و الاختلاف في سبب نفيه لا يضر

فهذا الحكم بن ابى العاص ابو مروان من الطلقاء، اتفق الحافظان ابـن عبـد



البر فى الاستيعاب و ابن حجر فى الاصابة على انه سكن المدينة و نفاه النبى ﷺ منها الى الطائف، و هذا سهيل بن عمرو احد رؤساء قريش من الطلقاء اسلم يوم الفتح و حسن اسلامه، سكن مكة ثم سكن المدينة ثم خرج منها الى الشام للجهاد فى سبيل الله و مات فى طاعون عمواس، و هذا اخوه سهل بن عمرو من الطلقاء اسلم يوم الفتح و حسن اسلامه و سكن المدينة و له دار بها، و هذا حويطب بن عبدالعزى العامرى من الطلقاء اسلم يوم الفتح و حسن اسلامة توطن المدينة الى ان مات بها و عمره مائة و عشرون سنة و قد باع داره بمكة لمعاوية بأربعين الف دينار.

و قوله: (فان كان قد طرده الى قوله و قد طعن كثير) هراء لا يحتاج الى التعليق.

و قوله: (و قد طعن كثير من اهل العلم فى نفيه الى قوله و قصة نفى الحكم) هراء مكرر تقدم ابطاله، و مقصوده بقوله: (و قصة نفى الحكم الى قوله و من الناس من روى) سبب نفيه من المدينة الى الطائف، فنفيه مقطوع به و الاختلاف فى سبب نفيه لا يضر.

و روى الطبرانى من حديث حذيفة قال: لما ولي ابوبكر كُلّم فى الحكم ان يرده الى المدينة فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، و إرجاع عثمان له الى المدينة مما انتقده الثائرون عليه.

و قد اجاب ﷺ و هو الصادق بأنه كان استأذن النبى ﷺ فيه، و قال: قد كنت شفعت فيه فوعدنى برده، و ليست رواية الأخبار محصورة فى الصحاح عند العقلاء.

و قوله: (و لا لها إسناد يعرف به امرها) دعوى مرسلة بلا خطام.



و قوله: (و من الناس من يروى انه حاكى النبى ﷺ فى مشيته و منهم من يقول غير ذلك) مذكور مفصل مع غيره فى كتابى الحافظين ابن عبدالبر و ابن حجر فى ترجمته.

«لاهجرة بعد الفتح» دال على ان مكة تبقى دار اسلام الى قيام الساعة

و قوله: (و الطلقاء ليس فيهم من هاجر) هراء مكرر تقدم ابطاله، و معنى قوله ﷺ: «**لاهجرة بعد الفتح**»[1] عند العلماء لا هجرة واجبة بعد فتح مكة من مكة و قبله كان كل من اسلم من قريش يجب عليه ان يهاجر الى المدينة لنصرة الرسول ﷺ فلما صارت دار إسلام سقط وجوب الهجرة على من بها و بقى الجواز، و استدل به العلماء عل ان مكة بعد الفتح تبقى دار الاسلام اى يوم القيامة، كما استدلوا به ايضا على ان الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام باقية واجبة الى يوم القيامة.

و قوله: (فلم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة) هراء مكرر ثالث تقدم ابطاله.

و قوله: (فان كان قد طرده الى قوله و قد طعن كثير) هذيان مكرر لا يستحق التعليق.

و قوله: (و قد طعن كثير من اهل العلم الى قوله و أما قصة الحكم) هراء مكرر ثالث تقدم ابطاله.

و قوله: (و أما قصة الحكم الى قوله و النقصان) هراء و دعوى مرسلة بلا خطام.

---

۱ . صحيح البخارى، ج۳، ص ۲۰۰



قد وردت احاديث في لعن الحكم و ما ولد غالبها فيه مقال و بعضها جيد

و قوله: (و قد ذكر غير واحد من اهل العلم الى آخر هذره) هراء مكرر و مطية من مطايا التلبيس، قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب الفتن ج١٣ فى شرح قوله ﷺ: «**هلاك امتى على يدى أغليمة سفهاء**»[١] ما نصه: و قد وردت احاديث فى لعن الحكم والد مروان و ما ولد[٢] ـ اخرجها الطبرانى و غيره غالبها فيه مقال و بعضها جيد اه ـ.

احتجاجه على احقية معاوية في قتاله علياً بتولية عمر بن الخطاب له فاسد

٣٢) و فى ص١٨٩ منه قال و أما قوله ولي معاوية الشام فأحدث من الفتن ما احدثه، فالجواب ان معاوية انما ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مات اخوه يزيد بن ابى سفيان ولاه عمر مكان اخيه و استمر فى ولاية عثمان و زاده عثمان فى الولاية، و لما قتل عثمان كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس لم يختص بها معاوية بل كان معاوية اطلب للسلامة من كثير منهم و ابعد من الشر من كثير منهم، و معاوية كان خيراً من الأشتر النخعى و من محمد بن ابى بكر و من عبيدالله بن عمر بن الخطاب و من ابى الأعور السلمى و من هاشم بن هاشم بن هاشم المرقال و من الأشعث بن قيس الكندى و من بسر ابن ابى أرطاة و غير هؤلاء من الذين كانوا معه و مع على بن ابى طالب رضي الله عنهما اهـ).

اقول اشتملت هذه الثرثره على اربعه مباحث فقول (و الجواب ان معاوية إنما ولاه عمر بن الخطاب الى قوله و لما قتل عثمان) جواب جاهل بالنحل فاسد

---

١ . سبل الهدى و الرشاد، ج١٠، ص١٥٥

٢ . مجمع الزوائد، ج٥، ص٢٤١، بلفظ: «**القد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم**»



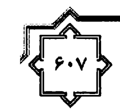
عند الرافضى المردود عليه و عند اهل الحق ايضا، و بيانه أن الشيخين و عثمان و جل الصحابة ﷺ كفار فى رأي الرافضة، فهم لا يقيمون لعمر بن الخطاب و لا عثمان وزناً، على انهم لو كانوا يقيمون لهما وزناً لا يصح لهم و لا لأهل السنة الاحتجاج بتوليتهما له على ما احدثه من الفتن، لأن توليتهما له شيء و ما أحدثه من الفتن شيء آخر لا ملازمة بينهما عند كل من رزق عقلاً سليماً.

و لا يصح الاحتجاج ايضا بتوليتهما له على الزام الخليفة بعد عثمان بابقائه فى الامارة عند كل من رزق عقلاً سليماً، و قصر الرافضى الانتقاد فى معاوية على عثمان جهل بالتاريخ و لو كان عالماً بالتاريخ لأدرجه فى انتقاداته للفاروق الذى ولاه قبل عثمان.

و قد وجد الجاهلون و المؤجرون المؤلفون فى تاريخ الخلفاء فى هذا العصر فى قوله: (إنما ولاه عمر بن الخطاب) سبيلاً للطعن فى حيدرة كرم الله وجهه حيث عزله عن الشام، و جعلوا عزله ذنباً لا يغفر و عزل حيدرة له الذى انتقدوه به وعدوّه من أعظم ذنوبه إنما كان لاستبداده على الخليفة عثمان و اقتطاعه الأمور دون أمره.

فعزله له مثل عزل الفاروق لخالد بن الوليد عن قيادة الجيوش لأنه فى اجتهاده كان يقتطع الامور دون أمر ابى بكر ر ضى الله تعالى عنه، و كان عمر يلح على ابى بكر فى عزله فلا يقبل منه.

و كان أول أعمال الفاروق حين تولى الخلافة عزل خالد، فاحتجاجهم على خطأ عليّ فى عزله لمعاوية لأن عمر ولاه جهل فادح بالدين و التاريخ، يلزم منه أن يكون كل عمل ولاه عمر مقدساً فى جميع أعماله لا يسوغ عزله، و يلزم منه ايضا أن يكون عمر فى انتقاء العمال و تهذيبهم خيراً من الرسول المعصوم الأعظم ﷺ و لا يتفوه بهذا من له مسكة من عقل و دين، فقد ولى



الرسول ﷺ و هو المعصوم الوليد بن عقبة على صدقة بنى المصطلق، فرجع اليه قبل أن يصلهم و اخبره انهم ارتدوا عن الاسلام و منعوا الزكاة ظناً منه لما خرجوا لمقالاته انهم يريدون قتله لما كان بينه و بينهم فى الجاهلية من الاحن فكاد يهلك حياً من المسلمين لولا حكمته عليه الصلاة و السلام، و بسببه نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ..﴾[1].

يلزم منها تقديس كل عامل ولاه عمر و حظر عزله و يلزم منها ايضاً ان يكون عمر في انتقاء العمال خيراً من الرسول المعصوم و لا يتفوه بهذا من له عقل و دين و حياد

و فى الصحيح انه عليه الصلاة و السلام أمّر رجلاً من الأزد على الصدقة يقال له ابن اللّتبية، فلما قدم حاسبه عليه الصلاة و السلام فأبقى عنده شيئاً من المال، و قال: هذا لكم و هذا اهدي لى فغضب عليه الصلاة و السلام و قال على المنبر: «**أيها الناس ما بال الرجل منكم نرسله على مال الله فيقول: هذا لكم و هذا اهدي لى ألا جلس فى بيت أمه حتى ينظر هل يهدى له؟**»[2].

و ثبت انه عليه الصلاة و السلام أرسل خالد بن الوليد يوم الفتح الى بنى جذيمة فقتل منهم ناساً لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ظناً منه أنهم مشركون، فبلغه عليه الصلاة و السلام فأرسل اليهم دياتهم مع على ابن ابى طالب و رفع يديه الى السماء و قال: «**اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد**»[3].

---

١ . الحجرات: ٦

٢ . صحيح البخارى، ج٧، ص٢١٩، مع اختلاف

٣ . صحيح البخارى، ج٥، ص١٠٧



و ثبت ايضا أنه عليه الصلاة و السلام استعمل عبدالله بن ابى سرح على كتابة الوحى التى هى أعظم الأعمال فارتد عن الاسلام و لحق بمكة و صار يقول للمشركين: إن محمداً يسمع كلامى فاكتب له ما أريد، و قد ولى الرسول ﷺ زياد بن لبيد البياضى على حضرموت و كندة، و العلاء بن الحضرمى على البحرين فعزلهما الخليفتان بعده، العلاء عزله عمر، و زياد عزله الصديق، أفيطعن عاقل فى الشيخين لعزلهما من ولاهما الرسول ﷺ المعصوم؟ و قد ولى ابوبكر الصديق رضي الله عنه القائدين العظيمين خالد بن الوليد و المثنى بن حارثة، فكان عزلهما مع كفاءتهما أول أعمال عمر رضي الله عنه، فهل ينتقد عاقل الفاروق لعزله من ولاهما الصديق مع كفاءتهما؟

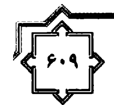
و قد ولى الفاروق عمرو بن العاص على مصر و عمير بن سعد الأنصارى على حمص فقاما بعملهما أحسن قيام، فعزلهما عثمان رضي الله عنه و ولى على مصر عبدالله بن ابى سرح و ضم حمص الى معاوية، فهل ينتقد عاقل عثمان بذلك؟

ان لكل وقت أحوالاً و تغيرات تطرأ تحمل اللاحق على ما لا يراه السابق من الاجتهاد و كلهم مصيبون.

و قوله: (و لما قتل عثمان كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس الى قوله بل كان معاوية) فاسد لأن من انعقد الاجماع على إمامته، و جاءت الأحاديث النبوية دالة على انه على الحق و المقاتلون له بغاة عليه لا يصح انطباق الفتنة بجميع معانيها اللغوية عليه و على من معه، و لو على القول بأنها: (اختلاف الناس فى الآراء).

لا يصح انطباق الفتنة بجميع معانيها على من اتفق الاجماع على خلافته

و عليه فأسُ الفتنة و منشئها و موقدها المنطبقة عليه تمام الانطباق هم الثائرون على عثمان رضي الله عنه، و يصح انطباقها على معاوية و من معه ببغيهم على



أمير المؤمنين، و انطباقها على الحروريين كلاب النار أجدر، و لا أدرى لِمَ لَم يجب هذا المفتونِ الرافضى عن طعنه فى معاوية ﵁ بجواب اهل الحق؟ و هو انه مجتهد، لِمَ ترك هذا الجواب و ذهب يثرثر و يخبط خبط عشواء فى الليلة الظلماء.

لم يبدأ اميرالمؤمنين علي ﵁ احداً من اهل القبلة بقتال و هذا في سيرته اوضح من الشمس في رابعة النهار

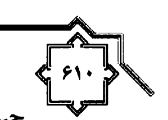
و قوله: (بل كان معاوية اطلب للسلامة الى قوله و معاوية كان خيراً من الأشتر) بهتان مكرر فضحه التاريخ الاسلامى و هو بأيدينا.

فان الذى كان اطلب للسلامة و أبعد من الشر هو امير المؤمنين علي ﵁، لانه لم يبدأ أحداً من اهل القبلة بقتال حتى الخوارج كلاب النار الذين استفاضت الأحاديث فى ذمهم، لم يبداهم به بل هم الذين بدؤوه به، و هذا فى سيرته ﵁ أوضح من الشمس فى رابعة النهار.

و الذى كان ابعد من السلامة و أقرب الى الشر هو معاوية ﵁ و من معه، و هذا فى تاريخ الاسلام أشهر من نار على علم.

و قد تقدم تقريره مسهباً مبرهناً، و لا حجة فى قوله: (و معاوية كان خيراً من الأشتر النخعى الى آخر الهراء) على الرافضة الذين يكفرون معاوية و من معه، و يقدسون علياً و من معه.

فالخيرية عندهم بين كافر و مقدس باطلة قطعاً و لا فائدة فيها عند اهل الحق الذين يعتقدون إسلام الطائفتين، سواء قصد بها الصحبة لرسول الله ﷺ أم قصد بها الكفاءة فى الأعمال و الآثار فى الاسلام على أن فيها خطلا، فلا تصح الخيرية بين معاوية و الآشتر من حيث الصحبة لرسول الله ﷺ.



فان معاوية صحابى و الأشتر تابعى و لا تفضيل بين صحابى و تابعى و من حيث الكفاءة فى العمل و الآثار فى الجهاد يشتركان فيهما، و قد يزيد معاويه على الأشتر فى الكفاءة فى العمل، و للأشتر آثار فى جهاد الروم و فارس، و محمد بن ابى بكر خير من معاوية فى الصحبة لرسول الله ﷺ، رغم كونه لم يدرك من حياة رسول الله ﷺ إلا اشهراً قليلة، و رغم كونه من المشغبين على عثمان رضي الله عنه، لأنه ولد فى الاسلام، و معاوية طليق أسلم كرهاً.

و لمحمد آثار فى غزو افريقية و الروم فى البحر، و عبيدالله بن عمر ولد فى عهد النبى ﷺ فان كان قد راه فلا شك أنه خير من معاوية و ان لم يره فمعاوية خير منه كما قال، و ابو الأعور السلمى مختلف فى صحبته، فقيل: صحابي اسلم بعد الفتح و قيل: تابعى فمعاوية خير منه على كلا القولين.

و قوله: (و من هاشم بن هاشم بن هاشم المرقال) خطأ و كذب، اما الخطأ ففى نسبه و الصواب فيه: هاشم بن عتبة بن ابى وقاص، ابن اخى بن ابى وقاص رضي الله عنهما.

و أما الكذب ففى قوله: (معاوية خير منه) فان كلاً منهما أسلم يوم الفتح، فهما متساويان، و لهاشم مآثر عظيمة فى جهاد الروم و فارس مسطرة فى التاريخ لم يكن لمعاوية مثلها.

و قوله: (و خيراً من الأشعث بن قيس) صحيح فان الأشعث ارتد عن الاسلام و أرجع اليه كرهاً.

و قوله: (و خيراً من بسر بن ابى أرطاة) صحيح.

قال الامامان احمد بن حنبل و يحيى بن معين: (لا صحبة لبسر و زاد ابن معين و كان بسر رجل سوء) و بعد هذا فان التهويش بهذه الثرثرة لا يجديه فى الرد على الرافضى و لا يستطيع به نطح جبل حيدرة الشامخ و رفع معاوية فوق ما أعطاه الشرع من الاحترام.



ابطال طعنه في حديث: ما اقلت الغبراء و لا اظلت الخضراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر ﷺ

٣٣) قال فی ص١٩٨ منه مجيباً فی زعمه عن نقد الرافضی لعثمان ﷺ بأنه: نفی أباذر الی الربذة و ضربه ضرباً وجيعاً مع ان النبی ﷺ قال فی حقه: «ما اقلت الغبراء و لا أظلت الخضراء من ذی لهجة أصدق من ابی ذر»[1]، و قال: «ان الله أوحی إلیّ انه يحب اربعة من أصحابی و أمرنی بحبهم، فقيل له: من هم يا رسول الله؟ قال: عليّ سيدهم و سلمان و المقداد و ابوذر»[2]، فالجواب ان أباذر سكن الربذة و ثرثر الی ان قال: فی ص١٩٩ منه و الحديث المذكور بهذا اللفظ الذی ذكره الرافضی ضعيف بل موضوع و ليس له إسناد يقوم به اهـ.

اقول: ما زعمه الرافضی من أن عثمان ﷺ نفی اباذر الی الربذة باطل بل هو اختار سكناها من تلقاء نفسه، و ما زعمه من ان عثمان ضربه ضرباً وجيعاً باطل ايضا، و قول ابن تيمية: و الحديث المذكور بهذا اللفظ الی آخر هرائه، باطل فانه بهذا اللفظ ثابت ـ أخرجه العسكری عن ابی الدرداء ـ.

و نص الحديث الخاص بأبی ذر: **«ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء بعد النبيين امرءاً اصدق لهجة من ابی ذر»**[3] رو اه الامام احمد[4] و الترمذی[5] و

---

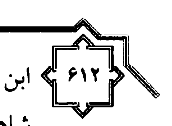
١ . مسند احمد، ج٥، ص١٩٧

٢ . سنن الترمذی، ج٥، ص٢٩٩

٣ . لم نجد بهذا اللفظ فی مسند احمد، لكن نقل عنه العجلونی فی كشف الخفاء، ج٢، ص١٧٧

٤ . مسند احمد، ج٢، ص١٦٣، بلفظ: **«ما أقلت الغبراء ولا أظللت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر»**

٥ . سنن الترمذی، ج٥، ص٣٣٤



ابن ماجه[1] و الطبراني[2] بسند جيد عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً ـ و له شاهد أخرجه العسكري عن ابى الدرداء بلفظ: «**ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابى ذر**»[3] ـ و ذكره السخاوى مطولاً فى النكت على شرح الفية العراقى اهـ ـ كشف الخفا و الالباس ـ .

فتحقق بهذا ان اللفظ الذى ذكره الرافضى و زعم ابن تيمية أنه موضوع و ليس له إسناد يقوم به، هو بعينه الشاهد الذى أخرجه العسكرى عن ابى الدرداء فهو مجازف فى حكمه عليه بالوضع متحامل على ابى ذر رضي الله عنه .

و نص الحديث الثانى العام فى ابى ذر و علي و المقداد و سلمان الذى ذكره الرافضى ايضا و سكت عنه ابن تيمية و لم يطعن فيه: (ان الله أمرنى بحب اربعة و أخبرنى انه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا؟ قال: علي منهم، يقول ذلك ثلاثا و أبوذر و المقداد و سلمان)[4] ـ اخرجه النسائى[5] و الترمذى و الحاكم[6] و صححه عن بريدة ـ .

٣٤) قال فى ص٢٤١ منه طاعناً ايضا فى خلافة من لا يحبه إلا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق بالبهتان: (و من المعلوم أن كثيراً من المسلمين لم يكونوا بايعوه حتى كثير من اهل المدينة و مكة الذين رأوه لم يكونوا بايعوه، دع الذين كانوا بعيدين كاهل الشام و مصر و المغرب و العراق و خراسان اهـ).

---

١ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٥

٢ . المعجم الاوسط، ج٥، ص٢٢٣

٣ . مسند احمد، ج٦، ص٤٤٢، عن ابى الدرداء

٤ . سنن الترمذى، ج٥، ص٢٩٩

٥ . لم نجده

٦ . المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤١



تلونه و تفننه في الافك و البهتان على خلافة حيدرة كرم الله وجهه

اقول: لقد تلون و تفنن فى الافك و البهتان على خلافة حيدرة كرم الله وجهه، فقد قال فى ص٢٠٤ من الجزء الثانى من منهاجه:

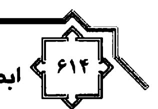
و أما الاجماع فقد تخلف عن بيعته و القتال معه نصف الامة أو اقل او اكثر اه.

و قال ايضا فى ص٢١٠ منه: (و علي ﷺ كان قد بايعه اهل الكوفة بالمدينة) و هنا قال: (و من المعلوم أن كثيراً من المسلمين الى آخر هرائه).

و قد ابطلت إفكه و بهتانه فى الموضعين السابقين، وبرهنت على إجماع المسلمين على خلافة اميرالمؤمنين على كرم الله وجهه برهاناً شافياً كافياً كل مؤمن.

فقوله: (و من المعلوم الى آخر هرائه) أى عنده فقط لا عند المسلمين فان اللبيب إذا جمع مطايا التلبيس و البهتان التى يمتطيها دائماً لتغطية مينه فى المواضع الثلاثة، و راجع ما نقلته فى بيعة حيدرة كرم الله وجهه سابقاً عن أئمة النقل الحفاظ الأثبات: ابن سعد فى طبقاته و ابن جرير فى تاريخه و ابن عبد البر فى استيعابه و ابن الأثير فى كامله و ابن حجر فى إصابته، يجزم بأنه ناصبى كذاب أشر أفاك، و يجزم ايضا بأن الله تعالى سيجازيه يوم القيامة جزاء الأفاكين.

٣٥) و فى الجزء الرابع من منهاجه ص ٦٣ قال: ان ابن عباس له معايبات يعيب بها علياً و يأخذ عليه فى أشياء من أموره، ثم قال: و قد ذكر غير واحد منهم الزبير بن بكار مجاوبته لعلي لما أخذ ما أخذ من مال البصرة فأرسل اليه رسالة فيها تغليظ عليه، فأجاب علياً بجواب يتضمن ان ما فعلته دون ما فعلته من سفك دماء المسلمين على الامارة و نحو ذلك اهـ.



ابطال زعمه ان ابن عباس له معايبات يعيب بها علياً عليه السلام

اقول: كلامه في الشقين باطل، فقد زعم ان ابن عباس له معايبات يعيب بها علياً ـ (بصيغة الجمع) ـ و يأخذ عليه في اشياء ـ (بصيغة الجمع ايضا) ـ من اموره ـ (بصيغة الابهام) ـ .

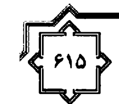
و مثل في الشق الأول لهذه المعايبات التي عاب ابن عباس بها علياً، و الأشياء التي آخذه بها بمثال واحد، و هو أن علياً عليه السلام لما احرق الذين ألّهوه، قال ابن عباس: لو كنت انا لم احرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وآله ان يعذب بعذاب الله و لضربت اعناقهم لقول النبي صلى الله عليه وآله: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[1].

وادعى ان ابن عباس كان يفتي إذا لم يكن معه نص بقول أبي بكر وعمر، وليس قول ابن عباس: «**لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وآله ـ إلى آخر**» عيباً لابن عمه و إنما هو اخبار بالنهي عن التعذيب بعذاب الله الذي اطلع عليه و لم يطلع عليه عليّ.

فغاية امر حيدرة كرم الله وجهه في هذه المسألة انه مجتهد لم يبلغه نهي النبي صلى الله عليه وآله عن التعذيب بعذاب الله، يؤجر على اجتهاده اجراً واحداً، كما ان الصديق الأكبر مجتهد في امره بتحريق الفجاءة السلمي، و في امره بتحريق الذي وجد في الحيرة يُنكح كما تنكح المرأة، فتحير خالد بن الوليد رضي الله عنه في امره، فكتب الى ابي بكر في شأنه فكتب اليه ابو بكر يأمره بتحريقه بالنار، و لم يبلغه نهي النبي صلى الله عليه وآله عن التعذيب بعذاب الله فيؤجر على اجتهاده اجراً واحداً، فلو كان قول ابن عباس هذا عيباً لابن عمه لكان عليه ان يعيب به الخليفة ابا بكر قبل عيبه شيخه و ابن عمه.

---

١ . صحيح البخاري، ج٤، ص٢١



و قد الف هذا المفتون رسالته: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) مثل فيها لكل من الخلفاء الأربعة بأمثلة زعم فيها انه حكم او افتى فيها بخلاف السنة و لم تبلغه السنة، فلم لم يجعل تحريق على للمؤلهين له من المسائل التى هو معذور فيها باجتهاده؟ لأن نهى النبى ﷺ عن ذلك لم يبلغه كما لم يبلغ الخليفة ابا بكر، ولكن رده على الرافضى لا يتم له الا بثلب من لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق.

و دعواه ان ابن عباس كان يفتى اذا لم يكن معه نص بقول ابى بكر و عمر باطلة، فانها تدل على انه كان يقلدهما فيما لم يجد فيه نصاً، و تقليده لهما باطل لا يصح، لأنه مجتهد مثلهما، و مثل فى الشق الثانى ايضا بمثل واحد، و هو قوله بصيغة التلبيس المعتادة له: (و قد ذكر غير واحد)، و لا يفيده نسبته الى الزبير بن بكار قاضى المدينة (مجاوبته لعليّ لما اخذ ما اخذ من مال البصرة الى آخر الهراء) و هى قصة باطلة نقلاً ملخصها:

إن ابن عباس اساء الى ابى الأسود الدؤلى، فكتب هذا فيه الى اميرالمؤمنين عليّ ناصحاً له بأن ابن عباس اكل ما تحت يديه بغير علمك و لم يسعنى كتمانك، و ان ابن عباس لما خرج من البصرة بعد عزله استدعى اخواله بنى هلال بن عامر فاجتمعت معه، قيس كلها فحمل مالاً و قال: هذه ارزاقنا اجتمعت، فتبعه اهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون اخذ المال منه، فقالت قيس: و الله لا يوصل اليه و فينا عين تطرف.

فقال صبرة بن شيمان رئيس الأزد لقومه: ان قيساً اخواننا و جيراننا و اعواننا على العدو و ان الذى يصيبكم من هذا المال لقليل، و هم لكم خير من المال، فأطاعوه وانصرفوا و انصرفت معهم ربيعة، و قاتلهم بنو تميم، فحجز بينهم المنصرفون و مضى الى مكة، رواها ابن جرير عن عمر بن شبة قال:



حدثنى جماعة عن ابى مخنف عن سليمان بن راشد عن عبد الرحمن بن عبيد ابى الكنود قال:

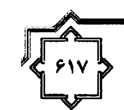
مر عبد الله بن عباس على ابى الأسود الدؤلى الى آخر الاسطورة، فعمر بن شبة و ان كان ثقة عند الدارقطنى فاخباره عن جماعة غير معينين يقدح فيه لأنه يحوج الممحص لها على فن الرواية الى البحث عن احوال هؤلاء المبهمين واحداً واحداً لو سماهم، و قد ابهمهم فلا سبيل إذاً للبحث عنهم.

و اخبار هؤلاء المبهمين على فرض تعيينهم و عدالتهم عن ابى مخنف لوط بن يحيى الهالك عند جميع أئمة الرواية برهان على بطلانها، و لا يرقعها روايته لها عن سليمان ابن راشد ان كان المصرى الثقة عند ابن حيان و إن كان غيره فهو مجهول، و عبد الرحمن ابن عبيد ابو الكنود أسٌّ الاسطورة مجهول ايضا.

فلو صح عزل ابن عباس عن البصرة و خروجه منها على هذه الحالة المزرية من اخذه المال و احتمائه بأخواله للذهاب به معه الى الحجاز و خروج اهل البصرة وراءه لانتزاعه منه و مقاتلة بعضهم لأخواله عليه، لكان طعناً فى ابن عباس وحده حتى لو كان المال له حقاً.

و لو صحت هذه الاسطورة لكانت منقبة لعليّ كرم الله وجهه دالة على عدله و نزاهته و عدم محاباته لقرابته و وقوفه مع الحق، فلو عقل و لم يغط داء النصب قلبه و لم تطمس بصيرته لعدها من مناقب حيدرة.

و لو عقل لجعل كلام ابن عباس: (ان ما فعلته دون ما فعلته من سفك دماء المسلمين الى آخر الهراء) لو صح عنه حجة عليه لأنه شريك امير المؤمنين فى الدماء المسفوكة.



لم يزل ابن عباس والياً على البصرة حتى قتل اميرالمؤمنين علي رضي الله عنه

و قد جزم الحافظ ابن حجر فى اصابته فى ترجمة ابن عباس بأنه لم يزل والياً على البصرة حتى قتل اميرالمؤمنين على كرم الله وجهه، فاستخلف عليها عبدالله بن الحارث و مضى الى الحجاز، و كذا ابن كثير فى بدايته قال: لم يزل عليها حتى مات عليّ رضي الله عنهما، فتحقق بهذا ان ابن عباس رضي الله عنهما لم يعب ابن عمه حيدرة كرم الله وجهه، و ان هذا المفتون ناصبى يتمسك بكل ما فيه الحط من كرامة حيدرة و ان كان اباطيل مختلفة، و يطعن فى كل ما فيه منقبة له و ان كان صحيحاً.

ابطال زعمه ان ابا بكر و عمر لم يأخذا الراية بخيبر قبل علي رضي الله عنه

٣٦) وفى ص ٩٨ منه كذب اعطاء النبى ﷺ الراية فى خيبر لأبى بكر و عمر رضي الله عنهما قبل على رضي الله عنه قال: «و لم تكن الراية قبل ذلك لأبى بكر و لا لعمر و لا قربها واحد منهما بل هذا من الأكاذيب» اهـ.

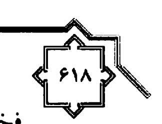
اقول: نص الحديث: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله و رسوله، و يحب الله و رسوله، لا يرجع حتى يفتح الله له**»[١].

قال الحافظ ابن حجر فى فتحه ج ٧ فى غزوة خيبر: وقع فى هذه الرواية اختصار، و هو عند احمد و النسائى و ابن حبان و الحاكم عن بريدة قال: لما كان يوم خيبر اخذ ابو بكر اللواء فرجع و لم يفتح له، فلما كان من الغد اخذه عمر فرجع و لم يفتح له و قتل محمود بن مسلمة، فقال ﷺ: لأدفعن لوائى غداً[٢] ـ الحديث.

---

١ . صحيح البخارى، ج٤، ص٢٠، بدون لفظ: «**لايرجع حتى يفتح الله له**» و نقل ذيله ابن حجر فى فتح البارى، ج٧، ص٣٦٥

٢ . فتح البارى، ج٧، ص٣٦٥



عند ابن اسحاق نحوه من وجه آخر، أي عن سلمة، وزاد قال سلمة: فخرج على و الله يهرول و انا لخلفه نتبع اثره حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن فقال: من أنت؟، قال: انا عليّ بن ابى طالب قال: علوتم و ما انزل على موسى.

و فى الباب عن اكثر من عشرة من الصحابة سردهم الحاكم فى الاكليل و ابو نعيم و البيهقى فى الدلائل اه.

قلت تحقق بهذا ان هذا المفتون اقتصر لنصبه على رواية البخارى المختصرة، و حكم على رواية الأئمة الحافظ الأثبات احمد بن حنبل و النسائى و ابن حبان و الحاكم المطولة عن بريدة بأنها من الأكاذيب لما عجز عن إجابة الرافضى بأن فتح الحصن لعليّ ﷺ خصوصية لا تستلزم تفضيله على الشيخين اللذين لم يفتح لها، فما أشد جهله و نصبه!...

۳۷) قال فى ص ۱۰۵ منه: و اما قوله: «و عترتى اهل بيتى و انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1]، فهذا رواه الترمذى، و قد سئل عنه احمد بن حنبل فضعفه و ضعفه غير واحد من اهل العلم و قالوا: لا يصح اهـ.

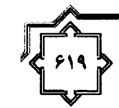
اقول: اما تضعيف الامام احمد له إن صح عنه فليس بأولى من تحسين الترمذى له، و اما قوله: (و ضعفه غير واحد الى آخر الهراء) فهو إحدى مطايا التلبيس التى اعتاد ركوبها لتغطية مينه، فلو كان محدثاً صادقاً لسمى لنا ولو واحداً من هذا الجمع المفرغ فى صيغة التلبيس و الابهام لينظر فيه.

ابطال طعنة في حديث: مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح

۳۸) و فى هذه الصفحة قال: و أما قوله: «مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من

---

۱ . سنن الترمذى، ج۵، ص۳۲۹



ركبها نجا و من تخلف عنها غرق»[1] فهذا لا يعرف له إسناد صحيح و لا هو في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها اه.

اقول: قد أفك و أبدى نصبه لاهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، قال الحافظ السيوطي في الجامع الصغير: رواه البزار عن ابن عباس و ابو داود عن ابى الزبير و الحاكم عن ابى ذر و قال صحيح، و قال محب الدين الطبري في ذخائر العقبى اخرجه المَلّا في سيرته و ابن السري.

ابطال خبطه و تضاربه و اضطرابه و تجهيله العلماء في حديث: (اقضاكم علي)

٣٩) قال في ص١٣٨ منه و اما قوله قال: رسول الله ﷺ «اقضاكم عليّ»[2] فهذا الحديث لم يثبت و ليس له اسناد تقوم به الحجة.

و قوله: (اعلمكم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل) اقوى إسناداً منه، و ثرثر ثم قال و قول عمر: (عليّ اقضانا)[3] إنما هو في فصل الخصومات في الظاهر مع جواز ان يكون في الباطن بخلافه، و ثرثر ثم قال: و اذا كان قوله (اعلم امتي بالحلال و الحرام معاذ بن جبل)[4] اصح اسناداً و اعظم دلالة علم ان المحتج بذلك على ان علياً اعظم من معاذ جاهل، مع ان الحديث الذي فيه ذكر معاذ وزيد بعضهم يضعفه و بعضهم يحسنه، و الذي فيه ذكر عليّ فضعيف او باطل اهـ.

---

١ . مسند البزار، ج٩، ص٣٤٣

٢ . فتح الباري، ج١٠، ص٤٨٧

٣ . المعجم الاوسط، ج٧، ص٣٥٧

٤ . الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٤٧



اقول: ألفت نظر العقلاء الى التضارب و الخبط و الاضطراب في كلامه في حديث: (اقضاكم عليّ) ففي كلامه الأول قال هذا الحديث لم يثبت و ليس له اسناد تقوم به الحجة.

و في كلامه الثاني قال: ان حديث: (اعلمكم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل) اقوى إسناداً منه، فأثبت لحديث علي المشاركة لحديث معاذ في قوة الاسناد و ادعى زيادة حديث معاذ عليه فيها، و لا ريب ان هذا تضارب و خبط.

ثم فسر قول عمر ﷺ : (علي اقضانا) بما يوافق هواه بقوله: إنما هو في فصل الخصومات الى آخر هرائه، و فصل الخصومات ادق من معرفة أحكام الحلال و الحرام عند من يفهم، فقد يكون الرجل بصيراً بأحكام الأفعال عارفاً بالحلال و الحرام و لا يقوم بفصل القضاء فيها، ثم رجع الى التضارب و الخبط و تجهيل العلماء بقوله: و إذا كان قوله: (اعلم امتي بالحلال و الحرام معاذ بن جبل) اصح اسناداً و اعظم دلالة علم الى آخر هرائه.

ثم ركب مطيتي التلبيس و الاضطراب المعتادتين له بقوله: مع ان الحديث الذي فيه ذكر معاذ وزيد بعضهم يضعفه وبعضهم يحسنه، و الذي فيه ذكر عليّ فضعيف او باطل، و لم يبين البعض الذي ضعف حديث معاذ و البعض الذي حسنه، و لم يسم المضعف لحديث عليّ و الحاكم عليه بالبطلان و الضعيف قسيم للباطل، فاتصاف الحديث الواحد بهما معاً محال.

الصحابة و في مقدمتهم الفاروق معترفون لعلي ﷺ

و بعد هذا فالصحابة، و في مقدمتهم الفاروق ـ معترفون لعلي بالعلم ـ اخرج الامام البخاري في التفسير و ابو نعيم عن ابن عباس ﷺ قال قال



عمر: (اقضانا علي و اقرؤنا ابي)[١].

و اخرج ابن سعد عن ابى هريرة رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (علي اقضانا) و أصل هذا ما رو اه الحاكم[٢] و ابن ماجه[٣] و الترمذى و البزار من طرق عن علي رضي الله عنه احسنها رواية البزار انه ﷺ لما بعثه الى اليمن قال: يا رسول الله بعثتنى اقضى بينهم و انا شاب لا أدرى ما القضاء، فضرب رسول الله ﷺ فى صدره و قال: (اللهم اهده و ثبت لسانه) قال: فوالذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين[٤].

و اخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب، قال: كان عمر بن الخطاب يتعوذ من معضلة ليس لها ابو الحسن، يعنى علياً، و اخرج عنه ايضا قال: لم يكن احد من الصحابة يقول سلونى إلا عليّ.

و اخرج ايضا عن ابن عباس قال: إذا حدثنا ثقة عن عليّ الفتيا لا نعدوها أى لا نتجاوزها.

و اخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أقضى اهل المدينة علي).

مسائل معضلة سئل عنها اميرالمؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأحالها إلى علي رضي الله عنه فحلها

و عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه سمع عمر رضي الله عنه يقول لعلى رضي الله عنه و قد سأله عن شىء فأجابه: (اعوذ بالله ان اعيش فى قوم لست فيهم يا ابا الحسن)[5].

---

١ . صحيح البخارى، ج٥، ص١٤٩

٢ . المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٩٩

٣ . سنن ابن ماجه، ج٢، ص٧٧٤

٤ . مسند البزار، ج٢، ص٣٠٧، مع اختلاف

٥ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٦٢٨



و عن يحيى بن عقيل قال: كان عمر يقول لعلي اذا سأله ففرج عنه: (لا أبقاني الله بعدك يا علي) ـ اخرجهما ابن السمان ـ .

قلت: قد سرد ابن القيم في كتابه الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية مسائل معضلة سئل عنها اميرالمؤمنين عمر ﵁ فأحالها إلى علي ﵁ فَحلَّها.

ابطال زعمه بطلان حديث «انا مدينة العلم وعلي بابها» بالرواية والدراية

٤٠) و في هذه الصفحة زعم ان حديث: «انا مدينة العلم و علي بابها»[١] موضوع قال في آخرها: و حديث: «انا مدينة العلم و علي بابها» اضعف و أوهى، و لهذا إنما يعد في الموضوعات و إن رواه الترمذي[٢]، و ذكره ابن الجوزي و بين ان سائر طرقة موضوعة، و الكذب يعرف من نفس متنه، فان النبي ﷺ اذا كان مدينة العلم و لم يكن لها إلا باب واحد، و لم يبلغ عنه العلم إلا واحد فسد أمر الاسلام اه بشينه و مينه.

اقول: يتلخص هذا الهراء في بحثين الاول مع ابن الجوزي الذي حكم عليه بالوضع من طريق فن الرواية، فقد رد عليه رداً علمياً محكماً الحفاظ المحققون العلائي و تلميذه الحافظ العراقي و تلميذ تلميذه ابن حجر العسقلاني.

قال الحافظ العلائي: لم يأت بعلة قادحة في حديث شريك سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر مع ان شريكاً القاضي احتج به مسلم، و علق له البخاري و وثقه ابن معين و العجلي، و كذلك ابو الصلت أحد رجال إسناد هذا الحديث وثقه يحيى بن معين.

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣٧

٢ . سنن الترمذي، ج٥، ص٣٠١، بلفظ: «أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا.»



و سئل الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث في فتيا فقال: هذا الحديث اخرجه الحاكم في المستدرك و صححه و خالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات و قال إنه كذب، و الصواب خلاف قولهما معاً و أن الحديث من قسم الحسن لا يرتقي الى الصحة و لا ينحط الى الكذب و بيان ذلك يستدعي طولاً ولكن هذا هو المعتمد في ذلك اهـ ـ من اللآلي المصنوعة للحافظ السيوطي ـ.

ابن الجوزي مجازف في الحكم على الاحاديث الثابتة بالوضع نهاش اعراض العلماء

قلت: ابن الجوزى مجازف متسرّع الى الحكم على الأحاديث الصَّحيحة و الحَسنة بغير تثبت و لا تحقيق مع كون تآليفه مشحونة بالموضوعات و الواهيات علاوة على كونه نهاشاً لأعراض علماء الاسلام.

قال الحافظ ابن الأثير في كامله: في سنة سبع و تسعين و خمسمائة توفي في رمضان ابو الفرج بن الجوزى الحنبلي الواعظ ببغداد، تصانيفه مشهورة، و كان كثير الوقيعة في الناس لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه و الموافقين له اه.

قلت: و ممن طعن فيهم العالم الجليل و الولي الكبير السيد الشريف عبد القادر الجيلاني الحنبلي و شيخه الولي الصالح الدباس (رحمهما الله تعالى رحمة واسعة) و الثاني مع هذا المفتون الذى قلد في الحكم عليه بالوضع من حيث الرواية ابن الجوزى تقليد أعمى لأعمى.

و زاد عليه من حيث الدراية فهمه الأعوج و هو قوله: (و الكذب يعرف من نفس متنه الى آخر الهراء)، و الجواب عن هرائه هذا ان قوله عليه الصلاة و السلام: (و علي بابها) مفهوم لقب، و مفهوم اللقب غير معتبر عند جمهور الاصوليين.



فقوله عليه الصلاة و السلام: (و على بابها) قصد به مدح عليّ كرم الله وجهه، و لا يلزم منه ان لا يكون لمدينة العلم باب غيره، فقد سجل على نفسه باحتجاجه بمفهوم اللقب المطروح عند العلماء على انه جاهل بأصول الفقه كما هو جاهل باصول الدين جهلا مركباً.

٤١) وفى ص١٨٠ منه قال: و كان يقول ليالى صفين يا حسن يا حسن، ما ظن ابوك ان الأمر يبلغ هذا؟ لله در مقام قامه سعد بن مالك و عبدالله بن عمر إن كان براً ان اجره لعظيم، و ان كان اثما إن خطره ليسير و هذا رواه المصنفون.

و تواتر عنه انه كان يتضجر و يتململ من اختلاف رعيته عليه، و انه ما كان يظن ان الأمر يبلغ ما بلغ، و كان الحسن رأيه ترك القتال، و قد جاء النص الصحيح بتصويب الحسن، و فى البخارى ان النبى ﷺ قال: إن ابنى هذا سيد و إن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[1]، فمدح الحسن على الاصلاح بين الطائفتين، و سائر الأحاديث الصحيحة تدل على ان القعود عن القتال و الامساك عن الفتنة كان أحب الى الله تعالى و رسوله، و هذا قول أئمة السنة و اكثر أئمة الاسلام اه.

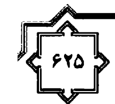
ستة مباحث كلّها بهتان و افتراء على تاريخ من لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه الا منافق

اقول: هذا الهراء شبيه بهراء تقدم ابطاله و هو مشتمل على ستة مباحث كلها بهتان و افتراء على تاريخ من لا يحبه الا مؤمن و لا يبغضه الا منافق.

فقوله: (و كان يقول ليالى صفين يا حسن يا حسن الى قوله و تواتر عنه) بهتان و إفك لا وجود لهما فى تاريخ الاسلام، و هو بأيدينا، و لم يكتف بهذا

---

١ . صحيح البخارى، ج٣، ص١٧٠



البهتان و الجناية على تاريخ المسلمين بل ترقى فيها بقوله: (و هذا رواه المصنفون).

فلو كان صادقاً غير افاك لعيَّن لنا من هؤلاء المصنفين و لو واحداً حتى ينظر فيه، ولكن قد تحققنا انه افاك أشر، و ان هؤلاء المصنفين هم هيان بن بيان و سايح بن رائح الموجودون في مخيلته الفاسدة، و قد ندم سعد بن ابي وقاص و عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على تركهما قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه.

و قد تقدم قول الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب الفتن: إن جمهور اهل السنةِ ذهبوا الى تصويب من قاتل مع عليّ لامتثال قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾[1] ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، و قد ثبت ان من قاتل علياً كانوا بغاة اه.

و دعواه تواتر تضجره و تململه من اختلاف رعيته عليه باطلة، و قد روى عنه ذلك في التاريخ و لا يعدو كونه ظنياً و كونه من بعض رعيته لا من كلها بدليل مبايعة اربعين الفاً منهم له على الموت، و تهيئه بهم للتوجه الى معاوية فعاجلته منيته، و قد تقدم مبرهناً.

و قوله: (و انه ما كان يظن ان الأمر يبلغ ما بلغ) بهتان ثان.

و قوله: (و كان الحسن رأيه ترك القتال) بهتان ثالث على الحسن رضي الله عنه و لو كان صحيحاً عنه ما صمد الى معاوية في الأربعين الالف الذين بايعوا أباه على الموت، و ما ارسل قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما على مقدمته في اثنى عشر الفاً منهم.

و قوله: (و قد جاء النص الصحيح بتصويب الحسن) بهتان رابع ملبس، فلو كان صادقاً اميناً على نقل العلم لبيَّن لنا هذا النص الذى جاء بتصويب الحسن و تخطئة ابيه، ولكنه باهت افاك أشر سيجازى جزاء الباهتين الأفاكين.

---

١ . الحجرات: ٩



و قوله: (و فى البخارى ان النبى ﷺ قال: **إن ابنى هذا سيد الى قوله و** سائر الأحاديث) صحيح ولكن لم يقل النبىّ ﷺ ان الحسن مصيب فى رأيه ترك القتال و ابوه مخطىء فى القتال، و إنما مدحه على الاصلاح بين الطائفتين فقط.

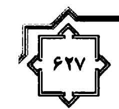
و قوله: (و سائر الأحاديث الصحيحة الى قوله و هذا قول أئمة السنة) بهتان خامس و سادس على الله جل و علا و على رسوله ﷺ، سيجازى عليه جزاء الباهتين المفترين.

و قوله: (و هذا قول أئمة السنة و اكثر أئمة الاسلام) بهتان سابع على أئمة السنة و على اكثر أئمة الاسلام، فلو كان صادقاً اميناً على نقل العلم لسمى لنا واحداً من أئمة السنة و واحداً من اكثر أئمة الاسلام الذين لطخهم بهذا البهتان، ولكن قد تحققنا انه لا يستحيى من كثرة البهتان و الافتراء على الله تبارك و تعالى و على رسوله ﷺ و على حيدرة كرم الله وجهه و على ابنه الحسن و على أئمة السنة و أئمة الاسلام و علمائه، و الحياء من الايمان.

بطلان زعمه بطلان حديث رد الشمس لعلي حتى صلى العصر

٤٢) و فى ص١٨٦ منه زعم أن حديث رد الشمس لعلى حتى صلى العصر كذب موضوع قال: و حديث رد الشمس له قد ذكره طائفة كالطحاوى و القاضى عياض و غيرهما و عدوا ذلك من معجزات النبى ﷺ، لكن المحققين من اهل العلم و المعرفة بالحديث يعلمون ان هذا الحديث كذب موضوع كما ذكره ابن الجوزى فى كتاب الموضوعات اهـ.

اقول: المحققون الذين يعلمون الى آخر الهراء هو و مقلَّدُه ابن الجوزى، و قد نص الحافظ ابن الصلاح و الحافظ الذين بعده على تساهل ابن الجوزى فى



كتاب الموضوعات، بحيث خرج عن موضوعه لمطلق الضعف.

قال الحافظ العراقي:

و اكثر الجامع فيه إذ خرج — لمطلق الضعف عنى أبا الفرج

حتى انه أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة.

قال السيوطي:

و من غريب ما تراه فاعلم — فيه حديث من صحيح مسلم

قال الحافظ ابن حجر في فتحه في باب فرض الخمس ص١٥٥ الطبعة الميرية ج٦: رواه الطحاوي و الطبراني في الكبير و الحاكم و البيهقي في الدلائل، ثم قال و قد أخطأ ابن الجوزي بايراده له في الموضوعات و كذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه اه.

غفلة و تساهل الحافظ ابن حجر مع ابن تيمية

قلت: دل ردّ ابن حجر الحافظ هنا على هذا المفتون و تحسينه لحديث: «**انا مدينة العلم و علي بابها**»، ورده عليه في أحاديث مؤاخاته ﷺ لعلي و تصحيحه لها، و غير هذه، على غفلته او تساهله معه في قوله في ترجمة الحسين بن المطهر الحلي الشيعي في الدرر الكامنة: و له كتاب في الامامة رد عليه فيه ابن تيمية بالكتاب المشهور المسمى بالرد على الروافض، و قد اطنب فيه و أسهب إلا انه تحامل في مواضع عديدة ورد أحاديث موجودة و ان كانت ضعفية بأنها مختلقة اهـ.

فهذه اثنان و اربعون موضعاً في منهاجه، جلها طعن في حيدرة كرم الله وجهه، و في اهل بيت النبوة بالبهتان و التكذيب للأحاديث الصحيحة و الحسنة الواردة في فضائله و فضائلهم و التاريخ، دالة على نصبه كافية كل من سلم من دائه.



اثباته لاسطورة الغرانيق التي وضعها الزنادقة يؤيد ما حكاه عنه ابن حجر الهيتمي من عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة و السلام

و قد حكى عنه العلامة ابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية انه قال: (إن الأنبياء غير معصومين، و أسطورة الغرانيق التى أثبتها تؤيد ما حكاه عنه.

قال فى الجزء الأول من منهاجه ص١٣٠: وهم ـ (يعنى الأنبياء) ـ معصومون فى تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين... و تنازعوا هل يجوز أن يسبق على لسانه ما يستدركه الله تعالى و يبينه له؟ بحيث لا يقره على الخطأ كما نقل انه القى على لسانه ﷺ: «**تلك الغرانيق العلا و ان شفاعتهن لترتجى...**» فمنهم من لم يجوز ذلك و منهم من جوزه إذ لا محذور فيه...

و عامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الاقرار عليها فلا يصدر عنهم ما يضرهم، كما جاء فى الأثر: كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة اه.

يطعن هذا المفتون في الاحاديث الصحيحة و الحسنة اذا خالفت هواه و يصحح الاباطيل

اقول: هذا المفتون يطعن فى الأحاديث الصحيحة و الحسنة إذا خالفت هواه، و يصحح و يثبت الأباطيل الموضوعة من الزنادقة للطعن فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كقصة الغرانيق هذه التى دلت على وجهه باصول الدين.

و قد قلده فيها ابن حجر الحافظ و زاد عليه المدافعة عنها برده على الحافظين العلامتين ابى بكر بن العربى و القاضى عياض.



فقوله: (و هم معصومون فی تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين...) صحيح.

و قوله: (و تنازعوا هل يجوز ان يسبق على لسانه؟ الى قوله و عامة الجمهور) فاسد لهدمه و نقضه اتفاق المسلمين على عصمتهم فی تبليغ الرسالة، و المجوز المثبت لهذه الاسطوره الهادمة لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام هو وحده جزماً، و لعل مشايخه المجسمة جوزها و أثبتوها ايضا.

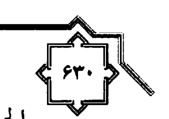
فالنزاع إن صح بينه مع مشايخه... و بين جمهور المسلمين المعتقدين عصمة الانبياء المانعين لتلك الاسطورة و غيرهما مما ينافی عصمتهم عليهم الصلاة و السلام.

و قوله: (و عامة الجمهور الذين يجوزون الى آخر الهراء) هذر لا يستحق التعليق، غير انه مطالب بتعيين من اخرج اثر داود عليه الصلاة و السلام و درجته من الصحة و الضعف.

أقوال محققي المفسّرين في قصّة الغرانيق

قال القرطبی فيها: حديثها لا صحة له اه، و قال تلميذه المفتتن به ابن كثير: و كلها (ای رواياتها) مرسلات و منقطعات اه، و قال العلامة المحقق الخطيب الشربينی: اما اهل التحقيق فقد قالوا هذه الروايات باطلة موضوعة، و احتجوا على البطلان بالقرآن و السنة و المعقول، أما القرآن فبوجوه و سردها ثم قال و أما السنة فمنها ما روی عن محمد ابن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة و صنف فيها كتاباً.

و قال الحافظ البيهقی: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، و أما المعقول فمن وجوه و أطنب فی ذكرها اه.



قلت: محمد بن خزيمة هو الملقب بامام الأئمة، و هو شافعى، و كذلك الحافظ ابوبكر البيهقى، و القاضيان ابوبكر بن العربى و عياض مالكيان، و لا يعلم لهؤلاء الاربعة مخالف أثبتها غير ابن تيمية و لا مخالف دافع عنها غير ابن حجر العسقلانى.

تحقيق العلامة احمد بن المبارك في الابريز في ابطالها و ابطال كلام الحافظ ابن حجر فيها

قال العلامة المحقق احمد بن المبارك فى ابطالها فى الابريز: فانه لو وقع شيء من ذلك للنبى ﷺ لارتفعت الثقة بالشريعة و بطل حكم العصمة و صار الرسول كغيره من آحاد الناس حيث كان للشيطان سلاطة عليه و على كلامه حتى يزيد فيه ما لا يريده الرسول ﷺ و لا يحبه و لا يرضاه فأى ثقة تبقى فى الرسالة مع هذا الأمر العظيم، و لا يغنى فى الجواب ان الله ينسخ ما يلقى الشيطان و يحكم آياته، لاحتمال ان يكون هذا الكلام من الشيطان ايضاً لأنه كما جاز أن يتسلط على الوحى فى مسألة الغرانيق بالزيادة كذلك يجوز أن يتسلط على الوحى بزيادة هذه الآية برمتها فيه، و حينئذ فيتطرق الشك الى جميع آيات القرآن، و الواجب على المؤمن الاعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجبة لمثل هذا الريب فى الدين و ان يضربوا بها عرض الحائط، و ان يعتقدوا فى الرسول ﷺ، ما يجب له من كمال العصمة، و قد علمت ان العصمة من العقائد التى يطلب فيها اليقين.

فالحديث الذى يفيد خرمها و نقضها لا يقبل على أى وجه جاء، و قد عد الاصوليون الخبر الذى يكون على تلك الصفة من الخبر الذى يجب ان يقطع بكذبه.



و أما قول الحافظ ابن حجر: و الحديث حجة عند من يحتج بالمرسل و كذا عند من لا يحتج به لاعتقاده بوروده من ثلاثة طرق صحاح، فجوابه ان ذلك فيما يكفى فيه الظن من الأمور العلمية الراجعة الى الحلال و الحرام.

و أما الأمور العلمية الاعتقادية فلا يفيد خبر الواحد فى ثبوتها، فكيف يفيد فى نفيها و هدمها؟ فبان من هذا ان ما ذكره القاضى عياض غير مخالف للقواعد، بل ما ذكره الحافظ ﵀ هو المخالف لها لأنه اراد أن يعمل بخبر الواحد فى هدم العقائد و ذلك مخالف للقواعد اه.

بعض العلماء الرادين على ابن تيمية و المناظرين له

و قد ابطلت كثيراً من فاسد كلام ابن تيمية بما لم يسبقنى اليه احد فى علمى، و اذكر من رد عليه و ناظره من العلماء المعاصرين له و المتأخرين عنه.

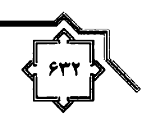
فممن ردّ عليه من الشافعية رداً محكماً و نقض رسالته الحموية فى الجهة العلامة شهاب الدين احمد بن يحيى الحلبى المتوفى سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة، و قد لخصت رده سابقاً.

و ناظره العلامة محمد بن عمر بن مكى صدر الدين بن المرحِّل المتوفى سنة ستة عشر و سبعمائة.

قال التاج السبكى فى طبقاته الكبرى: و له مع ابن تيمية المناظرات الحسنة، و به حصل عليه التعصب من اتباع اين تيمية و قيل فيه ما هو بعيد عنه، و كثر القائل فارتاب العاقل اه.

قلت: صدق التاج، لقد رماه ابن كثير فى بدايته بالقبائح و قذفه، فالله يجازيه جزاء القاذفين الأفّاكين.

و ناظره فأفحمه العلامة كمال الدين الزملكانى المتوفى سنة سبع و عشرين و سبعمائة، ورد عليه برسالة فى مسألة الطلاق و اخرى فى مسألة الزيارة.



ورد عليه العلامة عز الدين بن جماعة و شنع عليه.

و الامام المحقق ابو الحسن السبكى رد عليه بشفاء السقام فى زيارة خير الأنام، و الدرة المضيئة فى الرد على ابن تيمية، و نقد الاجتماع و الافتراق فى مسائل الايمان و الطلاق، و النظر المحقق فى الحلف بالطلاق المعلق، و الاعتبار ببقاء الجنة و النار، و كلها مطبوعة، توفى الامام السبكى سنة ست و خمسين و سبعمائة.

و العلامة الشريف تقى الدين الحصنى الدمشقى المتوفى سنة تسع و عشرين و ثمانمائة بـ: (دفع شُبَهِ من شَبَّهَ تمرّد، و نسب ذلك الى السيد الجليل الامام احمد) و هو مطبوع.

و العلامة ابن حجر الهيتمى المتوفى سنة اربع و سبعين و تسعمائة بـ: (الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم) و هو مطبوع.

ورد عليه من المالكية المعاصرين له فى الزيارة العلامة عمر بن ابى اليمن اللخمى الشهير بالتاج الفاكهانى المتوفى بالاسكندرية سنة اربع و ثلاثين و سبعمائة بـ: (التحفة المختارة فى الرد على منكر الزيارة)،

و قاضى القضاة العلامة محمد السعدى المصرى الاخنائى المتوفى سنة خمسين و سبعمائة برسالة محكمة سماها: (المقالة المرضية فى الرد على من ينكر الزيارة المحمدية) و هى مطبوعة ضمن البراهين الساطعة فى رد بعض البدع الشائعة للعلامة الشيخ سلامة العزامى الشافعى المتوفى سنة تسع و سبعين و ثلاثمائة و الف.

ورد عليه فى مسألة الطلاق العلامة عيسى ابو الروح الزواوى المتوفى بالقاهرة سنة ثلاث و اربعين و سبعمائة.



حال ابن القيم عند الذهبي و التقي الحصني و ابن حجر الحافظ

تقدم في مقدمة هذا الكتاب ان ما أجاد فيه الكتابة من الأبحاث العلمية اخذه من تحقيق علماء المسلمين و تشبع به، و انه جمّاعة مفتون بابن تيمية مدافع عن شواذه مدافعة مجنون.

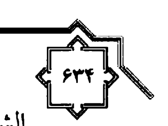
و الدليل على ما قلته ما قاله ابن رجب في ذيل طبقات ابن ابى يعلى فى ترجمته: و اقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره اه، و ما قاله زميله ابن كثير فى بدايته في ترجمته: و اقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشرة من كتب السلف و الخلف اه.

و ما قاله الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة فى ترجمته: و غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان يخرج عن شيء من اقواله بل ينتصر له فى جميع ذلك، و اعتقل معه بالقلعة بعد انُ هين و طيف به على جمل مضروباً بالدرة، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه، و امتحن مرة اخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، و كان ينال من علماء عصره و ينالون منه.

قال الذهبى فى المعجم المختص: حبس مرة لانكاره شد الرحال لزيارة قبر الخليل، ثم تصدر للاشغال و نشر العلم ولكنه معجب برأيه جريء على الامور اه.

قال ابن حجر: و جرت له محن مع القضاة منها فى ربيع الأول طلبه السبكى بسبب فتو اه بجواز المسابقة بغير محلل فأنكر عليه و آل الأمر الى انه رجع عما كان يفتى به من ذلك اه، و ما قاله العلامة التقى الحصنى فى آخر كتابه: (دفع شُبَهِ من شبَّه و تمرد).

و كان ابن تيمية ممن يعتقد و يفتى بأن شد الرحال الى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة و يصرح بقبر الخليل و قبر النبى ﷺ، و جاء بريدى من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل.



و كان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعى و اسماعيل بن كثير الشركوينى، فاتفق ان ابن قيم الجوزية سافر الى القدس ورقى على منبر فى الحرم و وعظ، و قال فى اثناء وعظه بعد ان ذكر المسألة: و ها انا راجع و لا أزور الخليل.

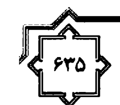
ثم جاء الى نابلس و عمل له مجلس وعظ و ذكر المسألة بعينها حتى قال: فلا يزور قبر النبى ﷺ، فقام اليه الناس و أرادوا قتله فحماه منهم والي نابلس.

و كتب اهل القدس و اهل نابلس الى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه، فطلبه القاضى المالكى فتردد و صعد الى الصالحية الى القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى و اسلم على يديه، فقبل توبته و حكم باسلامه و حقن دمه و لم يعزره لأجل ابن تيمية.

و لما كان يوم الجمعة رابع شعبان جلس القاضى جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية، و احضر جماعة من جماعة ابن تيمية كانوا معتقلين فى سجن الشرع، فادعى على اسماعيل بن كثير صاحب التاريخ انه قال: ان التوراة و الانجيل ما بدلا، و انها بحالها كما نزلا، و شهدوا عليه بذلك و ثبت فى وجهه فعزر فى المجلس بالدرة و اخرج و طيف به ونودى عليه بما قاله.

ثم احضر ابن قيم الجوزية و ادعى عليه، بما قاله فى القدس و فى نابلس، فأنكرفقامت عليه البينة بما قاله، فأدب و حمل على جمل ثم اعيدوا فى السجن.

و لما كان يوم الاربعاء احضر ابن القيم الى مجلس شمس الدين المالكى و أرادوا ضرب عنقه، فما كان جوابه الا ان قال: إن القاضى الحنبلى حكم بحقن دمى و إسلامى و قبول توبتى فأعيد الى الحبس الى ان احضر الحنبلى، فأخبر بما قاله فأحضر و عزر و ضرب بالدرة و اركب حماراً و طيف به فى البلد و الصالحية وردوه الى الحبس، و لم يزل هذا فى اتباعه.

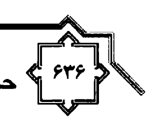


و حضر شخص الى دمشق يقال له احمد الظاهرى، و كان قد حفظ آيات المتشابه و أحاديثه، فكان يسردها على العوام و آحاد الناس من الفقهاء، فعظمه اتباع ابن تيمية و أكرموه، ثم انه توجه الى القاهرة فشرع يسرد الآيات و الأحاديث فعلم به الامام العلامة الشيخ سراج الدين البلقينى فطلبه و أعلم به برقوق فأخذوه و قيدوه و كانوا يضربونه بالسياط أول النهار ثم يستعملونه فى العمارة فاذا كان آخر النهار أعادوا عليه الضرب.

ثم بلغنى ان آخر الامر ان ضربوا عنقه، و كان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلى ممن يعتقد كفر ابن تيمية و له عليه الرد و كان يقول بأعلى صوته فى بعض المجالس: معذور السبكى ـ (يعنى فى تكفيره) ـ .

و الحاصل انه و اتباعه من الغلاة فى التشبيه و التجسيم و الازدراء بالنبى ﷺ و بغض الشيخين، و لهم دواهى أُخَرَ لو نطقوا بها لأحرقهم الناس فى لحظة واحدة، و جرسوا ابن القيم و ابن كثير و طيف بهما فى البلد و على باب الجوزية فتواهما فى مسألة الطلاق فنسأل الله تعالى العافية و دوامها اه ـ.

و يكفى هذا فى كونه نسخة من شيخه فى التشبيه و التجسيم و الاعجاب و الغطرسة و السفاهة و الكذب على أئمة الاسلام و علمائه و سلقهم إذا خالفوا هوى شيخه، فالمعبر عنهم بالجهمية و المعطلة فى كتبه كالغونية و اجتماع الجيوش الاسلامية و غيرهما، هم الشافعية و المالكية و الحنفية و فضلاء الحنابلة جزماً، و المعبر عنهم بالسلف و أئمة السنة و الأئمة هم مشايخة المجسمة جزماً، و هو كذاب فى كل ما يعزوه الى السلف و الأشعرى و اتباعه من العقائد نفياً و اثباتاً، و من تجرد عن العاطفة و تحلى بالانصاف و طالع كتبه يتحقق له هذا كله.



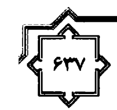
حال محمد بن عبد الوهاب عند العلماء المعاصرين له و المتأخرين عنه

تقدم فى المقدمة ان أمّهات عقيدته منحصرة فى اربع، تشبيه الله سبحانه و تعالى بخلقه، و توحيد الالوهية و الربوبية، و عدم توقيره النبى ﷺ، و تكفيره المسلمين، و انه مقلد فيها كلها احمد بن تيمية، و هذا مقلد فى الاولى الكرامية و مجسمة الحنابلة، و مقتد بهما و بالحروريين فى الرابعة، و مخترع توحيد الالوهية و الربوبية الذى تفرع عنه عدم توقيره النبى ﷺ، و تكفيره المسلمين.

و قد فرق ابن تيمية تكفيره المسلمين فى كتبه تلبيساً و تحت ستار الكتاب و السنة و السلف و أئمة السنة و الأئمة... المزيف، و هذا صرح بتكفيرهم و جعل رأى ابن تيمية اصلاً بنى عليه رسائله المؤلفة فى التوحيد قالوا:

كان محمد بن عبد الوهاب ينهى عن الصلاة على النبى ﷺ و يتأذى من سماعها، و ينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة، و عن الجهر بها على المنائر، و يؤذى من يفعل ذلك و يعاقبه اشد العقاب حتى انه قتل رجلاً اعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن، نهاه عن الصلاة على النبى ﷺ فى المنارة بعد الاذان فلم ينته فأمر بقتله فقتل.

ثم قال ان الربابة فى بيت الخاطئة، يعنى الزانية اقل إثماً ممن ينادى بالصلاة على النبى ﷺ فى المنائر، و يلبس على اصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد، و احرق دلائل الخيرات و غيرها من كتب الصلاة على النبى ﷺ، و يتستر بقوله: إن ذلك بدعة و إنه يريد المحافظة على التوحيد، و كان يمنع اتباعه من مطالعة كتب الفقه و التفسير و الحديث، و احرق كثيراً منها و أذن لكل من اتبعه ان يفسر القرآن بحسب فهمه، فكان كل واحد منهم يفعل ذلك، و لو كان لا يحفظ القرآن و لا شيئاً منه، و امرهم ان يعملوا و يحكموا بما يفهمونه، و جعل ذلك مقدماً على كتب العلم و نصوص العلماء.



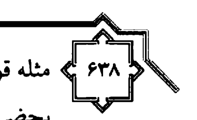
و كان يقول فى كثير من اقوال الأئمة الأربعة ليست بشىء، و تارة يتستر فيقول إن الأئمة على حق و يقدح فى اتباعهم الذين الَّفوا و حرروا مذاهبهم فيقول إنهم ضلوا و اضلوا، و تارة يقول إن الشريعة واحدة، فما لهؤلاء جعلوها مذ اهب اربعة؟ هذا كتاب الله و سنة رسوله ﷺ لا نعمل إلا بهما، و لا نقتدى بقول مصرى و شامى و هندى، يعنى بذلك اكابر علماء الحنابلة و غيرهم ممن لهم تأليف فى الرد عليه.

فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه و إن خالف النصوص الشرعية و إجماع الامة، و ضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه و إن كان على نص جلى أجمعت عليه الأمة.

قلت: هذا الذى قالوه عنه يطبقه الآن مقلدوه اتم تطبيق، و لا سيما الطعن فى الأئمة و علماء الاسلام، و ادعاء الاجتهاد و التمسك بالكتاب و السنة، فانه بضاعتهم التى تروج فى سوق العامة و لا يحسنون غيرها، ما عدا الاحراق لكتب الفقه و التفسير و الحديث فانا لم نعلمه حصل منهم فى هذا العصر.

نعم! يتلفون الكتب المخالفة لهواهم الرادة عليهم جزماً، و ما عدا الحكم بما يفهمونه فانهم الآن يحكمون فى المدن و القرى ظاهراً بمذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه، و كان ينتقص النبى ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة و يزعم أن قصده المحافظة على التوحيد، فمنها قوله: إنه طارش، و هو فى لغة اهل نجد بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين، فمراده انه ﷺ حامل كتب الى غاية امره انه كالطارش الذى يرسله الامير او غيره فى امر لأناس ليبلغهم إياه ثم ينصرف.

و منها انه قال: نظرت فى قصة الحديبية فوجدت بها كذا و كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا، حتى ان اتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك ايضا و يقولون



مثله قوله، بل اقبح مما يقول و يخبرونه بذلك فيظهر الرضا و ربما انهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به، حتى ان بعض اتباعه كان يقول: عصاى هذه خير من محمد ﷺ، لانها ينتفع بها فى قتل الحية و نحوها، و محمد ﷺ قد مات، و لم يبق فيه نفع اصلاً و إنما هو طارش و قد مضى.

قال بعض من الّف فى الرد عليه ان ذلك كفر فى المذاهب الأربعة بل هو كفر عند جميع اهل الاسلام اه.

و قالوا ايضا: كان اخوه سليمان بن عبدالوهاب من اهل العلم فكان ينكر عليه إنكاراً شديداً فى كل ما يفعله او يأمر به و لم يتبعه فى شىء مما ابتدعه.

و قال له يوماً: كم اركان الاسلام يا محمد بن عبدالوهاب؟ فقال: خمسة، فقال له: انت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للاسلام.

قال له رجل يوماً: كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان؟ فقال له: يعتق فى كل ليلة مائة الف و فى آخر ليلة يعتق مثل ما اعتق فى الشهر كله، فقال الرجل: لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى و قد حصرت المسلمين فيك و فيمن اتبعك؟ فبهت.

و لما طال النزاع بينه و بين اخيه خاف سليمان ان يأمر بقتله فارتحل الى المدينة المنورة و الَّف رسالة فى الرد عليه و ارسلها له فلم ينته، و الَّف كثير من علماء الحنابلة و غيرهم رسائل فى الرد عليه و ارسلوها له فلم ينته.

و قال له رجل آخر، و كان رئيساً على قبيلة لا يقدر ان يسطو عليه، ما تقول إذا اخبرك رجل صادق ذو دين و امانة و انت تعرف صدقه بأن قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلانى فأرسلت الف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا اثراً و لا احداً منهم ما جاء تلك الأرض احد منهم؟ اتصدق

الألف ام الواحد الصادق عندك؟ فقال: اصدق الألف، فقال له الرجل: إن جميع المسلمين من العلماء الاحياء و الاموات في كتبهم يكذبون ما اتيت به ويزيفونه فنصدقهم و نكذبك فلم يعرف جواباً لذلك.

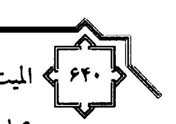
و قال له رجل آخر: هذا الدين الذى جئت به متصل ام منفصل فقال له حتى مشايخى و مشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون، فقال له الرجل: إذاً دينك منفصل لا متصل، فعمن اخذته؟ فقال: وحى إلهام كالخضر، فقال له إذا ليس ذلك محصوراً فيك، كل احد يمكنه ان يدعى وحى الألهام الذى تدعيه.

ثم قال له: إن التوسل مجمع عليه عند اهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه قولين، و لم يذكر ان فاعله يكفر بل حتى الرافضة و الخوارج و كافة المبتدعة يقولون بصحة التوسل به ﷺ، فلا وجه لك فى التكفير اصلاً، فقال له محمد بن عبد الوهاب إن عمر استسقى بالعباس و لم يستسق بالنبى ﷺ.

و مقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حياً، و ان النبى ﷺ ميت فلا يستسقى به، فقال له الرجل: هذا حجة عليك... فان استسقاء عمر بالعباس إنما كان لاعلام الناس بصحة الاستسقاء و التوسل بغير النبى ﷺ، و كيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس و عمر هو الذى روى حديث توسل آدم بالنبى ﷺ قبل ان يخلق؟.

فالتوسل بالنبى ﷺ كان معلوماً عند عمر و غيره و انما اراد عمر ان يبين للناس و يعلمهم صحة التوسل بغير النبى ﷺ فبهت و تحير و بقى على عماوته اه.

اقول: لا مقصد لمحمد بن عبد الوهاب و انما هو كالصدى حاكٍ رأي إمامه ابن تيمية الذى ورطه استسقاء عمر بالعباس فى الجهل مرتين، احتجاجه على منع التوسل بالجاه بالعدم، و تفرقة بين الحى فاجاز التوسل به فيما يقدر عليه، و



الميت فمنع التوسل به أى بجاهه و حقه و إن كان نبياً، فالزام هذا المحاور لابن عبد الوهاب انما يتوجه حقيقة على ابن تيمية، و قد فات هذا المحاور ان يقول لابن عبد الوهاب ايضا: احتجاجك بالعدم على منع التوسل بالنبى ﷺ و الصالحين من امته تقليداً لابن تيمية فاسد، لأن عدم توسل عمر بالنبى ﷺ فى هذه القصة لا يلزم منه تكفير المتوسلين بل و لا منع التوسل به ﷺ و بالصالحين من امته، فان العدم ليس بدليل عند جميع العقلاء، فالاحتجاج به دليل على جهل إمامك الحرّانى باصول الفقه و الدليل.

وفاته ايضا ان يقول له: تكفيرك للمسلمين المتوسلين تقليداً لابن تيمية، إما بنص من كتاب الله او من سنة رسوله ﷺ صريح عليه، و إما باجماع، و لا نص فيهما على تكفير المتوسلين، ولا اجماع عليه، بل نصوصهما دالة على جواز التوسل، و الاجماع منعقد ايضا على جوازه.

فشيخك الحرانى مشاقق لرسول الله ﷺ متبع غير سبيل المؤمنين.

وفاته ايضا ان يقول له: منعه التوسل بجاهه ﷺ و جاه الصالحين من امته، و تفرقته بين الحى و الميت فيه لا سند لهما الا فهمه الفاسد، فلو استظهرتم بالثقلين على اثباتهما عن اى واحد من السلف الذين اتخذتموهم مِجَنّاً لاهوائكم الفاسدة لم تستطيعوا، فضلاً عن اثباتهما عن النبى ﷺ الذى تتشدقون باتباع سنته، فضلاً عن إثباتهما من كتاب الله تعالى الذى تزعمون انكم متمسكون به.

فنحن نطالبكم و نتحداكم باثباتهما عن واحد من هذه الثلاثة، و لاشتهار ابن عبد الوهاب و اتباعه بتكفير المتوسلين بالنبى ﷺ و الصالحين اعتقد كثير من العلماء الذين لم يطلعوا على كلام ابن تيمية فى التوسل ان ابن عبد الوهاب هو الشاذ عن الامة الاسلامية فيه.



و قد رد على محمد بن عبد الوهاب علماء كثيرون معاصرون له و متأخرون عنه، ولا زالت سهام الرد من علماء الاسلام مشارقة و مغاربة مسددة اليه الى وقتنا هذا، و فى طليعة الرادين عليه المعاصرين له حنابلة الأحساء، و جميع الردود إنما تتوجه حقيقة الى ابن تيمية.

العلماء الرادون على ابن عبد الوهاب المعاصرون له و المتأخرون عنه الى وقتنا هذا

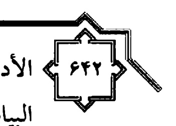
فمن الرادين عليه و الناصحين له:

١ ـ شيخه محمد بن سليمان الكردى الشافعى بتقريظ لرسالة اخيه سليمان بن عبد الوهاب و رسالة مجموعهما فى نحو ثلاثة اوراق، و قد تفرس فيه شيخه هذا انه ضال و مضل كما تفرس فيه ذلك شيخه محمد حياة السندى و والده عبد الوهاب.

٢ ـ ورد عليه شيخه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف الشافعى بكتاب سماه: تجريد سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد.

٣ ـ ورد عليه العلامة عفيف الدين عبد الله بن داود الحنبلى بكتاب سماه: الصواعق و الرعود فى عشرين كراساً، قال العلامة علوى بن احمد الحداد: كتب عليه تقاريظ أئمة من علماء البصرة و بغداد و حلب و الاحساء و غيرهم، تأييداً له و ثناء عليه، قال: و لو وقفت عليه قبل هذا ما الفت كتابى هذا، ولخصه ممد بن بشير قاضى رأس الخيمة بعمان.

٤ ـ ورد عليه العلامة المحقق محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلى بكتاب عظيم سماه: تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين، رد عليه فى كل مسألة من المسائل التى ابتدعها بأبلغ رد، ثم مسألة عن اشياء تتفلق بالعلوم الشرعية و



الأدبية بسؤالات أجنبية عن كتاب الرد أرسلها له، منها أسئلة كثيرة من علم البيان تتعلق بسورة (و العاديات)، فعجز عن الجواب عن اقلها فضلا عن اجلها.

۵ ـ ورد عليه العلامة احمد بن على القبانى البصرى الشافعى برسالة فى نحو عشرة كراريس زيف بها رسالة له.

٦ ـ ورد عليه العلامة عبدالوهاب بن احمد بركات الشافعى الاحمدى المكى.

٧ ـ ورد عليه الشيخ عطاء المكى برسالة سماها الصارم الهندى فى عنق النجدى.

٨ ـ ورد عليه الشيخ عبدالله بن عيسى المويسى.

٩ ـ ورد عليه الشيخ احمد المصرى الاحسائى.

١٠ ـ ورد عليه عالم من بيت المقدس بكتاب سماه: السيوف الصقال فى اعناق من انكر على الأولياء بعد الانتقال.

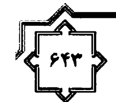
١١ ـ ورد عليه السيد علوى بن احمد الحداد بكتاب سماه: السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر، فى نحو مائة ورقة.

١٢ ـ ورد عليه الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الأحسائي.

١٣ ـ ورد عليه العلامة عبدالله بن ابراهيم ميرغنى الساكن بالطائف سماه: تحريض الأغنياء على الاستغاثة بالأنبياء و الأولياء.

١٤ ـ قال السيد علوى بن احمد الحداد: و قد رأيت امام مقام ابراهم بمكة الشيخ محمداً صالحاً الزمزمى الشافعى، جمع كتاباً فى هذا المعنى فى نحو عشرين كراساً.

١٥ ـ و قال السيد المذكور ايضا: و رأيت لما وصلنا الطائف العالمة طاهراً سنبلاً الحنفى الف كتابا فى ذلك سماه: الانتصار للأولياء الابرار.



١٦ ـ و قال السيد المذكور ايضا: و رأيت جوابات للعلماء الأكابر من المذاهب الأربعة لا يحصلون من اهل الحرمين الشريفين و الاحساء و البصرة و بغداد و حلب واليمن وبلدان الاسلام، نثراً و نظماً، اتى اليّ بمجموع رجل من آل ابن عبد الرزاق الحنابلة الذين فى الزبارة و البحرين فيه رد علماء كثيرين و نحن على ظهر سفر فلم يمكنى نقله فطالعته كله.

١٧ ـ و قال السيد المذكور ايضا: و اتى الينا الشيخ المحدث صالح الفلاّنى المغربى بكتاب ضخم فيه رسالات و جوابات كلها من العلماء اهل المذاهب الأربعة الحنفية و المالكية و الشافعية و الحنابلة يردون على محمد بن عبد الوهاب بالعجب، و قد امرنا بنسخ هذا المجلد لنا.

١٨ ـ ورد عليه العلامة السيد المنعمى لما قتل ابن عبدالوهاب جماعة لم يحلقوا رؤوسهم بقصيدة طنانة مطلعها:

افي حلق رأسي بالسكاكين والحديث صحيح بالأسانيد عن جدي

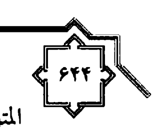
١٩ ـ ورد عليه العلامة السيد عبد الرحمن من اكابر علماء الاحساء بقصيدة طنانة عدة ابياتها سبع و ستون مطلعها:

بدت فتنة كالليل قد غطّت الافقا

وشاعت فكادت تبلغ الغرب والشرقا

٢٠ ـ ورد عليه العلامة السيد علوى بن الحداد بكتاب سماه: مصباح الأنام و جلاء الظلام، فى رد شبه البدعى النجدى التى اضل بها العوام، و هو مطبوع بالمطبعة العامرة سنة١٣٢٥ و ما تقدم من التآليف مذكور فيه.

٢١ ـ ورد اخيه سليمان بن عبد الوهاب عليه المسمى بـ: الصواعق الالهية مطبوع.



٢٢ ـ ورد العلامة المحقق شيخ الاسلام بتونس اسماعيل التميمى المالكى المتوفى سنة١٢٤٨ و هو فى غاية التحقيق و الاحكام نقض به رسالة لابن عبد الوهاب مطبوع فى تونس.

٢٣ ـ ورد العلامة المحقق الشيخ صالح الكواش التونسى و هو رسالة مسجعة محكمة نقض بها رسالة لابن عبدالوهاب مطبوع ضمن سعادة الدارين فى الرد على الفرقتين.

٢٤ ـ ورد العلامة المحقق السيد داود البغدادى الحنفى جيد مطبوع.

٢٥ ـ ورد الشيخ ابن غلبون الليبى على قصيدة الصنعانى التى مدح بها ابن عبد الوهاب بقصيدة طنانة من بحرها و رويها مذكورة فى سعادة الدارين عدة ابياتها اربعون بيتاً مطلعها:

سلامي على اهل الاصابة والرشد　　　وليس على نجد ومن حل في نجد

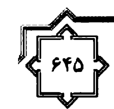
٢٦ ـ ورد السيد مصطفى المصرى البولاقى ايضا على قصيدة الصنعانى التى مدح بها ابن عبدالوهاب بقصيدة طنانة من بحرها و رويها مذكورة فى سعادة الدارين عدة ابياتها مائة و ستة و عشرون مطلعها:

بحمد ولي الحمد لا الذم استبدي　　　وبالحق لا بالخلق للحق استهدي

٢٧ ـ ورد السيد الطباطبائى البصرى ايضا على قصيدة الصنعانى التى مدح بها ابن عبدالوهاب بقصيدة طنانة من بحرها و رويها ذكر صاحب سعادة الدارين ابياتاً منها و سهام هذه القصائد الصائبة هى التى ارجعت الصنعانى الى كتيبة اهل الحق فقال:

«رجعت عن القول الذى قلت فى النجدى».

٢٨ ـ سعادة الدارين فى الرد على الفرقتين الوهابية و مقلدة الظاهرية، للعلامة الشيخ ابراهيم السمنودى المنصورى المتوفى فى العقد الثانى من هذا القران و هو مطبوع فى مجلدين.



٢٩ ـ رد مفتي مكة السيد احمد دحلان المتوفى سنة (١٣٠٤) المسمى «الدور السنية» مطبوع.

٣٠ ـ رد الشيخ يوسف النبهاني المسمى «شواهد الحق في التوسل بسيد الخلق» مطبوع في مجلد.

٣١ ـ رد جميل صدقي الزهاوي البغدادي المسمى «الفجر الصادق» مطبوع.

٣٢ ـ إظهار العقوق ممن منع التوسل بالنبي و الولي الصدوق للشيخ المشرفي المالكي الجزائري.

٣٣ ـ الف العلامة المرحوم مفتي فاس الشيخ المهدي الوزّاني رسالة في جواز التوسل رد بها على محمد عبده الذي منع ذلك.

٣٤ ـ رد الشيخ مصطفى الحمامي المصري المسمى «غوث العباد ببيان الرشاد» مطبوع.

٣٥ ـ رد الشيخ ابراهيم حلمي القادري الاسكندري المسمى «جلال الحق في كشف احوال اشرار الخلق» جيد مطبوع في الاسكندرية سنة١٣٥٥.

٣٦ ـ رد العلامة الشيخ سلامة العزامي المتوفى سنة١٣٧٩ المسمى «البراهين الساطعة» جيد مطبوع.

٣٧ ـ النقول الشرعية في الرد على الوهابية للشيخ حسن الشطي الحنبلي الدمشقي مطبوع.

٣٨ ـ رسالة له ايضا في تأييد مذهب الصوفية و الرد على المعترضين عليهم مطبوعة.

٣٩ ـ رسالة في حكم التوسل بالأنبياء و الاولياء للشيخ محمد حسنين مخلوف مطبوعة.

٤٠ ـ المقالات الوفية في الرد على الوهابية للشيخ حسن خزبك مطبوعة.



٤١ ـ الاقوال المرضية فی الرد علی الوهابية رسالة صغيرة للشيخ عطا الكسم الدمشقی. وردود اهل السنة عليهم نظيفة خالية من السب و التكفير عكس ردودهم فانها مملوء بذلك، و قد رأيت قصيدة لرجل منهم يقال له ابن سحمان مات قريباً هجا بها الشيخ ابراهيم بن الشيخ عبد اللطيف آل مبارك التميمی المالكی الاحسائی منتصراً لصديق حسن خان القنوجی.

و لا يستغرب منهم هذا فانها البضاعة التی ورثوها من امامهم الحرانی لا بد لهم منها لسد الفراغ و لا يلجأ اليها الا من يعوزه العقل و العلم و وقاره.

٤٢ ـ و قد رد عليه بقصيدة طنانة من بحرها و رويها العلامة الشيخ عبدالعزيز القرشی العلجی المالكی الاحسائی المتوفی بعد الستين من هذا القرن عدة ابياتها٩٥ و مطلعها:

ألا ايّها الشيخ الذی بالهدی رمی ... سترجع بالتوفيق حظا و مغنما

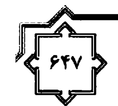
و من يك مسعاه النفيس لربه ... سعی النصر فی مسعاه أيان يمما

مقالات العلامة الدّجوي في الرّد على التيميّين في التوسل

٤٣) و احسن و أجود من كتب فی الرد عليهم فی مسألة التوسل بالأنبياء و الصالحين فی عصرنا هذا العلامة المرحوم الشيخ يوسف الدجوی سلسلة مقالات نشرت فی مجلة الأزهر حين كانت تسمی نور الاسلام اذكرها بتصرف فيها.

حكم التوسل بالنبي ﷺ

س: نرجو من فضيلتكم التكرم بازاحة الستار عن موضوع اهتزت له الآراء و تطاحنت من اجله الجماعات رغبة فی تمكين عری العقيدة التی اقلقت بال

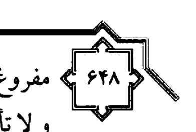


الكثير و هذا الموضوع هو التوسل بالنبى ﷺ الى الله تعالى فقد تكلم فى هذا الموضوع الكثير و ذهبوا فيه مذ اهب شتى حتى ان بعضهم يقول انه اشراك... الخ.

ج: إن التوسل بالنبى ﷺ جائز و نافع وكان ينبغى إلا يكون فيه شبهة و قد رود فى الأحاديث الصحيحة ـ كما ستقف عليه ـ عندما نفيض القول فيه بعد ولكن (نغيث) اولئك الملهوفين (الذين توسلوا إلينا) بكلمة موجزة تأتى على الموضوع اجمالاً و نرجىء القول فى التفصيل و بيان الأدلة الى عدد آخر فنقول:

ان تلك الطائفة ارتكبت شططاً و كفرت المسلمين لأوهى الأسباب غلطاً، و التكفير امر كبير لا يصح لمسلم يشفق على دينه ان يقدم عليه خصوصاً للمستلين و المتأولين، و انى لا أدرى كيف يكفرون من يقول: ان الله خالق كل شيء، و بيده ملكوت كل شيء، و اليه يرجع الأمر كله، و المتوسل ناطق بهذا فى توسله، فان المتوسل الى الله تعالى بأحد اَصفيائه قائل إنه لا فاعل الا الله، و لم ينسب الى من توسل به فعلا و لا خلقا، و إنما أثبت له القربة و المنزلة عند الله تعالى، و هى ثابتة لا شك فيها، و بها يشفع ﷺ للخلائق يوم القيامة، و بهذا الاعتقاد الراسخ الذى يكاد يكون فطرياً فى النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة الى الأنبياء و المرسلين ليشفعوا لهم عندالله تعالى، على ان المؤمن قد خرج من تلك الوساوس بمقتضى ايمانه بأن الله تعالى ليس له شريك، و ان لا اله الا هو، حتى اننا لو رأيناه اسند شيئاً لغير الله عز و جل، علمنا بمقتضى ايمانه انه من الاسناد المجازى لا الحقيقى.

و قد قررنا ذلك فى نحو قوله (انبت الربيع البقل) و فرقنا بين صدوره من المؤمن و صدوره من الكافر فالمستغيث لا يعتقد ان المستغاث به من الخلق مستقل فى امر من الامور غير مستمد من الله تعالى او راجع اليه، و لذلك شيء



مفروغ منه، و لا فرق فی ذلك بين الأحياء و الاموات، فان الله خالق كل شیء و لا تأثير عندنا لشیء فی شیء بنفسه فهذا هو ما عليه جماعة اهل الحق.

و قد قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرِ﴾[1] و قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[2] و قال تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُم مِنْهُ﴾[3] الخ ما فی الكتاب و السنة، و هو كثير فی لسان الشرع و معروف فی بديهة الفطرة.

و اعجب العجب انهم لا يتحاشون الاسناد الى الجمادات و لا يمتعضون منه فيقولون: أروانی الماء و اشبعنی الخبز و نفعنی الدواء، فادا سمعوا مثل ذلك الاسناد الى النبی ﷺ قامت قيامتهم و تبجح سفاؤهم، و يحسبون انهم يحسنون صنعاً، و انا نسألهم: (و هم اكثر الناس ترامياً على الناس) هل تعتقدون ان من تسألونه فی قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل؟ فاذا اعتقدتم ذلك كنتم اولى بالاشراك، و إن قلتم اننا نذهب اليه و نسند له الفعل و الاعطاء و المنع على سبيل المجاز و التسبب فان الله تعالى جعله من الأسباب التی يجرى عندها الخير و يخلقه، قلنا لكم إننا كذلك فلا فرق بيننا و بينكم، و إن فرقتم بين الاحياء و الاموات قلنا لا فرق فان الفاعل فی كل ذلك هو الله تعالى لا الحی و لا الميت، و إذا كان المتوسل فی الحقيقة انما توسل بمنزلة المتوسل به عند الله تعالى، و الفاعل هو الله عز و جل لم يكن هناك معنى للتفرقة بين الحی و الميت فان منزلته ميتا كمنزلته حياً، على ان تلك التفرقة لا ينبغی صدورها من مؤمن فضلاً عن عالم فان الارواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه فی حياتها

---

۱ . الانفال: ۷۷

۲ . القصص: ۱۵

۳ . النساء: ۸



او اشد، و لذلك يتساءلون عن الاحياء و يفرحون ويحزنون بها يكون منهم و يدعون لهم الى آخر ما جاء فی السنة.

و قد دعا آدم عليه الصلاة و السلام و غيره لنبينا ﷺ ليلة المعراج، و قد شرع لنا ان نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد فی قولنا: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين)[۱]، و تعرض اعمالنا عليه ﷺ فان وجد خيراً حمد الله تعالى و ان وجد شراً استغفر لنا، بل تعرض اعمالنا على آبائنا و اهلينا كما جاء فی السنة، و قد رأى النبی ﷺ موسى عليه الصلاة و السلام يصلی فی قبره و راه فی السماء السادسة و راجعه ﷺ فی امر الصلاة و ذكر له حال امته، و قد بلغنا النبی ﷺ السلام عن ابراهيم عليه الصلاة و السلام، و قد اجتمعت الأنبياء فی بيت المقدس ليلة المعراج و خطبوا و قالوا و فعلوا، و سمع بعض الصحابة ذلك الميت الذی ضرب خباءه على قبره يقرأ سورة الملك الخ ما جاء فی السنة الغراء.

و قد اثبت ابن تيمية، و هو مرجعهم الوحيد و مؤسس مذهبهم، كرامات الأولياء فی كتبه، و كذلك ابن القيم، و هو من أئمتهم، اثبت فی كتاب الروح ان الروح القوية كروح ابی بكر رضی الله عنه ربما هزمت جيشا الى آخر ما قال، و كذلك الشوكانی، و هو من أئمتهم ايضا، اثبت جواز التوسل به ﷺ بل بغيره من الأولياء و العلماء ورد على من قال بقصر الجواز عليه ﷺ (كالعز بن عبد السلام) فان المدرك فيه واحد، و هو مزية المتوسل به و قربه و منزلته عندالله، و إن كان الشوكانی متناقضاً و غالطاً فی التطبيق فی اشياء كثيرة، على انه لا يتخبط تخبط هؤلاء و لا يجهل جهلهم.

---

۱ . صحيح مسلم، ج۱، ص۱۵۰



و قد اثبت التبرك بالآثار فى نيل الأوطار، و على كل حال فلا يتم مذهبهم إلا إذا اثبتوا ان من نادى رسول الله ﷺ او توسل به فقد جعله إلهاً مع الله.

فان قالوا إن ذلك من لوازم النداء و الاستغاثة، قلنا لهم انكم إذاً اول المشركين و اكبر الضالين، فانكم اكثر الناس استغاثة بالمخلوق، و قد قلنا ذلك إلزاماً ليجعلوا الايمان قرينة على ما يصدر من المؤمن، و ليس يتم لهم مذهب ايضا إلا إذا قالوا: إن الأرواح قد فنيت بالموت و كذبوا الكتاب و السنة التى اثبتت الحياة للأرواح كلها (حتى أرواح الكفار كما فى حديث القليب و غيره) او قالوا إنها باقية لكن ضاعت منزلتها عند الله تعالى و لا تستطيع ان تدعو الله تعالى فى أمر من الامور، او سلبت منها قوتها و جميع مواهبها فلا يمكنها ان تعمل شيئاً و كذبوا بذلك صرائح ما جاء عن النبى ﷺ و السلف الصالح اتباعاً لوساسهم، فاذا قالوا ذلك و خالفوا المعقول و المنقول كانوا اجهل الجاهلين و أضل الضالين، و لا نطيل معهم القول فى هذه العجالة بأكثر من هذا و انا و الله نحب ان يكون المؤمنون اخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]، اسأل الله تعالى ان يزيل الشحناء و البغضاء التى تحلق الدين من قلوب المسلمين و ان يرشد إخواننا المخالفين الى ما فيه الخير و الهدى، و ألا يجعلهم فتنة للناس بمنه و كرمه، يوسف الدجوى منه هيئة كبار العلماء بالأزهر.

التوسل و جهلة الوهابيين

كتبنا فى العدد الثامن كلمة موجزة فى التوسل بالنبى ﷺ و حذرنا غلاة

---

١. الحشر: ١٠



الوهابية و من حذا حذوهم من تكفير المسلمين و قلنا لهم إن التكفير أمر عظيم لا ينبغي لمن يشفق على دينه ان يسارع اليه و ذكرنا من الأدلة على جوازه ما يخضع له المنصف و لا يماری فيه إلا الجاهل المتعسف، فجاءتنا رسائل من جهلة الوهابيين كلها سب و إقذاع و ليس فيها غير ذلك و لا غرو، فسلاح السفهاء بذاءة اللسان لا قوة البرهان.

و انى أبادر فأقول: إن كل ما يجد القارىء فى مقالى هذا من كلمة لاذعة فانا لا نقصد بها إلا سفهاءهم و أراذلهم، و حاشا ان نقصد منهم عاقلاً او كاملاً، فان سبق القلم بغير ذلك فهو على غير قصد منا و إنما جرنا اليه جهل الجاهلين و جمود الجامدين:

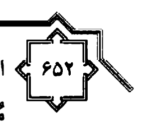
و جرم جره سفهاء قوم فحلّ بغير جانيه البلاء

و قد خيّل لاولئك السفهاء انهم سينسفون الحق و اهله بسفاهتهم التى لا تزيدهم عندنا إلا صغاراً و احتقاراً، و لا نقيم لها وزناً و إن تفننوا فيها، و كم فى كلامنا من إشارات لم يفهموها و رموز لم يدروا المراد منها و إن ظنوا انهم مبرزون فيما يكتبون.

ان العصافير لما قام قائمها توهمت انها صارت شواهينا

و يعزّ عليّ ان اقول: ان مجلة ام القرى: (و انا نحترمها كل الاحترام) كان فيها مقال طويل الذيل من هذا القبيل، و للحق و الانصاف نقول إنه جاءنا رسالة من بعض المكيين تحت امضاء (ا.د) سلك فيها الكاتب مسلك الأدب، و لم يقذع أقذاع اولئك الزعانف، و ربما نشرناها و علقنا عليها تحقيقا للحق و إبطالاً للباطل.

أما اليوم فنقول: ليعلم القارىء الكريم أن إسناد الفعل تارة يكون لكاسبه كفعل فلان كذا و تارة يكون لخالقه كفعل الله كذا، و الكل حقيقة فى اللسان



العربى، و قد جاء ذلك فى القرآن الشريف: ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١] و ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾[٢] و مع هذا فقد قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣] و هو كثير معروف.

فان منع اولئك الجهال الاسناد على وجه الاكتساب فهم مجانين، و إن ادعوا أن الواقع فى كلام الناس هو الاسناد للخالق لا للكاسب فهى دعوى كاذبة لم يقم عليها برهان، و قد استباحوا بها دماء المسلمين جهلاً و ضلالاً، و من منع الاسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته و انقطع الكلام معه.

فمثلا: الغوث من الله خلق و ايجاد، و من النبى ﷺ تسبب و كسب، و هذا على فرض اننا طلبنا الغوث منه ﷺ مع اننا لم نفعل ذلك، و لو فعلناه لصحّ على طريق التسبب و الاكتساب بطلب الدعاء منه عليه الصلاة و السلام و قد قالت أم اسماعيل عندما سمعت الصوت (أغث إن كان عندك غواث) فأسندته اليه على سبيل الكسب، فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين و استباحة دمائهم و أموالهم بالتوسل و الاستغاثة؟ (حتى على اصطلاحهم الذى نوافقهم عليه و النزاع فى معان لا فى الفاظ).

و قد جاء فى الحديث الصحيح: «**من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما فان كان كما قال و الا رجعت عليه**»[٤]، و قد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٥]: فاذا كان هذا فى رجل لم يكن منه إلا مجرد السلام الذى هو تحية المسلمين.

---

١. النور: ٤٦

٢. الاعراف: ١٧٨

٣. الشورى: ٥٢

٤. الجامع لاحكام القران، ج١٦، ص٣٢٨، و نقل صدره فى مسند احمد، ج٢، ص١١٢

٥. النساء: ٩٤



فكيف بمن يتجاسر على خيار الأمة المحمدية و يكفرهم بالتوسل بالأنبياء و الصالحين بشبهٍ اوهى من بيت العنكبوت؟ ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

و من المقرر ان اليقين لا يزول بالشك و انه يؤول للمسلم من وجه الى سبعين وجهاً ـ كما نص عليه النووى و غيره من العلماء ـ و لست أدرى هل يأخذ هؤلاء بظواهر العبارات أم بالمقصود منها؟ فان كان التعويل عندهم على الظواهر كان قول القائل: (أنبت الربيع البقل، و أروانى الماء، و اشبعنى الخبز) شركاً و كفراً.

و إن كانت العبرة بالمقاصد و التعويل على ما فى القلوب التى تعتقد انه لا خالق إلا الله، و ان الاسناد لغيره انما هو لكونه كاسباً أو سبباً فيه، لا لكونه خالقاً له، لم يكن شىء من ذلك كله كفراً و لا شركاً، ولكن القوم متخبطون، خصوصاً فى التفرقة بين الحى و الميت على نحو ما يقولون (كأن الحى يصح أن يكون شريكاً لله دون الميت) أو كأن الأرواح تستمد قوتها و سلطانها من الأشباح لا العكس، ولكنهم ليسوا اهل منطق ولا برهان. ثم انضم الى ذلك الصلف المذموم و الكبرياء المقوت، فبماذا نخاطبهم و على أىّ قاعدة نحاورهم؟ ولكننا نكتب لغيرهم عسى ان نقيه شر سمومهم التى ينفثونها فيما يكتبون، تبعاً لأسلافهم مطبقين الآيات التى نزلت فى الكفار على المسلمين، مع ان الشاذ عن جماعة المسلمين أولى بالتكفير منهم و أقرب الى الخطأ و الضلال.

و هل يرضون ان نقول لهم إنكم مخالفون لسلف الامة و خلفها اتباعا لم قبلكم؟

---

١ . المطففين: ٤ ـ ٦



ثم نطبق عليكم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[١]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾[٢]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[٣].

و عندنا من ذلك شيء كثير، و هل لنا ان نأخذ بظاهر هذا الحديث؟ و هو اصح مما تأخذون به فنقول: إنكم كفرتم عندما رميتم المسلمين بالكفر، او نقول انكم من اولئك الذين يحقر احدنا صلاته بجنب صلاتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، او نقول إنكم من أولئك الخوارج الذين قال فيهم عبدالله بن عمر ـ كما فى صحيح البخارى ـ **«انهم عمدوا الى آيات نزلت فى المشركين فجعلوها فى المسلمين»**[٤] أو نطبق عليكم قوله عليه الصلاة و السلام فى اسلافكم الحروريين: **«يقتلون اهل الايمان و يتركون اهل الأوثان»**[٥]، او نقول: (و لا نريد الا اولئك الفظاظ الغلاظ الجامدين الجاهلين) إنكم اعداء الله حيث أثبتم له الجهة و شبهتموه بخلقه.

و أعداء رسول الله ﷺ حيث لم توقروه و لم تراعوا حرمته، و أعداء أولياء الله حيث حقرتموهم كل التحقير، و أعداء جميع المسلمين حيث استحللتم دماءهم و أموالهم حتى قتل اطفالهم من بنات و بنين و ذلك شيء نهى عنه النبى ﷺ مع أكفر الكفرة و أفجر الفجرة الى آخر فظائعكم و شنائعكم.

---

١ . البقره: ١٧٠

٢ . القصص: ٥٠

٣ . الحج: ٨ـ ٩

٤ . لم نجده

٥ . صحيح البخارى، ج٤، ص١٠٨، بلفظ: **«يقتلون أهل السلام ويدعون أهل الأوثان»**



فيا أيها الناس اتقوا الله فى المسلمين، فنحن احوج الى الوئام و الاتحاد امام العدو الذى اجمعنا جميعاً على كفره و عداوته، بل اتقوا الله فى انفسكم، و اعلموا ان النفس أمارة بالسوء و ان من اتبع هواه ضلّ عن سبيل الله و لو سلكنا مسلككم و اتبعنا خطتكم و قابلنا السيئة بالسيئة لقلنا لمن يريد نصحكم ـ و نحن يائسون منكم ـ : **﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾**[1]، و على نهجكم كان يمكننا ان نسير ولكن ديننا أعز علينا من اعراضنا التى نهشتموها و دمائنا التى استبحتموها، و لعمر الله لقد صيرتم الاسلام بذلك ناراً مضطرمة على وجه الأرض لا دين يسر و سلام كما جعله الله، بل صار دين جهالة و جمود مع ان نبيه ﷺ يقول: **«ان الله لا ينظر الى صوركم و أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم و نياتكم»**[2].

و انا لنعلم ان الفرق الضالة كلها تستدل بالقرآن على نحلها و نزعاتها، فلا يغرنكم ما تستدلون به من الآيات فى غير محل الاستدلال مطبقين إياها على المسلمين خطأ و جهلاً ـ كما فعل اسلافكم ـ فان ذلك لا يغنى عنكم من الله شيئاً.

و الناجى من نجاه الله تعالى: **﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾**[3].

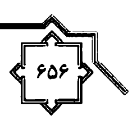
و لا أدرى لماذا قامت قيامتكم؟ و قد قلنا إننا نعتقد فى توسلنا ان الله هو الفاعل، و لسنا نطلب من غيره فعلاً و لا عملاً، ولكن نسأله بمنزلة النبى عنده،

---

١ . الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤

٢ . صحيح مسلم، ج٨، ص١١

٣ . الكهف: ١٧



و تلك المنزلة ثابتة له فى الدنيا و الآخرة، و بها نذهب إليه للشفاعة يوم القيامة و ذكرنا وجوهاً أخرى هى فى غاية الوضوح لا داعى لاعادتها، و سنفيض بعدُ فيما يقنع المناظر و يقحم المكابر، فما ذلك الشرك الذى شغفتم بذكره؟ و ما ذلك التكفير الذى جننتم برمى المسلمين به؟

و سنذكر من أدلة التوسل ما يلقمكم الحجر و نبين لكم ان آية: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[1] ما ذكرناها الا لما قاله بعض أئمتكم و ستسمعونه بعد، و لأننا لا نستبعد منكم شيئاً مما يعقل و ما لا يعقل، و لأن التفرقة بين الأحياء و الأموات فى هذا المقام غير صحيحة، فان الطلب من الله و الفعل لله لا من المستغاث به على أنه يستطيع أن ينفعنا بدعائه على ما نوضحه اتم توضيح.

و لنقتصر على هذا و نورد لكم شيئاً عن الأرواح و عملها بعد الموت مما قاله ابن القيم، و شيئاً عن التوسل مما قاله الشوكانى، ـ و هما من أئمة الوهابية الذين يرددون كلامهم فى كل موطن ـ ، بل ما تراه لهم من علم أو ما يشبه العلم، فانما هو لابن تيمية و ابن القيم و الشوكانى واحداً بعد واحد كالببغاء أو كالحاكى للصوت (الفنو غراف)، وليتهم كان لديهم من الأمانة (ما للفنوغراف) و هذا هو كلام ابن القيم فى الأرواح بعد موتها:

عمل الارواح بعد الموت

قال ابن القيم فى كتاب الروح: إن للأرواح المطلقة من أسر البدن و علائقة و عوائقه فى التصرف و القوة و النفاذ و الهمة و سرعة الصعود الى الله تعالى و التعلق به سبحانه و تعالى ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن و عوائقة بسبب انغماسها فى شهواتها.

---

١ . الانفال: ٧٢



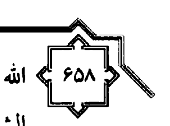
فاذا كان هذا فی عالم الحياة الأرضية، و هی محبوسة فی بدنها، فكيف إذا تجردت عنه و فارقته؟ و اجتمعت فيها قواها و كانت فی أصل نشأتها روحاً عالية زكية كبيرة ذات همة عالية، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر و فعل آخر.

و قد تواردت الرؤی فی اصناف بنی آدم علی فعل الأرواح بعد الموت أفعالاً لا تقدر علی مثلها حال اتصالها بالبدن فی هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، و الفيالق بالعدد القليل جداً و نحو ذلك، و قد رؤی النبی ﷺ و معه ابوبكر و عمر رضي الله عنهما فی النوم، و قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر و الظلم، فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين و قلتهم، هذا ما قاله ابن القيم، فانظر فيه مع ما يقول هؤلاء و لا تنس انه ليس لهم علم و لا شبه علم الا ما يقوله ابن تيمية و ابن القيم، و انهم قاصرو الاطلاع كما انهم قاصرو العقل.

التوسل في رأي الشوكاني

و قال الشوكانی ـ و هو عندهم معتبر ـ قال شيخ الاسلام ابن تيمية فی بعض فتاواه ما لفظه: (و الاستغاثة بمعنی أن يطلب من الرسول ﷺ ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم، و من نازع فی هذا المعنی فهو إما كافر و إما مخطیء ضال).

اقول: فليكن النزاع فيما هو اللائق به و ما يقدر عليه و فيما لا يليق به و لا يقدر عليه، و لا شك انه قادر علی ان يدعو لنا و هو فی البرزخ ـ كما قال فی الحديث الذی ستعلم صحته ـ : «**تعرض عليّ أعمالكم فان وجدت خيراً حمدت**



الله و إن وجدت شراً استغفرت لكم»[1] و لنرجع الى تتميم كلام الشوكانى، قال الشوكانى: (و اما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين انه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا)، ـ هذا ما قاله ـ .

و انى أكرر لفت نظرك إلى انه يجب ان يكون البحث إذاً فى تحقيق ما يقدر عليه و ما لا يقدر عليه و قد علمت انه قادر على أن ينفعنا و هو فى البرزخ بدعائه كما كان فى الدنيا، فليكن محل النزاع هو كونه قادراً أو غير قادر، على انه لا وجه للشرك على كل حال.

ثم قال الشوكانى و فى سنن ابى داود ان رجلاً قال للنبى ﷺ: انا نستشفع بالله عليك و نستشفع بك على الله، فقال: **«شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه»** فأقره على قوله و نستشفع بك على الله، و انكر عليه قوله: نستشفع بالله عليك الى ان قال:

و أما التوسل الى الله سبحانه بأحد من خلقه فى مطلب يطلبه العبد من ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام:

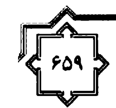
إنه لا يجوز التوسل الى الله تعالى إلا بالنبى ﷺ، إن صح الحديث فيه، و لعله يشير الى الحديث الذى اخرجه النسائى فى سننه[2] و الترمذى فى صحيحة و ابن ماجه[3] و غيرهم، ان أعمى اتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله انى أصبت فى بصرى، فادع الله لى، فقال له النبى ﷺ **«توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك و اتوجه اليك بنبيك محمد يا محمد انى استشفع بك فى رد بصرى**

---

١ . مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٤

٢ . السنن الكبرى للنسائى، ج٦، ص١٦٩

٣ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٤٤١



اللهم شفع النبی فیّ»[1]، و قال: «**فان کان لك حاجة فمثل ذلك**»[2]، فرد الله بصره، و انی الفت نظرك الی قوله: «**فان کان لك حاجة فمثل ذلك**».

ثم قال الشوكانی: و عندی انه لا وجه لتخصیص جواز التوسل بالنبی ﷺ ـ كما زعمه الشیخ عز الدین بن عبد السلام ـ لأمرین:

الأول ـ ما عرفناك به من اجماع الصحابة ﷺ.

و الثانی ـ أن التوسل الی الله باهل الفضل و العلم هو فی التحقیق توسل بأعمالهم الصالحة و مزایاهم الفاضلة، إذ لا یكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله.

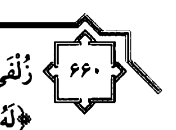
فاذا قال القائل: اللهم انی أتوسل الیك بالعلم الفلانی فهو باعتبار ما قام به من العلم، و قد ثبت فی الصحیحین و غیرهما أن النبی ﷺ حكی عن الثلاثة الذین دخلوا الغار فانطبقت علیهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الی الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غیر جائز أو كان شركاً كما یزعمه المتشددون فی هذا الباب كابن عبدالسلام و من قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم و لا سكت النبی ﷺ عن انكار ما فعلوه بعد حكایته عنهم، و انی أرجوك ان تمعن النظر فی جعله ابن عبدالسلام متشدداً مع قوله بجواز التوسل به ﷺ، غایة الأمر انه قصر ذلك علیه.

ثم قال الشوكانی: و بهذا تعلم أن ما یورده المانعون للتوسل الی الله تعالی بالأنبیاء و الصالحین من نحو قوله تعالی: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ

---

۱ . سنن الترمذی، ج۵، ص۲۲۹

۲ . لمنجده، ولكن نقل ابن تیمیه عن ابن ابی خیثمه فی «قاعده جلیله فی التوسل والوسیله، ص۲۱۳»



زُلْفَىٰ﴾[1] و نحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾[2]، و نحو قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيءٍ﴾[3] ليس بوارد، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو اجنبى عنه.

فان قولهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾ مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، و المتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك.

و كذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ فانه نهى أن يدعى مع الله غيره، كأن يقول يا الله يا فلان، و المتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله، و إنما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده، كما توسل الثلاثة الذين اطبقت عليهم الصخرة بصالح اعمالهم.

و كذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ الأية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم، و لم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم، و المتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله و لم يدع غيره دونه و لا دعا غيره معه، فاذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع.

الى ان قال: و المتوسل بنبى من الأنبياء أو عالم من العلماء لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله فى أمر، و من اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أم غير نبى فهو فى ضلال مبين.

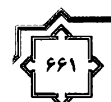
و هكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ

---

١ . الزمر: ٣

٢ . الجن: ١٨

٣ . الرعد: ١٤



شَيْءٌ﴾[١]، ﴿قُل لاَّأَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً﴾[٢] فان هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من امر الله شيء، و انه لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضراً فكيف يملك لغيره؟ و ليس فيهما منع التوسل به أو بغير من الأنبياء و الأولياء و العلماء.

و قد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى و أرشد الخلق الى أن يسألوه ذلك و يطلبوه منه و قال له: «سَل تُعطَ واشفَع تشفع»[٣].

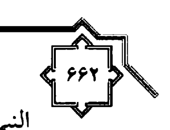
الى ان قال: و هكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٤] يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً فان هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله ضره و لا ضر من أراد الله نفعه، و انه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله تعالى، و هذا معلوم لكل مسلم و ليس فيه الا يتوسل به الى الله تعالى، فان ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر و انما أراد الطالب ان يقدم بين يدى طلبه ما يكون سبباً للاجابة ممن هو متفرد بالعطاء و المنع، هذا كلام علمائهم الذين يقدمونهم على علماء المذاهب الأربعة، على ان لهم مع هذا شذوذاً لا نوافقهم عليه فى كثير من المواضع، ولكن اتباعهم الذين لم يتذوقوا العلم إلا منهم و لم يتشدقوا بما يشبه الحق إلّا بفضل كتبهم التى لا يستقون الدين و الهدى إلا منها و ليس وراءها لديهم علم و لا دين يجب عليهم ألا يخالفوهم فى ورد و لا صدر، و أن يكون كلامهم حجة عليهم، كما كان الحجة لهم.

١ . آل عمران: ١٢٨

٢ . الاعراف: ١٨٨

٣ . صحيح البخارى، ج٥، ص١٤٧

٤ . الشعراء: ٢١٤



و يكفى هذا اليوم، و سنذكر من الأدلة الصحيحة الصريحة ما يدل على أن النبى ﷺ يجوز التوسل به قبل وجوده و بعد وجوده فى الدنيا و فى البرزخ و فى عرصات القيامة.

و قد وعدناهم فى كلمتنا الاولى بذكر الأدلة و تمام التفصيل ولكنهم قوم لا يفقهون، و كثيراً ما تراهم إذا أرادو أن يردوا علينا او على غيرنا قرروا مذهبهم (و نحن اعرف به منهم) متخيلين أن يرد عليها بالدعاوى غير المبرهنة.

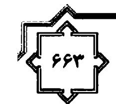
و حيث عجزوا عن الاستدلال، فلنتبرع نحن باقامة الأدلة على فساد كل دعاويهم، (حتى دعوى التفرقة بين توحيد الالوهية و توحيد الربوبية) و ان كان عجز المدعى عن اثباتها كافياً فى سقوطها، فلينتظروا ما يخزيهم فى الأعداد المقبلة إن شاء الله تعالى.

يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء

التوسل و جهلة الوهابيين

قلنا فى العدد السابق: إنه لا بأس ان نتوسل بالنبى ﷺ و نستغيث به فى حياته و بعد مماته، لأن التوسل إنما هو بمنزلته عند الله، و هى ثابتة له فى الدنيا و الآخرة، و المطلوب منه هو الله تعالى، على أنا لو طلبنا من النبى ﷺ ان يتشفع لنا عنده تعالى لصح عقلاً و نقلاً، فانه يمكنه و هو فى البرزخ أن يسأل الله لنا كما كان يسأله فى حياته.

و قد قلنا إن الأرواح بعد الموت باقية فاهمة مدركة، بل نقلنا عن إمامهم ابن القيم ان للروح بعد مفارقة الجسد أعمالاً تعلمها (فى هذا العالم) لا يمكنها ان تعملها حال اتصالها بالبدن الى آخر ما نقلناه عنه، و هو معقول جداً، فان الأرواح لم تستمد قوتها من الأشباح حتى تذهب قواها و خصائصها بمفارقتها،



بل الأشباح هى التى تستمد حياتها و أفاعيلها من الأرواح، فما هذا الاشتباه الذى ادى الى قلب الحقائق و مصادمة المعقول و المنقول؟ على ان تخصيص الجواز بالحى دون الميت أقرب الى ايقاع الناس في الشرك، فانه يقتضى ان للحى فعلاً يستقل به دون الميت، فأين هذا من قولنا ان الفعل فى الحقيقة لله لا للحى و لا للميت؟

و من أمعن النظر فى كلامهم لم يفهم منه الا مذهب المعتزلة فى الأحياء و مذهب الذين يئسوا من اصحاب القبور فى الأموات، و على كل حال فالغفلة عن الفاعل الحقيقى و تخيل ان الفاعل غيره أظهر فى الأحياء منه فى الأموات.

و قد نقلنا لك كلام الشوكانى ـ و هو من أئمتهم ـ فى التوسل ورده على العز ابن عبدالسلام فى تخصيص جواز ذلك بالنبى ﷺ و قال: إنه لا فرق بينه و بين غيره.

و لنقل على سبيل التنزل عسى أن ينقطع النزاع بيننا و بينهم: لماذا لا تجعلون التوسل بالولى أو النبى توسلاً بعمله الصالح؟ فانك تتوسل بالولى من حيث هو ولى مقرب الى الله تعالى و ما تقرب إليه إلا بما احبه من صالح الأعمال.

و سؤال الله بالأعمال الصالحة مجمع على جوازه منا و منكم، و ستسمعون اكثر من هذا.

و لنذكر لكم عبارة ابن قدامة ـ و هو من كبار الحنابلة الذين انتم على مذهبهم ـ و قد قال فيه ابن تيمية: إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعى افضل منه، فلعله يحرك منكم الانصاف او يذكركم بمذهبكم إن كان لكم مذهب ـ كما تدعون ـ نريد ان نحاكمكم الى العقل تارة و الى ما قاله الشوكانى و ابن القيم و أئمة الحنابلة تارة اخرى، و ليت شعرى هل يفيد شىء من هذا؟ (بكل تداوينا فلم يشف ما بنا).



و قد قال الله في حق قوم اشربوا في قلوبهم التعصب و العناد: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَيُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾[1].

و سر ذلك كما بيّن الله انهم كانوا يتكبرون في الأرض بغير الحق، و أي تكبر أعظم من تكبر من يحتقر جميع المسلمين و يعتقد أن لا ناجي غيره؟ ولكنا نكتب لغير جهلة الوهابيين كي نقيه من عدواهم، و للمنصفين منهم كي يرجعوا الى الحق.

أما عبارة ابن قدامة الحنبلي في مغنيه الذي هو من اجل كتب الحنابلة أو اجلها على الاطلق فهاك نصها: قال في صفة زيارته ﷺ في صفحة (٥٩٠) من الجزء الثالث:

تأتي القبر فتولي ظهرك للقبلة، و تستقبل وسطه و تقول: السلام عليك ايها النبي و رحمة الله و بركاته، السلام عليك يا نبي الله و خيرته من خلقه.

الى ان قال: اللهم أجز عنا نبيَّنا افضل ما جازيت به احداً من النبيين و المرسلين و ابعثه المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الأولون و الآخرون، الى ان قال: اللهم إنك قلت و قولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[2] و قد اتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك الى ربي، فانظر الى استشفاعه به و هو في قبره الذي يحرم الوهابيون شد الرحال الى زيارته، و اظن انهم لا يجرأون على التفرقة بين الاستشفاع و التوسل و إن كنا لا نستبعد منهم ما يعقل و ما لا يعقل، كما نعتقد انهم لا يفهمون ما يفهمه الناس من ان الزائر يستغفر و الرسول

---

١ . الاعراف: ١٤٦

٢ . النساء: ٦٤



يستغفر ايضا و هو فى البرزخ، و الا فلا معنى لايراد هذه الآية و لا بُعدَ فى استغفاره بعد موته.

فقد ورد فى الحديث الصحيح: «**تعرض عليّ اعمالكم**» اى بعد الموت «**فان وجدت خيراً حمدت الله و إن وجدت شراً استغفرت لكم**»[1]، و قد اطال المناوى و غيره فى تصحيح هذا الحديث.

فأنت ترى إثبات الاستغفار لنا بعد وفاته ﷺ بنص الحديث، و فى شرح المقنع المطبوع مع المغنى صفحة٤٩٥ مثله بالحرف و فيه زيادة على ذلك نصها: روى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكانما زارنى فى حياتى**»[2] و فى رواية: «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**»[3] اه.

و الدارقطنى من اعظم المحدثين تحرياً و اكثرهم تشدداً فى الحديث.

و قد وافق على حديث الزيارة كغيره من الحفاظ النقاد كما بينه السبكى فى شفاء السقام بما لا مزيد عليه.

فهذا كلام الحنابلة الاول المتبعين لمذهب الامام احمد المتمسكين بسنة النبى ﷺ و محبته كسائر علماء المذاهب.

و لنذكر لك بعد هذا شيئاً مما وعدنا به من ادلة التوسل من السنة الصحيحة فنقول:

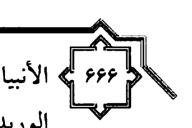
جواز التوسل و حسنه معلوم لكل ذى دين، و كأنه مركوز فى الفطر الانسانية ان يتوسل الى الله بأنبيائه و المقربين لديه، و لذلك يذهب الناس الى

---

١ . مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٤

٢ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٣١٠

٣ . سنن الدارقطنى، ج٢، ص٢٤٤



الأنبياء كى يشفعوا لهم لمنزلتهم عنده تعالى، و إن كان الله اقرب اليهم من حبل الوريد، و اتباع كل نبى كانوا يتوسلون الى الله بذلك النبى.

و قد ثبت التوسل به ﷺ قبل وجوده و بعد وجوده فى الدنيا و بعد موته فى مدة البرزخ، و بعد البعث فى عرصات القيامة، أما التوسل به قبل وجوده فيدل له ما اخرجه الحاكم و صححه و لم يتعقبه الذهبى فى كتابه الذى تعقب به الحاكم فى مستدركه.

و قد صح عن مالك الامام ايضا على ما رواه القاضى عياض فى الشفاء ان آدم عليه الصلاة و السلام لما أكل من الشجرة توسل الى الله بمحمد ﷺ، فقال له: من اين عرفت محمداً و لم اخلقه فقال: وجدت اسمه مكتوباً بجنب اسمك فعلمت انه احب الخلق إليك، فقال الله: إنه لأحب الخلق الىَّ و اذ توسلت به فقد غفرت لك[1]، و قال مالك للمنصور و قد سأله: يا أبا عبدالله استقبل القبلة و ادعوا أم استقبل النبى ﷺ؟ فقال له الامام مالك: و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك الى الله و وسيلة ابيك آدم يشير الى ذلك الحديث.

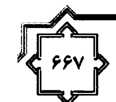
و قال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2]: إن قريظة و النضير كانوا إذا حاربوا مشركى العرب استنصروا عليهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان فينتصرون عليهم، و هو مروى عن ابن عباس و قتادة و غيرهما، فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده.

و أما التوسل به بعد وجوده فى حياته فلا أظن ان أحداً يمارى فيه، فقد كانوا يذهبون اليه فى كل شدة إذا أجدبوا أو نزلوا منزلاً فلم يجدوا به ماء، و عندما يمسهم ضرّ أو كرب مما لا يسعنا الافاضة فيه الآن، و إن انكره منكر ملأنا

---

۱ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج۱، ص۱۷۳

۲ . البقره: ۸۹



له الدنيا أدلة و براهين، و إن سموا بعضه استغاثة فلا ضرر فانه يثبت المطلوب بالطريق الاولى و يرد عليهم على كل حال، و النزاع ليس فى الفاظ و عبارات ـ كما قلنا فى العدد السابق ـ ، ولكن نسوق لك الآن حديثا صحيحاً اخرجه الترمذى[١] و صححه و النسائى[٢] و البيهقى[٣] و الطبرانى[٤] بأسانيد صحيحة ـ اعترف بها الحفاظ (حتى الشوكانى).

رووا جميعا عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان رجلاً أعمى جاء الى النبى ﷺ، و هم جلوس معه، فشكا اليه ذهاب بصره فأمره بالصبر، فقال ليس لى قائد، و قد شق عليّ فقد بصرى، فقال له: «**ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إنى اتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم شفعه فيّ**»[٥] وفى رواية «**فان كان لك حاجة فمثل ذلك**»[٦]، قال عثمان بن حنيف: فو الله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضر، هذا هو الحديث الصحيح الصريح الذى يقطع النزاع. ولكن السخيف المتعصب لا يعدم خيالاً فاسداً و كلاماً فارغاً، و قد قال الله تعالى ﴿**وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾[٧] فلننتظر حتى يتخيل.

و انى ألفت نظرك الى قوله عليه الصلاة و السلام (فان كان لك حاجة فمثل ذلك و الى ندائه ﷺ و هو غائب، و نداء الأموات شرك عند الوهابيين).

---

١ . سنن الترمذى، ج٥، ص٢٢٩

٢ . السنن الكبرى للنسائى، ج٦، ص١٦٩

٣ . لم نجده

٤ . المعجم الكبير، ج٩، ص٣١

٥ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٤٤١

٦ . لم نجده، و لكن نقل ابن تيميه عن ابن ابى خيثمه فى «قاعده جليله فى التوسل والوسيله، ص٢١٣»

٧ . الكهف: ٥٤



و أما التوسل به بعد وفاته فيمكننا ان نستدل عليه بهذا الحديث، فان قوله ﷺ: (فان كان لك حاجة فمثل ذلك) صريح فى جوازه بلا قيد و يدل له ايضا ما رو اه الطبرانى و البيهقى و الترمذى بسند صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان زمن خلافته فى حاجة له فكان لا يلتفت إليه، فرجا عثمان بن حنيف ان يكلمه فى شأنه، فعلمه الدعاء المذكور فتوضأ و صلى ثم دعا به كما علمه، ثم جاء الى باب عثمان فأخذه الخادم و ادخله عليه فأجلسه بجانبه على الطنفسة ثم قضى حاجته و قال له: و إذا عرضت لك حاجة فأتنا، فلما قابل الرجل عثمان ابن حنيف قال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته فيها، فقال له: و الله ما كلمته ولكنى كنت مع رسول الله ﷺ فدخل عليه أعمى و ذكر الحديث[1].

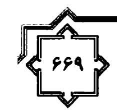
هذا و قد توسل ﷺ بالأنبياء بعد موتهم كما فى الحديث الصحيح، فعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت اسد بن هاشم أم على بن ابى طالب رضي الله عنها، و كانت ربت النبى ﷺ، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها ثم قال: رحمك الله يا أمى بعد أمى و ذكر ثناءه عليها، ثم كفنها ببردته و أمر بحفر قبرها، قال: فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، و اخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: **«الله الذى يحيى و يميت و هو حى لا يموت إغفر لأمى فاطمة بنت اسد و وسع لها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى فانك ارحم الراحمين»** ـ اخرجه الطبرانى فى الكبير[2] و الأوسط[3] و ابن حبان و الحاكمان بسند صحيح ـ.

---

۱ . مجمع الزوائد، ج۲، ص۲۷۹

۲ . المعجم الكبير، ج۲٤، ص۳۵۲

۳ . المعجم الاوسط، ج۱، ص٦٨



وروى ابن ابى شيبة عن جابر ﵁ مثل ذلك، و روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس ﵄ و رو اه ابو نعيم فى الحلية عن انس ﵁.

ثم نقول: إنهم كانوا يتبركون بآثاره ﷺ بعد موته، فقد ثبت انه كان له ﷺ جبة عند أسماء بنت ابى بكر كانوا يستشفون بها، و لا معنى لهذا إلا انهم كانوا يتوسلون بآثاره الى الله تعالى فيشفيهم ببركتها، و التوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد ـ كما يفهمه هؤلاء ـ أفتراهم يتوسلون بآثاره و لا يتوسلون به، و فى الباب شيء كثير لعلنا نذكره بعد.

أما توسل عمر بالعباس حين استسقى به دون النبى ﷺ فلكون ذلك هو سنة الاستسقاء و لكون العباس من ذوى الحاجات للمطر، او لكون عمر اراد ان يبين للناس انه يجوز التوسل بغيره ﷺ لفضله او لقرابته منه عليه الصلاة و السلام، او لخوفه على ضعفاء المسلمين و عوامهم اذا تأخر المطر بعد التوسل، او ليدلهم على ان التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل و إلا فعليّ افضل من العباس و كذا عمر، على ان البيهقى فى دلائل النبوة اخرج ما يأتى، و كذا اخرجه ابن ابى شيبة بسند صحيح عن مالك الدار خازن عمر ﵁ قال: اصاب الناس قحط فى زمان عمر فجاء رجل قبر النبى ﷺ، فقال يا رسول الله: استسق الله لأمتك فانهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام، فقال: ائت عمر فاقراه السلام و اخبره انهم مسقون و قل له عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ﵁، ثم قال: يا رب ما آلوا الا ما عجزت عنه، و محل الاستشهاد فى هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبى ﷺ بعد موته و اقرار عمر إياه على ذلك[1].

---

۱. المصنف لابن ابى شيبه، ج۷، ص۴۸۳



هذا و أحب ان تتذكر ما قلناه من ان المسؤول هو الله تعالى لا فاعل غيره و لا خالق سواه، و إنما نسأله بمنزلة حبيبه لديه و محبته له، و ذلك شيء ثابت لا يتغير في الدنيا و لا في الآخرة و من شك في منزلته ﷺ عند ربه جل و علا فقد كفر.

على ان قول عمر بمحضر من الصحابة انا نتوسل اليك بعم نبيك يدل على جواز التوسل بالمنزلة و الا لم يكن له معنى، و أي حاجة اليه اذا كان المقصود دعاء العباس؟ اما التوسل به في عرصات القيامة فلا حاجة للاطالة فيه فان أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر، و فيها ان الناس يذهبون الى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة الى آخر ما هو معروف.

و الخلاصة: انه مما لا شك فيه ان النبي ﷺ له عند الله قدر عليّ و مرتبة رفيعة و جاه عظيم، فأي مانع شرعي او عقلي يمنع التوسل به؟ فضلاً عن الأدلة التي تثبته في الدنيا و الآخرة، و لسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى و لا داعين إلا إياه، فنحن ندعوه بها احب أياً كان، فتارة نسأله بأعمالنا الصالحة لأنه يحبها، و تارة نسأله بمن يحبه من خلقه كما في حديث آدم السابق و كما في حديث فاطمة بنت اسد الذي ذكرناه، و كما في حديث عثمان بن حنيف المتقدم، و تارة نسأله بأسمائه الحسنى كما في قوله ﷺ: **«أسألك بأنك انت الله»**[1] او بصفته او فعله كما في قوله في الحديث الآخر: **«اعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك»**[2] و ليس مقصوراً على تلك الدائرة الضيقة ـ كما يعتقد الجاهلون ـ و سر ذلك ان كل ما احبه الله صح التوسل به، و كذا كل من احبه

---

١ . سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٢٦٨

٢ . صحيح مسلم، ج٢، ص٥١



من نبی او ولی و هو واضح لدی کل ذی فطرة سليمة و لا يمنع منه عقل و لا نقل بل تضافر العقل و النقل على جوازه، و المسؤول فی ذلك كله الله وحده لا شريك له لا النبی و لا الولی الحی و لا الميت: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله فَمَالِ هٰـؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[١].

و اذا جاز السؤال بالأعمال، فبالنبی ﷺ أولی، لأنه افضل المخلوقات، و الأعمال منها، و الله اعظم حباً له ﷺ من الأعمال و غيرها.

و ليت شعری ما المانع من ذلك؟ و اللفظ لا يفيد شيئاً اكثر من ان للنبی ﷺ قدراً عند الله تعالی، و المتوسل لا يريد غير هذا المعنی، و من ينكر قدره عند الله فهو كافر كما قلنا، و لو كنا مثلهم نأخذ بالظنة و نسارع الی تكفير المسلمين لأمكننا ان نقول لهم: إن من لا يعرف قدر النبی ﷺ أولی بالاشراك ممن عرفه، و من استباح دماء المسلمين اقرب الی الضلال ممن استبرأ لدينه و عرضه.

و بعد فمسألة التوسل تدور علی عظمة المسؤول به و محبته، فالسؤال بالنبی إنما هو لعظمته عند الله او لمحبتة إياه، و ذلك مما لا شك فيه، علی ان التوسل بالأعمال متفق عليه منا و منهم، فلماذا لا نقول ان من يتوسل بالأنبياء او الصالحين هو متوسل بأعمالهم التی يحبها الله تعالی؟ و قد ورد بها حديث اصحاب الغار فيكون من محل الاتفاق، و لا شك ان المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث انهم صالحون فيرجع الأمر الی الأعمال الصالحة المتفق علی جواز التوسل بها كما قلنا فی صدر المقالة.

يوسف الدجوی من هيئة كبار العلماء

---

١ . النساء: ٧٨

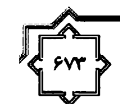


التوسل و الاستغاثة

لا تزال الرسائل واردة علينا بشأن التوسل طلباً للتوضيح و الاسهاب، و قد ذكر بعض مرسليها ان من الناس من يكفر المتوسلين برسول الله ﷺ الذى سنتوسل به جميعاً يوم القيامة على ما نطقت به الأحاديث الصحيحة، و لو قالوا ان فى المسألة تفصيلاً او ان بعض العبارات التى يقولها المتوسلون او الزائرون يبغى التحاشى عنها و تعليمهم ما يصح ان يقولوه فى توسلهم او عند زيارتهم، لقبلنا منهم ذلك و شكرناهم عليه، ولكنهم افرطوا كل الافراط فرأينا ان نفيض القول فى ذلك، فلعلنا بزيادة التقرير و التكرير نزيل تلك العقيدة التى هى اخطر شيء على الاسلام و المسلمين، و لنجعل الكلام معهم فى مقامين حتى نفحمهم بالمعقول و المنقول فنقول:

الكلام معهم من جهة الدليل العقلى و ما نضطر إليه من الدليل النقلى: قبل الخوض فى الموضوع نشترط عليهم ان يصبروا صبر المرتاضين بصناعة المنطق العارفين بقوانين المناظرة، فلا يخرجوا عن الفرض الذى نفرضه حتى نتمّ الكلام فيه، و أن يعرفوا موضوع البحث فلا ينتقلوا عنه الى غيره و سنفرض الفروض كلها ثم نبطلها واحداً واحداً، و لينظروا حتى لا يختلط المعقول بالمنقول و لا المنقول بالمعقول و سنوفى كلاً حقه ان شاء الله تعالى و عسى ان لا يكونوا بعد ذلك ممن يسلم المقدمات و ينازع فى النتيجة فنقول:

هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل و الاستغاثة و يجعلونها شركاً من حيث انها توسل و استغاثة، فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذاً شرك، و استغاثة الرجل بمن يعينه فى بعض شؤونه شرك، و استغاثة الملك بجيشه فى الحروب شرك، و استغاثة الجيش بالملك فيما يصلح امره شرك، بل نقول يلزمهم على هذا



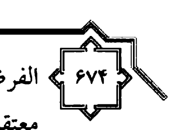
الفرض ان طلب المعونة من ارباب الحرف و الصنائع التي لا غنى للناس عنها شرك، و طلب المريض للطبيب شرك، بل الحرف و الصنائع التي لا غنى للناس عنها شرك، و طلب المريض للطبيب شرك، بل يلزم بناء على تلك الكليات التي تقتضيها الحيثية ان استغاثة الرجل الاسرائيلي بسيدنا موسى عليه الصلاة و السلام و اجابته إياه كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[1]، شرك، الى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل.

هذا كله إن كانوا يقولون إنها شرك من حيث انها استغاثة بغير الله تعالى كما فرضنا، فان قالو إن الاستغاثة و التوسل بالأموات شرك دون الأحياء، قلنا لهم: لا معنى لهذا بعد ان سلمتم ان الاستغاثة بغير الله من الأحياء ليست بشرك، و بعد ما ورد به القرآن و وقع عليه الاجماع في كل زمان و مكان، و لا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركاً تارة و غير شرك تارة اخرى، فان فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال، و ان قالوا إننا لا نعتقد التأثير الذاتي للحي، فان وجد ذلك الاعتقاد فيه كان شركاً و الا فلا، قلنا: فلا فرق إذاً بين الاحياء و الأموات فتفرقتكم بين الحي و الميت تحكم لا دليل عليه من العقل و لا من النقل.

فلو استظهرتم بالثقلين على اثباتها عن السلف الذين جعلتموهم مجنّاً لاهوائكم الفاسدة لم تستطيعوا فضلاً عن اثباتها عن النبي ﷺ فضلاً عن اثباتها عن كتاب الله تعالى، و ان كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التي تفهم من ظواهر الألفاظ، وجب ان يكون ذلك كله شركاً، حتى طلب الرجل من اخيه ان يعينه في الحمل على دابته او بناء داره أو حفر نهره الى غير ذلك كما اوضحنا في

---

١ . القصص: ١٥



الفرض الأول، فان قالوا إننا ننسب تلك الأفعال و التأثيرات الى الأحياء معتقدين ان الخلق و الايجاد ليس الا لله تعالى و ان الحى ليس له الا الكسب.

قلنا كذلك من يطلب من الأموات او يتوسل بهم، و القرآنية فيهما واحدة و هو ايمانه بان الله بيده ملكوت السموات و الأرض و اليه يرجع الامر كله و ان ماشاء كان و ما لم يشأ لم يكن و انه لا خالق غيره و لا موجد سواه، و ان كان سر المنع عندهم هو ان الميت لا يقدر على شيء مما طلب منه فنقول لهم: اولاً لا يلزم من ذلك ان يكون الطلب شركاً بل عبثاً فقط، و الاستغاثة بالأحياء اقرب الى الشرك منه بالاموات، لانها اقرب الى اعتقاد تأثيرهم فى الاعطاء و المنع بمقتضى الحس و المشاهدة لولا نور الايمان و ساطع البرهان.

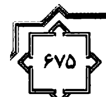
ثانياً ـ نقول لهم ما معنى قولكم إن الميت لا يقدر على شيء و ما سره و باطنه عندكم، إن كان ذلك لكونكم تعتقدون ان الميت صار تراباً جسماً و روحاً، فما اضلكم فى دينكم و ما اجهلكم بما ورد عن نبيكم بل عن ربكم من ثبوت حياة الأرواح و بقائها بعد مفارقة الاجسام، و لو كانت أرواح الكفار، فمناداة النبى ﷺ لرؤساء قريش فى بدر: **«يا عمرو بن هشام و يا عتبة بن ربيعة و يا فلان بن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم»**[1].

فقيل له ﷺ قوماً جيفوا فقال: **«ما انتم بأسمع لما اقول منهم»**[2] فى السنة اشهر من نار على علم، و مناداته ﷺ لاهل القبور و مخاطبته لهم فيها كذلك، و عذاب القبر و نعيمه مما تواتر فى الشريعة الاسلامية، قرآنا و سنة، و اثبات المجيء الى الأرواح الى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التى جاء بها الاسلام و اثبتتها الفلسفة قديماً و حديثا.

---

١ . صحيح البخارى، ج٥، ص٨

٢ . المصدر نفسه



و لنقتصر هنا على هذا السؤال: أيعتقدون ان الشهداء احياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا؟ فان لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم، لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ﴾[١]، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢]، و إن اعتقدوا ذلك فنقول لهم:

إن الأنبياء و كثيراً من صالحى المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابة افضل من الشهداء بلا شك، فاذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو افضل منهم اولى، على ان حياة الأنبياء مصرح بها فى الأحاديث الصحيحة.

و قد رأى ﷺ موسى عليه الصلاة و السلام يصلى فى قبره، و راه فى السماء السادسة و أمره بالرجوع الى ربه، و طلب التخفيف لما فرض الله عليه و على امته خمسين صلاة فى اليوم و الليلة مراراً حتى صارت خمساً.

و رأى فى تلك الليلة ايضاً آدم و ابراهيم و يحيى و عيسى و يوسف و هارون عليهم الصلاة و السلام فهذا كله يثبت حياة الأرواح و انه لا شك فيها.

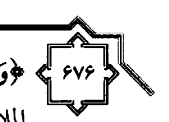
فاذاً نقول حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية التى قدمنا بعضها فلا يسعنا إلا إثبات خصائصها، فان ثبوت الملزوم يوجب ثبوت اللازم كما ان نفى اللازم يوجب نفى الملزوم كما هو معروف.

و أى مانع من الاستغاثة بها و الاستمداد منها كما يستعين الرجل بالملائكة فى قضاء حوائجه، او كما يستعين الرجل بالرجل، و انت بالروح لا بالجسم انسان، و تصرفات الأرواح على نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج الى مماسة و لا آلة فليست على نحو ما يعرف من قوانين التصرفات عندنا فانها من عالم آخر:

---

١ . البقره: ١٥٤

٢ . آل عمران: ١٦٩



﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1] و ماذا يفهمون من تصرف الملائكة او الجن فى هذا العالم؟

و لا شك ان الأرواح لها من الإطلاق و الحرية ما يمكنها من إجابة من يناديها و إغاثة من يستغيث بها كالأحياء سواء بسواء، بل اشد و اعظم.

و قد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم ان الأرواح القوية كروح ابى بكر و عمر ربما هزمت جيشاً الى آخر ما ذكرناه، فان كانوا لا يعرفون الا المحسوسات و لا يعترفون إلا بالمشاهدات فما اجدرهم ان يسموا طبيعيين لا مؤمنين، على اننا نتنزل معهم و نسلم لهم ان الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع ان تعمل شيئاً، ولكن نقول لهم:

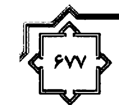
إذا فرضنا ذلك و سلمناه جدلاً فلنا ان نقرر انه ليست مساعدة الأنبياء و الأولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح فى هذا العالم على نحو ما قدمنا، بل مساعدتهم لمن يزورهم او يستغيث بهم بالدعاء لهم كما يدعو الرجل الصالح لغيره، فيكون من دعاء الفاضل للمفضول او على الأقل من دعاء الأخ لأخيه، و قد علمت انهم احياء يشعرون و يحسون و يعلمون، بل الشعور اتم و العلم اعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية و عدم منازعات الشهوات البشرية.

و قد جاء فى الحديث: ان اعمالنا تعرض عليه ﷺ فان وجد خيراً حمد الله تعالى و إن وجد غير ذلك استغفر لنا.

و لنا ان نقول ان المستغاث به و المطلوب منه الاغاثة هو الله تعالى، ولكن السائل يسأل متوسلاً الى الله بالنبى او الولى فى قضاء حاجته، فالله هو الفاعل و السائل سأله تعالى ببعض المقربين لديه الاكرمين عليه فأنه يقول:

---

١ . الاسراء: ٨٥



انا من محبيه (او محسوبيه) فارحمنی لأجله، و سیرحم الله کثیراً من الناس یوم القیامة لأجل النبی ﷺ و غیره من الأنبیاء و الأولیاء و العلماء بالشفاعة.

و بالجملة فاکرام الله لبعض احباب نبیه لأجل نبیه بل بعض العباد لبعض امر معروف غیر مجهول، فمن ذلك الذین یصلون علی المیت و یطلبون من الله ان یکرمه و یعفو عنه لأجلهم بقولهم:

وقد جئناك شفعاء فشفعنا فیه، و من ذلك ایضاً إکرام الغلامین الیتیمین باستخراج الکنز من تحت جدارهما لصلاح ابیهما.

و من ذلك ایضا إلحاق الذریة الناقصین فی الأعمال بدرجات آبائهم الکاملین فیها.

و المقصود من ذلك کله اثبات ان الله یرحم بعض العباد ببعض علی ان توجه الانسان الی النبی او الولی و التجاءه الیه تحس به روح النبی و الولی تمام الاحساس و هو کریم ذو وجاهة عند الله تعالی.

و قد قال تعالی فی کلیمه موسی علیه الصلاة و السلام: ﴿**وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهاً**﴾[1] و قال تعالی فی عیسی علیه الصلاة و السلام: ﴿**وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾[2]، فتعتنی تلك الروح بذلك الملتجیء اشد الاعتناء فی تسدیده و تأییده و الدعاء له هی و الملائکة الذین یجلونها و یحبون مسرتها و رضاها.

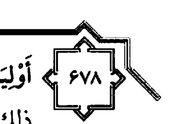
و الأنبیاء و الأولیاء محبوبون للملائکة بدلیل قوله ﷺ: «**إن الله إذا احب عبداً نادی جبریل فی السماء إن الله یحب فلاناً فأحبوه**»[3] الی آخر الحدیث و ان الملائکة علیهم الصلاة والسلام لتقول للذین قالوا ربنا الله ثم استقاموا: ﴿**نَحْنُ**

---

١ . الاحزاب: ٦٩

٢ . آل عمران: ٤٥

٣ . صحیح البخاری، ج٨، ص١٩٥



﴿أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1]، كما نص على ذلك القرآن الشريف، و ذلك سرّ التوجه الى الأولياء و زيارتهم لتتنبه ارواحهم لحال الزائر و تلتفت الى معونته بما اعطاهم الله تعالى من الخصائص، كما تنفع اخاك بما اعطاك الله من قوة او وجاهة او مكانة او ثروة او اعوان او انصار الى آخره، و ان الانسان هو هو في الدنيا و الآخرة من حيث روحه التى هى باقية فى العالمين، و ليس الانسان إنساناً الا بها كما شرحنا و الأمر جلى، (و لكنها الاهواء عمت فأعمت).

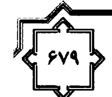
و لنرجىء تتميم المقام الثانى، فربما طال الكلام فيه لعدد آخر إن شاء الله تعالى.

و الخلاصة: ان المستغيث لا يكفر الا إذا اعتقد الخلق و الايجاد لغير الله تعالى، و التفرقة بين الحى و الميت لا معنى لها، فانه ان اعتقد الايجاد لغير الله كفر، على خلاف للمعتزلة فى خلق الأفعال ان اعتقد التسبب و الاكتساب لم يكفر، و انت تعلم ان غاية ما يعتقد الناس فى الأموات هو انهم متسببون و مكتسبون كالأحياء، لا انهم خالقون موجدون كالاله، إذ لا يعقل ان يعتقد فيهم الناس اكثر من الأحياء و هم لا يعتقدون فى الأحياء الا الكسب و التسبب، فاذا كان هناك غلط فليكن فى اعتقاد التسبب و الاكتساب لأن هذا هو نهاية ما يعتقده المؤمن فى المخلوق كما قلنا و الا لم يكن مؤمناً، و الغلط فى ذلك ليس كفراً و لا شركاً، و لا نزال نكرر على مسامعك انه لا يعقل ان يعتقد فى الميت اكثر مما يعتقد فى الحى، فيثبت الأفعال للحىّ على سبيل التسبب و يثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتى و الايجاد الحقيقى، فانه لا شك ان هذا مما لا يعقل.

فغاية امر هذا المستغيث بالميت بعد كل تنزل ان يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم انه مقعد، و من يستطيع ان يقول ان ذلك شرك؟، على ان

---

١ . فصلت: ٣١



التسبب مقدور للميت و فى امكانه ان يكتسبه كالحى بالدعاء لنا، فـان الأرواح تدعو لأقاربها كما فى الحديث الشريف إذا بلغهم عنهم مـا يـسوءهم فيقولـون: (اللهم راجع بهم و لا تمتهم حتى تهديهم) بل الأرواح يمكنهـا المعاونـة بنفـسها كالاحياء، و يمكنها ان تلهمك او ترشـدك كالملائكـة الـى غـير ذلـك علـى مـا شرحناه، و كثيراً ما انتفع الناس برؤيا الأرواح فى المنام و لعلنا نعود اليه.

يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء

التوسل و الاستغاثة

جاءنا خطاب مطول بامضاء: (مسلم بمكة)، اطـال فيـه صـاحبه و اعـاد و ابدى و اكثر و كرر ظناً منه انه اتى بالقواصم، وو قد الح فى طلب الاجابة حتى قال فى آخره: (يافضيلة الشيخ أرجوك و اناشدك الله الذى لا اله الا هـو إلّا مـا حققت هذا الموضوع و انصفت فيه).

و نحن نلخص ما جاء فيه من الأسئلة معرضين عما فيها مـن غمـز مـشوب بأدب و تعريض نسامحه فيه فنقول و بالله التوفيق:

س ـ هل جاء فى السنة ان الرسول ﷺ علَّم النـاس ان يـسألوا الـصالحين من الأموات و يطلبوا منهم الدعاء؟ ارجو ان تذكروا ولو حديثاً واحداً.

الجواب: و نحن نقلب عليه الـسؤال اولاً فتقـول: هـل جـاء فـى الـسنة ان الرسول ﷺ نهى الناس عن ان يسألوا الصالحين و يطلبوا منهم الدعاء؟ ارجـو ان تذكر لنا ولو حديثاً واحداً.

و ثانياً نقول له: إن جواز الأشياء لا يتوقف على ورود الأمر بهـا بـل علـى عدم النهى عنها كما هو معروف و مقرر فى علم الاصـول، فكـل مـا لم يـرد فيـه نص بالحظر فهو مباح.



و قد علّمنا النبی ﷺ فی سنته الصحيحة ان ما أمرنا به فعلناه و لم نتركه و ما نهی عنه اجتنبناه و لم نفعله و ما سكت عنه فهو عفو.

فهذه هی قواعد العلم الذی يعرفه العلماء.

و أما شبهة الموت فهی واهية لأنكم فيها بين أمرين:

إما ان تنكروا إدراك الأموات و علمهم و دعاءهم و سماعهم، و إما ان تقروا بذلك. فان انكرتموه ملأنا لكم الدنيا أدلة و براهين على ثبوت ذلك لهم مثل دعاء آدم و ابراهيم و غيرهما من الانبياء عليهم الصلاة و السلام لنبينا ﷺ ليلة المعراج كما فی الصحيحين و غيرهما، و كما فی حديث: **«تعرض على اعمالكم فان وجدت خيراً حمدت الله و إن وجدت غير ذلك استغفرت لكم»**[1] و كما فی حديث عرض اعمال الأحياء على الأموات و دعائهم لهم.

و قد ذكره ابن تيمية نفسه فی فتاويه و اعترف به ابن القيم كل الاعتراف وقرره اتم التقرير.

و من محاسن المصادفات فی هذا ما يقرره الأوربيون الآن مما يوافق ذلك، و قد قرره قبلهم بعشرات القرون الفلاسفة الأقدمون مثل افلاطون و غيره من الفلاسفة، فالمسألة متفق عليها بين علماء الدين وعلماء الدنيا، او نقول بين المسلمين و غير المسلمين، او نقول بين اهل الأثر و النقل، و بين اهل الفلسفة و العقل، أما إذا اعترف الوهابيون بأن للأموات إدراكاً و علماً و سماعاً و انهم يدعون و يردون السلام الی غير ذلك، كما ورد فی السنة ثم منعوا طلب ذلك منهم كانوا متناقضين، او نقول كانوا ممن يسلم بالمقدمات و ينازع فی النتيجة، او ممن يقطع اللوازم عن ملزوماتها و هو مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل، على اننا ذكرنا فی ذلك ما يقطع الشغب من اصله و المراء من أسّه، و ذلك هو

---

۱ . مجمع الزوائد، ج۹، ص۲٤



الحديث الصحيح الذى رويناه عن عثمان بن حنيف فى التوسل به فى حياته ﷺ و بعد مماته وقد قال فيه:

يا محمد: اشفع لى عند ربك، و لا معنى للشفاعة إلّا الدعاء الذى يكون منه ﷺ.

و فى الحديث الصحيح: اللهم إنى اسألك بحق السائلين عليك[1]، و فى حديث آخر: بحق نبيك و الأنبياء قبله[2]، فالتوسل بالصالحين و الدعاء ثابت و واقع.

و قد قلنا فى بعض ما كتبناه: لا معنى لكون هذا شركاً ـ كما يقوله الوهابيون ـ ، فان الحى إذا طلب من الميت الذى هو حى بروحه متمتع بلوازم الحياة و خصائصها فانما يطلب منه على سبيل التسبب و الاكتساب لا على سبيل الخلق و الايجاد، لأنه ليس من المعقول ان يرفعه عن رتبة الحى، و هو إذا طلب من الحى فانما يطلب منه على هذا الوجه لا على جهة الخلق و الايجاد، و الطلب من المخلوق على سبيل التسبب ليس شركاً و لا كفراً، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك.

و لو فرضنا ان الميت لا عمل له، فان خطأ المنادى او المستغيث على هذا الفرض انما هو فى اعتقاد السببة لا الالوهية، و اعتقاد السببية فى غير الله ليس هو اعتقاد الالهية كما يظنه الجاهلون، و قد عرفت مما قدمناه انه ليس غلطاً ايضا و انما الغالطون هم الوهابيون، و ان كان التوسل بمنزلته عند الله فالأمر واضح، لأن الموت لا يغير المنزلة عند الله تعالى.

---

١ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٢٥٦

٢ . المعجم الكبير، ج٢٤، ص٣٥٢



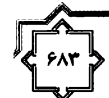
س: هل الرسول ﷺ اهمل نوعاً من التوسل الى الله تعالى او ترك شيئاً مما يقرب الى الله تعالى؟

ج: لم يهمل الرسول ﷺ شيئاً مما يقرب الله تعالى، و لا ترك نوعاً من انواع التوسل.

و قد علمنا التوسل فى حديث عثمان بن حنيف المتقدم، بل توسل هو بحقه و حق الانبياء قبله، و عرفنا ان آدم عليه الصلاة و السلام توسل به قبل وجوده، و قد بين ذلك كله فى الأعداد السابقة و بعد، فماذا عسى ان يدل ذلك للسائل، فلو فرضنا ان الرسول ﷺ لم يتوسل بالصالحين لأمكن ان يقال ان مقامه ارفع من كل مقام، على انه ﷺ كان غريقاً فى العبودية، و كان اعلم خلق الله باطلاق الربوبية وسعتها و بأن الكل عبيدها و تحت قهرها و ليس هناك إلا فضلها الواسع و كرمها الشامل، و انه لابد من ظهور ذل العبودية على كل احد، و ذلك من تعظيم الربوبية، و يعلم ﷺ ان عبيد السيد المطلق لهم منازل عنده، و ان لكل منهم مزية لديه، و ان المقتضى لعطائه تعالى انما هو العبودية له عز و جل، فلابد ان يكون بينهم ارتباط العبيد و تبادل المنافع، و على هذا قام بناء الكون، كان ﷺ اعرف الناس بذلك كله، فطلب الدعاء من عمر و أمر عمر ان يطلب الدعاء من اويس القرنى، و سأل الله تعالى بحق الأنبياء قبله كما فى حديث فاطمة بنت اسد، و أمرنا ان نتوسل به إذا عرضت لنا حاجة الى الله تعالى، فقال لذلك الأعمى: «**فان كان لك حاجة فمثل ذلك**»[1] و قد فعلها الرجل الذى كان يتردد على عثمان بن عفان فى خلافته، و قد بيّنا ذلك اتم بيان، على اننا نريد منكم ان لا تكفروا المسلمين بمثل هذا العمل الذى لا شيء فيه، و نكتفى منكم ان تقولوا إنه مباح او خلاف الأولى او مكروه (إذا اردتم).

---

١ . قاعده جليله فى التوسل والوسيله، ص٢١٣



و لو قلتم ذلك لاحتملناه منكم و ان كان غير صحيح، ولكن قومك يا حضرة السائل الذى يظن منه انه منصف و غير متعصب يعملون على خلاف ذلك.

س: هل ثبت ما يروى عنه ﷺ: **«ما تركت شيئاً يقربكم الى الله إلا بينته لكم؟»**[١] و اذا كان ثابتاً فهل الطلب من الأموات ان يدعوا للأحياء مما قاله الرسول ﷺ و أمر به و فعله أم لا؟

ج: نعم! ثبت ان رسول الله ﷺ قال ذلك، و دعاء الأموات داخل فى دعاء الأخ لأخيه الذى لا يمكنكم ان تمنعوه، و قد عرفتنا السنة الصحيحة انه لا فرق بين الحى و الميت فى ذلك، و ان الميت يدعو كما يدعو الحى على ما سبق، فان الموت ليس فناءاً او عدماً كما يظنه الجاهلون و انما هو انتقال من دار الى دار:

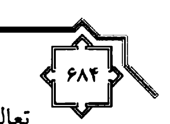
لا تظنوا الموت موتاً إنه	لحياة و هو غايات المنى
لا ترعكم هجمة الموت فما	هو إلا نقلة من هاهنا

و لا نزال نكرر انه قد دعا آدم عليه الصلاة و السلام و غيره من الأنبيا لنبينا ﷺ و ان النبى ﷺ يدعو لأمته فى البرزخ، بل آباؤنا يدعون لنا على ما عرفت و تعرف، على اننا نكتفي منكم ان تقولوا انه مباح لا قربة او على الأقل لا تكفروا به المسلمين، كما فعل إمامكم محمد بن عبدالوهاب على ما فى الهدية السنية و غيرها.

و قد قلنا فيما كتبناه فى العدد الثالث من هذه السنة انه لا وجه لذلك، و لو قلنا إن الميت لا يمكنه ان يدعو او يفعل شيئاً فان الغلط على هذا الفرض يكون غلطاً فى اعتقاد التسبب لا الالهية و لا نزال نكرر ان معتقد السببية فى المخلوقات لا وجه لتكفيره و لا معنى له، فان من يجعل غير السبب سبباً يكون جاهلاً لا كافراً، و يكفى هذا.

---

١ . صحيح البخارى، ج٧، ص١٥٧، بلفظ: **«لا تسألوني اليوم عن شئ الا بينته لكم»**



س: هل بين الرسول ﷺ ما أمر به من الوسيلة في آية المائدة عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾[1] الآية أم لا؟

ج: هذا السؤال غير محرر و تقويمه هكذا: هل بيّن الرسول ﷺ الوسيلة التي أمر بها المؤمنون في سورة المائدة؟) فان المأمور بالوسيلة في هذه السورة مباشرة هم المؤمنون لا الرسول ﷺ وحده.

و ان قلنا إنه ﷺ يدخل في عموم خطابها.

و قوله في تمام سؤاله: (عملاً بقوله تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ جهل و تهويش، فان الأمر و الخطاب في هذه الآية خاص بالرسول ﷺ في تبليغه رسالة الله و وحيه الى جميع الخلق، فهو حشو و تكرار لأنه ﷺ قد بلغ ما أمرت به امته من الوسيلة و بيّنها في سنته بياناً شافياً.

قالت عائشة ﵂: من حدثك ان رسول الله ﷺ كتم شيئاً مما انزل إليه فقد كذب ثم قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ الآية - اخرجاه في الصحيحين[2] -.

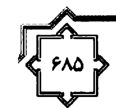
فالوسيلة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة، و القرآن عربي نزل بلغة العرب، و لا وجه لقصركم إياها على نوع خاص فانه بلا دليل، على انه لا داعي لذلك كله فقد ثبت التوسل مصرحاً به في حديث عثمان بن حنيف و غيره، و قد جاء في آخر الحديث المذكور: «**فان كان له حاجة فمثل ذلك**» و قد عمل به في زمان عثمان بن عفان ﵁، كما بيّناه فيما سبق من الاعداد.

س: هل يلزم من عدم دعاء الأموات و مخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم؟ و اذا قلتم بالتلازم فبينوا لنا وجهه بالبرهان، و اذكروا لنا عن الصحابة و التابعين و الأئمة المتبوعين من قال بجواز هذا النوع من التوسل.

---

١. المائده: ٦٧

٢. صحيح البخاري، ج٥، ص١٨٨



ج: نعم: من كان مثلكم ينكر وجاهة الأنبياء و الصالحين عند الله تعالى يجب ان ينكر كرامات الأموات، فانه اذا لم يكن لهم و جاهة عند الله تعالى، و لا يمكنهم ان يدعوا لنا و لا تستطيع أرواحهم ان تفعل شيئاً كما هو اعتقادكم، فأى كرامة تكون لهم بعد ذلك؟ و ما معنى إثباتكم إياها و قد نفيتم عنهم كل عمل؟ و كفّرتم المتوسل الى الله تعالى بجاههم، فأى شيء يبقى بعد ذلك؟

و أما طلبكم منا ذكر من جوز ذلك من الصحابة و التابعين و الأئمة المتبوعين فنقول: إن الأمة كلها قبل ابن تيمية و بعده على هذا الجواز، و نتحداكم فنقلب السؤال عليكم فنقول.

هل يمكنكم ان تذكروا لنا عن الصحابة و التابعين و الأئمة المتبوعين من منع ذلك النوع من التوسل و قال انه شرك؟ أليست المذاهب كلها مجمعة على توسل الزائرين لقبر النبى ﷺ به ﷺ؟ و قد ذكرنا لكم نص الحنابلة فى ذلك و كذلك جميع الأئمة، و لا سلف و لا سند لكم فيما تقولون بل جميع العلماء يصرحون بأن ذلك مطلوب من كل زائر لا جائز فقط فهذا هو الاجماع، و قد مر من الأدلة العقلية و النقلية ما يكفى و يشفى، ثم نقول لكم ألم يعترف ابن القيم بأن الروح القوية لها من الأعمال بعد الموت ما لا تستطيعه حالة حياتها فى الدنيا؟

و قد وصل الأمر الى أئمتكم انفسهم، فأنتم فى اثبات كرامات الأولياء و غيرها متناقضون تارة مع الهوى و تارة مع الحق.

و يرحم الله من قال: المبطل لابد أن يتناقض شاءام ابى، و اما تضليلنا أياكم فانما هو لسلوككم نهج اسلافكم الحروريين كلاب النار بتكفيركم المسلمين و استباحة دمائهم و اموالهم.



و قد تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ فى ذمهم، و لو قلتم ان الأولى ان يرجع الناس فى كل امورهم الى الله تعالى بلا واسطة، او قلتم ان هناك مقاماً تسقط فيه الأسباب و الوسائط، كما قال ابراهيم عليه الصلاة و السلام لجبريل عليه الصلاة و السلام، **«أما إليك فلا»**[١] عندما قال له **«ألك حاجة»** لو قلتم ذلك و سلكتم هذا المسلك لم ننكر عليكم و لم نشتد فى مناقشتكم.

و لو كان لكم رأى فى المسألة غير التكفير لقلنا مجتهدون ظنوا ظناً والى الله امرهم و كم مجتهد أخطأ، ولكن اولئك الذين اخطأوا لم يقدسو انفسهم هذا التقديس و لم يحملوا الناس على رأيهم بالسيف لأنهم يجوزون ان يكون الحق فى جانب غيرهم و يعلمون ما جاء عن الرسول ﷺ من ان **«سباب المسلم فسوق و قتاله كفر»**[٢] و ان من قال لأخيه المسلم: **«يا كافر ان كان كما قال والا رجعت عليه»**[٣]، و لم يرض الامام مالك من المنصور العباسى ان يحمل الناس على الموطأ و هو هو عند مالك، و لا من الرشيد ايضا ان يلزم الناس بما فيه احتراماً للأمة و علمائها و اتهاماً لنفسه، شأن أئمة الهدى و ورثة الرسول ﷺ، و الجاهل لا يعرف غير تعظيم نفسه، و العالم لا يعرف غير تعظيم ربه و من تعظيم الله تعظيم من عظمة الله تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٤].

ثم قال السائل: لا يمكننا ان نسيغ توجه المسلم العارف بربه الآنس بذكره الى عبد من عباده، انتقل من عالم الى آخر لا يعلم حاله فيه الا الله تعالى، يسأله و يخاطبه بعد ان كان متلذذاً بخطاب الله تعالى ومناجاته، و لا يخفى عليكم

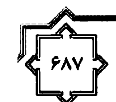
---

١ . جامع البيان فى تفسير القرآن، ج١٧، ص٥٩

٢ . صحيح البخارى، ج١، ص١٧

٣ . الجامع لاحكام القران، ج١٦، ص٣٢٨

٤ . الحج: ٣٢



حديث ام العلاء فى صحيح البخارى، و فيه: انها شهدت لمهاجرى و هو ابو السائب توفى عندها فقالت: اما شهادتى عليك لقد اكرمك الله) و ان الرسول ﷺ قال لها: «و ما يدريك ان الله أكرمه»[١] الى غير ذلك من الأحاديث من امثاله، و كلها تدل على ان الأموات قد افضوا الى ما قدموا، و انه لا يجوز لنا ان نحكم لأحد حكماً جازماً بأنه من اهل الجنة او من اهل النار إلا ما ورد النص بأنهم من اهل الجنة او من اهل النار، كما ورد فى اهل بدر و بعض الصحابة كعكاشة ابن محصن.

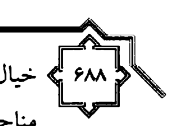
و اقول إن حضرة السائل أدمج فى هذا الكلام الخطابى اشياء لا نتركها بل نناقشة الحساب فيها، اما التمويه بذكر توجه المسلم الى ربه و تلذذه بذكره فهو لذيذ فى الأسماع يكاد يأخذ بمجامع النفوس، ولكن هذا مقام تحقيق علمى لا ينفع فيه التمويه و لا تفيد فيه الخطابة.

و قد قلنا فيما سبق: لو كان رأيهم ان هذا هو مقام الكمال لم نتعرض له، ولكنهم كفروا المسلمين المتوسلين برسول الله ﷺ و الصالحين من امته، فأين هذا مما يقوله السائل؟ فان كان يريد ان الاشتغال بذكر الله تعالى و مناجاته أولى فليس الخلاف بيننا و بينه فى الأولوية، ولكن الناس درجات بعضها فوق بعض، فلا حرج على من يلتفت للأسباب و الوسائط، عالماً ان الله تعالى هو الأول و الآخر، فهو ممد كل شيء و المفيض على كل شيء، و اليه يرجع الأمر كله، و لا على من ترك الأسباب ثقة بالمسبب فكان غريقاً فى قدرته ناظراً الى حكمته، فلا حرج على ذاك و لا على هذا.

و ان صح ان نقول إن بعضهم افضل من بعض، و هل ما ذكره السائل من حديث التلذذ و الانس الذى قطعه خطاب الأموات صحيح ام هو تمويه و

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص٧١



خيال؟ و لماذا لا يقول مثل ذلك في الطلب من الأحياء؟ أليس الأنس بالله و مناجاته خيراً من الطلب من الأحياء ايضا؟ و لو كان المطلوب منه وزيراً او ملكا او خليفة) ام التفضيل الذى ذكره لا يتحقق إلا بين الطلب من الله تعالى و الطلب من الأموات؟

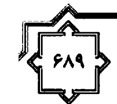
و قد ادمج في كلامه ما يلهج به كثير من الجهلة من ان الميت لا ندرى حاله و لا ما مات عليه، و هو سوء ظن كبير بالمسلمين بل بالله تعالى.

فنلفت نظر السائل الى ان من عاش على شيء مات عليه كما في الحديث الشريف، فهذه هي سنة الله الغالبة، و ما عدا ذلك فشاذ لا يقاس عليه لحكمة يعلمها هو.

ثم نقول: ان الامور في هذا العالم مبنية على الظن حتى الامور الشرعية و الأحكام الفقهية، و على هذا يجب ان نغسل أمواتنا و نكفنهم و نصلى عليهم و ندفنهم في مقابر المسلمين و نورث ورثتهم اموالهم إلى غير ذلك، ولسنا على اليقين الذى يريده السائل من امرهم: (ولكن ذلك اليقين لم يشترطه أحد) فعلينا ان نعد من عاش في حياته على خير و صلاح من اهل الخير و الصلاح بعد موته، و لا يجوز لنا غير ذلك اتباعاً لتلك الوساوس التى ما أنزل الله تعالى بها من سلطان.

و ليت شعرى، هل إذا رمينا احدهم بأن اباه لا ندرى ما حاله امسلم هو ام كافر افيغضب ام لا؟ و هل يريد ان لا نعمل شيئاً الا على جزم و يقين، إذاً يختل أمر هذا الوجود و تبطل أحكامه.

اما حديث عثمان بن مظعون الذى اشار اليه السائل، فالمراد منه انه ينبغى الخوف من سعة التصريف الالهى و ان مرتبة العبودية لا تتخطّى مقام الرجاء و الضراعة.



و أم العلاء قد قطعت على الله تعالى انه مكرمه على سبيل الجزم فأخرجت ذلك مخرج الشهادة.

و أظن انها لو شهدت له بالدين و الصلاح لتغير جواب رسول الله ﷺ.

و قد قال في آخر الحديث: و انى لأرجو له الخير، فهل يفرق السائل بين رجاء الخير و ظن الخير؟ و لماذا لم يذكر لنا ما اخرجه البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه؟

قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبى ﷺ: وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت: قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، و هذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض[1]، او ما اخرجه عن عمر رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير ادخله الله الجنة**» فقلنا: و ثلاثة، قال: و ثلاثة، فقلنا: و اثنان قال: و اثنان ثم لم نسأله عن الواحد،[2] او ما اخرجه ايضا من قوله ﷺ فى شهداء احد: «**انا شهيد على هؤلاء**»[3].

ثم نقول للوهابية جميعاً لماذا لم تذكروا او تؤمنوا بما اخرجه البخاري ايضا من قوله ﷺ: «**و الله ما أخشى عليكم الشرك ولكن أخشى ان تُبسَط عليكم الدنيا فتنافسوها**»[4] الى آخره ما انتم الا مناوئون مكذبون للذى لا ينطق عن

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص١٠٠

٢ . المصدر نفسه، ج٢، ص١٠١

٣ . المصدر نفسه، ج٢، ص٩٣

٤ . المصدر نفسه، ج٥، ص١٩، بلفظ: «**ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى ان تبسط عليكم الدنيا..**»



الهوى فى قوله هذا بحكمكم على أمته ﷺ بالشرك الذى لا يخافه عليهم و استباحتكم دماءهم و اموالهم.

و نقول له ايضا: يكفينا الظن و تحسين الظن بعامة المسلمين مطلوب شرعاً فكيف بالخاصة الصالحين منهم، و أما الجزم الذى تريده فلم يقله أحد من العلماء.

ثم قال السائل: و إن من المجازقة ان نزيد على حسن الظن فيمن لم يرد فيهم شهادة من المعصوم، و نحن نقول له: إن من المجازفة ان تسىء الظن بمن لم يرد فيهم ذم عن المعصوم، خصوصاً من ظهرت عليه علامات الخير و الصلاح او ظهرت له كرامات فى حياته و بعد مماته، و تجويز ان يكون قد تغير حاله هو من سوء الظن بالمسلمين بل بالله تعالى كما انه عقوق للآباء و الأجداد، و ما معنى الزيادة التى زدتها حضرتك، و ليس ذلك كله إلا أثراً لحسن الظن و مبنياً عليه.

ثم قال السائل: و كم اكون مسروراً جداً إذا عثرت لنا على نص صريح فى هذا النوع من الوسيلة.

و اقول: ذكرنا من الأدلة العقيلة و النقلية الشىء الكثير و قد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول.

و قد قلنا إن من يثبت الحياة و الادراك و العلم للأرواح ثم يمنع التوسل و الاستغاثة بها متناقض غاية التناقض قاطع للملزوم عن لوازمه، و قد ذكرنا إجماع الأئمة على التوسل به ﷺ عند زيارته و لو لم يكن فى الموضوع إلا حديث عثمان بن حنيف لكان كافياً شافياً، و على الجملة فقد أجمعت الشرائع كلها و الفلاسفة الأقدمون و الفلاسفة العصريون، او نقول المسلمون و الأوربيون و الأمريكيون و الهندوس على إثبات الحياة و لوازمها للأرواح، و



على ان لها من الاطلاق و سعة التصرف ما لم يكن لها حال حياتها فى هذا العالم، و هو عين ما قرره ابن القيم فى كتاب الروح، اسأل الله تعالى أن يزيل عنا حجاب المادة و كثافة الطبيعة و ظلمة الأشباح بمنه و كرمه.

الخاتمة

اسال الله تبارك و تعالى حسنها

من المقطوع به فى تاريخ الاسلام ان أول طوائف المبتدعة المخالفين فى الاصول للصحابة رضوان الله تعال عليهم أجمعين و للأمة الاسلامية جمعاء هم خوارج حروراء، ثم الرافضة ثم المعتزلة المؤسس مذهبهم عمرو بن عبيد المتزهد، ثم المجسمة المؤسس مذهبهم محمد بن كرام.

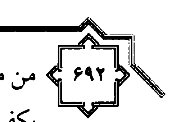
كل طائفة من هذه الطوائف تدعى انها على الحق و تكفر من خالفها

و كل طائفة من هذه الطوائف تدعى انها على الحق و غيرها على الباطل و تكفر كل من خالف رأيها، و هذه الطوائف و إن تباينت فى الآراء متفقة على تكفير الامة الاسلامية، و يزيد الخوارج تكفير عثمان و علي و معاوية و جم غفير من الصحابة، و يزيد الرافضة تكفير جل الصحابة، و من المعلوم المقطوع به ايضا ان هذه الطوائف و إن كانت كثيرة فى حد ذاتها فهى أقلية بالنسبة الى الأمة الاسلامية اهل الحق.

و حديث: «**افترقت اليهود و النصارى على اثنتين و سبعين فرقة وستفترق امتى على ثلاث و سبعين فرقة كلها فى النار الا ما أنا عليه و أصحابى**»[1] معجزة

---

١ . سنن الترمذى، ج٤، ص١٣٥، مع اختلاف



من معجزاته عليه الصلاة و السلام، و دليل قاطع على نجاة اهل الحق لأنهم لا يكفرون اهل لا اله الا الله، و لأنهم السواد الأعظم و الجماعة الذين استفاضت الأحاديث عنه عليه الصلاة و السلام فى الحث على لزومها و التحذير من الشذوذ عنها و من شَذَّ شَذَّ فى النار، و لأنهم على سنته عليه الصلاة و السلام.

سنة النبي ﷺ حذرت اشد التحذير من تكفير و قتل اهل لا اله الا الله

و سنته عليه الصلاة و السلام حذرت اشد التحذير من تكفير و قتل اهل لا اله الا الله، كما فى حديث أسامة بن زيد و المقداد بن عمرو رضي الله عنهما فى الصحيحين[1] و غيرهما، و لأنهم على ما عليه اصحابه ﷺ و رضى عنهم، و اصحابه ما كانوا يكفرون اهل لا اله الا الله.

فقد سئل أميرالمؤمنين على كرم الله وجهه و رضى عنه عن الخوارج الذين تواترت الأحاديث عنه عليه الصلاة و السلام فى ذمهم «**اهم كفار يا أميرالمؤمنين؟**» فقال: «**هم من الكفر فروا**» فقيل: «ما هم؟» فقال: «**قوم أرادوا الآخرة فأخطأوا طريقها**» و التابعون و اتباعهم و الأئمة المهتدون و اهل الحق قاطبة الى قيام الساعة لم يكونوا ولن يكونوا مكفرين لاهل لا اله الا الله.

كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لاصحاب شوذب الخارجي

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لأصحاب شوذب الخارجى فى اثناء مناظرة بينهم و بينه: فاتقوا الله فانكم جهال تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله ﷺ و تردون عليهم ما قبل، و يأمن عندكم من خاف عنده و يخاف عندكم من أمن عنده فانكم يخاف عندكم من يشهد ان لا اله الا الله و ان محمداً عبده و

---

۱ . صحيح البخارى، ج۵، ص۸۸، صحيح مسلم، ج۱، ص۶۸



رسوله و كان من فعل ذلك عند رسول الله صلى تعالى عليه و سلم آمناً و حقن دمه و ماله و أنتم تقتلونه، و يأمن عندكم سائر اهل الأديان فتحرمون دماءهم و اموالهم اه.

و لا يوجد في كتاب الله تعالى و لا في سنة رسول ﷺ، تشبيه الله تعالى بخلقه و ما كان اصحابه ﷺ و رضي عنهم مشبهين و لا مجسمين، و التابعون أتباعهم و الأئمة المهتدون و اهل الحق قاطبة الى قيام الساعة لم يكونوا و لن يكونوا مشبهين و لا مجسمين.

و قد قضى اهل السنة و الجماعة على المعتزلة الذين هم افحل الطوائف المبتدعة فما جاء أوائل المائة السادسة الا و مذهبهم ما يحكى الا في كتب اهل السنة الكلامية، كما قضوا على المجسمة في وكريهم خراسان و بغداد.

مشبهة الحنابلة بدمشق يحاولون رفع راية التشبيه و يهيجون الأشرف على أذى ابن عبد السلام

و في المائة السابعة استحوذ جماعة من مجسمة الحنابلة بدمشق على الأشرف الأيوبي فحاولو بواسطته رفع راية التشبيه و هيجوه على أذى الأشاعرة عموماً و على الامام العلامة عز الدين بن عبد السلام خصوصاً، فانبرى لهم الشافعية و المالكية و الحنفية و العلامة جمال الدين الحصيري الحنفي فأسكتوا و أبيد شَغَبَهُم.

افحام الزملكاني ابن تيمية و امتناع هذا عن الاجابة عن الدعوى المقامة على فساد عقيدته

و في أول المائة الثامنة أثار المفتتن به احمد بن تيمية مذهب التشبيه برسالته



الحموية و غيرها فقام عليه علماء دمشق و عقد له مجلس ناظره فيه العلامة كمال الدين بن الزملكانى فأفحمه، فأظهر التوبة و قرر انه اشعرى العقيدة ثم فى سنة خمس و ثمانمائة حمل الى القاهرة و أحضر مجلس القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى ليجيب على دعوى أقيمت عليه عنده بفساد عقيدته، فشرع يعظ اهل المجلس، فقالوا له: هذا كلام نعرفه، اجب عن الدعوى التى اقيمت عليك، فكرر الوعظ و لم يجب عن الدعوى، فحكم القضاة بسجنه حتى يجيب على الدعوى فلاذ و هو فى السجن بأكبر امراء السلطان ابن قلاوون سلار و غيره من الأمراء فاعتقدوا فيه و دافعوا عنه، و بقى سبع سنين متردداً بين القاهرة و الاسكندرية.

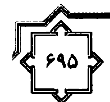
و فى سنة اثنتى عشرة و سبعمائة رجع الى دمشق و استمر يبث عقائده الفاسدة فى تآليفه و بين من يثق بهم من العامة تحت ستار السلف و الأئمة... و ربما صرح ببعضها احياناً فيقوم عليه العلماء فيسكت.

ابن القيم نسخة من ابن تيمية و أمثلة من كتبه دالة على تجسيمه

و قد قاموا عليه آخر الأمر فى مسألة الزيارة فحبس بقلعة دمشق الى ان مات، و حيث حققت ان ابن القيم نسخة منه فلنذكر أمثلة من كتبه دالة على تجسيمه، و اعلق عليها:

قال فى أول زاد المعاد فى التفضيل بين السماء و الأرض: لو لم يكن للسماء فضل إلا قربها من الله لكفى.

و قال فى الجزء الرابع من بدائع الفوائد ص٢٤ فى تفضيل السماء على الأرض ايضا ما نصه: قال المفضلون للسماء على الأرض: يكفى فى فضلها ان رب العالمين سبحانه فيها و أن عرشه و كرسيه فيها اهـ.



اقول: إن هذا الانسان يعتقد ما يعتقده المسلمون من ان السموات السبع و الكرسى و العرش اجرام، و ان نسبة السموات السبع الى الكرسى كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض كما فى الأثر، و ان نسبة السماوات السبع مع الكرسى الى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض.

و يعتقد ايضا ما أسسه شيخه الحرانى و دافع هو عنه دفاع مجنون من ان جميع ما فى القرآن و السنة من المتشابه القابل للتأويل عند اهل الحق ـ هو حقيقة عنده لا مجاز فيه، و على ظاهره لا يسوغ تأويله.

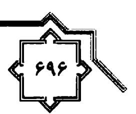
طفر المشبهة في التأويل ثلاث طفرات قبيحات

و المؤولون له كالأشاعرة و الماتريدية اقل ما يوسمون به عندهم انهم مبتدعة، فعَّد هذه القاعدة للمفتونين به ثم نقضها فتقضوها معه بتأويل ما يمكنهم تأويله من ظواهر الكتاب و السنة بما يوافق هواهم، و هو جهة العلو لله تبارك و تعالى فى زعمهم، و تفويض ما لم يمكنهم تأويله من الظواهر المضادة لجهة العلو المزعوم لله تبارك و تعالى، فمما أولوه فطفروا فى تأويله ثلاث طفرات قبيحات قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَن فِي السَّمَاءِ﴾[١]، بأن (من) معناه الله، و (فى) بمعنى على، و (السماء) معناه العرش، يعنى أأمنتم الله الجالس على العرش، و أوَّلوا: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[٢] بجلس عليه، و بذاته، و حقيقته، فلو استظهروا بالثقلين معاً على إثبات واحد من هذه التأويلات الفاسدة عن السلف الصالح الذين اتخذوهم غرضاً لاهوائهم لم يستطيعوا فضلاً عن إثباته عن النبى ﷺ فضلاً عن إثباته من كتاب الله تعالى.

---

١ . الملك: ١٦

٢ . الاعراف: ٥٤



المشبهة ينبزون المنزهين لله تبارك و تعالى بالجهمية و المعطلة

و أوّلوا: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[1] و ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[2] بفوقيه حقيقية، و فوضوا فى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ﴾[3] و ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[4] و ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[5] و ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[6] و «و اذا قام احدكم فى صلاته فلا يبصقن فى قبلته فان ربه بينه و بين الجدار»[7] و نحوها فهم مؤولون مفوضون، و التأويل مباح لهم محظور على غيرهم، و مع هذا الخبط ينبزون المنزهين لله تبارك و تعالى عن مشابهة الحوادث بالجهمية و المعطلة، سبحان واهب العقول.

إذا تقرر هذا فهراؤه هذا لا يمكن ترقيعه على جعل السماء اجراماً، و لا على جعلها فضاء، أما على جعلها اجراماً فمن المحال ان يكون تعالى مظروفاً فيها و لا يكون جسماً، و من المحال ايضا ان يكون مظروفاً فيها كلها و إن جاز عليها الخرق و الالتئام.

و من اللازم على هذا ان يكون جسمه اصغر من كل واحدة منها، و من المحال ايضا ان يكون الجسم الكبير و هو الكرسى مظروفاً فيها كلها و ان جاز عليها الخرق والالتئام، و من المحال ان يكون مظروفاً فى واحدة منها.

---

١ . الانعام: ١٨

٢ . النحل: ٥٠

٣ . النور: ٣٩

٤ . الفتح: ١٠

٥ . الحشر: ٢

٦ . الفجر: ٢٢

٧ . صحيح مسلم ج٨، ص٢٣٢، بلفظ: «فان أحدكم إذا قام يصلى فان الله تبارك و تعالى قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى فان عجلت به بادرة فليقل بثوبه»



و كذلك من المحال دخول العرش الذى هو اكبر منها و من الكرسى فيها كلها، كما انه من المحال دخول العرش فى واحدة منها، و من المحال ايضاً دخوله مع الكرسى فيها كلها او فى واحدة منها، و جعل (فى) فى هرائه هذا كجعلها فى الآية الشريفة بمعنى على، باطل باثنى عشر وجهاً:

الأول: حقيقة (فى) الظرفية، و لا تصرف عنها الى معنى آخر إلا بدليل واضح.

الثانى: الآية الشريفة تحتمل ثلاثة اوجه:

الوجه الأول: ءأمنتم الذى فى السماء سلطانه و ملكه لأن السماء مسكن ملائكته تعالى و منها تنزل قضاياه و كتبه و أوامره و نواهيه، و لا إشكال على هذا الوجه مع كون الذى بمعنى الله، و (فى) على حقيقتها الظرفية و فيها تأويل واحد.

الوجه الثانى: ءأمنتم عقاب الذى فى السماء، و الذى فى السماء هم الملائكة عليهم الصلاة و السلام، و إسناد العقاب اليهم لكونهم السبب المباشر فى غالب الحوادث التى عذب الله بها الأمم المكذبة لأنبيائها، و لا إشكال على هذا الوجه مع كون (فى) على حقيقتها، و فيها ايضا تأويل واحد.

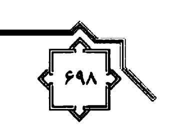
الوجه الثالث: ان العرب كانوا يعتقدون التشبيه و ان الله تبارك و تعالى فى السماء و ان الرحمة و العذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم: ءأمنتم من تزعمون انه فى السماء، و هو جل و علا متعال عن المكان.

الثالث: (من) فى الآية اسم موصول مبهم يحتمل ان يطلق على الله تعالى كما يحتمل ان يطلق على الملائكة عليهم الصلاة و السلام.

الرابع: تصريحه فى هرائه بأن رب العالمين فيها.

الخامس: تصريحه بأن كرسيه فيها.

السادس: تصريحه بأن عرشه فيها.



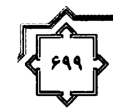
السابع: تأول (فی) فی المواضع الثلاثة بعلی لا یصار إلیه إلا بدلیل.

الثامن: نلزمه بقاعدة شیخه و هی حمل الکلام علی ظاهره و حقیقته و علیه:

فالتاسع: حقیقة (فی) فی الأجسام الظرفیة فلا یمکن صرفها الی معنی آخر.

العاشر: لو سلم له تأول (فی) فی (کرسیه فیها) بعلی لم یحصل مطلوبه، و هو تفضیل السماء علی الأرض کما یحصل بکونه فیها حقیقة، لأن تفضیلها علی الأرض بکون الکرسی فیها أظهر و أوضح من تفضیلها علی الأرض بکونه علیها، علی ان کون الکرسی فوق السماوات من باب الاخبار بالواضحات و تحصیل الحاصل عند المسلمین، (کالسماء فوقنا) (و الأرض تحتنا) علی انه ایضا یقال له کون الکرسی فوق السماوات من باب الاخبار بالواضحات و تحصیل الحاصل عند المسلمین (کالسماء فوقنا) (و الأرض تحتنا) علی انه ایضا یقال له کون الکرسی فوق السماوات معلوم، ولکن هل جرمه ملاصق للسماء السابعة او غیر ملاصق لها؟ و اذا کان غیر ملاصق لها فما مقدار ارتفاعه علیها؟ و إذا کان مرتفعا علیها فلا حجة لك علی تفضیلها علی الأرض بجرم مرتفع عنها.

الحادی عشر: لو سلم له تأول (فی) فی (عرشه فیها) بعلی لم یحصل مطلوبه ایضا و هو تفضیل السماء علی الأرض کما یحصل بکونه فیها من باب أولی من الکرسی، لأن تفضیلها علی الأرض بکون العرش فیها اشد ظهوراً و وضوحاً من کونه فوق الکرسی و هذا فوقها، علی ان کون العرش فوق الکرسی من الواضح عند المسلمین، علی انه یقال له ایضا کون العرش فوق الکرسی معلوم، ولکن هلی جرمه ملاصق للکرسی او غیر ملاصق له، و اذا کان غیر ملاصق له فما مقدار ارتفاعه عنه؟



و على كلا الأمرين لا حجة لك فى تفضيل السماء على الأرض بجرم فوق جرم فوقها.

الثانى عشر: لو سلم له تأول (فى) فى (رب العالمين فيها) بعلى لم يحصل مطلوبه ايضا، و هو تفضيل السماء على الأرض، كما يحصل بكونه تعالى فيها من باب أولى من العرش، لأنهم متفقون انه تبارك و تعالى و تنزه عن إفكهم و ضلالهم فوق العرش ولكنهم مضطربون متناقضون فى هذه الفوقية.

فتفسيرهم لها فى ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] بجلس عليه، و بذاته، و حقيقته، و بـ (يقعد نبيه يوم القيامة معه على العرش) يدل دلالة صرحة على انه جل و علا عندهم جسم فوق العرش متصل به من جهة التحت اصغر منه له جانبان، نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان.

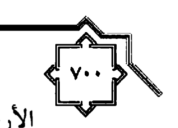
البائن معناه المنفصل و الاتصال و الانفصال من لوازم الاجسام

و تفسيرهم لها بأنه فوق عرشه بائن من خلقه، يدل دلالة صريحة على انه تعالى فوق العرش منفصل عنه غير متصل به، لأن البائن معناه المنفصل، و لا ريب عند كل من له مسكة من عقل ان المتصل ضد المنفصل، و لا ريب ايضا عند كل من له مسكة من عقل ان الاتصال و الانفصال من لوازم الأجسام.

و يقال على زعمهم إنه بائن من خلقه: ما مقدار بينونته تعالى من العرش؟ و هل هو محاذ له او مائل عنه؟ و هل هو اكبر من العرش او اصغر منه؟ و على كلا الأمرين الاتصال و الانفصال فقد اثبتوا له تعالى جهة التحت، نعوذ بالله تعالى من زلقات اللسان و فساد الجنان.

---

١ . الاعراف: ٥٤



و أما على جعل السماء فضاء، فالتفضيل عليه بينها و بين ما هو جرم، و هو الأرض ضرب من الجنون، و ظرفية «في» على هذا لا معنى لها.

و قال ايضا في الجزء الرابع من بدائع الفوائد ص٣٩ ما نصه: فائدة: قال القاضي: صنف المروزى كتابا في فضيلة النبي ﷺ، و ذكر فيه إقعاده على العرش، قال القاضي و هو قول ابى داود و احمد بن اصرم و يحيى بن ابى طالب و ابى بكر بن حماد و ابى جعفر الدمشقي و عباس الدورى و اسحاق بن ر اهويه و عبدالوهاب الوراق و ابراهيم الاصبهاني و ابراهيم الحربي و هارون بن معروف و محمد بن اسماعيل السلمي و محمد بن مصعب العابد و ابى بكر بن صدقة و محمد بن بشر بن شريك و ابى قلابة و على بن سهل و ابى عبدالله بن عبد النور و ابى عبيد و الحسن بن الفضل و هارون ابن العباس الهاشمي و اسماعيل بن ابراهيم الهاشمي و محمد بن عمران الفارسي الزاهد و محمد بن يونس البصرى و عبدالله بن الامام احمد و المروزى و بشر الحافي اه.

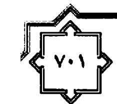
قلت و هو قول ابن جرير الطبرى و امام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير و هو قول ابى الحسن الدارقطني و من شعره فيه:

حديث الشفاعة عن احمد ... الى احمد المصطفى يسنده
و جاء حديث باقعاده ... على العرش ايضا فلا نجحده
أمرّوا الحديث على وجهه ... و لا تدخلوا فيه ما يفسده
و لا تنكروا أنه قاعد ... و لا تنكروا أنه يقعده

انتهى بشينه و مينه.

ابو يعلي بن الفراء مصنف كتاب الصفات في التوحيد ملأه بالتجسيم

اقول: القاضي هو ابو يعلى بن الفراء الحنبلي مصنف المعتمد في التوحيد



ملأه بالتجسيم، فقال فيه الامام ابوالفضل بن التميمى الحنبلى: لقد خَرىء ابو يعلى بن الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء.

المروزي مؤسس التجسيم للحنابلة و ان الفتنة فيه ببغداد

و المروزى من تلامذة الامام احمد و هو الذى أسَّس التجسيم للحنابلة بعد ابن كرام و سن الفتنة فيه بين المسلمين ببغداد فقد فسر قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[1] بأن المقام المحمود هو إقعاد الله تعالى نبيه معه على العرش، تعالى الله و تنزه و تقدس عن جهله هذا علواً كبيراً.

و قد خالفه طوائف الفقهاء الثلاثة الحنفية و الشافعية و المالكية و قالوا: له المقام المحمود هو الشفاعة، فلم يصغ إليهم، بل نشر جهله هذا بين عوام بغداد فأدى الى إزهاق نفوس كثيرة بسببه.

اقعاد الله تعالى نبيه معه على العرش فضيلة عند المروزي و ابن الفراء و فائدة عند ابن القيم

و الذى نلفت إليه أنظار العقلاء هنا هو جعل ابن القيم هذا الهذيان فائدة، و زعم المروزى و ابن الفراء انه فضيلة للنبى ﷺ، فهل يتردد عاقل فى ان من فسر المقام المحمود بهذا الهذيان مشاقق لرسول الله ﷺ الذى فسره بالشفاعة متبع غير سبيل المؤمنين؟ و هل يتردد عاقل فى تجسيم ابن القيم الذى نشره متبجحاً به؟ و هل يتردد عاقل فى ان النبى ﷺ صار شريكاً لله عز و جل حين جلس معه على عرشه؟ نعوذ بالله من زلقات اللسان و فساد الجنان.

---

١. الاسراء: ٧٩



و ليس فى هؤلاء الذين لطخهم بهذه العقيدة و ضخم بهم كتابه ابن الفراء معروف بالعلم غير خمسة: ابو داود ان كان صاحب السنن و اسحاق بن راهويه و ابو عبيد القاسم ابن سلم و إبراهيم الحربى و بشر الحافى، و انا جازم بأنه قد افترى عليهم، فهذه تراجمهم فى التاريخ و كتب الطبقات غير ملوثة بالتجسيم.

و قول ابن القيم: و هو قول ابن جرير، افتراء على هذا الامام قطعاً، فقد تقدم فى الفصل الأول ان الحنابلة ببغداد رموه بكل موبقة لكونه لم يذكر إمامهم فى كتابه الكبير الذى صنفه فى فقهاء الاسلام، و قال لهم لما سألوه عن ذلك: إن احمد لم يكن فقيهاً و إنما كان محدثاً، و قد دسوا فى تفسيره هذيان المروزى هذا، كما افترى و افتعل الشعر هو او غيره من المجسمة على الامام المحدث ابى الحسن الدارقطنى.

و قوله (و إمام هؤلاء كلهم مجاهد) صحيح.

قال القرطبى فى تفسيره: قال الحافظ ابو عمر بن عبد البر: و مجاهد و إن كان احد الائمة بتأويل القرآن فان له قولين مهجورين عند اهل العلم احدهما هذا: (يعنى تفسير المقام المحمود باقعاد الله تعالى نبيه ﷺ معه على العرش) و الثانى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] قال فيها: تنتظر الثواب ليس من النظر اه.

افتراء ابن القيم على الله في كتابه العزيز و على كليمه موسى عليه الصلاة و السلام

و قال ابن القيم ايضا فى كتابه، الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ص١٩٣ ما نصه: فداء التعطيل هو الداء العضال الذى لا دواء له و هذا حكى

---

١ . القيامه: ٢٢ ـ ٢٣



الله عن امام المعطلة فرعون انه أنكر على موسى عليه الصلاة و السالم ما أخبر به من ان ربه فوق السماوات: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّماوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾[1] و احتج الشيخ ابو الحسن الأشعرى فى كتبه على المعطلة بهذه الآية، و قد ذكرنا لفظه فى غير هذا الكتاب، و هو (اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة و الجهمية فى إثبات العلو) ـ انتهى بشينه و مينه ـ.

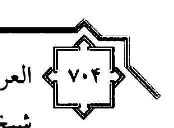
اقول: لقد افترى على الله تبارك و تعالى فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و افترى على كليمه موسى عليه الصلاة و السلام افتراء مكشوفاً لكل مسلم يقرأ القرآن، و صرح بكل وقاحة و بدون حياء، و الحياء من الايمان، فرمى برجيع تشبيهه كليم الله موسى عليه الصلاة و السلام فى قوله (إن فرعون انكر على موسى ما أخبر به من ان ربه فوق السماوات) فقد قص الله تعالى محاورة كليمه موسى عليه الصلاة و السلام لفرعون، لعنه الله تعالى فى عدة سور من كتابه العزيز و بيّنها احسن بيان.

استفاد عقيدته بأن ربه في السموات او فوق السموات او استوى على العرش بذاته او حقيقته او فوق عرشه بائن من خلقه في شيخه و شيخ شيخه الشيطان و من فرعون

و لم يذكر تعالى ان موسى عليه الصلاة و السلام قال فى محاورته لفرعون: (ان ربى فوق السماوات او فوق العرش) فاعتقاده بأن ربه فى السماوات او فوق السماوات، او استوى على العرش بذاته، او حقيقته، او يقعد نبيه معه على

---

١ . غافر: ٣٦ ـ ٣٧



العرش يوم القيامة، او فوق عرشه بائن من خلقه، انما استفاده من وحى شيخه و شيخ شيخه الشيطان و من فرعون، و لم يستفده من وحى الله المنزل على محمد ﷺ، و كل مصيبة تشبيه يلطخون بها علماء الاسلام فهى دون تلطيخ رسل الله عليهم الصلاة و السلام بها.

فقوله: (و احتج الشيخ ابو الحسن الأشعرى فى كتبه الى آخر الهراء) بهتان على الامام ابى الحسن الأشعرى، و قد دسوا فى إبانته رجيع تشبيههم.

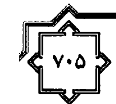
ابن القيم كذاب في كل ما يعزوه الى الاشعري و اتباعه نفياً و اثباتاً

و قد تقدم فى حاله انه كذاب فى كل ما يعزوه الى الامام الأشعرى و أتباعه من العقائد نفياً و اثباتاً، و جيوشه المجتمعة على حرب... هم مشايخه المجسمة جزماً، و المعطلة و الجهمية شيء واحد، و مقصوده بهم الأشاعرة و الماتريدية جزماً، أى الشافعية و الحنفية و المالكية و فضلاء الحنابله، و الأمة الاسلامية في زمنه و قبله و بعده الى زمننا هذا متمثلة فيهم، فليتبصر العقلاء فى هذا المجسم الذى لأجل تجسيمه افترى على الله تعالى، و افترى على كليمه موسى عليه الصلاة و السلام، و افترى على الامام ابى الحسن الأشعرى، و نبز الأمة الاسلامية المنزهة لله تعالى عن الجهة و التجسيم بالتعطيل و التجهيم و اتباع فرعون، وَلْيُكَلْ له بعد هذا الفاظ الاطراء كما كيلت لشيخه، إذا علم هذا:

من المحال ان تكون هذه الامة المحمدية الممدوحة محصورة في اقلية مكفرة لها

١) فمن المحال ان تكون هذه الأمة المرحومة الممدوحة فى كتاب الله تعالى بأنها خير أمة اخرجت للناس محصورة فى اقلية مكفرة لها.

٢) و أن يكون الصحابة الذين اثنى الله تعالى عليهم فى كتابه العزيز فى



آيات كثيرة و أثنى عليهم رسوله ﷺ و نهى و حذر من سبهم و أذاهم، على الباطل.

٣) و أن يكون المكفرون لهم، على الحق.

٤) و أن يكون المبغضون المكفرون الذين أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم على الحق.

٥) و أن يكون السواد الأعظم من أمته ﷺ المستغفرون لهم المترضون عنهم، على الباطل.

٦) و أن يطرد السواد الأعظم من امته ﷺ عن حوضه عليه الصلاة و السلام و يرده الأقلون المدلون السبابون المكفرون.

٧) و أن يكون الأقلون المبدلون المكفرون ثلثى اهل الجنة.

٨) و أن يكون الأقلون المزدرون عباد الله المكفرونهم المشبهون الله جل جلاله بخلقه المفترون على كتابه و على سنة رسوله ﷺ و على السلف الصالح و على أئمة الدين و علمائه، على الحق.

٩) و أن يكون جمهور الأمة الاسلامية المنزهون الله جل جلاله عن مشابهة المخلوقات، على الباطل.

١٠) و أن يكون شيخ المجسمة محمد بن كرّام وحده على الحق، و الأمة السلامية المنزهة لله تعالى عن مشابهة المخلوقات كلها، على الباطل.

١١) و أن يكون المفسر المقام المحمود بجلوس النبى ﷺ مع ربه على العرش، صادقاً، و رسول الله ﷺ الذى فسره بالشفاعة كاذباً.

١٢) و أن يكون جماعة المسلمين المفسرون المقام المحمود بالشفاعة اتباعاً لرسول الله ﷺ الذى فسره بها، مخطئين، و المروزى المفسره بجلوس النبى ﷺ مع الله تعالى على العرش، مصيباً.



١٣) و أن تكون الأمة الاسلامية كلها مخطئة فى عملها و اعتقدها ان شد الرحال الى زيارة قبر النبى ﷺ قربة.

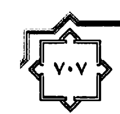
١٤) و أن يكون احمد بن تيمية وحده فى قوله و اعتقاده ان شدّ الرحال الى زيارة قبر النبى ﷺ معصية لا يجوز قصر الصلاة فيه، مصيباً.

١٥) و أن تكون الأمة الاسلامية المجوزة التوسل برسول الله ﷺ و بغيره من الأنبياء و الصالحين المثبتة لجاهه و جاههم عند الله تعالى احياء و أمواتا كلها مخطئة مشركة.

١٦) و أن يكون احمد بن تيمية المفرق بين الحى و الميت فى التوسل المجيزه بالأول فيما يقدر عليه المانعه بالثانى مطلقاً النافى لجاه و منزلة الأنبياء و الصاحين عند الله تعالى، مصيباً موحداً.

١٧) و أن يكون احمد بن تيمية فى تقسيمة التوحيد الى توحيد الالوهية و توحيد الربوبية و فى زعمه ان المسلمين كلهم جهلوا توحيد الالوهية و لم يعرفوا إلا توحيد الربوبية الذى شاركهم فى معرفته جميع الكفار، مصيباً موحداً و الامة الاسلامية كلها صحابة و غيرهم الى يوم القيامة مخطئة مشركة فى زعمه حيث جهلوا توحيد الألوهية و لم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية.

١٨) و أن يكون احمد بن تيمية فى تقسيمه التوحيد الى: توحيد الالوهية و توحيد الربوبية، و فى زعمه معرفة جميع الثقلين توحيد الربوبية، و فى زعمه جهل الامة الاسلامية توحيد الالوهية، عالماً بهذه الثلاثة، و محمد بن عبد الله الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ جاهلاً او كاتماً لما انزل عليه من وحى الله حيث لم يعلِّم امته تقسيم التوحيد الى التوحيد الالوهية و توحيد الربوبية، و لم يعلِّمهم توحيد الألوهية حتى يعصمهم به من الشرك و لم يقل لهم إن توحيد الربوبية قد شارككم فى معرفته جميع الكفار، نعوذ بالله تعالى من زلقات اللسان و فساد الجنان.



ابن تيمية في تقسيمه التوحيد الى قسمين

و قد ابطلت تقسيمه التوحيد و الزعمين فيه فى الفصل الثانى من هذا الكتاب بوجوه كثيرة مفصلة مبرهنة، و أزيد هنا فأقول: كل من له إلمام بالعلم يعلم انه فى هذا التقسيم للتوحيد و فى الزعمين مفتر على الله تبارك و تعالى فى كتابه العزيز مشاقق رسول الله ﷺ متبع غير سبيل المؤمنين.

أما افتراؤه على الله فانه تعالى لم يأمر عباده بتوحيد الالوهية لجهلهم له دون توحيد الربوبية لعلمهم إياه، بل أمرهم بالتوحيد أمراً مطلقاً.

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾[1] و هكذا جميع الآيات التى ذكر فيها التوحيد لم تقيد بتوحيد الالوهية.

و أمّا مشاققته لرسول الله ﷺ فان سنته عليه الصلاة و السلام بيان لكتاب الله تعالى.

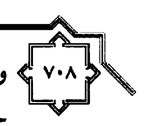
تواتر الاحاديث في انه ﷺ كان يأمر الناس بكلمة التوحيد امراً مطلقاً بدون تقيد و لا تقسيم

و قد استفاضت و تواترت بأنه ﷺ ما كان يدعو الناس الى توحيد الالوهية الذى جهلوه فعبدوا الأصنام دون توحيد الربوبية الذى علموه كلهم ـ على زعمه ـ و ما كان يعلم اصحابه توحيد الالوهية، و ما كان يأمر الدعاة المبعوثين من اصحابه الى الناس بذلك، بل تواترت بأنه ﷺ كان يأمرهم و يخبرهم بكلمة التوحيد مطلقاً و ينهاهم و يحذرهم عن قتل من قالها.

فمنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عنه عليه الصلاة و السلام انه قال: «**أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله و ان محمداً رسول الله و يقيموا الصلاة**

---

١ . محمد: ١٩



و يؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم و أموالهم إلا بحق الاسلام و حسابهم على الله»[١] ـ رواه الشيخان ـ، و لم يقل عليه الصلاة و السلام: **«أمرت ان اقاتل الناس حتى يعرفوا توحيد الالوهية»**.

و منها حديث و فد عبد القيس، قالوا: يا رسول الله انا لا نستطيع ان نأتيك إلا فى الشهر الحرام فأمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا و ندخل به الجنة فأمرهم بالايمان بالله وحده[٢].

قال: **«أتدرون ما الايمان بالله وحده؟** قالوا: الله و رسوله اعلم» قال: **«شهادة أن لا اله الا الله و ان محمداً رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم رمضان و أن تعطوا من المغنم الخمس»**[٣].

و قال: **«احفظوهن و أخبروا بهن من وراءكم»**[٤] ـ رواه الشيخان عن ابن عباس ـ، و لم يقل عليه الصلاة و السلام فى تفسير الايمان لهم بأنه توحيد الالوهية.

و منها حديث انس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغز حتى يصبح فاذا سمع أذاناً أمسك و ان لم يسمع أذاناً أغار بعدما يصبح»[٥] ـ رواه الامامان احمد[٦] و البخارى ـ فجعل عليه الصلاة و السلام الأذان عاصماً للدم و المال.

و منها حديث اسامة رضي الله عنه فى قتله الاعرابى بعدما قال: لا اله الا الله فقال له النبى ﷺ: **«كيف تصنع بلا اله الا الله يوم القيامة؟»، فقال:**

---

١ . صحيح البخارى، ج١، ص١١، صحيح مسلم، ج١، ص٣٩

٢ . صحيح البخارى، ج١، ص١٩

٣و٤ . صحيح البخارى، ج١، ص١٩، صحيح مسلم، ج١، ص٣٦

٥ . صحيح البخارى، ج٤، ص٥

٦ . مسند احمد، ج٣، ص١٥٩



يا رسول الله انها قالها خوفاً من السيف، فقال لـه ﷺ: «**فهـلا شـققت عـن قلبه حتى تعلم انه قالها لذلك**» و جعل ﷺ يكرر عليه: «**كيف لك بلا لا الـه الا الله يوم القيامة؟**» قال اسامة: حتى تمنيت انى لم أكن اسـلمت إلا يومئـذ[1] ـ رو اه الشيخان ـ.

و ابلغ منه حديث المقداد رضي الله عنه انه قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من المشركن فقطع احدى يدى بالسيف ثم لاذ منى بشجرة و قال لا الـه الا الله، فأقتله يا رسول الله بعد ما قالها؟، قال: «**لا تقتله**» فقلت: يا رسـول الله إنـه قطـع إحدى يدى، ثم قال ذلك بعد ان قطعها أفأقتله؟ قال: «**لا تقتله فـان قتلتـه فانـه بمنزلتك قبل ان تقتله و إنك بمنزلتـه قبـل ان يقـول كلمتـه التـى قـال**»[2] ـ رو اه الشيخان ـ و حديث ابن عمر رضي الله عنهما فى قوله ﷺ: «**اللهـم إنـى أبـرأ اليـك ممـا صنع خالد بن الوليد مرتين**»[3].

و كان ﷺ أرسله الى بنى جذيمة، فقتل منهم ناساً، قالوا صـبأنا لم يحـسنوا ان يقولوا أسلمنا متأولاً ـ رو اه الامامان احمد و البخارى ـ.

و حديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه النبى ﷺ الى الـيمن فقـال لـه: «**انـك تـأتى اقواماً اهل كتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا الـه الا الله و ان محمـداً رسول الله فان هم اطاعوا لذلك فأعلمهم الى آخره**»[4] ـ رو اه الامام البخارى ـ.

و حديث ابى ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد قال لا الـه الا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**»[5] ـ رو اه الشيخان ـ.

---

١ . صحيح مسلم، ج١، ص٦٧، مع اختلاف

٢ . صحيح البخارى، ج٥، ص١٩

٣ . صحيح البخارى، ج٥، ص١٠٧

٤ . صحيح البخارى، ج٢، ص١٠٨

٥ . صحيح البخارى، ج٧، ص٤٣، صحيح مسلم، ج١، ص٦٦



و فی الصحیحین عن عبدالله بن مسعود ﷺ ان النبی ﷺ قال: **«سباب المسلم فسوق و قتاله کفر»**[١].

و فی الصحیحین ایضاً من حدیث ابی ذر ﷺ عن النبی ﷺ انه قال: **«لا یرمی رجل رجلاً بالفسوق و لا یرمیه بالکفر الا ارتدت علیه ان لم یکن صاحبها کذلك»**[٢].

و فی الصحیحین ایضا عن ثابت بن الضحاك ﷺ عن النبی ﷺ انه قال: **«من قذف مؤمناً بالکفر فهو کقتله»**[٣].

و فی الصحیح من حدیث ابی هریرة و عبدالله بن عمر ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: **«أیما رجل قال لأخیه: یا کافر فقد باء به احدهما»**[٤].

و عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ ان النبی ﷺ قال: **«کفوا عن اهل لا اله الا الله لا تکفروهم بذنب فمن کفر اهل لا اله إلا الله فهو الی الکفر اقرب»**[٥] ـ رواه الطبرانی ـ.

و عنه ایضا قال قال رسول الله ﷺ: **«خیر ما قلت انا و النبیون من قبلی لا اله الا الله وحده لا شریك له له الملك و له الحمد و هو علی کل شیء قدیر»**[٦] ـ رو اه الترمذی ـ، و الأحادیث فی هذا المعنی کثیرة جداً.

و اما اتباعه سبیل غیر المؤمنین: فان الصحابة عموماً و الخلفاء الراشدین الذین حث ﷺ علی اتباع سنتهم بقوله **«علیکم بسنتی و سنة الخلفاء الراشدین**

---

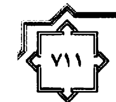
١ . صحیح البخاری، ج١، ص١٨

٢و٣ . صحیح البخاری، ج٧، ص٨٤

٤ . صحیح البخاری، ج٧، ص٩٧

٥ . المعجم الکبیر، ج١٢، ص٢١١

٦ . سنن الترمذی، ج٥، ص٢٣١



المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ»[1] خصوصاً لم يكونوا فى تعليم التابعين يفرقون لهم بين توحيد الالوهية و توحيد الربوبية، بل ما كانوا يخوضون فى اصول الدين الا نادراً، و إنما يخوضون و يتناظرون فى العمل أى الفروع، و ما كانوا فى دعوتهم الأمم الى الاسلام يقسمون لهم التوحيد الى توحيد الالوهية و توحيد الربوبية، و هكذا التابعون و أتباعهم، و لذلك قال إمام دار الهجرة: ما أدركت الناس يخوضون إلا فيما تحته عمل.

و من المحال ايضا صدق محمد بن عبدالوهاب في زعمه ان الامة الاسلامية كفرت منذ ستمائة سنة

١٩) و من المحال أن يكون محمد بن الوهاب صادقاً فى قوله إن الأمة الاسلامية كفرت منذ سمائة سنة، و محمد رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى كاذباً فى قوله: **«لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة»**[2].

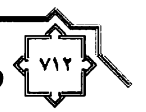
و من المحال ايضا صدق محمد بن عبدالوهاب في حصره هذه الطائفة فيه و في مقلديه

٢٠) و من المحال ايضاً صدق محمد بن عبدالوهاب فى حصره الطائفة التى على الحق فيه و فى مقلديه، و كذب الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى اطلاقه و عدم تقييده لها بزمان و مكان و اناس.

---

١ . سنن الدارمى، ج١، ص٤٥

٢ . صحيح البخارى، ج٨، ص١٤٩



و من المحال ايضا صدق محمد بن عبدالوهاب في قوله إن اهل جزيرة العرب مشركون قبوريون

٢١) و من المحال ايضا صدق محمد بن عبدالوهاب فى قوله: إن اهل جزيرة العرب كلهم صاروا مشركين قبوريين عبدوا الأنبياء و الأولياء بتوسلهم و استغاثتهم بهم، و كذب الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى قوله: أيس الشيطان ان يعبده المصلون بجزيرة العرب إلا بالتحريش بينهم.

و من المحال ايضا كذب الذي لا ينطق عن الهوى

٢٢) و من المحال ايضا كذب الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى قوله: «**لا هجرة بعد الفتح**»[1] الذى دل كما قال علماء الاسلام على ان مكة لا تزال بعد فتحه ﷺ لها دار اسلام الى قيام الساعة، و صدق محمد بن عبدالوهاب و مقلديه فى زعمهم ان مكة دار شرك حتى يفتحوها هم.

٢٣) و من المحال ايضا كذب الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى قوله: ان الله تبارك و تعالى حرّم مكة منذ خلقها و انها لم تحل لأحد قبلى و لن تحل لأحد بعدى و انما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت)[2]، و صدق محمد بن عبدالوهاب و مقلديه فى زعمهم ان مكة دار شرك لا حرمة لها يحل القتال فيها.

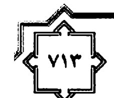
ومن المحال ايضا تنقيب محمد بن عبدالوهاب عن قلوب المتوسلين وعلمه بمقاصدهم

٢٤) و من المحال ايضا ان ينقب محمد بن عبدالوهاب عن قلوب المسلمين

---

١ . صحيح البخارى، ج٣، ص ٢٠٠

٢ . صحيح البخارى، ج٥، ص٩٨، مع اختلاف. المصنف لعبد الرزاق، ج٥، ص١٤١



المتوسلين برسول الله ﷺ و الصالحين من امته و يشق بطونهم فيعلم انهم عبدوا المتوسل به من دون الله تعالى فيحكم عليهم بالشرك و الكفر، و الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ يقول: إنى لم أؤمر ان انقب عن قلوب الناس و لا أشق بطونهم[١].

و من المحال ايضا صدق و توحيد محمد بن عبدالوهاب

٢٥) و من المحال ايضا صدق و توحيد محمد بن عبدالوهاب فى زعمه ان التوسل بالأنبياء و الصالحين شرك، و كذب و شرك الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى توسله بالأنبياء قبله و أمره بالتوسل به.

و من المحال ايضا ان يكون محمد بن عبدالوهاب في حَظرِه التوسل بالأنبياء و الصالحين و زعمه شرك المتوسل بهم منقباً على الحق

٢٦) و من المحال ايضا ان يكون محمد بن عبدالوهاب فى حظره التوسل بالأنبياء و الصالحين و زعمه شرك المتوسل بهم، على الهدى و الحق، و الأمة الاسلامية المتوسلة بهم على الضلال و الباطل.

و من المحال ايضا ان يكون محمد بن عبدالوهاب في قوله و حكمه على المسلمين المتوسلين بالانبياء و الصالحين بالشرك صادقاً

٢٧) و من المحال ايضا ان يكون محمد بن عبدالوهاب فى قوله و حكمه على المسلمين المتوسلين بالأنبياء و الصالحين بالشرك صادقاً، و الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى قوله: «**عليكم بالجماعة و انما يأكل الذئب من الغنم**

---

١ . صحيح البخارى، ج٥، ص١١١



القاصية»[1] و فی قوله: (إن الله تعالى لا يجمع امتی علی ضلالة و يد الله على الجماعة و من شذ شذ فی النار)[2] كاذباً.

أحاديث في أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم

و قد وردت أحاديث كثيرة فی خيرية و أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم، و فی افضلية نبيها على سائر المخلوقات، و فی كونها مرحومة، و فی كثرتها و دخولها الجنة، اخرج الشيخان و الامامان احمد و الترمذی عن ابن مسعود رضی الله عنه عنه عليه الصلاة و السلام انه قال: **«خير الناس قرنی ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجیء أقوام تسبق شهادة احدهم يمينه و يمينه شهادته»**[3]، و اخرجه مسلم ايضا عن عائشة رضی الله عنها بلفظ **«خير الناس القرن الذی انا فيه ثم الثانی ثم الثالث»**[4].

و اخرجه الطبرانی عن ابن مسعود ايضا بلفظ: **«خير الناس قرنی ثم الثانی ثم الثالث ثم يجیء اقوام لا خير فيهم»**[5]، و اخرجه الطبرانی ايضا و الحاكم عن جعدة بن هبيرة رضی الله عنه بلفظ: **«خير الناس قرنی الذی انا فيهم ثم الذين يلونهم و الآخرون أرذال»**[6].

و اخرجه الشيخان[7] و الترمذی[8] و الحاكم[9] ايضا عن عمران بن

---

١ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٣٣٠
٢ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٩٩
٣ . صحيح البخاری، ج٣، ص١٥١، صحيح مسلم، ج٧، ص١٨٥
٤ . صحيح مسلم، ج٧، ص١٨٦
٥ . المعجم الكبير، ج١٠، ص٩٢
٦ . المعجم الكبير، ج٢، ص٢٨٥
٧ . صحيح مسلم، ج٧، ص١٨٦
٨ . سنن الترمذی، ج٣، ص٣٣٩
٩ . المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٥٣٥، مع اختلاف



حصين رضي الله عنهما بلفظ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يخونون و لا يؤتمنون و يشهدون و ينذرون و لا يفوق و يظهر فيهم السمن**»[1] و كل رواياته صحيحة.

و هذه الخيرية معتبرة في الصحابة رضي الله عنهم بالنسبة الى التابعين في جميعهم، و معتبرة في التابعين على اتباعهم في مجموعهم، و خيرية الأمة تستلزم خيرية نبيها و افضلية دينها إذ لا شك ان خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم و ان صفاته اعلى و اجل و ذاته افضل و اكمل، كما صرح به قوله تعالى: ﴿**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[2]، فانه تعالى وصف الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بالأوصاف الحميدة، ثم أمره ان يقتدى بجميعهم و ذلك يستلزم ان يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ﷺ ما تفرق فيهم.

و في حديث الشفاعة العظمى و انتهائها اليه ﷺ بعد تنصل كل منهم واعترفه بأنه ليس اهلاً لها التصريح بذلك ايضا، و كذلك الحديث الصحيح الذي رو اه مسلم و ابو داود[3] عن ابي هريرة رضي الله عنه و هو «**انا سيد ولد آدم يوم القيامة**»[4] و هو عند احمد[5] و الترمذي و ابن ماجه[6] عن ابي سعيد بزيادة «**و لا فخر و بيدي لواء الحمد و لا فخر و ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الأرض ولافخر وانا اول شافع ومشفع ولافخر**»[7].

---

١ . صحيح البخاري، ج٣، ص١٥١، و ايضا ج٧، ص١٧٣، بلفظ: «خيركم قرني...»

٢ . الانعام: ٩٠

٣ . سنن ابي داود، ج٢، ص٤٠٧

٤ . صحيح مسلم، ج٧، ص٥٩

٥ . مسند احمد، ج٣، ص٢

٦ . سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٤٤٠

٧ . سنن الترمذي، ج٤، ص٣٧٠



و عند الترمذی عن انس رضي الله عنه: «**انا اوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك غيری**»[١]، و هو صريح فی دخول آدم كحديث البخاری و غيره: «**انا سيد الناس يوم القيامة**»[٢]، و حديث: «**انا سيد العالمين**»[٣] ـ صححه الحاكم ـ

و بذلك تعلم افضليته على الملائكة لأن آدم افضل منهم بنص الآية.

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون قال بعضهم: ان الله اتخذ ابراهيم خليلاً.

و قال آخر: موسى كلمه الله تكليما.

و قال آخر: فعيسى كلمة الله و روحه.

و قال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال: قد سمعت كلامكم و عجبكم ان ابراهيم خليل الله و هو كذلك، و موسى نجي الله و هو كذلك، و عيسى روح الله و هو كذلك، و آدم اصطفاه الله و هو كذلك، ألا و انا حبيب الله و لا فخر، و انا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه و لا فخر، و انا اول شافع و اول مشفع يوم القيامة و لا فخر، و انا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لی فيدخلنيها و معی فقراء المؤمنين و لا فخر، و انا اكرم الأولين و الآخرين على الله و لا فخر)[٤] ـ رواه الترمذی و غيره ـ و هذا صريح فی شموله الانبياء و الملائكة.

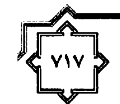
---

١ . سنن الترمذی، ج٥، ص٢٤٦، عن ابی هريره

٢ . صحيح البخاری، ج٥، ص٢٢٥

٣ . لم اجد بهذا اللفظ فی المستدرك.، ولكن نقله الايجی فی المواقف، ج٣، ص٦٢٥

٤ . سنن الترمذی، ج٥، ص٢٤٨



و عنه عليه الصلاة و السلام انه قال: «**بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذى كنت فيه**»[١] ـ رواه الامام البخارى عن ابى هريرة رضي الله عنه ـ.

و روى الامام مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى من قريش بنى هاشم و اصطفانى من بنى هاشم**»[٢]، و اخرج الامام البخارى عن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل امتى يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا و من يأبى؟ قال: من اطاعنى دخل الجنة و من عصانى فقد ابى)[٣] و اخرج الترمذى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ان الله لا يجمع امتى على ضلالة و يد الله على الجماعة و من شذ شذ فى النار**»[٤]، و اخرج ابو داود عنه عليه الصلاة و السلام انه قال: «**إن امتى امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن و الزلازل و القتل**»[٥].

و اخرج الترمذى و الامام احمد[٦] عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثل أمتى كمثل المطر لا يدرى آخره خير أم اوله**»[٧].

---

١ . صحيح البخارى، ج٤، ص١٦٦

٢ . صحيح مسلم، ج٧، ص٥٨

٣ . صحيح البخارى، ج٨، ص١٣٩

٤ . سنن الترمذى، ج٣، ص٣١٥، مع اختلاف يسير

٥ . سنن ابى داود، ج٢، ص٣٠٨، بلفظ: «**ان امتى هذه امه...**»

٦ . مسند احمد، ج٣، ص١٣٠

٧ . سنن الترمذى، ج٤، ص٢٢٩، «فى بعض النسخ: «**مثل امتى مثل الطير..**»



و اخرج الامام احمد[1] و الترمذی[2] و ابن ماجه[3] و ابن حبان[4] و الحاكم[5] عن بريدة و الطبرانی[6] عن ابن عباس و عن ابن مسعود و عن ابی موسی قالوا: قال رسول الله ﷺ: «**اهل الجنة عشرون و مائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة و اربعون من سائر الامم**».

و اخرج الشیخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليدخلن الجنة من امتى سبعون الفاً او سبعمائة الف متماسكين آخذ بعضهم بيد بعض لا يدخل اولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر)[7].

و اخرج الترمذی عن ابی امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**وعدنی ربی ان يدخل من امتی الجنة سبعون الفاً لا حساب عليهم و لا عذاب ومع كل الف سبعون الفاً و ثلاث حثيات من حثيات ربی**»[8]. و الحمد لله الذی بنعمته تتم الصالحات.

انتهى الجزء الثانی

---

١ . مسند احمد، ج٥، ص٣٤٧

٢ . سنن الترمذی، ج٤، ص٨٩

٣ . سنن ابن ماجه، ج٢، ص١٤٣٤

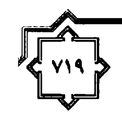
٤ . صحيح ابن حبان، ج١٦، ص٤٩٩

٥ . المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٥٥

٦ . المعجم الاوسط، ج١، ص١٧٢

٧ . صحيح البخاری، ج٧، ص١٩٩، صحيح مسلم، ج١، ص١٣٧

٨ . سنن الترمذی، ج٤، ص٤٥



المصادر

إمتاع الأسماع، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤٢٠ق

تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعه الثالثة، ١٤١٤ق

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي| محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ق

جامع البيان فى تفسير القرآن، إبن جرير الطبري، تحقيق : الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ق

الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤٠١ق

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة : ١٤٢٣ق

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ق

سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت

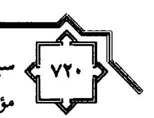
سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ

سنن الترمذي، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعه: الثانية،١٤٠٣ق

سنن الدارقطني، الدارقطني، تحقيق: مجدي بن منصور سيد الشوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه الاولى، ١٤١٧ق

السنن الكبرى، النسائي، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١١ق

سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، دار الفكر، بيروت، الطبعه: الأولى، ١٣٤٨ق



سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعه التاسعة، ١٤١٣ق

مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ق

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي السبتي المغربي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ق

صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد الدارمي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، موسسه الرساله، بيروت، الطبعه الثانية، ١٤١٤ق

صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ق

صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ

الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي و كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ق

الضعفاء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ق

الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دارصادر ، بيروت، بدون تاريخ

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ق

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ق

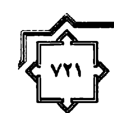
كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه الثالثة، ١٤٠٨ق

مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ق

المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ق

مسند ابن المبارك، عبد الله بن المبارك، تحقيق : مصطفى عثمان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١١ق

مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، تحقيق: الدكتور



محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ق

مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت

مسند البزار (البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله و غيره، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م

المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ق

المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ق

المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : قسم التحقيق بدار الحرمين، دارالحرمين، ١٤١٥ق

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق : عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١٧ق